



إهداء ٢٠٠٩

الإستاذة / سامية الكریمی
جمهورية مصر العربية

إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بمعلم

الدكتور بدوي طه

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

الجزء الثاني

بإحياء الحكماء العرب
ميسى الباني الجليلي وشركاه

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّبَنٍ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب آداب الأكل)

(وهو الأول من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات ، خلق الأرض والسماوات ، وأزله للساء القصرات من العصرات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدر الأرزاق والأقوات ، وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات يأكل الطيبات ، والصلاة على محمد بن عبد الله المعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على عمر الأوقات ، وتتضاعف بتعاقب الساعات ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فإن مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ، ولا طريق إلى الوصول لبقاء الله إلا بالعلم والعمل ، ولا تمكن اللواظبة عليها إلا بإسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات ، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرار الأوقات ، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين ، وعليه يعرب العالمين ، بقوله وهو أصدق القائلين - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي أن يترك نفسه مهمل سدى ، يسترسل في الأكل استرسال البهائم في للرعى ، فإن ماهو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ، ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه وإنما أنوار الدين آدابه وصفته التزيم العبد بزمامها ، ويلجئ للثقيل بلجامها ، حتى يترن عيمزان الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإحجامها ، فيصير بسببها مدفعة للوزر ، ومجلبة للأجر ، وإن كان فيها أوفى حظ لنفس . قال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليؤجر حتى في القعة يرضعها إلى فيه وإلى في امرأته» (١) «وإنما ذلك إذا رضعها بالدين ولدين مراعيها فيه آدابه ووظائفه ، وهانحن ترشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومرواها وهيئاتها في أربعة أبواب . وفصل في آخرها . الباب الأول : فيما لا بد للأكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل . الباب الثاني : فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل . الباب الثالث : فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين . الباب الرابع : فيما يخص الدعوة والضيافة وأشبابها .

(كتاب آداب الأكل)

(١) حديث إن الرجل ليؤجر في القعة يرضعها إلى فيه وإلى في امرأته من حديث لسعد بن أبي وقاص وإنك معها تأثقت من ثقة فأنها صدقة حتى القعة ترضعها إلى في امرأتك .

بقية

عوارف المعارف

للسهروردي

[الباب التاسع في ذكر من انتهى إلى الصوفية وليس منهم]
فمن أولئك قوم يسمون نفوسهم قلندرية تارة ومسلاتية أخرى وقد ذكرنا حال للامني وأنه حال شريف ومقام عزيز وتمك بالسن والآثار وتحقق بالإخلاص والصدق وليس مما يزعم للفتنون بشي فأما القلندرية فهو إشارة إلى أقوام ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى خربوا العادات وطرحوا التقيد بآداب المجالس والمجالطات وساحوا في ميادين طيبة قلوبهم هتلت أعماهم من الصوم والصلاة إلا القرائن

الباب الأول : فيها لا بد للمفرد منه وهو ثلاثة أقسام قسم قبل الأكل وقسم مع الأكل وقسم بعد الفراغ منه (القسم الأول في الآداب التي تقدم على الأكل وهي سبعة)

الأول : أن يكون الطعام يمدكو نهحلا في شمه طيا في جهة مكسبه موقافا للسنق الورع لم يكتسب بسبب مكره في الشرع ولا بحكم هوى ومدهانة في دين على ماسياتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقدر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم التي عن الأكل على الباطل القتل نضجيا لأمر الحرام وتطعنا ببركة الحلال فقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - إلى قوله - ولا تقتلوا أنفسكم - الآية فالأصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول الدين الثاني : غسل اليد ، قال صلى الله عليه وسلم « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ويبدد بني المم » وفي رواية « ينفي الفقر قبل الطعام ويبدد » ولأن اليد لا تغلوع لوث في تطايل الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والتزاهة ولأن الأكل قصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة . الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة للوضوء على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام وضعه على الأرض ^(١) فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعل السفرة فإنها تذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى وقال أنس بن مالك رحمه الله « ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة » ^(٢) . قيل فعل ماذا كنتم تأكلون قال على السفرة وقيل أربع أربع أحدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللوائد وللناخل والأشنان والشبع . واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى قلنا قول الأكل على المائدة منهي عنه نهى كراهة أو تحريم إذ لم يثبت فيه نهى وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما أبدع منهي بل الذي بدع تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الأبدع قد يوجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من النظافة فإن الفضل مستحب للنظافة والأشنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنهم كانوا لا يعتاد عندهم ألا يتيسر أو كانوا مشغولين بأمرهم من البالغة في النظافة قد كانوا لا يضلون اليد أيضا وكانت متدليهم أخص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الفضل مستحبا وأما النخل فالقصد منه تطيب الطعام وذلك مباح ما لم يمتد إلى التمتع المفرط وأما المائدة فتيسر للأكل وهو أيضا مباح ما لم يمتد إلى الكبر والتعاطف وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تسريح الشهوات وتخريك الأدوات في البدن فلندرك التفرقة بين هذه البدعات . الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ويستديها كذلك

(الباب الأول)

(١) حديث الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ويبدد بني المم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام ويبدد القضاة في مسند الشباب من رواية موسى الرضا عن أبيه متصلا باللفظ الأول ولطريق في الأوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام ويبدد مما ينفي الفقر ولأن داود وت من حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده وكلها ضيقة (٢) حديث كان إذا أتى بطعام وضعه على الأرض أحمد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلًا ورواه البزار من حديث أبي هريرة نحوه وفيه مجاهد وثقه أحمد وضعه الدارقطني (٣) حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة الحديث رواه خ .

ولم يالوا بتناول شيء
من لذات الدنيا من
كل ما كان مسباحا
برخصة الشرع وربما
اقتصروا على رعاية
الرخصة ولم يطلبوا
حقائق العزيمة ومع
ذلك هم متمسكون
بترك الاضار وترك
الجمع والاستكثار ولا
يترحمون بمراسم
التقشفين والتزهدين
والتعبدن وقعوا
بطيعة قلوبهم مع الله
تعالى واقتصروا على
ذلك وليس عندهم
تطلع إلى طلب مزيد
سوى مأم عليه من
طيبة القلوب والفرق
بين اللامق والقلندري
أن اللامق يعمل
في كتم البادات
والقلندري يعمل
في تخريب العادات
واللامق يتسكع بكل
أبواب البر والخير
ويرى الفضل فيه

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جالساً للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى (١) » وكان يقول « لا تأكل متكاً (٢) » إنما أنا عبد أكل كأياب كل البعد وأجلس كما يجلس البعد (٣) » والشرب متكاً مكروه للعدة أيضاً ويكره الأكل نائماً ومتكاً إلا ما يتقل به من الجوب وروى عن علي كرم الله وجهه أنه أكل كماً على ترس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفضله . الخامس : أن ينوي بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطعياً بالأكل ولا يقصد التلذذ والتعم بالأكل قال إبراهيم بن شيان منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئاً لشهوتي ومزمت مع ذلك على تقليل الأكل فانه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل مادون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإثارة القناعة على الاتساع قال رسول الله ﷺ « ماملأ آدمى وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيات يقمن عليه فان لم يغضل فكلت طعام وثلاث شراب وثلاث لنفس (٤) » ومن ضرورة هذه النية أن لا يعاليد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحداً لا يد من تقديمه على الأكل ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسيأتي فائدة قلة الأكل وكيفية التدرج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربيع الهللكات . السادس : أن يرضى بالوجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التتم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الحيز أن لا ينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بإكرام الحيز (٥) فكل ما يديم الرمي ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن يستحضر بل لا ينتظر بالحيز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع قال رسول الله ﷺ « إذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء (٦) » وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما مع قراءة الإمام ولا يقوم من عشاءه ومعهما كانت النفس لا تتوق إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى بتقديم الصلاة فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يبرد الطعام أو يشوش أمره فتقدمه أحب عند اتساع الوقت تاتت النفس أولم تتق لمعوم الخبر ولأن القلب لا يغلو عن الالتفات إلى الطعام للوضوع وإن لم يكن الجوع غالباً . السابع : أن يجتهد في تكثير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه (٧) » وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولكن يخفى الأعمال والأحوال ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه وحركاته وأمور مسترا للعالم لئلا يغلط له وهو مع ذلك مطلع إلى طلب المزيد باذل مجهوده في كل ما يتقرب به إليه والقندري لا يتقيد بهيمة ولا يبال بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينطق إلا على طيبة القلوب وهو رأس ماله والصوفي يضع الأشياء مواضعها ويدير الأوقات والأحوال كلها بالملم يقيم الخلق مقامه ويقيم أمر الخلق مقامهم ويستمر ما ينبغي أن يستمر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأني بالأموال في موضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكال معرفة ورعاية صدق وإخلاص تقوم من للتونين سوا أنفسهم ملائمة ولبسوا لبسة الصوفية لينسبوا بها إلى الصوفية وما هم من

(١) حديث ربما جالساً للأكل كل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى د من حديث عبد الله بن بشر في أثناء حديث أنوا تلك القصة فالتقوا عليها فكثروا جالساً رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وله و ن من حديث أنس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع وروى أبو الحسن بن القري في السائل من حديثه كان إذا قعد على الطعام استوفى على ركبتيه اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد أكل كأياب كل البعد وأفضل كما يغفل البعد وإسناده ضعيف (٢) حديث كان يقول لا أكل متكاً من حديث أبي جحيفة (٣) حديث إنما أنا عبد أكل كأياب كل البعد وأجلس كما يجلس البعد ثم قال من حديث أنس بلفظ وأفضل بدل وأجلس رواه البزار من حديث ابن عمر دون قوله وأجلس (٤) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه الحديث وقال حسن ن . من حديث القناد بن معديكرب (٥) حديثاً أكرموا الحيز للبرار والطيراني وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بإسناد ضعيف جداً وذكر ابن الجوزي في الموضوعات (٦) حديث إذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء تقدم في الصلاة والعرف وأقيمت الصلاة (٧) حديث اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه د من حديث وحشي بن حرب بإسناد حسن .

لأياكل وحده^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي [١] ».

(القسم الثاني في آداب حالة الأكل)

وهو أن يبدأ بيسم الله في أوله وبالحمد في آخره ولوقال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا يشغل الشراء عن ذكر الله تعالى ويقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويحجر به ليذكر غيره ويأكل باليمين ويبدأ بالملح ويغتم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم ينتلها لم يعد اليد إلى الأخرى فإن ذلك محبة في الأكل وأن لا ينم ما كولا، كان صلى الله عليه وسلم لا ييبس مأكولا كان إذا أعجبه أكله ولا تركه^(٢) وأن يأكل مما يليه إلا الفاكهة فإن له أن يجيل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم « كل مما يليك^(٣) » ثم كان صلى الله عليه وسلم يدور على الفاكهة قبل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا^(٤) وأن لا يأكل من دورة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغبة إلا إذا قل الحبز فبكر الحبز ولا يقطع بالسكين^(٥) ولا يقطع اللحم أيضا فقد نهى عنه وقال انهشوه نهشا^(٦) ولا يوضع على الحبز قصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به قال عليه السلام « أكرموا الحبز فإن الله تعالى أنزل من بركات السماء [٧] » ولا يمسح يده بالحبز وقال صلى الله عليه وسلم « إذا وقت لقمة أحدكم فليأخذها وليط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة^(٨) » ولا ينفخ في الطعام الحار^(٩) فهو منى عنه بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وترا سبعة أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقها وكذا كل ماله عجم وتفل وأن لا يترك ما استردله من الطعام ويطرعه في القصعة بل يتركه

(١) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأياكل وحده رواء الخراطين في مكالم الأخلق بسند ضعيف (٢) حديث أنس كان لا ييبس مأكولا إن أعجبه أكله وإلا تركه متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث كل مما يليك متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة (٤) حديث كان يدور على الفاكهة وقال ليس هو نوعا واحدا ت من حديث عكراش بن دؤب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد قال ت غريب ورواه حب في الضعفاء (٥) حديث التهي عن قطع الحبز بالسكين رواء حب في الضعفاء من حديث أبي هريرة وفيه نوح بن أبي مريم وهو كذاب ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث التهي عن قطع اللحم بالسكين د من حديث عائشة وقال انهشوه نهشا قال ت منسكرو ت من حديث صفوان بن أمية وانهشوا اللحم نهشا وسنده ضعيف (٧) حديث إذا وقت لقمة أحدكم فليأخذها فليط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة ت من حديث أنس وجابر (٨) حديث التهي عن النفخ في الطعام والشراب أحمد في مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبي داود وت وصحه ابن ماجه إلا أنهم قالوا في الإناء وت وصحه من حديث أبي سعيد نهى عن النفخ في الشراب .

[١] (قوله وقال صلى الله عليه وسلم خير الطعام الخ) لم يتكلم عليه العراقي لسقوطه من نسخته كما لم يذكره الشارح فليتأمل .

[٢] (قوله أكرموا الحبز الخ) لم يخرج العراقي وقد خرج الشارح عن الحكم الترمذي وغيره فانظرو .

الصوفية شيء بل هم في غرور وغلط يسترون بلبسة الصوفية توفيتا تارة ودعوى أخرى ويتجهجون مناهج أهل الاباحة ويزعمون أن ضارهم خلصت إلى الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمرد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والمقاصرين الأفهام والنحصرين في مضيق الاقتداء تقليدا وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والابعاد فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة وجعل هؤلاء الغرورون أن الشريعة حق العبودية والحقيقة هي حقيقة العبودية ومن صار من أهل الحقيقة تغيد بغقوق العبودية وصار مطالباً بأمور وزادات لا يطالب بهما من لم يصل إلى ذلك لأنه يخلع عن عنقه ربة التكليف ويغامر بإطنه الزينغ

مع الثقل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه فقد قيل إن ذلك مستحب في الطب وأنه دباغ المعدة . وأما الشرب : فأدبه أن يأخذ الكوز يمينه ويقول بسم الله ويشربه مصاً لا عيأ قال صلى الله عليه وسلم « مصوا للماء ولا تمبوه عيا فإن الكبدان من العب »^(١) ولا يشرب قائماً ولا مضطجاً فإنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائماً^(٢) وروى أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً^(٣) ولله كان لندر ، وراعى أسفل الكوز حتى لا يعطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز بل ينجيه عن فله بالحمد وورده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب « الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا »^(٤) والكوز وكل ما يدار على القوم يدار بمنة « وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا وأبو بكر رضي الله عنه عن شماله وأعرأى عن يمينه وعمر ناحيته فقال عمر رضي الله عنه أعط أبابكر قنارول الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن » ويشرب في ثلاثة أنفاس يحمد الله في أواخرها ويسمى الله في أوائلها ويقول في آخر النفس الأول الحمد لله وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين أدبا في حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار .

(القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام)

وهو أن يمسك قبيل الشبع ويلق أصابعه ثم يمسح بالمديل ثم يفسله ويلتقط فئات الطعام قال صلى الله عليه وسلم « من أكل ما يسقط من اللائدة عاش في سعة وعوفى في ولده »^(٥) ويتخلل ولا يتبع كل ما يخرج من بين أسنانه بالحلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه أما المخرج بالحلال فيرميه وليتضمن بعد الحلال فيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام وأن يلحق القصة ويشرب ماءها ويقال من لعق القصة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة وأن التقاط الفئات مهور الحور العين وأن يشكر الله تعالى قبله على ما طعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى - كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله - ومهما أكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعنا طيبا واستعملنا صالحا وإن أكل شبة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك وقرأ بعد الطعام - قل هو الله أحد - و - لإيلاف قريش - ولا يقوم عن اللائدة حتى ترفع أولا فإن أكل طعام التفسير فليدعه وليقل اللهم أكل كثير خيره وبارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل فيه خيرا وقته بما أعطيته واجتنا وإياه من الشاكرين وإن أفطر عند قوم قليل أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم لللائكة وليكثر الاستغفار والخرن على ما أكل من شبة ليطيق بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها لقوله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مصوا للماء وما ولا تمبوه عيا أبو منصور الديلمي في مسند الفردس من حديث أنس بالشرط الأول ولأبي داود في الرسائل من رواية عطاء بن أبي رباح إذا شربتم فاشربوا مصا (٢) حديث التهي عن الشرب قائماً من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً متفق عليه من حديث ابن عباس وذلك من زمزم (٤) حديث كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا الطبراني في الدعاء مراسلا من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (٥) حديث من أكل ما سقط من اللائدة عاش في سعة وعوفى في ولده أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر بلقذا من من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحق وله من حديث الحاجب بن علاط أعطى سعة من الرزق ووقى في ولده وكلاما منكر جدا .

والتحريف . أخرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ للقدسي قال أنا أبو محمد الخطيب ثنا أبو بكر بن محمد بن عمر قال ثنا أبو بكر بن أبي داود قال ثنا أحمد ابن صالح قال ثنا عتبة قال ثنا يونس بن يزيد قال قال محمد يعني الزهري أخبرني محمد بن عبد الرحمن أن عبد الله ابن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الوحي قد انقطع وإنما تأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سره شيء ، الله تعالى محاميه في سره ومن أظهر لنا سوى ذلك لم نأمنه وإن قال سررتني حسنة وعنه أيضا رضي الله

« كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » (١) وليس من يأكل ويصلي كمن يأكل ويلعب ويلقي إذا أكل
 لبنا اللهم بارك لنا في رزقنا وزدنا منه (٢) فإن أكل غيره قال اللهم بارك لنا في رزقنا وارزقنا خيرا
 منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لم يعمهم ثمه ويستحب عقيب
 الطعام أن يقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكتفي
 منه شيء أطعمت من جوع وأمتت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت
 من عيلة فلك الحمد جدا كثيرا دائما طيبا ناعما مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعمتنا طيبا
 فاستمطنا صالحا واجهه عونا لناطئ طاعتك ونعوذ بك أن نستعين به على مصيبتك وأما غسل اليدين
 بالأشنان فكيفيته أن يمسح بالأشنان في كفنه اليسرى ويصل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا
 ويضرب أصابعه على الأشنان اليايس فيمسح به شفته ثم يغمس يده في ماء ثم يغسل يده بأصبعه وبذلك ظاهر أسنانه
 وباطنها والحنك واللسان ثم يمسح أصابعه من ذلك بماء ثم بذلك يبقية الأشنان اليايس أصابعه
 ظهرا وبطنا ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى اليمين وإعادة غسله .

(الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل وهي سبعة)

الأول : أن لا يتدنى بالطعام ومعه من يستحق التقديم بغير من أوزياده فضل إلا أن يكون هو للتبوع
 وللتدنى به فيجئته ينبغي أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشرأبوا للأكل واجتمعوا له . الثاني : أن
 لا يسكنوا على الطعام فإن ذلك من سريرة الصمم ولكن يتكلمون بالمحروف ويتحدثون بحكايات
 الصالحين في الأطعمة وغيرها . الثالث : أن يرفق برفيقه في القصة فلا يقصد أن يأكل زيادة على
 ما يأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موقفا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي أن يقصد
 الإيثار ولا يأكل تمرتين في دفعة إلا إذا فصولا ذلك أو استأذنه فإن قلل رفيقه نعطه ورضيه في
 الأكل وقاله كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فإن ذلك الحاح وإفراط . كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إذا خطب في شيء ثلاثا لم يرجع بعد ثلاث (٣) وكان يكرر الكلام ثلاثا (٤)
 فليس من الأدب الزيادة عليه فأما الحلف عليه بالأكل فمنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما
 الطعام أهون من أن يحلف عليه . الرابع : أن لا يهوج رفيقه إلى أن يقول كل قال بعض الأدباء
 أحسن الآكلين أكل من لا يهوج صاحبه إلى أن يثقله في الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول
 ولا ينبغي أن يدع شيئا مما يشتهيه لأجل نظر التبر إليه فإن ذلك تصنع بل يجرى على اللعاد ولا ينقص من
 عادته شيئا في الوحدة ولكن يعود نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع
 نعم لو قل من أكله إشارا لإخوانه ونظرا لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن وإن زاد في الأكل
 على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن البارك يقدم

(١) حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به هو في شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ
 سمعت وهو عند حسن بلفظ لا يبرو لحم نبت من سمعت إلا كانت النار أولى به (٢) حديث
 القول عند أكل الذين اللهم بارك لنا في رزقنا وزدنا منه وحسنه . من حديث ابن عباس إذا أكل
 أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا في طعامنا وآخرنا من ساء الله لنا فليقل اللهم بارك لنا في رزقنا .

(الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل)

(٣) حديث كان إذا خطب في شيء ثلاثا لم يرجع بعد ثلاث أحمد من حديث جابر في حديث طويل
 ومن حديث أبي حنيفة أيضا وإسناده حسن (٤) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثا من حديث أنس
 كان يبيد الكلمة ثلاثا .

عنه قال من عرض
 نفسه لقيم فلا يؤمن
 من أساء به الظن فإذا
 رأينا متهمونا بحسود
 الشرع مهملا للصلوات
 الفروض لا يند
 بحلاوة التلاوة والصوم
 والصلاة ويدخل في
 للدخل للكروية
 المحرمة نرده ولا تبه
 ولا قبل دعواه أن له
 سريرة صالحة .
 آخرنا شيخنا ضياء
 الدين أبو النجيب
 السهروردي بإجازة عن
 محمد بن أحمد عن ابن
 خلف عن السلي قال
 سمعت أبا بكر الرازي يقول
 سمعت أبا محمد الجبري
 يقول سمعت الجعيد
 يقول لرجل ذكر للرفة
 فقال الرجل أهل للرفة
 بالله يصلون إلى ترك
 الحركات من باب البر
 والتقوى إلى الله تعالى
 فقال الجعيد إن ههنا
 قول قوم تكلموا
 بأسقاط الأعمال وههنا
 عندي عظيمة والله
 يسرق ويرثي أحسن

فاخر الرب إلى إخوانه ويقول من أكل أكثر أعطته بكل نواة درهما وكان يمد النوى ويعطى كل من فضل نوى يمدده دراهم وذلك لفتح الحياء وزيادة النشاط في الانسباط . وقال جعفر بن محمد رضى الله عنهما أحب إخوانى إلى أكثرهم كلاً وأعظمهم قسمة وأقلهم على من يجوزنى إلى تهدي في الأكل وكل هذا إشارة إلى الجرى على اللئاد وترك التصنع وقال جعفر رحمه الله أيضاً تبين جودة عجة الرجل لأخيه بمقدرة كفه في منزله . الخامس : أن غسل اليد في الطست لأبأس به وله أن يتخيم فيه إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلا ينبغي أن يفعل ذلك فإذا قدم الطست إليه غيره أكرامه فليقبله . اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني رضى الله عنهما على طعام قدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردّها فأما يكرم الله عز وجل وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فطاف به قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك فقال لا قال صبه أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته فأجلبته فأجلبك الله وأكرمك كما أجلبت العلم وأهله . ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوه فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا وضوءكم جمع الله شملكم » (١) قبل إن الراد به هذا . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأماص لا يرفع الطست من بين يدي قوم إلا معاودة ولا تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحدوا تستنوا بسنة الأعاجم والحادم الذى يصب للماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائماً وأحب أن يكون جالساً لأنه أقرب إلى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب للماء على يد واحد خادم جالساً فقام للصبوب عليه فقيل له لفت فقال أحداً لا بد وأن يكون قائماً وهذا أولى لأنه أيسر للصب والتسل وأقرب إلى تواضع الذى يصب وإذا كان له نية فيه تمكنه من الخدمة ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك في الطست إذن سبعة آداب أن لا يزيق فيه وأن يقدم بالتبرع وأن يقبل الإكرام بالتقديم وأن يدار بمنه وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجمع للماء فيه وأن يكون الخادم قائماً وأن يجمع للماء من فيه ورسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه للماء على يده من يده هكذا فعل مالك بالشافى رضى الله عنهما في أول نزوله عليه وقال لا يروعه ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض . السادس : أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراى أبداً كلهم فيستحيون بل ينفض بصره عنهم ويشتمل بنفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحشمون الأكل بعده بل يمد اليد ويحبسها ويتأول قليلاً قليلاً إن يستوفوا فان كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيراً فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضى الله عنه فان امتنع لسبب فليعذر إليهم فضلاً للخدمة عنهم . السابع : أن لا يفعل ما يستفد به غيره فلا ينفض يده في القصة ولا يقدم البهارا سه عند وضع القصة فيه وإذا أخرج شيئاً من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذ به يساره ولا ينفس القصة الدفعة في الخل ولا الخل في السومة قد يكرهه غيره والقصة التي قطمها بسنه لا ينس شيئاً في اللقمة والخل ولا يذكركم بما يذكر المستفدات .

(الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير . قال جعفر بن محمد رضى الله عنهما إذا قدمت مع الإخوان على اللائنة فأطبلوا الجلوس فانه ساعة لا تعسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله كل ثقة

(١) حديث اجتمعوا وضوءكم جمع الله شملكم رواه القاضي في مسند الشباب من حديث أبي هريرة بأسناد لأبأس به وجل ابن طاهر مكان أبي هريرة إبراهيم وقال إنه متصل وفيه نظر .

(الباب الثالث في تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

حالا من الذى يقول هذا وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه يرجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم تقص من أعمال البر ذرة إلا أن حال بدونها وإنها أكد في معرفتي وأتوى لحالي ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول وزعمون أن الله تعالى يحل فيهم ويحل في أجسام يصطفيها ويسبق لأفهامهم معنى من قول النصارى في اللاهوت والناسوت . ومنهم من يستنبح النظر إلى المستحبات إشارة إلى هذا اليوم ويتخيل له أن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضراً لشيء مما زعموه مثل قول الحلاج أنا الحق وما يحكى عن أبي زيد من قوله لم يحل لي أن نتخذ في أبي زيد أنه يقول ذلك لإطلاعى الحكاية عن الله تعالى

ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها ألبنة إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك هذا مع ما ورد من الأخبار في الإطعام قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال لللائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع » (١) وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكل جميعه وكان يقول بلنتان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الإخوان إذا رضوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك » (٢) فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لتأكل فضل ذلك وفي الخبر « لا يحاسب البدي على ما يأكل من طعام إخوانه » (٣) وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقول إذا أكل وحده وفي الخبر « ثلاثة لا يحاسب عليها البدي أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان » (٤) وقال صلى الله عليه : « لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أعترف بوقوفك ابن عمر رضي الله عنهما يقول من كرم الله طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون إلا عن ذواق وقيل اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأئس والألفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر « يقول الله تعالى للبيديوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمتك وأنت رب العالمين فيقول جاع أخوك السلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتني » (٥) وقال عليه السلام « إذا جاءكم الزائر فأكرموه » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة غرضا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها هي أن السكلام وأطم الطعام وصلى بالليل والناس نيام » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من أطم الطعام » (٨) وقال عليه السلام « من أطم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام » (٩) وأما آدابه : فيضها في الدخول وبضها في تقديم الطعام . أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما متربضا لو فت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من اللجاجاة وقد نهى عنه قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه - يعني منتظرين حينه ونفضه وفي الخبر

(١) حديث لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع ، الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضيف (٢) حديث إن الإخوان إذا رضوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام ، لم أقف له على أصل (٣) حديث لا يحاسب البدي عما يأكله مع إخوانه هو في الحديث الذي بعده بمضاه (٤) حديث ثلاثة لا يحاسب عليها البدي أكلة السحور وما أفطر عليهما ما أكل مع الإخوان ، الأزدي في الضفاه من حديث جابر ثلاثة لا يشئون عن العم : الصائم والمتسحر والرجل يأكل مع ضيفه أوردته في ترجمة سليمان بن داود الجزري وقال فيه منكر الحديث ولأن منصور الديلمي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث يقول الله للبيديوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني الحديث م من حديث أبي هريرة بلفظ استطعتك فلم تطعمني (٦) حديث إذا جاءكم الزائر فأكرموه ، الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه (٧) حديث إن في الجنة غرضا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي أن السكلام وأطم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ت من حديث علي وقال غريب لا تعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تسكلم فيه من قبل حفظه (٨) حديث خيركم من أطم الطعام أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال صحيح الاسناد (٩) حديث من أطم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقال ابن جبان ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الديلمي غريب منكر .

وهكذا ينبغي أن يستند في قول الحلاج ذلك ولوعنا أنه ذكر ذلك القول مضجعا لشيء من الحلول ردناه كما زدتم وقد آثانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة رضاء بقية يستقيم بها كل معوج وقد دللتا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى بهوما لا يجوز والله تعالى منزه أن يحل به شيء أو يحل بشيء حتى لعل بعض الفتوين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تملكت ياطنه فيتألف له في فكره كلمات ينسبها إلى الله تعالى وأنها مكلمة الله تعالى إليه مثل أن يقول قال لي وقلت له وهذا رجل إما جاهل بنفسه وحديثا جاهل بربه وبكيفية للكلمة والمحادثة ، وإما عالم يطلان ما يقول، بحمله

«من متى إلى طعام لم يدع إليه متى فاسقا وأكل حراما» (١) ولكن حق الداخل إذا لم تريس وافترق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فإذا قيل له كل نظر فإن علم أنهم يقولونه على حجة لمساعدته فليساعد وإن كانوا يقولونه حياء متغلبين أن يأكل بل ينبغي أن يتصلل أما إذا كان جائعا قصد بعض إخوانه ليطمئه ولم تريس به وقت أكله فلا بأس به . قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن النضر وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا حياء (٢) والداخل على مثل هذه الحالة إعانة لذلك السلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف وكان عون بن عبد الله السعدي لثلاثة وستون صديقا يدور عليهم في السنة وآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر وآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة فكان إخوانهم معلومهم بدلا عن كسبهم وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادتهم فلم يدخل ولم يجد صاحب الدار وكان واقفا صادقة عالما بفرجه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه إذ الراد من الأذن الرضا لاسبا في الأطعمة وأمرها على السعة قريب رجل يصرح بالأذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب فطلب يأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى - أوصدقكم - ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار برة وأكل طعاما وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة قال بلغت الصدقة عليا (٣) وذلك لعله يسرورها بذلك لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بعله بالأذن فإن لم يعلم فلابد من الاستئذان أولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسره ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائما يأكل من متاع رجال في السوق يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة فقال له هشام ما يدالك يا أباسيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه فقال بالكع اتل على آية ألا كل قتلا إلى قوله تعالى - أوصدقكم - فقال فن الصدق يا أباسيد قال من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب ومتى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأزولوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا ، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادف في المنزل فدخل فظفر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبز وغير ذلك فحمله كله فقدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئا فقيل له قد أخذه فلان فقال قد أحسن فلما قال له يأخى إن عادوا لقد فهمه آداب الدخول . وأما آداب التقديم : فترك التسكف أولا وتقديم ماضر فإن لم يحضر شيء ولم

هواه على الدعوى بذلك اليوم أنه ظفر بشيء وكل هذا ضلال ويكون سبب تجرته على هذا مامع من كلام بعض المحققين غايات وردت عليهم بسد طول معاملات لهم ظاهرة واطنة وتمسكهم بأصول القوم من صدق القوى وكل الزهد في الدنيا فلما صفت أسرارهم تسكفت في سرارهم غايات مواقف للكتاب والسنة فقلت بهم تلك الغايات عند استغراق السرائر ولا يكون ذلك كلاما يسمعون به تكديت في النفس يجدونه برؤية مواضع الكتاب والسنة مفهوما عند أهل مواضع العلم ويكون ذلك مناجاة لسرارهم ومناجاة سرارهم أيام فيثبتون نفوسهم مقام البوذية ولولام الربوبية

(١) حديث من متى إلى طعام لم يدع إليه متى فاسقا وأكل حراما حق من حديث عائشة نحوه وضعفه ولأبي داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغبرا إسناده ضعيف (٢) حديث قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن النضر وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه ، أما قصة أبي الهيثم فرواهت من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عندهم لكن ليس فيها ذكر لأبي الهيثم وإنما قال رجل من الأنصار ، وأما حديث قصد منزل أبي أيوب فرواهها الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار برة وأكل طعاما وهي غائبة وكان من الصدقة قال بلغت الصدقة مكانها متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبررة لحم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو لحم صدقة ولناهدية ، وأما قوله بلغت عليا فقال في الشاة التي أعطيتها نسيمة من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية .

عَلَيْكَ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَقَدَّمَ . دَخَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى زَاهِدٍ وَهُوَ بِأَكْلِ قَالٍ لَوْلَا أَنِّي أَخَذْتُهُ بِدِينِ لَأَطْعَمْتُكَ مِنْهُ ، وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي تَفْسِيرِ التَّكْلِيفِ أَنْ تَطْعَمَ أَخَاكَ مَا لَا تَأْكُلُهُ أَنْتَ بَلْ تَقْصِدُ زِيَادَةَ عَلَيْهِ فِي الْجَوْدَةِ وَالْقِيَمَةِ . وَكَانَ الْقَضِيلُ يَقُولُ إِنَّمَا تَقَاطِعُ النَّاسَ بِالتَّكْلِيفِ يَدْعُو أَجْدَهُمْ أَخَاهُ فَيَتَكَلَّفُ لَهُ فَيَقْطَعُهُ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَيْهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَا بَالِي بِنِ اثْنَيْنِ مِنْ إِخْوَانِي فَإِنِّي لَا أَتَكَلَّفُ لَهُ إِنَّمَا أَقْرِبُ مَا عِنْدِي وَلَوْ تَكَلَّفْتُ لَهُ فِكْرَهُتْ عَجَبٌ وَمَلَكْتُهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى أَخِي لِي فَيَتَكَلَّفُ لِي قَتْلَتُهُ لِي أَنْ لَا أَكُلَ وَحْدَهُ هَذَا وَلَا أَنَا فَإِنَّا إِذَا اجْتَمَعْنَا أَكَلْنَا مَا أَنْ تَقْطَعُ هَذَا التَّكْلِفَ أَوْ أَقْطَعُ الْمُبْدَى قَطَعَ التَّكْلِفَ وَدَامَ اجْتِمَاعُنَا بَيْنِيهِ وَمِنَ التَّكْلِيفِ أَنْ يَتَقَدَّمَ جَمِيعُ مَا عِنْدَهُ فَيُجِصِفُ بِيَالِهِ وَتَوَدَّى قُلُوبَهُمْ . وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا دَعَا عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عَلَى أَجْبِيفٍ عَلَى ثَلَاثِ شُرَاطِطٍ لَا تَدْخُلُ مِنَ السُّوقِ شَيْئًا وَلَا تَدْخُرُ مَا فِي الْبَيْتِ وَلَا تَجْهَفُ بِمَالِكَ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَقَدَّمُ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْبَيْتِ فَلَا يَتْرِكُ نَوْعًا إِلَّا وَجْهَهُ شَيْئًا مِنْهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَدِمَ إِلَيْنَا خَبْزًا وَخَلًا وَقَالَ لَوْلَا أَنَا نَتَيْنَا عَنْ التَّكْلِيفِ لَتَكَلَّفْتُ لَكُمْ ^(١) وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا قَصَدْتَ لِقَا زِيَارَةِ قَدِيمٍ مَا حَضَرَ وَإِنْ اسْتَزَرْتَ فَلَاتَبِقْ وَلَا تَنْتَدِرْ وَقَالَ سَلْمَانُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تَتَكَلَّفَ لِلضَّيْفِ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْنَا مَا حَضَرَنَا ^(٢) وَفِي حَدِيثٍ يُونُسُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ زَارَهُ إِخْوَانُهُ فَقَدِمَ إِلَيْهِمْ كُسْرًا وَجَزَلَهُمْ فَيَلَاكُنَ بَزْرَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ كَلُوا لَوْلَا أَنَّهُ لَمِنَ اللَّهِ لِلتَّكْلِيفَيْنِ لَتَكَلَّفْتُ لَكُمْ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْدِمُونَ مَا حَضَرَ مِنَ الْبَكْسَرِ الْبَابَةِ وَحَشَفَ التَّحْمَرُ وَيَقُولُونَ لَا تَنْدَرِي أَيْمَهُمَا أَعْظَمُ وَزَرَا الَّذِي يَحْتَقِرُ مَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ أَوْ الَّذِي يَحْتَقِرُ مَا عِنْدَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ . الْأَدَبُ الثَّانِي : وَهُوَ الْفَزَائِرُ أَنْ لَا يَقْتَرَحَ وَلَا يَتَحَكَّمُ شَيْءٌ بَيْنَهُ فَرِمًا يَشُقُّ عَلَى الزُّورِ إِحْضَارُهُ فَإِنْ خِيفَ أَخُوهُ بَيْنَ طُعَامَيْنِ فَلْيَتَخَيَّرْ أَيْسَرَهُمَا عَلَيْهِ كَذَلِكَ السَّنَةُ فِي الْحَبْرِ أَنَّهُ مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا ^(٣) وَرَوَى الْأَعْمَشِيُّ عَنْ أَبِي وَائِلٍ أَنَّهُ قَالَ مَضَيْتُ مَعَ صَاحِبِي نَزَرَ سَلْمَانُ قَدِمَ إِلَيْنَا خَبْزٌ شَعِيرٌ وَمَلَحًا جَرِيشًا قَالَ صَاحِبِي لَوْ كَانَ فِي هَذَا اللَّحِّ سَعْتَرٌ كَانَ أَطْيَبَ فَرَجَحَ سَلْمَانُ فَرَهَنَ مَطْهَرَةً وَأَخَذَ سَعْتَرًا فَلَمَّا أَكَلْنَا قَالَ صَاحِبِي الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَمْنَا بِمَا رَزَقَنَا قَالَ سَلْمَانُ لَوْ قَتَمْتَ بِمَا رَزَقْتَ لَمْ تَكُنْ مَطْهَرَةً مَرْهُونَةً هَذَا إِذَا تَوَهَّمْتَ تَعْدَرُ ذَلِكَ عَلَى أَخِيهِ أَوْ كَرَاهَتِهِ لَهُ فَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَسِرُ بِاتِّقَاحِهِ وَيَتَبَيَّنُ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَلَا يَكْرَهُ لَهُ اقْتِرَاحَ فَسَلِّ الشَّافِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَلِكَ مَعَ الزَّعْفَرَانِيِّ إِذَا كَانَ نَازِلًا عِنْدَهُ يَتَقَدَّمُ وَكَانَ الزَّعْفَرَانِيُّ يَكْبِتُ كُلَّ يَوْمٍ رَقْعَةً بِمَا يَطْبُخُ مِنَ الْأَلْوَانِ وَيُسَلِّمُهَا إِلَى الْجَارِيَةِ فَأَخَذَ الشَّافِي الرَّقْعَةَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَالْحَقُّ بِهَا لَوْ أَنَّ آخِرَ خَطِّهِ ، فَلَمَّا رَأَى الزَّعْفَرَانِيُّ ذَلِكَ الْقَوْلَ

(١) حَدِيثٌ دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَدِمَ إِلَيْنَا خَبْزًا وَخَلًا وَقَالَ لَوْلَا أَنَا نَتَيْنَا عَنْ التَّكْلِيفِ لَتَكَلَّفْتُ لَكُمْ رَوَاهُ أَحْمَدُ دُونَ قَوْلِهِ لَوْلَا أَنَا نَتَيْنَا وَهِيَ مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَيَأْتِي بَعْدَهُ وَكَالَهَا ضَمِيمٌ وَابْنُ خَرَّازٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَهْلَابٍ نَتَيْنَا عَنْ التَّكْلِيفِ حَدِيثٌ (٢) حَدِيثُ سَلْمَانَ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تَتَكَلَّفَ لِلضَّيْفِ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْنَا مَا حَضَرَنَا الْخَرَّاطِيُّ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَالْأَحْمَدُ لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا أَوْ لَوْلَا أَنَا نَتَيْنَا أَنْ يَتَكَلَّفَ أَحَدُنَا لِصَاحِبِهِ لَتَكَلَّفْنَا لَكَ ، وَلِلطَّبْرَانِيِّ نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَكَلَّفَ لِلضَّيْفِ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا (٣) حَدِيثُ مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ وَزَادَ مَا بَيْنَ إِثْمًا وَلَمْ يَذْكُرْهَا مَعَ فِي بَعْضِ طَرَفِهِ .

فيضيئون ما يجدونه
إلى قوسهم وإلى
مولاهم وهم مع ذلك
عالون بأن ذلك ليس
كلام الله وإنما هو
علم حادث أحدثه الله
في بواطنهم فطريق
الأصحاء في ذلك القرار
إلى الله تعالى من كل
ما يحدث قوسهم به
حتى إذا برئت ساحتهم
من الهوى ألهموا
في بواطنهم شيئا
ينسبونه إلى الله تعالى
نسبة الحادث إلى
المحدث لانسبة الكلام
إلى للتكلم لينصنوا
عن الزيف والتعريف
ومن أولئك قوم
يزعمون أنهم يفرقون
في عمار التوحيد ولا
يشنون ويستقنون
لنفوسهم حركة وضلا
يزعمون أنهم مجبورون
على الأشياء وأن لافضل
لهم مع فصل الله
ويسترون في العاصي
وكل ما تدعو النفس
إليه ويركون إلى
البطالة وهول النفاة

أنكر وقال ما أمرت بهذا فرضت عليه الرقة ملحقافها خط الشافعي فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه . وقال أبو بكر الكتاني دخلت على السري فجاهتني وأخذ يجعل نصفه في القدر فقلت له أي شيء تعمل وأنا أشرب به كله في مرة واحدة فضحك وقال هذا أفضل لك من حجة ، وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع مع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانسياط ومع أبناء الدنيا بالأدب . الأدب الثالث : أن يشتهي الزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جليل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله تعالى » (١) وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر « من لئذ أخاه بما يشتهي كتب الله ألف ألف حسنة وعفى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله ثلث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد » (٢) . الأدب الرابع : أن لا يقول له هل أقدم لك طعاما بل ينبغي أن يقدم إن كان قال الثوري إذا ذارك أخوك فلا تقل له أنا كل أقدم إليك ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاما فلا ينبغي أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالكم غائما كله فلا تحذتهم به ولا يرونه معك وقال بعض الصوفية إذا دخل عليكم الفقراء قدموا إليهم طعاما وإذا دخل الفقهاء فسألهم عن مسئلة فإذا دخل القراء فدلوهم على المهراب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

ومطازن الآداب فباسة الدعوة أولا ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولتقدم على سرحها إن شاء الله تعالى . فضيلة الضيافة : قال صلى الله عليه وسلم « لا تتكفوا للضيف فتبخسوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغض الله » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « لا خير فيمن لا يضيف » (٤) ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر بامرأة لها شويبات فدبغت له فقال صلى الله عليه وسلم : انظروا إليها إنما هذه الأخلاق يداها فمن شاء أن يمنعه خلقا حسنا فعل » (٥) . وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال : قل لقلان اليهودي نزلني ضيف فأسلمني شيئا من المديق إلى رجب فقال اليهودي وألغما أسلفه لإبرهن فأخبرته فقال والله إنني لأمين في الساء أمين في الأرض »

(١) حديث من صادف من أخيه شهوة غفر الله له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل البرار وللطبراني من حديث أبي الرداء من وافق من أخيه شهوة غفر له قال ابن الجوزي حديث موضوع وروى ابن حبان والقبلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق من سر مؤمنا فأتى الله الحديث قال القبلي باطل لأصله (٢) حديث جابر من لئذ أخاه بما يشتهي كتب الله ألف ألف حسنة الحديث ذكره ابن الجوزي في اللوضعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد ابن حنبل هذا باطل كذب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

(٣) حديث لا تتكفوا للضيف فتبخسوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغض الله ، أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان لا يتكفن أحد لضييفه ما لا يقدر عليه وفيه محمد بن العرج الأزرق متكلم فيه (٤) حديث لا خير فيمن لا يضيف أحمد من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لمجة (٥) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر بامرأة لها شويبات فدبغت له الحديث الحديث الخرافي في مكارم الأخلاق من رواية أبي التهمال مرسل

والاغترار بالله والخروج من السنة وترك الحدود والأحكام والحلال والحرام . وقد سئل سهل عن رجل يقول أنا ككالب لا أعزك إلا إذا حركت قال هذا لا يقوله إلا أحد رجلين إما صديق أو زنديق لأن الصديق يقول هذا القول إشارة إلى أن قوام الأشياء بالله مع إحكام الأصول ورعاية حدود العبودية والزنديق يقول ذلك إحالة للأشياء على الله وإستعاضة للثمة عن نفسه وانغلاعا عن الدين ورمسه فأما من كان معتقدا للحلال والحرام والحدود والأحكام معتقدا بالمعصية إذا صدرت منه معتقدا وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وإن كان تحت التصور بما يركن إليه من البطالة ويترجى بهوى النفس إلى

ولو أسأفتي لأدينه فاذهب بدرعى وارهنه عنده ^(١) وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يتشمس من يتدنى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيفاته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنفضي ليله إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوام الوضع إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ قال إطعام الطعام وبذل السلام » ^(٢) وقال ^(٣) « في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام » ^(٤) وسئل عن الحج للبرور فقال « إطعام الطعام وطيب الكلام » ^(٥) وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله لللائكة والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لأخصى فلنذكر آدابها . أما الدعوة : فينبغي للداعي أن يمدد بدعوته الأضياف دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم « أكل طعامك الأبرار » ^(٦) في دعائه لبعض من دعاه وقال صلى الله عليه وسلم « لأنأكل كل الإطعام تنق ولا يأكل طعامك إلا تنق » ^(٧) ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال صلى الله عليه وسلم « شر الطعام طعام الولية يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء » ^(٨) وينبغي أن لا يهمل أقرابه في ضيفاته فإن إهمالهم إغماش لقلوب الباقيين ، وينبغي أن لا يقصد بدعوته للباهة والتفاخر بل استالة قلوب الإخوان والتسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين ، وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال صفيان من دعا أحداً إلى طعام وهو يكره الإجابة فله خطيئة فإن أجاب للدعوة فله خطيئة لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله وإطعام التقي إغانة على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية على التقي . قال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الحيط . والبررة أما أنت فمن الظلمة تقسم . وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجودها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم « لودعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع قبلت » ^(٩) وللإجابة خمسة آداب : الأول أن لا يميز الغنى بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر للتي عنه ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة وقال : انتظار للركة ذل ، وقال آخر إذا وضعت يدي في قصة غيري فقد ذلت له رقتي ومن

- (١) حديث أبي رافع أنه زل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي زلدي ضيف فأسأفتي شيئاً من الدقيق إلى رجب الحديث رواه إسحاق بن راهويه في مسنده والحراني في مكالم الإخلاص وابن مردويه في التفسير بإسناد ضعيف (٢) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان قال إطعام الطعام وبذل السلام متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ أي الإسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرى السلام على من عرفت ومن لم تعرف (٣) حديث قال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ورواه من حديث معاذ وقد تقدم بعضه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث الأهم إلى أسألك فعل الحيرات (٤) حديث سئل عن الحج للبرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام تقدم في الحج (٥) حديث أكل طعامك الأبرار د من حديث أنس بإسناد صحيح (٦) حديث لأنأكل كل الإطعام تنق ولا يأكل طعامك إلا تنق تقدم في الزكاة (٧) حديث شر الطعام طعام الولية الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٨) حديث لودعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع قبلت خ من حديث أبي هريرة .

الأسفار والترحال في البلاد متوسلاً إلى تناول الأثام والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذه ويصمره ببعب ماهوفه والله للوفى .

[الباب العاشر في شرح رتبة للشخنة] ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده لئن شتمت لأقسم لكم إن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحبون الله إلى عباده ويحبون عباد الله إلى الله وعشون على الأرض بالنصيحة » وهذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة الشيخة والدعوة إلى الله تعالى لأن الشيخ يحب الله إلى عباده حقيقة ويحب عباد الله إلى الله ، ورتبة الشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله فأما وجه كون

التكبرين من عيب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان صلى الله عليه وسلم يجب دعوة العبد ودعوة للسكين^(١) ومرة الحسن بن علي رضي الله عنهما يقوم من الساكن الذين يسألون الناس على قاعة الطريق وقد تشروا كسرا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بقلته سلم عليهم فقالوا له ألم إلى القداء يا ابن بنت رسول الله ﷺ قال نعم إن الله لا يحب للتكبرين قتل وقد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد أجبتكم فأجيئوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم فأخبر الطعام وجلس يأكل معهم ، وأما قول القائل إن من وضعت يدي في قصته قد ذلت له رقبتي ، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتخذ بهامنة وكان يري ذلك يدا له في الدعوى ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعله أن الداعي لا يتخذ منة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستقل الاطعام وإنما يجعل ذلك مباحة أو تكلفا فليس من السنة إجابته^(٢) بل الأولى التمسك ، ولذلك قال بعض الصوفية لا يجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم إليك ودية كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وقال سري السقطي رحمه الله أنه على لقمة ليس على الله فيها بركة ولا حقوق فيها منة فاذا علم للدعواته لامة في ذلك فلا ينبغي أن يرد وقال أبو تاراب النخعي رحمه الله عليه عرض على طعام فامتنعت فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما فطعت أنه عقوبته وقيل لمعرف الكرخي رضي الله عنه كل من دعاك بمرء إليه قال أنا ضيفاً أنزلني حيث أنزلوني . الثاني : أنه لا ينبغي أن يمنع عن الاجابة لبدل السافة كما لا يمنع لفقير الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتماها في العادة لا ينبغي أن يمنع لأجل ذلك يقال في التوراة أوبعض الكتب سريلاعد مريضا سريملين شيع جائزة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زراخا في الله وإنما قدم إجابة الدعوة والزياراة لأذني قضاء حق الحلي فهو أولى من لبيت وقال صلى الله عليه وسلم « لودعيت إلى كراخ بالتميم لأجبت^(٣) » وهو موضع على أميال من المدينة أنظر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان^(٤) لما بلغه قصر عنده في سفره^(٥) . الثالث : أن لا يمنع لكونه صاعما بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليطفر وليعقب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يعقب في الصوم وأفضل وذلك في صوم التطوع وان لم يتحقق سرور

(١) حديث كان يجب دعوة العبد ودعوة للسكين تـه من حديث أنس دون ذكر للسكين وضغته وتهمجه (٢) حديث ليس من السنة إجابة من يطعم مباحة أو تكلفا من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام التبارين قال من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس وللقلي في الضفاء نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام التباهين وللتبارين التعارضان فطعمهما للباهة والرياء قاله أبو موسى اللدني (٣) حديث لودعيت إلى كراخ بالتميم لأجبت ذكر التميم فيه ليعرف وللعرف لودعيت إلى كراخ كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث ورد هذه الزيادة ماروا تـه من حديث أنس لوأهدى إلى كراخ قبلت (٤) حديث إفطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغ كراخ التميم رواء من حديث جابر في عام الفتح (٥) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في سفره عند كراخ التميم لم أنفسه على أصل والطبراني في الصغير من حديث ابن عمر كان يقصر الصلاة بالقيق يريد إذا بلغه وهذاري الأول لأن بين الشقيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثره . كراخ التميم بين مكة وعسفان والله أعلم .

الشيخ يجب الله إلى عباده فلا أن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالى قال الله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله - ووجه صكونه يجب عباد الله تعالى إليه أنه يحبك بالمريد طريق التزكية وإذا تركت النفس انجلت امرأة القلب وانكسكت فيه أنوار المظلمة الإلهية ولا فيه جمال التوحيد وانجلت أحداق البصرة إلى مطالمة أنوار جلال التسم ورؤية السكالك الأزلى فأحب البصيرة لهالة وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى - قد أنفع من زكاها - وفلاصها بالظفر بمعرفة الله تعالى وأيضا امرأة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بجوها وحقيقتها

قلبه فليصدق به الظاهر وليفطر وإن تحقق أنه متكلف فليتمل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بغير الصوم «تكلف لك أخوك وتقول إني صائم»^(١) وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق ثوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيعة الطبيب والمجمره والحديث الطيب وقد قيل الكحل والذهب أمدا لقراءين. الرابع أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طاماً شبهة أو للوضع أو البساط للقروش من غير حلال أو كان يقام في الوضع منكراً من فرش دياج أو إناقة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو صماح شيء من الزاير وللأهلي أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والمزلة والمب واستماع التيسق والتيسق والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك فكل ذلك مما يمنع الإجابة واستجابها ويوجب تحريمها أو كراهيتها وكذلك إذا كان الداعي ظالماً أو مبتدعاً أو فاسقاً أو شريراً أو متكلفاً طلباً للمباهاة والفخر. الخامس أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملاً في أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصبر بالإجابة عاملاً للأخرة وذلك بأن تكون نيته الاعتداء بسنة رسول الله ﷺ في قوله «لودعيت إلى كراع لأعجب» وينوي الحفر من مصيبة الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم «من أحب الداعي قد عصى الله ورسوله»^(٢) وينوي إكرام أخيه المؤمن اتباعاً لقوله صلى الله عليه وسلم «من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله»^(٣) وينوي إدخال السرور على قلبه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم «من سراً مؤمناً قد سر الله»^(٤) وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله إذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور والتبازل^(٥) وقد حصل البذل من أحد الجانبين تحصل الزيارة من جانبه أيضاً وينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يعمل على تكبر أو سوء خلق أو استعقار أو مسلم أو ما يجري مجراه فهذه ست نيات تلحق بإجابته بالقرابات آحادها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(٦) والنية إنما تؤثر في اللباحات والطاعات أما للثبات فلا فاته لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات بل لو صد بالفروا القى هو طاعة الباهة وطلب للال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك اللباح للرد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث. وأما الحضور فأذبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع

(١) حديث وقال لمن امتنع بغير الصوم تكلف لك أخوك وتقول إني صائم حق من حديث أبي سعيد الخدري من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طاماً وأثاني هو وأصحابه فقاموا مع الطعام قال رجل من القوم إني صائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعكم أخوك وتكلف لكم الحديث ولقد رقتني نحوه من حديث جابر (٢) حديث من أحب الداعي قد عصى الله ورسوله متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله تعالى الأصماني في التريغيب والترهيب من حديث جابر والعلبي في الضعفاء من حديث أبي بكر وإسناده ضعيف (٤) حديث من سر مؤمناً قد سر الله تقدم في الباب قبله (٥) حديث وجبت محبة للمتزاوئين في والتبازلين في م من حديث أبي هريرة ولم يذكر السلف هذا الحديث وإنما أشار إليه (٦) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب .

وماهيتها ولاحته
الأخرة وتساها
بكنها وغايتها
تكتشف للبصيرة
حقيقة الدارين
وحاصل التزليل فيجب
المبدل الباقي وزهد في
الفاني فتظهر فائدة
التركية وجسدى
الشيخة والتربية
فالشيوخ من جنود الله
تعالى يرشدهم للرشد
ويهدى به الطالبين .
أخبرنا أبو زرعة عن
أبيه الحافظ القدسي
قال أنا أبو الفضل
عبد الواحد بن علي
بهذه النية أنا أبو بكر
محمد بن علي بن أحمد
الطوسي قال ثنا
أبو العباس محمد بن
يحيى قال ثنا أبو عتبة
قال ثنا بقية قال ثنا
صفوان بن عمرو قال
حدثني الأزهر بن
عبد الله قال قد سمعت
عبد الله بن جبر صاحب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان
يقال إذا اجتمع

ولا يطول الانتظار عليهم ولا يسجل بحيث يفاجئهم قبل عام الاستعداد ولا يضيّق للكان على الحاضرين بالزحمة بل إن أشار إليه صاحب للكان بموضع لا يخالفه أئنة فانه قد يكون رب في نفسه موضع كل واحد فخالفته تقوش عليه وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتضاع إكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس (١) » ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجر الذي للنساء وسترهم ولا يكثر النظر إلى الوضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ونقص بالتجبة والسؤال من يقرب منه إذا جلس وإذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول التبة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضى الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال النسل قبل الطعام لرب البيت أولى لأنه يدعو الناس إلى كرمه وحكمه أن يقدم بالنسل وفي آخر الطعام يتأخر بالنسل ليعتذر أن يدخل من يأكل فيا كل معه وإذا دخل فرأى منكرا غيره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف ، ولتنكر فرش الديباج واستعمال أواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان ومماغ للامهي والزماير وحضور النسوة للكتكتشاف الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال أحمد رحمه الله إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغي أن يخرج ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة وقال إذا رأى كلة فينبغي أن يخرج فان ذلك تكلف لا فائدة فيه ولا تدفع حرا ولا برما ولا تستر شيئا وكذلك قال يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كانت السكبة وقال إذا أكرى بيتا فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبغي أن يحكمها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر في السكبة وتزين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينهى إلى التحريم إذ الحرر يحرم على الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذان حرام على ذكور أمتي حل لآناهما (٢) » وما على الخاطئ ليس منسوبوا إلى الذكور ولو حرم هذا الحرم تزين السكبة بل الأولى بإسته لموجب قوله تعالى - قل من حرم زينة الله - لاسما في وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة للتفاخر وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجوارى والنساء والحيطان في معنى النساء إذ لسن موصوفات بالقدره . وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة : الأول تبجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٣) » ومهما حضر الأكرهون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت للعود فحق الحاضرين في التبجيل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون للتأخر مقبرا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير وأحد الضيفين في قوله تعالى - هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين - إنهم أكرموا بتبجيل الطعام إليهم دل على قوله تعالى - فإلبث أن جاء بجبل حنيد - وقوله - فراخ إلى أهله فجاء بجبل ممين - والروغان القهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بخدمين لحم وإعاسى عجلا لأنه عجله ولم يلزم قال ساهم الأصم الصلح من الشيطان لإفاحه فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز البيت

(١) حديث إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس الخراطفي في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في رياضة الصغين من حديث طلحة بن عبيد بسند جيد (٢) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي دنه من حديث علي وفيه أبو أفلح الحمدا في جهه ابن القطان و ن ت وصححه من حديث أبي موسى بنحوه . قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبي هند وأبي موسى فأدخل أحمد بينهما رجلا لم يسم (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي سريح .

عشرون رجلا وأكثر فان لم يكن فيهم من يهاب الله عز وجل قد خطر الأمر فليشاخ وقار الله وبهم يتأدب للربدون ظاهر أو باطنا قال الله تعالى - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتدهم - فالشاخ لما اهتدوا أهوا للالتقاء بهم وجعلوا أمة للتقوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه : إذا كان القالب على عبدى الاشتغال في جعلت همته ولذته في ذكرى فإذا جعلت همته ولذته في ذكرى مشغفى وعشقه ورفض الحجاب فباينى وبينه لا يسهر إذاسها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الأبطال حقا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فيها صرقتهم بهم عنهم والسرفى وصول السالك إلى رتبة للشيخة أن السالك

وزوج البكر وقضاء الدين والتوطين للدين^(١) ويستحب التعجيل في الوجبة ، قبل الوجبة في أول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء . الثاني : ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة وإلا وإن كانت فذلك أوفق في الطب فانها أسرع استحالة فينبغي أن تقع في أسفل اللعة وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى - وفاكهة مما يتخيرون - ثم قال - ولحم طير مما يشتهون - ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والتريد فقد قال عليه السلام «فضل عائشة على النساء كفضل التريد على سائر الطعام» [١] فان جمع إليهما صفة بعده قد جمع الطيبات ودل على حصول الإكرام بالالحق قوله تعالى : في ضيف إبراهيم إذا أحضر العجل الحنيد أي الحنود وهو الذي أجد نضجه وهو أحد معنى الإكرام أعني تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات - وأزلنا عليكم اللئى والسوى - اللئى العسل والسوى اللحم معى سوى لأنه يتسل به عن جميع الآدم ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال عليه السلام « سيد الآدم اللحم » ثم قال بعد ذكر اللئى والسوى - كلوا من طيبات ما رزقناكم - فاللحم والحلاوة من الطيبات قال أبو سليمان الداراني رضى الله عنه أكل الطيبات يورث الرضا عن الله ويتم هذه الطيبات شرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الفسل قال للأمون شرب الماء يبلع غلغل الشكر وقال بعض الأدباء إذا دعوت إخوانك فأطعمهم حصرية وبورانية وستهم ماء باردا قد أكلت الضيافة وأتفق بعضهم دراهم في ضيافة قال بعض الحكماء لم تكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان والتمسك على للسادة خير من زيادة لونين ويقال إن لللائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل فذلك أيضا مستحب ولما فيه من الزين بالخشرة وفي الخبر إن المائدة التي أزلت على بني إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا السكرات وكان عليها ممكة عند رأسها خل وعند ذنها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحبر رمان فهذا إذا اجتمع حسن اللواقة . الثالث : أن يقدم من الألوان ألقها حتى يستوفي منها ما يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة للترفين تقديم اللقظ لستانف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الأكل وكان من سنة للتقنين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة ويصفون القصاع من الطعام على للمائدة ليأكل كل واحد مما يشتهى وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه . ويحكى عن بعض أصحاب الروايات أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ويعرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قم إلى بعض الشايخ لونا بالشام فقلت عندها بالمرأى إنما يقدم هذا آخرها فقال وكذا عندها بالشام ولم يكن له لون غيره فغجلت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة قدم إلينا ألوان من الرءوس للشوية طيخا وقديما فكنا لأنأكل نتنظر جدھا لونا أو حملا فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها

(١) حديث حاتم الأصم السجدة من الشيطان إلا في خمسة فاتها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام ونهجهز البيت وتزوج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ثم من حديث سهل بن سعد الأنفة من الله والعجلة من الشيطان وسنده ضعيف وأما الاستئذان فروى د من حديث سعد بن أبي وقاص التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة قال الأعمش قال لأعلم إلا أنه رفضه وروى للزى في التهذيب في ترجمة محمد بن موسى بن شعيب عن مشيخة من قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأنفة في كل شيء إلا في ثلاث إذا صحب في خيل الله إذا نودي بالصلاة وإذا كانت الجنازة... الحديث وهذا مرسل وث من حديث علي ثلاثة لا تخرجها الصلاة إذا تمت والجنازة إذا حضرت والأم إذا وجدت كمؤاوسنده حسن.

[١] حديث فضل عائشة لم يخرجها العراقي وخرجه الشارح عن الترمذي في التلخيص وغيره .

أمور سياسة النفس
مبتلى بصفتها لا يزال
يسلك بصدق العامة
حتى تطمئن نفسه
وبطمانيتها ينزع
عنها البرودة واليوسة
التي استسجبتها من
أصل خلقها وبها
تستعصى على الطاعة
والانقياد للعبودية فإذا
زالت اليوسة عنها
ولانت بحرارة الروح
الواصلة إليها وهذا
اللين هو الذي ذكره
الله تعالى في قوله ثم
تلين جلودهم وقلوبهم
إلى ذكر الله - تعالى
تجيب إلى العبادة وتلين
للطاعة عند ذلك
وقلب البعد متوسط
بين الروح والنفس
ذو وجهين أحدهما وجهه
إلى النفس والوجه
الأخر إلى الروح يستمد
من الروح بوجهه الذي
يليه ويمد النفس
بوجهه الذي يليها حتى
تطمئن النفس فإذا
اطمأنت نفس السالك
وفرغ من سياستها

فظهر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا إن الله تعالى يقدر أن يخلق رموسا بلا أبدان قال وبشا تلك الليلة جياعا تطلب قتيلا إلى السجود فلهذا يستحب أن يقدم الجميع أو يخرج بما عنده . الرابع : أن لا يبادر إلى رفع الأثوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفسوا الأيدي عنها فاعمل منهم من يكون بقية ذلك اللون أمسى عندهما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتنصص عليه بالبادرة وهي من التمكن على المائدة التي يقال إنها خير من لو نبت فيجتمل أن يكون للراد به قطع الاستجمال ويحتمل أن يكون أراد به سعة السكان . حتى عن السجود وكان صوفيا مزاحا خضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة قدمت إليهم حمل وكان في صاحب المائدة بخل فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام ارفعني إلى الصبيان فرفع الحمل إلى داخل الدار قام السجود يمدو خلف الحمل قيل له إلى أين فقال أكل مع الصبيان فاستجيا الرجل وأمر برد الحمل ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فانه يستحيون بل ينبغي أن يكون آخرهم ألا كان بعض الكرام يغير القوم بجميع الأثوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جئا على ركبتيه ومسده يده إلى الطعام وأكل وقال بسم الله ساعدوني برك الله فيكم وعليكم وكان السلف يستحبون ذلك منه . الخامس : أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عن الكفاية قص في الروعة والزيادة عليه تصنع ومراة لاسبا إذا كانت نفسه لاسمعج بأن يأكلوا الكل إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يترك بفضل طعامهم إذ في الحديث لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته قتال سنيان يأبأ اسحاق أما تخاف أن يكون هذا سرفا فقال إبراهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن هذه البية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود رضي الله عنه نهينا أن نجيب دعوة من يباحي بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام اللبابة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع وينبغي أن يعزل أولا نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طاعة إلى رجوع شيء منه فلهذا يرجع قضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان ألسنتهم ويكون قد أطم الضيفان ما يمتعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما بقي من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة إلا إذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بحسنة حاله وأنه يفرح به فان كان يظن كراهيته فلا ينبغي أن يؤخذ وإذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والصفة مع الرقاء فلا ينبغي أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء . فلما الانصراف : فله ثلاثة آداب . الأول : أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر باكرامه قال عليه الصلاة والسلام «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وقال عليه السلام «إن من سنة الضيفان يشيع إلى باب الدار» [١] فتلا بوقادة قدم وقد التجاشى عن رسول الله ﷺ قيام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن تكفيك يا رسول الله فقال كلا إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكرهم [٢] وأما الإكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قبل للأولاد رضي الله عنه ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد بن أبي زيادة ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى إلا حدثنا حديثا حسنا وأطعنا طعاما حسنا الثاني أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه قصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليدرك بمحسن [٣]

اتهي سلوكه ويمكن من سياسة النفس واهتدت نفسه وفارت إلى أمر الله ثم القلب يشرب إلى السياسة لما فيه من التوجه إلى النفس فتقوم نفوس الريدن والطالبين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنسية في عين النفس من وجه ولوجود التألف بين الشيخ والريد من وجه التألف الإلهي قال الله تعالى - لو أنقضت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فيسوس نفوس الريدن كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون في الشيخ حينئذ معنى التخلق بأخلاق الله تعالى من معنى قول الله تعالى : أظالم شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقاءهم لأشد شوقا وبما هيأ الله تعالى من حسن التأليف بين

[١] حديث إن من سنة وكذا حديث إكرام وفد التجاشى وحديث إن الرجل ليدرك لم يخرجهم المراقى .

خلفه درجة الصائم القائم » ودعى بعض السلف برسول فلم صادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب التزل . وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال فسكره إن بقيت قال لم يبق قال فالتذر أمسحها قال قد غسلها فاضرف بمحمد الله تعالى قبيله في ذلك فقال قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق . وحكى أن أستاذ أبي القاسم الجديد دعاه صلى الله عليه وآله أربع مرات فرده الأب في المرات الأربع وهو يرجع في كل مرة تطيبا لقلب النبي بالحضور وقلب الأب بالانصراف فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيها وبين ربهها فلا تنسكس بما يجرى من العباد من الإذلال كما لا تستبشر بما يجرى منهم من الإكرام بل يرون السكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم أنا لا أجيب الدعوة إلا لأنى أتذكر بها طعام الجنة أى هو طعام طيب يحمل عنا كدك ومؤنته وحسابه . الثالث : أن لا يخرج إلا برضا صاحب التزل وإذنه وبراعى قلبه في قدر الإقامة وإذا تزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام فربما يشرب به ويحتاج إلى إخراجه قال صلى الله عليه وسلم « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة (١) » ثم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلبه للقام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف التازل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشیطان (٢) » .

(فصل بجمع آداب ومناهى طيبة وشرعية متفرقة)

الأول : حكى عن إبراهيم النخعي أنه قال الأكل في السوق دناءة (٣) وأسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده قريب وقد نقل ضده عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمتى ونشرب ونحن قيام (٤) . ورؤى بعض الشايع من التصوفة المرويين يأكل في السوق قبيله في ذلك فقال وعحك أجوع في السوق وآكل في البيت قبيل تدخل للسجد قال استحي أن أدخل بيته للأكل فيه ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف بمادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على قلة الروءة وفراط الشره ويقبح ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا . الثاني : قال على رضى الله عنه من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبينة حمراء لم ير في جسده شيئا يصكره واللحم يثبت اللحم والتريد طعام العرب والبقارجات تعظم البطن وترخى الأكتين ولحم البقر داء ولها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفى النساء بشيء أفضل من الرطب ، والسملك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهب البلم ومن أولاد البقاء ولا بقاء فليأكل بالبقاء بالبقاء والقطة والقطة تقيح القطن والعقل إذا كان يابس من نور الشرع لا يدخل للسكرات

(١) حديث الضيافة ثلاثة أيام فإذا زاد فصدقة متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعى (٢) حديث فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشیطان م من حديث جابر (٣) حديث الأكل في السوق دناءة الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى في الكامل من حديثه وحديث أبي هريرة (٤) حديث ابن عمر كننا كل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمتى ونشرب ونحن قيام وصحة وجه .

الصاحب وللصاحب
يصير للريد جزء
الشيخ كما أن الولد
جزء الولد في الولادة
الطبيعة وتصر هذه
الولادة آشا ولادة
معنوية كما ورد عن
عيسى صلوات الله عليه
لن يبلغ ملكوت
السماء من لم يولد مرتين
في الولادة الأولى يصيره
ارتباطا بالملك وبهذه
الولادة يصيره لارتباط
بالمسكوت قال الله
تعالى - وكذلك نرى
إبراهيم ملكوت
السموات والأرض
وليكون من اللوتين -
وعرف اليقين على
الكامل يحصل في هذه
الولادة وبهذه الولادة
يستحق ميراث الأنبياء
ومن لم يصله ميراث
الأنبياء ما ماله وإن
كان على كمال من
القطنة والدكاك لأن
القطنة والدكاك تقيح

وليكرر العشاء وليس الحذاء ولن يتداوى الناس بشيء مثل السم [١] وليلق غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين . الثالث : قال الحجاج لبعض الأطباء صف لي صفة آخذ بها ولا أعدها قال لا تتكح من النساء إلا فتاة ولا تأكل من اللحم إلا فتية ولا تأكل الطيور حتى ينعم فضجه ولا تتبرن دواء إلا من علة ولا تأكل من التافكة إلا نضيجها ولا تأكل طعاما إلا أجدت مضغه وكل ما أحببت من الطعام ولا تتبرن عليه فإذا شربت فلا تأكل عليه شيئا ولا تعبس العاطف والبول وإذا أكلت بالهار فتم وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تمام ولومائة خطوة وفي معناه قول العرب قد تعدت عشي يعني عمد فقال الله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتمطى - أي يتمطط ويقال إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد التبر ما حوله إذا سد مجراه . الرابع : في الخبر « قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهمة »^(١) والعرب تقول ترك العشاء يذهب بشحم الكاذبة يعني الألية وقال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حطك أي تغذي إذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو أيضا أكل لشهوته لما يرى في السوق وقال حكيم لسمن رأى عليك قطعة من نسج أضرارك فمضى قال من أكل لباب البروضفار للز وأدهن بجام بفسج وألبس الكتان . الخامس : الحية تضر بالصبيح كما يضر تركها بالمرضى هكذا قيل وقال بعضهم من احتسب فهو على يقين من السكره وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيبا يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمدا فقال أتأكل التمر وأنت رمدم فقال يا رسول الله إنما آكل بالشق الآخر »^(٢) يعني جانب السليمة فضحك رسول الله ﷺ . السادس : أنه يستحب أن يعمل طعام إلى أهل البيت ، ولما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال عليه السلام « إن آل جعفر شغلوا ببيتهم عن صنع طعامهم فأحملوا إليهم ما يأكلون »^(٣) فذلك سنة وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه إلا ما يبيع للتواضع واللينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي أن يؤكل معهم . السابع : لا ينبغي أن يحضر طعام ظالم فإن أكره فليقلل الأكل ولا يقصد الطعام الأليط . رد بعض الزكيات شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيك تصد الأليط وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه وأجبر السلطان هذا الزكي على الأكل فقال إيمان آكل وأخى الزكية أو أركي ولا آكل فلم يجدا بدا من تركته فتركوه . وحكى أن ذا النون للصري حبس ولم يأكل أياما في السجن فكانت له أخت في الله فبعثت إليه طعاما من منزلهما يد يد السجن فامتنع فلم يأكل فاشتبهت للمرأة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاني على طبق ظالم وأشار به إلى يد السجن وهذا غاية الورع . الثامن : حكى عن فضح الوصي رحمه الله أنه دخل على بشر الحافي زائرا فأخرج بشر درهما فدفعه لأحد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وأداما طيبا ، قال فأشترت خبزا نظيفا وقلت : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشيء

(١) حديث قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهمة ابن عدى في الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشرط الأول وت من حديث أنس بالشرط الثاني وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشرط الثاني من حديث جابر (٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيبا يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمدة فقال له أتأكل التمر وأنت رمدم فقال إنما أضع بالشق الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث صهيب بإسناد جيد (٣) حديث لما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا ببيتهم عن طعامهم فأحملوا إليهم ما يأكلون د ت ه من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن ولابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس .

ولا يزال مترددا في الملك ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لأنه تصرف في الملك ولم يرتق إلى الملكوت والملك ظاهر الكون والملكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصيرة التي منها تبث أشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ما ينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه وليس هكذا ما عند من يترجم عنه يبرز إلى الترجمان فلماذا للحرم الواقعون مع مجرد العقول العرية عن نور الهداية الذي هو موهبة الله تعالى وعند الأنبياء وأتباعهم الصواب وأسبل دوتهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان وحرمانهم هاية التبيان وكما أن في الولادة الطبيعية ذرات الأولاد في صلب الأب مودعة تنقل إلى أصلاب الأولاد

[١] قوله وليكرر العشاء إلى قوله الحسن ليس موجودا بنسخة الشارح ولها الأظهر فلي تأمل هـ .

اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه^(١) سوى اللبن فاشترت اللبن واشترت تمرا جيدا قدمت إليه فأكل وأخذ الباقي فقال بشر أندرون لم قلت اشتري طعاما طيبا لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر أندرون لم يقل لي كل لأنه ليس الصفيان يقول لصاحب الدار كل أندرون لم حمل ما بقي لأنه إذا صبح التوكل لم يضر الحبل . وحكى أبو الويثري أن رجلا من أصحابه عرجا أنه أخذ شاة فأودعها في الفسراج فقال له رجل قد أسرفت فقال له ادخل فكل ما أودعته لتبرأه فأطعته فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فاقطع . واشترى أبو الويثري أحلاما من السكر وأمر الحلاوين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها . التاسع قال الشافعي رضي الله عنه : الأكل على أربعة أعاء الأكل باصبع من اللثق وباصبعين من السكر وثلاث أصابع من السنة^(٢) وأربع أصابع من الشربة . وأربعة أشياء تقوى البدن أكل اللحم وشحم الطيب وكثرة الفسل من غير جماع وليس الكتان ، وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة المهمل وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحنوفة ، وأربعة تقوى البصر الجالوس تجاه القبلة والسكحل عند النوم والنظر إلى الخضرة وتنظيف اللبس وأربعة توهن البصر النظر إلى القدر والنظر إلى الصلوب والنظر إلى فرج المرأة والنوم على استدار القبلة ، وأربعة تزيد في الجماع أكل الصافي وأكل الأبرغل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير . والنوم على أربعة أعاء فهو على القفا وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والأرض ونوم على اثنين وهو نوم العلماء والمعاد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين ، وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك . وبجاسة الصالحين والعلماء ، وأربعة من العبادة لا يخطو خطوة إلا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد . وكثرة قراءة القرآن . وقال أيضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يادر الأكل كيف لا يموت وقال لم أر شيئا أفع في الوباء من البفسج يدهن به ويشرب والله أعلم بالصواب .

(كتاب آداب النكاح)

(وهو الكتاب الثاني من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لاتصادف سهام الأوهام في محابب صنمه مجرى ولا ترجع العقول عن أوائل بدايتها إلا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين ترى فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطربهم بها إلى الحرامنة جبرا واستبق بها لنسلم إقهارا وقسرا ثم عظم أمر الانساب وجعل لها قدرا لحرم بسببها السفاح والتع في تنقيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جرعة فاحشة وأمرا إمرأون تدب إلى النكاح وحث عليه استحبابا وأمرا فسيحان من كتب اللوث على عباده فأدغم به هدماء وكسرا ثم بث بذور التطف في أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله لكسر اللوث جبرا تنبها على أن يحارم القادير فيأمنه على العالمين فعا

(١) حديث اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه قاله عند شرب اللبن تقدم في آخر الباب الأول من كتاب الأكل
(٢) حديث الأكل ثلاث أصابع من السنة مسلم من حديث كعب بن مالك كان النبي ﷺ يأكل ثلاث أصابع . وروى ابن الجوزي في الطلل من حديث ابن عباس موقوفاً كل ثلاث أصابع فانه من السنة .

(كتاب آداب النكاح)

بهد كل ولد ذرة وهي الثمرات التي خاطبها الله تعالى يوم الميثاق بأنست ربكم قالوا بلى حيث مسح ظهر آدم وهو ملقى بيطن نمان بين مكة والطائف فسالت الثمرات من مسام جسده كما يسيل العرق بعد كل وفد من وفد آدم ذرة ثم لما خوطبت وأجأت ردت إلى ظهر آدم فمن الآباء من تنفذ الثمرات في صلبه ومنهم من لم يودع في صلبه شيء فيقطع نسله وهكذا للشافعي منهم من تكثر أولاده ويأخذون منه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت إليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الصلبة ومنهم من نقل أولاده ومنهم من ينقطع نسله وهذا النسل هو الذي رد الله على الكفار حيث قالوا محمد أتر لنا نسل له قال الله تعالى - إن

وضرا وخيرا وشرا وعسرا وبسرا وطيا ونسرا والصلاة والسلام على محمد البعث بالإندار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن النكاح معين على الدين ومهيئ للشياطين وحسن دون عدوائه حصين وسبب للتكثير الذي به مباحة سيد الرسلين لسائر النبيين في أحراره بأن تتجرى أسيابه وتحفظ سنته وآدابه وتشرح مقاصد وآثاره بتوصل فضوله وأبوابه والقدر اللهم من أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في الترغيب فيه وعنه . الباب الثاني : في الآداب للرعية في القصد والعاقدين . الباب الثالث : في آداب العشرة بعد القصد إلى الفراق (الباب الأول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه)

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس إلى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو إلى الوقوع وقال آخرون الأفضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن قدم أو لا ماورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم تشرح فوائد النكاح وغوائه حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوائه أو لم يسلم منها .

(الترغيب في النكاح)

أما من الآيات، فقد قال الله تعالى - وأنكحوا الأيامي منكم - وهذا أمر قال تعالى - فلا تضلوهن أن ينكحن أزواجهن - وهذا منع من الضل ونهى عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية - فذكر ذلك في معرض الامتنان وإظهار الفضل ومدح أوليائه بسؤال ذلك في المضاء فقال - والذين يقولون ربنا هبنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين - الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا التاهلين فقالوا إن يحيى صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجمع قيل إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة وقيل لنقض البصر وأما عيسى عليه السلام فإنه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له . وأما الأخبار فقوله عليه السلام « النكاح سقى فمن رغب عن سقى فقد رغب عني » وقال صلى الله عليه وسلم « النكاح سقى فمن أحب فطرني فليسق بسقى ^(١) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى بالسقط ^(٢) » وقال أيضا عليه السلام « من رغب عن سقى فليس مني وإن من سقى النكاح فمن أحبنى فليسق ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك الزوج عفاة البيلة فليس منا ^(٤) »

(الباب الأول في الترغيب في النكاح)

(١) حديث النكاح سقى فمن أحب فطرني فليسق بسقى أبو يعلى في مسنده مع تهديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن (٢) حديث تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى بالسقط أبو بكر بن مردويه في تخريره من حديث ابن عمر دون قوله حتى بالسقط وإسناده ضعيف وذكره بهذه الزيادة البيهقي في المعرفة عن الشافعي أنه بلغه (٣) حديث من رغب عن سقى فليس مني وإن من سقى النكاح فمن أحبنى فليسق بسقى متفق على أوله من حديث أنس من رغب عن سقى فليس مني وباقيته هدم قبله بحديث (٤) حديث من ترك الزوج خوف البيلة فليس منا رواه أبو منصور الديلمي في مسنده الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف ولقد ارمي في مسنده والبتوي في معجمه وأبي داود في الراسل من حديث أبي نجيع من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا وأبو نجيع اختلف في صحته

شأنك هو الأثر -
والأفضل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقى
إلى أن تقوم الساعة
وبالنسبة للموتى يصل
ميراث العلم إلى أهل
العلم . أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السروردي إمامه قال
أنا أبو عبد الرحمن
للماليني قال أنا أبو
الحسن الداودي قال
أنا أبو محمد الحوى
قال أنا أبو عمران
السمرقندي قال أنا
أبو محمد الدارمي قال أنا
نصر بن علي قال حدثنا
عبد الله بن داود عن
عاصم عن رجاء بن
حيوة عن داود بن
جميل عن كثير بن
قيس قال كنت جالسا
مع أبي الدرداء في
مسجد دمشق فأتاه
رجل فقال يا أبا الدرداء
إني أتيتك من المدينة
مدينة الرسول صلى
الله عليه وسلم لحديث
بلغني عنك أنك تعدته
عن رسول الله صلى الله

وهذا من لمة الامتناع لأصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم « من كان ذا طول فليتزوج ^(١) » وقال « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء ^(٢) » وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجاه هو عبارة عن رضا المحبتين للفعل حتى تزول فصوله فهو مستعار للضعف عن الوقوع في الصوم وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أنا كم من تزوج دينه وأمانته فزوجوه إلا ضلوه تكن فتنة في الأرض فساد كبير ^(٣) » وهذا أيضا لتلليل الترغيب لحوق الفساد . وقال ^(٤) « من نكح قدوة أنكح لله استحق ولاية الله ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تزوج قدأر ز شطر دينه فليترك الله في الشطر الثاني ^(٦) » وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد فكان للتدبير من الرء في الأغلب فرجه ويطنه وقد كفي بالزوج أحدها ، وقال صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم يتقطع إلا ثلاثا وله صالح يدعو له ^(٧) » الحديث ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح . وأما الآثار فقال عمر رضي الله عنه : لا ينعم من النكاح إلا عجوز أو فجور ، فيبين أن الدين غير مانع منه وحصر للآثار في أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يتم نكاح النكاح حتى يتزوج بحمل أنه جله من النكاح وتمتعه ، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لقلبة الشهوة إلا بالتزويج ولا يتم النكاح إلا بغراغ القلب ولذلك كان يجمع غلظته لما أدر كوا عكرمة وكريها ويقول إن أردتم النكاح أنكحوا فإن البعد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا ومات امرأتان لما عاذ بن جبل رضي الله عنه في الطامون وكان هو أيضا مطمونا فقال زوجوني فاني أكره أن ألقى الله عزبا وهذا منهما يدل على أهمارأيا في النكاح فضلا لأن حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول ما أتزوج إلا لأجل الولد . وكان بعض الصحابة قد اقتطع إلى رسول الله ^(٨) فغشمه ويبب عنده لحاجة إلى طرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تزوج ؟ فقال يا رسول الله إنني فقير لاشيء لي وأقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب ثم نفكر الصحابي وقال والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني إلى الله مني ولئن قال لي الثالثة لأفعلن فقال له الثالثة ألا تزوج قال قلت يا رسول الله زوجني قال اذهب إلى بني فلان قل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فتانك قال قلت يا رسول الله لاشيء لي فقال لأصحابه اجمعوا

(١) حديث من كان ذا طول فليتزوج . من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث من استطاع منكم الباءة فليتزوج الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث إذا أنا كم من تزوج دينه وأمانته فزوجوه إلا ضلوه تكن فتنة في الأرض فساد كبير ت من حديث أبي هريرة وقيل عن خ أنه لم يسهه محفوفا وقال د إخطأ ورواه ت أيضا من حديث أبي حاتم للزنى وحسنه ورواه د في الراسيل وأعله ابن القطان بإرساله وضمف رواه (٤) حديث من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله عز وجل أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس من أعطى لله وأحب لله وأبض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه (٥) حديث من تزوج قدأر ز شطر دينه فليترك الله في الشطر الآخر ، ابن الجوزي في العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبراني في الأوسط بلفظ قد استكمل نصف الإيمان وفي الاستدرك وصحح إسناده بلفظ من رزقه الله امرأة سالحة قد أعانته على شطر دينه الحديث (٦) حديث كل عمل ابن آدم يتقطع إلا ثلاثة فذكر فيه وله صالح يدعو له من حديث أبي هريرة بنحوه .

عليه وسلم قال فإ
جاء بك تجارة قال لا
قال ولا جاء بك غيره
قال لا قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول « من سلك
طريقا يتمسك به علما
سلك الله به طريقا
من طرق الجنة وإن
لثلاثة لضع أجنتها
رضا طالب العلم وإن
طالب العلم يستغفر له
من في السماء والأرض
حتى الحيتان في الماء
وإن فضل العالم على
العابد كفضل القمر
على سائر النجوم وإن
العلماء هم ورثة الأنبياء
إن الأنبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما إنما
أورثوا العلم فمن أخذه
أخذ بحظه أو عبط
واقره فأولما أودعت
الحكمة والعلم عند آدم
أبى البشر عليه السلام
ثم انتقل منه كائنات
منه التبيان والصيان
وما تدعو إليه النفس
والشيطان كما ورد إن
الله تعالى أمر جبرائيل

لأنخيم وزن نواقمن ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له أولم جمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة^(١) وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسع فيه الحاجة إلى النكاح وحكى أن بعض الساد في الأمم السالفة قال أهل زمانه في العبادة فذكر لبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك شيء من السنة فاعثم المابذ لما سمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال أنت تارك للتزويج فقال لست أحرمه ولكني خير وأنا عيال على الناس قال أنا أزوجه ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته ، وقال بشر بن الحرث : فضل على أحمد بن حنبل ثلاث يطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسى فقط ولا تساعه في النكاح وضيق عنه ولأنه نصب إماما للعامة ، ويقال إن أحمد رحمه الله تزوج في اليوم الثاني لوفاته أم ولده عبدالله وقال أكره أن أبيت عزبا ، وأما بشر فانه لما قيل له إن الناس يتكلمون فيك تركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة أخرى فقال ما يعنيني من التزويج إلا قوله تعالى - ولهن مثل الذي عليهن - بالمعروف - فذكر ذلك لأحمد فقال وأين مثل بشر إنه قد عد على مثل حد السنان ومع ذلك قد روى أنه رأى في المنام قبيل له ما فعل الله بك فقال ردت منازلي في الجنة وأشرف بي على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل للتاهلين وفي رواية قال لي ما كنت أحب أن تلقاني عزبا قال قلنا له ما فعل أبو نصر البزار فقال رفع فوقي سبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال يصبره على بنيانه والعيال ، وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية فالتكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء ، وقال رجل لإبراهيم بن آدم رحمه الله طوبى لك فقد ضللت للعبادة بالعزوبة فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنافيه قال فما الذي يمنعك من النكاح فقال مالي حاجة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى ، وقد قيل فضل للتاهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب . وأما مجابهة في الترهيب عن النكاح : فقد قال **عليه السلام** « خير الناس بعد الملائكة الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعبرونه بالفقر ويكفونونه ما لا يطيق ، فيدخل للداخل التي يذهب فيها دينه فهلك ^(٣) » وفي الخبر « قلة العيال أحد اليسارين وكثرهم أحد الفقيرين ^(٤) » وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر عن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار ، وقال أيضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد للتأهل ، وقال مرة ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى .

(١) حديث كان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت عنده حاجة إن طرقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تتزوج الحديث أحمد من حديث ربيعة الأسلمي في حديث طويل وهو صاحب القصة بإسناد حسن (٢) حديث خير الناس بعد الملائكة الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة وكلاهما ضعيف (٣) حديث يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعبرونه بالفقر ويكفونونه ما لا يطيق فيدخل للداخل التي يذهب فيها دينه فهلك الخطابي في العزلة من حديث ابن مسعود نحوه والبيهقي في الزهد نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث قلة العيال أحد اليسارين وكثرهم أحد الفقيرين القضاة في مسند الشهاب من حديث علي وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبدالله بن عمر وابن هلال اللزني كلاهما بالشر الأول بسندين ضعيفين .

حق أخذ قبضة من أجزاء الأرض والله تعالى نظر إلى الأجزاء الأرضية التي كونها من الجوهر التي خلقها أولا فصار من مواقع نظر الله إليها خاصية السامع من الله تعالى والجواب حيث خاطب السموات والأرضين بقوله - المتأطوعا أو كرها قلنا أنينا طامنين - فحملت أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصة ثم انتزعت هذه الخاصية منها بأخذ أجزائها لتكوين صورة آدم فركب جسد آدم من أجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصية فمن حيث نسبة أجزاء الأرض تركب فيه الهوى حتى مد يده إلى شجرة الفناء وهي شجرة الخسوف في أكثر الأقاليم فطرق قلبه الفناء ويكرام الله إليه بنفع الروح الذي أخبر عنه بقوله - فإذا سويته ونفخت -

وقال أيضا : ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاش أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال الحسن رحمه الله إذا أراد الله بعبده خيرا لم يشغله بأهل ولا مال . وقال ابن أبي الحواري تانظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكون له أهل ولا يكون له ولا يشغلانه وهو إشارة إلى قول أبي سليمان الداراني ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغول ، وبالجملة لم ينقل عن أحد الترييب عن النكاح مطلقا إلا مقرونا بشرط . وأما الترييب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده .

آفات النكاح وفوائده : وفيه فوائد خمسة الولد وكثرة الشهوة وتدير للزلل وكثرة العشرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن . الفائدة الأولى . الولد : وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود إبقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الانس وإنما الشهوة خلقت بائنة مستحبة كالملك بالفضل في إخراج البذر وبالأشئ في التمكن من الحرث نطقا بهما في السياقة إلى اقتناس الولد بسبب الواقع كالتلطف بالظفر في بث الحب الذي يشبه لياق إلى الشبكة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب للبيات على الأسباب مع الاستغناء عنها لإظهار للقدرة وإنعاما لحجاب الصنعة وتحقيقا لما سبق به للشيء وحقبة الكلمة وجري به القلم وفي التوصل إلى الولد قرينة من أربعة أوجه هي الأصل في الترييب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يجب أحدهم أن يلقى الله عزبا . الأول موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لبقاء جنس الانسان والثاني طلب عبدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكريم من بهبأهاته . والثالث طلب البركة بدعاء الولد الصالح بعده . والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله . أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه وأبعدا عن أفهام الجاهل وهو أحقها وأقواها عند ذوى البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه ، ويانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر والآلات الحرث ويأهله أرضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة وكل به من تقاضاه عليها فان تكامل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع للوكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للقت والعتاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والأشئين وخلق النطفة في التفار وهما طاقا الأشئين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط مقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأشئ فيهذه الأنفال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادى أرباب الأغلب بتعريف ما أعدت له ، هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال « تا نخوا تأسلوا » فكيف وقد صرح بالأمر وباح بالسر فكل مجتمع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيق للبذر معطل لما خلق الله من الآلات للخدمة وجان على مقصود الفطرة والحكمة القهومة من شواهد الخلق المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية ولذلك عظم الشرع الأمر في القتل للأولاد وفي الوأد لأنه منتهى لتمام الوجود وإليه أشار من قال الزل أحد الوأدين فالتا كبح ساع في إنعام ما أحب الله تعالى تمامه وللعرض معطل ومضج لما كره الله ضياعه ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - فان قلت : قورك إن جاء النسل والنفس محبوب يومه أنفأها مكروه عندها وهو فرق بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله تعالى ومعلم أن الكل بعينه الله وأن الله غنى عن المألين فمن أين يشيعر عنده موتهم عن حياتهم أو بقاؤهم عن فناهم . فاعلم أن هذه الكلمة حق

فيه من روجي - قال
العلم والحكمة في التسوية
صار ذا قس منفوسة
وبنغ الروح صار ذا
روح ووحاني وشرح
هذا يطول فصار قلبه
معدن الحكمة وقاله
معدن الهوى فانتقل
منه العلم والهوى وصار
ميراثه في ولده فصار
من طريق الولادة أبا
بواسطة الطبايع التي هي
معدن الهوى ومن
طريق الولادة العنوية
أبا بواسطة العلم فالولادة
الظاهرة تطرق إليها
الفناء والولادة العنوية
محبة من الفناء لأنها
وجدت من شجرة الخلد
وهي شجرة العلم لشجرة
الحنطة التي سماها إبليس
شجرة الخلد فإبليس
يرى الشيء بعبدة فتبين
أن الشيخ هو الأب
معنى وكثيرا كان
شيخا شيخ الاسلام
أبو النجيب السهروردي
رحمه الله يقول ولدي
من سلك طريق
والعندي يهديني فالشيخ

أريد بها باطل فإن ما ذكرناه لا ينافي إضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله غيرها وشيها ونعم واضرها
ولكن الهبة والكراهة يضادان وكلاهما لا يضادان الإرادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالعاصي
مكروهة وهي مع الكراهة مرادة والطاعة مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما الكفر
والشر فلا يقول إنه مرضي ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى - ولا يرضى لعباده الكفر - فكيف
يكون القناء بالإضافة إلى محبة الله وكراهته كالبقاء فإنه تعالى يقول « ما ترددت في شيء كنت ردي في
قبض روح عبدي للسم هو بكرة اللوت وأنا أكره مساهته ولا بد له من اللوت (١) » قوله لا بد له
من اللوت إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير للذكور في قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم اللوت - وفي
قوله تعالى - الذي خلق اللوت والحياة - ولا مناقضة بين قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم اللوت -
وبين قوله « وأنا أكره مساهته » ولكن إضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الإرادة والهبة
والكراهة ويان حقايقها فإن السابق إلى الأفهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم
وهيات فين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذاتههم وكان أنفوات الخلق
جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا
صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلة في علم للكشفة ووراء سر القدر الذي منع
من إفشائه فلنقتصر عن ذكره ولتقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الإقدام على النكاح
والإحجام عنه فإن أحدهما مضيع لسلامة آدم الله وجوده من آدم عليه عيبا بعد عقب إلى أن انتهى
إليه فالمتع عن النكاح قد حسم الوجود للاستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه
فما أتى لأتق الله عزبا - فإن قلت فما كان مما يتوقع ولما في ذلك الوقت فواجبه رغبته فيه .
فأقول الولد يحصل بالوقوع وعصل الوقوع يباعث الشهوة وذلك أمر لا يدخل في الاختيار إنما العلق
باختيار الجسد إضمار الحركة للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد قصد أدى ما عليه وفعل ما إليه
والباقي خارج عن اختياره . ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضا فإن نهضت الشهوة خفية لا يطلع
عليها حق إن للمسوح الذي لا يتوقع له ولله لا ينقطع الاستجاب أيضا في حقه على الوجه الذي يستحب
للأصلع إمرار اللوسى على رأسه اقتداء ببيمه وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع
في الحج الآن وقد كان للرامد منه أولا إظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين أظهروا الجلد
سنة في حق من يهدم ويضعف هذا الاستجاب بالإضافة إلى الاستجاب في حق القادر على الحرج
وربما يزداد ضغبا بما يقابله من كراهة تمطيل المرأة وقضيها فيما يرجع إلى قضاء الوطر فإن ذلك
لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبئ على شدة إنكارهم ترك النكاح مع قنور
الشهوة . الوجه الثاني السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بشكرك ما به مباحاته إذ
قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ما روى
عن عمر رضي الله عنه أنه كان ينكح كثيرا ويقول إنما أنكح لولده وما روى من الأخبار في
منمة المرأة القيم إذ قال عليه السلام « لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد (٢) »

(١) حديث أنه تعالى يقول ما ترددت في شيء كنت ردي في قبض روح عبدي للسم بكرة اللوت
وأنا أكره مساهته ولا بد له من اللوت - نحن قدرنا بينكم اللوت - وهو
متكلم فيه (٢) حديث لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد أبو عمر التوفاني في كتاب معاشره
الآهلين موقوفا على عمر بن الخطاب ولم أجده مرفوعا .

الذي ينكح بطريقه
الأحوال قد يكون
مأخوذا في ابتدائه في
طريق المحبين وقد
يكون مأخوذا في طريق
المحبوبين وذلك أن أمر
الصالحين والسالكين
ينقسم أربعة أقسام
سالك مجرد ومجنوب
مجرد وسالك متدارك
بالمجنوبة ومجنوب
متدارك بالسالك
فالسالك المبرد لا يؤهل
للمشقة ولا يملك البقاء
صفات نفسه عليه
فيفق عند حظه من
رحمة الله تعالى في مقام
للعامة والرياسة ولا
يرتقى إلى حال بروحها
عن وهج للكابتة
وللمجنوب المجرى من
غير سلوك يادته الحق
بآيات اليقين ويرفع
عن قلبه شيئا من
الحجاب ولا يؤخذ في
طريق العامة وللعامة
أمر تام سوف تشرحه
في موضعه إن شاء الله
تعالى وهذا أيضا
لا يؤهل للمشقة ويوقف

وقال « خير نسائك الولود الودود (١) » وقال « سوداء ولود خير من حسناء لاتلد (٢) » وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لأن الحسناء أصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة . الوجه الثالث أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعوله كما ورد في الخبر أن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا لثلاثا فذكر الولد الصالح وفي الخبر « إن الأدعية تعرض على اللوتى على أطباق من نور (٣) » وقول القائل إن الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فيه فانه مؤمن والصالح هو الغالب على أولاد ذوى الدين لاسيما إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد برا كان أو فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مؤاخذ بسبائنه فانه لا تزور وزارة وزر أخرى ولذلك قال تعالى - ألحقنا بهم ذريآتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء - أي ما نقصناهم من أعمالهم وجعلنا أولادهم مزيدا في إحسانهم . الوجه الرابع أن يموت الولد قبله فيكون له شفعا قدروى عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الطفل يمر بأبويه إلى الجنة (٤) » وفي بعض الأخبار « يأخذ شوبه كما أنا الآن أخذ شوبك (٥) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم

« إن للولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببنا أى محتلا غيظا وغضا » ويقول لأدخل الجنة إلا وأبواى معى فقال أدخلوا أبويهم الجنة (٦) » وفي خبر آخر « إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا هؤلاء إلى الجنة فيقولون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بدرارى المسلمين ادخلوا لحاسب عليكم فيقولون فآب آباؤنا وأمهاتنا فيقول الحزنة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتضاغون ويضجون على أبواب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم ماهذه الضجة فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آباؤنا فيقول الله تعالى تغفلوا الجع فخذوا فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آباؤنا فيقول الله تعالى تغفلوا الجع فخذوا

(١) حديث خير نسائك الولود الودود البيهقي من حديث ابن أبي أذية الصدفي قال البيهقي وروى بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسل (٢) حديث سوداء ولود خير من حسناء لاتلد ابن حبان في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح [١] (٣) حديث إن الأدعية تعرض على اللوتى على أطباق من نور رويناه في الأربعين للشهورة من رواية أبي هذبة عن أنس في الصدقة عن لبيث وأبو هذبة كذاب (٤) حديث إن الطفل يمر بأبويه إلى الجنة . من حديث على وقال السقط يدل الطفل وله من حديث ثمامة إن الطفل ليجرأ به برره إلى الجنة إذا هي احتسبت وكلامها ضيف (٥) حديث إنه يأخذ شوبه كما أنا الآن أخذ شوبك م من حديث أبي هريرة (٦) حديث إن للولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببنا أى محتلا غيظا وغضا ويقول لأدخل إلا وأبواى معى الحديث حب في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح ون من حديث أبي هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم وإسنادهم جيد .

[١] وجد بهامش العراق بأحد النسخ للمول عليها ما نصه قلت : ولأى يلى بسند ضعيف ذروا الحسناء القيم وعليكم بالسوداء الولود فإني مكاتركم الأمم رواه عبد الله وله من حديث أبي موسى إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن امرأة قد أعجبتني لا تلد أفأزوجه ؟ قال لا فأعرض عنها ثم تتبعها فسه فقال بإرسوله قد أعجبتني هذه المرأة ونحرها أعجبتني دلها ومعرها أفأزوجه ؟ قال لا امرأة سوداء ولود أحب إلى منها أماشرت آتى مكاتركم الأمم سنه ضعيف .

عند حظه من الله
مروحا بحاله غير مأخوذ
في طريق أعماله ماعدا
القرينة والسالك
الذى تدورك بالجنبة
هو الذى كانت بدايته
بالمجاهدة والكابدة
والعاملمة بالإخلاص
والوفاء بالشروط ثم
أخرج من وهج
الكابدة إلى روح
الحال فوجد العسل بعد
القيم وتروح بنسبات
الفضل وبر من مضيق
الكابدة إلى متسع
الساهلة وأنس
بنفحات القرب وفتح
له باب من الشاهدة
فوجد دواءه وفاض
وعاؤه وصدرت منه
كلمات الحكمة ومالت
إليه القلوب ونوالى
عليه تفتح القلب وصار
ظاهره مسددا وباطنه
مشاهدا وصلح الحاجة
وصار له في جلوه
خولة فيلب ولا ينقلب .

ويفترس ولا يفترس
يؤهل مثل هذا الشيخة
لأنه أخذ في طريق

بأبدى آياهم فأدخلهم الجنة^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظائر من النار^(٢) » وقال عليه السلام من مات له ثلاثة لم يسلوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان^(٣) . وحكى أن بعض الصالحين كان يرضى عليه التزويج فأبى برهة من دهره قال فاتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فسل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولما وبقضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الموقف وبني من العرش ما كاد أن يقطع عني وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب ففتح كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكتاف الناس فهدت يدي إلى أحدهم وقلت استقي قد أجهدي العطش فقال ليس لك فينا ولد إنما نسقي آباءنا قتلنا ومن أثم قتالوا نحن من مات من أطفال المسلمين وأحد للماني المذكورة في قوله تعالى - فأنا أحرصكم أني شتم وقدما لأشكم - تقديم الأطفال إلى الآخرة قد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد . الفائدة الثانية : التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغش البصر وحفظ الفرج وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « من نكح قد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر » وإليه الإشارة بقوله « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فليعب بالصوم فإن الصوم له وجاء » وأكثر ما قلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى وهذا المعنى دون الأول لأن الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله دافع لجهله وصارف لشر سطوته وليس من يجب مولاه رغبة في تحصيل رضاء كن يجب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال للقعود البقاء والولد لازم منها كإلزام مثلاً قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالنقطة والحكمة والشهوة باغية عليه ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الأرهاق إلى الإيلاء وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لودامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذوقا فلا ينفع فلو رغب الصبي في لذة الجماع أو الصبي في لذة اللذات والسلطنة لم ينفع الترغيب وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعنا على عبادة الله فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التبعية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حيوان حياة ظاهرة وحية باطنة فالحياة الظاهرة حياة اللذة يقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة

(١) حديث إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيفتقون على باب الجنة فيقال لهم مرجا بذراري المسلمين ادخلوا لأحساب عليكم فيقولون أين آبائنا وأمهاتنا الحديث بطوله لم أجده أصلا يعتمد عليه (٢) حديث من مات له اثنان من الولد احتظر بحظائر من نار البزاري والطبراني من حديث زهير بن أبي علقمة جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إنمات لي اثنان سوى هذا فقال لقد احتظرت دون النار بحظائر شديد ولمسلم من حديث أبي هريرة في المرأة التي قالت دفنت ثلاثة لقد احتظرت بحظائر شديد من النار (٣) حديث من مات له ثلاثة لم يسلوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان خ من حديث أنس دون ذكر الاثنين وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد بلفظ إنما امرأة بنحو منه .

المحبين ومنع حالا من أحوال المقربين بعدمادخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين ويكون له اتباع يتقل منه إياهم علوم ويظهر بطريقه بركة ولكن قد يكون محبوسا في حاله محكما حاله فيه لا ينطق من وثائق الحال ولا يبلغ كمال النوال يقف عند حظه وهو حظ وافر من الدين أو تواتر العلم درجات ولكن للقيام الأكل في الشيخة القسم الرابع وهو المجدوب للتدبرك بالسلوك يادته الحق بالكشف وأنوار البقين ويرفع من قلبه الحجب ويستبصر بأنوار الشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الضرر وينيب إلى دار الخلود ويرتوى من بحر الحال ويتخلص من الأغلال والأغلال ويقول معنا لا أعبد رباً لم أره ثم

للواصل إليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر الواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان باطنا وظاهرا ذرات بل ملكوت السموات والأرض إلا وتحتها من لطائف الحكمة وبجائتها ما تحار العقول فيها ولكن إنما يكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفاتها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالتكاسح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لسلك من لا يؤتى عن عجز وعة وهم غالب الخلق فان الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام التواشى وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى - إلا تضلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير - وإن كان ملجما بلجام التقوى فهايته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ النرج فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لازال النفس تجاذبه وتعدته بأمور الواقع ولا يغتر عنه الشيطان الوسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يعرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من أمور الواقع ما لو صرح به بين يدي أخس الخلق لاستحيائه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ورأس الأمور للرشد في سلوك طريق الآخرة قلبه والواظبة على الصوم لا تضطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن يضاف إليه ضعف في البدن وفساد في الزاج ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح وهذه حكمة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة في معنى قوله تعالى - ولتعلننا ملا طاقة لئلا به - هو النكاح. وعن عكرمة وعجابه أنهما قالا في معنى قوله تعالى - وخلق الانسان من نطفة - إنه لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيب إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبضمهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما - ومن شر غاسق إذا وقب - قال قيام الذكر وهذه بلية غالبية إذا هاجت لا يقاومها عقل ولادين وهي مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحيائين كما سبق فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم وإليه أشار عليه السلام بقوله «مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الألباب منكن» (١) وإنما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه «اللهم إني أعوذ بك من شرمعي وبصري وقلي وشرمني» (٢) وقال «أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي» (٣) فما يستمد منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فأفكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موافقا معاملة غطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصينان ذلك كثير فقال لورضيت في عمري كله بتدل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلي عن حالي إلا فقتله فاسترجع وأرجع إلى شغلي ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي مصيبة وأسكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين ما تدعي تسكر منهم قال يأكلون حكتيريا قال وأنت أيضا لو جئت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون قال ينكحون كثيرا قال وأنت أيضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون. وكان الجنيد يقول أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله

(١) حديث مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الألباب منكن م من حديث ابن عمر واتفقا عليه من حديث أبي سعيد ولم يبق م لفظه (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر شرمعي وبصري وشر مني تقدم في الدعوات (٣) حديث أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي هي في الدعوات من حديث أم سلمة بإسناد فيه لين.

يفيض من باطنه على ظاهره وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء بل بلذاته وهناء ويصير قلبه بصفة قلبه لامتلاء قلبه بحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده إجابة قلبه للعمل كاجابة قلبه فيريده الله تعالى إرادة خاصة ويرزقه حجة خاصة من حجة المهيوبين للرادين ينقطع فيواصل ويمرض عنه فيراسل ينهب عنه جود النفس ويطلى بحسرة الروح وتنكش عن قلبه عروق النفس قال الله تعالى - الله زل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تحشرون جلود الذين يحشرون رهم ثم تلين جلودهم وقولهم إلى ذكر الله - أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين ولا يكون هذا إلا

صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على امرأة فثاقت إليها نفسه أن يجماع أهله (١) ، لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب قضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم : إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبه فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها (٢) وقال عليه السلام لا تدخلوا على النتيات وهى التي غالب زوجها فان الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومنى ولكن الله أعاننى عليه فأسلم (٣) وقال سفيان بن عيينة فأسلم معناه فأسلم أنا منه هذا معناه فان الشيطان لا يعلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم أنه كان يخطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلى المغرب فيقتل ويصلى وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج غدة الشيطان منه وروى أنه جامع ثلاثاً من جواربه في شهر رمضان قبل المشاء الأخيرة وقال ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء (٤) ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان استتكار الصالحين منهم للنكاح أشد ولأجل فراغ القلب أيسر نكاح الأمة عند خوف الفتنة مع أن فيه إرقاق الولد وهو نوع إهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين وليس فيه إلا تنفيس الحياة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة نفوت الحياة الأخرى التي تستحق الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يرجع فقال له ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم أردت أن أسألك مسألة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهالك وأجلك قال ابن عباس إن العالم بمنزلة الولد لما كنت أضيت به إلى أريك فأضى إلى به قال إني شاب لازوجتى وربما خشيت الفتنة على نفسى فربما استنيت يدي فهل في ذلك مصيبة فأعرض عنه ابن عباس ثم قال أفه ونف نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على أن الزنبا المقتل مردد بين ثلاثة شرور أدناها نكاح الأمة وفيه إرقاق الولد وأشد منه الاستمنا باليد وأخفها الزنا ولم يطلق ابن عباس الإباحة في شيء من ألتها محذوران يفرغ إليها حسداً من الوقوع في محذور أشد منه كما يفرغ إلى تناول اللبنة حسداً من هلاك النفس فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة للطلقة ولا في معنى الحبر للطلق وليس قطع اليد التامة من الحبرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك فاذن في النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لايم الكلى بل الأكثر قرب شخص قرت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فيقدم هذا الباعث في حقه ويترك ما سبق من أمر الولد فان ذلك عام إلا للمسوح وهو نادر ومن الطباع ماقلب عليها الشهوة بحيث لا تخضع المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع فان يسر الله مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن والإفستحب له الاستبدال فقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ويقال

حال المحبوب للسراد
وقد ورد في الخبر أن
إيليس سأل السيل
إلى القلب قيل له
يحرّم عليك ولكن
السيل لك في مجارى
المروق للشبكة
بالنفس إلى حد القلب
فاذا دخلت المروق
عرت فيها من ضيق
مجاريها وامتزج عرفت
بماء الرحمة للترشح
من جانب القلب في
يجرى واحد ويصل
بذلك سلطانك إلى
القلب ومن جعلته
نيا أو وليا فلتت تلك
المروق من باطن قلبه
فيصير القلب سليماً فاذا
دخلت المروق لم تصل
إلى الشبكة بالقلب
فلا يصل إلى القلب
سلطانك فالجبوب
للرءا الذي أهل للشبكة
سلم قلبه وانشرح صدره
ولأن جلله فصار قلبه
يطبع الروح وقسه
يطبع القلب ولانت
النفس بعد أن كانت
أماراً بالسوء مستعصية

- (١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فثاقت نفسها إليها أن يجماع أهله أحمد من حديث أبي كبشة الأنماري حين مرت بامرأة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال فكذلك فافعلوا فانه من أمثال أفعالك إتيان الحلال وإسناده جيد (٢) حديث جابر رأى امرأة فدخل على زينب قضى حاجته الحديث مسلم والترمذى واللفظ له وقال حسن صحيح (٣) حديث لا تدخلوا على النتيات فان الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم الحديث ث من حديث جابر وقال غريب ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخل ببدوي هذا في مفية إلا ومعرجل أو ثنان (٤) حديث ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء يعني النبي صلى الله عليه وسلم رواه خ .

إن الحسن بن علي كان منكاحاً حتى نكح زيادة عن مائتي امرأة وكان ربما عقد على أربع في وقت واحد وربما طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بين وقت قال عليه الصلاة والسلام «لحسن أشبه خلقي وخلقى» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «حسن مني وحسين مني» (٢) «فقبل إن كثرة نكاحه أحد ما أشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج الغيرة بن شعبة ثمانين امرأة وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوماً فينبغي أن يكون العلاج بقدر الملة فالمراد تسكين النفس فلينظر إليه في الكثرة والقلّة . الفائدة الثالثة : ترويح النفس وإناسها بالمجالسة والنظر واللابة لإراحة القلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهى عن الحق تنور لأنه على خلاف طبيعتها فلو كلفت للدائمة بالإكراه على ما يغفلها جمحت وثابت وإذا رويحت بالذات في بعض الأوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما ينزل الكرب ويروح القلب وينبغي أن يكون لنفس التيقن استراحات بالباحات ولذلك قال الله تعالى - ليسكن إلها - وقال على رضي الله عنه روحوا القلوب ساعة قاتماً إذا أكرهت عمت وفي الخبر «على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يتأجى فيها ربه ساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يغلو فيها بطلعه ومشر به فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات» (٣) ومثله بلفظ آخر «لا يكون العاقل ظاعناً إلا في ثلاث زوائد لمعاد وأمرمة لمعاش وألفة في غير محرم» (٤) وقال عليه الصلاة والسلام «لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت قترته إلى سنى فقد اهتدى» (٥) والشرع الجدد للكبادة بمجدة وقوة وذلك في ابتداء الإرادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان أبو الدرداء يقول لئن ألتجيت نفسى بجى من اللهب لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال «شكوت إلى جبريل عليه السلام ضئقي عن الوقوع فدلى على الهريسة» (٦) وهذا إن صح لا يحل له إلا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تحليه بدفع الشهوة فإنه استتارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الأكر من هذا الأنىس وقال عليه الصلاة والسلام «حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» (٧) فهذه أيضاً فائدة لا ينكرها من جرب إعقاب نفسه في الأنكار والأذى كار ووصف الأعمال

(١) حديث أنه قال الحسن بن علي أشبهت خلقى وخلقى قلت العروف أنه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبي طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ولكن الحسن أيضاً كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما هو متفق عليه من حديث أبي جحيفة والترمذى ومحمد وابن حبان من حديث أنس لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن (٢) حديث حسن مني وحسين مني على أحمد من حديث التلمذ ابن معديكر بلسند جيد (٣) حديث على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة فيها يتأجى ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يغلو فيها بطلعه ومشر به حب من حديث أبي ذر في حديث طويل أن ذلك في صف إبراهيم (٤) حديث أبي ذر الطويل أن ذلك في صف إبراهيم (٥) حديث لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت قترته إلى سنى فقد اهتدى أحمد والطبرانى من حديث عبدالله بن عمرو والترمذى نحو من هذا من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٦) حديث شكوت إلى جبريل ضئقي عن الوقوع فدلى على الهريسة عد من حديث حذيفة وابن عباس والقبلى من حديث معاذ وجابر بن سمرة وابن حبان في الضعفاء من حديث حذيفة والأزدى في الضعفاء من حديث أبي هريرة بطرق كلها ضعيفة قال ابن عدى موضوع وقال القبلى باطل (٧) حديث حب إلى من دنياكم الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة من حديث أنس بإسناد جيد وضعفه القبلى .

ولان الجدل بين النفس ورد إلى صورة الأعمال وبدودان الحال ولا يزال روحه يجذب إلى الحضرة الإلهية فيستتبع الروح القلب وتستتبع القلب النفس ويستتبع النفس القلب فاسترجت الأعمال القلبية والقالية واغرق الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر والقدرة إلى الحكمة والحكمة إلى القدرة والدنيا إلى الآخرة والآخرة إلى الدنيا وصح له أن يقول لو كشف الغطاء ما زددت يقيناً ففسد ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون ميطراً على الحال لا الحال ميطراً عليه ويصير حراً من كل وجه والشيخ الأول الذى أخذ في طريق المحيين حر من رق النفس ولكن ربما كان باقياً في رق القلب وهذا

وهي خارجة عن القامدين السابقين حتى إنها تطرد في حق الممسوح ومن لاشهره إلا أن هذه الفائدة تحصل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية وقل من يحدد بالنكاح ذلك . وأما هذا الولد وقد دفع الشهوة وأمثالها فهو مما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى اللاه الجاري والحضرة وأمثالها ولا يحتاج إلى ترويع النفس بمحادثة النساء وملاعبتين فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتبه له . القائمة الرابعة : تفرغ القلب عن تدبير اللزول والتكفل بشغل الطبع والكسب والفرش وتظيف الأواني وتهيئة أسباب المعيشة فإن الإنسان لو لم يكن لمشهورة الواقع لتعذر عليه العيش في منزله وحده إذ لو تكفل بجميع أشغال اللزول لصاع كثر أو قاتنوه لم تفرغ العلم والعمل فالمرأة الصالحة للصحة للزول عون على الدين بهذه الطرق واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنصتات للعيش ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للأخرة وإنما تفرضها بتدبير اللزول وبضاعة الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى - ربنا آتانا في الدنيا حسنة - قال المرأة الصالحة وقال عليه الصلاة والسلام « ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا أو لسانا ذا كرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته ^(١) » فانظر كيف جمع بينهما وبين الذكر والشكر وفي بعض التفسير في قوله تعالى - فلنجينه حياة طيبة - قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أعطى العبد بعد الإيمان بالله خيرا من امرأة صالحة وإن منهن غيا لا يعدي منه ومنهن غلا لا يعدي منه وقوله لا يعدي أي لا يتصاعق عنه يعطاء وقال عليه الصلاة والسلام « فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عوناً له على للصية وأزواجى أعوان لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يأمر إلا بخير ^(٢) » فهدم ما وثبها على الطاعة فضيلة فهذه أيضاً من القوائد التي يقصدها الصالحون إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعو إلى امرأتين بل الجمع ربما ينقص المعيشة ويضطرب به أمور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل الماشر فإن ذلك يحتاج إليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فإن ذلك مشوش للقلب والعز بالكرة دافع لذلك . القائمة الخامسة : مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهم واحتال الأذى منهم والسعي في إصلاحهم وإرشادهم إلى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهم والقيام بتربيته لأولاده فكل هذه أعمال عظيمة الفضل فإنها رعاية وولاية والأهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وإنما يختز منها من يختز خيفة من القصور عن القيام بحقها والصدق قال عليه الصلاة والسلام « يوم من والعدول أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قال - ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ^(٣) » وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل

الشيخ في طريق
المجوبين حر من رق
القلب كاهو حر من رق
النفس وذلك لأن النفس
حجاب ظلمات أرضى
أعنت منه الأول
والقلب حجاب نوراني
مماوى أعنت منه
الأخر فصار له بالقلبه
ولوقته لا لوقته فبعد
الله حقا وأمن به صدقا
ويسجد لله سواده
وخاله يؤمن به فؤاده
ويقرب به لسانه كما قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض
سجوده ولا يتخلف
عن العبادة منه شعرة
وتصير عبادته مشاكلة
 لعبادة الملائكة - وفيه
يسجد من في السموات
والأرض طوعا وكرها
وظلالهم بالقعود
والأصمى فالقول بالهي
الظلال الساجدة ظلال
الأرواح للقرية في عالم
الشهادة الأصل كيف
والظلل لطيف وفي عالم
التيب الأصل لطيف
والظلل كيف فيسجد

(١) حديث ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذا كرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته ت وحسنه وه
واللفظ له من حديث وفيه انقطاع (٢) حديث فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم بخصلتين كانت
زوجه عوناً له على للصية وأزواجى أعوان لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يأمر إلا
بخير رواه الخطيب في التاريخ من حديث ابن عمر وفيه محمد بن يزيد بن أبان بن القلانسي قال ابن عدي
كان يضع الحديث ولمسلم من حديث ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا
وليك يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ولا يأمرني إلا بخير (٣) حديث يوم من وال
عدول أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قال ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وطه وحق من
حديث ابن عباس وعنه شمس بلفظ ستين سنة دون ما بهد فانه متفق عليه من حديث ابن عمر .

بإصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الأذى كن رفة نفسه وأراحها تقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل عليّ أحمد بن حنبل ثلاث إحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه الصلاة والسلام «ما أغفقه الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في القمعة برفعها إلى في امرأته» (١) وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل أعطاني الله نصيباً أخذت كالحج والجهاد وغيرهما فقال له أين أنت من عمل الأبدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في التزو وتعلمون عملاً أفضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال أنا أعلم قالوا فما هو قال الرجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فغظظ إلى صيانه نياماً متكسفين فسترهم وغطاهم ثم به فسمه أفضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه وسلم «من حست صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم ينتب السليين كان معي في الجنة كهاتين» (٢) وفي حديث آخر «إن الله يحب الفقير للتعفف أباً العيال» (٣) وفي الحديث «إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم» العيال ليكفرها عنه» (٤) وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا التمس باليال وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله يطلب للعيشة» (٥) وقال عليه السلام «من كان له ثلاث بنات فأفق عليهن وأحسن إليهن حقنهن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبتة ألبتة إلا أن يعمل عملاً يفره» (٦) كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال والله هو من غرائب الحديث وغرره وروى أن بعض التصديق كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت ففرض عليه التزوج فامتنع وقال الوحدة أروح قلبي وأجمع همي ثم قال رأيت في المنام يدمجهم من وفاتها كان أبواب السماء فتحت وكان رجالاً ينزلون ويسرون في الهواء يتبع بعضهم بعضاً فكما تزل واحد ينظر إلى وقال لمن وراءه هذا هو للشوم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك يقول الرابع ثم ففحت أن أسألهم هية من ذلك إلى أن مر بي آخرهم وكان غلاماً قلت له يا هذا من هذا الشوم الذي توشتون إليه قال أنت قتلت ولم ذاك قال كنت أرفع علك في أعمال المجاهدين في سبيل الله فذبحته أمراً أن تضع علك مع الخلقين لما ندرى ما أحدث فقال لإخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن ففارقه زوجتان أو ثلاث وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام أن قوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأصابهم فكناد يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال تعجبوا ما سألت الله تعالى وقلت ما أنت معاقب لي به في الآخرة فضج له في الدنيا فقال إن عقوبتك بنت فلان تزوج بها

(١) حديث ما أشق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في دفع القمعة إلى في امرأته من حديث ابن مسعود إذا أتق الرجل على أهله نفقة وهو عتسها كانت له صدقة ولهما من حديث سعد ابن أبي وقاص ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى القمعة ترفعها إلى في امرأتك (٢) حديث من حست صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم ينتب السليين كان معي في الجنة كهاتين أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب الفقير للتعفف أباً العيال من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف (٤) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها أحمد من حديث عائشة إلا أنه قال بالحزن وفيه لبث بن أبي سلمة يختلف فيه (٥) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله يطلب للعيشة الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص للتشابه من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف (٦) حديث من كان له ثلاث بنات فأفق عليهن وأحسن إليهن حقنهن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبتة إلا أن يعمل عملاً لا يفره له الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف وهو عنده بلفظ آخر ولأبي داود واللفظ له والترمذي من حديث أبي سعيد من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن الله الجنة ورجاله ثقات وفي سننه اختلاف .

لطيف البعد وكشفه وليس هذا لمن أخذ في طريق الحبين لأنه يستتب صور الأعمال ويمتنع بما أنيل من وجدان الحال وذلك قصور في العلم وقلة في الحظ ولو كثرت العلم رأى ارتباط الأعمال بالأحوال كارتباط الروح بالجسد رأى أن لاغنى عن الأعمال كما لاغنى في عالم الشهادة عن القوالب فدامت القوالب باقية فالعمل باق ومن صح في القيام الذي وصفناه هو الشيخ الطلق والعارف المحقق والمحبوب المقتى نظره ودواء كلامه شفاء بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كسبه له سمياً وبصراً وبدأ ومؤيداً ينطق وبني يصير الحديث فالشيخ يعطى بالله ويمتنع الله فلا رغبة له في عطاء ومنع لعينه بل

فزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وعصيان الخلق فان للمفرد بنفسه أو للشارك لمن حسن خلقه لا ترشح منه خيانت النفس الباطنة ولا تنكسف بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه للتعرض لأمثال هذه الحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل أخلاقه وترتاح نفسه ويصفو عن الصفات القبيحة باطنه والصبر على الصيام مع أنه رياضة وبجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه أيضا من القوائد ولكنه لا ينفع بها إلا أحد رجلين إما رجل قصد المجاهدة والريضة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يبعد أن يرى هذا طريقا في المجاهدة وترتاح به نفسه وإما رجل من المابدين ليس له سير في الباطن وحركة الفكر والقلب وإنما عمله عمل الجوارح صلاة أو حج أو غيره فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بترتيبهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا تمتد خيرها إلى غيره فأما الرجل المهذب الأخلاق إما بكفاية في أصل الحلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير في الباطن وحركة الفكر والقلب في العلوم والكشفات فلا ينبغي أن يتزوج بهذا العرض فإن الرضاة هو مكفي فيها وأما العباد في العمل بالكسب لهم فاعلم أفضل من ذلك لأنه أيضا عمل وفائده أكثر من ذلك وأعم وأمثل لساير الخلق من فائدة الكسب على الصيام فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالقضية . أما آفات النكاح ثلاث . الأولى : وهي أقواها العجز عن طلب الحلال فإن ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما في هذه الأوقات مع اضطراب الماشي فيكون النكاح سببا في التوسع للطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاك وهلاك أهله وللتزويج في أمن من ذلك وأما للتزوج ففي الأكثر بدخل في مداخل السوء فيقع هوى زوجته ويبيع آخرته بديناه وفي الخبر «إن البعد ليوقف عند اللزآن وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أفضقه حتى يستغرق تلك المطالبات كل أعماله فلا يبق له حسنة فتدأى للملاكمة هذا الذي أكل عياله حسنة في الدنيا وارتبى اليوم بأعماله وقال إن أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربناخذنا بحمته فانهما علمنا ما نجعل وكان يطعمنا الحرام ونحن لانعلم فيقتس لهم منه (١) » وقال بعض السلف إذا أراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا أنيابا تنشه بيني الصيام وقال عليه الصلاة والسلام « لا يليق الله أحد بذنوب أعظم من جهالة أهله (٢) » فهذه آفة عامة قل من يتخاص منها لإلمن له ما موروثا أو مكتسب من حلال يبق به وبأهله وكان له من القناعة ما يعتمه من الزيادة فإن ذلك يتخلص من هذه الآفة أو من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من اللباحت باحتطاب أو اصطياد أو ذك أن صناعة لا تتعلق بالسلطين وقدّر على أن يعامل به أهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم رحمه الله وقد سئل عن التزويج فقال هو أفضل في زمانها هذا لمن أدركه شبق غالب مثل الحمار يرى الأمان فلا ينهت عنها بالضرب ولا يملك نفسه فإن ملك نفسه فتركه أولى . الآفة الثانية : بالقصور عن القيام بحتمن والصبر على أخلاقتن واحتال الأذى منهن وهذه دون الأولى في العموم فإن القدرة على هذا أيسر من القدرة على الأولى وتحسين الخلق مع النداء والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال وفي هذا أيضا خطر لأنه راع ومسئول عن رعيته وقال عليه الصلاة والسلام « كفى بالمرء إثم أن يضع من يمول (٣) »

(١) حديث إن البعد ليوقف عند اللزآن وله من الحسنات أمثال الجبال ويسأل عن رعاية عياله والقيام بهم الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث لا يليق الله أحد بذنوب أعظم من جهالة أهله ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد ولم يحجده ولله أبو منصور في مسنده (٣) حديث كفى بالمرء إثم أن يضع من يمول دن يلقظ من يقوت وهو عند دلف يلفظ آخر .

هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون في الأشياء مجرد الله تعالى لا مجرد نفسه فان علم أن الله تعالى يريد منه الدخول في صورة محودة دخل فيها لمراد الله تعالى لا لكون الصورة محودة بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى .

[الباب الحادى عشر في شرح حال الخادم ومن يتشبه به]
أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام وقال يا داود إذا رأيت لى طالبا فسكن له خادما الخادم يدخل في الخدمة راغبا في الثواب وفيها أعد الله تعالى للعباد ويتصدى لإيصال الراحة وفرغ خاطر للقليل على الله تعالى عن مهام معاشهم وفعل ما يفعله الله تعالى بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد الله تعالى والخادم واقف

وروى أن الحارث من عياله بمنزلة البعد الحارث الأبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم ومن يقصر عن القيام بحقوقهم وإن كان حاضرا فهو بمنزلة هارب قد قال تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - أمرنا أن نهيهم النار كائني أنفسنا والانسان قد يميز عن القيام بحق نفسه وإذا تزوج تصاعف عليه الحق وانضاف إلى نفسه نفس أخرى والنفس أمانة بالسوء إن كثرت كثرت الأمر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال أنا مبتلى بنفسى وكيف أضيف إليها نفسا أخرى كما قيل -

لن يسع الفأرة جحرها عقلت الكسفس في دبرها

وكذلك اعتذر إبراهيم بن آدم رحمه الله وقال لأغر امرأة بنفسى ولا حاجة لى فيهن أى من القيام بحقوقهن وتحصينهن وإمتاعهن وأنا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال يعنى من النكاح قوله تعالى - ولهن مثل الذى عليهن - وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لحفت أن أمير جلادا على الجسر ورؤى سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان قيل له ما هذا موقوف قال وهل رأيت ذاعيال أفلع وكان سفيان يقول :

ياحبذا العزبة والفتاح ومسكن تخرقه الرياح لاصحب فيه ولاصباح

فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى لا يسلم منها إلا حكيم عاقل حسن الأخلاق بصير بمادات النساء بصور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حرص على الوفاء بحقن يتناقل عن زلهن ويدارى ببقله أخلاقهن والأغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لانهما فلو وحدة أسلم له . الآفة الثالثة : وهى دون الأولى والثانية أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا إلى طلب الدنيا وحسن تديير الميشة للأولاد بكثرة جمع المال وإدخالهم وطب الفخاخر والتكاثربهم وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشغوم على صاحبه ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى محظور فان ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية بل أن يدعو إلى التمتع بالمباح بل إلى الإغراق فى ملاعبة النساء ومؤانستهن والامعان فى التمتع بهن ويثور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقضى الليل والنهار ولا يفرغ المرء فيها للتفكر فى الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال إبراهيم بن آدم رحمه الله من تعود أغاذا النساء لم يحى منه شئ . وقال أبو سليمان رحمه الله من تزوج قد ركن إلى الدنيا أى يدعو ذلك إلى الركون إلى الدنيا فهذه جماع الآفات والقوائد فالحكيم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا فصور عن الاحاطة بجماع هذه الأمور بل تتخذ هذه القوائد والآفات مقبيرا ومحكما ويعرض المرء عليه نفسه فان انتفت فى حقه الآفات واجتمعت القوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجسد فى الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج إلى تديير للزول والتحصن بالمسيرة فلا يجرى فى أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعى فى تحصيل الولد فان انتفت القوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له وإن تقابل الأمران وهو الغالب فينبغى أن يوزن بالميزان السطو حظ تلك الفاتمة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات فى نقصان منه فادا غلب على الظن رجحان أحدها حكم به وأظهر القوائد الولد وتسكين الشهوة وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فلنترض تقابل هذه الأمور فنقول من لم يكن فى أذية من الشهوة وكانت قائمة نكاحه فى السعى لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى فلا خير فيها يشغل عن الله ولا خير فى كسب الحرام ولا يقى بنقصان هذين الأمرين

مع نيته فالخادم يفعل
الشيء لله تعالى والشيخ
يفعل الشيء لله فالشيخ
فى مقام القرين والخادم
فى مقام الأبرار فيختار
الخادم البذل والإيثار
والارتضاى من الأغيار
للأغيار ووظيفة وقته
تصد به خدمة عباد الله
وفيه يعرف الفضل
وبرجحه على نوافله
وأعماله وقد يقم من
لا يعرف الخادم من
الشيخ الخادم مقام
الشيخ وربما جهل
الخادم أيضا حال نفسه
فيحسب نفسه شيئا لقلة
العلم واندراس علوم
القوم فى هذا الزمان
وقناعة كثير من
الفقراء من الشايخ
باللعمرون العلم والحال
فكل من كان أكثر
إطعاما هو عندهم أحق
بالشيخة ولا يعلمون
أنه خادم وليس بشيخ
والخادم فى مقام حسن
وحظ صالح من الله
تعالى . وقد ورد ما يدل
على فضل الخادم فيها

أمر الولد فإن النكاح للولد سمي في طلب حياة للولد موهومة وهذا نقصان في الدين ناجز لحفظه
 لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أمم من السعي في الولد وذلك ربح والدين رأس مال وفي فساد الدين
 بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ولا تقوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآفتين وأما إذا
 انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر فإن لم يقو لجسم التقوى
 رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى لأنه متردد بين أن يتقحم الزنا أو يأكل الحرام والكسب
 الحرام أهون الشرين وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غرض البصر
 عن الحرام فترك النكاح أولى لأن النظر حرام والكسب من غير وجه حرام والكسب يقع دائماً
 وفيه عصيان وعصيان أهله والنظر يقع أحياناً وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن
 إذا لم يصدقه الفرج فهو إلى العفو أقرب من أكل الحرام إلا أن يخاف إفضاء النظر إلى معصية الفرج
 فيرجع ذلك إلى خوف الفتنة وإذا ثبت هذا فالحاجة الثالثة وهو أن يقوى على غرض البصر ولكن
 لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب إلى العفو أقرب وإنما
 يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه فهكذا ينبغي أن توزن
 هذه الآفات بالفوائد وعيكم بحسبها ومن أحاط بهذا لم يشك عليه شيء مما قلنا عن السلف من
 تزيغ في النكاح مرة ورغبة عنه أخرى إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح . فان قلت فمن أمن
 الآفات فما الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح ؟ فأقول يجمع بينهما لأن النكاح ليس مانعاً من
 التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب فان قدر على الكسب
 الحلال فالنكاح أيضاً أفضل لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة وللواظبة على
 العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرقاً للأوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت
 سوى أوقات المكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة
 إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجري مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل لأن في كسب الحلال
 والقيام بالأهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعاً من العبادات لا يقصر فضلها
 عن نوافل العبادات وإن كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك
 النكاح أفضل . فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وإن كان الأفضل التخلي
 لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج . فأقول أن الأفضل الجمع بينهما في حق
 من قدر ومن قوت متته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة
 وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة (١) متخلياً لعبادة الله وكان قضاء
 الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعاً لهم
 عن التدبير حتى يشتغلون في الظاهر قضاء الحاجة وقولهم مشغول بهمهم غير طافعة عن مهماتهم
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته لايمنه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى
 فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته (٢) ومضى سلم مثل هذا للنسب لغيره فلا يبعد أن
 يغير السواقي ما لا ينير البحر المحض فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره . وأما عيسى صلى الله عليه وسلم
 فانه أخذ بالحزم بالقبوة واحتاط لنفسه ولعل حاله كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل أو يتعذر

(١) حديث جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة من حديث أنس وله من حديثه أيضاً
 وهن إحدى عشرة (٢) حديث كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته من حديث أنس
 يأثم سلة لا تؤذي في عائشة فانه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها .

أخبرنا الشيخ أبو زرعة
 ابن الحافظ أبي الفضل
 محمد بن طاهر القندسي
 عن أبيه قال أنا
 أبو الفضل محمد بن
 عبد الله القرقي قال
 حدثنا أبو الحسن محمد
 ابن الحسين بن داود
 العمري قال حدثنا
 أبو حامد الحافظ قال
 حدثنا عباس بن محمد
 الدوري وأبو الأزهر
 قال حدثنا أبو داود قال
 ثنا سفيان عن
 الأوزعي عن يحيى بن
 أبي كثير عن أبي سلمة
 عن أبي هريرة أن النبي
 صلى الله عليه وسلم أتى
 بطعام وهو يمر
 الظهران فقال لأبي بكر
 وعمر كلا فقالا إنا
 صائمان فقال ارحلا
 لصاحبكما اصملا
 لصاحبكما ادنوا فكل
 يعني أنكما ضعفتا
 بالصوم عن الخدمة
 فاحتجبتا إلى من
 يخدمكما فكلوا واخدما
 أنفسكما فالخدم يحرم
 على حيازة الفضل

مها طلب الحلال أولاً يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فأثر التخلي للعبادة وم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم في طيب للكسب وأخلاق النساء وما على الناك من غوائل النكاح وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال منقسمة حتى يكون النكاح في بعضها أفضل وتركه في بعضها أفضل فحقتنا أن نترك أفعال الأنبياء على الأفضل في كل حال والله أعلم .

(الباب الثاني فيما يرامى حالة القعد من أحوال المرأة وشروط القعد)

أما القعد فأركانها وشروطه لينقد وفيه الحل أربعة : الأول إذن الولي فإن لم يكن فالسلطان . الثاني رضا المرأة إن كانت ثيباً بالنا أو كانت بكراً بالنا ولكن زوجها غير الأب والجدة . الثالث حضور شاهدين ظاهري المدالة فإن كانا مستورين حكماً بالانقضاء للحاجة . الرابع إيجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أو التزويج أو مناهها الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولي أو وكيلهما . وأما آداب تقديم الحطبة مع الولي لا في حال عدة للمرأة بل بعد انقضائها إن كانت معتدة ولا في حال سبق غيره بالحطبة إذ نهى عن الحطبة على الحطبة (١) ومن آداب الحطبة قبل النكاح ومزج التمجيد بالإيجاب والقبول فيقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحي على هذا الصداق وليكن الصداق معلوماً خفيفاً والتجديد قبل الحطبة أيضاً مستحب . ومن آدابه : أن يلقى أمر الزوج إلى مع الزوجة وإن كانت بكراً فذلك أحرى وأولى بالآفة ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فإنه أحرى أن يؤدب بينهما . ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين الذين هما ركنان للصحة ، ومنها أن ينوي بالنكاح إقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وسائر القوائد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من أعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن العزيز رحمه الله إذا وافق الحق الهوى فهو الزيد بالترسيان ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعاً معاً ويستحب أن يقصد في السجدة وفي شهر شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال (٢) . وأما النكوحه فيعتبر فيها نوعان : أحدهما للحل . والثاني لطيب المعيشة وحصول التماسد . النوع الأول ما يمتزجها للحل : وهو أن تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر : الأول أن تكون منكوحه للعير . الثاني أن تكون معتدة للعير سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة أو كانت في استبراء وطء عن ملك يمين . الثالث أن تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر . الرابع أن تكون مجوسية . الخامس أن تكون وثنية أو زنديقة لا تنسب إلى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الإباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتدة مذهباً فاسداً يحكم بكفر معتقده . السادس أن تكون كناية قد دانت بدينهم بعد التبديل أو بعد ميت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليس من نسب بني إسرائيل فإذا عمدت كلتا الحصلتين لم يحل نكاحها وإن عمدت النسب فقط فبها خلاف . السابع أن تكون رقيقة والنكاح حراً قادراً على طول الحرة أو غير خائف من العنت . الثامن أن تكون كلها أو بعضها مملوكاً فلنا كبح ملك يمين التاسع أن تكون قرية للزوج

(الباب الثاني فيما يرامى حالة القعد)

(١) حديث التي عن الحطبة على الحطبة متفق عليه من حديث ابن عمر ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الحطبة قبله وأبذله (٢) حديث عائشة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال م .

فيوصل بالكسب

تارة وبالاسترقاق

والدروزة تارة أخرى

وباستجلاب الوقف إلى

نفسه تارة لعله أنه قيم

بذلك صالح لإيصاله إلى

لوقوف عليهم ولا يبالى

أن يدخل في كل

ميدخل ليلزمه الشرع

لجائزة الفضل بالخدمة

وبرى الشيخ بنفوذ

البصيرة وقوة العلم أن

الاضاق يحتاج إلى علم

تام ومعاونة تخلص

النية عن شوائب

النفس والشهوة الخفية

ولو خلصت يتهتمارغب

في ذلك لوجود مراده

فيه وحاله ترك المراد

وإقامة مراد الحق .

أخيراً بوزعة إجازة

قال أنا أبو بكر أحمد بن

علي بن خلف إجازة

قال أنا الشيخ أبو

عبد الرحمن السلي

يقول سمعت محمد بن

الحسين بن الحشاش

يقول سمعت جعفر بن

محمد يقول سمعت

الجنيدي يقول سمعت

بأن تكون من أصوله أو أصول أول أصوله أو من أول فصل من كل أصل بعده أصل وأعني
 نأصول الأمهات والجندات وبفصوله الأولاد والأخضاد وبفصول أول أصوله الإخوة وأولادهم
 وبأول فصل من كل أصل بعده أصل العمات والخالات دون أولادهن . العاشر : أن تكون محرمة
 بالزناح ويحرم من الزناح ما يحرم من النسب من الأصول والفصول كسبوك ولكن الحرم خمس
 رضعات وما دون ذلك لا يحرم . الحادي عشر : الحرم بالمصاهرة وهو أن يكون النكاح قد نكح
 ابنتها أو جدتها أو ملك بقدر أو شبهة عقد [١] من قبل أو وطئها بالشبهة في عقد أو وطئ أمها
 أو إحدى جداتها بقدر أو شبهة عقد فجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ولا يحرم فروعهن إلا بالوطء
 أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنته قبل . الثاني عشر : أن تكون النكوة خلسة أي يكون تحت
 النكاح أربع سواها إما في نفس النكاح أو في عدة الرجعة فإن كانت في عدة ينبت على الحاشية .
 الثالث عشر : أن يكون تحت النكاح أختها أو عمها أو خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل
 شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يجز بينهما النكاح فلا يجوز أن يجمع
 بينهما . الرابع عشر : أن يكون هذا النكاح قد طلقها ثلاثا فهي لا تحل له مالم يطأها زوج
 غيره في نكاح صحيح . الخامس عشر : أن يكون النكاح قد لان عنها فانها تحرم عليه أبدا بعد
 اللعان . السادس عشر : أن تكون محرمة بنحو أو عمره أو كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح
 إلا بعد تمام التحلل . السابع عشر : أن تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ .
 الثامن عشر : أن تكون بتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ : التاسع عشر : أن تكون من
 أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها أو دخل بها فأنهن أمهات المؤمنين وذلك لا يوجد
 في زماننا فهذه هي ألوان المحرمة . أما الحاصل الطيبة العيش التي لابد من مراعاتها في المرأة ليديم العقد
 وتتوفر مقاصده ثمانية : الدين والخلق والحسن وخفة اللهر والولادة والبكارة والنسب وأن لا تكون
 قرا بقرية . الأولى أن تكون سالحة ذات دين فهذا هو الأصل وبه ينبغي أن يقع الاعتناء فانها إن
 كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها أزلت زوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة
 قلبه وتنقص بذلك عيشه فإن سلك سبيل الحجة والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وإن سلك سبيل التساهل
 كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحجة والأمانة وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها
 أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالتي جاء إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله إن لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها فقال إني أحبها قال
 أمسكها (١) وإنما أمره بإسكانها خوفا عليه بأنه إذا طلقها اتبعها نفسه وفسد هو أيضا معها
 فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع شيق قلبه أولى وإن كانت فاسدة الدين بإسلاك
 ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فإن سكت ولم ينكره كان شريكا في الخساسة مخالفا
 لقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - وإن أنكره وخصص تنقص العمر ولهذا بالغ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في التحريض على ذات الدين فقال « تسحيك للمرأة لئلا يهملها ويهملها وحسبها
 (١) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها
 الحديث د ن من حديث ابن عباس قال ن ليس ثابت والزمر أولي بالשובاب وقال أحمد حديث
 منكر وذكره ابن الجوزي في الوضوطة .

السري يقول أعرف
 طريقا غصصا قصدا
 إلى الجنة قفلت له باهو
 قال لا تسأل من أحد
 شيئا ولا تأخذ من أحد
 شيئا ولا يكن معك
 شيء تعطى منه أحدا
 شيئا والخدام يرى أن
 من طريق الجنة
 الخدمة والبذل والإيثار
 فيقدم الخدمة على
 التواضع ويرى فضلا
 وللخدمة فضل على
 النافعة التي يأتي بها
 العبد طالبا لها الثواب
 غير النافعة التي يتوخي
 بها صحة حاله مع الله
 تعالى لوجود قد
 قبل وعد . وما يدل
 على فضل الخدمة على
 النافعة ما أخبرنا
 أبو زرعة قال أخبرني
 والذي الحافظ للقدسي
 قال أنا أبو بكر محمد بن
 أحمد السمار
 بأصفهان قال أنا
 إبراهيم بن عبد الله
 ابن خريشد قال
 حدثنا الحسين بن
 إسماعيل الهاملي قال

[١] قوله أو ملك بقدر أو شبهة عقد ليس بنسخة الشارح وهو السواب لأن الملك ليس من
 المحرمات له .

ودينها فليكن بذات الدين تربت يداك^(١) وفي حديث آخر «من نكح المرأة لمالها وجملها حرم جمالها ومالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجملها^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «لا تنكح المرأة لمالها فقلل جمالها يرد بها ولا لمالها فقلل مالها يطعمها وانكح المرأة لهيبتها^(٣)» وإنما بالغ في الحديث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عوناً على الدين فأما إذا لم تكن متدينة كانت شائعة عن الدين ومشوشة له . الثانية حسن الخلق وذلك أصل مهم في طلب الفراغة والاستقامة على الدين فانها إذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة لئن كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يتعين به الأولياء قال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء متلاً أنانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا واحدة ولا راققة ولا شاذقة . أما الأنانة فهي التي تكرالأبين والتشكى وتصبر رأسها كل ساعة فتسكح للمرأة أو نكاح الباردة لاخبر فيه ، والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فلت لأجلك كذا وكذا ، والحنانة التي تمن على زوجها آخر أو ولدها من زوج آخر وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه ، والحداقة التي ترمى إلى كل شيء بحديثها فتشبهه وتكلف الزوج شراره ؛ والبراقة تحتمل معنيين أحدهما أن تكون طول التهاوى تفصيل وجهها وتزينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالصنع والثاني أن تنصب على الطعام فلا تأكل إلا لوحدها وتستغل نصيبها من كل شيء وهذه لغة عمانية يقولون رقت المرأة ورق السي الطعام إذا غضب عنده ، والشاذقة للثقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام «إن الله تعالى يفيض الترائين للتشدين^(٤)» وحكى أن السامع الأزدي لقي إلياس عليه السلام في سياحته فأمره بالترجوع ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربها المختلة للبارية والماهرة والتاجر ، فأما المختلة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب ، والبارية الباهية بغيرها للفاخرة بأسباب الدنيا ، والماهرة الفاسدة التي تعرف بخيل وخن وهي التي قال الله تعالى - ولا تتخذن أعداءن - والتاجر التي تعمل على زوجها بالفعال والقال والنشر العالي من الأرض ، وكان على رضى أفعنه يقول : شرخص الرجال خيرخصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها وإذا كانت مزهوة استكفت أن تنكح كل أحد بكلام لبن مرعب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بينها واثقت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحساكيات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في النكاح . الثالثة حسن الوجه فذلك أيضاً مطلوب إذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفى بالدسيمة غالباً كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يشتركان وما قلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لمالها ليس زاجراً عن رطاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح ويهون أمر الدين ويدل على الالتفات إلى

(١) حديث تنكح المرأة لمالها وجملها وحسبها ودينها فليكن بذات الدين متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث من نكح المرأة لمالها وجملها حرم مالها وجملها الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس من تزوج امرأة لمزها لم يرده الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يرده الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يرده الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يردها إلا أن يفيض بصره ويحسن فرجه أو يصل رحمه بآرك الله له فيها ويارك لها فيه ورواه حب في الصفاه (٣) حديث لا تنكح المرأة لمالها فقلل جمالها يرد بها . من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضيف (٤) حديث إن الله يفيض الترائين للتشدين وحسنه من حديث جابر وإن أنضمك إلى وأبعدكم من يوم القيامة الترائون وللتشدقون وللتضيقون ، ولأن داود والترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو إن الله يفيض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل البقرة بلسانها .

ثما أبو السائب قال
ثما أبو معاوية قال
ثما عاصم عن موري
عن أنس قال كنا مع
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنا الصائم
ومنا للفطر فقلنا منزلاً
في يوم حار شديد
الحرق فما من يتقى
الشمس يسده
وأكثرنا غلاماً صاحب
الكساء يستظل به
فنام الصائمون وقام
للفطرون فضربوا
الأبنة وسقوا الركاب
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «ذهب
للفطرون اليوم بالأجر»
وهذا حديث يدل على
فضل الخدمة على النافلة
والخادم له مقام عزيز
يرغب فيه فأما من
لم يعرف تخليص النية
من شوائب النفس
ويتشبه بالخدام
ويتصدي بخدمة
الفقراء ويدخل في
مداخل الخدام بحسن
الارادة يطلب التأسي
بالخدام فيصكون

معنى الجمال أن الألف واللوثة تحصل به غالباً وقد ندب التسرع إلى مراعاة أسباب الألفة وللهذا استحب النظر فقال «إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فليُنظر إليها فانه أخرى أن يؤدم بينهما» (١) أى يؤلف بينهما من وقوع الألفة على الأدمة وعلى الجبهة الباطنة والبشرة الجبهة الظاهرة وإعنا ذكر ذلك للبالغة في الاتلاف وقال عليه الصلاة والسلام «إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فليُنظر إليهن» (٢) قيل كان في أعينهم عشم وقيل صغر وكان بعض الورعين لا يتكلمون كرامتهم إلا بعد النظر احترازا من التورع وقال الأعمش كل تزويج يقع في غير نظر فأخبره ثم وغم ومعلوم أن النظر لا يعرف الحلق والدين واللال وإعنا يعرف الجمال من الصبح وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر رضى الله عنه وكان قد خُشب فحصل خضابه فاستمدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا حسبه شاب فأوجهه عمر ضربا وقال غررت القوم وروى أن بلالا وصيبا أتيا أهل بيت من العرب غطبا إليهم قيل لهما من أتا قال بلال أتا بلال وهذا أخى صبيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا بملوكين فأعقنا الله وكنا غائبين فأعانا الله فان تزوجنا فالجدة وإن تردونا فسيحان الله قالوا بل تزوجنا والجدة قال صبيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسواقينا مع رسول الله ﷺ قال اسكت فقد صدقت فأنسحك الصدق ، والترور يقع في الجمال والحلق جميعا فيستحب إزالة التورور في الجمال بالنظر وفي الحلق بالوصف والاستيعاف فينبى أن يقدم ذلك على النكاح ولا يوسف في أخلاقها وجعلها لإامن هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يليل إليها فيفترط في التناء ولا يهصدحها فيقصير الطباع مائلة في مبادئ النكاح ووصف للنكوحات إلى الإفراط والتفريط وقل من يصدق فيه يقتصد بل الحداد والاغراء أغلب والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التورع إلى غير زوجته . فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير النزل فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا وإن كان قديصين على الدين في حق بعض الأشخاص قال أبو سليمان الداراني الزهد في كل شئ حتى في المرأة يتزوج الرجل المجوز إشارة للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول بترك أحدكم أن يتزوج بنية فيؤجر فيها إن أطعما وكساهما تكون خيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يبنى أبناء الدنيا فتشهى عليه الشهوات وتقول كنى كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل من أعقلمها فقيل العوراء فقال زوجوني بإيها فهذا دأب من لم يقصد التمتع ، فأما من لا يأمن على دينه مالم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حسن للدين . وقد قيل إذا كانت المرأة حسنة خيرة الأخلاق سوداء الحدة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة زوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فان الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله - خيرات حسان - أراد بالخيرات حسنات الأخلاق وفي قوله - قاصرات الطرف - وفي قوله - عربا آربا - العروب هي العاشقة تزوجها للشهوة للوقوع به ثم اللذة والحور البياض والحوراء شديدة يابض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعيان الواسعة العين . وقال عليه الصلاة والسلام «خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب

خدمته مشوبة منها ما يصيب فيها لموضع إيمانه وحسن إرادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه من مزج الحموى فيضع الشيء في غير موضعه وقد يغمم بهواه في بعض تصرفاته ويغتم من لا يستحق الخدمة في بعض أوقاته ويجب المودة والتناء من الخلق مع ما يوجب من الثواب ورضا الله تعالى وربما خدم للتناء وربما امتنع من الخدمة لوجود هوى يغماره في حق من يلقاه بمكره ولا يراعى واجب الخدمة في طرف الرضا والتعصب لانحراف مزاج قلبه بوجود الحموى والحامد لا يتبع الحموى في الخدمة في الرضا والتعصب ولا يأخذ في الله لومة لائم وضع الشيء موضعه فلئن الشخص الذي وصفناه آثما متخادما وليس بخادم ولا يميز بين

(١) حديث إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فليُنظر إليها فانه أخرى أن يؤدم بينهما ابن ماجه بسند ضعيف من حديث أحمد بن مسعدة دون قوله فانه أخرى ولترمذى وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث الثوري بن شعبة أنه خطب امرأة قال التي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فانه أخرى أن يؤدم بينهما (٢) حديث إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فليُنظر إليهن مسلم من حديث أبي هريرة نحوه .

عنا حفظته في نفسها وماله^(١) » وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت حبة للزوج . الرابعة أن تكون خفيفة الهر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا^(٢) » وقد نهى عن اللقالة في الهر^(٣) . تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف^(٤) ، وأولم على بعض نسائه بمدين من شعر^(٥) وعلى أخرى بمدين من تمر ومدين من سوق^(٦) ، وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن اللقالة في الصداق ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم^(٧) . ولو كانت اللقالة بمهور النساء مكربة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم^(٨) وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أنى هريرة رضى الله عنه على درهمين ثم حملها هو إليه ليلا فأدخلها هومن الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به وفي الخبر « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رجوعها » أى الولادة « ويسر مهرها^(٩) » وقال أيضا « أبركهن أقلهن مهرا^(١٠) » وكان كرمه للثلاثة في الهر من جهة المرأة

(١) حديث خير نسايتكم إذا نظر إليها زوجها سرته وإن أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله النسائي من حديث أنى هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تخافه في نفسها ولا مالها وعند أحمد في نفسها وماله ولأبى داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٢) حديث خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا ابن جبان من حديث ابن عباس خبرهن أبسرهن صداقا وله من حديث عائشة من عن المرأة تسهل أمرها وقلة صداقها وروى أبو عمر التوفاني في كتاب معاشرته الأهلين إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وصححه (٣) حديث النهي عن اللقالة في الهر أصحاب السنن الأربعة موقوفة على عمر وصححه الترمذى (٤) حديث تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يدوجرة ووسادة من آدم حشوها ليف أبو داود الطيالسي والبخاري من حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البخاري وأبنته في موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورعى قيمته أربعون درهما ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث على لما تزوجه فاطمة بث معها غميعة ووسادة آدم حشوها ليف ورحلين وسقاء وجريتين ورواه الحاكم وصححه إسناده وابن جبان مختصرا (٥) حديث أولم على بعض نسائه بمدين من شعر البخاري من حديث عائشة (٦) حديث وأولم على أخرى بمدى تمر ومدى سوق الأربعة من حديث أنس أولم على ضيفة بسويق وتمر وسلم فبعل الرجل يجرى بفضل التمر وفصل السوق وفي الصحيحين التمر والأنط والسمن وليس في شيء من الأصول تقييد التمر والسويق بمدين (٧) حديث كان عمر ينهى عن اللقالة ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم الأربعة من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح (٨) حديث تزوج بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتزوجها خمسة دراهم روى البيهقي (٩) حديث من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رجوعها أى الولادة ويسر مهرها أحمد والبيهقي من حديث عائشة من عن المرأة أن تيسر خطبتها وأن تيسر صداقها وأن تيسر رجوعها قال عروة معنى الولادة وإسناده جيد (١٠) حديث أبركهن أقلهن مهرا أبو عمر التوفاني في معاشرته الأهلين من حديث عائشة إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وقد تقدم ولأحمد والبيهقي أن أعظم النساء بركة أبسرهن

الخادم وللخادم الإسلام له علم بصحة النيات وتخلصها من شوائب المعسرة وللخادم التجبيل يبلغ ثواب الخادم في كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخلفه من حاله بوجود مزج هواه وأما من أقيم لخدمة الفقراء بتسليم وقب إليه أو توفير رفق عليه وهو يخدم لئال يسيه أو حظ عاجل يدرك فهو في الخدمة لنفسه لا لغيره فلا تقطع رفته ما خدم وربما استخدم من يخدم فهو مع حظ نفسه يخدم من يخدمه ويحتاج إليه في المحافل يتكبره ويقم به جاه نفسه بكثرة الأتباع والأشباع فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرص نهاره وليه في تحصيل ما يقم به حاجه ويرضى نفسه وأهله وولده فيقتس في الدنيا ويتريأ بخير زى الخدام والفقراء وتكثر قسه

فيكره السؤال عن ملها من جهة الرجل ولا ينبغي أن ينكح طعما في المال قال الثوري إذا تزوج وقال أي شيء للمرأة فاعلم أنه ليس وإذا أهدي إليهم فلا ينبغي أن يهدي ليضطربوا إلى اللقابلة أكثر منه وكذلك إذا أهدوا إليه فنية طلب الزيادة تيفاسدة فأما التهادي فستحب وهو سبب الودة قال عليه السلام «تهادوا تحابوا» (١) وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى - ولا تعن تسكث - أي تعطى لطلب أكثر وتحت قوله تعالى - وما آتيتكم من ربا ليربو في أموال الناس - فإن الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وإن لم يكن في الأموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والتمار ويسد مقاصد النكاح . الخامسة أن تكون المرأة ولودا فإن عرفت بالقر فليست عن تزوجها قال عليه السلام «عليكم بالولود الودود» (٢) فإن لم يكن لها زوج لم يعرف حالها فإعي عنها وشبابها فإنها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين . السادسة أن تكون بكرًا قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا «هلا بكراتلعبها وتلاعبك» (٣) وفي البكرات ثلاث فوائد إحداها أن تحب الزوج وتلقه فيؤثر في معنى الود وقد قال ﷺ «عليكم بالودود» والطابع عجوبة على الأنس بأول ما لوف، وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فرميا لا ترضى ببعض الأوصاف التي تخالف ما لقتته فتقتل الزوج . الثانية أن ذلك أكل في مودته لها فإن الطبع ينفر عن التمسك غير الزوج تفرقا وذلك يقتل على الطبع مهما يذكر وبعض الطابع في هذا أشد شورا . الثالثة أنها لا تعن إلى الزوج الأول وآ كدالحب ما يقع مع الحبيب الأول غالبا : السابعة أن تكون نسية أغنى أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح فإنها تربي بناتها وبنيها فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والترية ولذلك قال عليه السلام «إياكم وخضراء الهمن قليل ما خضراء الهمن قال للمرأة الحسناء في اللبث السوء» (٤) وقال عليه السلام «تخبروا لنطقكم فإن العرق نزاع» (٥) . الثامنة أن لا تكون من القرابة القريبة فإن ذلك يقلل الشهوة قال صلى الله عليه وسلم «لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوي» (٦) أي تخفيا وذلك لتأثيره في تضييف الشهوة فإن الشهوة إنما تنبت بقوة الاحساس بالنظر والشمس وإنما يقوى الاحساس بالأمر الغريب الجديد فأما العمود الذي دام النظر إليه مدة فإنه يصفى الحس عن تمام إدراكه والتأثير به ولا تنبت به الشهوة فهذه هي الحاصل للرغبة في النساء ويجب على الولي أيضا أن يراعى خصال الزوج ولينظر لسكينة فلا تزوجها بمن ساء خلقه أو خلقه أضعف دينه أو قصر عن القيام بحقوقها أو كان لا يكافئها

صدقا وإسناده جيد (١) حديث تهادوا تحابوا البخاري في كتاب الأدب للقرن واليهيقي من حديث أبي هريرة بسند جيد (٢) حديث عليكم بالودود الودود أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود الودود وإسناده صحيح (٣) حديث قال لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكراتلعبها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر (٤) حديث إياكم وخضراء الهمن قليل وما خضراء الهمن قال المرأة الحسناء في اللبث السوء الدارقطني في الأفراد والرامهرمزي في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري قال الدارقطني فخره بالواقدي وهو ضعيف (٥) حديث تخبروا لنطقكم فإن العرق دساس ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فإن العرق وروي أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس وروي أبو موسى الديلمي في كتاب تنزييع العمرو الأيام من حديث ابن عمر وانظر في أي صواب تضع وملك فإن العرق دساس وكلامه ضعيف .

(٦) حديث لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوي قال ابن الصلاح لم أجده أصلا معتدا . قلت إنما يعرف من قول عمر إنه قال لآل السائب قد أخوتهم فأنكحوا في التواضع رواه إبراهيم الحارثي في غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الثرائب قال وقال اغربوا ولا تنكحوا .

بطلب المحظوظ ويستولى عليه حب الرياضة وكلما كثر رفته كثرت مواد هواه واستطاع على الفقراء ومحوج الفقراء إلى التعلق للفرط له طلبا لرضاء وتوقيا لفضحه وميله عليهم بقطع ما ينوبهم من الوقف فهذا أحسن حاله أن يسمى مستخدما فليس بخادم ولا متخدوم مع ذلك كله ربما نال برصهم باختياره خدمتهم على خدمة غيرهم وباتائه إليهم وقد أوردنا الخبر للسند الذين في سباقه هم القوم الذي لا يشقى بهم جليسهم والله للوفى وللمين .

[الباب الثاني عشر في شرح خرفة للشايخ الصوفي] ليس الحرقة رباطين الشيخ وبين للريد وتكلم من للريد لشيخ في نفسه والتحكم سائح في الصرع لصالح دنوية

في نسبا قال عليه السلام « النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمة ^(١) » والاحتياط في حقها أم لأنها رقيقة بالنكاح لاخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما أو فاسقا أو مبتدعا أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها ؟ قال عن يتي الله فان أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها وقال عليه السلام « من زوج كريمة من فاسق قد قطع رحمها ^(٢) » .

الباب الثالث : في آداب العاشرة وما يجرى في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة .

أما : الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اتى عشر أمرا في الولية والعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب في النشوز والوقائع والولادة والمفارقة بالطلاق . الأدب الأول الولية وهي مستحبة قال أنس رضي الله عنه « رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صفة فقال ماهذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولوبشة ^(٣) » وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بنت سويق ^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن مع مع الله به ^(٥) » ولم يرضه إلا زياد ابن عبد الله وهو غريب وتستحب تهنئته فيقول من دخل على الزوج : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير ^(٦) وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك ويستحب إظهار النكاح قال عليه السلام « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت ^(٧) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلنوا هذا النكاح واجملوه في الساجد واضربوا عليه بالدفوف ^(٨) » وعن الربيع بنت معوذ قالت « جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بني بى فجلس على فراش وجوريات لنا يضربن بدفهن ويندن من قتل من آتاني إلى أن قالت إحداهن * وفينا نبى يعلم ما في غد * فقال لها اسكني عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها ^(٩) » . الأدب الثاني : حسن الخلق معهن

(١) حديث النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمة رواه أبو عمر التوفاني في معاشره الأهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر . قال البيهقي وروى ذلك مرفوعا وللوقوف أصح (٢) حديث من زوج كريمة من فاسق قد قطع رحمها ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه في الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح .

(الباب الثالث في آداب العاشرة)

(٣) حديث أنس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال ماهذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو لبشة متفق عليه (٤) حديث أولم على صفية بسويق وتمر الأربعة من حديث أنس ولمسلم نحوه وقد تقدم (٥) حديث طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن مع مع الله به قال للصف لم يرضه إلا زياد بن عبد الله قلت هكذا قال الترمذي بعد أن أخرجه من حديث ابن مسعود ووضعه (٦) حديث أنى هرية في تهنئة الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وتقدم في الدعوات (٧) حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب (٨) حديث أعلنوا هذا النكاح واجملوه في الساجد واضربوا عليه بالدف الترمذي من حديث عائشة وحسنه ووضعه البيهقي (٩) حديث الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بني بى فجلس على فراش وجوريات لنا يضربن بدفوهن الحديث رواه البخاري وقال يوم بدر وقع في يسن نسخ الإحياء يوم بئث وهو وهم .

فإذا ينكر النكر
لبس الحرقة على طالب
صادق في طلبه يتقصد
شيخا يحسن ظن
وعقيد يحكمه في نفسه
لصالح دينه يرشده
ويهديه ويصرفه طريق
الواجب ويصره
بآفات النفوس وفساد
الأعمال ومداخل
الصدو فيسلم نفسه
إليه ويستسلم رأيه
واستصوابه في جميع
تصرفاته فيلبس الحرقة
إظهارا للتصرف فيه
فيكون لبس الحرقة
علامة التفضيل
والتسليم ودخوله في
حكم الشيخ دخوله
في حكم الله وحكم رسوله
وإحياء سنة البائبة
مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم . أخبرنا
أبو زرعة قال أخبرني
والذي الحافظ القدسي
قال أنا أبو الحسين
أحمد بن محمد البراد
قال أنا أحمد بن محمد
أخي ميمى قال ثنا يحيى
ابن محمد بن صاعد

واحتال الأذى منهم رحما عليهم لتصور عقلمن قال الله تعالى - وعاشروهن بالمعروف - وقال في تنظيمهن - وأخذن منكم ميثاقا غليظا - وقال - والصاحب الجنب - قيل هي المرأة «وأخر ماوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجعلن لسانه وخفي كلامه جعل يقول : الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكفونهم مالا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني أمراء أخذتوهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله (١) » وقال عليه السلام «من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلاءه ومن صبر على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون (٢) » . واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كلف الأذى عنها بل احتال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل (٣) وراحت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أترأينني بالكاء قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم تراجعه وهو خير منك (٤) فقال عمر خابت حفصة وخسرت إن راجعته ثم قال لحفصة لا تتري بأني عن أبي قحافة فاتها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من للراجعة وروى أنه دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال عليه السلام دعيا فانهن يصنعن أكثر من ذلك (٥) وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلها بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أنكلم قالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فطمها أبو بكر حتى دى فوها وقال بإعذبة نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا (٦) وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك نبي الله فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حملا وكما (٧)

(١) حديث آخر ماوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجعلن لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكفونهم مالا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم الحديث النساء في الكبرى وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في اللوت جعل يقول الصلاة وماملكت أيمانكم فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمدروف أن ذلك كان في حجة الوداع رواه مسلم من حديث جابر الطويل وفيه فالتقوا الله في النساء فانكم أخذتوهن بأمانة الله الحديث (٢) حديث من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلاءه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث كان أزواجه صلى الله عليه وسلم تراجعه الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل متفق عليه من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى - فان نظاهرا عليه - (٤) حديث وراحت امرأة عمر عمر في الكلام فقال أترأينني بالكاء قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم تراجعه وهو خير منك الحديث هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله بالكاء ولا قولها هو خير منك (٥) حديث دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم دعيا فانهن يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل (٦) حديث جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما الحديث الطبراني في الأوسط والحطيف في التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف (٧) حديث قالته عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذي تزعم أنك نبي فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديث عائشة وفيه ابن إسحاق وقد عننه .

قال ثنا عمرو بن علي ابن حفظة قال سمعت عبد الوهاب الثقفي يقول سمعت يحيى ابن سعيد يقول حدثني عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت قال أخبرني أبي عن أبيه قال «بإينارسل الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في السر واليسر والنشاط واللكر وأن لا تنازع الأمر أهله وأن تقول بالحق حيث كنا ولا تخافن الله لومة لائم» ففي الحرقه معنى البايعة والحرقه عتبة الدخول في الصبغة وللتصود الكلى هو الصبغة وبالصبغة يرعى المرید كل خير . وروى عن أبي زيد أنه قال من لم يكن له أستاذ فليامه الشيطان . وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق أنه قال الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير فارس

فانها تورق ولا شمر
وهو كاقال ويجوزها
شمر كالشجار التي
في الأودية والجبال
ولكن لا يكون
لقاكنها طعم فأكهة
البساتين والقرس إذا
قل من موضع إلى
موضع آخر يكون
أحسن حالا وأكثر
مرة لدخول التصرف
فيه وقد اعتبر الشرع
وجود التسليم في
الكلب للملم وأحل
مايقته بخلاف غير
الملم - وصحت كثيرا
من الشايخ يقولون من
لم يملحها لا يطلع ولنا
في رسول الله صلى الله
عليه وسلم أسوة حسنة
وأصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم تلقوا
المعلم والآداب من
رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما روى
عن بعض الصحابة
« علنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل شيء
حقا خراة » فالمريد
الصادق إذا دخل تحت

وكان يقول لها إني لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أهرج اسمك (١) ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها (٢) وكان يقول لها كنت لك كأي زرع لأمر زرع غير أني لأطلقك (٣) وكان يقول لنسائه « لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها (٤) » وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان (٥) . الثالث أن يزيد على احتمال الأذى بالمداغة والزح واللابة في التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يحجز معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في المدو فبقته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه السلام هذه تلك (٦) وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكها الناس مع نسائه (٧) وقالت عائشة رضي الله عنها « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ أعجبن أن ترى لهم ؟ قالت قلت نعم فأرسل إليهم فجادوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اليا بين فوضع كفه على الباب ومد يده وضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظروا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك قلت نعم فأشار إليهم فأنصرفوا (٨) » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وأطهرهم بأهله (٩) » وقال عليه السلام « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي (١٠) »

(١) حديث كان يقول لعائشة إني لأعرف غضبك من رضاك الحديث متفق عليه في حديثي .
(٢) حديث أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة الشبان من حديث عمرو بن العاص أنه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة الحديث وأما كونه أول فرواه ابن الجوزي في اللوضوعات من حديث أنس ولله أراد بالمدينة كما في الحديث الآخر أن ابن الزبير أول مولود ولد في الإسلام يريد بالمدينة وإلا لفضة النبي صلى الله عليه وسلم لحديقة أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة (٣) حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأي زرع لأمر زرع غير أني لأطلقك متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء ورواه هذه الزيادة الزبير بن بكار والحطيب (٤) حديث لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها البخاري من حديث عائشة (٥) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان مسلم بلفظ ما رأيت أحدا كان أرحم بالعبال من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على ابن عبد العزيز والبغوي والصبيان (٦) حديث مسابته صلى الله عليه وسلم لعائشة فبقته ثم سبقها وقال هذه تلك أبو داود والنسائي من الكبرى وابن ماجه في حديث عائشة بسند صحيح (٧) حديث كان من أفكها الناس مع نسائه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس قوله مع نسائه ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط قتال مع صفي في إسناد ابن أبي عمير (٨) حديث عائشة سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجبن أن ترى لهم الحديث متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وإنما قال يوم عيد ودون قولهم اسكت وفي رواية للنسائي في الكبرى . قلت لتسجل مرتين وفيه قال يا حمراء وسنده صحيح (٩) حديث كل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وأطهرهم بأهله الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال رواه ثقات على شرط الشيخين (١٠) حديث خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا خيركم لنسائي وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم.

وقال عمر رضي الله عنه مع خشوته ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ماعنده وجد رجلا . وقال لقمان رحمه الله ينبغي للعامل أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الجبر الروي « إن الله يفض الجمظري الجواظ (١) » قيل هو الشديد على أهله للتكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى عتَلَّ قيل العتَل هو القط اللسان الغليظ القلب على أهله . وقال عليه السلام لجابر « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك (٢) » ووصفت أعرابية زوجها وقد ماتت فقالت والله لقد كان ضحوكا إذا ولح سكتنا إذا خرج آكلا ما وجد غير مسائل عما قد . الرابع : أن لا يتسبط في العبادة وحسن الخلق والواقعة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيئته عندها بل يرى الاعتدال فيه فلا يبع الهية والاقباض معها رأى منكرا ولا يفتح باب للساعدة على التكرات ألينة بل معها رأى ما يخالف الشرع وللروة تتمر وامتنع قال الحسن والله ما أصبح رجل يطبع امرأته فيأبوى إلا كبه الله في النار . وقال عمر رضي الله عنه خالقوا النساء فأن في خلافتن البركة وقد قيل شاووهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام « تمس عبد الزوجة (٣) » وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد تمس فان الله ملكه للراءة فملكها نفسه قد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال - ولأمرنهم فليخرن خلق الله - إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد ملى الله الرجال قوامين على النساء ومضى الزوج سيدا فقال تعالى - وأتينا سيدها لى الباب - فإذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس الراءة على مثال نفسك إن أرسلت عنها قليلا جمعت بك طويلا وإن أرخيت عذارها قرأ جذبتك ذراعا وإن كبعها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها . قال الشافى رضي الله عنه : ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك للراءة والخادم والنبطى أراد به إن محضت الإكرام ولم تجز غلظك بلبك وقظاظتك برفقتك وكانت نساء العرب يملن بانهن اختبار الأزواج وكانت الراءة تقول لا تبنتها اختبرى زوجك قبل الإقدام والجراوة عليه ازعى زج رحمه فان سكت قطعى اللحم على نرسه فان سكت فكسرى العظام بسنه فان سكت فاجبى الا كاف على ظهره وامتنعه فانما هو حمارك وعلى الجلة فيالعدل قامت السموات والأرض فسكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبى أن تسلك سبيل الاقتصاد في الخالفة والواقعة وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والقاب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يستدل ذلك منهن إلا بنوع لطف بمزوج سياسة . وقال عليه السلام « مثل الراءة الصالحة في النساء كمثل التراب الأصعب بين مائة غراب (٤) » والأصعب بين الأبيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يابى اتق الراءة سوء فانها تشيك

(١) حديث إن الله يفض الجمظري الجواظ أبو بصكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنى هريرة بسند ضعيف وهو في الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزامى بلفظ ألا أخبركم بأهل النار كل عتَل جواظ مستكبر ولأبى داود لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجمظري (٢) حديث قال لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليهن حديثه وقد تقدم (٣) حديث تمس عبد الزوجة لم أقضه على أصل وللرؤف تمس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه البخارى من حديث أبى هريرة (٤) حديث مثل الراءة الصالحة في النساء كمثل التراب الأصعب من مائة غراب الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الطهران فاذا بفرغان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر اللقار فقال لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا التراب في هذه الترابان وإسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائى .

حكم الشيخ وصحة وتأوب بأدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن الريد كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن الريد ويكون مقال الشيخ مستودع فائس الحال وينقل الحال من الشيخ إلى الريد بواسطة الصعبة وسماج القال ولا يكون هذا إلا لريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفى في الشيخ يترك اختيار نفسه فيألف الإلهى يصير بين صاحب والصحاب استزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة القظرية ثم لا يزال الريد مع الشيخ كذلك متأدبا بترك الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى وبهم من الله كآكان منهم من الشيخ ومبدأ

قبل الشيب وانقشرا الفساء فأنهن لا يدعون إلى خير وكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام «استعينوا من القوافر الثلاث»^(١) «وعذمتن للرأء السوء فأنها للشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر»^(٢) «إن دخلت عليها سبتك وإن غبت عنها خاتك» وقد قال عليه السلام في خبرات النساء «إنكن صواحبات يوسف»^(٣) يعني إن صرفكن أباً بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق إلى الهوى وقال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما أي مالت وقال ذلك في خير أزواجه^(٤) وقال عليه السلام «لا يخلع قوم عليكم امرأة»^(٥) وقد زبر عمر رضي الله عنه امرأته لما راحته وقال ما أنت إلا لبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت فاذن فبين شر وفيه منصف فالسياسة والحشونة علاج الشر واللطاية والرحمة علاج الضعف فالطبيب الحاذق هو الذي يقدّر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل أولاً إلى أخلاقها بالتجربة ثم يعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها . الحاسي : الاعتدال في التيرة وهو أن لا يضافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في إسائة الظن والتعنّت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء^(٦) وفي لفظ آخر أن تبث النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء لئلا يغالقه رجلا فسبقا فرأى كل واحد في منزله ما يكره^(٧) وفي الخبر المشهور «الرأء كالضلع إن قومت كسرت قدمه تستمع به على عوج»^(٨) وهذا في تهذيب أخلاقها وقال عليه السلام «إن من التيرة غيرة يغضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية»^(٩) لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فإن بعض الظن إثم وقال صلى الله عليه وسلم لا تسكر التيرة على أهلك فترى بالسوء من أجلك وأما الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يبار للؤمن يبار وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن من محرم عليه»^(١٠) وقال عليه السلام «أعجبون من غيرة سعد أنا والله أغير منه والله أغير مني»^(١١)

(١) حديث استعينوا من القوافر الثلاث وعذمتن للرأء السوء فأنها للشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر إن دخلت عليها سبتك وإن غبت عنها خاتك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من القوافر وذكر منها امرأة إن حضرت أدتكم وإن غبت عنها خاتك وسنده حسن (٢) حديث إنكن صواحبات يوسف متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث زول قوله تعالى إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما في خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر والمرأتان عائشة وحفصة (٤) حديث لا يخلع قوم عليكم امرأة البخاري من حديث أبي بكره نحوه (٥) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء الطبراني في الأوسط من حديث جابر نهى أن تطلب عورات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى أن يطرق الرجل أهله لئلا يهونهم أو يطلب عوراتهم واقتصر البخاري منه على ذكر النهي عن الطروق لئلا (٦) حديث أنه قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا أهلكم لئلا يغالقه رجلا فسبقا فرأى كل واحد في بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد (٧) حديث للرأء كالضلع إن أردت قيمه كسرت الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث غيرة يغضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية أبو داود والنسائي وابن جابر من حديث جابر ابن عتيك (٩) حديث الله يبار للؤمن يبار وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن من محرم الله عليه متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري وللؤمن يبار (١٠) حديث أعجبون من غيرة سعد والله أنا أغير منه والله أغير مني الحديث متفق عليه من حديث للتيرة بن شعبة .

هذا الخبر كله الصعبة
واللازمة للشيوخ
والحرقة مقدفة ذلك
ووجه لبس الحرقة من
السنة ما أخبرنا الشيخ
أبو زرعة عن أبيه
الحافظ أبي الفضل
القدس قال أنا أبو بكر
أحمد بن علي بن خلف
الأديب النيسابوري
قال أنا الحاكم أبو
عبد الله محمد بن
عبد الله الحافظ قال
أنا محمد بن إسحاق قال
أنا أبو مسلم إبراهيم بن
عبد الله المصري قال
ثنا أبو الوليد قال ثنا
إسحاق بن سعيد قال
ثنا أبي قال حدثني
أم خالد بنت خالد قالت
«آتي النبي عليه السلام
بشباب فيها خمسة
سوداء صغيرة فقال
من زونا كسوهذه ؟
فكث القوم فقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتوني بأمر
خالد قالت فأتني
فألبسني يده فقال
أبلى وأخلق يقولها

ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش مظهر ومباطن ولا أحد أسب إليه العذر من الله ولذلك بعث للتدوين وللشعيرين ولا أحد أحب إليه الدخ من الله ولأجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبناؤه جارية قتلت لمن هذا القصر قليل لعمرك فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال عليك أغار يا رسول الله ^(١) » وكان الحسن يقول أتندعون نساءكم ليزاحن العلوج في الأسواق فبح الله من لا يفتار ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن من القيرة ما يحبه الله ومنها ما يبيضه الله ومن الحيلة ما يحبه الله ومنها ما يبيضه الله فأما القيرة التي يحبها الله فالقيرة في الرية والثيرة التي يبيضها الله فالقيرة في غرورية والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة والاختيال الذي يبيضه الله الاختيال في الباطن ^(٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأغيور وما من امرئ لا يفتار إلا منكوس القلب ^(٣) » والطريق للفتن عن القيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج إلى الأسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بنته فاطمة عليها السلام « أي شيء خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضعها إليه وقال ذرية بيضاء من بطن ^(٤) » فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله ^(ﷺ) يسدون الكوى والتقب في الحيطان ثلاثا تطلع النسوان إلى الرجال ورأى معاذ امرأته تطلع في الكوة فضر بها ورأى امرأته قد دفعت إلى غلامه فتاحه قد أكلت منها فضر بها وقال عمر رضي الله عنه أعروا النساء يلزمن الحجال وإنما قال ذلك لأنهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الزنة وقال عودوا نساءكم لا وكان قد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور المسجد ^(٥) والصواب الآن للنسوة إلا البنازيل استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها : لو علم النبي ^(ﷺ) ما أحدثت النساء بعده لمتنهن من الخروج ^(٦) . ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لمتنهن فضر به وغضب عليه وقال تسمعن أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى ^(٧) » وإنما استجرا على المخالفة لعله بتغير الزمان وإنما غضب عليه

(١) حديث رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبناؤه جارية قتلت لمن هذا القصر قليل لعمرك الحديث متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بي ولم يذكر الجارية وذكر الجارية في حديث آخر متفق عليه من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيتني في الجنة الحديث (٢) حديث إن من القيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبيضه الله تعالى الحديث أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر بن عتيك وهو الذي تقدم قبله بأربعة أحاديث (٣) حديث إني لغيور وما من امرئ لا يفتار إلا منكوس القلب تقدم أوله وأما آخره فرواه أبو عمر التوفاني في كتاب معاشر الأهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلا والظاهر أنه عبد الله بن الحنفية (٤) حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بنته فاطمة أي شيء خير للمرأة فقالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضعها إليه الحديث (٥) حديث طي بسند ضعيف (٦) حديث قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لمتنهن من الخروج متفق عليه من حديث ابن عمر أئذذوا النساء بالليل إلى المساجد (٧) حديث قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لمتنهن من الخروج متفق عليه قال البخاري لمتنهن من المساجد (٧) حديث ابن عمر لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله الحديث متفق عليه .

[١] بهامش النسخة الصحيحة : قلت وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما خير للنساء فلم ندر ما قول فصار على فاطمة فأخبرها بذلك فقالت فهل قلت له خير لي أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال فرجع فأخبره بذلك فقال لمن علك هذا قال فاطمة قال إنها بضعة مني .

مرتين وجعل ينظر إلى علم في الخيمة أصغر وأحمر ويقول يا أم خالد هذا سناء . والسناء هو الحسن بلسان الحبشة ولا يخاف أن لبس الحرقرة على الهيئة التي تمتلئها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وأصله من الحديث ماروينا والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذي ذكرناه وأى اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم أتم وأكثر من الاقتداء به في دعاء الخلق إلى الحق وقد ذكر الله تعالى في كلامه التقديم تحكيم الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكيم للريد شيخه إحياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى - فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك

لإطلاعه اللفظ بالخاتمة ظاهراً من غير إظهار العذرة وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن لمن في الأعياد خاصة أن يخرج من البيت ولكن لا يخرج إلا برضا أزواجهن والخروج الآن مباح للمرأة الضعيفة برضا زوجها ولكن التعمد أسلم وينبغي أن لا يخرج إلا للمهم فإن الخروج للظنارات والأمور التي ليست مهمة تنقض في الرودة وربما تنقض إلى التصاد فإذا خرجت فينبغي أن تقض بصرها عن الرجال ، ولنا قول إن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حقها عورة كوجه الصبي الأمر في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة قطع فإن لم تكن فتنة فلا يذم يزل الرجال على عمر الزمان مكشوف في الوجوه والنساء يخرجن متقبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالتقبت أو منعن من الخروج إلا لفروسة . السادس : الاعتدال في الفتنة فلا ينبغي أن يفتقر عليهن في الاتفاق ولا ينبغي أن يسرف بل يقتصد قال تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقد قال رسول الله ﷺ « خيركم خيركم لأهله » وقال صلى الله عليه وسلم « دينار أفقته في سبيل الله ودينار أفقته في رقية ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أفقته على أهلي أعظمها أجراً الذي أفقته على أهلي » وقيل كان لعلي رضي الله عنه أربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحماً بدينار ، وقال الحسن رضي الله عنه كانوا في الرجال عاصيب وفي الأناث واليتامى عجايب وقال ابن سيرين يستحب للرجل أن يعمل لأهله في كل جمعة فالوعدة وكان الحلاوة وإن لم تكن من اللهايات ولكن تركها بالكلية فتتبر في العادة وينبغي أن يأمرها بالتصدق بقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا أقل درجات الخير للمرأة أن تعمل ذلك بحكم الحاكم من غير صريح إذن من الزوج ولا ينبغي أن يتأثر عن أهله بما كوله طبيب فلا يطعمهم منه فإن ذلك مما يوغر الصدور ويعد عن الطائفة بالمعروف فإن كان مزماً على ذلك فليأكله غنيفة بحيث لا يعرف أهله ولا ينبغي أن يصف عندهم طعاماً ليس يريد إطعامهم إياه وإذا أكل فقعد العيال كلهم على مائدته فقد قال سفيان رضي الله عنه بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة وأهم ما يجب عليه مراعاته في الإنفاق أن يطعمهم من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لأجلها فإن ذلك جناية عليها لامرأته لها وقد أوردنا الأخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح . السابع : أن يتعلم الزوج من علم الحيف وأحكامه ما يحترزه به الاحتراز الواجب ويسلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيف وما لا يقضى فانه أمر بأن يشبه النار بقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - فليعلم أن يلقنها اعتقاد أهل السنة وزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها وغوفها في الله إن تساهلت في أمر الدين وصلها من أحكام الحيف والاستحاضة ما تحتاج إليه وعلم الاستحاضة يطول فأما الذي لا بد من إرشاد النساء إليه في أمر الحيف بيان الصلوات التي تقضى فاتها ما تقطع دمه قيل للرب بمقدار ركة فليها قضاء الظهر والعصر وإذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركة فليها قضاء للغرب والعشاء وهذا أقل ما يراعيه النساء فإن كان الرجل قاعاً بطلما فليس لها الخروج لسؤال العلماء وإن قصر علم الرجل ولكن تاب عنها في السؤال فأخبرها بجواب للفق فليس لها الخروج فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك وبعض الرجل يتعها ومهما طلعت ماهو من الترافض عليها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تلم فذل إلا برضا

(١) حديث الإذن لمن في الخروج في الأعياد متفق عليه من حديث أم عطية (٢) حديث خيركم خيركم لأهله الترمذي من حديث عائشة وصححه وقد تقدم (٣) حديث دينار أفقته في سبيل الله ودينار أفقته في رقية ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أفقته على أهلي أعظمها أجراً الدينار الذي أفقته على أهلي مسلم من حديث أبي هريرة .

فما شجر بينهم ثم لا يجسدا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلوا تسلياً وسبب نزول هذه الآية « أن الزبير بن العوام رضى الله عنه اختصم هو وآخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرمة والشراج مسبل للماء كانا يسقيان به النخل فقال النبي عليه الصلاة والسلام للزبير : اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك ، فضرب الرجل وقال قضي رسول الله لابن عمته » فأزله تعالى هذه الآية يعلم فيها الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط عليهم في الآية التسليم وهو الاحتيار ظاهراً ونظراً وهو الاحتياط باطناً وهذا شرط للربيع الشيخ بعد التحكيم فليس الحرقة زيل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه ويحذر

ومهما أهملت المرأة حكماً من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يمسها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الآم - الثامن - إذا كان له نسوة فبينهن أن يبدل بينهما ولا يميل إلى بضعهن فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أقرع بينهما (١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ظلم امرأة بليتها قضى لها فإن القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام التسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له امرأتان فمال إلى إحداها دون الأخرى وفي لفظ ولم يبدل بينهما يوم القيامة وأحدشيه مائل (٢) » وإنما عليه العدل في العطاء والليت وأما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى - ولن تستطيعوا أن تعدوا بين النساء ولو حرصتم - أي لا تعدوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول: اللهم هذا جهدي فبأملك ولا طاعة لي فبأملك ولا أملك (٣) » يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نساءه إليه (٤) وسائر نساءه يعرفن ذلك « وكان يظاف به محمولا في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول: أين أنا غدا تقطعت فذلك امرأة منهن قالت يا عباس هل يوم غدا تقطعت فبأننا رسول الله قد أخذنا لك أن تكون في بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تعمل في كل ليلة فقال وقد رضيته بذلك فقال نعم قال فمحلوني إلى بيت عائشة (٥) » ومهما وهبت واحدة ليتها لصاحبها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساءه قصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليتها لعائشة وسأله أن يقرها على الزوجية حتى تحمر في زمرة نساءه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ولتين وسائر أزواجه ليلية (٦) ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عمله وقوته كان إذا تناقت نساءه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها فجاءها طاف في يومه وأوليته على سائر نساءه فن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نساءه في ليلة واحدة (٧) وعن أنس أنه عليه السلام

(١) حديث القرعة بين أزواجه إذا أراد سفرًا متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من كان له امرأتان فمال إلى إحداها دون الأخرى وفي لفظ آخر لم يبدل بينهما جاء يوم القيامة وأحدشيه مائل أصحاب السنن وابن جبان من حديث أبي هريرة قال أبو داود وابن جبان قال مع أحدهما وقال الترمذي فلم يبدل بينهما (٣) حديث كان يبدل بينهما ويقول اللهم هذا جهدي فبأملك ولا طاعة لي فبأملك ولا أملك أصحاب السنن وابن جبان من حديث عائشة نحوه (٤) حديث كانت عائشة أحب نساءه إليه متفق عليه من حديث عمرو بن الماص أنه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة وقد تقدم (٥) حديث كان يظاف به محمولا في مرضه كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول أين أنا غدا الحديث ابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي ﷺ كان يعمل في ثوب يظاف به على نساءه وهو مريض يقسم بينهما وفي مرسل آخره لما نقل قال ابن أنس غدا قالوا عند فلانة قال فأن أنابعد قالوا عند فلانة فرف أزواجه أنه يريد عائشة الحديث والبخاري من حديث عائشة كان يسأل في مرضه الذي مات فيه أين أنا غدا أين أنا غدا يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء وفي الصحيحين لما نقل استأذن أزواجه أن يعرض في بيت فأذن له (٦) حديث كان يقسم بين نساءه قصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليتها لعائشة الحديث أبو داود من حديث عائشة قالت سودة حين أسئت وفرقت أن يفرقتها رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله يومي لعائشة الحديث والطبراني فأراد أن يفرقتها وهو عند البخاري بلطف لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها يوم سودة ولييهي مرسلًا طلق سودة قالت أريد أن أحضر في أزواجك الحديث (٧) حديث عائشة طاف على نساءه في ليلة واحدة متفق عليه بلطف كنت أطيب رسول الله

الاعتراض على الشيخ

فانه السام القائل للربدين

وقل أن يكون للربدين

يترضى على الشيخ بإطاعته

فيلغ ويذكر للربدين

في كل ما أشكل عليه

من تصارييف الشيخ

قصة موسى مع الحضرة

عليه السلام كيف كان

يصدر من الحضرة

تصارييف ينكرها

موسى ثم لما كشف

له عن معناها بان

لموسى وجه الصواب

في ذلك فهكذا ينبغي

للمريد أن يعلم أن كل

تصرف أشكل عليه

صحته من الشيخ

عند الشيخ فيه بيان

وبرهان للصحة وبد

الشيخ في لبس الخرقه

تتوب عن يد رسول

الله صلى الله عليه وسلم

وتسلم للربذه تسليم

فه ورسوله قال الله

تعالى - إن الذين

يأبونك أنما يابون

الله يداه فوق أيديهم

فمن نكث فإني نكث

على نفسه - ويأخذ

طاف على تسع نساء في ضحوة نهار^(١) ، التاسع في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلبثم أمرهما فان كان من جانبها جيبا أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدح في إصلاحها فلا بد من حكمين أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما - إن يريد إصلاحا يوفى الله بينهما - وقد بعث عمر رضي الله عنه حكما إلى زوجين فساد ولم يصلح أمرهما فله بالرة وقال إن الله تعالى يقول - إن يريد إصلاحا يوفى الله بينهما - فساد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما وأما إذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء - فله أن يؤديها ويعملها على الطاعة قهرا وكذا إذا كانت تاركة للصلاة قهرا حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغي أن يتدرج في تأديبها وهو أن يقدم أولا الوعظ والتخويف فان لم ينفع ولاها ظهره في الضجج أو انفردها عنها بالفرش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال فان لم ينفع ذلك فيها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدي لها جبا ولا يضرب وجهها فذلك منتهى عنه وقد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما حق للمرأة على الرجل» قال بطعمها إذا طعم وكسوها إذا اكتسى ولا يبيع الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت^(٢) - وله أن يضرب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر فصل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أرسل إلى زينب هدية فردتها عليه فقالت له اتق هو في بيتها قد أقانك إذ ردت عليك هديتك^(٣) أي أدلتك واستغفرتك فقال صلى الله عليه وسلم : «أنقأهون على الله أن تفتني ثم غضب عليهن كلهن شهرا إلى أن عاد إليهن . العاشر : في آداب الجماع ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد أولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله الملى العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من سلبى وقال عليه السلام : «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا» فان كان بينهما ولم يضره الشيطان^(٤) - وإذا قربت من الإزال قل في نفسك ولا تحرك شفتيك - الحمد لله الذى خلق من لاء بشرى - الآية وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته ثم ينصرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة الواقعة إكراما للقبلة ولينطق نفسه وأهله شوب «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطى رأسه ويضض صوته ويقول للمرأة : عليك بالسكينة^(٥)» وفي الخبر «إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد الميرين^(٦)» أي الحارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبل

صلى الله عليه وسلم فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينزع طيبا (١) حديث أخر أنه طاف على تسع نساء في ضحوة نهار ابن عدى في الكامل والبخارى كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نساء (٢) حديث قيل له ما حق للمرأة على الرجل فقال بطعمها إذا طعم وكسوها إذا اكتسى ولا يبيع الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يبيع ولا يبدد أبو داود ولا تصح الوجه ولا تضرب (٣) حديث هجره صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا لما أرسل هدية إلى زينب فردتها فقالت له اتق هو في بيتها قد أقانك الحديث ذكره ابن الجوزي في الوفاء بغير إسناد وفي الصحيحين من حديث عمر كان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن وفي رواية من حديث جابر ثم اعتزلن شهرا (٤) حديث لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث كان يغطى رأسه ويضض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردان تجرد الميرين ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف .

الشيخ على الريد
عهد الوفاء بسرائط
الحرة ومرفه حقوق
الحرة فالشيخ للريد
صورة يستشف الريد
من وراء هذا الصورة
للطالبات الإلهية
وللراضى النبوية
ويستند للريد أن
الشيخ باب فتحة الله
تعالى إلى جناب كرمه
منه يدخل وإليه يرجع
وينزل بالشيخ وسواحه
ومهامه الدينية
والدنيوية ويستند أن
الشيخ ينزل بالله
الصكرم ما ينزل
الريد به ويرجع في
ذلك إلى الله للريد كما
يرجع الريد إليه
والشيخ باب مفتوح
من السكينة والمحادثة
في النوم واليقظة فلا
يصرف الشيخ في
الريد به فوه أمانة
الله عنده ويستثبت
إلى الله بمواجيب الريد
كما يستثبت بمواجيب
تقومهم دينه ودنياه
قال الله تعالى - وما كان

قال صلى الله عليه وسلم «لا يمتن أحدكم على امرأته كما تنفع البهيمة وليكن بينهما رسول قبل وما الرسول يارسول الله قال التبة والكلام^(١)» وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه والثاني أن يكبره أحد فيرد عليه كرامته والثالث أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدها ويؤانسها ويضاجها فيفقد حاجته منها قبل أن تنقض حاجتها منه^(٢) ويكره له الجماع في ثلاث لا يلمن الشر الأول والأخر والتصف يقال إن الشيطان يحضر الجماع في هذه الآليات وقال إن الشياطين يجامعون فيها وروى كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليتبعه تحقيقاً لأحد التابويلين من قوله صلى الله عليه وسلم «رحم الله من غسل واغتسل^(٣)» الحديث ثم إذا قضى وطره فليتصهل على أهله حتى تنقض هي أيضاً نهيها فإن إزالها ربما تأخر فيرجع شهوتها ثم القعود عنها إضفاء لها والاختلاف في طبع الأزال يوجب التنازع مهما كان الزوج ساجداً إلى الإزال والتوافق في وقت الإزال الله عندها ليستنفل الرجل بنفسه عنها فإثباتها تستحي وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل إذ عدد النساء أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد ، ثم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصن فإن تحصينها واجب عليه وإن كان لا يثبت للطالبة بالوطء فذلك لسر اللطابة والوفاء بها ولا يأتيها في الحيض ولا بعد انقضائه وقبل التسليم فهو محرم بنص الكتاب وقيل إن ذلك يورث الجذام في الوالد وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير اللآتي إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى والأذى في غير اللآتي دائم فهو أشد تحريراً من إتيان الحائض وقوله تعالى - فأتوا حرشكم أن يثتم - أي أي وقت ثتمت وله أن يستمتع بيدها وأن يستمتع بما تحت الأزار بما يشتهي سوى الوقوع وينبغي أن تنزل المرأة بأزار من حقوها إلى فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الأدب وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها في اللصاجة وغيرها وليس عليه اجتنابها وإن أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى فليستل فرجه أولاً وإن احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يبول ويكره الجماع في أول الليل حتى لا ينام في غير طهارة فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولاً وضوء الصلاة فذلك سنة قال ابن عمر «قلت لثي صلى الله عليه وسلم : أيتام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ^(٤)» ولكن قد وردت في رخصة قلت عائشة رضي الله عنها «كان النبي ﷺ ينام جنباً لم يس ماء^(٥)» ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجهه فراشه أو لينفضه فانه لا يدري ما حدث عليه بعده ولا ينبغي أن يحلق أو يقلم أو يستعد أو يخرج الدم أو يبين من نفسه جزءاً وهو جنب إذ ترد إليسا أجزائه في الآخرة فيعود جنباً ويقال إن كل شعرة تطالعه يجنابها ومن الآداب أن لا يعزل بل لا يسرح إلا إلى محل الحرث وهو الرحم فمن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كاتنة^(٦) هكذا قال رسول الله ﷺ فان عزل قد اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربع مذاهب فمن ميسر

ليشأن بكلمه الله إلا
وحياؤهم ورواء حجاب
أو يرسل رسولاً -
فإرساله الرسول يخص
بالأنبياء والوحي كذلك
والكلام من وراء
حجاب بالإمام والمواظف
ولتام وغير ذلك
للشيوخ والراخين
في السلم . واعلم أن
للريدين مع الشيوخ
أدوان ارتضاع وأدوان
فظام وقد سبق شرح
الولادة للنفوة فأوان
الارتضاع أدوان لزوم
الصعبة والشخ يعلم
وقت ذلك فلا ينبغي
للريد أن يفارق
الشيخ إلا بإذنه قال
الله تعالى تأدياً للامتة -
إنما للمؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله وإذا
كانوا معه على أمر
جامع لم يلهوا حتى
يستأذنوه إن الدين
يستأذنونك أولئك
الذين يؤمنون بالله
ورسوله فإذا استأذنوك
لبعض شأنهم فأذن
لن شئت منهم - وأى

(١) حديث لا يمتن أحدكم على امرأته كما تنفع البهيمة الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر (٢) حديث ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أنس من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو بعض الحديث الذي قبله (٣) حديث رحم الله من غسل واغتسل تقدم في الباب الخامس من الصلاة (٤) حديث ابن عمر قلت لثي صلى الله عليه وسلم أيتام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ متفق عليه من حديث أن عمر سأل لأن عبد الله هو السائل (٥) حديث عائشة كان جنباً لم يس ماء أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال يزيد بن هارون إنه وهم وهمل البيهقي عن الحفاظ الطن في قال وهو صحيح من جهة الرواية (٦) حديث ما من نسمة قدر الله كونها إلا وهي كاتنة متفق عليه من حديث أبي سعيد .

مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قاتل محل برضاها ولا محل دون رضاها وكأن هذا القاتل محرم الإيذاء دون العزل ومن قاتل يباح في الملوكة دون الحرية والصحيح عندنا أن ذلك مباح وأما الكراهية فاتها تطلق تهي التحريم وتهي التنزيه ولترك القضية فهو مكروه بالمعنى الثالث أى فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في السجد أن يقدم فارغا لا يشتغل بذكر أو صلاة ويكره الحاضر في مكة مقبها أن لا يخرج كل سنة ولرأده الكراهية ترك الأولى والقضية قسط وهذا ثابتا بيناه من القضية في الولد ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليجماع أهله فيكتبه بجماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله قتل (١) » وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسيب إليه مع أن الله تعالى خلقه وعييه ومقويه على الجهاد والقتى إليه من التسيب فقد ضده وهو الواقع وذلك عند الإنماء في الرحم وإنما قلنا لا كراهية بمعنى التحريم والتنزيه لأن إثبات التهي إنما يمكن بنص أوقباس على منصوص ولا نص ولا أصل قياس عليه بل ههنا أصل قياس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإجماع فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب تهي ولا فرق إذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها أربعة أسباب النكاح ثم الوقوع ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع ثم الوقوف لينصب النطفة في الرحم وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالأول وليس هذا كالأجهاض والوادة لأن ذلك جناية على موجود حاصل وله أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتغلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية فإن صارت مضفة وعقطة كانت الجناية أفضى وإن تقع فيه الروح واستوتب الحلقة ازدادت الجناية فتاحشا ومتنبها التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيوا وإنما قلنا مبدا سبب الوجود من حيث وقوع النطفة في الرحم لا من حيث الخروج من الإحليل لأن الولد لا يتخلق من من الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إمامن مائه ومائها أو من مائه ودم الحيف قال بعض أهل التشريح إن لفضة تخلق بتقديره من دم الحيف وإن الدم منها كاللبن من الرائب وإن النطفة من الرجل شرط في خنود دم الحيف وانقاده كالإنفحة للبن إذ بها ينضج الرائب وكيفما كان فإء المرأة ركن في الانقاده فيجرى لما آن جرى الإيجاب والقبول في الوجود الحكمى في العتود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما أن النطفة في القفار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل ما لم يترج بماء المرأة أو دمها فهذا هو القياس الجلى . فان قلت فإن لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباطنة عليه إذ لا يمت عليه إلا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الحفى . فأقول النيات الباطنة عن العزل خمس : الأولى في السرارى وهو حفظ للذك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الاعتناق ودفع أسبابه ليس ينهى عنه . الثانية استبقاء جمال المرأة ومنها لدوام القتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا أيضا ليس منها عنه . الثالثة الخوف من كثرة الخروج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا أيضا غير منهى عنه فان قلت الخارج معين على الدين ، نعم الكمال والقضل في التوكل والثقة بضعان الله حيث قال - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - ولا جرم في سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل ولكن النظر إلى المواقب وحفظ المال وإدخاره مع كونه منافقا للتوكل لا نقول إنه منهى عنه . الرابعة الخوف من الأولاد الإناث لما يعتقد في تزويجهم من اللعرة كما كانت من عادة

(١) حديث إن الرجل ليجماع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله لما جده أصلا .

أمر جامع أعظم من
أمر الدين فلا يأذن
الشيخ للمريد في
المقارعة إلا بعد عليه بأن
أنه لو أن الفطام وأنه
يقدر أن يستقل بنفسه
واستقله بنفسه أن
يختلج له باب الفهم من
الله تعالى فإذا بلغ المريد
رتبة إنزال الحوائج
والمهام بالله والقهم من
الله تعالى بصر فاته
وتبنياته سبحانه
وتعالى لبعده السائل
الاحتجاج فقد بلغ أو أن
فطامه متى فارق قبل
أو أن الفطام يناله من
الإعلاء في الطريق
بالرجوع إلى الدنيا
ومتابعة الهوى ما ينال
القطوم لتبر أو أنه في
الولادة الطبيعية وهذا
التلازم مسجبة للشيخ
للمريد الحقيقي والمريد
الحقيقى ليس خرفة
الإرادة . واعلم أن
الخرفة خرفتان خرفة
الإرادة وخرفة التبرك
والأصل الذى قصده
الشيخ للمريد بن خرفة

العرب في قتلهم الإناث فهذه فاسدة لترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أمهمها لا يترك النكاح والوطء فكذا في العزل والفساد في اعتقاد للعة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد ونزل منزلة أمر أتت ترك النكاح استنكافاً من أن يملوها رجل فكانت تنقبه بالرجال ولا ترجع الكراهة إلى عين ترك النكاح . الخامسة أن تمتنع المرأة عن زهاو ما انتهت في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الجوارج لما انتهت في استعمال اللبائس حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الحلاء إلا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو الفساد دون منع الولادة . فان قلت فقد قال النبي ﷺ « من ترك النكاح عفاة العيال فليس منا ثلاثاً (١) » . قلت فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا أي ليس مما وافقنا على سنتنا وطريقتنا سنتنا فعل الأفضل . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم في العزل « ذاك الوأد الحفي وقرأ وإذا للوودة سلت (٢) » وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح أيضاً اختيار صحيحه (٣) في الإباحة وقوله الوأد الحفي كقوله الشرك الحفي وذلك يوجب كراهة لا تحريم . فان قلت فقد قال ابن عباس العزل هو الوأد الأصفر فان المنوع وجوده به هو للوودة الصغرى . قلنا هذا قياس منه دفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك أنكره عليه رضي الله عنه لما سمع قال ولا تكون موودة إلا بدمسح أي بعد الأخرى سبعة أطوار وتلا الآية الواردة في أطوار الحلقمة وهي قوله تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين - إلى قوله ثم أنشأناه خلقاً آخر - أي نخفنا فيه الروح ، ثم تلا قوله تعالى في الآية - وإذا للوودة سلت وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب على وابن عباس رضي الله عنهما في القوص على المعاني ودرك العلوم كيف وفي التلق على في الصحيحين عن جابر أنه قال « كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل » وفي لفظ آخر « كنا نزل فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا (٤) » وفيه أيضاً عن جابر أنه قال « إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنني جاريته خادمنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال عليه الصلاة والسلام اعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل يسجل ماشاء الله ثم أتاه فقال إن الجارية قد حملت فقال قد قلت سيأتيها ما قدر لها (٥) » كل ذلك في الصحيحين . الحادي عشر : في آداب الولادة وهي خمسة : الأول أن لا يكثر فرسه بالذكر وحزنه بالأش فإنه لا يدرى الحيرة له في أيهما فكم من صاحب ابن يتعنى أن لا يكون له أوتيتي أن يكون بنتاً بل السلامة منهن أكرهوا الثواب فيهن أجزل

(١) حديث من ترك النكاح عفاة العيال فليس منا تقدم في أوائل النكاح (٢) حديث قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الوأد الحفي مسلم من حديث جذامة بنت وهب (٣) حديث أحاديث إباحة العزل مسلم من حديث أبي سعيد أنهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لا تضاموه ورواه النسائي من حديث أبي صرمة وللشيخين من حديث جابر كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وللنسائي من حديث أبي هريرة سئل عن العزل قيل اليهود تزعم أنها للوودة الصغرى فقال كذبت يهود . قال البيهقي رواية الإباحة أكثر وأحفظ (٤) حديث جابر للتلق على في الصحيحين كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا هو كما ذكر متفق عليه إلا أن قوله فلم ينهنا اُخذ بها مسلم (٥) حديث جابر أن رجلاً أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال إنني جاريته خادمنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت الحديث ذكر الصنف أنه في الصحيحين وليس كذلك وإنما اُخذ به مسلم .

الإرادة وخرقة التبرك
تسبه بخرقة الإرادة
فخرقة الإرادة للعباد
الحقيقي وخرقة التبرك
للمتسبه ومن تسبه
يقوم فهو منهم وسر
الخرقة أن الطالب
الصادق إذا دخل في
صحبة الشيخ وسلم
نفسه وصار كالولد
الصغير مع الوالد يريه
الشيخ بعلم السمتد
من الله تعالى يصدق
الافتقار وحسن
الاستقامة ويكون
للشيخ بنفوذ بصيرته
الإشراف على البواطن
قد يكون للريد
لبس الحشن ككتاب
للتقشفين للزهدين
وله في تلك الهيئة
من اللبوس هوى
كامن في نفسه ليرى
بين الزهادة فأشد
ما عليه لبس الناعم
وللبس هوى واختيار
في هيئة مخصوصة من
اللبوس في قصر
الكبر والذيل وطوله
وخشوته ونفوسه على

قال صلى الله عليه وسلم «من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاها وأسبح عليها من النعمة التي أسبح الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة» (١) وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامن أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبته إلا أدخلته الجنة» (٢) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبته كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» (٣) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشتري شيئا فحمله إلى بيته غصص به الاناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه» (٤) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يرضوها فيهم وليدًا بالاناث قبل الذكور فانه من فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية حرم الله بدنه على النار» (٥) وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم «من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصب على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن فقال رجل وثنتان يارسول الله؟ قال وثنتان فقال رجل أو واحدة؟ قال واحدة» (٦) . الأدب الثاني : أن يؤذن في أذن الولد روى رافع عن أبيه قال «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها» (٧) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من ولده مولود فاذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم السيان» (٨) ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله ليكون ذلك أول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به الخبر (٩) . الأدب الثالث : أن تسميه اسما حسنا فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سميت فبدوا» (١٠) وقال عليه الصلاة والسلام

(١) حديث من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاها الحديث الطبراني في الكبير والحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث ابن عباس مامن أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبته إلا أدخلته الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد (٣) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبته كنت أنا وهو في الجنة كهاتين الحرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلطف من عال جارتين وقال حسن غريب (٤) حديث أنس من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشتري شيئا فحمله إلى بيته غصص به الاناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه الحرائطي بسند ضعيف (٥) حديث أنس من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة الحرائطي بسند ضعيف جدا وابن عدي في الكامل وقال ابن الجوزي حديث موضوع (٦) حديث أبي هريرة من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصب على لأوائهن الحديث الحرائطي واللفظ له والحاكم ولم يقل أو أخوات وقال صحيح الإسناد (٧) حديث أبي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه إلا أنها قالوا الحسن مكبرا وضمنه ابن القطان (٨) حديث من ولده مولود فاذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفضت عنه أم السيان أبو يعلى اللوصي وابن السني في اليوم والليثه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف (٩) حديث الختان في اليوم السابع الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علق عن الحسن والحسين وخنثهما لسمية أيام وإسناده ضعيف واختلف في إسناده فقيل عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن جده (١٠) حديث إذا سميت فبدوا الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ وصححه إسناده والبيهقي من حديث عائشة .

قدر حسابها وهوها
فليس الشيخ مثل
هذا الراكن تلك
الحية ثوبا يكسر
بذلك على نفسه هواها
وغرضها وقد يكون
على الريد ملبوس ناعم
أو هيئة في اللبوس
تسرب النفس إلى تلك
الحية بالعادة فليس
الشيخ ما يخرج النفس
من عاداتها وهوها
فصرف الشيخ في
لبوس كصرفه في
الطعام وكصرفه في
صوم الريد وإنظاره
وكصرفه في أمر دينه
إلى ما يرى له من الصلحة
من دوام الذكر ودوام
التفكير في الصلاة ودوام
التلاوة ودوام الخدمة
وكصرفه فيه بركة
إلى السكسب والفتوح
أو غير ذلك فليست
إشراف على البواطن
وتنوع الاستعدادات
في أمر كل مريد من أمر
معاشه ومعاده بما
يلحق له وتنوع
الاستعدادات تنوع

مراتب الدعوة قال الله تعالى - ادع إلى صيل ربك بالحكمة واللوعة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - فالحكمة رتبة في الدعوة وللوعظة كذلك والمجادلة كذلك فمن يدعي بالحكمة لا يدعي بالوعظة ومن يدعي بالوعظة لا تصلح دعوته بالحكمة فكذلك الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ومن هو على وضع اللقيين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن له هوى في التبخش أو في التتم فيخلق للمريدين عادة ويخرجه من مضيق هوى نفسه ويطمعه باختياره ويلبسه باختياره ثوبا يصلح له وهبة تصلح له وبدوى بالخرقة المخصوصة والمهيئة المخصوصة داء هواء ويتوخى بذلك تعريه

« أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن »^(١) وقال « سموا باسمي ولا تكونوا بكيتي »^(٢) قال العلماء كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم إذ كان ينادي بأبنا القاسم والآب فلا بأس ثم لا يجمع بين اسمه وكينيته وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تجمعوا بين اسمي وكينيتي »^(٣) وقيل إن هذا أيضا كان في حياته وتسمى رجل بأبي عيسى قال عليه السلام « إن عيسى لأب له »^(٤) يفكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى قال عبد الرحمن بن زيد بن معاوية بلغني أن السقط يصرخ يوم القيامة وراه أيه فيقول أنت ضيعتي وتركتني لاسمي قال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدري أنه غلام وأجارية قال عبد الرحمن من الأسماء ما يجمعها حكمة وعمارة وطلعة وعبة وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم »^(٥) ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله أبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاصم بـعبد الله^(٦) وكان اسم زينب بـرة قال عليه السلام : تركي نفسها لها زينب^(٧) وكذلك ورد النبي في تسمية أفلع ويسار ونافع وبركة^(٨) لأنه يقال أمم بـركة يقال لا - الرابع الفقرة عن الله ذكر بشاتين وعن الأئمة بشاة ولأبى الشاة ذكر أبا أئمة وروى عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في التلام أن يبق بشاتين مكافئين وفي الجارية بشاة »^(٩) وروى « أنه عرق عن الحسن بشاة »^(١٠) وهذا رخصة في الاختصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم « مع التلام عقيقة فأهريقوا عنه دما وأمطبوا عنه الأذى »^(١١) ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهب أو فضة قد دود فيه خبر « أنه عليه السلام أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة »^(١٢)

(١) حديث أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن مسلم من حديث ابن عمر (٢) حديث سموا باسمي ولا تكونوا بكيتي متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ نسوا (٣) حديث لا تجمعوا بين اسمي وكينيتي أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمى باسمي فلا يتكئ بكيتي ومن تكئ بكيتي فلا يتسمى باسمي . (٤) حديث إن عيسى لأب له أبو عمر التوفائي في كتاب معاشرته الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأبي داود أن عمر ضرب ابنا له تكئ بأبي عيسى وأنكر على الخيرة بن شعبة تكئيه بأبي عيسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كئاني وإسناده صحيح (٥) حديث إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم أبو داود من حديث أبي البرداء قال النووي بإسناد جيد وقال البيهقي إنه مرسل (٦) حديث بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاصم بـعبد الله رواه البيهقي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء الزيدى بسند صحيح (٧) حديث قال صلى الله عليه وسلم زينب وكان اسمها برة تركي نفسها فيها زينب متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث النبي في تسمية أفلع ويسار ونافع وبركة مسلم من حديث سمرة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباحا وله من حديث جابر أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينهي أن يسمى يعل وبركة الحديث (٩) حديث عائشة أمر في التلام بشاتين مكافئين وفي الجارية بشاة الترمذي وصححه (١٠) حديث عرق عن الحسن بشاة الترمذي من حديث علي وقال ليس بإسناده متصل ووصله الحاكم إلا أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشا (١١) حديث مع التلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأمطبوا عنه الأذى البخاري من حديث سلمان ابن عامر الضبي (١٢) حديث أمر فاطمة يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلفظ حسن وقال ليس بإسناده متصل ورواه أحمد من حديث أبي رافع .

قالت عائشة رضى الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم . الخامس أن يحنكه بتمر أو حلوة وروى عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها قالت « ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت في حجره ثم دعا بتمر ففضها ثم ثفل في فيه ^(١) » فكان أول شيء دخل جوفه فمقر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمر ثم دعا له ويرك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام فقرر حوايه فرحاً شديداً لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرته فلا يولد لكم . الثاني عشر : في الطلاق ولعلم أنه مباح ولكنه أبغض الباحث إلى الله تعالى وإنما يكون مباحاً إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح إيذاء الغير إلا بما يجنب من جانبها أو بضرورة من جانبها قال الله تعالى - فإن أظنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً - أي لا تطلبوا أحقية للفراق وإن كرهنها أبوه فليطلقها قال ابن عمر رضى الله عنهما « كان نحق امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك ^(٢) » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ولكن والديكرها لا ترضى فاسد مثل عمر ومهما آذنت زوجاً وبذت على أهله فهي حائنة وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى - ولا يخرجن إلا بأذن بائنه فاحشة مبينة - مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تتنكره يئذ مال ويكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فإن ذلك إحجاف بها وتعامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى - فلا جناح عليهما فيما اقتدت به - فرد ما أخذته في دونه لائق بالعداء فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة قال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة ^(٣) » وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وفي لفظ آخر أنه عليه السلام قال « المختلعات هن النافقات ^(٤) » ثم لبراع الزوج في الطلاق أربعة أمور - الأول أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فإن الطلاق في الحيض أو الظهر الذي جامع فيه بدعي حرام وإن كان واقعاً لما فيه من تطويل العدة عليها فإن فعل ذلك فليراجعها « طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال صلى الله عليه وسلم لممر : مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها فذلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء ^(٥) » وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين لتلايكون مقصود الرجعة الطلاق قط . الثاني : أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لأن الطلقة الواحدة بعد العدة نفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة إن ندم في العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة وإذا طلق ثلاثاً ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإلى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقاً بزوجة الغير وتطليقه أعنى زوجة المحلل بعد أن تزوجته ثم يورث ذلك تفريقاً من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير عتذور ولست

(١) حديث أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمر ففضها ثم ثفل في فيه الحديث متفق عليه (٢) حديث ابن عمر كانت غنى امرأة أحبها وكان أبي يكرهها فأمرني بطلاقها الحديث أصحاب السنن قال ت حسن صحيح (٣) حديث أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن جبان من حديث ثوبان (٤) حديث المختلعات هن النافقات النساء من حديث أبي هريرة وقال لم يسمع الحسن من أبي هريرة قال ومع هذا لم أحسمه إلا من حديث أبي هريرة قلت رواه الطبراني من حديث عتبة بن عامر بسند ضعيف (٥) حديث طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لممر مره فليراجعها الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

إلى رضانولاه فالمرید
الصادق للتهب باطنه
بنار الإراقة في بدء أمره
وحدة إرادته كالللسوع
الحريس على من رقيه
ويداويه فإذا صادفه
شيخان ثبت من باطن
الشيخ صدق العناية
به لإطلاعه عليه
وبنيت من باطن
المرید صدق المحبة
بتألف القلوب وتسام
الأرواح وظهور سر
السابقة فيهما باجتماعهما
له وفي الله وبالله
فيكون القمص القدي
يلبس المرید خرقه
تبشر المرید بحسن
عناية الشيخ به فيعمل
عند المرید عمل قميص
يوسف عند يعقوب
عليهما السلام . وقد
تقبل أن إبراهيم
الحليل عليه السلام
حين ألقى في النار جره
من ثيابه وقذف في
النار عراً فأنقذه جبريل
عليه السلام بقميص
من حرير الجنة
وألبسه إياه وكان ذلك

أقول الجلع حرام لكنه مكروه بهذه للماني وأنعى بالكراهة تركه النظر لنفسه . الثالث أن تلتطف في التمليل بتلطيفها من غير تعنيف واستخفاف وتطيب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فيها به من أذى القراق قال تعالى - ومتعوهن - وذلك واجب مهما لم يمس لها مهر في أصل النكاح . كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلقا ومنكحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع إليه قال ماذا فعلتا قال أما إحداها فنكست رأسها وتكست وأما الأخرى فبكت واستجبت وصعته تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراحا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها . ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت للث عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسرى ذلك لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فدخل عليه الحسن في بيته فقطعه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت إلي فكتكت أحيثك فقال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطبا ابتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أعز علي منك ولكنك تعلم أن ابنتي بضعة مني يسوؤني ما يسوؤها ويسرف مايسرفها وأنت مطلق فأخاف أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك فكنت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول : ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طورا على عتي . وكان على رضي الله عنه يضجر من كثرة تطلقه فكان يستدر منه على اللبر ويقول في خطبته : إن حسنا مطلقا فلا تنكحوه حتى قام رجل من ممدان فقال والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ماشاء فإن أحب أمسك وإن شاء ترك فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت يوبا على باب جنة قلت لعمدان ادخلني بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الواقعة قبيحة بل الأدب المخالفة ما أمكن فإن ذلك أسر قلبه وأوفق لباطن ذاته والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله النبي في القراق والنكاح جميعا فقال - وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله - وقال سبحانه وتعالى - وإن يتفرقا يغن الله كلا من سمته - . الرابع : أن لا يغشى سرها لافي الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في إفشاء سر النساء في الحبر الصحيح وعيد عظيم (١) . وروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة قتيل له ماله الذي يريك فيها فقال الماقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم تطلقها قال مالي ولا امرأة غيري فهذا بيان ما على الزوج .

(القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها)

والقول الثاني في أن النكاح نوع رق فهي رقيقة له فليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما يطلب منها في نفسها بالامعية فيه وقد ورد في تنظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم « يا أيها المرأة ماتت وزوجها عنها راض دخل الجنة » (٢) وكان رجل قد فخر في إلحاف سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل

(١) حديث الوعيد في إفشاء سر المرأة مسلم من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يغشى إلى امرأته وتغشى إليه ثم غشى سرها (٢) حديث أبي أمامة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم سلمة .

عند إبراهيم عليه السلام فلما مات ورثه لسحق فلما مات ورثه يعقوب فبعل يعقوب عليه السلام ذلك القميص في تعويد وجعله في عنق يوسف فكان لا يفارقه لما ألقى في البئر عرياناً جاءه جبريل وكان عليه التعويد فأخرج القميص منه وألبسه إياه . أخبرنا الشيخ العالم رضي الدين أحمد ابن اسمعيل القزويني بإجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي النحاس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا الحسن بن علي قال ثنا اسمعيل بن عيسى قال ثنا إسحق بن بشر عن ابن السدي عن أبيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالى

من العلو إلى السفل وكان أبوها في السفلى فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها فقال **عليه السلام** : أطيعي زوجك فأتت امرأته فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها ^(١) . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » ^(٢) . وأضاف طاعة الزوج إلى مباني الإسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال « حاملات والداث مرضعات رحبات بأولادهن لولاماتين أزواجهن دخلن مصلياتهن الجنة » ^(٣) . وقال صلى الله عليه وسلم « اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ، قتلن لم يارسول الله ؟ قال بكثرن اللعن ويكفرن العشير » ^(٤) . يعني الزوج للناشر وفي خير آخر « اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتلن أين النساء قال شغلن الأحرار الذهب والزعفران » ^(٥) . يعني الخلق ومصيفات الثياب . وقالت عائشة رضي الله عنها « أتت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إني فتاة أخطب فأكره التزوج فما حق الزوج على المرأة قال : لو كان من فرقه إلى قلمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت أقل أزواج قال بلي زوجي فانه خير » ^(٦) . قال ابن عباس « أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أزوج فما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعر لا تخنه ومن حقه أن لا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيته بغير إذنه لعنتها للآلئ حتى ترجع إلى بيته أو توب » ^(٧) . وقال صلى الله عليه وسلم « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقها عليها » ^(٨) .

(١) حديث كان رجل خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفلى وكان أبوها في السفلى فرض الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف إلا أنه قال غفر لأبيها (٢) حديث إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها الحديث ابن حبان من حديث أبي هريرة (٣) حديث ذكر النساء فقال حاملات والداث مرضعات الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي أمامة دون قوله مرضعات وهي عند الطبراني في الصغير (٤) حديث اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتلن أين النساء قال شغلن الأحرار الذهب والزعفران أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران ولمسلم من حديث عزة الأشجعية ويل للنساء من الأحرار الذهب والزعفران وسنده ضعيف (٦) حديث عائشة أتت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله إني فتاة أخطب وإني أكره التزوج فما حق الزوج على المرأة الحديث الحاكم وصححه إسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بلي فتزوجي فإنه خير ولم أره من حديث عائشة (٧) حديث ابن عباس أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أزوج فما حق الزوج الحديث الباقى مقتصر على شطر الحديث ورواه بتامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٨) حديث لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والواله لأيه من عظم حقهما عليها الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة دون قوله والواله لأيه فلم أره وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن أبي أوفى .

من أن لا يعلم أن قيمه لا يرد على مقبوض بصره ولكن ذلك كان قيس إبراهيم وذكر ما ذكرناه قال فأمره جبرائيل أن أرسل بقميصك فان فيه ربح الجنة لا يقع على مبتلى أو ستير إلا صاع وعوفى فتكون الحرقه عند المريد الصادق متحملة إليه عرف الجنة لما عنده من الاعتدال بالصحة لله وري لبس الحرقه من عناية الله به وفضل من الله فأما حرقه التبرك فيطلبها من مقصوده التبرك بزيه القوم ومثل هذا لا يطلب بشرائط الصحة بل يوصى بزيه حدود الشرع وغالطه هذه الطائفة لتعود عليه بركتهم ويتأدب بأدابهم فسوف يرقبه ذلك إلى الأهلية لحرقه الإرادة فعل هذا حرقه التبرك مبذولة لكل طالب

وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قمر بيتها وإن صلاتها في حرم دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حرم دارها وصلاتها في غندها أفضل من صلاتها في بيتها ^(١) » والمحدث يبيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان ^(٢) » وقال أيضا « للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر المشر عورات ^(٣) » حقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما العناية والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتنفع عن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له امرأتاه وأبنته إياك كسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . ومم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترين سفره ولم يدع لك شقة فقال لزوجته منذره فترهقه كالا وما عرفه رزاقاوى رب رزاق يذهب الأكال ويقي الرزاق . وخطبت رابعة بنت إسماعيل أحد بن أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالي همه في النساء لشغلي بمالي قالت إني لأشغل بمالي منك ومالي شهوة ولكن ورثت ما لا جزلا من زوجي فأردت أن تتفقه على أخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا إلى الله عز وجل فقال حتى أستاذني فرجع إلى أبي سلمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير فلما جمع كملها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام السديين قال فتزوجتها فكان في منزلنا كمن من جسي قف من غسل أيدي للستجبلين للخروج بعد الأكل فضلا عن غسل بالأشتان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تعلمني الطيبات وتطبخني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبهني أهل الشام رابعة العدوية بالبصرة . ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فسادا فان أطعمت عن رضا كان لها مثل أجره وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر ^(٤) » ومن حقها على الوالدتين تعليمها حسن العشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء

ورقة الإرادة ممنوعة
إلّا من الصادق الراغب
وليس الأزرق من
استحسان الشيوخ
في الحرقه فان رأى
شيخ أن يلبس مريدا
غير الأزرق فليس
لأحد أن يترض
عليه لأن للشايخ
آراؤهم فيها يفعلون
بحكم الوقت وكان
شيئا يقول كان
الفقير يلبس قصير
الأكم ليكون أعون
على الخدمة ويجوز
للشيخ أن يلبس اللريد
خرقا في دفات على
قدر ما يطلع من
الصلحة للريد في ذلك
على ما أسلفنا من
تداوى هواء في
الملبوس واللون
فيختار الأزرق لأنه
أرقق للفقير لكونه
يحمل الوسخ ولا
يجوز إلى زيادة
الفصل لهذا المعنى
غضب وما عدا هذا
من الوجوه التي
يذكرها بعض

(١) حديث أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قمر بيتها فان صلاتها في حرم دارها أفضل من صلاتها في المسجد الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه أبو داود مختصرا من حديثه دون ذكر حرم الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تصلي في الدار خير لها من أن تصلي في المسجد وإسناده حسن ولابن حبان من حديث أم حميد نحوه (٢) حديث المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود (٣) حديث للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة الحديث الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجعفي في تاريخ الطالين من حديث علي بسند ضيف والطبراني في الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قيل وماهما قال الزوج والقبر (٤) حديث لا يجل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الحديث أبو داود الطيالسي والبيهقي من حديث ابن عمر في حديث فيه ولا تعطى من بيته شيئا إلا بإذنه فان ضلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ولأبي داود من حديث سعد قالت امرأة يارسول الله إنا نكل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما يجل لنا من أموالهم قال الرطب تأكله وتهديته وقد صحح الدارقطني في الملل أن سعدا هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبي وقاص واختاره ابن القطان ولمسلم من حديث عائشة إذا أعتقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أعتقت وتزوجها أجره بما كسب .

بنت خاتمة الفزاري قالت لابنتها عند التزوج : إنك خرجت من العس الذي فيه درجت فصرت إلى فراش
لم فيه وقرين لم تأتبه فكنو له أرضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له أمة يكن
لك عبدا لا تلغي به قيتلاك ولا تباعدى عنه فيسأك إن دنائك منى فاقربى منه وإن تأنى فأبدي عنه واحفظى
أنفوسهم وعينه فلا يثمن منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جيلا . وقال رجل لزوجته :

خذى القفو منى تستدعى مودى ولا تنطق فى سورى حين أغضب
ولا تقرى قرقك البغى مرة فانك لا تدرين كيف التيب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب لهوى وبأباك قلبى والقلوب تذهب
فانى رأيت الحب فى القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فأقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة فى قصر بيتها لازمة لمخزئها لا يكثر
صعودها وإطالعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم إلا فى حال يوجب الدخول تحفظ بملها فى
غيبتها وتطلب مسرتها فى جميع أمورها ولا تخونه فى نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فان
خرجت باذنه فحذني فى هيئة رثة تطلب للواضع الحالية دون الشوارع والأسواق محترزة من أن
يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تعرف إلى صديق بملها فى حاجتها بل تنسك على من تظن
أنه يعرفها أو تعرفه مهما صلاح شأنها وتدير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وإذا استأذن صديق
لبملها على الباب وليس البيل حاضرا لم تستفهم ولم تعاهده فى الكلام غيرة على نفسها وبملها وتكون
قائمة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق مائر أقاربها منتظفة فى نفسها مستعدة
فى الأحوال كلها للتحقق بها إن شاء مشقة على أولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب
الأولاد ومراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم « أنا وامرأة سفاء الخدين كهاتين فى الجنة
امرأة آمنت من زوجها وحبت نفسها على بناتها حق تابوا أو ماتوا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم
« حرم الله على كل آدمى الجنة بدخلها قبل غير أنى أنظر عن يميني فإذا امرأة تبادرنى إلى باب الجنة
فأقول ما لهذا تبادرنى فقال لى يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصرت
عليهن حتى بلغ أمرهن الذى بلغ فشكر الله لها ذلك (٢) » . ومن آدابها أن لا تنافخ فى الزوج
بجمالها ولا تزدري زوجها لقبه قد روى أن الأصمى قال دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن
الناس وجها تحت وجل من أقبح الناس وجها قلت لها ياهنه أترضين لنفسك أن تسكونى تحت
مثله فقالت يا هذا أسكت فقد أسأت فى قولك لعله أحسن فبما بينه وبين خالقه فبطلنى ثوابه أولم
أسأت فبما بينى وبين خالقي فبصله عتوبى أفلا أرضى بما رضى الله لى فأسكتنى . وقال الأصمى رأيت
فى البادية امرأة عليها قميص أسمر وهى محتضية ويدها سبعة قلت ما أبعد هذا من هذا فقالت :

وفه منى جانب لا أسيحه وللهو منى والبطالة جانب

فقلت أنها امرأة سالحة لها زوج تزنى له . ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والاحتشاش فى غيبة
زوجها والرجوع إلى اللب والانبساط وأسباب اللذة فى حضور زوجها ولا ينبغي أن تؤذى زوجها
بمخالطته عن معاذين جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا
قالت زوجته من المحور العين لا تؤذيه فانك الله فاعما هو عندك دخيل يوشك أن يفرقك إلى (٣) »

(١) حديث أنا وامرأة سفاء الخدين كهاتين الحديث أبو داود من حديث أنى مالك الأشجى بسند
ضعيف (٢) حديث حرم الله على كل آدمى الجنة أن يدخل قبل غير أنى أنظر عن يميني فإذا امرأة
تبادرنى إلى باب الجنة الحرائط فى سكارم الأخلاق من حديث أنى هريرة بسند ضعيف (٣) حديث معاذ

للتصوفة فى ذلك كلام
إنهى من كلام
للتصوفين ليس من
الدين والحقيقة بشيء
سمعت الشيخ سديد
الدين أبى الفجر الحميدانى
رحمه الله قال : كنت
يفتقد عند أبى بكر
الشرطوى فخرج إلينا
قير من زاوته عليه
ثوب وسخ فقال له بعض
الفقراء لم لا تقبل
ثوبك فقال يا أخى
ما أضرغ فقال الشيخ
أبو الفخر لا زال أتذكر
حلاوة قول الفقير
ما أضرغ لأنه كان
صادقا فى ذلك فأجد
لذة قوله وبركة
بذكرى ذلك
فاختاروا اللون لهذا
للعن لأنهم من رعاية
وقتهم فى شغل شاغل
والأفنى ثوب ألبس
الشيخ الريد من
أيض وضرب ذلك
فالشيوخ ولاية ذلك
بحسن مقصده ووفور
عله وقد رأينا من
للشايخ من لا يلبس

ويعاجب عليها من حقوق النكاح إدامات عناز زوجها أن لا عهد عليها أكثر من أربعة أشهر وعشرا
وتجنب الطيب والزينة في هذه للذة قالت زينب بنت أبي سلمة دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلقي أو غيره فدهنت به جارية
ثم سمت ببارضها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يحل لامرأة
تؤمن بالله واليوم الآخر أن تعد ميتاً أكثر من ثلاثة أيام لا على زوج أربعة أشهر وعشرا (١) »
ويؤمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر السنة وليس لها الانتقال إلى أهلها والاخراج للإضرة .
ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها فقد روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله
عنها أنها قالت تزوجني الزير وماله في الأرض من مال ولا عموك ولاشيء غيره فسه وناضحه فكنيت أعلف
فرسه وأكفيه مؤثته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخر زغره وأعجن وكنت
أقل النوى على رأس من ثلثي فرسخ حتى أرسل إلى أبي بكر يجاري فكنيت سياسة الفرس فكانا عائداً يتفقن (٢)
ولقبته رسول الله ﷺ يوما ومعها أصحابه والنوى على رأسي قال صلى الله عليه وسلم أعن أخ لي نبخ ناقته
ويحملني خلقه فاستحييت أن أسمعهم الرجال وود كرت الزير وغيره وكان أخيراً الناس يفرون رسول الله
صلى الله عليه وسلم في فاستحييت فبخت الزير فحكيت لها مجرى فقال والله لحلك النوى على رأسي
أشد على من ركوبك معه . ثم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

الحرقة ويسلك بأنوام
من غير لبس الحرقة
ويؤخذ منه العلوم
والآداب وقد كان
طبقة من السلف
الصالحين لا يعرفون
الحرقة ولا يلبسوها
المريدين فمن يلبسها
فله مقصد صحيح وأصل
من السنة وشاهد من
الشرع ومن لا يلبسها
فله رأي له في ذلك
مقصد صحيح وكل
تصايف للشايح محمولة
على السداد والصواب
ولا تخلو عن عينة صالحة
فيه والله تعالى ينفعهم
وبآثارهم إن شاء الله
تعالى.

[الباب الثالث عشر
 في فضيلة سكان الرباط]
 قال الله تعالى في بيوت
 أذن الله أن ترفع
 ويذكر فيها اسمه يسبح
 فيها بالندو والآمال
 رجال لا تلهيهم تجارة
 ولا بيع عن ذكر الله
 وإقام الصلاة وإيتاء
 الزكاة يخافون يوما
 تتقلب فيه القلوب

(کتاب آداب الکسب والمعاش)

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

نحمد الله همدومد اتمنق في توحيد مسوى الواحد الحق وتلاشى . ومجدد تجميد من صرح بأن كل شئ مسوى الله باطل ولا يتاحش . وأن كل من في السموات والأرض لن تخلقوا ذبايا ولواجتمعوا له ولا فراشا . ونشكره إذ رضع الساء لباده سقا مينا ومهد الأرض بساطهم وفراشا . وكور الابل على النار فجعل الليل لباسا وجعل النار معاشا . لينتسروا في ابتغاء فضله ويشتفوا به عن ضراعة الحاجات اتعاشا . ونصلى على رسوله الذى يصدر للؤمنون عن حوضه رواء بدور وهم عليه عطاشا . وعلى له وأصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكشاشا . وسلم تسليلا كثيرا .

[أما بعد] فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب . جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار
التجمل والاضطراب . والتشمر والاكسباب . وليس التشمر في الدنيا مقصوراً على العباد دون العماش
بل للعاش ذرية إلى العباد ومعين عليه فالله في مزرعة الآخرة ومدرجة إليها . والناس ثلاثة رجل
شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والأقرب
إلى الاعتدال هو الثالث شغله معاشه لمعاده فهو من المتصددين . ولن ينال رتبة الاقتصاد
من لم يلازم في طلب العيشة منهج السداد ولن يتهم من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذرمة مالم

لأثوى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الجور العين لا تؤذي الحديث الترمذي وقال حسن
 (١) حدث أم حبيبة لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت
 أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا متفق عليه (٢) حدث أسماء تزوجني الزبير وماله
 في الأرض من مال ولأهلوك ولأثوي غفرس ففكت أعلف فرسه الحديث متفق عليه .

(کتاب آداب الکسب)

يتأدب في طلبها بأداب الشريعة . وهاعنن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسنها وتشرحها في خمسة أبواب . الباب الأول : في فضل الكسب والحث عليه . الباب الثاني : في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات . الباب الثالث : في بيان العدل في المعاملة . الباب الرابع : في بيان الإحسان فيها . الباب الخامس : في شفقة التاجر على نفسه ودينه .

(الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه)

أما من الكتاب أقوله تعالى - وجعلنا الثمار معاشا - فذكره في معرض الامتنان ، وقال تعالى - وجعلنا لكم فيها معاشا قليلا ماتشكرون - فجعلها ريك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى - ليس عليكم جناح أن تبغضوا فضلا من ريك - وقال تعالى - وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - وقال تعالى - فاتمشروا في الأرض وابغضوا من فضل الله - وأما الأخباراء فقد قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله في طلب العيشة ^(١) » وقال عليه الصلاة والسلام « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالا وتغفلا عن اللثة وسعيا على عاله وتغفلا على جاره لقي الله ووجهه كالمزمليلة البدر ^(٣) » وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجهه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسمى على نفسه ليكنها عن اللثة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسمى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضايف ليغنيهم ويكفرهم فهو في سبيل الله وإن كان يسمى تخافرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد يتخذ للهنة ليستغني بها عن الناس ويغني العبد يتعلم العلم يتخذ منهية ^(٥) » وفي الخبر « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل يسع مبرور ^(٧) » وفي خبر آخر

(الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه)

(١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله في طلب العيشة تقدم في النكاح (٢) حديث التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد قال الترمذي حسن وقال الحاكم إنه من مراسيل الحسن ولا ين ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث من طلب الدنيا حلالا تغفلا عن اللثة وسعيا على عاله الحديث أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا ويح هذا لو كان جلد في سبيل الله الحديث الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كسب بن حجر بسند ضعيف (٥) حديث إن الله يحب العبد يتخذ للهنة يستغني بها عن الناس الحديث لم أجده هكذا ، وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بن الله يحب أن يرى عبده تبا في طلب الحلال وفيه محدثين سهل العطار قال الله ارقطني يضم الحديث (٦) حديث إن الله يحب المؤمن المحترف الطبراني وابن عدى وضعفه من حديث ابن عمر (٧) حديث أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل يسع مبرور أحمد من حديث رافع بن خديج قيل يارسول الله أي الكسب أطيب قال عمل الرجل يديه وكل عمل مبرور ورواه البزار والحاكم من رواية سعيد بن عمير عن عمه قال الحاكم صحيح الاسناد قال وذكر يحيى بن معين أن عمه سعيد البراء بن عازب ورواه البيهقي من رواية سعيد بن عمير مرسلا وقال هذا هو المحفوظ وخطأ قول من قال عن عمه وحكاه عن البخاري ورواه أحمد والحاكم من رواية

والأبصار - قيل إن هذه البيوت هي للساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي عليه السلام والسلام - وقيل لما نزلت هذه الآية قام أبو بكر رضى الله عنه وقال يارسول الله هذه البيوت منها بيت على وفاطمة قال نعم أفضلها . وقال الحسن : بقاع الأرض كلها جعلت مسجدا لرسول الله عليه الصلاة والسلام فلي هذا الاعتبار بالرجال الذاكربين لا بصور البقاع وأى بقعة حوت رجالا بهذا الوصف هي البيوت التي أذن الله أن ترفع . روى أنس ابن مالك رضى الله عنه أنه قال « ما من صاحب ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بهل من بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن فائلة تم ومن فائلة لا فائلة قالت نعم علمت أن لها عليها بذلك فضلا وما

« أحل ما أكل البع كسب يد الصانع إذا نصح ^(١) » وقال عليه السلام « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق ^(٢) » وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال ما تبيع ؟ قال أتبعد قال من يملك ؟ قال أخى قال أخوك أعبد منك وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إني لأعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به وإنى لأعلم شيئا يباعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين تقت في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل أتركوا الطلب ثم قال في آخره « ولا تجعلكم استطاء شئ من الرزق على أن تطلبوه بحسبة الله تعالى فإن الله لا ينال ما عنده بحسبته ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها ^(٤) » وقال عليه السلام « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطبل على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه يؤمنه ^(٥) » وقال « من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر ^(٦) » . وأما الآثار : فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما انفقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به . وقال عمر رضي الله عنه : لا يصدق أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمت أن السماء لا تطر ذهاباً ولا ضياء وكان زيد بن مسلمة يفرس في أرضه فقال له عمر رضي الله عنه أصبت استغن عن الناس يكن أسون لدينك وأكرم لك عليهم كما قال صاحبكم أجيعة : فلن أزال على الزوراء أغمرها إن الكريم على الإخوان ذوالال

وقال ابن مسعود رضي الله عنه إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لاني أمر ديناه ولا في أمر آخرته . وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم التفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب إليّ لأنه في جهاد بآية الشيطان من طريق السكيا واليزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه : ما من موضع يأتي اللوث فيه أحب إلى من موطن أتوق فيه لأهلي أبيع واشترى وقال الهيثم ربما ييلخى عن الرجل يقع في فأذكر استغنائى عنه فيكون ذلك على وقال أيوب كسب فيه شئ أحب إلى من سؤال الناس وجاءت ربح

جميع بن عمير عن خاله أبي بردة وجميع ضعيف والله أعلم ^(١) حديث أحل ما أكل البع كسب الصانع إذا نصح أحمد من حديث أبي هريرة خير الكسب كسب العامل إذا نصح وإسناده حسن ^(٢) حديث عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق إبراهيم الحربي في غريب الحديث من حديث نعيم بن عبد الرحمن تسعة أعشار الرزق في التجارة ورجاله ثقات ونعيم هذا قال فيه ابن منده ذكر في الصباغة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازي وابن حبان إنه تابعي فالحديث مرسل ^(٣) حديث إني لأعلم شيئا يباعدكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا نهيتكم عنه فإن الروح الأمين تقت في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شافعي الحديث أبي حميد وجابر ومحمدا على شرط الشيخين وهما مختصران ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال إنه منقطع ^(٤) حديث الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها ورواه في الطيوريات من قول الحسن البصري ولم أجده مرفوعاً ^(٥) حديث لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطبل على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً الحديث ينفق عليه من حديث أبي هريرة ^(٦) حديث من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر الترمذي من حديث أبي كبشة الأعمش ولا يخفى عبد باب مسئلة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وقال حسن صحيح .

من عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الأرض وأوصى الله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربّه وبكت عليه يوم يموت ، وقيل في قوله تعالى - فما بصكت عليهم السماء والأرض - تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكي عليهم ولا تبكي على من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى فسكان الرباط هم الرجال لأنهم ربطوا نفوسهم على طاعة الله تعالى واشتغلوا إلى الله فأقام الله لهم الدنيا خادمة . وروى عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من انقطع إلى الله كفاه الله مؤتمته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكفه الله إليها » وأصل الرباط ما يربط فيه الحيوان ثم قيل لكل ثمر يدفع أهله عن

عاصفة في البحر فقال أهل السفينة لإبراهيم بن آدم رحمه الله وكان معهم فيها أما ترى هذه الشدة فقال ماهذه الشدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس . وقال أيوب قال لي أبو قتادة أئتم السوق فإن التقى من العافية يعني التقى عن الناس . وقيل لأحمد ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأذن رزقي فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي (١) » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال « تخدمون خماسا وتروح بطائنا (٢) » فذكر أنها تخدم في طلب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في تغيلهم والقصد منهم وقال أبو قتادة لرجل لأن أراك تطلب معاشا أحب إلى من أن أراك في زاوية المسجد . وروى أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن آدم رحمه الله وطى عنقه حزمة حطب فقال له يا أبا اسحق إلى متى هذا إخوانك يكونونك فقال دعني عن هذا يا أبا عمرو فإنه يلفني أنهن من وقسم وقب مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال أبو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا أن تصف قديمك وعبرك بقوتك ولكن أبدا برغبتك فأخرجها ثم تعبد . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ينادى مناد يوم القيامة أين بضاء الله في أرضه فيقوم سؤال للساجد فهذه مذمة [الشرع لسؤال والاحتكال على كفاية الأغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك إلا الكسب والتجارة .] فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم « ما أوحى إلي أن أجمع للال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلي أن أسبح محمد ربك وكن من الساجدين وأعيد ربك حتى يأتيك اليقين (٣) » وقيل لسلطان الفارسي أوصنا فقال من استطاع منكم أن يعبد حاجا أو غاريا أو عامرا المسجد بفعل ولا يعمر تاجرا ولا خائنا . فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال فتقول لنا قول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء . ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة في الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وإخراجه لا يصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لأنه إقبال على الدنيا التي حبا رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك ظلما لخائنا فهو ظلم وفسق وهذا ما أراد سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا وأراد بالتاجر طالب الزيادة فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تنفعا عن السؤال أفضل وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إعانة على لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بقره فالتعفف والتستر أولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة عابدين بالعبادات

البدنية أو رجل له سربا بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والكاشفات أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما يتفق الناس به في دينهم كالمفتي والقسر والمحدث وأمثاله أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمرهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء إذا كانوا يكونون من الأموال للصدقة لمصالح أو الأوقاف للسبيل على التقراء أو العلماء فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أسبح محمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعا لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لا يعيط بها الوصف ولهذا أشار الصحابة على أن يكره صلى الله عليه وسلم بترك التجارة تلاو إلى الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن الصالح وكان يأخذ كفايته من مال الصالح ورأى ذلك أولى

(١) حديث إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي أحمد من حديث ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمحي وإسناده صحيح (٢) حديث ذكر الطير قال تخدمون خماسا وتروح بطائنا الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث ما أوحى إلي أن أجمع للال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلي أن أسبح محمد ربك وكن من الساجدين ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين.

وراءه رباط فالجاهد للرباط يدفع عن وراءه وللقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاد عن الباد والبلاد . أخبرنا الشيخ العالم رضي الله عن أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزويني إجازة قال أنا أبو سعيد محمد ابن أبي العباس الحلبي قال أخبرنا القاضي محمد ابن سعيد القرخزافي قال أنا أبو اسحق أحمد ابن محمد قال أنا الحسين ابن محمد قال ثنا أبو بكر ابن خزيمة قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو حميد الحمصي قال حدثنا يحيى بن سعيد القطار [١] قال حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن [١] قوله بالمعاشي القطار هكذا بنسخة وفي أخرى الطار ولله القطان بالنون ولبحر .

ثم لما توفي أوصى بده إلى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى ، ول هؤلاء الأرمية حائشان آخرين
إحداهما أن تكون كفاتهم عند ترك الكسب من أيدي الناس وما يصدق به عليهم من زكاة أو صدقة
من غير حاجة إلى سؤال ترك الكسب والاشتغال بما فيه أولى إذ فيه إغاثة الناس على الحيرات وقبول
منهم ما هو حق عليهم وأفضل لهم . الحالة الثانية الحاجة إلى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات
التي رويها في السؤال وذمه تدل ظاهرا على أن التحفف عن السؤال أولى وإطلاق القول فيه من غير
ملاحظة الأحوال والأشخاص غير بل هو موكول إلى اجتهد العبد ونظره نفسه بأن يقابل ما يلحق
في السؤال من المذلة وهتك الروء والحاجة إلى التثقل والإلحاح بما يحصل من اشتغاله بالمع والعمل
من الفائدة له ولغيره قرب شخص تسكر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالمع أو العمل ويهون عليه
بأذن تعرض في السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل اللطوب والمحدور
فينبغي أن يستقي المرء فيه قبله وإن آتاه القتون فإن الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق
الأحوال ولقد كان في السلف من له ثلاثة وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له
ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لهم بأن التكتفين بهم ينقلدون منه من قبولهم لبرائهم فكان
قبولهم لبرائهم خيرا مضافا لهم إلى عباداتهم فينبغي أن يدقق النظر في هذه الأمور فإن أجر الآخذ
أكبر للمعنى مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعنى يعطيه عن طيب قلب ومن أطلع على هذه
المعانى أمكنه أن يعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته
فهذه فضيلة الكسب وليكن المقدم الذي به الاكتساب جامعا لأربعة أمور الصفة والميل والإحسان
والشفقة على الدين ونحن نقصد في كل واحد بابا ونبتدي بذكر أسباب الصحة في الباب الثاني .

(الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة)

ويان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب في الشرع)
اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكسب لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم وإنما
هو طلب العلم المحتاج إليه وللكسب يحتاج إلى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على
مفسدات العامة فينتجها وما شذ عنه من الفروع المشككة فيقع على سبب إشكالها فيتوقف فيها إلى أن
يسأل فانه إذا لم يعلم أسباب الفساد يعلم جلي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا أقدم
المعلم ولكن أصبر إلى أن تقع لي الواقعة فعندها أعلم وأسئق فيقال له وهم تعلم وقوع الواقعة مهما
لم تعلم حمل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات وبظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا التقدر
من علم التجارة لتمييزه للباح عن المخطور وموضع الإشكال عن موضع الوضوح ولذلك روى عن
عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا إلا من
يفقه وإلا أكل الربا هاء أم أي ، وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها
وهي البيع والربا والسلم والإجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها .

(العقد الأول البيع)

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان العاقد والعقود عليه واللفظ . الركن الأول : العاقد ينبغي لثناجر
أن لا يامل بالبيع أربعة الصبي والمجنون والعبد والأعمى لأن الصبي غير مكلف وكذا المجنون وبمعهما
باطل فلا يصح بيع الصبي وإن أذن له فيه الولي عند الثاقبي وما أخذه منهما مضنون عليه لهما وما سلمه
في العامة إليهما فضاء في أيديهما فهو المبيع له . وأما العبد الماعول فلا يصح بيعه وشراؤه إلا بإذن سيده

(الباب الثاني في علم الكسب)

عن ابن عمر قال : قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن الله
تعالى يدفع بالمسلم
الصالح عن مائة من
أهل بيته ومن جيرانه
البلاء . » وروى عنه
صلى الله عليه وسلم أنه
قال « لولا عباد الله
وكبح وصية رضع
وبهاهم ربح لصب
عليكم الذئاب صبا
ثم يرض رضا »
وروى جابر بن
عبد الله قال : قال النبي
صلى الله عليه وسلم
« إن الله تعالى ليصلح
بصلاح الرجل ولده
وولده ولده وأهل
دورته ودورات
حوله ولا يزالون في
حفظ الله مادام فيهم »
وروى داود بن صالح
قال قال لي أبو سلمة
ابن عبد الرحمن يا ابن
أخي هل تدري في أي
شيء نزلت هذه الآية
- اصبروا وصابروا
ورابطوا سقت لا قال
يا ابن أخي لم يكن في

فلى البقال والحجاز والقصاب وغيرهم أن لا يعاملا بالسيد ما نأذن لهم السادة في معاملتهم وذلك بأن يسمعه صرخا أو يفتخر في البلد أنه مأذون له في الشراء لسيد وفي البيع له فيقول على الاستفاضة أو على قول عدلي غيره بذلك فان عامله بشرأذن السيد فمعه باطل وما أخذه منه مضمون عليه لسيد وماتله إن ضاع في يد العبد لا يتلق رقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له إلا اللطالة إذا عتق . وأما الأعمى فانه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح ذلك فليأمره بأن يوكل وكلا يسيرا ليشتري له أو يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله التاجر بنفسه فالعامله فاسدة وما أخذه منه مضمون عليه بقيته وما سله إليه أيضا مضمون له بقيته . وأما الكافر فحجوز معاملته لكن لا يبيع منه الصحف ولا العبد السلم ولا يباع منه السلاح إن كان من أهل الحرب فان ضل فيه معاملات مردودة وهو عاص بها ربه . وأما الجندي فمن الأتراك والتركمانية والعرب والأكراد والسراق والحونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكرمه الله حرام فلا ينبغي أن يتملك مما في أيديهم شيئا لأجل أنها حرام إلا إذا عرف شيئا بينه أنه حلال وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام . الركن الثاني في العقود عليه : وهو المال المقصود نقله من أحد المعادين إلى الآخر ثمنا كأن أوشنا فقتبر فيسنة شروط . الأول أن لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل وعدرة ولا بيع الماعج والأواني المتخذة منه فان العظم نجس الموت ولا يظهر القيل بالذبح ولا يظهر عظمه بالندكة ولا يجوز بيع الحجر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تأكل وإن يصلح للاستباح أو طلاء السفن ولا بأس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيه فانه يجوز الانتفاع به في غير الأكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا يرى بأسا ببيع بزر القران فإنه أصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فأرة للسكوي يقضى بطهارتها إذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة . الثاني أن يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية ولا الثفات إلى انتفاع للشعبد بالحية وكذا لا الثفات إلى انتفاع أصحاب الحق بأخرها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الفرة والنحل وبيع القهد والأسد وما يصلح لسيد أو ينتفع بجمله ويجوز بيع القيل لأجل الحمل ويجوز بيع الطوطى وهى البقاء والطاوس والطيور للبيعة الصور وإن كانت لا تأكل فان الفرج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح وإنما الكلب هو الذى لا يجوز أن يقتنى إنجابا بصورته لئله رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه (١) ولا يجوز بيع العود والصنح والزماير وللأخيه فانه لا منتفعة لها شرعا وكذا بيع الصور للصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الأعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا وصور الأشجار متسامح بها وأما الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها «أخذى منها ثمارك» (٢) ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وإذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه . الثالث أن يكون للتصرف فيه مملوكا لعائد أو مأذونا من جهة المالك ولا يجوز أن يشتري من غير المالك اشتظارا للآذن من المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استئذان القدد ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على أنه لو عرض لرضى به فانه إذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وأمثال ذلك مما يجرى في الأسواق فواجب على العبد التدين أن يجتزئ منه . الرابع أن يكون للعقد عليه مقدور على تسليمه

(١) حديث التهمي عن اقتناء الكلب متفق عليه من حديث ابن عمر من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو ضاريا فمن عمل كل يوم قيراطان (٢) حديث أخذى منها ثمارك قوله لعائشة متفق عليه من حديثها .

زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزيربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط لجهاد النفس والتقسيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه قال الله تعالى سوجهادوا في الله حق جهاده - قال عبد الله ابن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر على ما روى في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجعت من بعض غزواته «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» . وقيل : إن بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى النزوف فكتب إليه يأخذ كل الثور بجمعة لي في بيت واحد والباب على مردود فكتب إليه أخوه لو كان الناس كلهم تزمو ما لزمته اختلت أمور

شرطا وحدا فما لا يتقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه كالآبق والسكك في الماء والجنين في البطن وعصب الفحل وكذلك بيع الصرف على ظهر الحيوان والبن في الفروع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير البيع بالمبيع وللجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون وللوقوف والستولدة فلا يصح بيعها أيضا وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الأم لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالمبيع . الخامس : أن يكون البيع معلوم العين والتقدير والوصف أما الم بالمعين فبأن يشير إليه بيته فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع أي شاة أردت أو ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك أو زراعا من هذا الكرابس وخذه من أي جانب شئت أو عشرة أذرع من هذه الأرض وخذه من أي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يتعذر للتساهل في الدين إلا أن يبيع شاة مثل أن يبيع نصف الشيء أو عشرة فان ذلك جائز . وأما الم بالمقدر فاما يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر إلى هذه الصنعة فهو باطل إذا لم تكن الصنعة معلومة ولوقال بعتك هذه الصبرة من الحنطة فهو باطل أو قال بعتك هذه الصبرة من الدرهم أو بهذه القطعة من الذهب وهو رباح صريح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة القدر ، وأما الم بالوصف فيحصل بالرؤية في الأعيان ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يظلم التغير فيها والوصف لا يقوم مقام البيان هذا أحد للذهبين ولا يجوز بيع الثوب في النسيج اعتقادا على الرقوم ولا يبيع الحنطة في سبيلها ويجوز بيع الأرض في قشرته التي يدخر فيها وكذا بيع الجوز والوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرين ويجوز بيع البقالة الرطبة قشره للحاجة ويسامح ببيع القناع لجريان عادة الأولين به ولكن تجمل بإساعة بعض فان اشتراه ليبيعه فالتقياس بطلانه لا ينعس مسترا ستر خلقة ولا يمد أن يسامح به إذ في إخراجها إفساده كالرمان وما يستر بستر خلق معه . السادس : أن يكون البيع مقبوضا إن كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما لم يقبض ^(١) ويستوى فيه المقار والنقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فيبيعه باطلا وقبض النقول بالنقل وقبض المقار بالتخيلة وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم إلا بأن يكتاله . وأما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصل فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض . الركن الثالث : لفظ العقد فلا بد من جريان إيجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود منهم إما صريح أو كناية فلو قال أعطيتك هذا بذلك بدل قوله بعتك فقال قبلته جاز مهما قصدها البيع لأنه قد يحتمل الإعارة إذا كان في ثوبين أو دابنتين والثنية تدفع الاحتمال والصريح أنقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والخل أيضا فيما يختره ولا ينبغي أن يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيئا آخر أو أن يحمل المبيع إلى داره أو اشترى المحطب بشرط النقل إلى داره كل ذلك فاسد إلا إذا أفرد استجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الثراء بالنقول ومهما لم يجر بينهما إلا المعاطاة بالفعل دون التلفظ بالمال لم ينعقد البيع عند الشافعي أصلا وانعقد عند أبي حنيفة إن كان في المحقرات ثم ضبط المحقرات عمير فان رد الأمر إلى العادات قد تجاوز الناس المحقرات في المعاطاة إذ يتقدم اللال إلى البراز يأخذ منه ثوبا دياجا قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله إلى المشتري ويعود إليه بأنه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فأخذ من صاحبه عشرة وبعها وباعها وباعها إلى البراز يأخذها ويتصرف فيها ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما إيجاب وقبول أصلا وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت

(١) حديث النبي عن بيع ما لم يقبض متفق عليه من حديث ابن عباس .

السليين وغلب الكفار
فلا بد من الغزو
والجهاد فكتب إليه
يا أخى لو زعم الناس
مأنا عليه وقالوا في
زواياهم على سجداتهم
الله أكبر اتهم سور
قسطنطينية . وقال
بعض الحكماء ارتفاع
الأصوات في بيوت
العبادات بحسن الثياب
وصفاء الطويات يحل
ما عقده الأفلاك
الذرات في اجتماع أهل
الروابط أصبح على الوجه
للموضوع له الربط
وتحقق أهل الربط
بحسن المعاملة ورعاية
الأوقات وتوقي ما يفسد
الأعمال واعتقاد
ما يصحح الأحوال
عادت البركة على البلاد
والعباد . وقال سري
القسطنطي في قوله تعالى
- اصبروا وصابروا
ورابطوا - اصبروا عن
الدنيا رجاء السلامة
وصابروا عند القتال
بالثبات والاستقامة
ورابطوا أهواء النفس

البيع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد فيقول أحدهم طي بتمين ويقول الآخر هذا طي بخمسة وتسعين ويقول الآخر هذا بمائة فيقال له زن فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول وقد استمررت به العادات وهذه من الصفات التي ليست تقبل العلاج إذ الاحتمالات ثلاثة . إما فتح باب المعاوضة مطلقا في الحقيق والنفي وهو محال إذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه وقد أحل الله البيع والبيع اسم للإيجاب والقبول ولم يجر ولم ينطق اسم البيع على مجرد فعل بتسلم وتسليم فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين لاسيا في الجوارى والعبيد والقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه إذ للمسلم أن يرجع ويقول قد ندمت وما بهته إذ لم يصدر مني إلا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع . الاحتمال الثاني أن نسد الباب بالسكينة كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد وفيه إشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات معناتا في زمن الصحابة ولو كانوا يتكفلون الإيجاب والقبول مع البقال والحجاز والقباب لنقل عليهم فلهو لنقل ذلك فلا تنتسرا ولكن يشتر وقت الإعراض بالسكينة عن تلك العادة فان الأعصار في مثل هذا تفاوت . والثاني أن الناس الآن قد ناموا فيه فلا يشتري الإنسان شيئا من الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاوضة فأى فائدة في تلفظه بالقد إذا كان الأمر كذلك . الاحتمال الثالث أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قال أبو حنيفة رحمه الله وعند ذلك ينمى الضبط في المحقرات وبشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج إلى تخريج قول الشافعي رحمه الله طي وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لومنا إليه لميسر الحجاب ولعموم ذلك بين الحق ولما يوجب طي الظن بأن ذلك كان معناتا في الأعصار الأول . فأما الجواب عن الإشكالين فهو أن قوله أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فإن ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقيل من القواكه والحبز واللحم من اللدود من المحقرات التي لا يعتاد فيها إلا المعاوضة وطالب الإيجاب والقبول فيه بعد مستقبيا ويسترد تكليفه لذلك ويستقل وينسب إلى أنه قيم الوزن لأمر محرق ولا وجه له فهذا طرف الحقارة والطرف الثاني الدواب والعبيد والقارات والياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها وفيها أوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة فتح ذى الدين أن يعيّل فيها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع نيا يعلم بالعادة كذلك ينضم إلى أطراف واضحة وأوساط مشكلة وأما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو أن يجعل الفعل باليد أخذنا وتسليما سببا إذ اللفظ لم يكن سببا لئنه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم إليه ميسر الحاجة وعادة الأولين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها ، وأي فرق بين أن يكون فيه عوض أولا يكون إذ لذلك لا بد من قلة في الحبة أيضا لأن العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقيق والنفي بل كان طلب الإيجاب والقبول يستتب فيه كيف كان وفي البيع لم يستتب في غير المحقرات هذا ما تراه أعدل الاحتمالات وحق الورع للتدين أن لا يبدع الإيجاب والقبول للخروج عن شبه الخلاف فلا ينبغي أن يتمتع من ذلك لأجل أن البائع قد ملكه بغير إيجاب وقبول فإن ذلك لا يعرف تحقيقا فربما اشتراه بقبول وإيجاب فإن كان حاضرا عند شرائه أو أقر البائع به فليتمتع منه وليشتر من غيره فإن كان الشيء عمرا وهو إليه محتاج فليتمتع بالإيجاب والقبول فإنه يستفيد به قطع الحصومة في المستقبل معه إذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن القل يمكن . فإن قلت فإن أمكن هذا فيا يشتريه فكيف يصل إلّا حاضر في ضيافة أو طي مائة وهو يعلم أن أصحابها يكفون بالمعاوضة في البيع والشراء

الوامة وانقوا ما يقب
لكم التذمة لملككم
تفعلون غدا بل ساط
الكرامة وقيل اصبروا
على بلاني وصابروا
على نعماني ورابطوا في
دار أعدائي وانقوا
حجة من سوائكم لملككم
تفعلون غدا بلاني .
وهذه شرائط ساكن
الرباط قطع المعاملة مع
الحلق وفتح المعاملة مع
الحق وترك الاكتساب
اكتماء بكفالة مسيب
الأسباب وحسب
النفس عن الخاطات
واجتناب التبعات
وعائق ليله ونهاره
العبادة متعوضا بها
عن كل عادة شفه
حفظ الأوقات وملازمة
الأوراد واستقرار
الصلوات واجتناب
الفغلات ليكون بذلك
مرايا بجاهدا . حدثنا
شيخنا أيوب النجيب
السهرودي قال أنا ابن
نهبان محمد الكاتب
قال أنا الحسن بن
شاذان قال أنا دعلج

أوجع منهم ذلك أرواه يجب عليه الامتناع من الأكل . فأقول : يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا خيسا ولم يكن من المحقرات . وأما الأكل فلا يجب الامتناع منه فإنني أقول إن تردنا في جمل الفعل دلالة على ثقل ذلك فلا ينبغي أن لا ينجسه دلالة على الإباحة فإن أمر الإباحة أوسع وأمر ثقل ذلك أضيّق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطة فتسليم البائع إذن في الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال كإذن الحامى في دخول الحمام والإذن في الإطعام لمن يريده للشرى فينزل منزلة ما لو قال أبتعتك أن أكل هذا الطعام أو تطعم من أردت فانه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرمي عوضه لحل الأكل ويؤمره الضمان بهذا كل هذا قياس القفه عندي ولكنه بعد المعاظة آكل ملكه ومتلف له فله الضمان وذلك في ذمته والتمن الذي سلمه إن كان مثل قيمته قد ظفر للستحق بمثل حقه فله أن يملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه وإن كان قادرا على مطالبة فانه لا يملك ما ظفر به من ملكه لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه فله للرجعة وأما ههنا فقد عرف رضا بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا بأن يتوفى دينه بما يسلم إليه فيأخذه بحقه لكن على كل الأحوال جانب البائع أغضى لأن ما أخذه قد يريد التملك ليصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا أنف عين طعامه في يد المشتري ثم جاز يفتقر إلى استئناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول . وأما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فحينئذ فان ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ما أنفقه وإنما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ما أخذه من المشتري فيسقط فيكون كالتقاضي دينه وللحمل عنه فهذا مانراه في قاعدة المعاطة على غموضها والتم عندنا وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون ، وأما الورع فانه ينبغي أن يستق قلبه ويتق مواضع الشبه .

(العقد الثاني عقد الربا)

وقد حرمه الله تعالى وعدداً الأمر فيه ويجب الاحتراز منه على الصياغة للتعاملين على التقدين وعلى التعاملين على الأطعمة إذ لاربا إلا في نقد أو في طعام وعلى الصيرفي أن يحترز من النسيئة والفضل . أما النسيئة فإن لا يبيع شيئا من جواهر التقدين بغيره من جواهر التقدين إلا بداء يد وهو أن يجري التفاضل في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصياغة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير للضرورة حرام من حيث النساء ومن حيث إن الغالب أن يجري فيه تفاضل إذ لا بد للضروب بمثل وزنه . وأما الفضل فيحترز منه في ثلاثة أمور فيبيع الكسبر بالصحيح فلا يجوز التعامل فيها إلا مع المائلة وفي بيع الحيد بالردى فلا ينبغي أن يشتري رديا بعيد دونه في الوزن أو يبيع رديا بعيد فوقة في الوزن أعنى إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فإن اختلف الجنس فلا حرج في الفضل والثالث في الركيات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة إن كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح التعامل عليها أصلا إلا إذا كان ذلك قد جازيا في البلد فأنازخص في التعامل عليه إذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم للشوشة بالنحاس إن لم تكن رابحة في البلد لم تصح للتعامل عليها لأن التصود منها النقرة وهي مجهولة وإن كان قدرا رابحة في البلد رخصنا في التعامل لأجل الحاجة وخروج النقرة عن أن يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة أصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي أن يشتري بتناج آخر إن كان قدر الذهب منه معلوما إلا إذا كان موهبا بالذهب نحوها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها

قال أنا الفتوى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا صفوان عن الحرث عن سميد ابن السيب عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إسباغ الوضوء في الكسار وإعمال الأقدام إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يضل الخطايا غسل » . وفي رواية « ألا أخبركم بما يحوفا به الخطايا وترفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء في الكسار وكثرة الخطا إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط » [الباب الرابع عشر في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة] قال الله تعالى - مسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يعبون

من النقرة بما أريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصير في أن يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولأن يبيعه بل بالقصة يدايد إن لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالقصة وغيرها . وأما للتعاملون على الأطلعة فطلبهم التقاضى في المجلس اختلف جنس الطعام للبيح والشرى أو لم يختلف فإن أعاد الجنس فطلبهم التقاضى وسراعاة للمالقة والمعتاد في هذا معاملة التصاب بأن يسلّم إليه الثمن ويشتري بها اللحم قنّدا أو نسيئة فهو حرام ومعاملة الحجاز بأن يسلّم إليه الحنطة ويشتري بها الحنّز نسيئة أو قنّدا فهو حرام ومعاملة المصار بأن يسلّم إليه البز والسمن والزيوتون ليأخذ منه الأدهان فهو حرام وكذا اللّبان يعطى اللّبان ليأخذ منه اللّجين والسمن والزياد وسائر أجزاء اللّبان فهو أيضا حرام ولا يبيع الطعام بغير جنسه من الطعام إلا قنّدا وبجنسه إلا قنّدا ومثالا وكل ما يتخذ من الثمن* للطعوم فلا يجوز أن يباع به مثالا ولا متفاضلا فلا يبيع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ولا بالنّاب والتمر دبس وخل وعصير ولا باللّبن من وزيد وعيش ومصل وجبن والمالقة لا يبيد إذا لم يكن الطعام في حال كاله الأدهان فلا يبيع الرطب بالرطب والنّاب بالنّاب متفاضلا ومثالا فهذه جملة مقتضى تعريف البيح والتبيين على ما شرع التاجر بثأرات الفساد حتى يستغنى فيها إذا تشكك والتبس عليه شيء منها وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري .

(المقد الثالث السمل)

وليراع التاجر فيه عشرة شروط . الأول : أن يكون رأس المال معلوما على مثله حتى لو تفرقت السمل المسلم فيه أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال فإن أسلم كفا من الدرهم جزاء في كره حنطة لم يصح في أحد القولين . الثاني : أن يسلّم رأس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انسخ السمل . الثالث : أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالخوب والحيوانات المعادن والقطن والصوف والإبريسم والألبان والاحوم ومتاع المطارين وأشباها ولا يجوز للمسجونات والمركبات وما يختلف أجزاؤه كالقسي المصنوعة والبلب الممول والخفاف والعمال المختلفة أجزاؤها وصنعتها ووجود الحيوانات ويجوز السمل في الحنّز وما يتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكرة الطبخ وقتل يفتى عنه ويتسامح فيه . الرابع : أن يستقصى وصف هذه الأمور القابلة للوصف حتى لا يبق وصف متفاوت به القيمة تفاوتا لا يتباين بمثله الناس إلا ذكره فإن ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية في البيح . الخامس : أن يجعل الأجل معلوما إن كان مؤجلا فلا يؤجل إلى الحصاد وإلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام فإن الإدراك قد يتقدم وقد يتأخر . السادس : أن يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا يفتى أن يسلّم في النّاب إلى أجل لا يدرك فيه وكذا سائر القواكه فإن كان النّاب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة قلّه أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع في رأس المال إن شاء . السابع : أن يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كي لا يشتر ذلك زنا . الثامن : أن لا يسلّمه بيمين فيقول من حنطة هذا الزرع أو تمر هذا البستان فإن ذلك يطل كونه ديناً نعم لو أضاف إلى تمره بده أوقية كبيرة لم يضر ذلك التاسع : أن لا يسلّم في شيء فيس عجز الوجود مثل دقة موصوفة يمز وجود مثلها أو جارية حسنة معها ولها أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا . العاشر : أن لا يسلّم في طعام مهما كان رأس المال طعاما سواء كان من جنسه أو لم يكن ولا يسلّم في هدا إذا كان رأس المال قنّدا وقد ذكرنا هذا في الربا .

أن يتطهروا والله يحب
الطهرين - هذا وصف
أصحاب رسول الله
صلّى الله عليه وسلم
قيل لهم ماذا حكتم
تصنمون حتى أتى الله
عليكم بهذا التناء قالوا
كنا نتبع للماء الحجر
وهذا أشباه هذا من
الأدب وظيفه صوفية
الربط يلازمونه
ويتأهدهونه والرباط
يبتهم ومضربهم ولكل
قوم دار والباطل دارهم
وقد شابهوا أهل الصفة
في ذلك على ما أخبرنا
أبو زرعة عن أبيه
الحافظ القدسي قال
أنا أحمد بن محمد
البرزالي قال أنا عيسى
ابن علي الوزير قال
حدثنا عبد الله بن وهب
قال حدثنا وهبان بن
يحيى قال حدثنا خالد
ابن عبد الله عن داود
ابن أبي هند عن أبي
الحريث حرب بن أبي
الأسود عن طلحة
رضي الله عنه قال
كان الرجل إذا قسم

(العقد الرابع الإجارة)

وله ركنان الأجرة والنفقة فأما المأدو المقتضى فبما ذكرناه في البيع والأجرة كالتنقيض فينبغي أن يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه في البيع إن كان عينا فإن كان دينا فينبغي أن يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراء الدار بمارتها فذلك باطل إذ قدر العارة مجهول ولوقدر دراهم وشرط على المكسري أن يسرفها إلى العارة لم يجز لأن عمله في الصرف إلى العارة مجهول . ومنها استئجار السلاح على أن يأخذ الجهد بعد السلع واستئجار حمال الجيف بجهد الجيفة واستئجار الطحان بالنخالة أو بعض الشيء فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الآخر فلا يجوز أن يجعل أجرة . ومنها أن يقدر في إجارة الدور والحواليات مبلغ الأجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت الدعة مجهولة ولم تنفذ الإجارة . الركن الثاني : النفقة للمقودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويطلق به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه وحمله فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ولكنها لا تطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات وإنما نسير إلى ماتم به البولي فليراع في العمل للمستأجر عليه خمسة أمور : الأول أن يكون متقوما بأن يكون فيه كلفة وتعب فلو استأجر طعاما ليزين به الدكان أو أشجارا ليحفظ عليها الثياب أو دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فإن هذه المنافع تجري مجرى حبة مسمومة وحبة بر من الأعيان وذلك لا يجوز بيعه وهي كالنظر في امرأة الغير والشرب من بره والاستغلال بمجده والاعتباس من ناره ولهذا لو استأجر ياعاطل أن يكلم بكلمة يروج بها سلمته لم يجز وما يأخذه الباعون عوضا عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام إذ ليس يصدر منهم إلا كلفة لا تعب فيها ولا قيمة لها وإنما يحل لهم ذلك إذا تعبوا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام في تأليف أمر للماملة ثم لا يستحقون إلا أجرة التل فأما ما تناوط عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذا بالحق . الثاني : أن لا تتضمن الإجارة استيفاء عين مقسودة فلا يجوز إجارة الكرمر لارتفاقه ولا إجارة اللواشي لبنيها ولا إجارة البساتين تخارها ويجوز استئجار المرصعة ويكون اللابن تابعا لأن أفرادها غير ممكن وكذا يتسامح بحر الوراق وخط الحياط لأنهما لا يقصدان على حيالهما . الثالث : أن يكون العمل مقدورا على تسليمه حاسوا وشرعا فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه وما عزم فله فالشرع يمنع من تسليمه كالأستئجار على قلع سن سلبية أو قطع عضو لا يرضخ الشرع في قطعه أو استئجار الحائض على كنس المسجد أو العلم على تعليم السحر أو القحش أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات أو استئجار الصانع على صيغة الألوان من الذهب والفضة فتلك باطل . الرابع : أن لا يكون العمل واجبا على الأجير أو لا يكون بحيث لا يجري النيابة فيه عن المستأجر فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد ولا على سائر العبادات التي لا نيابة فيها إذ لا يقع ذلك عن المستأجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنازة وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدي للتدريس وإقراء القرآن خلاف أما الاستئجار على تعليم مسئلة بينها أو تعليم باليوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بتقدير الممول وبقدير المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز إعماله وتخصيل ذلك بطول وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به حليات الأحكام وينظرن به لمواضع الاشكال فيسألون الاستقصاء شأن الملقى لأشأن العوام .

الدية وكان له بها عريف ينزل على عريفه فإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة صفا بطون متفقون على صدوا وحده وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الربط لهذا للشي أن يصكون سكانها بوصف ما قال الله تعالى - وزعمنا في صدورهم من غل إخوانا على مرمر متقابلين - والمقالة باستواء السر والعلانية ومن أضمر لأخيه فلا فليس تقابله وإن كان وجهه إليه فأهل الصفة هكذا كانوا لأن مثار الفل والحقد وجود الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى ذرع ولا إلى ضرع فزالت الأحقاد والثل عن يواظهم وهكذا أهل الربط متقابلون

(العقد الخامس القراض)

وليراجع فيه ثلاثة أركان . الركن الأول : رأس المال وشرطه أن يكون هذا معلوما مسلفا إلى العامل فلا يجوز القراض على القلوس ولا على العروش فإن التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدراهم لأن قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط مالك اليد لنفسه لم يجز لأن فيه تضيق طريق التجارة : الركن الثاني : الربح وليكن معلوما بالجزية بأن شرط له الثلث أو النصف أو مائة فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بقدر معين بل بقدر اشتهاع . الثالث : العمل الذي على العامل . وشرطه أن يكون تجارة غير مضيق عليه بتعيين وتأقيت فلو شرط أن يشتري بالمال مائة ليطلب ليطلب ليطالب فيقتاعان النسل أو حنطة فيخربها ويتقاسمان الربح لم يصح لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتهما قطع وهذه حرف أعنى الحيز ورعاية اللواشي ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان أولا يتجر إلا في الحيز الأحمر أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثمهما انعقد فالعامل وكل يتصرف بالبطقة تصرف الوكلاء ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فإذا فسخ في حالة وللمالك كله فيها قد لم يخف وجه القسمة وإن كان عروضاً ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تسكينه أن يرده إلى النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وإن قال العامل أيمه وأبى للمالك فالتبوع رأى للمالك إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربما فيشتركان فيه وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة فليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقوى أن زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك فإن فعل صحت تصرفاته ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأثمان جميعا لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن النقول وإن سافر بالإذن جاز وثقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما أن ثقة الوزن والكيل والحل الذي لا يستاد التاجر مثله على رأس المال فاما نشر الثوب وطيه والعمل البعير المتاد فليس له أن يبذل عليه أجرة وعلى العامل ثقته وسكناه في البلد وليس عليه أجرة الخانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض فادارجع فله أن يرد بقايا آلات السفر من المظهرة والسفرة وغيرها .

(العقد السادس الشركة)

وهي أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة . الأول : شركة اللفاوضة وهو أن يقولوا ضاونا لشرك في كل مالنا وعلينا ومالاها تمتازان فهي باطلة . الثاني : شركة الأبدان وهو أن يتشارطا الاشتراك في أجرة العمل فهي باطلة . الثالث : شركة الوجوه وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيل ومن جهة غيره العمل فهذا أيضا باطل ، وإنما الصحيح العقد الرابع للسمى شركة العنان . وهو أن يختلط مالاها بحث بمنزلة التميز بينهما إلا بقسمة وبأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز أن يتبرذلك بالشرط ثم بالزلل يتمتع بالتصرف عن العزول وبالقسمة يتفصل للملك عن الملك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة العروش المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الثقة يجب تعلمه على كل مكتسب وإلا اتهم الحرام من حيث لا يدري . وأما معاملة القصاب والحجاز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب والحال فيها من ثلاثة وجوه من إهمال شروط البيع وإهمال

بظواهرهم وبواطنهم
يجمعون على الألفه
والمودة يجمعون
للحكم ويجمعون
للطعام ويعرفون بركة
الاجتماع . روى وحشي
ابن حرب عن أبيه عن
جدهم قالوا « يا رسول
الله إنا نأكل ولا نشبع
قال لعلمكم تفترون
على طعامكم اجتمعوا
واذكروا الله تعالى
يبارك لكم فيه » .
وروى أنس بن مالك
رضي الله عنه قال
« ما أكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في
سكرجة ولا خبز له
مرفق قبيل فلي أي
شيء كانوا يأكلون
قال على السفر » فالعباد
والزهاد يطلبوا الانفراد
لدخول الآفات عليهم
بالاجتماع وكون
نفوسهم تفتلق للأهوية
والخوض فيها لا يخفى
فأروا السلامة في
الوحدة والصوفية لقوة
علمهم وصحة حالهم
تزع عنهم ذلك

شروط السلم أو الاختصار على العاطاة إذ المادات جارية بكتبه الحطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك مما يرى القضاء بإباحته للحاجة ويجعل تسليمهم على إباحة تناول مع انتظار الموضع فيحل أكله ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الإتيان فيجتمع في القيمة تلك القيم فإذا وقع التراضي على مقدار ما يفيضي أن يتمس منهم الإبراء للطلق حتى لا يبقى عليه عهدة إن تطرق إليه تفاوت في التقويم فهذا ما يجب القناعة به فإن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الإيجاب والقبول وتقدير عن كل قدر يسير منه فيعسر وإذا كثرت كل نوع سهل تقويعه والله للوفيق .

(الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في العامة)

اعلم أن العامة قد تجري على وجه يحكم التقى بصحتها وانقضاءها ولكنها تشتمل على ظلم تعرض به للعامل لسلطان الله تعالى إذ ليس كل شيء يقتضي فساد العقد وهذا الظلم يعني به ما استغفره به الغير وهو منقسم إلى ما يميم ضرره وإلى ما يغض للعامل .

(القسم الأول فيما يميم ضرره . وهو أنواع)

النوع الأول : الاحتكار فباع الطعام يذخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره ^(١) » وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه ^(٢) » وقيل فكأنما قتل الناس جميعاً . وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوماً قساقله وعنه أيضاً أنه أحرق طعاماً يحترق بالنار وروى في فضل ترك الاحتكار عنه ^(٣) « من جلب طعاماً فباعه بسر يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة ^(٤) » وقيل في قوله تعالى - ومن يرد فيه إلحاد بظلم ندقه من عذاب أليم - إن الاحتكار من الظلم ودخل تحته في الوعيد وعن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله ببيع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار لو أخرته جمعة رحمت فيه أضاعه فأخره جمعة فربح فيه أمثاله وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه صاحب الطعام يا هذا إننا كنا قتنا بربح يسير مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت وما نحب أن نربح أضاعه بنهاب شيء من الدين فقد جنب علينا جناية فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله تصدق به على فقراء البصرة وليتي أجمعين ثم الاحتكار كغش الطاعن ولا ي . واعلم أن النبي مطلق ويعلق النظر به في الوقت والجنس أما الجنس فيطرده النبي في أجناس الأقوات أما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالأدوية والمقاقير

(الباب الثالث في بيان العدل)

(١) حديث من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي والحطيب في التاريخ من حديث أنس بسندين ضيفين (٢) حديث ابن عمر من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه أحمد والحاكم بسند جيد وقال ابن عدي ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر (٣) حديث من جلب طعاماً فباعه بسر يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ما من جالب يجلب طعاماً إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد والحاكم من حديث اليسع بن المثيرة إن الجالب إلى سوقنا كالجهاد في سبيل الله وهو مرسل

فروا الاجتماع في بيوت الجماعة على السجادة فسجادة كل واحد زوايته يوم كل واحد مهمه ولعل الواحد منهم لا يتخطى هم سجدته ولهم في أخذ السجادة وجه من السنة . وروى أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت « كنت أجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيراً من القيف يصلى عليه من الليل » وروى ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسط له الحجرة في المسجد حتى يصلى عليها » والرباط يحتوي على شيان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة فالمشايخ بالزوايا أليق نظراً إلى ما تدعو إليه النفس من التوهم والراحة والاستعداد بالحرركات والسكنات فالنفس

والزعران وأمثاله فلا يمدى اليه وإن كان مطعوما وأما ما يبين على القوت كاللحم والقواكه وما يمدد ما يبنى عن القوت في بعض الأحوال وإن كان لا يمكن للدائمة عليه فهذا في محل النظر فمن الغلاء من طرد التحريم في السمن والصل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه وأما الوقت فيحتمل أيضا طرد النهي في جميع الأوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السرر ويحتمل أن يخص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير يسه ضررها فأما إذا التفت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قطعا فليس في هذا إضرار وإذا كان الزمان زمان قطع كان في ادخار الصل والسمن والشيرج وأمثاله إضرار فينبغي أن يقضى بتعريضه ويحول في نفي التحريم وإثباته على الضرر فإنه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام وإذا لم يكن ضررا فلا يخلو احتكار الأقوات عن كراهية فإنه ينتظر مبادئ الضرر وهو ارتفاع الأسعار وانتظار مبادئ الضرر بحذورك انتظار عين الضرر ولكنه دونه وانتظار عين الضرر أيضا هو دون الإضرار فيقدر درجات الأضرار متفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الأقوات مما لا يستحب لأنه طلب ربح والأقوات أصول خلقت قواما والربح من اللزائم فينبغي أن يطلب الربح فيما خلق من جملة اللزائم التي لا ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بسنى التائبين رجلا وقال لا تسلم ولداك في يمينين ولا في سمتين بيع الطعام وبيع الأكفان فإنه يفتن الغلاء وموت الناس والصنحان أن يكون جزارا فأما صنعة تسمى القلب أو صواغا فإنه يزخر في الدنيا بالذهب والفضة . النوع الثاني ترويج الزيف من الدرهم في أثناء النقد فوهل ثم إذ يستضره العامل إن لم يعرف وإن عرف فسروجه على غيره فكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الأبدى ويم الفرر ويشع الفساد ويكون وزر السك ووباله راجعا إليه فإنه هو الذي فتح هذا الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سنّ سنة سيئة فصل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا» (١) وقال بعضهم إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة مصيبة واحدة وقد تمت وانقطعت وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن يفي ذلك الدرهم ويكون عليه مافسد من أموال الناس يستنه وطون لمن إذا مات مات معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويثقل عنها إلى آخر اقراضها قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - أي نكتب أيضا ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى - نبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر - وإنما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره . ولعلم أن في الزيف خمسة أمور : الأول أنه إذا رد عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في بر بحيث لا تمتد إليه اليد وإياه أن يروجه في بيع آخر وإن أفسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز . الثاني أنه يجب على التاجر تحمل النقد لا يستغنى لنفسه ولكن لئلا يسلم إلى مسلم زغا وهو لا يدري فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فاسلك عمل علم به يتم نصح للمسلمين فيجب تحصيله ومثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظرا لدينهم لادنيانهم . الثالث أنه إن سلم وعرف للعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم لأنه ليس بأخذه إلا ليروجه على غيره ولا غيره ولولم يزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلا فأما يتخلص من إثم الفرر الذي يخص معاملته

شوق إلى الفرر
والاسترسال في وجوه
الرفق والشاب يضيق
عليه مجال النفس
بالتمود في بيت الجماعة
والانكشاف لنظر
الأغيار لشكر العيون
عليه فيتعبد ويتأدب
ولا يكون هذا إلا إذا
كان جمع الرابطة في بيت
الجماعة مهتمين بحفظ
الأوقات وضبط الأخاس
وحراسة الخواص كما
كان أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
- لكل امرئ منهم
يومئذ شأن ضيقه كان
عندهم من هم الآخرة
ما يشغلهم عن اشتغال
البعض ببعض وهكذا
ينبغي لأهل الصدق
والصوفية أن يكون
اجتماعهم غير مضر
بوقتهم فإذا تخلل
أوقات الشبان اللغو
والقطط الأولى أن يلزم
الشاب الطالب للوحدة
والعزلة ويؤثر الشيخ
الشاب بزائده
وموضع خلوته ليحبس

(١) حديث من سنّ سنة سيئة فصل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء مسلم من حديث جرير بن عبد الله .

قسط . الرابع : أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء »^(١) فهو داخل في بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحه في بر وإن كان عازماً على أن يروجيه في معاملة فهذا شرّ روجه الشيطان عليه في معرض الخير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء . الخامس أن الزيف نهي به مالا قرره فيه أصلاً بل هو مجرم أولاً ذهب فيه أئني في الدنانير أما ما فيه هرة فإن كان مخلوطاً بالنحاس وهو قد البه قد اختلف العلماء في للمامة عليه وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك قد البه سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم وإن لم يكن هو قد البه لم يجر إلا إذا علم قدر النقرة فإن كان في ماله قطعة هرتها ناقصة عن قد البه فضله أن يجبر به معاملة وأن لا يمايل به إلا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبس فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمرًا وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه وسواك طريق الحق بمثال هذا في التجارة أشد من اللواطية على توافل العبادات والتخلي لها وبذلك قال بعضهم التاجر الصدوق أفضل عند الله من التصد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى روى عن بعض التزاة في سبيل الله أنه قال حملت على فرسي لأقتل علجاً قصير في فرسي فرجعت ثم دنأ مني الملعج فحملت ثانية فقصر فرسي فرجعت ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لأعتاد ذلك منه فرجعت حزناً وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاني من الملعج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت رأسي على عمود القسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك أردت أن تأخذ على الملعج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علجاً ودفعت في ثمنه درهما زائفاً لا يكون هذا أبداً قال فانتبهت فزعا فذهبت إلى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يع ضرره وليقض عليه أمثاله .

(القسم الثاني ما يغض ضرره للعامل)

فكل ما يستغربه للعامل فهو ظلم وإنما العدل أن لا يضرب بأخيه السلم والضابط الكلّي فيه أن لا يحب لأخيه إلا ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به شق عليه وتقل على قلبه فينبغي أن لا يمايل غيره به بل ينبغي أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم : من باع أخاه شيئاً بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دنانير فإنه قد ترك الصبح للمأمور به في للماملة ومحب لأخيه ما يحب لنفسه هذه جملة فاما تفصيله ففي أربعة أمور أن لا يثني على السلفة بما ليس فيها وأن لا يكتن من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً أصلاً وأن لا يكتن في وزنها ومقدارها شيئاً وأن لا يكتن من سرها ما لو عرفه للعامل لامتنع عنه : أما الأول فهو ترك التناء فإن وصفه للسلفة إن كان بما ليس فيها فهو كذب فإن قبل للشترى ذلك فهو تلبس وظلم مع كونه كذبا وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط مروة إذ الكذب الذي يروج قد لا يفتح في ظاهر المروءة وإن أثنى على السلفة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يئنه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه إن تكلم بها قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - إلا أن يثنى على السلفة بما فيها مما لا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من خفي أخلاق البعيد والجواري والذواب فلا بأس بذكر القدر الموجود من غير مبالغة وإطباب ولكن قصده منه أن يعرفه أخوه السلم فرغب فيه وتقضى بسببه حاجته ولا ينبغي أن يخلف عليه ألبته فإنه إن كان كاذباً قد سجد باليمين القنوس وحى من الكبار التي تزد الديار بلائيم وإن كان صادقاً قد جعل الله تعالى عرصة لأبجائه وقداًساً فيه إذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة ،

(١) حديث رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء البخاري من حديث جابر .

العاب تحسه عن
دواعي الهوى والحشوش
فيا لا يئني ويكون
الشيخ في بيت الجماعة
قوة حاله وصبره على
مدارات الناس وتخلصه
من تبعات المخالطة
وحضور وقاره بين الجمع
فينضبط به الخير ولا
يتكدر هو وأما الخدمة
فشأن من دخل الرباط
مبتدئاً ولم يثق علم
للم ولم يتنبه لنفاق
الأحوال أن يؤمر
بالخدمة لتكون عبادة
خدمة ومجدب بحسن
الخدمة قلوب أهل الله
إليه فتشمله بركة ذلك
ويسين الأخوان
للمشتغلين بالعبادة قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « للؤمنون
إخوة يطلب بعضهم إلى
بعض الحوائج فيقضى
بعضهم إلى بعض
الحوائج يقضى الله لهم
حاجاتهم يوم القيامة »
فينضبط بالخدمة
عن البطالة التي تمت
القلب والخدمة عند

وفي الخبر « ويل للتاجر من بلى والله ولا واقه وويل للصانع من غد وبسدغند^(١) » وفي الخبر « الذين الكاذبة منفقة للسلمة لمحقة للبركة^(٢) » وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عتل مستكبر ومنان بعلطيه ومنفق سلتمت يمينه^(٣) » فإذا كان الشاهد على السلمة مع الصدق مكروها من حيث إنه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التخليط في أمر المؤمنين وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزاناً أنه طلب منه خزل لشراء فأخرج غلامه سقط الخبز وتفرقه ونظر إليه وقال اللهم أرزنا الجنة فقال لغلامه رده إلى موضعه ولم يسه وخاف أن يكون ذلك تعرضاً بالنساء على السلمة فثقل هؤلاء هم الذين أجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا . الثاني : أن يظهر جميع عيوب حبيبها وجلبها ولا يكتم منها شيئاً فذلك واجب فإن أخفاء كان ظالماً غاشاً والنفس حرام وكان تاركاً للنصح في العامة والنصح واجب وبهما أظهر أحسن وجوب الثوب وأخفى الثاني كان غاشاً وكذلك إذا عرض الثياب للواضع للظلمة وكذلك إذا عرض أحسن فردى الحنف أوائله وأمثاله ويدل على تحريم القس ماروي « أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاماً فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بلا قال ما هذا قال أصابته السباع قتال فهلا جعلته فوق الطعام حتى راء الناس من غشنا فليس منا^(٤) » ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ماروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جبرياً على الإسلام ذهب لينصرف فغضب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم^(٥) فكان جبرير إذا قام إلى السلمة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال إن شئت فخذ وإن شئت فترك فقبله إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع فقال إنا يا أبا رسول الله نبيع على النصح لكل مسلم وكان وثالثه الأسمع واقفاً فباع رجل ناقه له بثلاثة دراهم ففعل وثالثه وقذهب الرجل بالناقته فسمى وراءه وجعل يصيح به يا هذا اشتريتها للحم والظفر فقال بل للظفر فقال إن غنمها ثوبا قدرتيه وإنها لاتابع السير فادفعها فقضى البائع مائة درهم وقالوا لثالثه رحلنا الله أفصدت على يميني فقال إنا يا أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال مصعب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يخل لأحد يبيع بها إلا أن يبين آفة ولا يخل لمن يعلم ذلك إلا يبينه^(٦) » قد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما رضاه نفسه ولم يستقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة القامات بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت يمينهم وهذا أمر يشق على أكثر الخلق فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس لأن القيام بمحموق الله مع المخالطة للعامة مجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون ولن يتيسر ذلك على البعد إلا بأن يعتد أمرين . أحدهما أن تلبسه العيوب وتروجه

(١) حديث ويل للتاجر من بلى والله ولا واقه وويل للصانع من غد وبسدغند لم أقضه على أصل وذكر صاحب مسند القروس من حديث أنس بغير إسناد نحوه (٢) حديث الذين الكاذبة منفقة للسلمة لمحقة للبركة متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ الحلف وهو عند البيهقي بلفظ الصنف (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عائل مستكبر ومنان بعلطيه ومنفق سلتمت يمينه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا عائل مستكبر ولهما ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلمة لقد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب ولمسلم من حديث أبي ذر اللتان والسبيل إزاره والتفق سلتمت بالحلف الكاذب (٤) حديث مرّ برجل يبيع طعاماً فأعجبه فأدخل يده فرأى بلا فقال ما هذا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث جبرير بن عبد الله إنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم متفق عليه (٦) حديث وثالثه ولا يخل لأحد يبيع بها إلا أن يبين ما فيه ولا يخل لمن يعلم ذلك إلا يبينه الحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي .

القوم من جملة العمل الصالح وهو طريق من طرق الواجد تكسبهم الأوصاف الجيلة والأحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا إلى الاهتداء بهم . أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح قال أنا أبو الفضل حميد ابن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال ثنا سليمان ابن أحمد قال ثنا علي ابن عبد العزيز قال ثنا أبو عبيد قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك عن أبي هلال الطائي عن وثيق بن الرومي قال كنت بموكا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان يقول لي أسلم فانك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين فانه لا يثنى أن استعين على أماناتهم بمن ليس منهم قال فأبيت فقال عمر لا إكراه في الدين قلنا

السلع لا يزيد في رزقه بل يمتدح وينهب يركنه وما يجتمع من ممرقات التليسات يهلكه الله دفعة واحدة .
 فقد حكى أن واحدا كان له بكرة يجلبها ويغسلها بلينها الماء ويبيعها فجاء سيل ففرك البقرة فقال بعض أولاده إن تلك للياه للفرقة التي ميناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة كفف وقد قال صلى الله عليه وسلم « البعان إذا صدقا ونصحابورك لهما في بيعهما وإذا كتما وكذبا نزع بركة بيعهما » (١) وفي الحديث « يد الله على الشريكين مالم يتخاوتا فإذا تخاوتا رفع يده عنهما » (٢) فإذا لا يزيد مال من خيانة كالابتص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان إلا باليزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف أن الدرهم الواحد قديارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الإنسان في الدنيا والدين والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يمتنى الإفلاس منها وراه أصلح له في بعض أحواله فيعرف معنى قولنا إن الحياة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمضى الثاني الذي لا بد من اعتقاده ليم له الصبح ويتسرع عليه أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وأن فوائد أموال الدنيا تنقضي باقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجير العاقل أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله ﷺ « لا تزال لإله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم » (٣) وفي لفظ آخر « ما لم يبالوا ما نص من دنياهم بسلامة دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لإله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين » وفي حديث آخر « من قال لإله إلا الله غلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصه قال أن يحرمه عما حرم الله » (٤) وقال أيضا ما آمن بالقرآن من استحل عماره ومن علم أن هذه الأمور قاذحة في إيمانه وأن إيمانه رأس ماله في تجارته في الآخرة لم يضيع رأس ماله للمد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينفع به أياما معدودة . وعن بعض التابعين أنه قال لودخلت الجامع وهو غاص بأهله وقيل لي من خير هؤلاء قلت من أنصحهم لهم فإذا قالوا هذا قلت هو خيرم ولوقيل لي من شرم قلت من أغشهم لهم فإذا قيل هذا قلت هو شرهم والشر حرام في البيوع والصنائع جميعا ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لوعاله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي أن يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب فيذلك يتخلص . وسأل رجل حذاء بن سالم قال كيف لي أن أسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سواء ولا تفضل اليمنى على الأخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تماما وقارب بين الخرز ولا تطبق إحدى التعلين على الأخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله عن الرقوب بحيث لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيع أن يخفيه وإنما يحل للرفا إذا علم أنه يظهره وأنه لا يريد البيع . فان قلت فلاتم للعامة مهما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب البيع . فأقول ليس كذلك إذ شرط التاجر أن لا يشتري البيع إلا الجيد الذي يرضيه لنفسه لو أمسكه ثم يفتح في يده بربح يسير فيارك الله له فيه ولا

(١) حديث البعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما الحديث متفق عليه من حديث حكيم ابن حزام (٢) حديث يد الله على الشريكين مالم يتخاوتا فإذا تخاوتا رفع يده عنهما أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد (٣) حديث لا تزال لإله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم الحديث أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وفي رواية للترمذي الحديث في النوادر حتى إذا نزلوا بالمثل الذي لا يبالون ما نص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم الحديث للطبراني في الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف أيضا (٤) حديث من قال لإله إلا الله غلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصها قال يحرمه عما حرم الله الطبراني من حديث زيد بن أرقم في مصححه الكبير والأوسط بإسناد حسن .

حضرت الوفاة اعتنى فقال اذهب حيث شئت فالقوم يكرهون خدمة الأغيار ويأبون مخالطتهم أيضا فان من لا يحب طريقهم ربما استغنى بالنظر إليهم أكثر مما ينفع فانهم يشر وتبدونهم أمور يقتضى طبع الشر وينكرها التبر لقة عليه بما صدمه فيكون إياؤهم لموضع الشفقة على الخلق لامن طريق التعرز والترفع على أحد من السليين والشاب الطالب إذا خمد أهل الله الشغولين بطاعته يشاركهم في الثواب وحيث لم يؤهل لأحوالهم السنية يختم من أهل لها فعدته لأهل القرب علامة حب الله تعالى . أخبرنا الثقة أبو الفتح محمد ابن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نصير قال ثنا

عُتِجَ إِلَى تَبْلِيسَ وَإِنَّمَا تَقْدَرُ هَذَا لِأَنَّهُمْ لَا يَقْتَمُونَ بِالرَّيْحِ الْيَسِيرِ وَلَيْسَ بِسَلَمِ الْكَبِيرِ إِلَّا بِتَبْلِيسَ فَمَنْ
تَمَوَّذَ هَذَا لَمْ يَشْتَرِ الْمَيْبَ فَإِنْ وَقَعَ فِي يَدِهِ مَعِيبٌ نَادِرًا فَلْيَذْكُرْهُ وَلْيَقْنَعْ بِقِيَمَتِهِ بِإِعْنِ سِرِّينَ شَاءَ قَالُ
لِلْمَشْتَرِي أَوْ بَرَأَ إِلَيْكَ عَيْبُهَا إِنَّمَا تَغْلِبُ الْعَلْفَ بِرَجُلِهَا وَبَاعَ الْحَسَنُ بِنَ صَالِحٍ جَارِيَةً قَالُ لِلْمَشْتَرِي إِنَّمَا
تَنْخَفُتُ مَرَّةً عِنْدَنَا دَمًا فَهَكَذَا كَانَتْ سِيرَةُ أَهْلِ الدِّينِ فَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَلْيَتَرَكِ الْعَامِلَةَ أَوْ لِيُوطِنَ
نَفْسَهُ عَلَى عَذَابِ الْآخِرَةِ . الثَّالِثُ أَنْ لَا يَكْفِيَ فِي الْقَدَرِ شَيْئًا وَذَلِكَ بِتَعْدِيلِ الْوِزَانِ وَالِاحْتِيَاظِ فِيهِ وَفِي
الْكَيْلِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكْبَلَ كَمَا يَكْتَلُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - وَيَلِ لِلطَّعْفَيْنِ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ - وَلَا يَخْلُصُ مِنْ هَذَا إِلَّا بَأْنُ رَجْعٍ إِذَا أُعْطِيَ وَيَنْقُصُ إِذَا
أَخَذَ إِذَ الْعَدْلُ الْحَقِيقُ قَلِمًا يَتَوَصَّرُ فَلْيَسْتَظْهَرِ بِظُهُورِ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ فَإِنْ مِنْ اسْتَقْصَى حَقَّهُ بِكَيْلِهِ
يُوشِكُ أَنْ يَتَعَدَّاهُ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ : لَا تَشْتَرِ الْوَيْلَ مِنَ اللَّهِ عَجْجَةً فَكَانَ إِذَا أَخَذَ هَمْسَ نِصْفِ حَبَّةٍ
وَإِذَا أُعْطِيَ زَادَ حَبَّةً وَكَانَ يَقُولُ : وَيْلَ لِمَنْ بَاعَ عَجْجَةً حَبَّةً عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا أَسْفَرُ مِنْ
بَاعَ طَوْبِي بِوَيْلٍ وَإِنَّمَا تَلَوَّا فِي الْإِحْتِرَازِ مِنْ هَذَا وَشَبَّهَ لَهَا مِظَالًا لَا يَكُنُ الثَّوْبَةُ مِنْهَا إِذْ لَا يَرَفُ
أَصْحَابُ الْجِبَاتِ حَتَّى يَجْمَعَهُمْ وَيُؤَدِّيَ حَقُوقَهُمْ وَلِذَلِكَ لَمَّا اشْتَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا
قَالَ لَوْ زَانٍ لَمَا كَانَ بَيْنَ شَيْءٍ «زَنَ وَأَرْجَعَ»^(١) وَنَظَرَ فَضِيلٌ إِلَى ابْنِهِ وَهُوَ يَسْلُ دِينَارًا يَرِيدُ أَنْ يَصْرِفَهُ
وَيَزِيلَ تَكْحِيلَهُ وَيَتَّقِيهِ حَتَّى لَا يَزِيدَ وَزَنَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ قَالَ يَابُنِي فَطْلُكُ هَذَا أَفْضَلُ مِنْ حَبَّتَيْنِ وَعَشْرِينَ
عُمْرَةً وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ عَجِبْتُ لِلتَّاجِرِ وَالْبَائِعِ كَيْفَ يَنْتَجُو زَيْنَ وَيُخْلِفُ بِالنَّهَارِ وَيَتِمُّ بِاللَّيْلِ وَقَالَ السَّيِّدَانِ
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَدْخُلَ الْحَبَّةُ بَيْنَ الْحَجَرَيْنِ كَذَلِكَ تَدْخُلُ الْخَطِيئَةُ بَيْنَ التَّيَّابِينَ . وَصَلَّى بَعْضُ
الصَّالِحِينَ عَلَى مَحْتٍ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ كَانَ فَاسِقًا فَكَيْفَ تُعِيدُ عَلَيْهِ فَقَالَ كَأَنَّكَ قَتَلْتَ لِي كَانَ صَاحِبُ مِيزَانَيْنِ
يُعْطِي بِأَحَدِهِمَا وَيَأْخُذُ بِالْآخَرِ أَشَارَ بِهِ إِلَى أَنْ فَسَقَ مِظْلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَهَذَا مِنْ مِظَالِمِ الْعِبَادِ
وَالسَّامِعَةِ وَالْعَوْفِيَةِ أَيْدٍ وَالتَّشْدِيدِ فِي أَمْرِ الْوِزَانِ عَظِيمٌ وَالْخُلَاصُ مِنْهُ يَحْصُلُ عَجْجَةً وَنِصْفَ حَبَّةٍ وَفَرَادَةَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَا تَطْلُوقِ فِي الْوِزَانِ وَأَقْبِمْهُ الْوِزْنَ بِاللَّسَانِ وَلَا تَخْشَعُ الْوِزَانَ - أَيْ لِسَانَ
الْوِزَانِ فَإِنَّ النَّقْصَانَ وَالرَّجَحَانَ يَظْهَرُ عَلَيْهِ وَبِالْجَلَّةِ كُلِّ مَنْ يَنْتَصِفُ لِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِهِ وَلَوْ فِي كَلَّةٍ وَلَا يَنْتَصِفُ
بِثَلٍّ مَا يَنْتَصِفُ فَهُوَ دَاخِلٌ تَحْتَ قَوْلِهِ تَعَالَى - وَيَلِ لِلطَّعْفَيْنِ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ - الْآيَاتُ
فَإِنْ تَحَرَّجَ ذَلِكَ فِي الْكَيْلِ لَيْسَ لِكُونِهِ مِكَالًا لِكُونِهِ أَمْرًا مَقْصُودَ أَتَرَكَ الْعَدْلَ وَالنِّصْفَةَ فِيهِ فَهُوَ جَارٍ
فِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ لِصَاحِبِ الْوِزَانِ فِي خَطَرِ الْوَيْلِ وَكُلِّ مَكْلَفٍ فَهُوَ صَاحِبُ مِوَازِينٍ فِي أَفْأَلِهِ وَأَقْوَاهُ وَخَطَرَاتِهِ
فَالْوَيْلُ لَهُ إِذَا عَلَنَ الْعَدْلَ وَمَا لِعَنْهُ مِنَ الْاسْتِقَامَةِ وَلَوْ لَا تَعْنَرُ هَذَا وَاسْتَحَالَتهُ مَا وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى - وَإِنْ مَكَمَّ
إِلَّا وَارِدًا هَكَذَا عَلَى رِيكِ حَتْمًا مُقْضِيًا - فَلَا يَنْفِكُ عَبْدٌ لَيْسَ مَعْصُومًا عَنِ اللَّيْلِ عَنِ الْاسْتِقَامَةِ إِلَّا أَنْ دَرَجَاتُ
الْبَيْلِ تَتَفَاوَتْ تَفَاوُتًا عَظِيمًا فَلِذَلِكَ تَتَفَاوَتْ مَدَّةُ مَقَامِهِمْ فِي النَّارِ إِلَى أَوَانِ الْخُلَاصِ حَتَّى لَا يَبْقَى بِبَعْضِهِمْ
إِلَّا بِقَدْرِ تَحْمَلَةِ الْقِسْمِ وَيَبْقَى بِبَعْضِهِمْ أَلْمًا وَأَلُوفٌ سَنِينَ فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقْرُبَنَا مِنَ الْاسْتِقَامَةِ وَالْعَدْلِ
فَإِنَّ الْاِسْتِقَامَةَ عَلَى مَقْنِ الصِّرَاطِ لِلتَّقِيْمِ مِنْ غَيْرِ مِيلٍ عَنْهُ غَيْرُ مَطْمَوعٍ فِيهِ فَأَنَّهُ أَدْقُ مِنَ الشَّمْعَةِ وَأَحَدٌ مِنَ
السَّيْفِ وَلَوْلَا لِكَانَ الْمُسْتَقِيمُ عَلَيْهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى جَوَازِ الصِّرَاطِ الْمُدْمَدِّ عَلَى مَقْنِ النَّارِ الَّتِي مِنْ صَفَتِهِ
أَنَّهُ أَدْقُ مِنَ الشَّمْعَةِ وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ وَبِقَدْرِ الْاسْتِقَامَةِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ يَخْفُفُ الْعَبْدُ بِالدُّيُومِ الْقِيَامَةِ عَلَى
الصِّرَاطِ وَكُلِّ مَنْ خَلَطَ بِالطَّعَامِ رُبَا أَوْ غَيْرِهِ ثُمَّ كَانَتْ لَهُ مِنَ الطَّعْفَيْنِ فِي الْكَيْلِ وَكُلِّ نَصَابٍ وَزَنٍ مَعَ الْحَمِّ
عَظِيمًا تَجَرَّ الْعَادَةُ بِتَهْلُفِهِ مِنَ الطَّعْفَيْنِ فِي الْوِزْنِ وَقَسَّ عَلَى هَذَا سَائِرَ التَّقْدِيرَاتِ حَتَّى فِي الذَّرْعِ الَّتِي يَتَطَاوَلُ الْبَرَّازُ

(١) حَدِيثُ قَالَ لَوْ زَانٍ زَنَ وَأَرْجَعَ أَصْحَابُ السُّنَنِ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ سُؤِيدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ
الْتِمَذِيُّ حَسَنٌ وَصَحِيحٌ وَقَالَ الْحَاكِمُ هَجِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ .

أَبُو بَكْرٍ بْنُ خِلَادٍ قَالَ
ثَنَا الْحَرْثُ بْنُ أَبِي
أَسَامَةَ قَالَ ثَنَا مَعَاوِيَةُ
ابْنُ عَمْرٍو قَالَ ثَنَا
أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ حَمِيدٍ
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
لَمَّا انْفَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
تَبُوكَ قَالَ حِينَ دَنَا
مِنَ الْمَدِينَةِ إِنَّ
بِالْمَدِينَةِ أَقْسُومًا
مَاسِرَةً مِنْ مَسِيرٍ وَلَا
تَقْطَعُنَّ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا
مَعَكُمْ قَالُوا وَمِنْ الْمَدِينَةِ
قَالَ «نَمَّ بِسَبَبِهِمُ الْعَدْرُ»
فَالْقَائِمُ بِخُدْمَةِ الْقَوْمِ
تَمُوتُ عَنْ بُلُوغِ دَرَجَتِهِمْ
بَسْطَرِ الْقُصُورِ وَعَدَمِ
الْأَهْلِيَّةِ طَلَامَ حَوْلِ
الْحِمَى بِأَذَلِّ مَجْهُودِهِ فِي
الْحُمْدَةِ يَتَطَلَّ بِالْأَثَرِ
حَيْثُ مَنَعَ النَّظَرَ لِحُزَاهِ
اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ أَحْسَنُ
الْجَزَاءِ وَأَنَالَهُ مِنْ
جَزِيلِ الْعَطَاءِ وَهَكَذَا
سَكَّانُ أَهْلِ الصَّفَةِ
يَتَعَاوَنُونَ عَلَى السَّبْرِ
وَالْتَقَوَى وَبِحُجْمَعُونَ
عَلَى الصَّالِحِ الدِّينِيَّةِ

فانه إذا اشترى أرسل التوب في وقت الترع ولم يبعه مدا وإذا باع مده في الترع ليظهر تفاوتنا في القدر فكل ذلك من التظنيف للعرض صاحبه لاول . الرابع أن يصدق في سعر الوقت ولا يخفى منه شيئا فقد نهى رسول الله ﷺ عن تلقى الركبان ^(١) ونهى عن التجش ^(٢) أما تلقى الركبان فهو أن يستقبل الرقة ويتلقى للتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تتلقوا الركبان » ومن تلقاها صاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق وهذا الشراء منقذ ولكنه إن ظهر كذبه ثبت البائع الخيار وإن كان صادقا ففي الخيار خلاف لما عارض عموم الخبر مع زوال التيسر ونهى أيضا أن يبيع حاضر لباد ^(٣) وهو أن يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى يمه فيقول له الحضرى أركه عندي حتى أغالى في ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف والأظهر تحريمه لمعوم النهى ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولى اللصيق ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التجش وهو أن يتقدم إلى البائع ين يدي الراغب للتشترى وطلب السلعة بزيادة وهو لا يريد بها وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا إن لم تجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منقذ وإن جرى مواطأة ففي ثبوت الخيار خلاف والأولى إثبات الخيار لأنه لا يجرى بطل يضاى التفرر في الصراة وتلقى الركبان فهذه للناسى تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والاشترى في سعر الوقت ويحكم منه أمرا لوعله لما أقدم على العقد فعمل هذا من التش الحرام للضاد للنصح الواجب . قد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله خلام بالسوس يحجز إليه السكر فكتب إليه غلامه إن قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرًا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا فاضرف إلى منزله فأفكر ليلته وقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصع رجل من المسلمين فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفع إليه ثلاثين ألفا وقال بارك الله لك فيها قال ومن أين صارت لي قال إني كنتك حقيقه الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت قال رحمتك الله قد أغلعتي الآن وقد طبختها لك قال فرجع بها إلى منزله وتذكر وابت ساهرا وقال ما نصحتك فلمه استعجا مني فتركها لي ففكر إليه من التد وقال عافاك الله خذ مالك إليك فهو أطيب لتلقى فأخضعته ثلاثين ألفا فهذه الأخبار في الناهي والحكايات تدل على أنه ليس له أن يقتنم فرصة ويتنزع غفلة صاحب المتاع ويخفى من البائع غلاء السعر أو من المشتري تراجع الأسعار فان فعل ذلك كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مراعاة بأن يقول بعت بما قام على أو بما اشترته فله أن يصدق ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بدال من عيب أو نقصان ولو اشترى إلى أجل وجب ذكره ولو اشترى مساعحة من صدقه أو ولده يجب ذكره لأن المعامل يمول على عادته في الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره إذ الاعتماد فيه على أمانته .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعا والعدل سبب النجاة قسط وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يمد من الغلاء من تقع في معاملات الدنيا برأس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للتدين أن يقتصر على العدل

(١) حديث النهى عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٢) حديث النهى عن التجش متفق عليه من حديث ابن عمر وأبي هريرة (٣) حديث النهى عن بيع الحاضر للبادي متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأبى .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

ومواساة الاخوان بالمال والبدن .

[الباب الخامس عشر

في خصائص أهل

الربط والصوفية

فما يشاهدونه

ويختصون به]

أعلم أن تأسيس هذه

الربط من زينة هذه

لثة الهادية للهدية

ولسكان الربط أحوال

تميزوا بها عن غيرهم

من الطوائف صوم على

هدى من ربهم قال

الله تعالى - أولئك

الذين هدى الله فبهداهم

اقفده - وما يرى من

التقصير في حق البعض

من أهل زماننا

والتخلف عن طريق

سلفهم لا يندفع في أصل

أمرهم وصحة طريقهم

وهذا القدر الباقي من

الأثر واجتماع للتصوفة

في الربط وما هيا الله

تعالى لهم من الرفق

بركة جمية بواطن

للشايخ للساكنين وأثر

من آثار منع الحق في

حجمهم وصورة الاجتماع

واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان وقد قال الله - وأحسن كما أحسن الله إليك - وقال عز وجل - إن الله يأمر بالعدل والإحسان - وقال سبحانه - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ونفى بالإحسان فعل ما ينفع به العامل وهو غير واجب عليه ولكنه تحضلمنه فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتال رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور : الأول في اللقائبة فينبغي أن لا يفتن صاحبه بما لا يتقن به في العادة فأما أسهل اللقائبة فماؤذون فيه لأن البيع للرجح ولا يمكن ذلك إلا بفتن ما ولكن رماي فيه التقريب فإن بدل للشرى زيادة على الرجح للعاد إما لشدة رغبته أو لشدة حاجته في الحال إليه فينبغي أن يتنع من قوله فذلك من الإحسان ومهما لم يكن تلبس لم يكن أخذ الزيادة ظلمًا وقد ذهب بعض العلماء إلى أن اللقن بما يزيد على الثلث يوجب الحيار ولنا نرى ذلك ولكن من الإحسان أن يحط ذلك التبن . يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربع مائة وضرب كل حلة قيمتها مائتان فر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة ففرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها ففرض بها وهي على يديه فاستقبله يونس ففرض حلتها فقال للأعرابي بك اشتريت فقال بأربعمائة فقال لا تساوي أكثر من مائتين فأرجع حتى تردها فقال هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا أرضيها فقال له يونس انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن أخيه في ذلك وقاتله وقال أما استحييت أما اتقيت الله ترجع مثل التبن وترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها إلا لادوهم راضيا بها قال فلها رضيت لها ثم رضاء لنفسك وهذا إن كان فيه إخفاء سعر وتلبس فهو من باب الظلم وقديسقي وفي الحديث « غبن السئمل حرام » (١) وكان الزبير بن عدي يقول أدركت غمانية عشرين الصعابة مائتهم أحد يحسن يشتري لها بدرهم فتبين مثل هؤلاء للسئملين ظلم إن كان من غير تلبس فهو من ترك الإحسان ولما يتم هذا إلا بنوع تلبس وإخفاء سعر الوقت وإنما الإحسان المحض ما نقل عن السري السقطي أنه اشترى كركوز بستين دينارا وكتب في روز ناجه ثلاثه دنانير ربحه وكأنه نراى أن يرجع على الشره نصف دينار فصار اللوز بثمانين فأناء الدلال وطلب اللوز فقال خذ قال بك فقال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين قد صار اللوز بثمانين فقال السري قد عدت عقدا لأحله لست أيمه إلا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلما لست آخذ منك إلا بثمانين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال . وروى عن محمد بن النكدر أنه كان له شقق بضعا وخمسة وبضعا بشرة فباع في غيبته غلامه شقة من الخشيات بشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي للشرى طول النهار حتى وجده فقال له إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بشرة فقال يأخذنا قدر ضيت فقال وإن رضيت فانا لا نرضي لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاخر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شققم من الشرقيات بدارهمك وإما أن نرد عليك خمسة وإما أن نرد شقتنا وتأخذ دهمك فقال أعطني خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ قليل له هذا محمد بن النكدر فقال لا إله إلا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قطعنا فهذا إحسان في أن لا يرجع على الشره إلا نصفًا أو واحدا على ما جرت به العادة في مثل ذلك الناع في ذلك للسكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستعاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة . كان على رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالهجرة ويقول معاشر التجار

(١) حديث غبن السئمل حرام الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف والبيهقي من حديث جابر بسند جيد وقاله بابل حرام .

في الربط الآن على طاعة الله والرسم بظاهر الآداب عكس نور الجمية من بواطن المؤمنين وسلوك الخلف في مناهج السلف فهم في الربط كجسد واحد بغلوب متفقه وعزائم متحدة ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوائف قال الله تعالى وفي صف المؤمنين - كأنهم بنية مرسوس - وبكس ذلك وصف الأعداء فقال - تحسبهم جميعا وقولهم شئ - وروى النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنا للؤمنون كجسد رجل واحد إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع وإذا اشتكى مؤمن من المؤمنين اشتكى المؤمنين » فالصوفية وظيفتهم اللزامة من حفظ اجتماع البواطن وإزالة التفرقة بإزالة شعث البواطن لأنهم بنسبة الأرواح

خفوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتمروا كثيره قيل لبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت ربما قط ولا طلب متى حيوان فأخبرت يمه ولا بيت بنسفة ويقال إنه باع ألف ناقة فأربح لإعقلها بأع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفا وربع من قفقه عليها ليومه ألفا . الثاني : في احتمال الدين وللمشترى إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئا من مقبر فلا بأس أن يحتمل الدين ويشاهل ويكون بهمنا وداخلا في قوله عليه السلام « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء » فاما إذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الدين منه ليس محمودا بل هو تضيق مال من غير أجر ولا أحد قد ورد في حديث من طريق أهل البيت « للثبوت في الشراء لا محمود ولا مأجور (١) » وكان إياس بن معاوية بن قرة قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بحب والحب لا يثبني ولا يثبني ابن سيرين ولكن زين الحسن و زين أبي يعنى معاوية بن قرة والكمال في أن لا يثبني ولا يثبني كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان أكرم من أن يجمع وأعدل من أن يخدع وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهون مع ذلك الجزيل من المال قليل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم يهب الكثير ولا تبالى فقال إن الواهب يعطى فضله وإن الثبوت يثبني عقله وقال بعضهم إنما أغبن عني وبصري فلا أمكن الثابت منه وإذا هبت أعطى لله ولا أستكر منه شيئا . الثالث : في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيهمرة بالمساجة وحط البعض ومرة بالإيصال والتأخير ومرة بالمساهة في طلب جودة التند وكل ذلك مندوب إليه ومحث عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء (٢) » فليغتم دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم « اصبح يسمع لك (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أنظر ميسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا » وفي لفظ آخر « أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله (٤) » وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لثباتي ساعوا للورس وأنظروا للمسر (٥) » وفي لفظ آخر « وتجاوزوا عن المسر فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك فتجاوز الله عنه وغفله » وقال صلى الله عليه وسلم « من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأ نظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة (٦) » وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضى غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كالصدق بجميعه في كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم « رأيت على باب

(١) حديث من طريق أهل البيت للثبوت لا محمود ولا مأجور الترمذي الحكيم في الواوادر من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن علي رضي الله عنه قال قال الله تعالى « من أنظر ميسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا » (٢) حديث من أنظر ميسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر « أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله مسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر كعب بن عمرو (٣) حديث ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لثباتي ساعوا للورس الحديث مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (٤) حديث من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأ نظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة ابن ماجه من حديث بريدة من أنظر ميسرا كان له مثله كل يوم صدقة ومن أنظره بعد أجله كان له مثله في كل يوم صدقة وسند ضعيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

اجتمعوا وبرابطة
التألف الإلهي اتفقوا
وعشادة القلوب
تواطوا ولتهدب
النفوس وتصفية القلوب
في الرباط رابطوا
فلا بد لهم من التألف
والتودد والتصح .
روى أبوهريرة عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « المؤمن
يألف ويؤلف ولاخير
فيمن لا يألف ولا
يؤلف » . وأخبرنا
أبو زرعة طاهر بن
الحافظ أبي الفضل
القدس عن أبيه قال
ثنا أبو القاسم الفضل
ابن أبي حرب قال أنا
أحمد بن الحسين
الحيري قال أنا أبو سهل
ابن زياد الطحان قال
ثنا الحسين بن مكرم
قال ثنا يزيد بن هرون
الواسطي قال ثنا محمد
ابن عمرو عن أبي سلمة
عن أبي هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « الأرواح
جنود جنة فما تعارف

الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثان عشرة ^(١) قيل في معناه إن الصدقة تنفع في بد
 المحتاج وغير المحتاج ولا يمتثل ذلك الاستقراض بالإحتجاج ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يلزم
 رجلا يدين فأومأ إلى صاحب الدين يده أن يضع الشطر فقل قال للدينون قم فأعطه ^(٢) وكل من باع
 شيئا وترك عنه في الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو في معنى القرض. وروى أن الحسن الصري باع بقله له
 بأربعمائة درهم فلما استوجب للقال له المشتري اصبح يا أبا سعيد قال قد أسقطت عنك مائة قال له
 فأحسن يا أبا سعيد فقال قد وهبت لك مائة أخرى فقبض من حقه مائتي درهم قيل له يا أبا سعيد هذا
 نصف الثمن فقال هكذا يكون الإحسان والإفلا وفي الخبر « خذ حقا في كفاف وعفاف واق وأغبر
 واق بحاسبك الله حسابا يسيرا ^(٣) ». الرابع : في توفية الدين ومن الإحسان فيه حسن القضاء وذلك
 بأن يمشي إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشي إليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم أحسنكم
 قضاء ^(٤) » ومهما قدر على قضاء الدين فليأد إليه ولو قبل وقته وليس أجود مما شرط عليه وأحسن
 وإن هجر فليؤن قضاءهما قدر قال صلى الله عليه وسلم « من آذان ديناً وهو ينوي قضاءه وكل الله
 به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه ^(٥) » وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير
 حاجة لهذا الخبر ومهما كان صاحب الحق يكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطيف اقتداء برسول الله
 صلى الله عليه وسلم « إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل
 يشدد الكلام على رسول الله ﷺ فهم به أصحابه قال : دعوه فإن لأصحاب الحق مقالا ^(٦) » ومهما
 دار الكلام بين المقرض والمقرض فالإحسان أن يكون الليل الأكثر للتوسطين إلى من عليه الدين فإن
 المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذلك ينبغي أن تكون الاعانة للمشتري
 أكثر فإن البائع راضع عن السلفة يعني ترويحها والمشتري محتاج إليها هذا هو الأحسن الآن يتعدى
 من عليه الدين حده فصد ذلك نصرته في منعه عن تمديه وإعانة صاحبه إذ قال ﷺ « انصر أخاك
 ظالماً أو مظلوماً قيل كيف تنصره ظالماً فقال المنك إياه من الظلم نصرة له ^(٧) ». الخامس : أن يقلل من
 يستقيه فانه لا يستقبل إلا متمسكاً مستضر بالبيع ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار
 أخيه قال صلى الله عليه وسلم « من قال نادماً صفقة أقاله الله عثرته يوم القيامة ^(٨) » أو كما قال . السادس :
 أن يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطلبهم إن لم تظهر لهم
 ميسرة فقد كان في صالحى السلف من له دقان للحساب أحدهما ترجمته مجهولة فيه أسماء من لا يعرفه

(١) حديث رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثان عشرة ابن ماجه من
 حديث أنس بإسناد ضعيف (٢) حديث أومأ إلى صاحب الدين يده وضع الشطر الحديث متفق عليه من
 حديث كعب بن مالك (٣) حديث خذ حقا في كفاف الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة
 بإسناد حسن دون قوله بحاسبك الله حسابا يسيرا وله وابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث
 ابن عمر وعائشة (٤) حديث خيركم أحسنكم قضاء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث من
 آذان ديناً وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه أحمد من حديث
 عائشة ما من عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ وفي رواية له لم يزل معه
 من الله حارس وفي رواية للطبراني في الأوسط إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه
 (٦) حديث دعوه فإن لأصحاب الحق مقالا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث انصر
 أخاك ظالماً أو مظلوماً الحديث متفق عليه من حديث أنس (٨) حديث من أقال نادماً صفقته
 أقاله الله عثرته يوم القيامة أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

منها اختلف وماتناكر
 منها اختلف فهم
 باجماعهم يتبع
 بواطنهم وتقيده
 نقوسهم لأن بعضهم
 عين على البعض على
 ماورد « للؤمن مرآة
 للؤمن » فأى وقت
 ظهر من أحدهم أثر
 التفرقة نأفوه لأن
 التفرقة تظهر بظهور
 النفس وظهور النفس
 من تضييع حق الوقت
 فأى وقت ظهرت
 نفس الفقير علوا منه
 خروجه عن دائرة
 الجمعية وحكموا عليه
 بتضييع حكم الوقت
 وإهمال السياسة وحسن
 الرعاية فيقاد بالمنافرة
 إلى دائرة الجمعية .
 أخبرنا شيخنا ضياء
 الدين أبو النجيب
 عبد القاهر السمروردي
 بإجازة قال أنا الشيخ
 العالم عصام الدين أبو
 حفص عمر بن أحمد
 ابن منصور الصفاق
 أنا أبو بكر أحمد بن
 خلف الشيرازي قال أنا

من الضعفاء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو القاكهة فيشتريه فيقول أحتاج إلى خمسة أرطال مثلاً من هذا وليس معي عنه فكان يقول خذ منه عند الليرة ولم يكن يمد هذا من الحمار بل عد من الحمار من لم يكن ثبت اسمه في دفتر أصلاً ولا يحمله ديناً لكن يقول خذ ما تريد لأن يسر لك فأقضى وإلا فأنت في حل منه وسعة فيه طرق تجارات السلف وقد اندرست والقائم به عي لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها تنتج دين الرجل وورعه ولذلك قيل : لا يفرنك من اللره قميص رفقه أو إزار فوق كسب الساق منه رفه أو جبين لاح فيه أو قد قلعه ولدى الدرهم فانظر فيه أو ورعه ولذلك قيل إذا أتني على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال اتني بمن يعرفك فأتاه رجل فأثنى عليه خيراً فقال له عمر أنت جاره الأذى الذي يرف مدخله ومخرجه قال لا قال كنت رفقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل قال لا قال أظنك رأيته قائماً في المسجد بهمهم بالقرآن يخض رأسه طوراً ويرفقه أخرى قال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فأتني بمن يعرفك .

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويم آخرته)

ولا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعاً وصفته خاسرة وما فوته من الربح في الآخرة لا يني به ما ينال في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه يحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه في العاجل وأحوج شيء إليه في العاجل أحمد عاقبة في الأجل وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصيته إنه لا بد لك من نصيبك في الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابداً بنصيبك من الآخرة غفده فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه قال الله تعالى - ولا تنس نصيبك من الدنيا - لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فانها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات وإنما تم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور - الأول : حسن الثبنة والعقيدة في ابتداء التجارة فلينبه بها الاستغفار عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياما بكفاية الميال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للسليين وأن يحب لساير الحق ما يحب نفسه ولينو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الأمر بالعرف والتهب عن التكر في كل مראה في السوق فإذا أضمر هذه القائمه والنيات كان عاملاً في طريق الآخرة فان استغاد مالا فهو مزيد وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة . الثاني : أن يقصد القيام في صنته أو تجارتها بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت للعائش وهلك أكثر الحق فانتظام أمر الكل يتعاون الكل وتكفل كل فريق بصل ولوا قبل كلهم على صنعة واحدة لتمطت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله ﷺ « اختلاف أمي رحمة » (١) أي اختلاف همهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب الثم والزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافياً عن السليين مهما في الدين وليجنب صناعة النقش والصباغة وتشديد البنان بالجس وجميع ما تزخر به الدنيا فكل ذلك كرهه

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه)

(١) حديث اختلاف أمي رحمة قدم في العلم .

الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلي قال سمعت محمد ابن عبد الله يقول سمعت روعياً يقول لا يزال الصوفية غير متافروا فاذا اصطالحوا هلكوا وهذه إشارة من روعب إلى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض إشفافاً من ظهور النفوس يقول إذا اصطالحوا أو رفوا المنافرة من بينهم يخاف أن تخامر البواطن للسهلة والراماة ومساعدة البعض البعض في إهمال دقيق آدابهم وبذلك تظهر النفوس وتستولي وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عبوي . وأخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ القدسي قال أنا أبو عبد الله محمد ابن عبد العزيز المهروري قال أنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال أنا أبو القاسم النبوي قال

دووالدين فأما عمل اللاهی والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الإبريسم للرجال وصياغة الصانع مراكب الذهب وأخواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والأجرة للأخوة عليه حرام وكذلك أوجبنا الزكاة فيها وإن كنا لانوجب الزكاة في الخلى لأنها إذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهية للنساء لا يلحقها بالخلى البالحالم قصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بفناء السعر ويكره أن يكون جزارا لما فيه من قساوة القلب وأن يكون حجاما أو كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الصلاة وكره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استثناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولأن العمل فيه لا يتقدر قد يغل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي أن ينظر إلى قدر الثوب وكرهوا شراء الحيوان لتجارة لأن المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي يصدده لئلا يحلوه ويقلع الحيوان واشترى اللواتن وكرهوا الصرف لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ولأنه طلب لم دقائق الصفات فما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها وتفايئهم للصيرفي ربح الإلابة جملته معاملته بدقائق النقد قلما يسل للصيرفي وإن احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الصصح والدنانير لإعند الشك في جودته أو عند ضرورة قال أحمد بن حنبل رحمه الله ورد نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) وعن أصحابه في الصياغة من الصالح وأنا أكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدرهم ذهبا ويصوغه واستجوا تجارة البر قال سعيد بن السبب مامن تجارة أحب إلى من البر ما يكن فيها إيمان وقد روى «خير تجاركم البر وخير صناعتكم الحرز» ^(٢) وفي حديث آخر «لواتجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولواتجر أهل النار لا تجروا في الصرف» ^(٣) وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع الحرز والتجارة والحل والحياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة حيد البر والبحر والورافة قال عبد الوهاب الوراق قال لي أحمد بن حنبل ما صنعتك قلت الورافة قال كسب طيب ولو كنت صائفا يسدى لصنت صنعتك ثم قال لي لا تكتب إلا مواسطة واستبق الحوائش وظهور الأجزاء وأربعة من الصانع موسمون عند الناس بضعف الرأي الحاكمة والقطانون والمغازليون والمفنون ولعل ذلك لأن أكثر مخالطهم مع النساء والصبيان ومخالطة صنفاء العقول تضعف العقل كما أن مخالطة القلاء تزيد في العقل وعن مجاهد أن مريم عليها السلام مرت في طلبها ليعسى عليه السلام بما كلف طيب الطريق فأرشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفایات كفضل الوقي ودقهم وكذا الأذان وصلاة التراويح وإن حكم

(١) حديث النبي عن كسر الدينار والدرهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة ابن عبد الله عن أبيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة للسدين الجائزة بينهم إلا من بأس زاد الحاكم أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهبا وضعه ابن حبان

(٢) حديث خير تجاركم البر وخير صناعتكم الحرز لم أقف له على إسناد وكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث لواتجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولواتجر أهل النار لا تجروا في الصرف أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف . وروى أبو يعلى والقبلي في الضعفاء الشطر الأول من حديث أبي بكر الصديق .

حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن محمد بن نعمان أخبر بأن عمر قال في مجلس فيه المهاجرون والأنصار أرايت لو ترخصت في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلمين قال فسكتنا قال قتاد ذلك مرتين أو ثلاثا أرايت لو ترخصت في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلمين قال بشر بن سعد لو فلت ذلك قومناك تقويم القدر فقال عمر أتم إذن أتم وإذا ظهرت نفس الصوفي بفضب وخصومة مع بعض الإخوان فشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فان النفس إذا قبلت بالقلب انحسرت مادة الشر وإذا قبلت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن فإذا

بصحة الاستئجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فان هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للأخرة وأخذ الأجرة عليها استبدالاً بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك . الثالث أن لا يتمسوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة للساجد قال الله تعالى - رجال لانلهمم تجارة ولا يسع عن ذكراثة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - وقال الله تعالى - في يوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه - فينبغي أن يعمل أول النهار إلى وقت دخول السوق لأخرته فيلازم السجود بواجب على الأوراد كان عمر رضى الله عنه يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لأخرتكم وما بهد لنا كروكان صالحوا السلف يعملون أول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة ولم يكن يسع المرسى والرءوس بكرة إلا للصبيان وأهل الدمة لأنهم كانوا في الساجد بسدوق الخبر « إن لللائكة إذا صعدت صحيفة البعد وفيها أول النهار وفي آخره ذكراثة وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيء الأعمال (١) » وفي الخبر « تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم صاؤون وجشام وهم صاؤون فيقول الله سبحانه وتعالى أشهدكم أنى قد غفرت لهم (٢) » ثمهما مع الأذان في وسط النهار للأولى والعصر فينبغي أن لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه لما بغوته من فضيلة التكبير الأولى مع الإمام في أول الوقت لا توازىها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء وقد كان السلف يتدرون عند الأذان ويغفلون الأسواق للصبيان وأهل الدمة وكانوا يستأجرون بالقرار يربط لحفظ الحيوانات في أوقات الصلوات وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى - لانلهمم تجارة ولا يسع عن ذكراثة - إنهم كانوا حدادين وخرازين فكان أحدهم إذا رضع للطرفة أو غرز الإشي فسمع الأذان لم يخرج الإشي من الفرز ولم يوقع المطرفة ورسميها وقام إلى الصلاة . الرابعة أن لا يقتصر على هذا بل يلزم ذكراثة سبحانه في السوق ويشغل بالنهليل والتسبيح فذكر الله في السوق بين الغافلين أفضل قال صلى الله عليه وسلم « ذا كراثة في الغافلين كالقاتل خلف القارئين وكالحى بين الأموات » وفي لفظ آخر « كالشجرة الخضراء بين الحمشم » وقال صلى الله عليه وسلم « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة (٣) » وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لئلا فضيلة هذا الله كرك وقال الحسن ذا كراثة في السوق يحيى يوم القيامة له منوه كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعد أهلها وكان عمر رضى الله عنه إذا دخل السوق قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أساطت به السوق اللهم إني أعوذ بك من عين فاجرة وصفة خاسرة وقال أبو جعفر الفرغانى كتابوما عند الجند فجرى ذكر ناس يجلسون في الساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يحب عليهم من حق الجلوس ويسبون من يدخل السوق فقال الجند كم نحن هوفى السوق حكمه أن يدخل المجد ويأخذ باذن بعض من فيه

(١) حديث إن لللائكة إذا صعدت صحيفة البعد في أول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيء الأعمال أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه (٢) حديث تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم بحيف تركتم عبادى الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة يتأقون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفداة وصلاة العصر الحديث (٣) حديث من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده شريك له الحديث تقدم في الأذكار .

الذى ينكح وينسه
عداوة كأنه لى حميم .
وما يلقاها إلا الذين
صبروا - ثم الشيخ
أو الحادى إذا شكا إليه
فقير من أخيه فله أن
يأاتب أيهما شاء فيقول
للمتعدى لم تعدت
وللمتدنى عليه ما لى
أذنبت حتى تعدى
عليك وسلط عليك
وهلا قالت نفسه
بالقلب رقبا بأخيك
وإعطاء للفتوة
والصحة حقها فكل
منهما جان وخارج عن
دائرة الجملة فبرد إلى
الدائرة بالتقار فيعود
إلى الاستغفار ولا يسلك
طريق الاصرار روت
عائشة رضى الله عنها
قالت « كان يقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم :
اللهم اجعلنى من
الذين إذا أحسنوا
استبشروا وإذا أساءوا
استغفروا » فيكون
الاستغفار ظاهرا مع
الإخوان وباطنا مع الله
تعالى ويرون الله في

فيخرجه ويجلس مكانه وإن لأشرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلاثة ركة وثلاثون ألف
نسيجة قال فسبق إلى وهي أنه يعني نفسه فكذلك كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتعمق في
الدنيا فإن من يطلب الدنيا للاستمتاع بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والسجد والبيت
له حكم واحد وإنما التجارة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم « اتق الله حينئذ كنت ^(١) » فوظيفة
التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال وبه تكون حياتهم وعيشتهم إذ فيه
برون تجارتهم ورجعهم وقد قيل من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحقق يندو
ويروح في لاش والمائل من عيوب قسه قشاش . الخامس : أن لا يكون شديد الحرص على السوق
والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة فهما مكرهان
يقال إن من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر « لا يركب البحر إلا لطح أو عمرة
أو غزو ^(٢) » وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول لا تكن أول داخل في
السوق ولا آخر خارج منها فإن بها باض الشيطان وفرغ روى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر
أن أليس يقول لو لمه زلتبورس بكتائبك فأت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والحلف والحديمة
والسكر والخيانة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر « شر البقاع الأسواق وشر أهلها
أولهم دخولا وآخرهم خروجا ^(٣) » ونعم هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فإذا حصل كفاية
وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كانوا صالحو السلف لقد كان منهم من إذا ربح داهيا
انصرف قناعة به وكان حماد بن سلمة يبيع الخبز في سبط بين يديه فكان إذا ربح جنتين رفع
سبطه وانصرف وقال إبراهيم بن بشار قلت لإبراهيم بن آدم رحمه الله أمر اليوم أعمل في الطين
فقال إياي بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لافوته وتطلب ماقد كفتيه أما رأيت حريصا
محروما وضعيفا مرزوقا فقلت إن لي داهيا عند البقال فقال عز على بك تلك داهيا وتطلب العمل
وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوما
أو يومين وكانوا يكتفون به . السادس : أن لا يغتصر على اجتناب الحرام بل يتق مواضع الشبهات
ومظان الرب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفي قلبه فإذا وجد فيه حزاة اجتنبه وإذا حمل إليه
سلة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة « وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لبن فقال من أين لك هذا ؟ فقالوا من الشاة فقال ومن أين لك هذه الشاة ؟ قيل من
موضع كذا فغضب منه ثم قال : إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا ^(٤) »
وقال « إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال - يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم - ^(٥) » فقال النبي صلى الله عليه وسلم عن أصل الشيء وأصل أصله ولم يزد لأن ما وراء ذلك
يتمتع وسنين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فإنه كان عليه السلام لا يسأل
(١) حديث اتق الله حينئذ كنت الترمذي من حديث أبي ذرٍّ ومعه (٢) حديث لا تترك البحر
إلا لحجة أو عمرة أو غزو أبو داود من حديث عبد الله بن عمر وقيل إنه منقطع (٣) حديث شر
البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا تقدم صدر الحديث في الباب السادس من العلم
وروى أبو نعيم في كتاب حرمة المساجد من حديث ابن عباس أيضا البقاع إلى الله الأسواق
وأبيض أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا (٤) حديث سؤاله عن اللبن والشاة وقوله إنا معاشر
الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شداد بن
أوس بسند ضعيف (٥) حديث إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

استغفارهم فلهذا اللحن
يقفون في صف العال
على أقدامهم تواضعا
وانسكاسا وصمت
شيخنا يقول للفقير إذا
جرى بينه وبين بعض
إخوانه وحشة قم
واستغفر فيقول الفقير
ما أرى باطنيا صافيا ولا
أوتر القيام للاستغفار
ظاهرا من غير صفاء
الباطن فيقول أنت قم
فبركة سعيك وقيامك
ترزق الصفاء فكان
يجد ذلك ويرى أثره
عند الفقير ورتق
القلوب وترفع الوحشة
وهذا من خاصة هذه
الطائفة لا يبتسون
والبواطن منطوية على
وحشة ولا يجتمعون
للطعام واليوطن تضمر
وحشة ولا يرون
الاجتماع ظاهرا في شيء
من أمورهم إلا بعد
الاجتماع باليوطن
وذهاب التفرق والشعث
فإذا قام الفقير للاستغفار
لا يجوز رد استغفاره
بحال . روى عبد الله

عن كل ما يعمل إليه ^(١) وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله وكذا الأجناد والظلة لا يعاملهم البتة ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم لأنه معين بذلك على الظلم . وحكى عن رجل أنه تولى عمارة سور لشر من الثور قال فوقع في نفس من ذلك شيء وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام ولكن كان الأمير الذي تولى في عمله من الظلة قال فسلت سفيان رضي الله عنه فقال لا تكن عوناً له على قليل ولا كثير قلت هذا سور في سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب قيامه ليوفرك أجره فتكون قد أحببت قيامه من يصي الله وقد جاء في الخبر « من دعا لظلم بالبقاء فقد أحب أن يصي الله في أرضه » ^(٢) وفي الحديث « إن الله لا ينضب إذا مدح الفاسق » ^(٣) وفي حديث آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام » ^(٤) ودخل سفيان على الهدي ويده درج أبيض فقال يا سفيان أعطني المواة حتى أكتب فقال أخبرني أي شيء تكتب فإن كان حقاً أعطيتك وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوبين عنده أن يناوله طناً ليحتم به الكتاب فقال ناوولي الكتاب أولاً حتى أنظر ما فيه فكذلك كانوا يجترزون عن معاونة الظلة ومعاملتهم أشد أنواع الاعانة فينبغي أن يجتنبها ذوو الدين ما وجدوا إليه سبيلاً وبالجملة فينبغي أن ينقسم الناس عنده إلى من يعامل ومن لا يعامل وليكن من يعامل أقل ممن لا يعامل في هذا الزمان قال بعضهم آتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من زولني أن أعامل من الناس فيقاله عامل من شئت ثم آتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ثم آتى زمان آخر فكان يقال لا تعامل أمداً إلا فلانا وفلانا وأخشي أن يأتي زمان يذهب هذا أيضاً وكأنه قد كان الذي كان يحذر أن يكون إنما الله وإننا إليه راجعون . السامع : ينبغي أن راقب جميع عماري معاملته مع واحد من معاملته فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والقاب في كل فلة وقوله إنه لم أقدم عليها ولأجل ماذا فانه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئاً وقصة ومحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر على خمسين ألف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس يمدد كل إنسان عاملته في الدنيا لكل إنسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول معاملته إلى آخرها فهنا ما على المكتسب في عمله من العدل والاحسان والشفقة على الدين فإن اقتصر على العدل كان من الصالحين

(١) حديث كان لا يسأل عن كل ما يعمل إليه أحمد من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هموا بإمرة فذبح لهم شاة الحديث فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة قلم يستطع أن يسيغها فقال هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها الحديث وله من حديث أبي هريرة كان إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه الحديث وإسناده جيد وفي هذا أنه كان لا يسأل عما أتى به من عند أهله والله أعلم ^(٢) حديث من دعا لظلم بالبقاء فقد أحب أن يصي الله في أرضه لم أجده مرفوعاً وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من قول الحسن وقصد ذكره للصنف هكذا على الصواب في آفات اللسان ^(٣) حديث إن الله لينضب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت وابن عدي في الكامل وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف ^(٤) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام غريب بهذا اللفظ والمعروف من قر صاحب بدعة الحديث رواه ابن عدي من حديث عائشة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزي كلها موضوعة

ابن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال «ارحموا
ترحموا واغفروا يغفر
لكم» . وللصوفية في
تفصيل يد الشيخ بعد
الاستفصار أصل من
السنة . روى عبد الله
ابن عمر قال « كنت في
سرية من سرى لرسول
الله صلى الله عليه وسلم
غفص الناس حصة
فككت فيمن حاص
فقلنا كيف صنع وقد
فررتا من الرخص وبؤنا
بالضرب قلنا لودخلنا
للدنية قتبنا فيها ثم قلنا
لو عرضنا أنفسنا على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فإن كان لنا توبة
وإلا ذهبنا فأتيناه
قبل صلاة الغداة فخرج
فقال من القوم قلنا نحن
القراردون قال لا بل
أنتم العكارون أنا فتكلم
أنا فنة للمسلمين » يقال
عكر الرجل إذا تولى ثم
سكر راجعاً والعكار
العطاف والرجاع « قال
فأتيناه حتى قلنا بده »

وإن أصناف إليه الإحسان كان من اللقرين وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر في الباب الخامس كان من الصديقين والله أعلم بالصواب تم كتاب آداب الكسب والعيشة بحمد الله ومنه .

(كتاب الحلال والحرام)

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ، ثم ركب صورته في أحسن تقويم وأتم اعتدال ، ثم غذاه في أول نشوءه بلبن استغفاه من بين فرت ودم ساقها كالماء الزلال ، ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دوائى الضعف والانحلال ، ثم قدس شهرته العادبة عن السطوة والصيال ، وقهرها بما اقترضه عليهم من طلب القوت الحلال ، وهزم بكسرها جند الشيطان للتشمر للأضلال ، ولقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيل ، فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال ، إذا كان لا يذوقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة المائلة إلى التلبه والاسترسال ، فبقى لمازمت بزمام الحلال خائباً خاسراً ماله من ناصر ولا وال . والصلاة على محمد الهادى من الضلال وعلى آله خير آل له تسلياً كثيراً . أما بعد . فقد قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » (١) . رواه ابن مسعود رضى الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على القول فحما وأقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غفوس علمه سيبيا لاندراى عمله إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود وأن السبيل دون الوصول إليه مسدود وأنه يبق من الطيبات إلا اللاء القرات والحشيش الثابت في اللوات وماعده قد أخبثته الأيدي العادية وأفسدته اللامات الفاسدة وإذا تضرعت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في الحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين أحسلا ولم يدركوا بين الأموال فرقا وفصلا وهبهات هيئات للحلال بين والحرام بين وبينها أمور مشتهيات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كفيما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف النطاء عن قسدها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ولا يخرجها التضيق عن حيز الإمكان . ونحن نوضح ذلك في سمة أبواب . الباب الأول : في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام . الباب الثانى : في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام . الباب الثالث : في البحث والسؤال والمجهوم والأهمل ومظاهرها في الحلال والحرام . الباب الرابع : في كيفية خروج التائب عن الظالم السالية . الباب الخامس : في إدراوات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم . الباب السادس : في الدخول على السلاطين ومخالطتهم . الباب السابع : في مسائل متفرقة .

(الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام ، ويان أصناف الحلال

ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه)

(فضيلة الحلال ومذمة الحرام)

(كتاب الحلال والحرام)

(الباب الأول في فضيلة طلب الحلال)

(١) حديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة على كل مسلم تقدم في الزكاة دون قوله على كل مسلم والطبراني في الأوسط من حديث أنس واجب على كل مسلم وإسناده ضعيف .

وروى أن أباعينه

ابن الجراح قبل يدعمر

عند قدومه وروى

عن أبي مرثد التتوى

أنه قال « أتينا رسول

الله صلى الله عليه وسلم

فزلت إليه وقبلت بده »

فهذا رخصة في جواز

تقبيل اليد ولكن

أدب الصوفى أنه متى

رأى قسه تنمز

بذلك أو تظهر بوصفها

أن يتعنى من ذلك فإن

سلم من ذلك فلا بأس

بتقبيل اليد ومعاتقتهم

للاخوان عقيب

الاستغفار لرجوعهم

إلى الألفة بعد الوحشة

وقدومهم من سفر

الهجرة بالفرقة إلى

أوطان الجمية وظهور

النفس تتربوا وبدوا

ونيسة النفس

والاستغفار قدموا

ورجعوا ومن استغفر

إلى أخيه ولم يقبله قد

أخطأ قد ورد عن

رسول الله صلى الله

عليه وسلم في ذلك

وعيد روى عنه عليه

قال الله تعالى - كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل وقيل إن الراد به الحلال وقال تعالى - ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - وقال تعالى - إن الدين يأكلون أموال اليتامى ظلما - الآية . وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بينكم من الربا إن كنتم مؤمنين - ثم قال - فإن لم تعملوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله - ثم قال - وإن تبتم فلكم ردوس أموالكم - ثم قال - ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - جعل أكل الربا أول الأمر مؤذنا بحاربة الله وفي آخره متحذرا للثنا والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ولما قال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ^(١) » قال بعض العلماء أراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل الراد بالحدِيثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في غفاف كان في درجة الشهداء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ^(٣) » وفي رواية « زهد الله في الدنيا » وروى « أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله حجاب الدعوة فقال له أطلب طعمتك تستجب دعوتك ^(٤) » ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحرص على الدنيا قال « رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يرفع يديه فيقول يارب يارب فأني يستجاب لذلك ^(٥) » وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل ^(٦) » قيل الصرف النافقة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته مادام عليه منه شيء ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم تقدم في العلم (٢) حديث من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا في غفاف كان في درجة الشهداء الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة من سعى على عياله في سبيل الله ولأبي منصور في مسند الفردوس من طلب مكسبة من باب حلال يكف بها وجهه عن مسئلة الناس وولفه وعياله جاء يوم القيامة مع التبيين والصديقين وإسنادها ضيف (٣) حديث من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أيوب من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولابن عدي نحوه من حديث أبي موسى . وقال حديث منكر (٤) حديث أن سعدا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله أن يجعله حجاب الدعوة فقال له أطلب طعمتك تستجب دعوتك الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه (٥) حديث رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر الحديث (٦) حديث ابن عباس إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل لم أقف له على أصل ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود من أكل لقعة من حرام لم يقبل منه صلاة أربعين ليلة الحديث وهو منكر (٧) حديث من اشترى ثوبا بشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف . (٨) حديث كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به الترمذي من حديث كعب بن عجرة وحسنه وقد تقدم

الصلاة والسلام أنه قال « من اعتذر إليه أخوه معذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب للكوس » وروى جابر أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تصل إليه فلم يقبل لم يرد الخوض » ومن السنة أن يقدم للاخوان شيئا بعد الاستغفار روى أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن من توبى أن أنزع من مالي كله وأهجر دارقومي التي فيها أئمت القديس . فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « يحزنك من ذلك التلث » فصار منة الصوفية للطالبة بالقرامة بعد الاستغفار وللناقذة وكل تصدق رعاية التألف حتى تكون بواطنهم على الاجتماع كأن طواهرهم على الاجتماع وهذا أمر ضروري به من بين طوائف الإسلام . ثم

«من ليال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار»^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «العبادَةُ عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال»^(٢) روى هذا مرفوعاً وموقوفاً على بعض الصحابة أيضاً وقال صلى الله عليه وسلم «من أمسى وأتينا من طلب الحلال باستغفورا له وأصبح والله غفيراً»^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفق في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قلذه في النار»^(٤) وقال عليه السلام «خير دينكم الورع»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «من لقي الله ورعاً أعطاه الله ثواب الإسلام كله»^(٦) ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه وأما الورعون فأنا استحي أن أحاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم «درهم من رباً أشد عند الله من ثلاثين زينة في الإسلام»^(٧) وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه «العدة حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا سحبت للعدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقطت صدرت بالسقم»^(٨) ومثل الطعمة من الدين مثل الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع وإذا ضعف الأساس واعوجج أتمار البنيان ووقع. وقال الله عز وجل - ألهن أسس بنيانه على ثوى من الله - الآية وفي الحديث «من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراه كان زاهداً إلى النار»^(٩) وقد ذكرنا جملة من الأخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال. وأما الآثار: فقد ورد أن الصديق رضي الله عنه شرب لبناً من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت تقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقي حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم إني اعتذر إليك بما حملت العروق وخالط الأمعاء»^(١٠) وفي بعض الأخبار أنه

(١) حديث من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال ابن العربي في عارضة الأحمدي شرح الترمذي إنه باطل لم يصح ولا يصح (٢) حديث العبادَةُ عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال أبو منصور الديلمي من حديث أنس إلا أنه قال تسعة في الصمت والعاشرة كسب اليد من الحلال وهو منكر (٣) حديث من أمسى وأتينا من طلب الحلال بات مغفورا له وأصبح والله عنه راض الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفورا له وفيه ضعف (٤) حديث من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفق في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قلذه في النار أبو داود في الراسيل من رواية القاسم بن خزيمة مرسل (٥) حديث خير دينكم الورع تقدم في العلم (٦) حديث من لقي الله ورعاً أعطاه ثواب الإسلام كله لم أنف له على أصل (٧) حديث درهم من رباً أشد عند الله من ثلاثين زينة في الإسلام أحمد والدارقطني من حديث عبد الله بن حنظلة قال ستة وثلاثين ورجاله ثقات وقيل عن حنظلة الزاهد عن كعب مرفوعاً والطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ثلاثة وثلاثين وسنده ضعيف (٨) حديث أبي هريرة للعدة حوض البدن والعروق إليها واردة الحديث الطبراني في الأوسط والغيل في الضعفاء وقال باطل لأصل (٩) حديث من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراه كان زاهداً إلى النار أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ولابن حبان من حديث أبي هريرة من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه (١٠) حديث إن أباً بكر شرب لبناً من كسب عبده ثم سأل فقال تكهنت تقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقي وفي بعض الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر بذلك قال أوما علمت أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيبا البخاري من حديث عائشة كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر.

شرط الفقير الصادق
إذا سكن الرباط وأراد
أن يأكل من وقته أو ما
يطلب لسكانه بالدروزة
أن يكون عنده من
الشغل بالله مالا يسعه
الكسب وإلا إذا
كان للبطالة والحوش
فيا لا يلقى عنده مجال
ولا يقوم بشروط أهل
الارادة من الجهد
والاجتهاد فلا ينبغي له
أن يأكل من مال
الرباط بل يكتسب
ويأكل من كسبه
لأن طعام الرباط لأنواع
مكمل شغلهم بالله
بخدمته الدنيا لشغلهم
بخدمته مولايم إلا أن
يكون تحت سياسة
شيخ عالم بالطريق
ينفع بصحته ويهتدى
بهديه فيرى الشيخ أن
يطعمه من مال الرباط
فلا يحكون تصرف
الشيخ إلا بصحة
بصيرة ومن جملة
ما يكون للشيخ في
ذلك من النية أن
يشغل بخدمته الفقراء

صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال أوما علمت أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيباً وكذلك شرب
 عمر رضى الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطاً فأدخل أصبعه وتيقاً وقالت عائشة رضى الله عنها إنكم
 لتخفون عن أفضل العادة هو الورع وقال عبدة بن عمر رضى الله عنهما وصلى الله عليه وسلم حتى تكونوا كالحنانيا
 وصتم حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله
 ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتب الله
 صديقاً فانظر عند من خطر يمسكين وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله لم لا تشرب من ماء زمزم فقال
 لو كان لى دلو شربت منه وقال سفيان الثوري رضى الله عنه من أشق من الحرام في طاعة الله كان
 كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذئب لا يكفره إلا الحلال وقال
 يحيى بن معاذ الطاعة خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء وأسنانها لقم الحلال وقال ابن
 عباس رضى الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقال سهل القسري لا يبلغ الصديق حقيقة
 الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال : أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب الهوى من
 الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الموت وقال من أحب أن يكشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا
 حلالاً ولا يعمل إلا في سنة أو ضرورة ويقال من أكل الشبهة أربعين يوماً أظلم قلبه وهو تأويل قوله
 تعالى - كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال ابن المبارك ردّ درهم من شبهة أحب إلى
 من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ألف ومائة ألف حتى بلغ إلى ستمائة ألف وقال بعض السلف
 إن العبد يأكل أكلة فينقلب قلبه فينقل كما ينقل الأديم ولا يعود إلى حاله أبداً وقال سهل رضى الله
 عنه من أكل الحرام عست جوارحه شاء أم أبى علم أول يعلم ومن كانت طعمته حلالاً أطاعته جوارحه
 ووقفت للخبرات وقال بعض السلف إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يضر له ماسلف من ذنوبه
 ومن أقام نفسه مقام ذلق طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر . وروى في آثار
 السلف أن الواضع كان إذا جلس للناس قال العلماء تنفقدوا منه ثلاثاً فإن كان متقداً لبدعة فلا
 تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق وإن كان سيء الطعمة فمن الهوى ينطق فإن لم يكن مكي
 العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الأخبار المشهورة عن علي عليه السلام وغيره
 إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهها عتاب . وروى أن بعض الصالحين دفع
 طعاماً إلى بعض الأبدال فلم يأكل فسأله عن ذلك فقال نحن لأننا كل لإحلالاً فذلك تستقيم قلوبنا
 ويدوم حالنا ونكشف اللبس وتناهد الآخرة ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجنا إلى شيء
 من علم اليقين ولذهب الخوف والشبهة من قلوبنا فقال له الرجل فاني أصوم الدهر وأستم القرآن في
 كل شهر ثلاثين مرة فقال له البدال هذه الشبهة التي رأيتني شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين
 ختمه في ثلثمائة ركعة من أعمالك وكانت شربته من لبن طيبة وحشية وقد كان بين أحمد بن حنبل
 وعجي بن معين محبة طويلة فجهزه أحمد إذ سمعه يقول إنى لأسأل أحدا شيئاً ولو أعطاني الشيطان
 شيئاً لأكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت أمزح فقال تزح بالدين أما علمت أن الأكل من الدين
 قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - وفي الخبر أنه مكتوب في التوراة
 « من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أى أبواب النيران أدخله » وعن علي رضى الله عنه
 أنه لم يأكل بمدت ثمانين شهراً طعاماً إلا احتسبوا حذر من الشبهة واحتجم الفضيل بن عياض
 وقال له القادح أتدري ما هذا فقال وما هو قال كنت تكهنت لأنسان في الجاهلية فذكره دون
 للرفوع منه فلم أجبه .

فيكون ما يأكله في
 مقابلة خدمته . روى
 عن أبي عمرو والزعجاني
 قال أفت عند الجنيد
 مدة لما رأى قط إلا
 وأنا مشغل بنوع من
 العبادة فما كفى حتى
 كان يوم من الأيام
 خلا للوضع من الجماعة
 فقامت وزعت ثيابي
 وحسنت الموضع
 ونظفته ورششته
 وغسلت موضع الطهارة
 فرجع الشيخ ورأى
 على أثر التبار فعدا لي
 ورحب بي وقال أحسنت
 عليك بها ثلاث مرات
 ولا يزال المشايخ الصوفية
 يندبون الشباب إلى
 الخدمة حفظ لهم عن
 البطالة وكل واحد
 يكون له حظ من
 للعامة وحظ من
 الخدمة . روى أبو
 محذورة قال : جعل
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لنا الأذان
 والسقاية لبني هاشم
 والحجابة لبني عبد الله
 وهذا يقتدى مشايخ

وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بحكمه فذكروا الربط فقال وهيب هو من أحب الطعام إلى الإتي لا آكله لاختلاط رطب مكة يساين زبده وغيرها فقال ابن المبارك إن نظرت في مثل هذا ضاق عليك الحزب قال وماسيه قال إن أصول الضاع قد اختلطت بالصوافي فتضى على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما أردت إلا أن أهون عليه فلما أفاق قال لله مني أن لا آكل خبزاً أبداً حتى ألقاه قال فكان يشرب اللبن فأتته أمه بلين فسألها فقالت هو من شاة بني فلان فسأل عن أمها وأنه من أين كان فلم تذكرت فذا أدناه من فيه قال بقي أنها من أين كانت ترى فسكت فلم يشرب لأنها كانت ترى من موضع فيحرق للمسلمين فقالت أمه اشرب فإن الله ينفعك فقال ما أحب أن ينفعني وقد شربته فأنا لمفقرته بمصيته وكان بشر الحافي رحمه الله من الورعين قيل له من أين تأكل ؟ قال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبيح كمن يأكل وهو يضحك وقال يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات .

(أصناف الحلال ومداخله)

اعلم أن تفصيل الحلال إنما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغنى الريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرفها الفتوى حلها لاياً كل من غيرها فأما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كإضنائه في كتب الفقه ونحن الآن نشير إلى مجامعه في سياق تقسيم وهو أن المال إنما يحرم لإملائي في عينه أو لحلل في جهة إكثابه .

(القسم الأول)

الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرها وتفصيله أن الأعيان للأ كولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثة أقسام فانها إما أن تكون من المادان كالمخ والطين وغيرها أو من النبات أو من الحيوانات . أما المادان فهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث إنه يضر بالأكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والخبز لو كان مضراً لحرم أكله والطين الذي يتأكل ككله لا يحرم إلا من حيث الضرر وفائدة قولنا إنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل أنه لو وقع شيء منها في مرقة أو طعام مانع لم يضر به محرماً . وأما النبات فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصلحة فزيل العقل النجج والحمر وسائر المسكرات ومزيل الحياة السموم ومزيل الصحة الأدوية في غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع إلى الضرر إلا الحمر والمسكرات فإن الذي لا يسكر منها أيضاً حرام مع قتله لعينه ولصفته وهي الشدة للطارية وأما السم فاذا خرج عن كونه مضراً لقلته أو لعينه بغيره فلا يحرم وأما الحيوانات فتقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الأطعمة والنظر يطول في تفصيله لاسيما في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل أكله منها فاعلم إذا ذبح ذبائحاً شرعياً روى فيه شروط الذابح والآلة واللذع وذلك مذكور في كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبائحاً شرعياً أو مات فهو حرام ولا يحل إلا الميتان السمك والجراد وفي معناها ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والحل والجبن فإن الاحتراز منها غير ممكن فأما إذا أفردت وأكلت فحكمها حكم الدباب والحفشاء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة لا سبب في تحريمها إلا الاستفذار ولو لم يكن لكان لا يكره فإن وجد شخص لا يستغفروه لم يفتن إلى خصوص طبعه فإنه التحق بالحيات لعموم الاستفذار فيكره أكله كالجوامع الحماط وشربه كره ذلك وليست السكره لتجاسسها فإن الصحيح أنها لا تجس بالموت إذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يعقل الدباب في الطعام إذا وقع فيه ^(١) وربما يكون طرا ويكون ذلك سبب موته

(١) حديث الأمر بأن يعقل الدباب في الطعام إذا وقع فيه البخاري من حديث أبي هريرة .

الصوفية في خرق
الحلم على الفقراء ولا
يصدر في ترك نوع من
الخدمة إلا كامل
الشغل بوقته ولا تفتي
بكمال الشغل شغل
الجوارح ولكن نعي به
دوام الرعاية والمحاسبة
والشغل بالقلب والقالب
وقتا وبالقلب دون
القالب وقتاً وتقتد
الزيادة من نقصان
فإن قيام الفقير بحقوق
الوقت شغل تام وبذلك
يؤدي شكر نعمة
الفراغ ونعمة الكفاية
وفي البطالة كفران
نعمة الفراغ والكفاية
أخبرنا شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب
عبدالقاهر إجازة قال
أنا عمر بن أحمد بن
منصور قال أنا أحمد بن
خلف قال أنا الشيخ
أبو عبد الرحمن محمد
ابن الحسين قال سمعت
أبا الفضل بن حمدون
يقول سمعت علي بن
عبد الحميد الفاضلي
يقول سمعت السري

ولتهوت نعمة أودبابة في قدر لم يحب إراقها إذ للستفد هوجرمه إذ باق له جرم ولم ينحس حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على أن تحرره للاستفاد وقتلك قول لو وقع جزء من آدمي ميت في قدر ولو وزن دائق حرم السكل لانتجاسته فان الصحيح أن الأدمي لا ينحس بالموت ولكن لأن أكله محرم احتراماً لاستفاداً وأما الحيوانات للأكل كولة إذا دعت بشرط الشرع فلا تلحق جميع أجزائها بل يعرّف منها الدم والثر وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقاً محرم ولكن ليس في الأحيان شيء محرم نجس إلا من الحيوانات وأما من النبات فالمسكرات قسط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فان نجاسة السكر تليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشوف ومهما وقست قطرة من النجاسة أو جزء من نجاسة جامدة في مرقعة أو طعام أو دهن حرم أكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الأكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه جماع ما يحرم لصفة في داته .

(القسم الثاني ما يحرم لحلل في جهة إثبات اليد عليه)

وفيه يتسع النظر فقوله أخذ لئلا إيمان يكون باختيار تلك أو بغير اختياره فالتى يكون بغير اختياره كالإرث والذى يكون باختياره إيمان أن لا يكون من مالك كنبيل المعادن أو يكون من مالك والذى أخذ من مالك فاما أن يؤخذ قهراً أو يؤخذ تراصياً وللاخذ قهراً إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم أو لاستحقاق الأخذ كزكاة للمتعبين والنفقات الواجبة عليهم وللاخذ تراصياً إما أن يؤخذ بموضع كاليق والصدقات والأجرة وإما أن يؤخذ بغير عوض كالحبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة أقسام . الأول : ما يؤخذ من غير مالك كنبيل المعادن وإحياء اللوات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الأنهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط أن لا يكون للأخذ مخصصاً بذي حرمة من الآدميين فإذا اغتفك من الاختصاصات ملكها أخذها وتفصيل ذلك في كتاب إحياء اللوات . الثاني : للأخذ قهراً ممن لا حرمة له وهو النقي . والثالثة : سائر أموال الكفار والمجاهرين وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا منها المحسوس وقسموها بين المستحقين بالمدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير من كتاب النقي والثنية وكتاب الجزية . الثالث : ما يؤخذ قهراً باستحقاق عند امتناع من وجب عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذى به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان أو مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات إذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فإذا استوفيت شرائطها كان للأخذ حلالاً . الرابع : ما يؤخذ تراصياً بمعاوضة وذلك حلال إذا روعي شرط العوضين وشرط العاقلين وشرط الفطنين أغنى الإيجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط للفسدة وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض والوكالة والساقاة والشفعة والصلح والحلج والكتابة والصدقات وسائر للمراضات . الخامس : ما يؤخذ عن رضا من غير عوض وهو حلال إذا روعي فيه شرط التقود عليه وشرط العاقلين وشرط القدر ولم يؤد إلى ضرر بوارث أو غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات . السادس : ما يحصل بغير اختيار كالإرث وهو حلال إذا كان للورث قد اكتسب لئلا من بعض الجهات المحسوس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والحلج والكفارة إن كان واجباً وذلك مذكور في كتاب الوصايا والقراض فهذه جماع مداخل الحلال والحرام أو ماناً إلى جعلها ليعلم للريد أنه إن كانت طعمته متفرقة لأمس جهة معينة فلا يستثنى عن

يقول من لا يعرف قدر التمسك بها من حيث لا يعلم . وقد يندر الشيخ العاجز عن الكسب في تناول طعام الرباط ولا يندر الشاب هذا في شرط طريق القوم على الإطلاق فأما من حيث خوى الشرع فان كان شرط الوقف على للتصوفة وعلى من تزيأ بزي للتصوفة وليس خرجتهم فيجوزاً كل ذلك لهم على الإطلاق فتوى وفى ذلك القناعة بالرخصة دون المزعة التي هي شغل أهمل الإرادة وإن كان شرط الوقف على من يملك طريق الصوفية عملاً وحالاً فلا يجوز أكله لأهل البطالات والراكنين إلى تنسيع الأوقات وطرق أهل الإرادة عند مشايخ الصوفية مشهورة . أخبرنا الشيخ الثقة أبو القاسم قلنا أنا أبو الفضل

علم هذه الأمور فكل ماياً كله من جهة من هذه الجهات ينبغي أن يستقى فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فإنه كما يقال للعالم لم خالفت عليك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم .

(درجات الحلال والحرام)

اعلم أن الحرام كله خبيث لكن بعضه أخيث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض وأصنى من بعض وكما أن الطيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضنا حار في الدرجة الأولى كالسكر وبعضها حار في الثانية كالفايز وبعضها حار في الثالثة كالدبس وبعضها حار في الرابعة كالسمل كذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى وبعضه في الثانية أو الثالثة أو الرابعة وكذا الحلال تتفاوت درجات صفاته وطيبه فلنقتد بأهل الطب في الاصطلاح على أربع درجات تحريماً وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر إذ يتطرق إلى كل درجة من الدرجات أيضاً تفاوت لا ينحصر فإن من السكر ماهو أشد حرارة من سكر آخر وكذا غيره فذلك هو الورع عن الحرام على أربع درجات : ورع المدول وهو الذي يجب التسقي باقتحامه وتسقط المدالة به ويثبت اسم الصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما حرمه فتاوى الفقهاء . الثانية : ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم ولكن للفق رخص في تناول بناء على الظاهر فهومن مواقع الشبهة على الجملة فلنقسم التحريم على ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية . الثالثة : مالا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة بما لا بأس وهذا ورع للتقين قال صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس »^(١) الرابعة : مالا بأس به أصلاً ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس ولكنه يتناول لتبرأه على غير نية التقوى به على عبادة الله أو تتطرق إلى أسباب المسئلة له كراهية أو معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة إلى أن فصلها بالأمثلة والشواهد . وأما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الأولى وهو الذي يشترط التورع عنه في المدالة والطراح صمة الفسق فهو أيضاً على درجات في الحبث فالأخوذ بقصد فاسد كالمطاعة مثلاً فيألا يجوز فيه الماطاة حرام ولكن ليس في درجة التصوب على سبيل القهر بل للتصوب أغلظ إذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وإيذاء الغير وليس في الماطاة إيذاء وإنما فيه ترك طريق التعب قطع ثم ترك طريق التعب بالمطاعة أهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده في بعض الناهي على ما سيأتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل الأخوذ ظلاً من تقير أو صالح أو من يتيم أخيث وأعظم من للأخوذ من قوى أو غنى أو فاسق لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى فهذه دقائق في تفاصيل الحباث لا ينبغي أن يهمل عنها فلو لا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت دركات النار وإذا عرفت مئارات التخليط فلا حاجة إلى حصره في ثلاث درجات أو أربعة فإن ذلك جار مجرى التحكم والتشهي وهو طلب حصرها لا حاصره ويدلك على اختلاف درجات الحرام في الحبث ما سيأتي في فمارض المخذورات وترجيح بعضها على بعض حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة أو أكل طعام التبر أو أكل سيد الحرم فانا قدم بعض هذا على بعض .

(١) حديث لا يبلغ العبد درجة للمتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس ابن ماجه وقد تقدم .

حيد قال أنا الحافظ
أبو نعيم قال حدثنا
أبو الباس أحمد بن
محمد بن يوسف قال
حدثنا جعفر الفرياني
قال حدثنا محمد بن
الحسين البخاري
بسمرقند قال حدثنا
عبد الله بن المبارك
قال حدثنا سعيد بن
أبي أيوب الخزازي قال
حدثنا عبد الله بن
الوليد عن أبي سليمان
الليثي عن أبي سعيد
الحدرى عن النبي
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « مثل المؤمن
كمثل القرس في
آخيته يحول ويرجع
إلى آخيته وإن المؤمن
يسوء ثم يرجع إلى
الإيمان فأطمئنا
طعامك الأثنياء وأولوا
معروفكم المؤمنين » .
[الباب السادس عشر
في ذكر اختلاف
أحوال مشايخهم في
السفر والقام] اختلف
أحوال المشايخ الصوفية
فمنهم من سافر في

(أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا)

أما الدرجة الأولى : وهي ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه عما يدخل في الدخول الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام لتقتضي شرط من الشروط فهو الحرام للطلق الذي ينسب مقتضاه إلى الفسق وللصية وهو الذي تريده بالحرام للطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد . وأما الدرجة الثانية : فأشبهها كل شبهة لا توجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتي في باب الشبهات إضمن الشبهات ما يجب اجتنابها فتعلق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع اللوسين كمن يتمتع من الاصطياد خوفا من أن يكون الصيد قد أقلت من إنسان أخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى ما لا يريك »^(١) ونعمله على نهى التنزيه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كل ما أصعب ودع ما أتيت »^(٢) والإيحاء أن يخرج الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا إذ يَحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر والذي غنّاه كما سيأتي أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع ما يريك أمر تنزيه إذ ورد في بعض الروايات كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سمك وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم في الكلب للعلم : وإن أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه على سبيل التنزيه لأجل الخوف إذ قال لأبي ثعلبة الحنسي « كل منه فقال وإن أكل منه فقال وإن أكل »^(٣) وذلك لأن حالة أبي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا يحتمل هذا الورع وحال عدى كان يحتمله . يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم لأنه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به فأشبهه هذه الدرجة نذكرها في الترضي لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة لا يجب اجتنابه فهو مثله هذه الدرجة . أما الدرجة الثالثة : وهي ورع التقيين فيشبه لها قوله ﷺ « لا يبلغ البعد درجة التقيين حتى يدع مالا بأس به مخافة ما به بأس » وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن تقع في الحرام وقيل إن هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال أبو الدرداء إن من تمام التقوى أن يبقى البعد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ولهمنا كان بعضهم مائة درهم على إنسان فحملها إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرز فكل ما يستوفيه يأخذه بنفسان حبة وما يعطيه يوفيه زيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس فإن ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من تقع بآبه أن ينجر إلى غيره وتألف النفس الاسترسال وترك الورع فمن ذلك ما روى عن علي بن مبيد أنه قال كنت ساكنا في بيت بكراه فكتبت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأثر به وأجفنه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتي فلما تمت فاذا أنا بشخص واقف يقول يا علي بن مبيد سيلم غدا الذي يقول وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته فإن للتقوى درجة نفوذ نفوذات ورع التقيين وليس الراد بأن يستحق

(١) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك للنسائي والترمذي والحاكم وصحاحه من حديث الحسن ابن علي (٢) حديث كل ما أصعب ودع ما أتيت الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف (٣) حديث قال لأبي ثعلبة كل منه فقال وإن أكل قال وإن أكل أبو داود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ومن حديث أبي ثعلبة أيضا مختصرا وإسنادهما جيد والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف

بدايته وأقام في نهايته ومنهم من أقام في بدايته وسافر في نهايته ومنهم من أقام ولم يسافر ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر الإقامة وتشرح حال كل واحد منهم ومقصده فيما رام فأما الذي سافر في بدايته وأقام في نهايته فقصده بالسفر لعمان منها تعلم شيء من الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالعين » وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام إلى أقصى الصين في كلمة تدل على هدى ما كان سفره ضالعا . وقال أن جابر بن عبد الله رحل من المدينة إلى مصر في شهر حديث بلغه أن أنسا يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » وقيل في تفسير قوله تعالى - السامعون -

عقوبة على فعله ، ومن ذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين السليين قالت امرأته عائكة أنا أبجد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لا أحببت أن أقسمه بكفة ثم قولين فيها أمر التبار فحسين بهاعنك فأصيب بذلك فضلا على السليين . وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك للسليين فأخذ بأفاه حتى لا يتيسر الرائحة وقال وهل ينفعني إلا برحمة لا استبعد ذلك منه « وأخذ الحسن رضي الله عنه تمره من تمر الصدقة وكان صغيرا فقال **كعب كعب كعب** (١) أي ألقها ، ومن ذلك ما روى بعضهم أنه كان عند محضر فأت ليلا قال أطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن ، وروى سليمان التيمي عن نسيمة المطارة قالت كان عمر رضي الله عنه يدفع إلى امرأته طليا من طيب السليين لتيهه فباعني طليا فجعلت تقوم وتزيد وتتقص وتكسر بأستانها فخلقي بأصبعها شيء منه فقالت به هكذا بأصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضي الله عنه فقال ما هذه الرائحة فأخبرته فقال طيب السليين فأخذته فاتنخ الخمار من رأسها وأخذ جرة من اللاء فجعل يصب على الخمار ثم يدهلك في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدهلك في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شيء بأصبعها فأدخلت أصبعها فيها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر رضي الله عنه وروى التتوي لحوف أداء ذلك إلى غيره . والإفضل الخمار ما كان بيد الطبيب إلى السليين ولكن ألقه عليها زجرا وردعا وإتقاء من أن يتعدى الأمر إلى غيره ، ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد يحمل حجره لبعض السلاطين ويخبر المسجد بالود قال ينبغي أن يخرج من المسجد فإنه لا ينفع من الود إلا براحمته وهذا قد غارب الحرام فإن القدر الذي يسبق ثوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يدخل به فلا يدري أنه يتسامح به أم لا ، وسئل أحمد بن حنبل عن سقطت منه ورقة فيها أحاديث فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردحها فقال لا بل يستأذن ثم يكتب ، وهذا أيضا قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا فأهوى في عمل الشك والأصل تحريره فهو حرام وتركه من الدرجة الأولى ومن ذلك النوع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها وإن كانت الزينة مباحة في نفسها ، وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السنية قال أمانا فلا أستملمها ولكن إن كان للطين فأرجو وأمانا إذا الزينة فلا ، ومن ذلك أن عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعته في باطل فطبعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة مما به البأس أي مخافة من أن يفضي إليه أو أكثر للباحات داعية إلى المحظورات حتى استكثر الأكل واستعمال الطبيب المعتزب فإنه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو إلى الفكر والتفكير يدعو إلى النظر والنظر يدعو إلى غيره وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكن يبيع الحرص ويدعو إلى طلب مثله ويؤلم منه ارتكاب ما لا يعمل في تحصيله وهكذا للباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا قلما تخلو عنها عن خطر وكذا كل ما أخذ بالشهوة قلما تخلو عن خطر حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال أما تجصيص الأرض فيمنع التراب وأما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى أنكر تجصيص للساجد وتزيينها واستدل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنتمثل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كبريت موسى (٢) »

(١) حدث أخذ الحسن بن علي تمره من الصدقة وكان صغيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم كعب كعب كعب ألقها البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أنه سئل أن يكحل للمسجد فقال لا ، عريش كبريت موسى الدارقطني في الأفراد من حديث أبي الفرداء وقاله غريب .

أهم طلاب العلم حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إمامنا قال أنا أبو القتح عبد الملك الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس المجهوني قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا وكيع قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن أنس هرون قال كنا نأى أبا سعيد يقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النبي عليه السلام قال « إن الناس لكم تبع وإن الرجال أتونكم من أقطار الأرض يتفقون في الدين فأنفذواكم فاستوصوا بهم خيرا » وقال عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وروى عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى أوحى إلى أناس

وإنما هو شىء مثل الكحل يطلى به فلم يرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رقبته ورقيه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في اللباحث إلى غيرها فان المخطور والباح تشبههما النفس بشهوة واحدة وإذا تمردت الشهوة الساعية استرسلت فاقضى خوف التقوى الورع عن هذا كله فكل حلال ائتك عن مثل هذه الخافضة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف أداؤه إلى مصيبة ألبتة . أما الدرجة الرابعة : وهو ورع الصديقين فالحلال عندهم كل ما لا تقدم في أسبابه مصيبة ولا يستعان به على مصيبة ولا يقصد منه في الحال والمآل قضاء وطر بل يتناول له تعالى قسط وللتقوى على عبادته واستبقاء الحياة لأجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وهذه رتبة للوحدين المتجردين عن حظوظ أنفسهم المنفردين لله تعالى بالقصد ولا شك في أن من يتورع عما يوصل إليه أو يستعان عليه بمصيبة ليتورع عما يقترن بسبب اكتسابه مصيبة أو كراهية في ذلك ماروى عن يحيى بن كثير أنه شرب الدواء فقالت له امرأته لو عشت في الدار قليلا حتى يعمل الدواء قتال هذه مشية لأعرفها وأنا أحاسب نفسي منذ ثلاثين سنة فبكأنه لم يحضره نية في هذه المشية تتلقى بالدين فلم يحز الأقدام عليها . وعن سري رحمه الله أنه قال انتريت إلى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت في نفسي إن كنت قدأأ كنت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فتهتفت بي هاتف إن القوة التي أوصلتك إلى هذا الوضع من أين هي فرجت وندمت ومن هذا ماروى عن ذى النون المصري أنه كان جائعا محبوسا فيبث إليه امرأة سالحة طعاما على يد السجان فلم يأكل شيئا اعتذر وقال جاني على طبق ظالم يعني أن القوة التي أوصلت الطعام إلي لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع . ومن ذلك أن يشرا رحمه الله كان لا يشرب للماء من الأنهار التي حفرها الأمراء فان التهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان للماء مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالهر المنحور بأعمال الأجراء وقد أعطوا الأجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من النب الحلال من كرم حلال وقال لصاحب أقصدته إنسقتني من الماء الذي يجري في الهر الذي حفرته الظلمة وهذا أبعد عن الظلم من شرب نفس الماء لأنه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء . وكان بعضهم إذا مر في طريق الحج لم يشرب من المصانع التي عملها الظلمة مع أن الماء مباح ولكنه بقي عفوفا بالمصنع الذي عمل به بمال حرام فبكأنه انتفاع به وامتناع ذى النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله لأن يد السجان لا توصف بأنه حرام بخلاف الطبق للتصوب إذا حمل عليه ولكنه وصل إليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام ولذلك تهاى الصديق رضى الله عنه من اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه فوقع أنه شربه عن جهل وكان لا يجب إخراجه ولكن تخليه البطن عن الخبث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخط في المسجد فان أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط في المسجد . وسئل عن الغازلي يجلس في قبة في القاهر في وقت يخاف من اللط فقال إنما هي من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها وأطلقا بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم بكره ما لهم وامتنع من تسجير تنور الخبز وقد بقي فيه جرم من حطب مكروه وامتنع بعضهم من أن يحكم شمع لعله في مشعل السلطان فهند فائق الورع عند السلكي طريق الآخرة والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع عما حرمته التقوى وهو ورع المدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله بما أخذ بشهوة أو توصل إليه بمكروه أو اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان العبد أشد تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوازا على الصراط وأبعد عن أن

مسلكا في طلب العلم سهلت له طريقا إلى الجنة ومن جملة مقاصد في البداية لقاء الشايع والإخوان الصادقين فللمريد بلقاء كل صادق مزيد وقد ينفعه لحظ الرجال كما ينفعه لفظ الرجال . وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه وهذا القول في وجهان أحدهما أن الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فله أكثر ما يكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق إلى تصاريفه في مودره ومصدره وخلوته وجاوبته وكلامه وسكوته يتفح بالنظر إليه فهو تقع اللحظ ومن لا يكون حاله وأفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لأنه يشكهم بهوا ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق

ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت النازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت درجات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الجث ، وإذا علمت حقيقة الأمر فإليك الحيار فإن شئت فاستكثر من الاحتياط وإن شئت فرخص فلنفسك تخاط وعلى نفسك رضى والسلام .

(الباب الثانى فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يسلها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرشه ودينه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه (١) » فهذا الحديث نص فى إثبات الأقسام الثلاثة وللشكل منها القسم المتوسط الذى لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلابد من بيانها وكشف الطعاه فانها غابا لا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل فنقول : الحلال للطلق هو الذى خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم فى عينه وانحل عن أسبابه ما ينطرق إليه تحريم أو كراهية ومثاله الماء الذى يأخذه الإنسان من للطريق أن يقع على ملك أحد ويكون هو واقفا عند جمعه وأخذه من الهواء فى ملك نفسه أو فى أرض مباحة والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشبهة للطرية فى البحر والتجاسة فى البول أو حصل بسبب منى عنه قطعا كالحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتصق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال ومن أخذ ظنية فيحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم أفلتت منه وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد تزلزل من الصيد بعد وقوعه فى يده وخبرته فقل هذا الاحتمال لا ينطرق إلى ماء للطر المختطف من الهواء ولكنه فى معنى ماء للطر والاحتراز منه وسواس ، ولنسم هذا الفن ورع للوسوسين حتى تتحقق به أمثاله وذلك لأن هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لولد عليه دليل فان كان قاطعا كالأول وجد حقه فى أذن السمكة أو كان محتملا كالأول وجد على الظنية جراحة يحتمل أن يكون كيا لا يقدر عليه إلا بعد الضبط ويحتمل أن يكون جرحا فهذا موضع الورع وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال للمدوم دلالة كلاحتمال المدوم فى نفسه ومن هذا الجنس من يستعير دارا فيغيب عنه المير فيخرج ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس إذ لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المهدورة مانتأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين فالأول سببه لا يثبت عقده فى النفس حتى يساوى العقيد للتأليل فيه فميرشكا ولهذا يقول : من شك أنه صلى ثلاثا أو أربعاً أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التى أداها قبل هذا بمرسنتين كانت ثلاثا أو أربعاً لم يتحقق قطعا أنها أربعة وإذا لم يقطع جواز أن تكون ثلاثة وهذا التجوز لا يكون شكاً إذ لم يحضره سبب أو جاب اعتقاد كونها ثلاثا فلنظم حقيقة الشك حتى لا يشبهه الوهم والتجوز بفرض سبب فهذا يلتصق بالحلال المطلق ويلتصق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن فى يده طعام لمورته الذى لا وارث له سواء فتاب عنه فقال يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إلى فلان فأكله فإقدامه عليه إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له فلا ينبغي أن يعدّ هذا الخط من أقسام الشبهات وإنما الشبهة نعى بها ما شابه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين . ومثارات الشبهة خسة :

(الباب الثانى فى مراتب الشبهات)

(١) حديث الحلال بين والحرام بين متفق عليه من حديث الثعلب بن بشر .

الصودية وحقيقتها والوجه الثانى أن نظر العلماء الراسخين فى العلم والرجال البالغين تزياع نافع ينظر أحدهم إلى الرجل الصادق فيستكشف بنور بصيرته حسن استعداد الصادق واستبهاه لمواهب الله تعالى الخاصة فيقع فى قلبه محبة الصادق من اللريدين وينظر إليه نظر محبة عن بصيرة وهم من جنود الله تعالى فيعكسون بنظم أحوال سنية ويهيون آثارا مرضية وماذا ينكر النكر من قدرة الله أن الله سبحانه وتعالى كما جعل فى بعض الأفاعى من الخاصة أنه إذا نظر إلى إنسان بهلكه بنظره أن يجعل فى نظر بعض خواص عباده أنه إذا نظر إلى طالب صادق بكسبه حالا وحياة وقد كان شيخنا رحمه الله يطوف فى مسجد الخيف بمنى

(التار الأول الشك في السبب الحلال والمحرّم)

وذلك لا يغلو إما أن يكون متعادلا أو غلب أحد الاحتمالين فإن تعادل الاحتمال كان الحكم لماعرف قبله فيستحب ولا يترك بالشك وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للقلب ولا يبين هذا إلا بالأمثال والشواهد فلنقسمه على أقسام أربعة . القسم الأول : أن يكون التحريم معلوما من قبل ثم يقع الشك في الحلال فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الإقدام عليها . مثاله : أن يرى إلى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري أنه مات بالغرق أو بالجرح فهذا حرام لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق فلا يترك اليقين بالشك كما في الأحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها على هذا ينزل قوله عليه السلام لدى بن حاتم «لأنك أهدية فله قتل غيرك» (١) . فذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى يعلم أمها هو (٢) وروى «أنه صلى الله عليه وسلم أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقت يارسول الله فقال أجل وجدت عمرة غشيت أن تكون من الصدقة» (٣) وفي رواية «فأكلتها غشيت أن تكون من الصدقة» ومن ذلك ما روى عن بعضهم أنه قال «كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فقلنا منزلا كثير الضباب فبينما القدور قفلى بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة مسخت من بني إسرائيل أخشى أن تكون هذه فأكلنا القدور» (٤) ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه لم يسخ الله خلقا فجعل له نسلا (٥) وكان امتناعه أولا لأن الأصل عدم الحلال وشك في كون الشيء محلالا . القسم الثاني : أن يعرف الحلال ويشك في المحرم فالأصل الحلال وله الحكم كما إذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر فقال أحدهما إن كان هذا غرابا فأمرأتى طابق وقال الآخر إن لم يكن غرابا فأمرأتى طابق والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليعهما حتى يحل لسانه الأزواج وقد أمر مكحول بالاجتناب في هذه المسئلة وأقوى الشيء بالاجتناب في رجائين كانا قد تنازعا فقال أحدهما للآخر أنت حسود فقال الآخر أسعدنا زوجة طابق ثلاثا فقال الآخر نعم وأشكّل الأمر وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له إذ ثبت في الباء والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه . فإن قلت وأى مناسبة بين هذا وبين ذلك فأعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فانه لازم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما يقين طهارة اللحم ثم شك في نجاسته جاز له أن يتوضأ به فكيف لا يجوز أن يشربه وإذا جوز الشرب فقد سلم أن اليقين لا يزال بالشك إلا أن ههنا دققة وهو أن وزان اللحم أن يشك في أنه طلق زوجته أم لا فيقال الأصل أنه مطلق

ويتصفح وجوه الناس
قيل له في ذلك قال
له عباد إذا نظروا
إلى شخص أكسبه
سعادة فانا أنطلب ذلك
ومن جملة المقاصد في
السفر ابتداء قطع
المألوفات والانسلاخ
من ركوب النفس
إلى معهود ومعسوم
والتحامل على النفس
بتجرع مرارة فرقة
الإلاف والخلاف والأهل
والأوطان فمن صبر
على تلك المألوفات
معتسيا عند الله أجرا
فقد حاز فضلا عظيما .
أخبرنا أبو زرعة بن
أبي الفضل الحافظ
للقديسي عن أبيه قال
أنا القاضي أبو منصور
محمد بن أحمد الفقيه
الأصفهاني . قال أنا
أبو إسحاق إبراهيم بن
عبد الله بن خريد
قوله قال حدثنا
أبو بكر عبد الله
ابن محمد بن زياد
التيسابوري قال حدثنا
يونس بن عبد الأعلى

- (١) حديث لأنك أكله فله قتل غيرك كليك قاله لدى بن حاتم متفق عليه من حديثه (٢) حديث كان إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية يسأل عنه البخاري من حديث أبي هريرة (٣) حديث أنه أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقت يارسول الله فقال أجل وجدت عمرة غشيت أن تكون من الصدقة أحمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بإسناد حسن (٤) حديث كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فقلنا منزلا كثير الضباب فبينما القدور قفلى بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة من بني إسرائيل مسخت فأخاف أن تكون هذه فأكلنا القدور ابن حبان والبيهقي من حديث عبد الرحمن وحسنه وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخاري وحديث ثابت أصح (٥) حديث أنه لم يسخ الله خلقا فجعل له نسلا مسلم من حديث ابن مسعود .

ووزان مسألة الطاهر أن يتحقق نجاسة أحد الإنانين ويشتهيه عنه فلا يجوز أن يستعمل أحدهما
غير اجتهد لأنه قابل يقين النجاسة يقين الطهارة فيطال الاستصحاب فكذلك هنا قد وقع الطلاق
على إحدى الزوجتين قطعاً والتبس عين الطلقة بغير الطلقة فتقول اختلف أصحاب الشافعي في الإنانين
على ثلاثة أوجه قال قوم يستصحب بغير اجتهد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة فيمقابلة يقين
الطهارة يجب الاجتناب ولا يقين الاجتهاد وقال القصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه أن
تكون له زوجتان فيقول إن كان غراباً فزنب طالق وإن لم يكن فصرمة طالق فلا جرم لا يجوز له
غشيانها بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا علامة وغرمها عليه لأنه لو ملطهما كان مقتعماً
للحرام قطعاً وإن وطئ إحداهما وقال أقنصر على هذه كان متحكماً بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا
اترق حكم شخص واحد أو شخصين لأن التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين إذ كل
واحد شك في التحريم في حق نفسه . فان قيل فلو كان الإنانان لشخصين فبني أن يستثنى عن
الاجتهاد ويتوضاً كل واحد إيمانه لأنه يتقن طهارته وقد شك الآن فيه فتقول هذا محتمل في الفقه
والأرجح في ظني النع وأن تعدد الشخصين هنا كإحاده لأن صحة الوضوء لا تستدعي مسكاً بل وضوء
الإنسان بماء غيره فيرفع الحدث كوضوئه بماء نفسه فلا يتبين لاختلاف اللك وأحماه أثر خلاف الوطء
لزوجة الغير فانه لا يعل ولأن العلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه يمكن بخلاف الطلاق فوجب
تقوية الاستصحاب بعلامة يدفع بها قوة يقين النجاسة للقاء يقين الطهارة وأبواب الاستصحاب
والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقينا في كتب الفقه ولنا قصد الآن إلى التبيين على
قواعدنا . القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ولكن طراً ما أوجب تحليه بظن غالب فهو
مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن إلى سبب معتبر شرعاً فالتدنى اختار
فيه أنه يخل واجتنابه من الورع . مثاله : أن رمى إلى صيد غيب ثم يدركه ميتاً وليس عليه أثر
سوى سهمه ولكن يحتمل أنه مات بسقطه أو بسبب آخر فان ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة
أخرى التحق بالقسم الأول وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم والختار أنه حلال لأن
الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والأصل أنه لم يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين
بالشك . فان قيل فقد قال ابن عباس : كل ما أسمى ودع ما أعيت . وروى عائشة رضي الله عنها « أن رجلاً
أتى النبي ﷺ بأرنب فقال ربي عرف فيها سمى قال أسمى أو أعيت فقال بل أعيت قال إن الليل
خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فله أعان على قتله شيء (١) » وكذلك قال صلى الله عليه وسلم
لعدى بن حاتم في كلبه العلم « وإن أكل فلأنا كل فاني أخاف أن يكون إنعاماً مسك على نفسه (٢) »
والغالب أن السكب العلم لا يسمي خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو أن
الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب وتام السبب بأن يفضى إلى الموت سليماً من طريان غيره عليه

(١) حديث عائشة أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال ربي عرف فيها سمى فقال
أسمى أو أعيت فقال بل أعيت قال إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فله أعان
على قتله شيء ليس هذا من حديث عائشة وإنما رواه موسى بن أبي عائشة عن أبي رزين قال جاء رجل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصيد فقال إنى ريمته من الليل فأعيانى ووجدت سهمي فيه من الضد
وعرفت سهمي فقال الليل خلق من خلق الله عظيم لعله أعانك عليها شيء رواه أبو داود في المراسيل
والبيهقي وقال أبو رزين اسم سمود والحديث مرسل قال البخاري (٣) حديث قال لمسي في كلبه العلم
وإن أكل فلأنا كل فاني أخاف أن يكون إنعاماً مسك على نفسه متفق عليه من حديثه .

قال حدثنا بن وهب
قال حدثني يحيى بن
عبد الله عن أبي عبد
الرحمن عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص
قال « مات رجل بالمدينة
عن ولده فبني عليه
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال
ليته مات بغير مولده
قالوا ولم ذاك يا رسول
الله قال إن الرجل إذا
مات بغير مولده قيس له
من مولده إلى منقطع
أثر من الجنة » ومن
جملة المقاصد في السفر
استكشاف دقائق
النفس واستخراج
رغواتها ودعاؤها
لأنها لا تسكن بتبين
حقائق ذلك بغير السفر
وسمى السفر سفراً لأنه
يسفر عن الأخلاق
وإذا وقف على ذاته
يتشعر لسلواته وقد
يكون أثر السفر في
نفس البشدي كثر
النواتل من الصلاة
والصوم والجهاد وغير
ذلك وذلك أن التنفل

وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه أن موته على الحل أو على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيما يطرا عليه . فالجواب أن نهى ابن عباس ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتزبه بدليل ما روى في بعض الروايات أنه قال « كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهلك »^(١) وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو أنه إن وجد أثرا آخر قد تعارض السببان بتعارض الظن وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة للظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها وأما قول القائل إنه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكاً في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق إذ الجرح سبب الموت فطريان القبر شك فيه وبدل على صحة هذا الاجماع على أن من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جاحه بل إن لم يثبت بحتم أن يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يعوت الإنسان فجأة فينبغي أن لا يجب القصاص إلا بحز الرقة والجرح للذفق لأن الملل القائلة في الباطن لا تؤمن ولا تجلب موت فجأة ولا قاتل بذلك مع أن القصاص مبناه على الشبهة وكذلك جنين الذكاة حلال ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أولم ينفع فيه الروح وغرة الجنين يجب ولعل الروح لم ينفع فيه أو كان قد مات قبل الجنابة بسبب آخر ولكن يبنى على الأسباب الظاهرة فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستند إلى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كذا كراته فكذلك هذا وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » فلشافي رحمه الله في هذه الصورة قولان والذي نتخذه الحكم بالتحريم لأن السبب قد تعارض إذاً الكلب العلم كالألة والوكيل يسك على صاحبه فيحل ولو استرسل العلم بنفسه فأخذ لم يحل لأنه يتصور منه أن يسطاد نفسه ومهما انبثت بأشارته ثم كل دل ابتداء انبعائه على أنه نازل منزلة آله وأنه يسمى في وكالته ونيابته ودل أكله آخرها على أنه أمسك لنفسه لاصاحبه فقد تعارض السبب الدال في تعارض الاحتمال والأصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كالموكل وكل رجلا بأن يشتري له جارية فأشترى جارية ومات قبل أن يبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله لم يحل للموكل وطؤها لأن الوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا ولا دليل مرجح والأصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الأول بالقسم الثالث . القسم الرابع : أن يكون الحل معلوما ولكن يظن على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم إذ بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يثق له حكم مع غالب الظن . ومثاله أن يؤدي اجتنباده إلى نجاسة أحد الإناوين بالاعتقاد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجب منع الوضوء به وكذا إذا قال إن قتل زيد عمرا أو قتل زيد صيدا منفردا بقتله فأمر أني طالق فجرحه وغاب عنه فوجد ميتا حرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق وقد نص الشافعي رحمه الله أن من وجد في القدران ماء متغيرا احتمل أن يكون تغيره بطول السكت أو بالنجاسة فيستعمله ولو رأى ظبية بالث فيه ثم وجده متغيرا واحتمل أن يكون بالبول أو بطول السكت لم يجز استعماله إذ صار البول الشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بين الشيء فأما غلبة الظن لامن جهة علامة تتعلق بين الشيء فقد اختلف قول الشافعي رضى الله عنه في أن أصل الحل هل يزال به إذا اختلف قوله في التوضؤ من أواني الشرابين ومدمن الحجر والصلاة في القابر للنبوذة والصلاة مع طين الشوارع

(١) حديث كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثر سهم غيرك متفق عليه من حديث عدى بن حاتم

سأخسائر إلى الله تعالى
من أوطان الفضلات
إلى عمل القربات
والسافر يقطع المسافات
ويقلب في القافز
والقوافل بحسن النية
فه تعالى سائرا إلى الله
تعالى بمراغمة الهوى
ومهاجرة ملاذ الدنيا .
أخبرنا شيخنا إجازة
قالنا عمر بن أحمد قال
أنا أحمد بن محمد بن
خلف قال أنا أبو
عبد الرحمن السلمي
قال سمعت عبد الواحد
ابن بكر يقول سمعت
على بن عبد الرحيم
يقول سمعت النووي
يقول التصوف ترك
كل حظ النفس فإذا
سافر الليثى تاركا
حظ النفس تطمئن
النفس وتلين كالتلين
يدوام النافذة ويكون
لها بالسفر دباغ ينهب
عنها الخشونة واليوسه
الجيلية والفونة
الطبيعية كالجلد يمود
من هيئة الجلود إلى
هيئة الثياب فتعود

أعنى المقدار الزائد على ما يتصدر الاحتراز عنه وعبر الأصحاب عنه بأنه إذا تارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من أواني مدمن الحجر والسكرين لأن النجس لا يخل شربه فإن مأخذ النجاسة والحل واحد فالتردد في أحدهما موجب للتردد في الآخر والذي أخذه أن الأصل هو المعتبر وأن العلامة إذا لم تتعلق بعين للتناول لم توجب رفع الأصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في لثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه أوطن وحكم حرام شك في طريان محلل على أوطن^(١) وإن الفرق بين ظني يستند إلى علامة في عين الشيء وبين مالا يستند إليه وكل ما حكنا في هذه الأقسام الأربعة بحله فهو حلال في الدرجة الأولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة للتثني والصالحين بل من زمرة المدلول القدين لا يقضى في فتوى الشرع بفسقهم وعصيتهم واستحقاقهم العقوبة إلا ما لحقناه بترتبة الوسواس فإن الاحتراز عنه ليس من الورع أصلا .

(لثار الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط)

وذلك بأن يخلط الحرام بالحلال ويشبه الأمر ولا يميز والخلط لا يخلو إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو يسد محصور فإن اختلط بمحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يميز بالإشارة كاختلاط اللامعات أو يكون اختلاط استيهام مع التميز للأعيان كاختلاط الأعياد والدور والأفراس والذي يخلط بالاستيهام فلا يخلو إما أن يكون مما يقصد عنه كالروض أو لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام . القسم الأول : أن تسبهم العين بعدد محصور كالو اختلطت اللبة بمذكاة أو بشر مذكيات أو اختلطت رضعة بشر نسوة أو يتزوج إحدى الأخنتين ثم تلبس فهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع لأنه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا وإذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين أن يثبت حل فطرأ اختلاط بمحرم كالو أو وقع الطلاق على إحدى زوجتين فيمسئلة الطائر أو يخلط قبل الاستحلال كالو اختلطت رضعة بأجنبية فأراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الخطر أغلب في نظر الشرع فلذلك ربح وهذا إذا اختلط حلال محصور بمحرم محصور فإن اختلط حلال محصور بمحرم غير محصور فلا ينجس^(٢) وأن وجوب الاجتناب أولى . القسم الثاني : حرام محصور بحلال غير محصور كالو اختلطت رضعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البلد بل لأن ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز أن يسل بكرة الحلال إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا قائل به بل الملة الغلبة والحاجة جميعا إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشراء والأكل فإن ذلك حرج ومافى الدين من حرج ويعلم هذا بأنه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن^(٣) وغل واحد في الغنمية عبادة^(٤) لم ينتع أحد من شراء الجبان والعباءة في الدنيا وكذلك كل ما سرق وكذلك كان

(١) حديث سرقة المجن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم (٢) حديث غل واحد من الغنائم عبادة البخاري من حديث عبد الله بن عمر ، واسم الغال كركرة

النفس من طبيعة الغطيان إلى طبيعة الإيمان . ومن جملة المقاصد في السفر رؤية الآثار والعبر وتسريح النظر في مسارب الفكر ومطالعة أجزاء الأرض والجبال ومساوئ أقدام الرجال وإستماع التسييح من ذرات الجمادات والقيم من لسان حال القطع للتجاورات فقد تجدد القطة بتجدد مستوع العبر والآيات وتتوفر بمطالعة الشاهد والسواقف الشواهد والدلالات قال الله تعالى - صبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - وقد كان السري يقول للصوفية : إذا خرج الشتاء ودخل أذار وأورقت الأشجار طاب الانتشار . ومن جملة المقاصد في السفر إشار الحول وإطراح حظ القبول ضدق الصادق يتم على أحسن الحال

يسرف أن في الناس من يرى في الدرهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس
الدرهم والدنانير بالكلية^(١) وبالجملة أنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الحلق كلهم عن المعاصي
وهو محال وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط أيضا في بلد إلا إذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب
هذا من ورع اللوسوسين إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة
ولا يتصور الوفاء به في مدة من تلك ولا في عصر من الأعصار . فان قلت فكل عدد محصور في علم
الله فما حد المحصور ولو أراد الإنسان أن يحصر أهل بلد بقدر عليه أيضا إن تمكن منه . فاعلم أن
تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن وإنما يضبط بالتقريب . فتقول كل عدد لو اجتمع على صعيد
واحد لصر على الناظر عديم بمجرد النظر كالألف والألفين فهو غير محصور وما سهل كالشجرة
والعشرين فهو محصور وبين الطرفين أوساط متشابهة تلتحق بأحد الطرفين بالظن وما وقع الشك
فيه استغنى فيه القلب فان الإثم حراز القلوب وفي مثل هذا اللقاع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لواصة « استغنى قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك » وكذا الأقسام الأربعة التي ذكرناها
في التار الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات وأوساط متشابهة فالنفي يقع بالظن
وعلى المستغنى أن يستغنى قلبه فان حاله في صدره شيء فهو الآثم بينه وبين الله فلا ينجي في الآخرة
قوى اللقي فانه يقع بالظاهر والله يتولى السرائر . القسم الثالث : أن يخطط حرام لا يحصر بحلال
لا يحصر حكم الأموال في زمانها هذا فالتدبير يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور
إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فتحكم هنا به والذي تخاره خلاف
ذلك وهو أنه لا عزم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بمسئله احتمال أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقرن
بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه
ورع وأخذ حلال لا يفسق به آكله ومن العلامات أن يأخذه من يد سلطان ظالم إلى غير ذلك من
العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الأثر والقياس فأما الأثر فما علم في زمن رسول الله صلى
الله عليه وسلم والحلفاء الراشدين بسببه إذ كانت أثمان الحور ودرهم الربا من أيدي أهل النعمة
مختلطة بالأموال وكذا غلول الأموال وكذا غلول النعمة ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم
عن الربا إذ قال « أول ربا أضمه ربا العباس »^(٢) ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب
الحور وسائر المعاصي حتى روي أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الحمر فقال عمر رضي الله
عنه لعن الله فلانا هو أول من سبي الحمر إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الحمر تحريم لثمنها وقال صلى
الله عليه وسلم « إن فلانا يجر في النار عبادة قد غلها »^(٣) وقتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه
خرزات من خرز اليهود لانسوى درهمين قد غلها^(٤) وكذا أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم الأمراء الظلمة ولم ينتج أحد من عن الثراء والبيع في السوق بسبب نهب للدينة وقد نهى
أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من ينتفع من تلك الأموال مشارا إليه في الورع والأكثر من ينتفعوا

(١) حديث إن في الناس من كان يرى في الدرهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا الناس الدرهم بالكلية هذا معروف وسيأتي حديث جابر بسببه محدث وهو يدل على ذلك
(٢) حديث استغنى قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك قاله لواصة تقدم (٣) حديث أول ربا أضمه ربا
العباس مسلم من حديث جابر (٤) حديث إن فلانا في النار يجر عبادة قد غلها البخاري من حديث
عبد الله بن عمر وتقدم قبله بثلاثة أحاديث (٥) حديث قتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزا
من خرز اليهود لانسوى درهمين قد غلها أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث يزيد بن خالد الجهني .

وبرزق من الخلق
حسن الاقبال وقفا
يكون صادق متمسك
بمروة الاخلاص
ذوق قلب عامر بالإدورق
إقبال الخلق حتى صحت
بعض الشايح يحكى عن
بعضهم أنه قال : أريد
إقبال الخلق على لآني
أبلغ نفس حظها من
الموى فاني لأبالي أقبلوا
أو أدبروا ولصكن
لكون إقبال الخلق
علامة تدل على صحة
الحال فاذا اجتلى الريد
بذلك لأبأمن نفسه أن
تدخل عليه بطريق
الرصكون إلى الخلق
وربما يفتح عليه باب
من الرفق وتدخل
النفس عليه من طريق
السير والدخول في
الأسباب الممودة
وتربه فيوجه للصحة
والفضيلة في خدمة
عبادته وبذل الوجود
ولأزال النفس به
والشيطان حتى يجره
إلى السكون إلى
الأسباب واستجلاله

مع الاختلاط وكثرة الأموال الثبوتية في أيام الظلمة ومن أوجب مالم يوجب السلف الصالح وزعم أنه
تظن من الشرع مالم يظنوا له فهو موسوس غفل العقل ولوجاز أن يزداد عليهم في أمثال هذا لجاز
غفلتهم في مسائل لاستند فيها سوى اضافتهم كتولم إن الجدة كالألم في التحريم وابن الإبن كالابن
وشعر الخنزير وشحه كاللحم للذكور تحريمه في القرآن والربا جار فيما عدا الأشياء الستة وذلك حال
فأهم أولى بهم الشرع من غيرهم . وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لاند باب جميع التصرفات
وخرب العالم إذ الفسق يظلم على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في القود ويؤدي ذلك
لاحالة إلى الاختلاط . فان قيل قد قلتم أنه صلى الله عليه وسلم امتنع من الضرب وقال « أخشى
أن يكون مما مسحه الله » وهو اختلاط غير المحصور ؟ قلنا يحمل ذلك على التنزه والورع أو تحول
الضرب شكل غريب ربما يدل على أنه من اللغو فهي دلالة في عين للتناول . فإن قيل هذا معلوم
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والتهب وغلول النخلة
وغيرها ولكن كانت هي الأقل بالاضافة إلى الحلال فشاذا تحول في زماننا وقصدار الحرام أكثر مافي
أيدى الناس لسداد العائلات وإحلال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة ، فمن أخذ مالا
لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهل هو حرام أم لا ؟ فأقول ليس ذلك حراما وإنما الورع
تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلا . ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر
الأموال حرام في زماننا غلط محض ومنشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس
بل أكثر الفقهاء يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهما قياسان متقابلان ليس بينهما
ثالث وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر . ومثاله أن الخنثى فيما بين الخلق
نادر وإذا أنضيف إليه المرض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال للرض والسفر من الأعذار العامة
والاستحاضة من الأعذار النادرة ، ومعلوم أن للرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضا بل هو كثير
والفقيه إذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا
فهو غلط والصحيح والقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فإذا فهم هذا
فبقول قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجندية
أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدي التي تكررت من أول الإسلام إلى زماننا هذا على
أصول الأموال الموجودة اليوم . أما المستند الأول فباطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر فاتهم
الجندية إذ لا يظلم إلا نغلبة وشوكة وهم إذا أنضيفوا إلى كل العالم لم يلفوا عشر عشرهم فكل سلطان
يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك إنجابا يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من
بلاد مملكته يزيد عددها على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك
الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بشرة منهم مثلا مع تمامهم في المعيشة ولا يتصور
ذلك بل كفاية الواحد منهم يجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول في السراق فإن البلدة
الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل . وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي
أيضا كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع ضد هؤلاء أكثر والذي
يسام بالربا أو غيره فلو عدت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على القاسد إلا أن يطلب
الانسان بوجهه في البلد خصوصا بالجماعة والحب وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر
ومثل ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيرا فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخفى
هو أيضا عن معاملات محبة تساوي الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لن تأمله وإنما غلب

يقول الخلق وربما
قويا عليه جفراء إلى
التصنع والتعمل
ويشع المحرق على
الواقع . وصحبت أن
بعض الصالحين قاله
لمريد له أنت الآن
وصلت إلى مقام لا يدخل
عليك الشيطان من
طريق الشر ولكن
يدخل عليك من
طريق الخير وهذا مزية
عظيمة للأقدام فافهم
تعالى يدرك الصادق
إذا ابتلى بشيء من
ذلك وزججه بالعناية
السابقة واللوعة
اللاحقة إلى السفر
يفارق للعارف
والوضع الذي فتح
عليه هذا الباب فيه
ويتجرد لله تعالى
بالخروج إلى السفر
وهذا من أحسن
للقاصد في الأسفار
لصادقين فهذه جمل
القاطعة المطلوبة للشايع
في بدايتهم ماعدا
الحج والقرى وزيارة
بيت المقدس ، وقد هزل

هذا على النفوس الفاسدة لاستكثار الفوس والفساد واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نادرا حتى ربما يظن أن الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فينجي أنهم ألا كثرون وهو خطأ فانهم الأولون وإن كان فيهم كثرة . وأما للسعد الثالث وهو أخيليا أن يقال الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان والنبات والحيوان حاصلان بالآلة فإذا نظرنا إلى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد أصولها إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأموال غصب أو معاملة فاسدة فكيف بقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والقواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا إلى أول الشرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالا وأما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدرهم والدينار ولا يخرج إلا من دار الضرب وهي في أيدي الظلمة مثل المعادن في أيديهم يمتعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصبا فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لا يتطرق إليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا يمد في معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يتبقى إذن حلال إلا الصيد والحشيش في الصحاري والوات والفاوز والحطب للبائع ثم من يحصله لا يقدر على كفه فيفتقر إلى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالامتياز والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تحيلا . والجواب أن هذه القليلة لم تنشأ من كسرة الحرام المحاط بالحلل فخرج عن القبط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الأصل والغالب إذ الأصل في هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجها عن الصلاحه فيضاهي هذا محل القولين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة في الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر وأن الوضوء من أواني للشراب حائز وأن الصلاة في المقابر المنيوعة جائزة فثبت هذا أولا ثم قيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشرقة ، وتوضع عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية ، مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحتزرون عما نجسه شرعا ، فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم ، بل نقول نعم قطعا أنهم كانوا يلبسون القراء المدبوغة والثياب المدبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة والطهارة في تلك الثياب محال أواندر ، بل نقول نعم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يفسلونه مع أنه يندس بالقر والحوانات وهي يتول عليه وتروث وقفا غلص منها ، وكانوا يركبون الدواب وهي ترق وما كانوا يسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الأمطار وقد لا تزيلها وما كان يحتزرها ، وكانوا يعيشون خفاة في الطرق وبالمعال ويسلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة ، وكانوا يعيشون في البول والفضرة ولا يجلسون عليها ويستزهون منه ، ومضى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأروائها ، ولا ينبغي أن نظن أن الأصمار أو الأمصار تختلف في مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تقسل في عصرهم أو كانت تحرس من الدواب هيئات فذلك معلوم استحالة بالمادة قطعا فدل على أنهم لم يحتزروا إلا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين ، فأما الظن الغالب الذي يستتر من رد الهرام إلى مجاري الأحوال فلم يتبروه وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل نجس من غير قبح واقع .

أن ابن عمر خرج من المدينة قاصدا إلى بيت المقدس وصلّى فيه الصلوات الخمس ثم أسرع راجعا إلى المدينة من القدس . ثم إذا من الله على الصادق بإحكام أمور بدايته قلبه في الأسفار ومنحه الحفظ من الاعتبار وأخذ نصيه من العلم قدر حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتش في قلبه فوائد النظر إلى حال التقيين وتطرباطه باستنشاق عرف معارف القربين وعصم بحماية نظر أهل الله وخاصته وسير أحوال النفس وأسفر السفر عن دقائق أخلاقها وشهواتها الخفية وسقط هن باطنه نظرا لخلق وصار يغلب ولا يغلب كما قال الله تعالى إخبارا عن موسى - ففرت منك لما خفك فوهب لي ربي حكما وجسلي من للربلين - ضد ذلك

إذ لم يزل الصعابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه القليلة والأبدى المختلفة تسمى فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهمائت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحقق حكم الحبل بحكم النجاسة . فان قيل لا يجوز قياس الحبل على النجاسة إذ كانوا يتوضؤون في أمور الطهارات وعتزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليها . قلنا إن أراد به أنهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها معصية وهي عماد الدين فيس الظن بل يجب أن نعتقد فهم أنهم احتزروا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تساعوا حيث لم يجب وكان في عمل تساعهم هذه الصورة التي تمارض فيها الأمل والغالب فإن أن الغالب الذي لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به لأن أمر الأموال مخوف والنفس تميل إليها إن لم تضبط عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه . وقدحى عن واحد منهم أنه احتز من الوضوء بماء البحر وهو الظهور المحض فالإتراق في ذلك لا يقدح في الفرض الذي أجمنا فيه على أن نجرى في هذا للسند على الجواب الذي قدمناه في السنتين السابقتين ولا نسلم ما ذكره . من أن الأكل أكثر هو الحرام لأن المال وإن كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون بعض وكما أن الذي يتبدأ غصبه اليوم هو الأكل بالإضافة إلى ما لا يقبض ولا يسرق فيكذب كل مال في كل عصر وفي كل أصل فالمنسوب من مال الدنيا والتناول في كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل ولنا ندرى أن هذا الفرع يمينه من أي القسمين فلان لم أن الغالب نحره فانه كما زيد المنسوب بالتوالي يزيد غير المنسوب بالتوالي فيكون فرع الأكل لا محالة في كل عصر وزمان كما ثبت الغالب أن الجبوب المنصوبة تنصب للأكل لا للبشر وكذا الحيوانات المنصوبة أكثرها يؤكل ولا يتحقق قتله فكيف يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام وليتهم المسترشد من هذا طريق معرفة الأكل أكثر فانه مزل قدم وأكثر العلماء يظنون فيه فكيف الغوام هذا في التلوات من الحيوانات والجبوب فأما للعائد فاتها محالة مسلبة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضهم أو يأخذون الأقل لا محالة لا أكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظله يجمع الناس منه فأما ما يأخذه الأخذ منه فيأخذ من السلطان بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستنابة في إثبات اليد على البحوث والاستتجار عليها فالمتأجر على الاستعانة إذا حاز لاء دخل في ملك المستحق واستحق الأجرة فكذلك التيل فاذا فرغنا على هذا لم نحر من عيب الذهب إلا أن يقدر ظله بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لا يوجب تحريم عيب الذهب بل يكون ظلالا بقاء الأجرة في ذمته وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون إليهم الذهب للسبوك أو النقد الردي . ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ماسلوه إليهم إلا نسيئا قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وإن فرض دنائير مضروبة من دنائير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل لا محالة ، نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فبا يأخذه السلطان عوض من حشمة وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لأهل دار الضرب والسلطان من حشمة ما يخرج من من المائة واحد وهو عشر العشر فكيف يكون هو الأكل أكثر فهذه أغاليط عبت إلى القلوب بالوهم وتشمير تزيينها جماعة ممن رقت دينهم حتى قبخوا الورع وسدوا بابها واستقبحوا تميز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال . فان قيل فلو قدر

يرده الحق إلى مقامه
ويحمله بحزب إلى إنعامه
ويجعله إماما للمعتدين به
يتقدي وعلم للمؤمنين
به يتقدي . وأما الذي
أقام في بدايته وسافر
في نهايته يكون ذلك
شخصا يسر الله له في
بداية أمره حجة صحيحة
وقضى له شيئا علما
يسلك به الطريق
ويدرجه إلى منازل
التحقيق فيلازمهم موضع
إرادته ويلزم بصحة
من يرده عن عادته
وقد كان الشبل يقول
للحصرى في ابتداء
أمره إن خطر بيالك
من الجمعة إلى الجمعة غير
الله فحرام عليك أن
تخسرن في رزق
مثل هذه الصعبة
يحرم عليه السفر
فالصعبة خير له من
كل سفر وفصيلة
يقصدها . أخبرنا رضي
الدين أبو الخير أحمد
ابن اسمعيل القزويني
إجازة قال أنا أبو
الظفر عبد النعم بن

غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فإذا تقولون فيه إذا لم يكن في المين للتناولة علامة خاصة . فتقول الذي نراه أن تركه ورع وأن أخذه ليس حرام لأن الأصل الحلال ولا يرفع إلا بعلامته كمنع كافي طين الشوارع ونظائرهما بل أزيد . وأقول : لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا أنه لم يبق في الدنيا لكانت أقول نساؤه تهدي الشروط من وقتنا ونفوسهم عاصف وتقول ما جاوز حده انكسر إلى ضده فمهما حرم الكل حل الكل ، وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة فلا احتمالات خمسة : أحدها أن يقال يمنع الناس إلا كل حتى يموتوا من عند آخرهم . الثاني أن يقتصر منها على قدر الضرورة وسد الرميح بزجون عليها أياما إلى الموت . الثالث أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا وسرقة وغصبا وتراضيا من غير تعيين بين مال ومال وجهه . الرابع أن يقتضوا شروط الشرع ويستأفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة . الخامس أن يقتصر على شروط الشرع على قدر الحاجة أما الأول فلا يغني بطلانه وأما الثاني فباطل قطعا لأنه إذا اقتصر الناس على قدر الرميح وزجوا أوقاتهم على الضعف فشا فيهم للوثان وبطلت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكسبية وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليعمل بها مصالح الدين وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالنصب والسرقة والتراضي وكيفما اتفق فهو رافع لسد الشرع بين اللصدين وبين أنواع الفساد فتعتمد الأيدي بالنصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عناقته حرام عليه وعلينا ذو اليد قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجا فإننا أيضا محتاجون وإن كان الذي أخذته في حق زائدة على الحاجة قد سرقتها عن هوزائد على حاجته يومه وإذا لم يراع حاجه اليوم والسنة فما الذي يراعى وكيف يضبط وهذا يؤدي إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذي يد على ما في يده وهو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضي هو طريق الشرع وإذا لم يجز إلا بالتراضي فالتراضي أيضا مناهج في الشرع تتعلق به الصالح فإن لم يعتبر فليعتبر أصل التراضي وقطع فصله . وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي فهو الذي نراه اتفاقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لوجه لا يحاجه على الكفاية ولا لإدخاله في فتوى العامة لأن أيدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا أيدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرس سرق ويقول لاحق له إلا في قدر الحاجة وأنا محتاج ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي الملاك ويستوعبها أهل الحاجة ويؤيد على الكل الأموال يومافيوما أوسنة فسنه وفيه تكليف شطط وتضييع أموال . أماتكليف الشطط فهو أن السلطان لا يشدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك أصلا وأما التضييع فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه والحبوب والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتلفن فإن الذي خلقه الله من القواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفعهم فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدي ذلك إلى سقوط المحرم والزكاة والكفارات للآلية وكل عبادة نيطة بالثمن عن الناس إذا أصبح الناس لا يعلكون إلا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح بل أقول لو ورد في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمور ويعد تضييع أسباب الأملاك بالتراضي وسائر الطرق ويضع ما يملكه لوجود جميع الأموال حللا من غير فرق وأغنى بقوله يجب عليه إذا كان النبي بمن بصلحة الخلق في دينهم ودينامم إذا لايم الصلاح برد الكفاية إلى قدر الضرورة والحاجة إليه فإن لم يمت للمصالح لم يجب هذا ونحن يجوز أن يقدر الله سببا يملك به الخلق عن آخرهم فيفوت دينهم ويضلون في دينهم فانه يضل من يشاء ويهدى من

عبد الكريم بن
هوازن القشيري عن
والده الأستاذ أبي
القاسم قال سمعت محمد
ابن عبد الله الصوفي
يقول سمعت عياش بن
أبي الصخر يقول سمعت
أبا بكر الزقاق يقول
لا يكون للريد مريدا
حق لا يكتب عليه
صاحب الشمال شيئا
عشرين سنة فمن رزق
صعبة من يندبه إلى
مثل هذه الأحوال
السنية والعزائم القوية
يهرم عليه للفرقة
واختيار السفر ثم إذا
أحكم أمره في الابتداء
بازوم الصحة وحسن
الاعتناء وارنوى من
الأحوال وبلغ مبلغ
الرجال وانجس من
قلبه عيون ما الحياة
وصارت نفسه مكسبة
للسعادات يستشوق
نفس الرحمن من صدور
الصادقين من الإخوان
في أنظار الأرض
وشاسع البلدان يشرب
إلى التلاق ويبيت

يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكننا نقدر الأمر جارياً على ما ألف من سنة الله تعالى في سنة الأنبياء صلح الدين والدنيا ومالي أقدر هذا وقد كان ما أقدره فقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم على فزة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قرب من ستائة سنة والناس منقسمون إلى مكذبين له من اليهود وعبيد الأوثان وإلى مصدقين له قدشاع الفسق فيهم كإشعاع في زمانا الآن والكفار غاطبون بغرور التريسة والأموال كانت في أيدي المكذبين له وللمصدقين أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما الصدقون فكانوا يتعاملون مع أصل التصديق كما يتعامل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما وعفا ^{بالتقديس} عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدي بالأموال ومهد الشرع وما ثبت تحرره في شرع لا يتقلب حالاً لا يمتثل رسول ولا يتقلب حالاً بأن يسلم الذي في يده الحرام فانا لا تأخذ في الجزية من أهل الذمة ما نعرفه بينه أنه ممن خسر أموالاً ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن وأمر العرب كان أشد لمعوم التهب والقارة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع متعين في التقوى والاحتمال الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصاد في الباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الققه للنوط بمصالح الخلق وقوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى الصالح وطريق الدين الذي لا يقدر على سلوكه إلا الأساد ولواشغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولواشغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدينية والصناعات الحسبيات لبطل النظام ثم يطل يطلانه للثالث أيضاً فاحترقوا إنعاسخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك القبول على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين قدي الدين وهو ملك الآخرة ولولا ذلك لاسلم قدي الدين أيضاً بينهم شرط سلامة الدين لهم أن يرضى الأكثرون عن طريقهم ويشغلوا بأموال الدنيا وذلك قسمة سبقت بها الشيعة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورضنا بعضهم فوق بعض درجات لئلا يتخذ بعضهم بعضاً سخرياً - فان قيل لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك - يرواق وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأكثر فيه نظر وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى الكل جلي ولكن لا بد من دليل يحصل على تجوزة ليس من الصالح الرسالة وما ذكرتموه من التقسيات كلها صالح مرسله فلا بد لها من شاهد معين نقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل الصالح الرسالة . فأقول إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفي بنا بهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابه مع وجود الرابا والسرقه والغلول والتب وإن قدر زمان يكون الأكثر هو الحرام فيحل تناول أيضاً فبهان ثلاثه أمور الأول: بالتقسيم الذي حصرناؤه أبطلنا منه أربعة وأثبتنا القسم الخامس فان ذلك إذا أجرى فيها إذا كان الكل حراما كان أخرى فيها إذا كان الحرام هو الأقل وأقول القائل هو مصلحة مرسله هوس فان ذلك إما تخيل من تخيل في أمور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك في أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا شك في أن رد كافة الناس إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد عرّب للدنيا وأولاً للدين بواسطة الدنيا ثانياً فما لا يشك فيه لا يحتاج إلى أصل يشهد به وإنما يستشهد على الحيات للظنونة للثقة بأحد الأشخاص . البرهان الثاني : أن يسلم بقياس عمر مردود إلى أصل يشق الفقهاء الأنسون بالأقيسة الجزئية عليه وإلا كانت الجزئيات مستحقة عند المحصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر الكلي الذي هو ضرورة النبي لوبست في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لم يرب العالم والقياس الحرر الجزئي هو أنه قد تعارض

إلى الطواف في الآفاق
يسيره الله تعالى في
البلاد لقائدة العباد
ويستخرج بمخاطيس
حاله خب أهل الصدق
وللتطلمين إلى من
يخبر عن الحق ويذكر
في أراضي القلوب بغير
الفلاح ويذكر بركة
نفسه وصحبته أهل
الصالح وهذا مثل
هذه الأمة الهادية في
الإنجيل كزور أخرج
شطراً فأزهره فاستغلظ
فاستوى على سوته
تعود بركة البعض
على البعض وتسمى
الأحوال من البعض
إلى البعض ويكون
طريق الوراثة معمورا
وعلم الإفادة منشورا .
أخبرنا شيخنا قال أنا
الإمام عبد الجبار البهقي
في كتابه قال أنا
أبو بكر البيهقي قال
أنا أبو علي الروذباري
قال أنا أبو بكر بن
داستقال أنا أبو داود
قال أنا يحيى بن أيوب
قال أنا اسماعيل بن

أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات للينة من الأمور التي ليست محصورة فيحكم بالأصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصرانية وأواني الشركين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات للينة احتراز عن الأواني التي تنطبق الاجتهاد إليها وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس اللينة والرضعة بالذكية والأجنبية . فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الأصل ومن يسلّم أن الأصل في الأموال الحل بل الأصل فيها التحريم . فنقول الأمور التي لا نغرم لصنف في عنها حرمة الحجر والخزير خلقت على صفة تستمد لقبول للعلامات بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الأمرين فانها تخرج عن قبول للعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول للوضوء بدخول الجسامة عليه ولا فرق بين الأمرين . والجواب الثاني أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأقوى منه دليل أن الشرع أخفقه به إذ من ادعى عليه دين قال قوله لأن الأصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملك في يده قال قوله أيضا قوله إقامة ليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة . البرهان الثالث : هو أن كل مادل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وإن كان قطعا بأن لا يعتبر إذا دل بطريق الظن أولى ويانه أن ما علم أنه ملك زيد فحقه من التصرف فيه بغير إذنه ولو علم أن له مالا في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصود لصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم الصلحة ولو دل على أن له مالا محصورا في عشرة مثلا أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم الصلحة فالذي يشك في أن له مالا سوى صاحب اليد أم لا لا يزيد على الذي يتيقن قطعا أن له مالا ولكن لا يعرف عنه فليجز التصرف فيه بالصلحة وللصلحة ما ذكرناه في الأقسام الخمسة فيكون هذا الأصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقدم ملكه بصرفه السلطان إلى الصالح ومن الصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فلو سرق منه سارق قطعت يده فكيف قد تصرفه في ملك الغير ليس ذلك إلا لحكمنا بأن للصلحة تقتضي أن ينتقل الملك إليه ويحلّ له قضيتها وجوب الصلحة . فان قيل ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان . فنقول والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير إذنه لا لسببه إلا للصلحة وهو أنه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وصرفه إلى مهم والصرف إلى مهم أصلح من التضييع فرجع عليه وللصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدي إذا تزاها بالشك وتكليفهم الاقتصاد على الحاجة يؤدي إلى الضرر الذي ذكرناه وجهات الصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى أن الصلحة أن يبيّن بذلك المال قطرة وتارة أن صرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء ويدور مع الصلحة كيفما دارت وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على الصلحة وقد خرج من هذا أن المخلق غير مأخوذ في أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة في ملك الأعيان كالمؤاخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بلهم أن المال له مال حيث لم يتلق العلم بين مالك ومشار إليه ولا فرق بين عين المالك وبين عين الأملاك في هذا المعنى فهذا يان شبه الاختلاط والمبقى إلا انتظار في امتزاج للمالقات والدرام والعروض في ممالك واحد وسيأتي بيانه في باب خصيل طريق الخروج من الظالم .

(لثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل معصية)

إما في قراته وإما في لواحه وإما في سواجه أو في عوصه وكانت من للعاصي التي لا توجب فساد القدر وإبطال السبب المحلل . مثال المعصية في القرائن : البيع في وقت النداء يوم الجمعة والبيع بالسكين

جفرا قال أخبرني العلماء
ابن عبد الرحمن عن
أبيه عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال « من دعا إلى هدى
كان له من الأجر مثل
أجر من اتبعه
لا ينقص ذلك من
أجرهم شيئا ومن دعا
إلى ضلالة كان عليه
من الإثم مثل آثام
من اتبعه لا ينقص
ذلك من آثامهم شيئا »
فأما من أقام ولم يسافر
يكون ذلك شخصا رآه
الحق سبحانه وتعالى
وتولاه وفتح عليه
أبواب الخير وجذبه
بنيته . وقد ورد
جذب من جذبات الحق
توازي عمل الثقلين
ثم لما علمته الصدق
ورأى حاجته إلى من
ينتفع به ساق إليه
بعض الصديقين حتى
أيده بلطفه ولطفه
وتدركه بلطفه ولطفه
بحسوة حله وكفاه
يسير الصبغة لسكال

المصوبة والاحتطاب بالقدوم المصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه فكل نهى ورد في القود ولم يدل على فساد القديان المتاع من جميع ذلك ورع وإن لم يكن الاستفاد هذه الأساليب محكوما بغيره وتسمية هذا الخط شبهة فيه تسمع لأن الشبهة في غالب الأمر تطلق لإرادة الاعتقاد والجهل ولا اشتباه ههنا بل الصيان بالبيع يسكن الغير معلوم وحل الديعة أيضا معلوم ولكن قد تنطبق الشبهة من الشبهة وتناول الحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا تقسيمه هذا شبهة له وجه وإلا فينبى أن يسمى هذا كراهة لاشبهة وإذا عرف للمنى فلا مشاحة في الأسامى فعادة الفقهاء التماس في الاطلاقات. ثم اعلم أن هذه الكراهة لها ثلاث درجات : الأولى منها تحريم الحرام والورع عنه مهم والأخيرة تنهى إلى نوع من البالغة تكاد تلحق بورع اللوسوين وبينهما أوساط نازعة إلى الطرفين فالكراهة في صيد كلب مصوب أشد منها في الديعة يسكن مصوب أو للقتن بسمهم مصوب إذ الكلب له اختيار وقد اختلف في أن الحاصل به لمالك الكلب أول الصياد وبيله شبهة البذر وللزروع في الأرض المصوبة فإن الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو ابتدنا حق الحبس لمالك الأرض في الزرع لكان كالتن الحرام ولكن الأتيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طعن بطاحونة مصوبة واقتن بشبكة مصوبة إذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد وبيله الاحتطاب بالقدوم المصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكن المصوب إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الديعة وبيله البيع في وقت النداء فإنه ضعيف التعلق بمقصود القند وإن ذهب قوم إلى فساد القند إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو أفسد البيع بمثله لأفسد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فاتمة وجوبها على الفور أو في ذمته مظنة دائق فإن الاشتغال بالبيع مانع عن القيام بالواجبات فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء ويضرب ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلة وكل من في ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه إلا من حيث ورد في يوم الجمعة نهى على الخصوص ربما سبق إلى الأنفام خصوصية فيه فتكون الكراهة أشد ولا بأس بالخدر منه ولكن قد يجرى إلى الوسواس حتى يصرح عن نكاح بنات أرباب الظالم وسائر معاملاتهم . وقد حكى عن بعضهم أنه اشترى شيئا من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة فردّه خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية البالغة أنه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير للنهائى أو للفسدات لا يقطع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن والبالغة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم فقد قال **عنه** « هلك للتطمون (١) » فيحذر من أمثال هذه اللبالات فاتها وإن كانت لا تضر صاحبها ربما أوم عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم سجد عمامو أيسر منه فترك أصل الورع وهو مستند أكثر الناس في زمانها هذا إذ ضيق عليهم الطريق فأيسوا عن القيام به فاطروه فكأن اللوسوس في الطهارة قد يجوز عن الطهارة فتركها فكذا بمن اللوسوين في الحلال سبق إلى أوهاهم أن مال الدنيا كله حرام توسعوا فتركوا التميز وهو عين الضلال . وأما مثال الواحق : فهو كل تصرف يفضى في ساقه إلى مصية وأعله بيع النسيمن الحمار وبيع الغلام من العروف بالمعجور بالفلان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل المثنى للأخوذ منه والأتيس أن ذلك صحيح ولأخوذ حلال والرجل ماس بمده كما يسمى بالبيع بالسكن المصوب والديعة حلال ولكنه يسمى عيان الاعانة على المصبة إذ لا يتعلق ذلك بين المقدف بالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع اللهم وليس بحرام وبيله في الرتبة بيع العنب عن شرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع السيف عن يزوه وظلم أيضا

الأهلية في صاحب
واللصوب وإجراء
سنة الله تعالى في إعطاء
الأسباب حقها الاقامة
رسم الحكمة يحوج
إلى يسير الصبة فيتنبه
بالقليل للكثير وبنيه
اليسير من الصبة عن
الحفظ الكثير ويكتفى
بوافر حفظ الاستصار
عن الأسفار ويتعوض
بأشعة الأنوار عن
مطالعة الغير والآثار
كما قال بعضهم الناس
يقولون اختصوا
أعينكم وأبصروا وأنا
أقول غمضوا أعينكم
وأبصروا . وصحت
بعض الصالحين يقول
لله عباد طور سيناهم
ركبهم تكون زهدهم
على ركبهم وهم
في حال القرب فمن
ينبع له مصيب
الحياة في ظلمة خلوته
فماذا يصنع بدخوله
الظلمات ومن اندرج
له أطباق السموات
في طي شهوده ماذا
يصنع يتقلب طرفه في

للسموات ومن جمعت
أحداق بصيرته
متفرقات الكائنات
ماذا يستفيد من طي
القلوات ومن خلص
بخاصية فطرته إلى جمع
الأرواح ماذا يفيد
زيادة الأشباح . قيل
أرسل ذو النون المصري
إلى أبي يزيد رجلا
وقال قل له إلى متى هذا
النوم والراحة وقد
سارت القافلة فقال
لرسول قل لأخي
الرجل من ينام الليل
كله ثم يصبح في اللز
قبل القافلة قال
ذو النون هنيئا له هذا
كلام لا يبلغه أحواله .
وكان بشر يقول
يا مشر القراء سبحوا
تطيبوا فان لئام إذا
كثرتكم في موضع
قبر وقيل قال بضم
عند هذا الكلام
حسبنا حتى لا تتبر
فاذا آدم للريد سير
الباطن يقطع مسافة
النفس الأمانة بالسوء
حتى قطع منازل آفات

لأن الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خفية أن يشتريه ظاهرا فهذا ورع
فوق الأول والكرهية فيه أخف ويلزمها مبالغة ويكاد يلتحق بالسواس وهو قول جماعة أنه لا يجوز
معاملة الفلاحين بآلات الحرث لأنهم يستينون بها على الحرثة . ويبيعون الطعام من الظلمة ولا يبيع
منهم البقر والقدان وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن لا يبيع من الفلاح طعام لأنه
يتقوى به على الحرثة ولا يسق من الماء العام لذلك وينتهي هذا إلى حد التطع للهي عنه وكل متوجه
إلى شيء على قصد خيرا لا يد وأن يسرف إن لم ينمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين
ليستقر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالحرف ولهذا قال **فضل العالم على العابد كفضل**
على أدنى رجل من أصحابي (١) وللتطعمون هم الذين غشى عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم - الذين ضل
سبيلهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وبالجملة لا ينبغي للإنسان أن يشتغل بدقائق
الورع إلا بحضرة عالم متقن فانه إذ جاوز مارس له وقصر فبذهنه من غير مراع كان ما يفسده
أكثر مما يصلحه وقد روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه أحرق كرمه خوفا من أن
يباع العنب ممن يتخذ خرا وهذا لأعرف له وجهاً إن لم يعرف هو سببا خاصا يوجب الإحراق إذ
ما أحرق كرمه ونخله من كان أرضه قد رامت من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من
الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب إلى غير ذلك من الإطلاقات . وأما القدمات : فلتطرق للصبة
إليها ثلاث درجات . الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها : ما يبيح أئمة في تناول كالأكل من شاة
علقت بملف منصوب أو رعت في مرعى حرام فإن ذلك معصية وقد كان سببا لبقائها وربما يكون
الباقى من دمها ولحمها وأجزاءها من ذلك الملف وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجبا وقيل ذلك عن
جماعة من السلف وكان لأبي عبد الله الطوسي التروغ في شاة يحملها على رقبتها كل يوم إلى
الصحراء وبرها وهو يسلي وكان يأكل من لبنها ففعل عنها سامة فتناولت من ورق كرم على
طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل أخذها . فإن قيل قد روى عن عبد الله بن عمر وعبد الله أنهما
اشترايا إبلا فبشاها إلى الحمى فرعته إبلهما حتى سميت فقال عمر رضي الله عنه أرعبناها في الحمى
قتالا ثم فشا طرها فهذا يدل على أنه رأى الإجماع الحاصل من الطف لصاحب الملف فليوجب هذا
تحريما . قلنا ليس كذلك فإن الملف يفسد بالأكلا والجم خلق جديدي وليس عن الملف فلا شر كصاحب
الطف شرعا ولكن عمر غرمهما قيمة الكلا . ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد كما
شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما أن قدم من السكوة وكذلك شاطر بأهريرة رضي الله عنه إذ رأى
أن كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافيا على حق علمهم وقدره بالشر اجتهادا . الرتبة
الوسطى : ما تمل عن بشر بن الحرث من امتناعه عن الماء للساق في نهر احتضره الظلمة لأن النهر
موصل إليه وقد عصى الله بخبره وامتنع آخر عن عنب كرم يسقي بماء يجري في نهر خرفظا وهو أرض
منه وأبلغ في الورع وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق وأطعن من ذلك امتناع ذى
النون من طعام حلال أو صل إلى على يد سجان وقوله إنه جاءني على يد ظالم ودرجات هذه الرتب لا تنصهر .
الرتبة الثالثة : وهي قريب من السواس وللإبالة أن يتمتع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا
أو القذف وليس هو كالوعى يأكل الحرام فإن اللوص قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف
لا يوجب قوة يستعان بها على الحل بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس غلاف
أكل الحرام إذ الكفر لا يتلحق بعمل الطعام وينجر هذا إلى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بنية
أو كذبة وهو غاية التطع والإسراف فليضبط ما عرف من ورع ذى النون وبشر بالمصيبة في السبب

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي تقدم في العلم .

لوصل كالمهر وقوة اليد المستفادة ، لعداء الحرام ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما يضرب إنسان أوشمته لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة سابقا كل حرام فهذا أبعد من يد السجان لأن الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تسمى بنفسها والسائق يتنعم بها المدول في الطريق فقط فهذا أقرب من الوسواس فأنظر كيف تدرجنا في بيان ما تدعى إليه هذه الأمور . وأعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تخص بالدرجة الأولى التي يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرّب العالم دون ما عساه من ورع التثنية والصالحين والفتوى في هذا ماقاله عليه السلام «إصابة إزدال» استفت قلبك وإن أخوك وأخوك وأخوك » وعرف ذلك إزدال «الإثم حراز القلوب (١)» وكل ما حاك في صدر الريد من هذه الأسباب فلو أقدم عليه مع حرازة القلب استغربه وأظلم قلبه بقدر الحرازة التي يجدها بل لو أقدم على حرام في علم الله وهو يظن أنه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو أقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حرازة في قلبه فذلك يضره وإنما الذي ذكرناه في التبييض عن المبالغة أردنا به أن القلب الصافي للتدلل هو الذي لا يجد حرازة في مثل تلك الأمور فإن مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحرازة فأقدم مع ما يجد في قلبه فذلك يضره لأنه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى يغتوى قلبه وكذلك يشدد على الوسوس في الطهارة ونية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن اللاء لم يصل إلى جميع أجزائه ثلاث مرات فلبه الوسوسة فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وإن كان خطأ في نفسه أولئك قوم شددوا فشد الله عليهم ولذلك شد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا في السؤال عن البقرة ولواخذوا أولا بعموم لفظ البقرة وكل ما يطلق عليه الاسم لأجزأهم ذلك فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها نقيا وإباننا فمن لا يطالع على كنهه السلام ولا يحيط بمجامعه وشك أن رزل في درك مقاصده . وأما النصية في العوض فله أيضا درجات . الدرجة العليا : التي تشتد الكراهة فيها أن يشتري شيئا في الذمة ويقضى منه من غصب أموال حرام فينظر فإن ساء إليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع أعني قبل قضاء الثمن ولا هو أيضا من الورع للؤكد فإن قضى الثمن بعد الأكل من الحرام فكأنه لم يقض الثمن ولو لم يقضه أصلا لكان متعلقا للمظلمة بترك فتمت مرتبة الدين ولا يتقبل ذلك حراما فإن قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه إلا المظلمة تصرفه في الدرام الحرام بصرفها إلى البائع وإن أبرأه من ظن أن الثمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئها ما أخذه إبراء استيفاء ولا يصلح ذلك للإبراء هذا حكم المشتري والأكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيب قلبه ولكن أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده لأن الذي توفى الثمن به يثبت حق الحبس للبائع حتى يعين ملكه بإقباض النقد كاتنين ملك المشتري وإنما يطل حق حبسه إما بالإبراء أو الاستيفاء ولم يجزئ منهما ولكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراعي لا إمام إذا أكله بغير إذن للترهن وبينه وبين كل طعام التبريق ولكن أصل التحريم شامل هذا كله إذا قبض قبل توفية الثمن إما بطيب قلب البائع أو من غير طيبة قلبه فأما إذا قبض الثمن الحرام أولا ثم قبض فإن كان البائع عالما بأن الثمن حرام ومع هذا أقبض للبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته إذا أخذه ليس بشيء ولا يصير أكل البيع حراما بسبب بقاء الثمن فأما إذا لم يعلم أنه حرام وكان يحث لوعلم المارضي به ولا أقبض البيع فحق حبسه لا يطل بهذا التلبس فأكله حرام تحريم أكله للرهون إلى أن يبرئه أو يوفى من حلال

(١) حديث الإثم حراز القلوب تقدم في العلم .

أورضى هو بالحرام ويرى فيصح إبراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الأولى من الحل والحرمه فأما الامتناع عنه فمن الورع اللهم لأن العصية إذا عسكت من السبب للوصول إلى الشيء تشدد الكراهة فيه كالسبب وأقوى الأسباب الموصل للثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه إليه فراضه لا يخرج عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تحرمه به وتزول بدرجة الثمن والورع ولو اشترى سلطان مثلاً أو أرضاً في الدمة وقضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسلمه إلى يديه أو غيره صلة أو خلفة وهو شاك في أنه يقضى ثمنه من الحلال أو الحرام فهذا أخلف إدوقع الشك في تطرق العصية إلى الثمن وتفاوتت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقتله في مال ذلك السلطان وما ينقلب على الظن فيه وبضه أشد من بعض الرجوع فيه إلى ما يقدر في القلب . الرتبة الوسطى : أن لا يكون الموضغضب ولا حراماً ولكن يتيماً لمصلحة كالوسم عوضاً عن الثمن عباً والآخذ شارب الخمر أو سفيماً وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريراً في مبيع اشتراه في الدمة ولكن يقضى فيه كراهية دون الكراهية التي في النصب وتفاوتت درجات هذه الرتبة أيضاً بتفاوت غلبة العصية على قابض الثمن ونودره وممما كان الموضغضب حراماً قبله حرام وإن احتمل تحريره ولكن أبيع بظن قبله مكروه وعليه ينزل عند النبي عن كسب الحجام وكراهته (١) إذ نهى عنه عليه السلام مرات ثم أمر بأن يلفظ الناضح (٢) وما سبق إلى اليوم من أن سببه مباشرة النجاسة والقدرة فاسد إذ يجب طرده في المباح والكناس ولا قتله وإن قيل به فلا يمكن طرده في القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروها وهو يدل عن العلم والهم في نفسه غير مكروه وبخامرة القصاب النجاسة أكرهته للحجام والعصاة فان الحجام يأخذ المالم بالمحجم فيمسحه بالقطنة ولكن السبب أن في الحجامية والعصاة تحريم بنية الحيوان وأخرجا لدمه وبه قوام حياته والأصل فيه التحريم وإعاجيل بضرورة وتعلل الحاجة والضرورة بحسب والاجتهاد وربما يظن نافعاً ويكون ضاراً فيكون حراماً عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحسب ولذلك لا يجوز للعصاة فصدى وعيد وموتوه إلا بإذن وليه وقول طبيب ولو لا أنه حلال في الظاهر لما أعطى عليه السلام أجراً للحجام (٣) ولو لا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه (٤) يمكن الجمع بين إعطائه ونهيه إلا باستطاع هذا المعنى وهذا كان ينبغي أن تذكره في القرآن القرينة بالسبب فانه أقرب إليه . الرتبة السفلى : وهي درجة الموسوسين وذلك أن يحلف إنسان في أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزلها واشترى به ثوباً فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروى عن المفيرة أنه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بأن النبي ﷺ قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الخمر فاعوها وأكلوا أموالهم (٥) وهذا ملط

أحسن إليه . قيل في تفسير قوله تعالى - ومن يبق الله يصل له عزجا وورقة من حيث لا يحتسب - هو الرجل المتقطع إلى الله بشكل عليه شيء من أمر الدين فيمت الله إليه من أجل إشكاله فاذا ثبت قدمه على شروط البداية رزق وهو في المقام من غير سفر ثم رأت النهاية فيستقر في الحضرة وأبداه وأقيم في هذا المقام جمع من الصالحين وأما الذي أدام السفر فرأى صلاح قلبه ومحة حاله في ذلك يقبول بعضهم اجتهد أن تكون كرامة صنف مسجود لا تعوت إلا بدين منزلة . وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص ما كان يقيم في بلد أكثر من أربعين يوماً وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوماً يغسد عليه توكله فكان علم الناس

(١) حديث النبي عن كسب الحجام وكراهته ابن ماجه من حديث أبي مسعود الأنصاري والنسائي من حديث أبي هريرة بإسنادين صحيحين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام وللبخاري من حديث أبي جعفر نهي عن ثمن الدم وسلم من حديث رافع بن خديج كسب الحجام خيث (٢) حديث نهي عنه مرات ثم أمر بأن يلفظ الناضح أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محبة أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في إجارة الحجام فنهاهما فلم يزل يسأل ويستأذن حتى قال ألعنه ناضحك وأطعمه رقيقك وفي رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه فقال ألا أطعمه أيتاماً لي قال لا قال أفلا أصدق به قال لا فرض لي أن يلفظ ناضحه (٣) حديث أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجراً للحجام متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث القبرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود إذ حرمت عليهم الخمر فباعوها لم أجدهم هكذا والعروف أن ذلك في الشحوم في الصحيحين من حديث جابر قال قال الله اليهود لما حرمت عليهم شحومها جملوه ثم باعوها كواثمته

لأن بيع الخمر باطل إذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية هي أخته من الرضاع قباع بجماعة أجنبية فليس لأحد أن يتزوج منه وتجب عليه ذلك ببيع الجارية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدرج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث أو أربع ولا في عدد ولكن المقصود من التمهيد والتفصيل والتفهم . فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بمائة درهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه ^(١) » ثم أدخل ابن عمر أصيبه في أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعته منه . قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بشرة بيننا لافي القيمة وإذا اشترى في الدمة فقد حكنا بالتحريم في أكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمصلحة تطرقت إلى سببه وإن لم يبدل ذلك على فساد العقد كالشترى في وقت النداء وغيره .

(المادة الرابعة الاختلاف في الأداة)

فان ذلك كالاختلاف في السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمه والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمه فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة الفير فلا فائدة لثبوته في نفسه وإن جرى سببه في علم الله وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض الصلوات الدالة أو لتعارض التشابه . القسم الأول : أن تعارض أدلة الشرع مثل تعارض عموميين من القرآن أو السنة أو تعارض قياسين أو تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل للعلوم قبله إن لم يكن ترجيح فإن ظهر ترجيح في جانب الحذر وجب الأخذ به وإن ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به . ولكن الورع تركه وانهاى مواضع الخلاف مهم في الورع في حق للقي والمقلد وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتى له مقلده الذي يظن أنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامح كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامح والقرائن وإن كان لا يحسن الطب وليس للسفت أن ينتقد من للذهب أو سبها عليه بل عليه أن يبحث حتى يشب على ظنه الأفضل ثم يتبعه فلا يخالفه أصلا . نعم إن أفتى له إمامه بشيء وإمامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع للؤكد وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل بحسب وظن فالورع له الاجتناب فقطد كان المقتون يفتون بحل أشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها فلتنفسم هذا أيضا على ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : ما تابك الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف وينق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه فمن الهمات التورع عن فريسة السكب للعلم إذا أكل منها وإن أفتى للقي بأنه حلال لأن الترجيح فيه غامض وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أقيس قول الشافعي رحمه الله ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب أبي حنيفة رحمه الله وأخبره من الأئمة كان الورع فيه مهما وإن أفتى للقي بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروكة التسمية وإن لم يختلف فيه قول الشافعي رحمه الله لأن الآية ظاهرة في إيجابها والأخبار متواترة فيه فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد « إذا أرسلت كلبك للعلم وذكرته عليه اسم الله فكل ^(٢) » ونقل ذلك على التكرار وقد شبه النجس بالبسملة ^(٣) وكل ذلك يقوى دليل الاتسراط

(١) حديث من اشترى ثوبا بمائة درهم في حرام الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث إذا أرسلت كلبك وذكرته اسم الله فكل فكل متفق عليه من حديث عدى بن حاتم ومن حديث أبي ثعلبة الخشني (٣) حديث التسمية على النجس متفق عليه من حديث رافع بن خديج ما أثاره المصنف وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر .

ومعهم إياه راء سيبا
وميلوما . وحكى عنه
أنه قال مكنت في الأداة
أحد عشر يوما لم آكل
وتطلعت نفسي أن
أكل من حشيش البر
فرايت الحذر مقبلا
نحوي فهربت منه ثم
التفت فإذا هو رجع
عني فقيل لم هربت منه
قال تشوقت نفسي
أن يغيبني فهو لاه
القدرون يدينهم .
أخبرنا أبو زرعة طاهر
ابن الحافظ أبي الفضل
القدس عن أبيه قال
أنا أبو بكر أحمد بن علي
قال أنا أبو عبد الله بن
يوسف بن زوية قال
ثنا أبو محمد الزهري
القاضي قال ثنا أحمد بن
عبد الله بن أسباط قال
ثنا أبو نعم قال ثنا محمود
بن أبي مسلم عن عثمان
ابن عبد الله بن أوس
عن سليمان بن هرمز
عن عبد الله بن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « أحب
شيء إلى الله القرباء »

ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم «للمؤمن يذبح على اسم الله تعالى سمى ولم يسم» (١) واحتمل أن يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها ويحتمل أن يخص هذا بالناس ويترك الظواهر ولأن أويل وكان حمله على الناس ممكنا تمهيدا لمرده في ترك التسمية بالنسيان وكان تسميه وتأويل الآية ممكنا إمكانا أقرب رجحنا ذلك ولا يتكرر رفع الاحتمال القابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقفي الدرجة الأولى . الثانية : وهي مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الانسان عن أكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان للذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الأخبار حديث الجنين إن ذكاته ذكاة أمه (٢) صحة لا يتطرق احتمال إلى مثله ولا ضغف إلى سنده وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وقد نقل ذلك في الصحيحين وأظن أن أباحينه لم يبلغه هذه الأحاديث ولو بلغته قال بها إن أنصف وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يمتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء خبر الواحد . الرتبة الثالثة : أن لا يشتر في الثلاثة أصلا ولكن يكون الحل معلوما خبر الواحد فيقول القائل قدماختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فأنا أتورع فإن الثقة وإن كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والمكذب لمرض خفي جائز عليهم لأن العدل أيضا قد يكذب والورع جائز عليه فإنه قد يسبق إلى سمعهم خلاف ما يقوله القائل وكذا إلى فهمهم فهذا ورع لم يقل مثله عن الصعابة فيما كانوا يسمعون من عدل تسكن نفوسهم إليه وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فلتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلا . وخلاف من خالف في أخبار الأحاد غير معتد به وهو تكلاف النظام في أصل الإجماع وقوله إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يتنع الانسان من أن يأخذ ميراث الجد أبي الأب ويقول ليس في كتاب الله ذكر إلا البنتين وإلحاق ابن الابن بالابن بإجماع الصعابة وهم غير مصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى إلى أن يترك ما علم بصومات القرآن إذ من التسكيمات من ذهب إلى أن العمومات لاصية لها وإنما يخرج بها همة الصعابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذن لا طرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف فليتهم ذلك ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليستفت في القلب وليدع الورع ما يريه إلى ما لا يريه وليترك حزاز القلوب وحكايات الصدور وذلك يخفف

(١) حديث للمؤمن يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم قال الصف إنه صح . قلت لا يعرف بهذا اللفظ فضلا عن صحته ولأن داود في المراسيل من رواية الصلت مرفوعة ذبيحة للسم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر وللطبراني في الأوسط والدارقطني وابن عدى والبيهقي من حديث أبي هريرة قال رجل يارسلو الله الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله فقال اسم الله على كل مسلم قال ابن عدى منكر والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عباس السلم يكفيه اسمه فإن نسي أن يسمى حين يذبح فليس وليذكر اسم الله ثم ليأكل فيه محمد بن سنان ضعفه الجمهور (٢) حديث ذكاة الجنين ذكاة أمه قال الصف إنه صح لا يتطرق احتمال إلى مثله ولا ضغف إلى سنده وأخذ هذا من إمام الحرمين فإنه كذا قال في الأساليب والحديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد وليس كذلك للطبراني في المستدرج من حديث ابن عمر بسند جيد وقال عبد الحق لا يخرج بأساندها كلها (٣) حديث أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصف هو في الصحيحين وهو كما ذكره من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد .

قيل ومن التبراه قال
الفسر لمرون بدنيهم
يجتمعون إلى عيسى
ابن مريم يوم القيامة
وهذه كلها أحوال
اختلفت واتباع أربابها
الصحة وحسن النية
مع الله وحسن النية
يقضى الصدق
والصدق لينة محمود
كيف تظلت الأحوال
فن سافر ينشئ أن
يتفقد حاله ويصح
نيته ولا يقدر على
تخلص النية من
هوائب النفس إلا
كثير العلم تام التقوى
وافر الحظ من الزهد
في الدنيا ومن انطوى
على هوى كامن ولم
يستمر في الزهد
لا يقدر على تصحيح
النية فقد يدعو إلى
السفر نشاط نبيل
قصافي وهو يظن أن
ذلك داعية الحق ولا
يجهل بين داعية الحق
وداعية النفس
ويحتاج الشخص في
علم صحة النية إلى العلم

الأشخاص والوقائع ولكن ينبغي أن يحفظ قلبه عن دواهي الوسواس حتى لا يحكم إلا بالحق ولا يسلوى على حازنة في مظان الوسواس ولا يغلو عن الحازنة في مظان الكراهة وما أعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد عليه السلام كل أحد إلى قنوى القلب وإنما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرف من حاله (١) . القسم الثاني : تناقض العلامات الدالة على الحل والحرمة فإنه قد ينبى نوع من التنازع في وقت ويندر وقوع مثله من غير التنبى فبى مثلاً في يد رجل من أهل الصلاح فبدل صلاحه على أنه حلال وبدل نوع التنازع وندوره من غير التنبى على أنه حرام فيتعارض الأمران وكذلك غير عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو يتعارض شهادة فاسقين أو قول صبي والبالغان ظهر ترجيح حكمه بالورع الاجتناب وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسياً في تنصليه في باب التعرف والبحث والسؤال . القسم الثالث : تناقض الأشياء في الصفات التي تناقض بها الأحكام . مثله أن يوصى بالالفقه فيعلم أن الفاضل في الفقه داخل فيه وأن الذي ابتداء التلم من يوم أوشهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لأخصى يقع الشك فيها فالمتحقق يبقى بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا أغضض ماثرات الشبهة فإن فيها صوراً يتجرى للفتى فيها غيراً لازماً لاحيلة له فيه إذ يكون النصف بصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين للتقاربين لا يظهر له ميله إلى أحدهما وكذلك الصدقات المصروفة إلى المحتاجين فإن من لا شؤله معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غنى ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكسب فإن قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف إليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وإنما تترك بالتدريج ويتصدى منها النظر في مقدار سرعة الدار وأثاثها ومقدار قيمتها لسكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بداريتها وكذلك في نوع أثاث البيت إذا كان من الصخر لا من الخرف وكذلك في عدها وكذلك في قيمتها وكذلك في الاحتياج إليه كل يوم وما يحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء وما لا يحتاج إليه إلا في سنين وشيء من ذلك لآحد له والوجه في هذا ما قاله عليه السلام « دع ما يربيك إلى ما لا يربيك (٢) » وكل ذلك في فعل الرب وإن توقف للفتى فلا وجه إلا التوقف وإن أفتى للفتى بظن وتخمين فالورع التوقف وهو أهم مواقع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والماء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد وبينهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للشر وقوف على حدودها فما دون الرطل للسكى في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريه إلى ما لا يريه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب إذا العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا امتصنات اللغات بحدود محدودة تقطع أطرافها عن مقابلاتها فكلف السسنة فإنه لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الأعداد وسائر ألقاظ الحساب والتقديرات فليست الألفاظ القنوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ويشرق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة فتعظم الحاجة إلى هذا الفن في الوصايا والأوقاف فالوقف على الصوفية مثلاً عما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ ههنا من التوامس فكذلك سائر الألفاظ وتستشير إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص

(١) حديث لم يرد كل أحد إلى قنوى قلبه وإنما قال ذلك لوابصة وتقدم حديث وابصة وروى الطبراني من حديث وإثالة أنه قال ذلك لوابصة أيضاً وفيه الصلاة بن ثعلبة مجهول .

(٢) حديث دع ما يربيك إلى ما لا يربيك تقدم في الباب قبله .

بمعرفة الخواطر وشح الخواطر وعلها يحتاج إلى باب مفرد لنفسه ونومى الآن إلى ذلك برمز يدركه من نازله شيء من ذلك فأكثر الفقهاء من علم ذلك ومعرفة على جد . اعلم أن ما ذكرناه من نشاط النفس واتقع للفقر في كثير من الأمور قد يجد الفقير الروح بالخروج إلى بعض الصعاري والبساتين ويسكنون ذلك الروح مضراً به في ثانی الحال وإن كان يترامى له طيبة القلب في الوقت وسبب طيبة قلبه في الوقت أن النفس تنفس وتنفس يلوغ غرضها وتيسر يسر هواها بالخروج إلى الصعراء والنزه وإذا اتسعت بعدت عن القلب وتبعت عنه متشوقة إلى متعلق هواها فيتروح القلب لا بالصعراء بل يمد النفس منه كغصن

لعلم به طريق التصرف في الألفاظ وإلا فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهاً تنور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها إذا لم يرجع جانباً لحل بدلالة قلب على الظن أو باستصحاب بوجوب قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» ووجوب سائر الأدلة التي سبق ذكرها فهذه منارات الشبهات وبضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شق على شيء واحد كان الأمر أغلظ مثل أن يأخذ طعاماً مختلفاً فيه عوضاً عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتهراً به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر في اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها لذا أفصح من هذا الشرح أخذه وما التيسر فيجنب فإن الإنم حراز القلب وحيث قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح للنبي أمأحت حرمة فوجب الامتناع ثم لا يوصل على كل قلب قرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطعن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين القليبين وإنما الاعتبار بقلب العالم اللوحي الرقيب للقائق الأحوال وهو المالك الذي يتعنى به خفايا الأمور ، وما أعز هذا القلب في القلوب فمن لم يتق قلب نفسه فليتمس النور من قلب بهذه الصفة وليرض عليه واقتنه ، وجاء في الزبور : إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قل لبي إسرائيل إنني أنظر إلى صلاتكم ولا أصيبكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجله فذلك الذي أنظر إليه وأؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي .

(الباب الثالث : في البحث ، والسؤال ، والمجوم ، والإجمال ومظانها)

اعلم أن كل من قدم إليك طعاماً أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تهب فليس لك أن تخفي عنه وتساءل وتقول هذا مما لا تحقق حله فلا أخذه بل أفتش عنه وليس لك أيضاً أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا يتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة وممدوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله ، والقول الشافعي فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الريية ومنشأ الريية ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال .

(الثار الأول أحوال للمالك)

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال إما أن يكون مجهولاً أو مشكوكاً فيه أو معلوماً بنوع ظن يستند إلى دلالة . الحالة الأولى : أن يكون مجهولاً والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزنى الأجناد ولا ما يدل على صلاحه ككتاب أهل التصوف والتجارة والعالم وغيرها من العلامات فإذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلاً لا تعرف من حاله شيئاً ولا عليه علامة تنسبه إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول وإذا دخلت بلدة غريباً ودخلت سوقاً ووجدت رجلاً خائزاً أو قصاباً أو غيره ولا علامة تدل على كونه مريباً أو خائناً ولا ما يدل على نفيه فهو مجهول ولا يدري حاله ولا تقول إنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتضادين متقابلين لهما سببان متقابلان وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين المالا يدري وبين ما يشك فيه وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك المالا يدري . قال يوسف بن أسباط منذ ثلاثين سنة ما شك في قلبي شيء إلا تركته وتكلم جماعة في أشق الأعمال فقالوا هو الورع فقالوا لهم حسان بن أبي سنان ما شيء عندي أسهل من الورع إذا شك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وإما تذكر الآن حكم الظاهر ، فضول حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاماً أو حبل إليك هدية أو أردت أن تشتري من مكانه شيئاً فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلماً دلائل كافيات

(الباب الثالث : في البحث والسؤال)

بإعذار عنه قريب يستقوله ثم إذا عاد الفقير إلى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز دستور حاله يجد الناس مقارنة للقلب بعز يد تقلص موجب لثبرمه بها وكلما ازداد ثقلها تكدر القلب وسبب زيادة ثقلها استمرسالتها في تناول هواها فيصير الخروج إلى الصحراء عين الداء ويظن الفقير أنه ترويع ودولة فلو صبر على الوحدة والحلوة ازدادت النفس ذوباناً وخفت ولطفت وحارت قريتنا صالحاً للقلب لا يستقلها وعلى هذا بحاس التروح بالأسفار فليس وبات إلى نوم التروحات فمن فطن لهذه الحقيقة لا يتر بالتروحات للستارة التي لا تعمد حافيتها ولا تؤمن غائلتها وتثبت عند ظهور خاطر السفر ولا يكثر بالحاطط بل يطرحه بعدم الالتفات

في الهجوم على أشخه ، وليس لك أن تقول العباد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا السلم بيته وإن بعض الظن إنهم وهذا السلم يستحق بإسلامه عليك أن لاتنسى الظن به فإن أسأت الظن به في عينه لأنت رأيت قبيادا من غيره قدجنبت عليه وأنتت به في الحال تقدما من غير شك ولواخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه وبدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضی الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يعترضون من الأسواق وكان الحرام أيضا موجودا في زمانهم وماخل عنهم سؤال إلا عن رية إذا كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يحمل إليه بل سأل في أوله قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية (١) لأن قرية الحال تدل وهو دخول المهاجرين المدينة وهم قراء فقل على الظن أن ما يحمل إليهم بطريق الصدقة ، ثم إسلام العطى ويده لا يدلان على أنه ليس بصدقة ، وكان يدعى إلى الضيافة فيجب ولا يسأل أصدقة أم لا (٢) إذ العادة ماجرت بالصدق بالضيافة ، ولذلك دعت أم سليم (٣) ودعا الخياط (٤) كما في الحديث لدى رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقدم إليه طعاما فيه قرع ، ودعا الرجل الفارسي فقال عليه الصلاة والسلام وأنا وعائشة فقال لا قال فلا ثم أجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساقطان فحرب بإرحا إهالة (٥) ولم يتدل السؤال في شيء من ذلك ، وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رآه من أمره ، وسأل عمر رضي الله عنه الذي ساء من لبن إبل الصدقة إذ رآه وكان أحبه طامه ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة وهذه أسباب الرتبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن غاميا بأجابه من غير تفتيش بلو رأى في داره نجلا ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحمد لعز وزهدا كثير من أين يجمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بيته يحتمل أن يكون ورث مالا أو اكتسبه فهو فيه يستحق إحسان الظن به ، وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع فلا يدخل حوفة إلا ما يدري من أين هو فهو حسن قلنا نطفي في الترك وإن كان لا بد من أكله فليأكل كل بغير سؤال إذا قال إذا هاتك ستر وإعاش وهو حرام بلا شك . فإن قلت له لا يتأذى فقول له لا يتأذى فأت تسأل حذرا من أهل فإن قدمت فأكله حلال وليس الاتم المحذور في إيءاء مسلم بأكل من الاتم في أكل الشربة والحرام والغالب على الناس الاستيعاش بالتمتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدري هو به لأن الإيذاء وذلك أكثر وإن سأل من حيث لا يدري هو ففيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه نجس وفيه نشب بالقية وإن لم يكن ذلك صريحا وكل ذلك منبى عنه في آية واحدة قال الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - وكما زاهد جاهل يوحش القلوب بالتمتيش ويتكلم الكلام الحسن المؤذي وإعسا يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا لشهرة بأكل الحلال ولو كان باعته بعض الدين لكان خوفة على قلب مسلم أن يتأذى

(١) حديث سؤاله في أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد من حديث سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام فسأله عنه أصدقة أم هدية الحديث تقدم في الباب قبله من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقة أم لا هذا معروف مشهور من ذلك في الصحيحين من حديث أبي مسعود الأنصاري في صحيح أبي شعيب طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا خامس خمسة (٣) حديث دعت أم سليم متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث أنس أن خياط دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم إليه طعاما فيه قرع متفق عليه (٥) حديث دعا الرجل الفارسي فقال أنا وعائشة الحديث مسلم عن أنس.

مسيئا ظننه بالنفس
وتسويلها ومن هذا
القبيل والله أعلم قول
رسول الله صلى الله
عليه وسلم «إن الشمس
تطلع من بين قرني
الشيطان» فيكون
للنفس عند طلوع
الشمس وثبات تستند
تلك الوثبات والنهضات
من النفس إلى الزواج
والطبايع ويطول
شرح ذلك ويستحق
ومن ذلك القبيل حمة
مرض المريض غيرة
بخلاف الضيقات
فيشكل اهتزاز النفس
بهرجات القلب ويدخل
على الفقير من هذا
القبيل آفات كثيرة
يدخل في مداخل
باهزاز نفسه ظنانه
أن ذلك حكم نهوض
ففيه ورعا يترادى له
أنه بالله يصول وبالله
يقول وبالله يتحرك
قد ابتلى بهضة النفس
ووثوبها ولا يقع هذا
الاعتباه إلا لأرباب
القلوب وأرباب الأحوال

أعظم خوفه على بطنه أن يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري إذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم أن طريق الورع الترك دون التجسس وإذا لم يكن بد من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن هذا هو المؤلف من الصحابة رضى الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع وهو ضال مبتدع وليس يتبع فلن يبلغ أحدهم أدهم ولا تصفه ولو اتفق ما في الأرض جميعا كيف وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بيرة قليل فإنه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية (١) ولم يسأل عن التصديق عليها فكان للتصدق به جواز عنده ولم يمنع . الحال الثانية : أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أورث رية فلنذكر كصورة رية ثم حكمها . أما صورة الرية فهو أن تدله على تحريم ما فيه دلالة إمام من خلقه أو من زيه وثيابه أو من فعله وقوله ، أما الحلقة فبأن يكون على خلقه الأتراك واليوادى والعروفين بالظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب وأن يكون الشعر مفرقا على رأسه على ذأب أهل القصاد ، وأما الثياب فالقباء والقنفوسة وزى أهل الظلم والقصاد من الأجناد وغيرهم ، وأما الفعل والقول فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يحل فإن ذلك يدل على أنه يتساهل بأضيق المال ويأخذ ما لا يحل فلهذه مواضع الرية فإذا أراد أن يشتري من مثل هذا شيئا أو يأخذ منه هدية أو يبيعه إلى صيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه العلامات فيحتمل أن يقال اليتدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالإقدام جائز والترك من الورع ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضعيفة وقد علمنا مثل هذه الدلالة فأورثت رية فالهجوم غير جائز وهو الذي نخاره ونفق به بقوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» (٢) فظاهره أمر وإن كان محتمل الاستحباب بقوله صلى الله عليه وسلم «الإنم حراز القلوب» (٣) وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولأن النبي صلى الله عليه وسلم سأله أمدة هو أو هدية وسأله أبو بكر رضى الله عنه غلامه وسأله عمر رضى الله عنه وكل ذلك كان في موضع الرية وحله على الورع وإن كان ممكنا ولكن لا يجعل عليه إلا قياس حكمي والقياس ليس يشهد بتبجيل هذا فإن دلالة الديوان الإسلام وقد عارضتها هذه الدلالات أورثت رية فافا فافا لا تستحلل لاستند له وإعنا لا يترك حكم الديوان الاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة كما إذا وجدنا لاء متغيرا واحتمل أن يكون بطول للكث فإن رأينا غلبة البالت فيه ثم احتمل التغير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فإن طول الشوارب ولبس القباء وهيئة الأجناد يدل على الظلم بالمال أما القول والقول الخافان للشرع إن تعلقا بظلم المال فهو أيضا دليل ظاهر كالوصية بأمر بالنصب والظلم أو بصدق الدار بما إذا رآه قد شتم غيره في غضبه أو أتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكمن إنسان يتخرج في طلب المال ولا يكتبس إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بعد فليسفت العبد في مثل ذلك قبله . وأقول إن هذا إن كان من مجهول فله حكم وإن رآه عن عرفة بالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذا تعارضت الدلالات بالإضافة إلى المال وتساقطتا وعاد الرجل كالمجهول أو فليست إحدى الدلالات تناسب المال على الخصوص فكمن من متخرج في طلب المال لا يتخرج في غيره وكمن من حسن للصلاة والوضوء والقراءة وبأكل كل من حيث يجد ما لحكم في هذه الواقعة ما ميل إليه القلب فإن هذا أمرين الصديقين الله فلا يبعد أن يأت بسبب يخفى لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حازرة القلب ثم لينبه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغي أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ما له حرام بأن يكون

وغير أرباب القلب والحاد عن هذا بمنزلة وهذه مئة قدم عنصمة بالخواص دون العوام فاعلم ذلك أنه عزز عليه وأقل مراتب الفقراء في مبادئ الحركة للسفر للتصحيح وجه الحركة أن يقدموا صلاة الاستخارة وصلاة الاستسار لانهل وإن تبين للفقير صحة خاطره أو تبين له وجه الصلحة في السفر يبين أوضح من الخاطر فلقوم مراتب في التبيان من العلم بصحة الخاطر وبما فوق ذلك ففي ذلك كله لانهل صلاة الاستخارة أيضا لسنه ففي ذلك البركة وهو من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو العجب السهروردي إمام قال أنا أبو القاسم بن عبد الرحمن في كتابه أن أبا سعيد الكنجري أخبرني

(١) حديث أكله طعام بيرة قليل إنها صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث دع ما يريبك فدم في الباين قبله (٣) حديث الإنم حراز القلوب تقدم في العلم .

جندياً أو عامل سلطان أو نائحة أو مقنية فإن دل على أن في ماله حراماً قليلاً لم يكن السؤال واجباً بل كان السؤال من الورع . الحالة الثالثة : أن تكون الحالة معلومة بنوع خيرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظناً في حل المال أو تحريمه مثل أن يصرح صلاح الرجل وديانته وعدانته في الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كافي المجهول فالأولى الإقدام والإقدام هنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراماً وأما أكل طعام أهل الصلاح فذنب الأتية والأولياء قال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل كل الإطعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى » (١) فأما إذا علم بالخبرة أنه جندى أو مهن أو مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالحيلة والشكل والنياب فهنا السؤال واجب لامحالة كافي موضع الريية بل أولى .

(لكن الثاني ما يستند الشك فيه إلى سبب للمال لا في حاله لئلا)

وذلك بأن يغلط الحلال بالحرام كما إذا طرح في سوق أحمال من طعام غضب واشتراها أهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن أكثر ما في أيديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فإن لم يكن هو إلا أكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصعابة رضى الله عنهم لم يعتنوا من الشراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول الضميمة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وإعما السؤال نقل عن أحداهم نادراً في بعض الأحوال وهي محال الريية في حق ذلك الشخص المعين وكذلك كانوا يأخذون العنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون في تلك العنائم شيء مما أخذوه من المسلمين وذلك لا يحل أخذهما جازاً بالاتفاق بل يرد على صاحبه عبد الشافعي رحمه الله وصاحبه أوبى به بالفتح عند أبي حنيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا . وكتب عمر رضى الله عنه إلى أذريجان إنكم في بلاد تدفع فيها الميتة فانظروا ذكيت من ميتة أذن في السؤال وأمر به وإبامر بالسؤال عن الدرهم التي هي أغنامها لأن أكثر دراهمهم لم تكن ثمان الجلود وإن كانت هي أيضاً تباع وأكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه إنكم في بلاد أكثر تصايبها الجوس فانظروا الذي من الميتة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها [مسئلة] شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام مضروب أو مال منسوب ومثل أن يكون القاضي أو الرئيس أو العامل أو الفقيه الذي له إدار على سلطان ظالمه إضماراً لموروث ودهقته أو تجارة أو رجل تاجر يعامل بعمالات صحيحة ويرى أيضاً فإن كان الأكثر من ماله حراماً لا يجوز إلا كل من ضيافته ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش فإن ظهر أن للأخوذ من وجه حلال فذاك وإلّا ترك وإن كان الحرام أقل والأخوذ مشتبّه فهذا في محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبةتين إذ قضينا بأنه لو اشتبهت كية بشتر ميتات مثلاً وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث إن مال الرجل الواحد كالمحصور لا سباً إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان وخالفه من وجه إذ الميتة يعلم وجودها في الحال يقينا والحرام الذي خالطه ماله محتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجوداً في الحال وإن كان المال قليلاً وعلم قطعاً أن الحرام موجود في الحال فهو ومسئلة اختلاط الميتة واحد وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام ضئير موجود في الحال فهذا أخف من ذلك ويشبهه من وجه الاختلاط بنير محصور كافي الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك في

(١) حديث لا تأكل كل الإطعام تقى ولا يأكل كل طعامك إلا تقى تقدم في الزكاة .

قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا أحمد بن الحسين الصوفي قال حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال حدثنا عبد الرحمن ابن أبي اللؤلؤ عن محمد ابن السكندر عن جابر رضى الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملنا الاستخارة كما يملنا السورة من القرآن قال : إذا هم أحدكم بالأمر أو أراد الأمر فليصل ركعتين من غير الفريضة ثم يقل اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إني كنت تعلم أن هذا الأمر وبسمه بينه خير لي في ديني ومعاشي ومعادي وعلقي أمرى أو قال عاجل أمرى وأجله فافقره لي ثم

أن المجوم عليه يمدد الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا مابقص للعدالة وهذا من حيث النقل أيضا غامض لتجاذب الأشياء ومن حيث النقل أيضا غامض لأن ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع في مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من إقدام على الأكل كما كل أي حريرة رضى الله عنه طعام معاوية مثلا إن قدر في جملة ما في يده حرام فذلك أيضا عمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين ما يأكله من وجه مباح فالأفاد في هذا ضيقة الدلالة ومذاهب العلماء للتأخيرين مختلفة حتى قال بعضهم لو أعطاني السلطان شيئا لأخذته وطرده الإمامة فيها إذا كان الأكل أيضا حراما لمعايير عرف الأئمة واحتمل أن يكون حلالا واستدل بأخذ بعض السلف جواز السلاطين كالمسيحي في باب بيان أموال السلاطين فأما إذا كان الحرام هو الأقل واحتمل أن لا يكون موجودا في الحال لم يكن الأكل حراما وإن عتق وجوده في الحال كما في مسئلة اشتباه الذئبة بالتيبة فهذا مما لا أدري ما أقول فيه وهو من التشابهات التي تجعل الفتى فيها لأنهم مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضعة إذا اشتبهت بقرية فيها عشرين نسوة وجب الاجتناب وإن كان زيادة فيها عشرة آلاف لم يجب وبينهما أعداد ولوسلت عنها لكننت لا أدري ما أقول فيها ولقد توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه إذ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا فوقه وملك غيره أبكون الصيد للرامي أولئك الأرض ضال لا أدري فروجع فيه مرات فقال لا أدري وكثيرا من ذلك حكينا عن السلف في كتاب العلم فليقطع الفتى طمعه عن درك الحكم في جميع الصور وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما يماثلون السلاطين فقال إن لم يماثلوا سوى السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على السامعة في الأقل ومعتدل السامعة في الأكل أيضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهيجرون الكليعة معاملة القصاب والحجاز والتاجر لتعاطيه عقدوا أحدا فاسدا أو لمعاملة السلطان مرة وتقدر ذلك فيه بعد المسئلة مشكلة في نفسها فان قيل فقد روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه رخص فيه وقال خذ ما يعطيك السلطان فأما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام وسئل ابن مسعود رضى الله عنه في ذلك فقال له السائل إن لي جارا لا أعله إلا خبيثا يدعو أو يحتاج فاستسلفه فقال إذا دعاك فأجبه وإذا احتجت فاستسلفه فان لك الهنا وعليه المأثم وأقي سلمان بمثل ذلك وقد علل على بالكثرة وعلل ابن مسعود رضى الله عنه بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرفه ولك الهنا أي أنت لاتعرفه . وروى أنه قال رجل لابن مسعود رضى الله عنه إن لي جارا يأكل الربا يدعوني إلى طعامه أفأتيه فقال نعم وروى في ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه روايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعي ومالك رضى الله عنهما جواز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالف ما لهم الحرام . قلنا أما ما روى عن علي رضى الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فانه كان مجتمع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت التسل لا يجد غيره ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه لو صرح فقال السلطان له حكم آخر فانه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر وسيأتي بيان ذلك وكذا فعل الشافعي ومالك رضى الله عنهما متعلق بمال السلطان وسيأتي حكمه وإنما كلفنا في أحد الخلق وأموالهم قرية من الحصر وأما قول ابن مسعود رضى الله عنه قيل إنه إنما خلفه خواتم النبي وانعصفت الحفظ والشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات إذ قال لا تقولن أحدكم أخاف وأرجو فان الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشبهات فنع ما يريك إلى ما لا يريك وقال اجنبوا الحكماء فيها الام . فان قيل فلم قلتم إذا كان الأكل حراما لم يجز الأخذ أن

بارك لي فيه وإن كنت تطلبه شرا لي مثل ذلك فاصرفني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان .

[الباب السابع عشر فيما يحتاج إليه الصوفي في سفره من القرائن والفضائل]

فأما من الفقه وإن كان هذا يذكر في كتب الفقه وهذا الكتاب غير موضوع لذلك ولكن نقول على سبيل الإنجاز تبينا بذكر الأحكام الشرعية التي هي الأساس الذي يبنى عليه لابد قصور السافر من علم التيمم والسهل على الحفين والقصير والجمع في الصلاة أما التيمم فيجائز للعرض والسافر في الجباة والحدث عند عدم الماء أو الخوف من استعماله تلقا في النفس أو اللال أو زيادة في الأرض على القول الصحيح من اللهب أو عند حاجته

لأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص والدلالة على الملك حتى إن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والكره توجب ظنا مرسلًا لا يتعلق بالعين فيمكن كمال الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بنير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام ولا يجوز أن يستدل على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لأنه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو أن يريه بعلامه في عين الملك دليل اختلاط القليل بنير المحصور فإن ذلك يوجب رية ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم . فالجواب أن اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وإنما تؤثر إذا سلت عن معارض قوى فإذا تحققت الاختلاط وتحقق أن الحرام المختلط موجود في الحال والدال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقرب ماله من المحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحمل عليه قوله عليه السلام «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لائق له حمل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بخلاف غير محصور إذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا بدعه وعلى أي موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحله على التنزيه صرف له عن ظاهره بنير قياس فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب والكثرة تأثير في عقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعنا قال أبو حنيفة رضي الله عنه لا تجب في الألوان إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة ومن قال يأخذ شيء آتية أراد بلا اجتهاد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب أيضا فيلزمه التجوز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجزى ذلك في بول اشبه بماء إذ لا استصحاب فيه ولا تلطذه أيضا في ميتة اشتبهت بذكية إذ لا استصحاب في الميتة واليد لا تدل على أنه غير ميتة وتدل في الطعام للباح على أنه ملك فههنا أربع متعلقات استصحاب وقلة في الخلوط أو كثرة أو انحصار أو اتساع في الخلوط وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فن يفل عن مجموع الأربع ربما يغلط فيشبه بعض المسائل بما لا يشبهه فحصل مما ذكرناه أن المختلط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثر أو أقل وكل واحد إما أن يعلم يتيقن أو يظن عن علامة أو توهم فالسؤال يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر قياسا أو ظنا كالمال رأي تركيا مجهولا يعتمد أن يكون كل ماله من غنمة وإن كان الأقل معلوما باليقين فهو محل التوقف وتكاد تفسر أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الليل إلى الرخصة وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها أصلا . مسئلة : إذا حضر طعام لإنسان علم أنه دخل في يده حرام من ادراكه قد أخذه أو وجه آخر ولا يدري أنه بقي إلى الآن أم لا ؟ فله الأكل ولا يلزمه التفتيش وإنما التفتيش فيه من الورع ولو علم أنه قد بقي منه شيء ولكن لم يدركه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل وقد سبق أن أمر الأقل مشكلا وهذا يقرب منه . مسئلة : إذا كان في يد التولي للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا مالان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثاني لأنه غير موصوف بملك الصفة فهل له أن يأخذ ما يسله إليه صاحب الوقت نظر، فإن كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها التولي وكان التولي ظاهر المدالة فله أن يأخذ بنير بحث لأن الظن بالتولي أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من الدال الذي يستحقه وإن كانت الصفة خفية وإن كان التولي بمن عرف حاله أنه غلط ولا يبالى كيف يفضل فضله السؤال إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يمول عليه وهو وزان سؤال الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والمهنية عند تردده فهما لأن اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينحى منه إلا السؤال فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول أسقطناه بعلامه اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لثمان ذبيحته واحتمل أن يكون مجوسا لم يحزه مالم يعرف أنه مسلم إذ اليد

إلى الماء الموجود له طهش
أو غطش دابته أو
رفيقه في هذا الأحوال
كلها يصلى بالتيتم
ولا إعادة عليه والخائف
من البرد يصلى بالتيتم
وبعيد الصلاة على
الأصم ولا يجوز التيمم
إلا بشرط الطلب للداء
في مواضع الطلب
ومواضع الطلب مواضع
تردد السافر في منزله
للاحتياط والاحتشاش
ويكون الطاب يده
دخول الوقت والسفر
القصير في ذلك كالطويل
وإن صلى بالتيتم مع
تيقن الماء في آخر
الوقت جاز على الأصح
ولا يعيد مهما صلى
بتيتم وإن كان الوقت
باقيا ومهما توهم وجود
الماء بطل تيممه كإذا
طلع ركب أو غير ذلك
وإن رأى الماء في أثناء
الصلاة لا تبطل صلاته
ولا تلزمه إعادة
ويستحب له الخروج
منها واستئذانها بالوضوء
على الأصح ولا يتيتم

لأنت في البينة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين فيجوز أن يقطن بالبدى ليس فيه علامة الكفر أنه مسلم وإن كان الخطأ ممكناً فيه فلا ينبغي أن تلبس الواضع القى تشبه فيها اليد والحال بالتي لا تشبه . مسألة : له أن يشتري في البلد داراً وإن علم أنها تشتمل على دور منصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وإن كان في سكة عشر دور مثلاً إحداها منصوب أو وقف لم يجر الشراء مالم يتميز ويجب البحث عنه ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص بوقفها أرباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن يسكن أبها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بد من التميز ولا يجوز الهجوم مع الإجماع لأن الرباطات والدارس في البلد لابد أن تكون محصورة . مسألة : حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يلى غضب مثله إذ يجب إبداء الغلام بأكثر من ذلك والمطالب أن مثل هذا لا يضبط من السؤال ، ثم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استرأب لأتهم لا يضبطون من سؤاله ولأن عليه أن يسأل ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سأله أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر من سقاء من إبل الصدقة وسأل أبا هريرة رضي الله عنه أيضاً لما أقدم عليه بماله كثير فقال وبحك أكل هذا طيب من حيث إنه تعجب من كثرة وكان هو من رعيته لاسياً وقد رفق في صيغة السؤال وكذلك قال على رضي الله عنه ليس شيء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام وورقة ولا شيء أبغض إليه من جوره وخرقه . مسألة : قال الحارث المحاسبي رحمه الله لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع لأنه ربما يبدوه ما كان مستورا عنه فيكون قد سأل على هناك الستر ثم يردى ذلك إلى البضاء وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لا من الجواب فالورع مثل هذه الأمور الاحتراز عن هناك الستر وإثارة الغضاء أهم وزاد على هذا فقال وإن رآه منه شيء أيضاً لم يسأله ويظن به أنه يعلمه من الطيب ويحبه الخبيث فإن كان لا يطمئن قلبه إليه فيحترز متعلفاً ولا يهتك ستره بالسؤال قال لأنى لم أر أحداً من العلماء فعله فهذا منه مع ما شئنا به من الزهد يدل على مسامحة فيما إذا حالط المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقيق لأن لفظ الرية يدل على التوهم . بدالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليبرأ هذه المسألة بالسؤال . مسألة : ربما يقول القائل أى فائدة في السؤال بمن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فان وثق بأمانته فليشك بديانته في الحلال . فأقول مهما علم مخالطة الحرام لماله إنسان وكان له غرض في حضورك ضابطه أو يقول حديثه فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فينبغي أن يسأل من غيره وكذا إن كان يبايع وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولا فائدة في السؤال منه وإنما يسأل من غيره . وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن منهما كما يسأل التولى على المال الذى يسلمه أنه من أى جهة وكما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فان ذلك لا يؤذى ولا يهين القائل فيه وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدرى طريق كسب الحلال فلا يهين إذا أخبر عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فهناك يسأل فإذا كان صاحب المال منهما فليسأل من غيره فإذا أخبره عدل واحد قبله وإن أخبره فاسق علم من قرينته حاله أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لأن هذا أمر بين وبين الله تعالى وللطوبى النفس وقد حصل من الثقة بقوله فاسق ما لا يحصل بقول عدل بقى بعض الأحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من

للفرم قبل دخول الوقت ويتيمم لكل فريضة ويصل مهما شاء من التوافل يتيمم واحد ولا يجوز أداء الفرض يتيمم التافة ومن لم يجد ماء ولا تراباً صلى وبميد عند وجوده أحدهما ولكن إن كان عدل لا يصح للصنف وإن كان جنباً لا يقرأ القرآن في الصلاة بل يذكر الله تعالى عوض القراءة ولا يتيمم إلا بتراب طاهر غير عالط للرم للرجس والجس ويجوز بالتباعد على ظهر الحيوان والثوب ويسمى الله تعالى عند التيمم وينوي استباحة الصلاة قبل ضرب البس على التراب ويضم أصابعه لضربة الوجه ويمسح بجميع الوجه فلو بقى شيء من محل الفرض غير مسح لا يصح التيمم ويضرب ضربة ليدن ميسوط الأصابع ويمسح بالتراب على الفرض

تري العدالة في ظاهره يصدق وإنما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قيل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق وكمن شخص تعرفه وتعرف أنه قد يتحتم للمعاصي ثم إذا أخبرك بشيء وثقت به وكذلك إذا أخبر به شيء مجز عن عرفته بالثبوت قد تحصل الثقة بقوله فيعلم الاضاد عليه فأما إذا أخبر به بجهول لا يدري من حاله شيء أصلاً فهذا بمن جازنا الأكل من يده لأن يده دالة ظاهرة على ملكه وربما يقال إسلامه دالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن أثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تفيد ظناً قوياً إلا أن أثر الواحد فيه في غاية الضعف فيلنظر إلى حد تأثيره في القلب فان المفق هو القلب في مثل هذا الوضع وللقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليأمل فيه ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روى عن عقبة بن الحارث « وأنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني تزوجت امرأة فجادت أمة سوداء فرحمت أنها قد أرضتني وهي كاذبة فقال دعها فقال إنها سوداء يصغر من شأنها فقال عليه السلام فكيف وقد زعمت أنها قد أرضتني فاستعصمك لا خير لك فيها دعها عنك ^(١) » وفي لفظ آخر كيف وقد قيل « ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر أمارته غرضه فيه كان له وقع في القلب لاهالة لذلك بيتاً كد الأمر بالاحتراز فان اطمأن إلى القلب كان الاحتراز حتماً واجباً . مسألة : حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ويجوز أن يرجع في قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين ويجوز أن يرجع أحد الجانبين بالسكرة أو بالاختصاص بالحجة والمعرفة وذلك بما يشتمل تصويره . مسألة : لو تهب متاع مخصوص ضايف من ذلك النوع متاعاً في يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون من المنصوب فان كان ذلك الشخص بمن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وإن كان الرجل مجهولاً لا يعرف منه شيئاً فان كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المنصوب فله أن يشتري وإن كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة إلا نادراً وإنما كثر بسبب الغضب فليس يدل على الحل إلا اليأس وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع عن شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا أن أردّه إلى قلب المستفتي لينظر ما الأقوى في نفسه فان كان الأقوى أنه منصوب لزمه تركه وإلا حل له شراؤه وكثر هذه الوقائع بلبس الأمر فيها فهي من التشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقها فقد استبرأ لمرضه ودينه ومن اتجملها فقد حارم حول الحى وخاطر نفسه . مسألة : لو قال قائل قد سألت رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة قدأل عن الشاة من أين هي فذكره فسكت عن السؤال ^(٢) . فيجب السؤال عن أصل اللال أم لا وإن وجب فمن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه ؟ فأقول لا ضبط فيه ولا تخدير بل ينظر إلى الرية القضية للسؤال إما وجوباً أو ورعاً ولا طائل من السؤال إلا حيث تنقطع الرية للتفتيشه وذلك يختلف باختلاف الأحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشترت انقطع بسؤال واحد وإن قال من شاتي وقع الشك في الشاة فاذا قال اشترت انقطع وإن كانت الرية من الغلظ وذلك بما في أيدي العرب وثواله في أيديهم المنصوب فلا تنقطع الرية بقوله إنه من شاتي ولا يقوله إن الشاة ولدتا شاتي فان أسنده إلى الورثة من أبيه وحالة أبيه مجهولة انقطع السؤال وإن كان يعلم أن جميع مال أبيه حرام

(١) حديث عقبة بن الحارث (٢) حديث سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قد قدمه إليه الحديث فقدم في الباب الخامس من آداب الكسب والناش .

وإن لم يقصد إلا بضربتين فصاعداً كيف أمكنه لا بد أن يتم التراب على الفرض ويسمح إذا فرغ إحدى الراحتين بالأخرى حتى تصيرا بمسوحتين ويمر اليد على ما نزل من اللحية من غير إيصال التراب إلى اللسان . وأما المسح : فيمسح على الخف ثلاثاً أيام وليلتين في السفر وللقيم يوماً وليلة وابتداء لليلة من حين الحدث بعد لبس الخف ومن حين لبس الخف ولا حاجة إلى التنية عند لبس الخف بل يحتاج إلى كال الطهارة حتى لو لبس أحد الخفين قبل غسل الرجل الأخرى لا يصح أن يمسح على الخف ويشترط في الخف إمكان متابعة الشيء عليه وسرعه على الفرض ويكفي مسح يسير من أعلى الخف والأولى مسح أعلاه وأسفله

قد ظهر التحريم وإن كان يسلّم أن أكثره حرام فبكثره التواتر وطول الزمان وتطرق الإثرت إليه لا يثير حكمه فينظر في هذه المسألة . مثله : سئل عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية في يد خادمهم الذي يقدم إليهم الطعام وقف على ذلك السكن وقت آخر على جهة أخرى غير هؤلاء وهو يغلط السكك وينفق على هؤلاء . وهؤلاء فأكل طعامه حلالاً وأحراماً أو شبهة . فقلت إن هذا يلتفت إلى سبعة أصول . الأصل الأول : أن الطعام الذي يقدم إليهم في الغالب يشتري بالمعاطة والذي اخترناه صحة المعاطة لاسياً في الأطعمة والستحقرات فليس في هذا إلا شبهة الخلاف . الأصل الثاني : أن ينظر أن الخادم هل يشتريه بين المال الحرام أو في القصة فإن اشتراه بين المال الحرام فهو حرام وإن لم يعرف فالتألب أنه يشتري في القصة ويجوز الأخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بين مال حرام . الأصل الثالث : أنه من يشتريه فإن اشترى ممن أكثر ماله حرام لم يجز وإن كان أقل ماله فيه نظر قد سبق وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه ممن ماله حلال أو ممن لا يدري للشرى حاله يتيقن كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لأن ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال . الأصل الرابع : أن يشتريه لنفسه أو لقومه فإن التولي والخادم كالتائب وله أن يشتري له ونفسه ولكن يكون ذلك بالنية أو صريح اللفظ وإذا كان الشراء يجري بالمعاطة فلا يجري اللفظ والغالب أنه لا ينوي عند المعاطة والقبض والحجاز ومن يمايله يقول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضرون فيقع عن جبهته ويدخل في ملكه وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن ثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم . الأصل الخامس : أن الخادم يقدم الطعام إليهم فلا يمكن أن يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فانه لا يرضى بذلك وإنما يقدم اعتياداً على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس يبيع ولا إقراض لأنه لو اشترى لطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فأشبهه أصل ينزل عليه هذه الحالة المبهمة بشرط الثواب أعنى هدية لالفظ فيها من شخص تنقضي قرينة حاله أنه يطعم في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طعم الخادم في أن يأخذ ثواباً فيما قدمه لإحقتهم من الوقف ليقضى به دينه من الحجاز والقبض واليقال فهذا ليس في شبهة إلا بشرط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب ولا مسألة يقول من لا يصح هدية في انتظار ثواب . الأصل السادس : أن الثواب الذي يلزم فيه خلاف قيل إنه أقل شتمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى أنه لا يرضى بأضعاف القيمة والصحيح أنه يتبع رضا فإذا لم يرض برده عليها وههنا الخادم قد رضى بما يأخذ من حق السكان على الوقف فإن كان لهم من الحق قدر ما أكلوه فقد تم الأمر وإن كان ناقصاً ورضى به الخادم صح أيضاً وإن علم أن الخادم لا يرضى لولا أن في يده الوقف الآخر الذي يأخذ بقوة هؤلاء السكان فكأنه رضى في الثواب بتقدير بضه حلال وبضه حرام والحرام لم يدخل في أيدي السكان فهذا كالحلل التطرق إلى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وأنه متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي الشبهة وهذا لا يقتضي تحريماً على ما فصلناه فلا تغلب الهدية حراماً يتوصل للهدى بسبب الهدية إلى حرام . الأصل السابع : أنه يقتضي دين الحجاز والقبض واليقال من ربيع الواقفين فإن وفي ما أخذ من حقهم بقيمة ما طعمهم قد صرح الأمر وإن قصر عنه فرضي القصاب والحجاز بأي ممن كان حراماً أو حلالاً فهذا دخل تطرق إلى ثمن الطعام أيضاً فلا يلتفت إلى ما قدمناه من الشراء في القصة ثم قضاء الثمن من الحرام هذا إذا علم أنه قضاء من حرام فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد وقد خرج من هذا أن كل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرته أقوى

من غير تكرار ومتى ارتفع حكم المسح بأشياء للذة أو ظهور شيء من محل الفرض وإن كان عليه لفافة وهو على الطهارة بفضل القدمين دون استئفاف الوضوء على الأصح والماسح في السفر إذا أقام بمسح كالقيم وهكذا للقيم إذا سافر يسمح كالسافر والبلد إذا ركب جوباً أو نعل يجوز المسح عليه ويجوز على المشرع إذا ستر محل الفرض ولا يجوز على النسوج وجهه الذي يستر بعض القدم به والباقي باللفافة . فأما التصريح والجسح فيجمع بين الظاهر والصريح وقتاً واحداً فيتيمم لكل واحدة ولا يغسل بينهما بكلام وغيره وهكذا أجمع بين الغرب والعشاء ولا قصر في الغرب والصبح بل عليهما كبيتهم من غير قصر وجمع . والنسج

في النفس كما أن الخبر إذا طُلِإِسْنَدُهُ صَارَ احْتِمَالُ الكَذِبِ وَالْعَاطِ فِي أَقْوَى مِمَّا إِذَا قَرِبَ إِسْنَادُهُ فِهَذَا حَكْمُ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَهِيَ مِنَ الْفِتَاوَى وَإِنَّمَا أوردناها ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتفة للنسبة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يجر عنه أكثر اللتين .

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم للمالية)

اعلم أن من تاب وفي يده مختلط فضليه وظيفة في تغيير الحرام وإخراجه وظيفة أخرى في مصرف المخرج فلينظر فيما .

(النظر الأول في كيفية التغير والخراج)

اعلم أن كل من تاب وفي يده ماهو حرام معلوم العين من غضب أو ودعة أو غيره فأمره سهل فضليه تعيين الحرام وإن كان ملتبسا خطأ فلا يخلو إما أن يكون في مال هو من ذوات الأمثال كالجبوب والنفود والأدهان وإما أن يكون في أعيان متآخرة كالبيد والدور والياب فإن كان في المتآثرات أو كان شامتا في المال كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم أنه قد كذب في بعضها في المراجعة وصدق في بعضها أو من غضبها وخطئه بدهن نفسه أو فعل ذلك في الجبوب والدرهم والنانير فلا يخلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهول فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فضليه تعيين النصف وإن كان أشكل فله طريقان أحدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلاة ونحن لا نجوز في الصلاة إلا الأخذ باليقين فإن الأصل اشتغال الذممة فيستصحب ولا يخبر إلا بعلامة قوية وليس في أعداد الركعات بوقوعها وأما ههنا فلا يمكن أن يقال الأصل أن ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بغالب الظن احتجاء ولكن الورع في الأخذ باليقين فإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستقي إلا القدر الذي يثبت أنه حلال وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلا أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فيثبت أن النصف حلال وأن الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحري في كل ماله وهو أن يقتطع القدر لليقين من الجانبين في الحل والحرمه والقدر التردد فيه إن غلب على طنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جاز له الإمساك والورع أخرجه وإن شك فيه جاز الإمساك والورع أخرجه وهذا الورع أكد لأنه صار مشكوكا فيه وحاز إمساكه اعتمادا على أنه في يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضيقا بعد يقين اختلاط الحرام ويحتمل أن يقال الأصل التحريم ولا يأخذ إلا ما غلب على ظنه أنه حلال وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يثبت في الحل ترجيح وهو من الشكوك . فإن قيل هب أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرج ليس يدرى أنه عين الحرام قلل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو حاز هذا لجاز أن يقال إذا اختلطت ميتة بمتع مذكرة فهي العشر فله أن يطرح واحدة أو واحدة كانت يأخذ الباقي ويستحلها ولكن يقال لعل للية فيها استبقاء بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم تحل لاحتال أنها الحرام . فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البديل لطرق المعاوضة إليه وأما الميتة فلا تطرق للمعاوضة إليها فليكتشف التطاء عن هذا الاشتكال بالقرض في درهم معين اشترى بدهم آخر فيمن له درهمان أحدهما حرام قد اشترى عنه وقد سئل أحمد بن حنبل رضى الله عنه عن مثل هذا فقال يبيع السكك حتى يثبتين وكان قد رهن آتية فسا قضي الدين حمل إليه الرهنين آتيتين وقال لأدري أتيهما أتيتهما فتركهما فقال الرهنين هذا هو الذي لك وإيما كنت أختبرك قضي دينه ولم يأخذ

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم)

الرواتب يصلها بالجمع بين السنتين قسلا الفريضتين للظهر والصبر وبعد الفراغ من الفريضتين يصل ما يصل بعد الفريضة من الظهر ركعتين أو أربعها وبعد الصبر من المغرب والعشاء يؤدي السنن الرائية لها ويوتر بعدها ولا يجوز أداء العرض على العادة بحال إلا عند التحام القتال للغازی ويجوز ذلك في السنن الرواتب والنوافل وتسكية الصلاة على ظهر العادة وفي الركوع والسجود الإيماء ويكون إيماء السجود أخفض من الركوع إلا أن يكون قادرا على التحنن مثل أن يكون في محاورة وغير ذلك ويقوم توجهه إلى الطريق مقام استنبال القبلة ولا يوجهها إلى غير الطريق إلا للقبلة حتى

الرهن وهذا ورع ولسكا تقول إنه غير واجب فلغرض المسئلة في درهم له مالك معين حاضر فتقول إذا رد أحد الدرهمين عليه ورضى به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لأنه لا يتخلو إما أن يكون الردود في علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غير ذلك فقد حصل لسلك واحد درهم في يد صاحبه فالاحتياط أن يتبایا باللفظ فإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد اللطامة وإن كان المنسوب منه قد فات له درهم في يد القاصب وعسر الوحول إلى عينه واستحق ضمانه فلما أخذ وقع عن الضمان بمجرد القبض وهذا في جانبه واضح فإن الضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في الجانب الآخر أنه لم يدخل في ملكه . فتقول لأنه أيضا إن كان قد تسلم درهم نفسه قد فات له أيضا درهم في يد الآخر فليس يمكن الوصول إليه فهو كالعالم ببيع فبيع هذا بدلا عنه في علم الله إن كان الأمر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع التقاص لو أنف رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه بل في عين مسئلتنا لو أنفق كل واحد مائة في يد البحر أو أحرقه كان قد أنفقه ولم يكن عليه عهدة الآخر بطريق التقاص فكذا إذا لم يتلف فان القول بهذا أولى من التعبير إلى أن من يأخذ درهما حراما ويطرعه في ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا المذهب يؤدي إليه فانظر مائة في هذا من اليد وليس فيها ذكر نكاح إلا ترك اللفظ وللمطاعة يسع ومن لا يجعلها فيما حيث يتطرق إليها احتمال إذ الفعل يضعف دلالة وحيث يمكن التلفظ وهنا هذا التسليم والتسليم للبدالة قطعا والبيع غير ممكن لأن البيع غير مشار إليه ولا معلوم في عينه وقد يكون عملا يقبل البيع كالوخلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس والربط وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض . فإن قيل فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه فيما قلنا لا يجعله فيما بل تقول هو بدل عما فات في يده فبذلك كما بملك التلف عليه من الربط إذا أخذ مثله هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأضر به وقال لا أخذ درهما أصلا لإعین مسكنا فان استبهم فأتركه ولا أهية وأعطى عليك مالك . فأقول على القاضى أن ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فان هذا محض التعت والتضييق والشرع لم يرد به فان عجز عن القاضى ولم يجد له رجلا متدينا ليقض عنه فان عجز فيتولى هو بنفسه ويفرد على نية الصرف إليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي وهذا في خلط المائعات أظهر وأقوم . فان قيل فينبغي أن يجعل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأى حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف في الباقي . قلنا قال قائلون يحل لأن يأخذ مادام يبقى قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ السكك ولو أخذ لم يجزه ذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما يخرج قدر الحرام بالثوبة وقصد الإبدال وقال آخرون يجوز للأخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطى فان أعطى عصى هودون الآخذ منه وما يجوز أحد أخذ السكك وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إلى يميني حق وباتين وإخراج حق الغير وتميزه يندفع هذا الاحتمال فهذا المال يرجع بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما تقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذا ما محتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما محتمل فيه رجوع القيمة وما محتمل فيه رجوع العين يقدم على ما محتمل فيه رجوع المثل ولو جاز لهذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول لي قضاء حقه من موضع آخر إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بأن يقدر قائما بأولى من الآخر إلا أن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه فائت فيه أو ينظر إلى الذى خلط فيجعل بضمه متلفا لحق غيره وكلاهما بيدان جدا وهذا واضح في ذوات الأمثال فلما تقع عوصا في الأثلاث من غير عقد فأما إذا اشتبه دار بدور أو عبيد ببيد فلا سبيل إلى المصالحة والتراضى .

لو حرق دابته عن الصوب للتوجه إليه إلى نحو القبة بطلت صلا . . والمأوى . . يتغلق السفر وقبته استقبال القبة عند الإحرام ولا يجزئه في الإحرام إلا الاستقبال وقبته الأمام للركوع والسجود وراحتك الدابة لا يحتاج إلى استقبال القبة للإحرام أيضا . وإذا أصبح للسافر مقاما ثم سافر فقبله أيام ذلك اليوم في الصوم وهكذا إن أصبح مسافرا ثم أقام والصوم في السفر أفضل من الفطر وفي الصلاة القصر أفضل من الإتمام . فهذا القدر كاف للصوم أن يملكه من حكم الشرع في مهام سفره . فأما التدبؤ وللتعجب فينبغي أن يطلب لنفسه رفيقا في الطريق يبينه على أمر الدين وقد قيل الرفيق ثم الطريق وتبى رسول الله صلى الله

فإن أي أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يوق عليه جميع ملكه فإن كانت متماثلة القيم فالطريق أن يبيع القاضي جميع المهور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أخص المهور وصرف إلى المتع منه مقدار قيمة الأقل ويوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الاصطلاح لأنه مشكل وإن لم يوجد القاضي فللذي يرد الخلاص وفي يده الشكل أن يتولى ذلك بنفسه هدمي الصلحة وماعداها من الاحتمالات ضعيفة لانخارها وقاسمق تنبيه على الملة وهذا في الخطئة ظاهر وفي التقود دونه وفي العروش أغصى إذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتج إلى البيع ولترسم مسائل يتم بها إن هذا الأصل . مسئلة : إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب منية لمورثهم فدرهمه عليه قطعة معينة فهي جميع الورثة ولو رد من الضيقة نصفها وهو قدر حقه ساهم الورثة فإن النصف الذي لا يتميز حتى يقال هو الردود والباقي هو النصب ولا يصير محيزا بنية السلطان وقصد حصر النصب في نصيب الآخرين . مسئلة : إذا وقع في يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عتار وكان قد حصل منه ارتضاع فينبغي أن يحسب أجر مثله لطول تلك المدة وكذلك كل منصوب له منفعة أو حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج أجرة للنصب وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير أجرة البيد والنياب والأواني وأمثال ذلك مما لا يتبادر إيجابها مما يسر ولا يدرك ذلك إلا بالاجتهاد وتخمين وهكذا كل التفرعات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى وما رجع على المال للنصب في عقود عقدها على القسمة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة إذا كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وإن كان بأعيان تلك الأموال فالقود كانت فاسدة ، وقديلا تنفذ بآجارة المنصوب منه للمصلحة فيكون المنصوب منه أولى به والقياس أن تلك القود تفسخ وتسترد الثمن وترد الأعيان فإن عجز عنه لم يكثرته فهي أموال حرام حصلت في يده فالمنصوب منه قدر رأس ماله والقض حرام يجب إخراجا ليقض ولا يحمل للنائب وللانصبوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده . مسئلة : من ورث مالا ولم يدرك أن مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أمن حرام ولم يكن ثمنه علامة فهو حلال باضاق الملاء وإن علم أن فيه حراما وشك في قدره أخرجه مقدار الحرام بالتحري فإن لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالا للسلطين واحتدل أنه لم يكن يأخذ في عمله شيئا أو كان قد أخذ ولم يق في يده منه شيء لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزمه إخراج ذلك القدر بالاجتهاد . وقال بعض الملاء : لا يترحمه والتمس على الورث واستدل بما روى أن رجلا من وإلى عمل السلطان مات فقال صحابي الآن طالب ماله أي لورثته وهذا ضعيف لأنه لم يذكر اسم الصحابي ولله صدر من متساهل فقد كان في الصحابة من تساهل ولكن لا تذكره لحرمة الصفة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتين المختلط ومن ابن يؤخذ هذا ثم إذا لم يثبت يجوز أن قال هو غير مأخوذ بما لا يدري فيطيب لورث لا يدري أن فيه حراما قينا .

(النظر الثاني في الصرف)

فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال : إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه وإما أن يكون لغير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدري أنعمت عن وارث أم لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى يتضح الأمر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة اللالك كقول التهمة فانها بعد هرق الفزاة كيف يقدر على جمعهم وإن قدر فكيف يفرق دينارا واحدا من ثلاث ألف

أولفين فهذا ينبغي أن يتدبره وإما من مال النبي والأموال الرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك إلى القناطر والساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وأمثال هذه الأمور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاماً للمسلمين وحكم القسم الأول لاشبهة فيها ما التصديق وبناء القناطر فينبغي أن يتولاه القاضي فيسلم إليه المال إن وجد قاضياً متديناً وإن كان القاضي مستحلاً فهو بالتسليم إليه صانم لو ابتدأه فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من أهل البلد علماً متديناً فإن عجز فليتول ذلك بنفسه فإن المقصود الصرف وأما عين الصارف فأما نطلبه لمصارف دقيقة في الصالح فلا يترك أصل الصرف بسبب المعجز عن صارف هو أولى عند القدرة عليه . فإن قيل مادليل جواز التصديق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة إلى أن ذلك غير جائز لأنه حرام . وحكي عن الفضل أنه وقع في يده درهمان فباعهما أنهما غير وجههما رماحاً بين الحجارة وقال لا تصدق إلا بالطيب ولا أرضي لغيري ما لأرضاء لنفسي فنقول نعم ذلك وجه واحتمال وإنما اخترنا خلافه لغيره والأثر والقياس . أما الخبر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالثاء الصلية التي قدمت إليه فكلتمه بأنها حرام إذ قال صلى الله عليه وسلم أطعموها الأسارى (١) ولما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيظنون - كذبهم للشركون وقالوا للصحابة الأترون ما يقول صاحبكم يزعم أن الروم يستلب ، فضا طرم أبو بكر رضي الله عنه إذ نزل رسول الله عليه وسلم فلاحق الله صدقه وجاء أبو بكر رضي الله عنه بما قهرمه به قال عليه الصلاة والسلام هذا سحت تصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذ نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم له في الحاضرة مع الكفار (٢) وأما الأثر فإن ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية فلم ينظر بها لسكرها ليقده الثمن فطلبه كثيراً فلم يجده فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه إن رضي وإلا فالأجر لي ، وسئل الحسن رضي الله عنه عن توبة النال وما يؤخذ منه بعد تخرق الجيش فقال يتصدق به . وروى أن رجلاً سألته له نفسه قتل مائة دينار من القنينة ثم أتى أسيره ليردها عليه فأبى أن يقبضها وقال له تخرق الناس فأبى معاوية فأبى أن يقبض فأبى بعض النساك فقال ادفع خمسها إلى معاوية وتصدق بما بقي فبلغ معاوية قوله فخلهف إذ لم يخطر له ذلك ، وقد ذهب أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من الورعين إلى ذلك . وأما القياس فهو أن يقال إن هذا المال مردد بين أن يضيع وبين أن يصرّف إلى خير إذ قد وقع اليأس من ماله والضرورة يعلم أن صرفه إلى خير أولى من إلقائه في البحر فإنا إن رميناه في البحر فقد فوتناه على أنفسنا وعلى المالك ولم نحصل منه فائدة وإذا رميناه في يد فقير يدعو للملك حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الأجر للمالك غير اختياره في التصديق لا ينبغي أن ينكر

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالثاء الصلية التي قدمت بين يديه وكلمته بأنها حرام إذ قال أطعموها الأسارى أحمد بن حنبل حدث رجل من الأنصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فصار جناً لقينا راعي امرأة من قريش فقال إن فلانة تدعوك ومن معك إلى طعام الحديث وفيه قال أجدهم شاة أخذت بغير إذن أهلها وفيه قال أطعموها الأسارى وإسناده جيد (٢) حديث خاطرة أبي بكر للشركيين بأذنه صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى - ألم غلبت الروم - وفيه قال صلى الله عليه وسلم هذا سحت تصدق به البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن عباس وليس فيه أن ذلك كان بأذنه صلى الله عليه وسلم والحديث عند الترمذي وحسنه الحاكم وصححه دون قوله أيضاً هذا سحت تصدق به .

الزاد نفسه ولا يفي على ظهره وأمطرت السماء ذات ليلة قدام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه بضربه بكساه عن الطر وكلا قال لا تشعل قولاً لتست الأمير وعليك الاتقياد والطاعة فأما إن كان الأمير يصحب الفقراء لجة الاستبصار وطلب الرياسة والتعزّي لسلط على الخدم في الربط ويبلغ نفسه هواها فهذا طريق أبواب الهوى الجهال البائسين لطريق الصوفية وهو سبيل من يريد جمع الدنيا فليتخذ لنفسه رفقاء مائتين إلى الدنيا يجتمعون لتحصيل أغراض النفس والدخول على أبناء الدنيا والظلمة لتوصل إلى تحصيل مآرب النفس ولا يخلو اجتماعهم هذا عن الخوض في التيسية والدخول في المداخل المكروهة والتقليد

فإن في الخبر الصحيح « إن الزارع والشارس أجرا في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره ووزره »^(١) وذلك بغير اختياره ، وأما قول القائل لا تصدق إلا بالطيب فذلك إذا طلبنا الأجر لأنفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من الظلمة للأجر وترددنا بين التضييع وبين الصدق ورجعنا جانب التصديق على جانب التضييع ، وقول القائل لا ترضى فقيرا ما لا رضاه لأنفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستثنائنا عنه ولتقرير حلال إذ أحله دليل الشرع وإذا اقتضت الصلحة التحليل وجب التحليل وإذا حل فقد رضينا له الحلال وقول إن له أن يصدق على نفسه وعياله إذا كان فقيرا . أماعياه وأهله فلا يخفى لأن الفقر لا يثبت عنهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يصدق عليهم وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضا فقير ولو صدق به على فقير لجاز وكذا إذا كان هو الفقير ، ولترسم في بيان هذا الأصل أيضا مسائل . مسألة : إذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرد إلى السلطان فهو أعلم بما تولاها فيقبله ما قبله وهو خير من أن يصدق به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يصدق به فقلل له مالكا مينا ولوجاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدق به ، وقال قوم يصدق به بإذاع أن السلطان لا يرد إلى المالك لأن ذلك إغانة للظالم وتكرير لأسباب ظلمه فالرد إليه تضييع لحق المالك ، واختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يرد له إلى ماله فيصدق به عن ماله فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان لأنه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق للسلبين فرده على السلطان تضييع فإن كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع وإغانة للسلطان الظالم وتحويل لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر فإذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالأخذ من السلطان فانه شبيه بالقطعة التي أيس عن معرفة صاحبها إذ لم يكن له أن يصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له أن يملكها ثم وإن كان غنيا من حيث إنه اكتسبه من وجه مباح وهو الانتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصديق . مسألة : إذا حصل في يده مال لا مال له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار الزكاة ، فقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وإن قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتسب بها للعائلة فعل وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال الأولى أن يصدق بالكل إن وجد من نفسه قوة التوكل ويشتغل بطلب الله تعالى في الحلال فإن لم يقدر فله أن يشتري ضيعة أو يتخذ رأس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك ذلك اليوم عنه فإذا بقي عاد إليه فإذا وجد حلالا مينا تصدق بمثل ما أتقنه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم إنه يأكل الخبز ويترك اللحم إن قوى عليه وإلا أكل اللحم من غير تم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جبل ما أتقنه قرضا عنده فيه نظر ولا شك في أن الورع أن يجعله قرضا فإذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يصدق به عليه فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضا إذا أخذ لفقره لأسباب إذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعبا بنصبه وكسبه حتى يملأ الأثر عليه فيه . مسألة : إذا كان في يده حلال وحرام أو شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فإذا كان له عيال فيلخص نفسه بالحلال لأن الحاجة إليه أوكد في نفسه منه في عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد يجرسهم من الحرام إن كان لا يفيض بهم إلى ما هو أشد منه فإن أفضى فيقطعهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحدده في غيره فهو عذوق فهو زيادة وهو أنه يتناول مع العلم والياد بالمتأخر إذا

(١) حديث أجر الزارع والشارس في كل ما يصيب الناس والطيور البخاري من حديث أنس مامن مسلم يفرس غرسا أو يزرع زروها فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة .

الربط والاستمتاع
والزهوة وكما حكر
العلوم في الرباط أطالوا
القام وإن قصرت
أسباب الدين وكما قل
العلوم رحلوا وإن
تيسرت أسباب الدين
وليس هذا طريق
الصوفية ومن السحب
أن يوسع إخوانه إذا
أراد السفر ويدعواهم
بدعاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم . قال
بعضهم محبت عبد الله
ابن عمر من سكة إلى
للدنية فسا أردت
مفارقه يعيش وقال
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
قال لقمان لابنه يا بني
إن الله تعالى إذا
استودع شيئا حفظه
وإن أستودع الله
دينك وأمانتك
وخواتيم عملك وروى
زيد بن أرقم عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال وإذا أراد
أحدكم مقرا فليدع
إخوانه فإن الله تعالى

لم تعلم إذ لم يتول الأمر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول وإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤمنين كأجرة الحجام والصباغ والقصار والحال والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وقصد الدابة وتسجير التنور وغنى الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فإن ما يتعلق يدينه ولا غنى به عنه هو أولى بأن يكون طيبا وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيحتل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه مختزج يلجمه ودمه وكل لحم ثبت من حرام قالنا أولى به وأما الكسوة فثابتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والإبصار عن بشرته وهذا هو الأظهر عندي وقال الحرث المحاسبي يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روى أنه « لا يقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بشرة حرام فيها درهم حرام (١) » وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام (٢) فإفراغة اللحم والعظم أن يبينه من الحلال أولى ولذلك تقي الصديق رضي الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا يثبت منه لحم ثبت ويقي . فإن قيل فإذا كان السكل منصرفا إلى أغراضه فأى فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهه ومأمرك هذا الفرق . قلنا : عرف ذلك بما روى أن رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضعا وعيدا حجاما فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قصي عن كسب الحجام فروج مرات فتع منه قيل إن له أيتاما قال ألقوه الناضع (٣) فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو وأودائه فإذا اشتم سبيل الفرق قصص عليه التفصيل الذي ذكرناه . مسئلة : الحرام الذي في يده لو تصدق به على الفقراء فهل أن يوسع عليهم وإذا أشق على نفسه فليضيّق ما قدر وما أشق على عباله فليقتصد وليكن وسطا بين التوسيع والتضييق فيكون للأمر على ثلاث مراتب فإن أشق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وإن كان غنيا فلا يطعمه إلا إذا كان في ربة أو قدم ليلا ولم يجد شيئا فإنه في ذلك الوقت فقير وإن كان الفقير الذي حضر ضيفا تقي لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جماعة بين حق الضيافة وترك الخداع فلا يبين أن يكرم أخاه بما يكروه ولا يبين أن يعول على أنه لا يدري فلا يضره فإن الحرام إذا حصل في اللصة أثر في قسوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وكأنا قد شرنا على جهل وهذا وإن أتيننا بأنه حلال للفقراء أحلناه بحكم الحاجة إليه فهو كالخزير والخنزير إذا أحلناه بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات . مسئلة : إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل بينهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى فإن كان شبهة وكان امتناعه لوروع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليطلب في الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقتل الأكل بأن يصفر اللقمة ويطلب اللعغ ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريان من ذلك لأن حتهما أيضا مؤكد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

(١) حديث لا تقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بشرة دراهم وفيها درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث الجسد ثبت من حرام تقدم (٣) حديث أن رافع بن خديج مات وخلف ناضعا وعيدا حجاما الحديث وفيه ألقوه الناضع أحمد والطبراني من رواية عباية بن رفاعه ابن خديج أن جده حين مات ترك جارية ناضعا وغلاما حجاما الحديث وليس للراد بجده رافع ابن خديج فإنه بقي إلى سنة أربع وسبعين فيحتل أن الراد جده الأبي وهو خديج ولم أره ذكرنا في الصحابة وفي رواية للطبراني عن عباية بن رفاعه عن أبيه قال مات أبي وفي رواية له عن عباية قال مات رفاعه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وهو مضطرب .

جاء له في دعائهم البركة . وروى عنه عليه السلام أيضا أنه كان إذا ودع رجلا قال « زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت » وبنينا أن يستجد إخوانه إذا دعا لهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه قد روى أن عمر رضي الله عنه كان يعطى الناس عطايهم إذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحدا أخيه بأحد من هذالك فقال الرجل أحذرك عنه يا أمير المؤمنين إن أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعي على هذه الحالة قتلت أمتودع الله ما في بطنك غرجت ثم قصمت فإذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار تلوح على قبرها قتلت للقوم ماهذه النار فقالوا هذه من قبر فلانة تراها كل ليلة قتلت والله إنها

وليس بين يديها ولتزع في غيبتها وليجهد أن لا يسلي فيه إلا عند حضورها فصل في صلاة للضرر
وعند تعارض أسباب الورع ينبغي أن يتفقد هذه الصفات . وقد حكى عن بشر رحمه الله أنه سئل
إليه أمه رطبة وقالت بحق عليك أن تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم صعد غرفة فصعدت أمه وراءه
فرأته يتقيأ وإمّا فصل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة العدة وقد قيل لأحمد بن
حنبل سئل بشر هل الولد ين طاعة في الشبهة قال لا فقال أحمد هذا شديد قبيل هل سئل محمد بن مقاتل
المباني عن أبيه فقال بر والله بك فإذا تقول فقال للسائل أحب أن تفتني قد سمعت ما قال ثم قال
ما أحسن أن تداريها . مسألة : من في يده مال حرام محض فلا يجزئ عليه ولا يلزمه كفارة مالية
لأنه مفلس ولا تجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع الضرب مثلاً وهذا يجب عليه
إخراج الكل إمارداً على المالك إن عرفة أو صرفها إلى الفقراء إن لم يعرف المالك وأما إذا كان
مال شبهة فمحمّل أنه حلال فإذا لم يخرج من يده ثمة الحج لأن كونه حلالاً لا يمكن ولا يسقط الحج
إلا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى - والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً -
وإذا وجب عليه التصديق بما يزيد في حاجته حيث يطلب على ظنه تحريمه فالزكاة أولى بالوجوب
وإن لم يمت كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص يمينين وقد قال قوم يلزمه الصوم دون
الإطعام إذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسي بكيفية الإطعام والذي تختاره أن كل شبهة حكمنا بوجوب
اجتماعها وأثرمنه إخراجها من يده لكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه فليجمع الجميع بين الصوم
والإطعام أما الصوم فلا نه مفلس حكماً وأما الإطعام فلا نه قد وجب عليه التصديق بالجميع ومحمّل
أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة . مسألة : من في يده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد
أن يتطوع بالحج فإن كان ماشياً فلا بأس به لأنه سبأ كل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة
أولى وإن كان لا يقدر على أن يمشي ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ لمثل هذه الحاجة
في الطريق كالأحواز شراء المركوب في البلد وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغني
به عن بقية الحرام فالإقامة في انتظاره أولى من الحج ماشياً بالمال الحرام . مسألة : من خرج لحج
واجب بماله فيه شبهة فليجهد أن يكون قوته من الطيب فإن لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل
فإن لم يقدر فليجهد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه
حرام فليجهد أن لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فلنا وإن جوزنا هذا الحاجة فهو نوع
ضرورة وما الحفقاء بالحيات فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والتمسها هو مضطر إليه من تناول
ماليس بطيب ففساد ينظر إليه بين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكرهاته . مسألة :
سئل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له قائل ما أتى وترك مالا وكان يسأله من تكره معاملته فقال
تدع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تفتني وتفتني فقال أقرى ذلك قال أقدمه
محتسباً بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحريم بإخراج مقدار الحرام إذ قال يخرج
قدر الربع وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له بدلا عما بذله في المعاصيات الفاسدة بطريق التقاس
والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد وعول في قضاء دينه على أنه يمين فلا يترك بسبب الشبهة .

(الباب الخامس في إدارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم)

اعلم أن من أخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة أمور في مدخل ذلك إلى يد السلطان
من أين هو وفي صفته التي بها يستحق الأخذ وفي اللقدار الذي يأخذه هل يستحقه إذا أعنيق إلى
حاله وحال شركائه في الاستحقاق .

كانت صومامة قوامه
فأخذت للولول حتى
استهنا إلى القبر ففهرنا
وإذا سراج وإذا هذا
الغلام يدب قيل إن هذا
وديتك ولو كنت
استودعتنا أم لو جدتها
قال عمر هو أشبه بك
من التراب بالتراب .
وينبغي أن يودع كل
منزل يرسل عنه
بركتين ويقول : اللهم
زودني التقوى واغفر لي
ذنوبي ووجهي للخير
أيتها وجهت . وروى
أنس بن مالك قال كان
رسول الله عليه الصلاة
والسلام لا يزل منزلاً
إلا ودعه بركتين
فينبغي أن يودع كل
منزل ورباط يرسل
عنه بركتين وإذا
رخصت الدابة فليقل
- سبحان الذي سخر
لنا هذا وما كنا له
مقرنين - بسم الله
والله أكبر توكلت على
الله ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم .
اللهم أنت الحامل على

(النظر الأول في جهات الدخول للسلطان)

وكل ما يحل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قيمان : مأخوذ من الكفار وهو النسيئة للأخوة بالقهر والتيء وهو الذي حصل من ملهم في يده من غير قتال والجزية وأمواال الصالحة وهي التي تؤخذ بالضرورة والمعاقبة . والقسم الثاني للمأخوذ من المسلمين فلا يحل منه إلا تسليما : للواريث وسائر الأمور الضامنة التي لا يمتنع لها مالك والأوقاف التي لا تمتد لها أما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج للضروب على المسلمين والصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام فإذا كتب لقيه أو غيره إقرار أو صفة أو خلة على جهة فلا يخفى من أحوال غانية : فانه إما أن يكتب له ذلك على الجزية أو على اللواريث أو على الأوقاف أو على ملك أحياء السلطان أو على ملك اشتراه أو على عامل خراج المسلمين أو على بيع من جملة التجار أو على الخزانة . فالأول هو الجزية وأربعة أخماسها للمصالح وخمسها لطبقات معينة فا يكتب على الخس من تلك الجهات أو على الأخماس الأربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط أن لا تكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير فانه أيضا في عمل الاجتهاد وللسلطان أن يغفل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط أن يكون التمس الذي تؤخذ الجزية منه مكتسبا من وجه لا يسلح تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالما ولا يبيع خمر ولا يصيا ولا امرأة إذ لا جزية عليها فهذه أمور ترمي في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك . الثاني للواريث والأمواال الضامنة فهي للمصالح والنظر أن الذي خلقه هل كان ماله كله حراما أو أكثره أو أوائله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراما مطلقا النظر في صفة من يصرف إليه بأن يكون في الصرف إليه مصلحة ثم في القدر الصروف . الثالث الأوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في لليراث مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون للمأخوذ موافقا له في جميع شرائطه . الرابع ما أحياء السلطان وهذا لا يمتنع فيه شرط إذ له أن يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء أي قدر شاء وإنما النظر في أن الغالب أنه أحياء باكره الأجراء أو بأداء أجرتهم من حرام فان الإحياء يحصل بخير القنات والأنهار وبناء الجسودن وتسوية الأرض ولا يتواله السلطان بنفسه فان كانوا مكروهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا مستأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نهينا عليها في تعلق الكراهة بالأعواض . الخامس ما اشتراه السلطان في التمة من أرض أو ثياب خلة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه يسقط عنه من حرام وذلك بوجوب التحريم تارة والشبهة أخرى وقد سبق تفصيله . السادس أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أموال القسمة والصادرة وهو الحرام السمحت الذي لا شبهة فيه وهو أكثر الإدارات في هذا الزمان إلا ما على أراضي العراق فانها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين . السابع ما يكتب على بيع يامل السلطان فان كان لا يامل غيره فانه كمال خزانة السلطان وإن كان يامل غير السلاطين أكثر فيعطيه قرض على السلطان وسأخذ بدله من الخزانة فالحلل يطرق إلى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام . الثامن ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سمحت محض وإن عرف يقينا أن الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتدل أن يكون ما يملك إليه بينه من الحلال احتمالا قريبا له وقع في النفس واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام في هذه الأعصار والحال في أيديهم معلوم وأعز

الظهر وأنت للستمان على الأمور والسنة وأن يرحد من التنازل بكثرة ويتدى يوم الخميس روى كعب بن مالك قال قلنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السفر إلا يوم الخميس وكان إذا أراد أن يمض سرية بشها أول النهار ويستحب كلما أشرف على منزل أن يقول : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرن أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر أهله وإذا نزل فليصل ركعتين . وما ينبغي للمسافر أن يصحبه آلة الطهارة قيل كان إبراهيم الخواص لا يخافه أربعة أعياء في الحضر والسفر الركوة والحيل والإبرة

فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن أنه حرام فليأخذ أخذه وقال آخرون لا يحمل أن يأخذ ما لم يتحقق أنه حلال فلا يحمل شبهة أصلاً ولا كلاماً إسرافاً والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب إذا كان حراماً حرام وإن كان الأغلب حلالاً وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كسابق . ولقد احتج من جوز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال مهما لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام بما روى عن جماعة من الصحابة أنهم أدرکوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله وجابر وأبى مالك والصورين غزوة فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان وزيد بن عبد الملك وأخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعي وإبراهيم والحسن وابن أبي ليلى وأخذ الشافعي من هرون الرشيد ألف دينار في دفعة وأخذ مالك من الخلفاء أموالاً جملة وقال علي رضي الله عنه خذ ما يطيقك السلطان فائماً يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر وإيما ترك من ترك العطاء منهم فهو ما عفاه الله عنه دينه أن يحمل على ما لا يعمل الآخري قول أبي ذر "لا تحضبن قيس خذ العطاء ما كان تحلة فإذا كان آثماً دينكم فدعوه . وقال أبو هريرة رضي الله عنه إذا أعطينا قبلنا وإذا منعنا لم نسأل . وعن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منعه وقع فيه وعن الشعبي عن مسروق لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار أي يحمله ذلك على الحرام لأنه في نفسه حرام وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول لأسألك أحداً ولأرد مارزقي الله وأهدي إليه ناقة قبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يمارسه ماروي أن ابن عمر رضي الله عنهما لم يرد هدية أمد لإهدية المختار والأسناد في رده أثبت وعن نافع أنه قال بثانٍ معمر إلى ابن عمر يستين ألفاً قسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرضه من بعض من أعطاه وأعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه فقال لأجرك بمجازة لم أجزها أحداً بئلك من العرب ولا أجيزها أحداً بئلك من العرب قال فأعطاه أربعمائة ألف درهم فأخذها وعن حبيب ابن أبي ثابت قال قد رأيت مجازة المختار لابن عمر وابن عباس قبلاهما قليل ما هي قال مال وكسوة وعن الزبير بن عدي أنه قال قال سليمان إذا كان لك صديق عامل أو تاجر فإرف الربا فدعك إلى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئاً فأقبل فإن للهناء لك وعليه الوزر فإن ثبت هذا في الربى فالظالم في معناه وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا قبلان جوآثر معاوية وقال حكيم بن جبير مرنا على سعيد ابن جبير وقد جعل عامل على أسفل القرات فأرسل إلى العشار بن أطمعونا بمعادكم فأرسلوا بطعام فأكل وأكلنا معه وقال العلاء بن زهير الأزدي أتى إبراهيم أبي وهو عامل على حوان فأجازه قبيل وقال إبراهيم لا بأس بمجازة العمال إن لعمال مؤنة ووزقاً ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما أعطاك فهو من طيب ماله قد أخذ هؤلاء كلهم جوآثر السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم في عصية الله تعالى وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من لمتاع جماعة من السلف لا يبدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وأبي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زاهد ومن الحلال الذي يخاف إفضاءه إلى فسق ورعاً وتوقى فاقدم هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم وما نقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفاً وما نقل عن الحسن من قوله لا تؤنص من ماء صيرفي ولو ضاق وقت الصلاة لأنى لأدري أصل ماله كل ذلك ورع لا يكره واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع أيضاً فهذه شبهة من يجوز أخذ مال السلطان الظالم . والجواب أن ما نقل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالإضافة إلى

وخيوطها والقراض وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر حل معه خمسة أشياء المرأة والمكحلة واللدري والسواك وللشط وفي رواية القراض والصوفة لا تخاف قسم الصاوي أيضاً من السنة . روى معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخذت منيراً قد أخذته إبراهيم وإن أخذت العصا قد أخذتها إبراهيم وموسى » وروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال التوكؤ على الصان أخلاق الأنبياء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عصاً يتوكأ عليها ويأمر بالتوكؤ على العصا وأخذ الركوة أيضاً من السنة . وروى جابر بن عبد الله قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ من

ما قبل من درهم وإنكارهم وإن كان يتطرق إلى امتناعهم أحتمال الورع فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة يتفاوتهم في الورع فإن الورع في حق السلاطين أربع درجات . الدرجة الأولى : أن يأخذ من أموالهم شيئاً أصلاً كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى إن أباً بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان يأخذه من بيت المال فلغسنة آلاف درهم فزعمها البيت المال وحق إن عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوماً فدخلت ابنة له وأخذت درهمين من المال فتهنئ عمر في طلبها حتى سقطت للصفعة عن أحد منكميه ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر اسمه فأخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال أيها الناس ليس لعمري ولا لآل عمر إلا للسلاطين قريهم ويدهم وكسح أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهما فزعمه قريبي لعمري رضي الله عنه فأعطاه إياه فرأى عمر ذلك في يد القلام فساء له عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد ﷺ أحد إلا طلبنا بمظلة ورد الدرهم إلى بيت المال هذا مع أن المال كان حلالاً ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستريء لديه ويقتصر على الأقل امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى مالا يريك » (١) وقوله « ومن تركها فقد استبرأ لرضه ودينه » (٢) ولما مضمعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات في الأموال السلطانية حتى قال ﷺ « حين يث عبادة بن الصامت إلى الصدقة » اتق الله يا أبا الوليد لا يخفى يوم القيامة يميز تحمله على رقبته له رغاء أو قرعة لها خوار أو شاة لها تواج قال يا رسول الله أكفدا يكون قال نعم والذي نفسي بيده إلا من رحم الله قال فوالذي يشك بالحق لأعمل على شيء أبداً (٣) وقال ﷺ « إني لأخاف عليكم أن تمركوا ببدى إنما أخاف عليكم أن تنافسوا » (٤) وإنما خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال إني لم أجد نفسي فيه إلا كالو إلى مال اليتيم إن استغنيست استغنيست وإن اخقرت أكلت بالمعروف وروى أن ابنا لطاوس أفضل كتابا عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فأعطاه ثلثائة دينار فباع طلوس شعة له وبعث من ثمنها إلى عمر ثلثائة دينار هذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فيه هي الدرجة العليا في الورع . الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة حلال فاشتا بد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما قبل من الآثار أو أكثرها أو ما اخص منها بأكثر الصعابة والورع عين منهم مثل ابن عمر فإنه كان من الباقيين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من أشدهم إنكاراً عليهم وأشدهم ذماً لأموالهم وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عاص وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوفاً عند الله تعالى بها فقالوا له إنا نرجو لك الخير فخرت الآبار ومقتت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ما كنت قال ماذا تقول يا ابن عمر فقال أقول ذلك إذا طاب للكسب وزك الثففة وستر دقري وفي حديث آخر أنه قال إن الحديث لا يكثر الحديث وإنك قد وليت البصرة ولا أحسبك إلا قد أصبت منها شراً فقال له ابن عاص ألا تدعو لي قال

(١) حديث دع ما يريك إلى مالا يريك تقدم في الباب الأول من الحلال والحرام (٢) حديث من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه متفق عليه من حديث الثمان بن بشير وقد تقدم أوله في أول الباب الثاني من الحلال والحرام (٣) حديث قال لعبد بن الصامت حين بعته إلى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لا يخفى يوم القيامة يميز تحمله على رقبته له الحديث الشافعي في السند من حديث طلوس ومرسل ولأبي يعلى في السبع من حديث ابن عمر مختصراً أنه قال لعبد بن عبادة وإسناده صحيح (٤) حديث إني لأخاف عليكم أن تمركوا ببدى إنما أخاف عليكم أن تنافسوا متفق عليه من حديث عتبة بن عاص .

ركوة إذ جش الناس
نحموه أي أسرعوا
نحموه « والأصل فيه
البكاء كالصبي يتألم
بالأم ويسرع إليها عند
البكاء قال « فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
مالك قالوا يا رسول
الله ما نجد ماء نضرب
ولا تنوضاً به إلا ما بين
يديك فوضع يده في
الركوة نظرت وهو
يفور من بين أصابعه
مثل البيون قال قوضاً
القوم منه قلت كم كنتم
قال لو كنا مائة ألف
لكفانا كنا خمس
عشرة مائة في غزوة
الحديبية . ومن سنة
الصوفية شد الوسط
وهو من السنة . روى
أبو سعيد قال « حج
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصابه
مشاة من المدينة إلى
مكة وقال اربطوا على
أوسا طعكم بأزركم
قربنا ومشيئنا خلفه
المرولة . ومن ظاهر
آداب الصوفية عند

ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبل الله صلاة بشر طهور ولا صدقة من غاويل » وقبوليت البصرة فهذا قوله فيأصره إلى الخيرات وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال في أيام الحجاج : ما شئت من الطعام مذاشيت الدار إلى يومى هذا . وروى عن عتي رضى الله عنه أنه كان له سوق في إتاء عتوم يشرب منه قليل أنفعل هذا بالراق مع كثرة طعامه قال أما إنى لأنتهه غلابه ولكن أكره أن يجعل فيه مالىس منه وأكره أن يدخل بطنى غريب فهذا هو اللأوف منهم وكان ابن عمر لا يسيه شىء إلا أخرج عنه فطلب منه نافع بثلاثين ألفا فقال إنى أخاف أن تفتنى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب أذهب فأنت حر . وقال أبو سعيد الخدرى ما من أحد إلا وقدمت له الدنيا إلا ابن عمر فهذا يتضح أنه لا يظن بوعى كان في منصبه أنه أخذ ما لا يرى أنه حلال . الدرجة الثالثة : أن يأخذ ما أخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين فإن ما لا يتعين مالكة هذا حكم الشرع فيه فإذا كان السلطان إن لم يأخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظلم فقد قول أخذه منه وضرته أولى من تركه فيه ، وهذا قدره بعض العلماء وسأى وجهه ، وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم ولذلك قال ابن الباركة إن الذين يأخذون الجواز اليوم وعثجون بابن عمر وعائشة ما يتحدون بهما لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استعرض في مجلسه بعد فقره متين ألفا وعائشة فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد جاءه مال تصدقه به وقال رأيت أن أخذه منهم وأصدق أحب إلى من أن أدعاه في أيديهم وهكذا فعل الشافعى رحمه الله تعالى به من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة ، الدرجة الرابعة : أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرق بل يستبقى ولكن يأخذ من سلطان أكثر ماله حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة رضى الله عنهم والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر ما لهم حراما وبدل عليه تمليل على رضى الله عنه حيث قال فان ما يأخذ من الحلال أكثر فهذا مما جوزه جماعة من العلماء تمويل على الأكثر ونحن إنما نوقفنا فيه في حق أحاد الناس ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدي اجتهد مجتهد إلى جواز أخذ ما لم يعلم أنه حرام اعتادا على الأغلب وإنما منعناه إذا كان الأكثر حراما فإذا فهمت هذه الدرجات تحققت أن ادارات الظلمة في زماننا لا تجرى مجرى ذلك وأنها تضارقه من وجهين قاطعين : أحدهما أن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والنفى والتسبيحة لا وجودها وليس يدخل منها شىء في يد السلطان ولم يبق إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا جعل أخذها به فاتهم بما جاوزون حدود الشرع في الأخوذ والأخذ منه والوفاء له بالشرط ثم إذا ثبت ذلك إلى ما يناسب إليهم من الخراج للزورب على المسلمين ومن للصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشرين . والوجه الثانى أن الظلمة في العصر الأول قرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين إلى استالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عظامهم وجوازهم وكانوا يمشون إليهم من غير سؤال وإذلال بل كانوا يشهدون للنة ببولهم ويفرحون به وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في أغراضهم ولا يشعرون بحالهم ولا يكرهون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم ويشكرون للتكرات منهم عليهم فانما يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن يأخذهم بأس فأما الآن فلا تسمع نفوس السلاطين ببطية إلا أن طمعوا في استخدامهم والتكريم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بشيائهم بحالهم وتكليفهم للواطية على الدعاء والثناء والتزكية والاطراء

(١) حديث لا يقبل الله صلاة بشر طهور ولا صدقة من غاويل مسلم من حديث ابن عمر .

في حضورهم ومنهم فلو لم يدل الأخذ نفسه بالسؤال أولاً وبالتردد في الخدمة ثانياً وبالتناء والدعاء ثالثاً وبالمساعدة على أغراضه عند الاستعانة رابعاً وبشكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامساً وبإظهار الحب والولاء والنصرة على أعدائهم سادساً وبالستر على ظلمه ومقاصده مساوياً بأعماله سابعاً بالمتعم عليه بدم واحد ولو كان في فضل الشافعي رحمه الله مثلاً فإذا لا يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لأفضائه إلى هذه الناحية فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه فمن استجر على أموالهم وشبه نفسه بالصحة والتأمين فقد قاس للثائكة بالحدادين في أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالفتهم ومراعاتهم وخدمة أعمالهم واحتمال الدل منهم والتناء عليهم والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك مصيبة على ماسئين في الباب الذي يلي هذا فإذا قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم وما يحل منها وما لا يحل فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق إليه ذلك لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ولا إلى التناء عليهم وتزكيتهم ولا إلى مساعدتهم فلا يحرم الأخذ ولكن يكرمه لما نسيه عليها في الباب الذي يلي هذا.

(النظر الثاني من هذا الباب في قدر للأخوذ وصفة الأخذ)

ونفرض للآل من أموال للصالح كأربعة أخماس التي وللوارث ثلث ماعداً عما قد تعين مستحقه إن كان من وقف أو صدقة أو خسر فيء أو خسر غنيمة وما كان من ملك السلطان بما أحياء أو اشتراه فله أن يعطي ما شاء لمن شاء وإنما النظر في الأموال الضائعة ومال للصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب فأما التي الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه هذا هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه ، وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقاً في بيت المال لكونه مسلماً مكرماً جمع الإسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على خصوصين بصفات فإذا ثبت هذا نكّل من يتولى أمراً يقوم به تمتدى مصلحته إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لم تعط عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم أعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه للعلمون وللاؤذون ، وطلبة هذه العلوم أضياد دخلون فيه فاهم إن لم يكفوا لم يمتكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتب مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد للترتزة الذين يحرسون المملكة بالسيف عن أهل العداوة وأهل البنى وأعداء الإسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والكلاء وكل من يحتاج إليه في ترتيب ديوان الخراج أعني العمال على الأموال الحلال لا على الحرام فإن هذا المال للمصالح وللصلحة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فيألفاء حراسة الدين والأجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان فلا يستغنى أحدهما عن الآخر والطبيب وإن كان لا يرتبط به أمر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز أن يكون له ولن يجري مجراه في العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إدار من هذه الأموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين أعني من عالج منهم بغير أجره وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يطلوهم التي فإن الخلفاء الراشدين كانوا يطولن للهاجرين والأنصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر أيضاً بتقدير بل هو إلى اجتهاد الإمام وله أن يوسع ويضيق وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية في دفعة واحدة أربعمائة ألف درهم وقد كان عمر رضي الله عنه يعطي لجماعة اثني عشر ألف درهم مرة في السنة ، وأثبت عائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة وجماعة عشرة آلاف وجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء فإن خص واحداً منهم بمال كثير فلا بأس وكذلك السلطان أن يخص

الأرض ثم يغسل يديه ويجعل وجهه إلى الموضع الذي يخرج منه ويودع الحاضر من فان أخذ بعض الإخوان رايته إلى خارج الرابطة لا ينعته وهكذا الصاوالا ابريق ويودع من شيه ثم يشد الراوية برفع يدها إلى ويخرج اليسرى من تحت إبطه الأيمن ويشد الراوية على الجانب الأيسر ويكون كفته الأيمن خالياً وعقدة الراوية على الجانب الأيمن فإذا وصل في طرفيه إلى موضع شريفاً واستقبله جمع من الإخوان أو شيخ من الطائفة عمل الراوية ويحطها ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم إذا جاوزوه يشد الراوية وإنا هنا من منزل وباطا كان أو غيره يحل الراوية ويحطها تحت إبطه الأيسر وهكذا الصاوالا ابريق يحسكه بيساره وهذه

من هذا المال ذوى الخصائص بالخلع والجواز قد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي أن يلتفت فيه إلى السلعة ومهما خص عالم أو شجاع بسلعة كان فيه بث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وإنما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين : أحدهما أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو إما معزول أو واجب العزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان . والثاني أنه ليس بعم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للأحد أن يأخذوا أفيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلاً أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى . أما الأول فالذي نراه أنه لا يمنع أخذاً لخلق لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلمه وكان في الاستبدال به فتنة نائرة لاتطاق وجب تركه ووجبت الطاعة كما تجب طاعة الأمراء إذ قد ورد في الأمر بطاعة الأمراء (١) ولتح من سل يد عن مساعدتهم (٢) أوامر وزواجر فالذي نراه أن الخلافة منقطة للتكفل بها من بني العباس رضى الله عنه وأن الولاية نافذة للسلاطين في أنظار البلاد والبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب السطهرى المستنظمين كتاب كشف الأسرار وهناك الأستار تأليف القاضي أبي الطيب في الدرر أصناف الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه للسلعة فيه . والقول الوجيز أنا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوقاً في مزايا الصالح ولو قضينا بطلان الولايات الآن لبطلت الصالح رأساً فكيف بغوت رأس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لاتتبع إلا الشوكة فمن بابيه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في أصل الخطبة والسكك فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في أنظار الأرض ولاية نافذة الأحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في أحكام الإمامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلنسا نطول الآن به . وأما الإشكال الآخر وهو أن السلطان إذا لم يسمم بالطاء كل مستحق فهل يجوز لواحد أن يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فقلنا بضمهم وقال كل ما يأخذهم فالسلبون كلهم فيه شركاء ولا يدري أن حصته منه دائق أو حجة فليترك السكك وقال قوم له أن يأخذ قدر قوت يومه فقط فإن هذا القدر يستحقه حاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذوق في هذا المال فكيف يترك وقال قوم إنه يأخذ ما يعطى وللظلم هم الباقون وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركاً بين المسلمين كالنخبة بين الغائبين ولا كالميراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكاً لهم وهذا لو لم يتفق قسمه حتى ما هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وإنما يتعين بالبض بل هو كالصدقات ومهما أعطى الفقراء حصصهم من الصدقات وقع ذلك ملكاً لهم ولم تمتنع بظلم المال كقبة الأصناف بمنع حقهم هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من المال ما لو صرف إليه بطريق الأيثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له أن يأخذ والتفضيل جائز في الطاء . سوى أبو بكر رضى الله عنه فراجعه عمر رضى الله عنه فقال إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ وفضل

(١) حديث الأمر بطاعة الأمراء البخارى من حديث أنس اصموا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زينة . وللم من حديث أبي هريرة عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك الحديث وله من حديث أبي ذر أوصاني النبي ﷺ أن أسمع وأطيع ولو لمجد جميع الأطراف (٢) حديث للنعم من سل يد عن مساعدتهم الشيخان من حديث ابن عباس ليس أحد يشارك الجماعة شراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية ولمسلم من حديث أبي هريرة من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية وله من حديث ابن عمر من خلق يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له .

الرسوم استحسناها اقراء
خراسان والجل ولا
يتبعها أكثر قراء
العراق والشام والغرب
ويجري بين الفقراء
مشاحنة في رعايتها
فمن لا يتبعها يقول
هذه رسوم لائيم
والالتزام بها وقوف
مع الصور وفلة عن
الحقائق ومن يتبعها
يقول هذه آداب
وضعا للتقدمون وإذا
رأوا من بخل بها أو
بشيء منها ينظرون
إليه نظر الازدراء
والحقارة ويقال هذا
ليس بصوفي وكلا
الطائفتين في الانكار
يتحدون الواجب
والصحيح في ذلك أن
من يتبعها لا ينكر
عليه فليس ينكر
في الصريح وهو أدب
حسن ومن لم يلتزم
بذلك فلا ينكر عليه
فليس بواجب في
الترحم ولا مندوب
إليه وكثير من قراء
خراسان والجل يبالغ

عمر رضى الله عنه في زمانه فأعطى عائشة اثني عشر ألفاً وزينب عشرة آلاف وجوبية سنة آلاف وكذا صفية وأقطع عمر لعل خاصة رضى الله عنهما وأقطع عثمان أيضاً من السواد خمس جئات وآثر عثمان عليهما رضى الله عنهما بها قبل ذلك منه ولم ينكر وكل ذلك جائز في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي أقول فيها إن كل مجتهد مصيب وهي كل مسألة لانص على عنها ولا على مسألة تقرب منها فتكون في معناها قياس على كنهه للسنة ومسئلة حد الشرب فاتهم جلدوا أربعين ومائتين والسكل سنة وحق وإن كل واحد من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضى الله عنهم إذ للفضل مارد في زمان عمر شيئاً إلى الفاضل مما قد كان أخذه في زمان أبي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرأيين حق فليؤخذ هذا الجلس دستوراً للاختلافات التي يصب فيها كل مجتهد فأما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس على بقية أو سوء رأى وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا قول فيها إن كل واحد مصيب بل للصيب من أصاب النص أو مافي معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل الخصوص للوصوفين بصفة تطلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلفة أو إداراً على التركات أو الجزية لم يصر فاسقاً بمجرد أخذه وإنما يفسق بختمته لهم ومعاوته بإيام ودخوله عليهم وثنائه وإطرائه لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالباً إلا بها كما سنبينه .

(الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ومحرم)

وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والأكرام لهم)

اعلم أن كل مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال . الحالة الأولى : وهي شرها أن تدخل عليهم والثانية وهي دونها أن يدخلوا عليك والثانية وهو الأسلم أن تتزول عنهم فلا ترام ولا يرونك . أما الحالة الأولى : وهي الدخول عليهم فهو مذموم جداً في الشرع وفيه تنقيطات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار فتنبها لتعرف ذم الشرع له ثم تعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم . أما الأخبار : فإنه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة قال « فمن نأذم نجا ومن اعترلم سلم أو كاد أن يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم (١) » وذلك لأن من اعترلم سلم من إنهم ولكن لم يسلم من عذاب يمه معهم إن نزل بهم تركه للناذبة وللنازعة وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون من بدى أمراء يكذبون ويظنون فن صدقهم يكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض (٢) » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « أبيض القراء إلى الله تعالى الذين يزودون الأمراء (٣) » وفي الخبر « خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء »

(الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين)

(١) حديث فن نأذم نجا ومن اعترلم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم الطبراني من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال ومن خالطهم هلك (٢) حديث سيكون بدى أمراء يكذبون ويظنون فن صدقهم يكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض النسائي والترمذي وصححه والحاكم من حديث كعب بن جعرة (٣) حديث أبي هريرة أبيض القراء إلى الله عز وجل الذين يأتون الأمراء تقدم في العلم .

في رعاية هذه الرسوم

إلى حد يخرج إلى

الأفراط وكثيراً ما يحل

بها قراء الرراق

والشام وللخاربة إلى

حسد يخرج إلى

التفريط والأليق أن

ما ينكره الشرع

ينكر وما لا ينكره

لا ينكر ويحصل

لتصاريف الاخوان

أعذار ما لم يكن فيها

منكر أو إخلال

يغذوب إليه والله

الوفق .

[الباب الثامن عشر

في القدوم من السفر

ودخول الرباط

والأدب فيه]

يفنى الفقير إذا رجع

من السفر أن يستعذ

بالله تعالى من آفات

للقام كما يستعذ به

من وعاء السفر .

ومن السماء للمأثور :

« اللهم إني أعوذ بك

من وعاء السفر

وكآبة للقلب وسوء

النظر في الأهل والمال

والولد » وإذا أشرف

وفي الخبر «الماء أمانة الرسل على عباد الله ما لم يخاطبوا السلطان فإذا صلاوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» (١) رواه أنس رضي الله عنه . وأما الآثار : فقد قال حذيفة إياكم ومواقف القنن قيل وماهى قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصده بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال أبوذر «لسمة يأسلة لا تنشأ أبواب السلاطين فانك لا تصيب من دينهم شيئا إلا أما بوا من دينك أفضل منه ، وقال سيفان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء والزوارون للولك ، وقال الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من علم يزور عملا . وقال جهمون ما لم يسمع بالمعصية إلا أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال عند الأمير . وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيت العالم يحب الدنيا فانهموه على دينكم حتى جرت ذلك إذا ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت قسى بعد الخروج فأرى عليها الدر كمع ما أواجههم به من القلطة والخالطة لمواهم ، وقال عبيدة بن النعمان حب القاري التاسك الأمراء خاف وجهه الأغنياء رياء ، وقال أبوذر من كثر سواد قوم فهو منهم شيء من كثر سواد الظلمة ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه إن الرجل يدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له قيل له ولم قال لأنه رضى به بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا قليل كان عاملا للحجاج فزله فقال الرجل إنما عملت له على شيء يسير فقال له عمر حبك بصحبته يوما أو بض يوم شؤما وشرا ، وقال الفضيل ما يزيد رجل من ذى سلطان قريبا إلا ازداد من الله بعيدا . وكان يصيب في السبب ينجر في الزيت ويقول إن في هذا لثمن عن هؤلاء السلاطين ، وقال وهيب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من القامرين ، وقال محمد بن سلمة الدياب في العثرة أحسن من قارى على باب هؤلاء ، ولما خالط أهرى السلطان كتب إليه أن في الدين إليه : عافانا الله وإياك أبا بكر من القنن قد أصبحت بحال يبنى لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيئا كبيرا قد أشمتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلك من سنة نبيه محمد ﷺ وليس كذلك أخذ الله اللثاق على العلماء قال الله تعالى - لئن كنت لفتاس ولا تسكنونه - وأعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك أنت ست وحشة الظالم وسهلت سبيل البغى يندوك بمن لم يؤدقا ولم يترك باطلا حين أدناك أغدوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يسرون عليك إلى بلاءهم وسلا يصمدون فيه إلى ضلالتهم ويدخلون بك الشك على العلماء ويقنادون بك قلوب الجاهلاء فما أيسر ما همروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فبا أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قاله الله تعالى فيهم - غلظ من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة - الآية وإنك تعامل من لا يعجل ويعفظ عليك من لا ينفذ فداو دينك فقد دخله قسم وهي «ذاك قد حضر سفر بيد - وما عني في الله من شيء في الأرض ولا في السماء - والسلام ، فهذه الأخبار والآثار تدل على مافى مخالطة السلاطين من التثاق وأنواع الفساد ولكن شغل ذلك تفصيا قتها تميز فيه المظهور عن الكروه والباح . فنقول : إذا دخل على السلطان يتعرض لأن يعصى الله تعالى إما بفعله أو بوسكوته وإما بقوله وإما باعتقاده فلا ينفعك عن أحدهم الأمور أما الفعل فالدخول عليهم في غالب الأحوال يكون إلى دور مضبوطة وتخطيطها والدخول فيها ينير إذن لللاك حرام ولا يترنك قول القائل إن ذلك مما يتسامح به الناس كسكرة أو خات خبز فان ذلك صحيح في غير التصوب أما للتصوب فلا لأنه إن قيل إن كل جلسة خفيفة لا تنقص اللك فهي في محل التسامح وكذلك الاجتياز فيجرى هذا في كل واحد فيجرى أيضا في المجموع والتصوب إنما تم بفعل الجميع وإنما يتسامح به

(١) حديث أنس العلماء أمانة الرسل على عباد الله ما لم يخاطبوا السلطان الحديث القليل في الضغاء في ترجمة حصن الأبري وقال حديثه غير محفوظ لعدم في العلم .

على يد يريد القيام بها
يشير بالسلام على من
بها من الأحياء
والأموات ويقرأ من
القرآن ما تيسر
وبجمله هدية للأحياء
والأموات ويكبر فقد
روى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
كان إذا قفل من
غزو أو حج يكبر على
كل شرف من الأرض
ثلاث مرات ويقول :
لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل
شيء قدير آمين
تائبون مابدون
ساجدون لربنا حامدون
صدق الله وحده ونصر
عبد وهزم الأحزاب
وحده ويقول إذا رأى
الملك : اللهم اجعل لنا بها
قرارا ورزقا حسنا
ولو اغتسل كان حسنا
اقتداء برسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث
اغتسل لدخول مكة .
وروى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
رجع من طلب الأحزاب

إذا اخبر إذ لو علم الملك به ربما لم يكرهه فأما إذا كان ذلك طريقاً إلى الاستعراق بالاشتراك في
 التحريم ينسحب على السكك فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقاً اعتاد على أن كل واحد من
 اللارين إنما يخطو خطوة لاتقص للملك لأن المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم تباح
 ولكن بشرط الاغراء فلو اجتمع جماعة ضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع أن
 كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لاتوجب قصاصاً فإن فرض كون الظالم في موضع غير
 مقصوب كالوات مثلاً فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام والدخول إليه غير جائز لأنه
 انتفاع بالحرام واستغلال به فإن فرض كل ذلك حلالاً فلا يصح بالدخول من حيث انه دخول ولا بقوله
 السلام عليكم ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائماً في سلامه وخدمته كان مكراً للظالم بسبب
 ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم مصيبة بل من تواضع لشيء ليس بظالم لأجل غناه لأمضى آخر
 اقتضى التواضع قص ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للظالم فلا يباح إلا مجرد السلام فأما تقبيل اليد
 والاحتفاء في الخدمة فهو مصيبة إلا عند الخوف أو لإمام عادل أو لأمير أولئك يستحق ذلك بأمر ديني .
 قبل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يد على كرم الله وجهه لما أن لقى بالشام فلم ينكر عليه وقد
 بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقاراً لهم وعد ذلك من
 محاسن القربات فأما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالظلم
 فإن ترك الداخل جميع ذلك واتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم وإذا كان أغلب
 أموالهم حراماً فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث القتل . فأما السكوت فهو أنه سري في مجلسهم
 من الفرش الحرير وأواني القصة والحرير لللبوس عليهم وعلى غلظتهم مأثور حرام وكل من رأى سيئة
 وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسع من كلامهم مأثور غش وكذب وغم وإيذاء والسكوت
 على جميع ذلك حرام بل يرام لابسين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم حرام
 والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بغيره .
 فإن قلت : إنه يخاف من نفسه فهو ممنور في السكوت فهذا حق ولكنه مستثنى عن أن يمرض نفسه
 لارتكاب ما لا يباح إلا بعد فاته لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطأ بالحسبة حتى يسقط عنه
 بالعذر وعند هذا أقول من علم صاداً في موضع وعلم أنه لا يشر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليجري
 ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي أن يحتجز عن مشاهدته . وأما القول فهو أن يدعو
 للظالم أو يخفى عليه أو يصدقه فيما يقول من باطل بصرح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار في وجهه
 أو يظهر له الحب واللؤالة والاشتياق إلى لقائه والحرس على طول عمره ويقتله فانه في الغالب لا يقتصر
 على السلام بل يتكلم ولا يصدق كلامه هذه الأقسام . أما الدعاء له فلا يخل إلا أن يقول أصليحك
 الله أو وصليك الله لخيرات أو طول الله عمرك في طاعته أو ما يجري هذا المجرى فأما الدعاء بالحراسة
 وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطأ بالمولى وما في معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم « من
 دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه » (١) فان جاوز الدعاء إلى التناء فسيذكر ما ليس
 فيه فيكون به كاذباً ومناقاً ومكرماً للظالم وهذه ثلاث معاصي وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله
 لينضب إذا مدح الناسق » (٢) وفي خبر آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام » (٣)

وتزل المدينة نزع لثمة
 واغتسل واستحم
 وإلا فليجدد الوضوء
 ويتنظف ويتطيب
 ويستدلق الأخوان
 بذلك وينوي التبرك
 عن هاتك من الأحياء
 والأموات ويؤرم .
 روى أبو هريرة رضى
 الله عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 « خرج رجل زوراً خاً
 له في الله فأرصد الله
 بمدرجته ملكاً وقال
 أين تريد قال أزور
 فلانا قال قرابة قال
 لا قال لئمة له عندك
 تشكوها قال لا قال
 فهم تزوره قال إني
 أحبه في الله قال فاني
 رسول الله إليك بأنه
 يحبك يحبك إياه » .
 وروى أبو هريرة رضى
 الله عنه عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 أن قال « إذا دعا الرجل
 أخاه أو زاره في الله قال
 الله له طيب وطاب
 مقامك وبتوا من الجنة
 منزلاً » وروى أن

(١) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه تقدم (٢) حديث إن الله لينضب
 إذا مدح الناسق تقدم (٣) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام تقدم أيضا .

فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول والتركية والثناء على ما يسدل كان عاصيا بالتصديق وبالإعانة
فإن التركية والثناء إعانة على العصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب واللذمة والتشيع زجر
عنه وتضعيف لدواعيه والإعانة على العصية ولو بشرط كلمة ، ولقد سئل سفيان الثوري رضي الله
عنه عن ظالم أشرف على الهلاك في بركة هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فإن ذلك إعانة له
وقال غيره يسقى إلى أن يتوب إليه نفسه ثم يمرض عنه فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه
وطول بقاءه فإن كان كاذبا عصى مصيبة التكذب والنفاق وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحبه
أن يفضله في الله ويعتقه قابض في الله واجب ومحبة للعصية والراضي بها عاص ومن أحب ظالما فإن
أحبه لظلمه فهو عاص لمحبه وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم يفضله وكان الواجب عليه
أن يفضله وإن اجتمع في شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويغض لأجل ذلك الشر
وسمائي في كتاب الإخوة والتحابين في الله وجه الجمع بين النض والحب فإن سلم من ذلك كله وهيات
فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتضا
نهي رسول الله ﷺ حيث قال « يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق (١) »

وهذا مع ما فيه من اعتدائه غيره في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله لإهام إن كان
من يتجمل به وكل ذلك إمساك وهات أو محظورات . دعي سيد بن السبب إلى البيعة للوليد وسليمان بن
عبد الملك بن مروان فقال لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي ﷺ نهى عن يثنين (٢)
فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال لا والله لا يقتدي بأحد من الناس فجعل مائتا وليس
السوح ولا يجوز الدخول عليهم إلا بعشرين . أحدهما أن يكون من جهنم أمر لإزام الأمر لإكرام
وعدم أنه لو امتنع أودى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة
لا طاعة لم من دبر مراعاة المصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية . والثاني أن يدخل عليهم في دفع ظلم عن
مسلم سواء أوعى نفسه إما بطريق الحبسة أو بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب ولا يثنى
ولا يبيع نصيحة يتوقع لها قبولاً فهذا حكم الدخول . الحالة الثالثة أن يدخل عليك السلطان الظالم
زائرا فجواب السلام لا بد منه وأما القيام بالآكرام فلا يحرم مقابلة على إكرامه فإنه باكرام العلم
والدين مستحق للاحدا كما أنه الظلم مستحق للإبعاد فالآكرام بالآكرام والجواب والسلام ولكن الأولى
أن لا يقوم إن كان منه في خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ويظهر غضبه للدين وإعراضه
عمن أعرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه وإن كان الداخل عليه في جمع فراعاة حشمة أرباب
الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية وإن علم أن ذلك لا يورث فسادا في الرعية
ولا يناله أدى من غضبه فترك الآكرام بالقيام أولى ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن
كان يقارف فلا يعرف تخبره وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه فذلك واجب وأما ذكر تحريم
ما يسلم تخبره من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من العاصي مهما ظن
أن التخويف يؤثر فيه وعليه أن يرشده إلى طريق المصلحة إن كان يعرف طريقا على وفق الشرع

(١) حديث يامعشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق الحاكم من حديث
عبد الله بن الشخير أقفوا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لا تزددوا نعم الله عز وجل وقال صحيح
الاسناد (٢) حديث دعا ابن السبب إلى البيعة للوليد وسليمان بن عبد الملك فقال لا أبايع اثنين
ما اختلف الليل والنهار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن يثنين أبو نعيم في الحلية باسناد
صحيح من رواية يحيى بن سعيد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت
نهيتمكم عن زيارة
القبور فزوروها فإنها
تذكر الآخرة » فحصل
للقبر فائدة الأحياء
والأموات بذلك فإذا
دخل البلد يتندى
عسجد من الساجد
يصل في ركعتين فإن
قصدا لجامع كان لكل
وأفضل وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
إذا قدم دخل المسجد أولا
وصلى ركعتين ثم دخل
البيت والرباط للفتنة
بنزله البيت ثم يقصد
الرباط قصده الرباط
من السنة على ما روينا
عن طلحة رضي الله
عنه قال : مكان
الرجل إذا قدم للدينة
وكان له بها عريف
ينزل على عريفه وإن
لم يكن له بها عريف
نزل الصفة فكنت
من أنزل الصفة ، فإذا
دخل الرباط بعض إلى
للوضع الذي يريد نزول
الحلف فيه فيحلف

بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير محبة لبيده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم فادأب عليه التعريف في عمل جهه والتخوف فيا هو مستجري عليه والإرشاد إلى ما هو غافل عنه بما فيه عن الظلم فهذه ثلاثة أمور تفرقه إذا توقع للسلام فيه أثرا وذلك أيضا لا على كل من ارتفع له دخول على السلطان بنذر أو غير بنذر . وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة وإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأه وجراب فيه علوه ومطهرة يتوضأ منها فبينما أنا عنده إذ قد دأق الباب فناداهو محمد بن سلمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له مالي إذا رأيته امتلأت منك رجبا قال حماد لأنه قال عليه السلام « إن العالم إذا أراد ببلده وجه الله هابه كل شيء وإن أراد أن يكثر به السكون هاب من كل شيء » (١) ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال تأخذهاو تستعين بها قال أرددها على من ظلمتها قال والله ما أعطيتك إلا ما ورثته قال لأحاجة لي بها قال فأخذها فقسماها قال لعلني إن عدلت في قسمتها أخاف أن أقول بفسن لم يرزق منها إلا بعدل في قسمتها فيأثم فازوها عني .

الحالة الثالثة : أن يتزلم فلأبراهم ولا يرونه وهو الواجب إذ لاسلامة إلا فيه عليه أن يعتقد بفسنهم على ظلمهم ولا يجب بقامهم ولا يثنى عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى التصليين بهم ولا يتأسف على ما يوت بسبب مفارقتهم وذلك إذا خطر ياله أمرهم وإن غفل عنهم فهو الأحسن وإذا خطر ياله تتمهم فلذكر ما قاله حاتم الأصم « إنما بيني وبين الملوك يوم واحد فأما أمس فلا يحدون لذته وإني وإياهم في غد لعل وجل وإنما هو اليوم وما عسى أن يكون في اليوم » ومما قاله أبو الفريداء إن قال أهل الأموال بأكلون وأنا أكل وشريون وقرب ولبسون ونلبس ولم فضول أموال ينظرون إليها وينظرهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من أحاط عليه بظلم ظالم ومعية طام فبينى أن يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره قم ذلك من رتبته في القلب لأحالة والمسبة بينى أن تكره فانه إما أن ينفل عنها أو يرضى بها أو يكره ولا غفلة مع العلم والوجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جناية كل أحد على حق الله كجانيته على حرك . فان قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب . قلنا ليس كذلك فان الحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكره عند محبوبه ومخالف له فان من لا يكره محبة الله لا يجب الله وإنما لا يجب الله من لا يفره وللمرة واجبة والمحبة لله واجبة وإذا أحبه كره ما كرهه وأحب ما أحبه وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا . فان قلت قد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين . فأقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل كما حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة فلما دخلها قال اتوني برجل من الصحابة قليل يا أمير المؤمنين قد تخانوا فقال من التابعين فأتى بطاوس الجعاني فلما دخل عليه خلق نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بل مرة للؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكرهه وجلس بإزاله وقال كيف أنت يا هشام ؟ فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له أنت في حرم الله وحرم رسول الله ولا يمكن ذلك فقال له بطاوس ما الذي سلكك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فأزاد غضبا وغيظا قال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم على إمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزائي بشر إذني وقلت كيف أنت يا هشام قال أما ما فعلت

(١) حديث حماد بن سلمة مرفوعا إن العالم إذا أراد ببلده وجه الله هابه كل شيء وإذا أراد أن يكثر به السكون هاب من كل شيء . هذا معضل وروى أبو الشيخ بن حبان في كتاب الثواب من حديث وثاقه بن الأسقع من خاف الله خوف الله منه كل شيء حوسم لم يخف الله خوفه الله من كل شيء وللعقل في الضعفاء نحوه من حديث أبي هريرة وكلاما منكرا .

وسطه وهو قائم ثم يخرج الخريطة يساره من كنه اليسار ويحل رأس الخريطة باليمين ويخرج اللداس باليسار ثم يضع اللداس على الأرض ويأخذ اليازيد ويلقيها في وسط الخريطة ثم ينزع عنه اليسار فإن كان على النوضه يسفل قدميه بعد نزاع الخف من تراب للطريق والعرق وإذا قدم على السجادة يطوى السجادة من جانب اليسار ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصل ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم أن يطلأ بها موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم الظاهرة التي استحسها بعض الصوفية لا تنكر على من يتقيد بها لأنه من استحسان الشيوخ وتهيئتهم الظاهرة في ذلك تحيد للرشد في كل شيء بحيث مخصوصة ليكون أيضا مفتقدا

من خلع نعلي بحاشية بساطك فاني أخلمها بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يماضي ولا ينضب على وأما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : لا سهل لرجل أن يقبل يدا أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رجة وأما قولك لم تسلم على يامرة المؤمنين فليس كل الناس راغين بإمرتك فكرهت أن أكذب وأما قولك لم تسكني فان الله تعالى صمى أنبياءه وأوليائه فقال يادادو يا يحيى يا عيسى وكفى أعداءه قال - ثبت يداي أحب - وأما قولك جلست بأزائي فاني سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام قال له هشام عظمي فقال سمعت أمير المؤمنين على رضي الله عنه يقول إن في جهنم حبات كالثقل وعقارب كالنعال تلهج كل أمير لا يسدل في رعيته ثم قام وهرب وعن سيفي بن أبي روري رضي الله عنه قال أدخلت على أبي جعفر المنصور بنحو قال لي أرفع إلينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال أرفع إلينا حاجتك فقلت إنما أزلت هذه للزلة بسيف الهاجرين والأضار وأبناؤهم يموتون جوعا فاتق الله وأوصل إليهم حقهم فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال أرفع إلينا حاجتك فقلت حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لحازنه كم أفتقت قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا أموالا لا تطيق الجبال حملها وخروج فكيف كانوا يدخلون على السلاطين إذا أكرموا وكانوا يتررون بأرواحهم للإتيان الله من ظلمهم ودخل ابن أبي شيمية على عبيد الملك بن مروان قال له تكلم فقال له إن الناس لا ينجون في القيامة من غضبها ومراراتها ومعانيه الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فبكى عبيد الملك وقال لأصحاب هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر أمهات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عنه أبو ذر وكان له صديقا فأتته فقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه ^(١) » ودخل مالك بن دينار على أمير البصرة فقال أيها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول ما أحق من سلطان وما أجهل ممن عصاني ومن أعز بمن أعز بي أيها الراعي السوء دفعت إليك غنا سبانا صحاحا فأكلت اللحم ولمست الصوف وتركها عظاما فتعقع فقال له والي البصرة أنمدي ما الذي يجرئك علينا ويحبنا عنك قال قاله فلة الطمع فبنا وترك الأسماك لما في أيدينا . وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فخرج ووضع صدره على مقدمة الرجل فقال له عمر هذا صوت رحمة فكيف إذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان إلى الناس فقال ما أكثر الناس فقال عمر خصاؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان ابتلاك الله بهم - أوحى أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا أبا حازم ما لنا نكره لك قال لأنك خيرتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من المعمران إلى الخراب فقال يا أبا حازم كيف أقدم على الله قال يا أمير المؤمنين أما الحسن فكيف لا يقدم على أهله وأما الولي فكيف لا يقدم على ماله فبكى سليمان وقال ليت شرعي على عند الله قال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال - إن الأبرار لني نعم وإن التجار لني جحيم - قال سليمان فأين رحمة الله قال قرب من الحسين ثم قال سليمان يا أبا حازم أي عبد الله أكرم قال أهل البر والتقوى قال فأى الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى الكلام أسمع قال قول الحق عند من تخاف وترجو

(١) حديث أبي ذر إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عز وجل منه لم أقف له على أمل .

لحرمانه غير قائم على حركة بغير قصد وعزيمة وأدب ومن أخل من الفقهاء بشيء من ذلك لا ينكر عليه ما لم يخل بواجب أو مندوب لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعيدوا بصكثير من رسوم التصوفة وكون الشبان يطالبون الوارد عليهم بهذه الرسوم من غير نظرهم إلى النية في الأشياء غلط فقلل الفقير يدخل الرباط غير مشعر أكله وقد كان في السفر لم يشعر الأكلام فينبه أن لا يتعاطى ذلك لنظر الخلق حيث لم يخل بتدوب إليه شرعا وكون الآخر يشعر الأكلام فينبى ذلك على حد الوسط وشد الوسط من السنة كما ذكرنا من شد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوساطهم في سفرهم بين المدينة ومكة فتشعر الأكلام

قل فأى المؤمنين أكيس ؟ قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها قل فأى المؤمنين أخسر ؟ قال رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان ما تقول فبا نحن فيه ؟ قال أوتفنى قال لا بد فانها نصيحة تلقينا إلى قال يأمر المؤمنين إن آياك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا للثقة عنة من غير مشورة من السليين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بشيا قلت قال أبو حازم إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبينه للناس ولا يكتُمونه قال وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟ قال أن تأخذه من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك ؟ فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع إلى فقال أبو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره الخيرى الدنيا والآخرة وإن كان عدوك غفد بناصيته إلى ما تحب وترضى فقال سليمان أوصى قال أوصيك وأوجز عظم ربك وزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك يا وأقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم عظمي فقال اضطلع ثم اجعل اللوت عند رأسك ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فغذبه الآن وما تحركه أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن قلل تلك الساعة قريية . ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا أعرابي فقال يأمر المؤمنين إلى مملككم بكلام فاحشته وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال يا أعرابي إنا لنبجود بسعة الاحتمال على من لا ترجو نصحه ولا تأمن غشه فكيف بمن تأمن غشه وترجو نصحه فقال الأعرابي يأمر المؤمنين إنه قد تنكفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمك الله تعالى عليه فاتهم لم يألوأ في الأمانة تصعيما وفي الأمة خسفا وعسفا وأنت مسئول عما اجترحوا وليساو بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم فساد آخرتك فان أعظم الناس غشنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان يا أعرابي أما إنك قد سلكت لسانك وهو أقطع سيفيك قال أجل يأمر المؤمنين ولكن لك لعليك . وحكى أن أبا بكره دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لآزداد من الدنيا إلا ابدا ومن الآخرة إلا قريبا وعلى أترك طالب لآخوته وقد نصب لك علما لا يجوز له أسرع ما يلحق العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وإنما وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون باق إن خيرا غير وإن شرا فشر فكذا كان دخول أهل العلم إلى السلاطين أعنى علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيدخلون ليقرّبوا إلى قلوبهم فيدلوهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيها يوافق أغراضهم وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن يقدمهم الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يتترهما الحق : أحدهما أن يظهر أن قصدي في الدخول عليهم لإصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل العرفة عندهم وعلامة الصدق في طاب الإصلاح أنمو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هومن أقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الإصلاح فينبى أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا اللهم كمن وجب عليه أن يسأل مريضا ضائعا مقام بماله غير فانه يعظم به فرحه فان كان يصادف في قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور . الثاني أن يزعم أني أقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامه وهذا أيضا مظنة التروير وميابة ما تقدم ذكره وإذا ظهر طريق الدخول عليهم فلترسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل . مسكة : إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك معين فلا يجعل أخذه وإن لم يكن

في معناه من الخسفة والارتفاق به في الصلح فمن كان مشدود الوسط مشعرا يدخل الرباط كذلك ومن لم يكن في السفر مشدود الوسط أو كان راكبا لم يشد وسطه فمن الصدق أن يدخل كذلك ولا يعتمد شد الوسط وتشمير الأكام لتظفر الخلق فانه تكلف ونظر إلى الخلق ومبى التصوف على الصدق وسقوط نظر الخلق ومما ينسك على للتصوفة أنهم إذا دخلوا الرباط لا يتدنون بالسلام ويقول للسكر هذا خلاف للتدوب ولا ينبغي للسكر أن يبادر إلى الانكار دون أن يعلم مقاصدهم فيها اعتمدهم وتركهم السلام يحتمل وجوها : أحدها أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر قال لا ردى رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو

بل كان حكمه أنه يجب التصديق به على السالكين كما سبق فلك أن تأخذه وتولى التفرقة ولا تصح بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعندهذا ينظر في الأولى فتقول : الأولى أن تأخذ إن أمنت ثلاث غوائل . الثالثة الأولى : أن ينظر السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب وزلوا أنه طيب لما كنت تمد يدك إليه ولا تدخه في ضاهاك فإن كان كذلك فلا تأخذه فإن ذلك محذور ولا يبق الحير في مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراءة على كسب الحرام . الثالثة الثانية : أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون أنه لئلا يفتقدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفتقدون فهذا أعظم من الأول فإن جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رضي الله عنه على جواز الأخذ وينفون عن تفرقته وأخذه على نية التفرقة فالتفتدي وللتشبه به ينبغي أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فإنه يكون ضله سبب ضلال خلق كثير . وقد حكى وهب بن منبه أن رجلاً أتته إلى ملك عشيده من الناس ليكرهه على أن كل لحم الخنزير فلربما كل قدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل قيل له في ذلك قال إن الناس قد اعتقدوا أن طوبى لمن يأكل لحم الخنزير فإذا خرجت سالماً وقد أكلت فلا يملكون ماذا أكلت فيضلون . ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف أخى الحاجب وكان عاملاً وكان في غداة باردة في مجلس بارز . فقال لثلاثة هلم ذلك الطيلسان وآتقه على أبي عبد الرحمن أي طاوس وكان قد قصد على كرسى فألقى عليه فلم يزل يحرك كفيه حتى ألقى الطيلسان عنه فغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنياً عن أن تضبه لو أخذت الطيلسان وقصدت به قال نعم لولا أن يقول من بعدى إنه أخذ طاوس ولا يصنع به ما أضعب به إذن لقتل . الثالثة الثالثة : أن يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيصه إليك وإيثاره لك بما أتقده إليك فإن كان كذلك فلا تقبل فإن ذلك هو السبب القاتل والهاء الدين أعنى ما يجب الظلمة إليك فإن من أحببت له لا بد أن تحرس عليه وتداهن فيه قالت عائشة رضي الله عنها : جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وقال عليه السلام « اللهم لا تجعل لشارح عندي يدا فيجبه قلبي »^(١) بين صلى الله عليه وسلم أن القلب لا يكاد يمتنع من ذلك . وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأتاه محمد بن واسع فقال ما صنعت بما أعطاك هذا الخلق ؟ قال سئل أصحاني فقالوا أخرجه كله فقال أنشدك الله أفتلك أشد حبا له الآن أم قبل أن أرسل إليك ؟ قال لا بل الآن قال إنما كنت أخاف هذا وقد صدق فإنه إذا أحببه أحب بقاءه وكره عزله ونكبتة وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود رضي الله عنهما من رضى بأمر وإن غاب عنه كمن شهده قال تعالى - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا - قيل لا ترضوا بأعمالهم فإن كنت في القوة بحيث لا تزدد حبا لهم بذلك فلا بأس بالأخذ . وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالاً ويقرها فقيل له لا تخاف أن يحبهم فقال لو أخذ رجل يدي وأدخلني الجنة ثم عصى ربه ما أحببه قولى لأن الذى سخره للأخذ يدي هو الذى أبغضه لأجله شكر الله على تسخيره إيّاه وبهذا تبين أن أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك للمال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لأنه لا يملك من هذه التوائل . مسألة : إن قال قائل إذا جاز أخذ ماله وتفرقته فهل يجوز أن يسرق ماله أو تخفى وديته وتكر وتفرق على الناس فتقول ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين

(١) حديث اللهم لا تجعل لشارح عندي يدا فيجبه قلبي ابن مردويه في التفسير من رواية كثير بن عتبة عن رجل لم يسم ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى الدين في كتاب فضيح العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسلًا وأسانيده كلها ضعيفة .

يؤول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى كاد الرجل أن يتواري فضرب يده على الحائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى لمسح بها ذراعيه ثم ردد على الرجل السلام وقال إنه لم يعتنى أن أورد عليك السلام إلا أني لما كنت على طهر» وروى « أنه لم يدع عليه حتى توضأ ثم اعتذر إليه وقال إني كرهت أن أذكر الله تعالى إلا على طهر» وقد يكون جمع من الفقهاء مصطلحين في السفر وقد يتفق لأحدهم حدث فلو سلم التوضؤ وأمسك المحدث ظهر حاله فيترك السلام حتى يتوضأ من يتوضأ ويصل قدمه من يصل ستره الحال على من أحدث حتى يكون سلامهم على الطهارة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يصحكون بعض القميين أيضا على غير طهارة فيستمدحون

وهو على عزم أن يرد عليه وليس هذا كما لو بث إليه فإن العاقل لا يظن به أنه يصدق بما لا يعلم مالكة فبدل تسليمه على أنه لا يعرف مالكة فإن كان ممن يشكك عليه مثله فلا يجوز أن يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك ، ثم كيف يسرق ويحتمل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته فإن اليد دلالة على الملك فهذا لا سيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندى واحتمل أن تكون له بشراء في الذمة أو غيره وجب الرد عليه فإذا لا يجوز سرقة ما لم لا من أودع عنده ولا يجوز إنكار ودينتهم ويجب الحد على سارق ما لم إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكا لهم فصد ذلك بسقط الحد بالدعوى . مسألة : للعامة معهم حرام لأن أكثر ما لم حرام فما يؤخذ عوضا فهو حرام فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم فإن علم أنهم يصون الله به كيح الديباج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كيح الغنم من الحمار وإنما الخلاف في الصفة وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسها نسائه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يصح في عينه من الأموال وفي معناه بيع الفرس منهم لاسيا في وقف ركوهم إلى قتال المسلمين أوجباة أموالهم فإن ذلك إعانة لهم بغرسه وهي محظورة فأما بيع الدرامم والذنانير منهم وما يجري مجراها مما لا يصح في عينه بل يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إغائهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب وسائر الأسباب وهذه الكراهة جارية في الإهداء إليهم وفي العمل لهم من غير أجره حتى في تعليمهم وتعلم أولادهم الكتابة والترسل والحساب وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فإن ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله ولو اتصّب وكلامهم يشتري لهم في الأسواق من غير جعل أو أجره فهو مكروه من حيث الإعانة وإن اشترى لهم ما يعلم أنهم يقصدون به الصيغة كالقلام والديباج للفرس واللبس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام فهو ما ظهر قصد الصيغة بالبتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالته عليه حصلت الكراهة . مسألة : الأسواق التي تبوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فإن سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه وللاس أن يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالأولى الشراء منها فإن ذلك إعانة لسكران وتكثير لسكران وكذلك معاملة السوق التي لأخراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى عرّضوا من معاملة الفلاحين وأصحاب الأراضى التي لهم عليها الخراج فانهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل به الإعانة وهذا غلو في الدين وجرح على المسلمين فإن الخراج قدّم الأراضى ولا غنى بالناس عن ارتفاق الأرض ولا معنى للمنع منه ولوجار هذا الحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول ويتداهى إلى حسم باب العاش . مسألة : معاملة قضاتهم وعلمهم وخدمهم حرام كما ملتهم بل أشد أما القضاء فلاهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون مجهم ويغرون الخلق بزهم فانهم على زى الطماء ويختلطون بهم ويأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاتقاء بدوى الجاه والحشمة فهم سبب اتقاء الخلق إليهم وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من التصب الصريح ولا يقع في أيديهم مال ملصقة وميراث وجزية ولا وجه حلال حتى تصنف الشبهة باختلاط الحلال بمالحم قال طاوس لا أشهد عندهم وإن تحققت لأنى أخاف تقديمهم على من شهدت عليه وبالجملة إنما فسدت الرعية فساد للوك وفساد للطماء فساد للقضاء السوء والطماء السوء لقل فساد للوك خوفا من إنكارهم وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال هذه الأمة تحت يدي الله

السلام أيضا بالطهارة لأن السلام اسم من أسماء الله تعالى وهذا من أحسن ما يذكر من الوجوه في ذلك ومنها أنه إذا قدم يماثته الإخوان وقد يكون معه من آثار السفر والطريق ما يكره فيستمد بالوضوء والنظافة ثم يسلم ويصافهم ومنها أن جمع الرباط أرباب مراقبة وأحوال فهو هجم عليهم بالسلام قد يزعج منه مراقب ويتشوش محافظ والسلام يتقدمه استئناس بدخوله واشتغال بفصل القدم والوضوء وصلاة ركعتين فيتأهب الجميع له كما يأنه بهم بعد مسابقة الاستئناس وقال الله تعالى « حتى تستأنسوا » واستئناس كل قوم على ما يليق بمالحم ومنها أنه لم يدخل على غير بيته ولا هو يغرب منهم بل هم إخوانه

وكشفه مالم تعالى قراؤها أمراءها^(١) وإعما ذكر القراء لأنهم كانوا هم العلماء وإنما كان عليهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة وماوراء ذلك من العلوم فهي محدثة يدهم وقد قال سفيان : لا تخاطب السلطان ولا من يخاطله وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرباس وصاحب البليطة بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن في الحجر عشرة حتى العاصر والتمتع^(٢) وقال ابن مسعود رضي الله عنه « آكل الربا وموكله وشاهداه وكتابه مملونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم^(٣) » وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤) وقال ابن سيرين لا تحصل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان رحمه الله من مناولة الخليفة في زمانه دولة بين يديه وقال حتى أعلم ما تكتب بها فكل من حوالمهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يجب فيهم في الله جميعا . وروى عن عثمان بن زائدة أنسأله رجل من الجند وقال أبن الطريق فسكت وأظهر الصمم وخاف أن يكون متوجها إلى ظلم فيكون هو بارشاده إلى الطريق معنا وهذه للبالغة لم تقتل عن السلف مع الفساق من التجار والحالكة والحجامين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف مع غلبة الكذب والنسق عليهم بل مع السكتمان من أهل اللمة وإنما هذا في الظلمة خاصة الأكلين لأموال التباي والساكنين واللواطين على إيذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعارها وهذا لأن العصية تنقسم إلى لازمة ومتعدية والنسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وحسابه على الله وأمامهسية الولاية بالنظم وهو متعد فأنما ينظر أمرهم فذلك وقد عرعموا الظلم وعموم التمدي يزدادون عند الله مقنا فيجب أن يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم « يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار^(٥) » وقال ^{عليه السلام} « من أشرط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر^(٦) » فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فضلاته التباي وطول الشوارب وسائر الهيئات المشوهة فن رؤى على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لأنه الذي جنى على نفسه إذ يزيأ بهم ومساواة الذي تدل على مساواة القلب ولا يتجان

(١) حديث لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكفنه مالم تعالى قراؤها أمراءها أبو عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلأ ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي وابن عمر بلفظ مالم يعظم أبرارها فجارها ويدهن خيارها شرارها وإسنادهما ضعيف (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لمن في الحجر عشرة حتى العاصر والتمتع الترمذي وابن ماجه من حديث أنس قال الترمذي حديث غريب (٣) حديث ابن مسعود آكل الربا وموكله وشاهداه وكتابه مملونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأصحاب السنن واللفظ للنسائي دون قوله وشاهداه ولأن داود لمن رسول الله ^{عليه السلام} آكل الربا وموكله وشاهداه وكتابه مملونون وشاهداه (٤) حديث جابر لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكتابه وشاهداه قالهم سواء مسلم من حديثه وأما حديث عمر فأشار إليه الترمذي بقوله وفي الباب وابن ماجه من حديثه إن آخر ما أنزلت آية الربا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يفسرها فدعوا الربا والرية وهو من رواية ابن السبب عنه والجمهور على أنه لم يسمع منه (٥) حديث يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٦) حديث من أشرط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبي أمامة يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأذناب البقر الحديث ولمسلم من حديث أبي هريرة يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر وفي رواية له صفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر الحديث ..

والألف بالنسبة العنوية الجامعة لهم في طريق واحد والمنزل منزله والوضع موضعه فبرى البركة في استفتاح اللزل بعمالة الله قبل معاملة الخلق وكما يمد عذرهم في ترك السلام ينهى لهم أن لا ينكروا على من يدخل ويبتدئ بالسلام فكأن من ترك السلام لنية فالتى ابتداء به له أيضا نية وللقوم آداب ورد بها الشرع ومنها آداب استحسنها شيوهم فلما ورد به الشرع ما ذكرنا من شد الوسط والصا والركوة والابتداء باليمين في لبس الخف وفي زعه باليسار . روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا اتعلم فأبدوا باليمين وإذا خلعت فأبدوا باليسار أو اخلعها جميعا أو اخلعها جميعا » روى جابر رضي الله عنه « أن رسول الله صلى

إلا يحجون ولا يتشبه بالمساق إلا فاسق نعم الفاسق قد يلبس فيتشبه بأهل الصلاح فأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثير لسوادم وإنما نزل قوله تعالى - إن الدين توفاهم اللائكة ظالمي أنفسهم - في قوم من المسلمين كانوا يكثر جمع جماعة للشركين بالمخالطة وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال ما بال الأخيار قال إنيهم لا يفتنون لنفي فساكنوا يؤا كلوهم ويشاربوهم وبهذا يتبين أن بعض الظلة والفتنة عليهم واجب . وروي ابن مسعود عن النبي ﷺ «إن الله لعن علماء بني إسرائيل إذا خالطوا الظالمين في معاصمهم» (١) . مسألة : الواضع التي بناها الظلة كالقناطر والرباطات والساجد والسقايات ينبغي أن يحتاط فيها وينظر أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما أمكن وإن وجد معدلاً تأكد الورع وإنما جوزنا العبور وإن وجد معدلاً لأنه إذا لم يعرف تلك الأعيان مالكا كان حكمها أن ترصد للغير وهذا خيراً فأما إذا عرف أن الأجر والحجر قد نقل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه أصلاً إلا للضرورة محل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحالة لمن للمالك الذي يعرفه وأما المسجد فإن بني في أرض منصوبة أو غنص منصوب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلاً ولا الجمعة بل لو وقف الإمام فيه فليصل هو وخلفه الإمام وليقف خارج المسجد فإن الصلاة في الأرض المنصوبة تسقط القرض وتتمتع في حق الاقتداء فذلك جوزنا له لتقدي الاقتداء بمن صلى في الأرض للمنصوبة وإن عصى صاحبه بالوقوف في المنصب وإن كان من مال لا يعرف مالكة فالورع الدلول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من تلك التي بناه ولولوى بسد وإن لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن صلى فيه مع اتساع المسجد أعنى في الورع قيل لأحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج إلى الصلاة في جماعة ونحن بالمسكر فقال حجتى أن الحسن وإبراهيم التيمي خافا أن يفتهما الحجاج وأنا أخاف أن أفتن أيضاً وأما الخلق والتجصيص فلا يمنع من الدخول لأنه غير منتهى به في الصلاة وإنما هوزنة الأولى أنه لا ينظر إليه وأما البواري القى فرشوا فان كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها وإلا فبعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز اقتراسها ولكن الورع الدلول عنها فاتها محل شبهة . وأما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إلا إذا كان يخاف قوات الصلاة فيتوضأ وكذا موانع طريق مكة . وأما الرباطات والمدارس فإن كانت ربة الأرض منصوبة أو الأجر منقولاً من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وإن التمس للمالك فقد أرصد طلبة من الخير والورع اجتنابه ولكن لا يلزم القسق بدخوله وهذه الأبيّة إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى المصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال المصالح وإنما يجوز ذلك لقولا وأرباب الأمر . مسألة . الأرض للمنصوبة إذا جعلت شارعا لم يجوز أن يتخطى فيه ألبته وإن لم يكن له مالك معين جاز والورع الدلول إن أمكن فإن كان الشارع مباحا وفوقه ساباط جاز العبور وجاز الجلوس تحت الساباط على وجه الاحتجاج فيه إلى

(١) حديث ابن مسعود لعن الله علماء بني إسرائيل إذا خالطوا الظالمين في معاصمهم أبو داود والترمذى وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقفت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم يبتوا فجالسهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فغضب الله قلوب بعضهم ببعض ولهم على لسان داود وعيسى بن مريم لفظ الترمذى وقال حسن غريب

الله عليه وسلم كان يغلق اليسرى قبل اليمنى ويسمى اليسرى « وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون أحدم لا يقعد على سجادة الآخر مشروع ومسنون وقد ورد في حديث طويل « لا يؤم الرجل الرجل في سلطانه ولا في أهله ولا يجلس على تكريمه إلا بإذنه » وإذا سلم على الإخوان يماشيهم وماشونه فقد روى جابر بن عبد الله قال « لما قدم جعفر من أرض الحبشة طافه النبي صلى الله عليه وسلم » وإن قيامه فلا بأس بذلك روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال ما أنا بفتح خير أسرى يقدم جعفر » ويصافح إخوانه قد قال عليه السلام « قبلة للمسلم أخاه للصالح » وروى أنس

السقف كما ينفذ في الشارع لشغل فاذا انتفع بالسقف في دفع حر الشمس أو للطر أو غيره فهو حرام لأن السقف لا يبرأ إلا بذلك وهكذا من يدخل مسجدا أو أرضا مباحة سقف أو حوط بنصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتعنا بالحيطان والسقف إلا إذا كان له فائدة في الحيطان والسقف لحر أو برد أو تبرع عن بصر أو غيره فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على النصب لما فيه من اللامعة بل للانتفاع والأرض تتراد للاستقرار عليها والسقف للاستغلال به فلا فرق بينهما .

(الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر ميسر الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى)

مسألة : سئل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاما أو شهيا ويشتري به طعاما ثانياً الذي يجعله أن يأكل منه وهل يختص بالصوفية أم لا . قلت أما الصوفية فلا شبهة في حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيجعلهم إذا أكلوه مرضا الخادم ولكن لا يغلو عن شبهة أما الحل فلا من ما يسطر خادم الصوفية إنما يسطر بسبب الصوفية ولكن هو للمطلى للصوفية فهو كالرجل للعيل يسطر بسبب عياله لأنه متكفل بهم وما يأخذه يقع ملكه لا لغيره ولا يعلم غير السائل إذ يبعد أن يقال لم يخرج عن ملك المطلى ولا يتسلط الخادم على الشراء به والتصرف فيه لأن ذلك مضمير إلى أن اللامعة لا تنكفي وهو ضيف ثم لاصائر إليه في الصدقات والمدايا ويعد أن يقال زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الحاقه إذ لا خلاف أنه أن يطعم منه من يقدم بعدم ولوماتوا كلهم أو واحد منهم لا يجب صرف نصيبه إلى ورائه ولا يمكن أن يقال إن نوع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لأن إزالة الملك إلى الجهة لا توجد تسليط الأحاد على التصرف فان الله الخلق فيه لا ينصرفون بل يدخل فيه من يولد إلى يوم القيامة وإنما تصرف فيه الولاية والخادم لا يجوز له أن ينتصب نائباً عن الجهة فلا وجه إلا أن يقال هو ملكه وإنما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف وللرودة فان منهم عنه منعه عن أن يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع وقته كما ينقطع عن مآعياه . مسألة : سئل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذي يجوز أن يصرف إليه قلت التصوف أمر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمر ظاهرة يوصل عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفي والضابط الكلي أن كل من هو بصفة إذا نزل في خاتمه الصوفية لم يكن زوله فيها واختلاطه بهم منكرًا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والقر وزى الصوفية وأن لا يكون مشتتاً بجمرة وأن يكون مخالطهم بطريق للسكنى في الحاقه ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجر بالعض الفاسق يمنع هذا الاستحقاق لأن الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة فالتدبير يظهره وإن كان على زهم لا يستحق ما أوصى به للصوفية ولنا نعتير فيه الصفات . وأما الحرقة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالهقان والامل والتاجر والصانع في حانوته أو داره والأجير الذي يخدم بأجرة كل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى به للصوفية ولا ينجر بهذا بائز والمخالطة فأما الورقة والحياطة وما يقرب منها مما يليق بالصوفية تمامها فإذا ضابطها لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرقة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجر بما كتبه إمام مع بية الصفات وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع وأما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف إذ وجدت بية الحاصل من الزى والساكنة والقر إذ لا يتناقض أن يقال صوفي مقررٌ وصوفي واعظ وصوفي عالم أو مدرس ويتناقض أن يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل وأما التفريق أن زال بنى مفرد ينسب الرجل إلى الرتبة الظاهرة فلا يجوز له أخذ صفة الصوفية وإن كان له مال ولا ينفذ دخله

(الباب السابع في مسائل متفرقة)

ابن مالك قال : قيل
يا رسول الله الرجل يلقى
صديقه وأخاه ينحني له
قال لا يقل ينحني وقيله
قال لا يقل فيصافحه قال
نعم ويستحب للفقراء
التعظيم في الرباط أن
يتلقوا الفقراء بالترحيب
روى عكرمة قال : قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم جئته :
مرحبا بالراكب
للهاجر مرتين وإن
قاموا إليه فلا بأس
وهو مسنون . روى
عنه عليه السلام أنه
قام لجفر يوم قدومه
ويستحب للخادم أن
يقدمه الطعام . روى
لقبط بن صبرة قال
« وقد تاملت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فلم تصادفه في منزله
وصادفنا عائشة رضي
الله عنها فأمرت لنا
بالحرقة فصمت لنا
وأبينا جنتنا فيه تمر
والقناع الطبق فأكلنا
ثم جاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال

بخرجه لم يطل حقه وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خرج وهذه أمور
لادليل لها إلا العادات وأما الخالق لم يمسكهم فلما أنزلوا من لاخالطهم وهو في داره وفي مسجد
على زهم ومتعلق بأخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك الخالطة يجبرها ملازمة الزى فإن لم يكن
على زهم ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق إلا إذا كان مساكنا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمه
بالتبعية فالخالطة والزى ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقير الذي ليس على زهم هذا حكمه
فإن كان خارجا لم يعد صوفيا وإن كان مساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يعد أن ينسحب بالتبعية
عليه حكمهم . وأما ليس للزفة من يشيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه لا يضره
مع وجود الشرائط المذكورة . وأما التأهل للتردد بين الرباط والسكن فلا يخرج بذلك عن حملتهم .
مسألة : حاقب على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لأن معنى الوقف

الصرف إلى مصالحهم فلتد الصوفي أن يأكل معهم برضاهم على ما تدبهم مرة أو مرتين فإن أمر الأطلعة
مبنه على التسامح حتى جاز الانفراد بها في الضام للفتنة وللوقال أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك
الوقف وكان ذلك من مصالح معاشهم وما أوصى به للصوفية لا يجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية
بخلاف الوقف وكذلك من أحضروه من المال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استئالة
قلوبهم يحملهم الأكل برضاهم فإن الواقف لا يقف إلا مقفدا فيما جرت به عادات الصوفية فينزل
على العرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا أن يسكن معهم على الدوام ويأكل
وإن رضوا به إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم . وأما الفقير إذا كان على زهم
وأخلاقهم فله النزول عليهم وكونه قهريا لا ينافي بكونه صوفيا والمجهل ليس بشرط في الصوف عندهم
يرف التصوف ولا يلتفت إلى خرافات بعض الحق بقرهلم إن العلم حجاب فإن الجهل هو الحجاب وقد
ذكرنا تأويل هذه الكلمة في كتاب العلم وأن الحجاب هو العلم للعلوم دون الحمود وذكرنا الحمود
وللعلوم وشرحهما . وأما الفقير إذا لم يكن على زهم وأخلاقهم فله منعه من النزول عليهم فإن رضوا
بنزوله فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزى تجبره للسكنة ولكن برضا أهل
الزى وهذه أمور تشهد لها العادات وفيها أمور متقابلة لا يخفى أطرافها في التقي والاثبات ومتشابهة
أوساطها فمن احتز في مواضع الاشتباه قد استبرأ لدينه كأنهنا عليه في أبواب الشبهات . مسألة :
سئل عن الفرق بين الرشوة والهبة مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد
حرمت إحداها دون الأخرى . قلنا ياذل المال لا يذله قط إلا لترض ولكن الرضا إما أجل
كالتواهب وإما عاجل والمأجل إما مال وإما فضل وإعانة في مقصود معين وإما تقرب إلى قلب الهدي إليه
بطلب محبة إما للمحبة في عينها وإما للتوصل بالحبية إلى غرض ورادها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة
الأول : ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك إما أن يكون لكون للصروف إليه محتاجا أو عالما أو منتسبا
بنسب ديني أو صالحا في نفسه متدينا فما علم الآخذ أنه يسطاه حاجته لا يخله أخذه إن لم يكن محتاجا
وما علم أنه يسطاه لشرف نسب لا يخله إن علم أنه كاذب في دعوى النسب وما يسطى لعله فلا يخله أن
يأخذه إلا أن يكون في العلم كاحتمد المعطى فإن كان خيل إليه كالا في العلم حتى يسه بذلك على التقرب
ولم يكن كاملا لم يخله وما يسطى لدينه وصلاحه لا يخله أن يأخذه إن كان فاسقا في الباطن ففقا
لوعله للسطى ما أعطاه وقلم يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه ليقب القلوب مائلة إليه وإنما ستر
الله الجليل هو الذي يحب الخلق إلى الخلق وكان للورعون يوكلون في التراء من لا يعرف أنه وكيلهم
حتى لا يتساهوا في البيع خيفة من أن يكون ذلك أكلا بالدين فإن ذلك عطر والتقى خفي لا كالملم

أصبحت شيئا قلنا نعم
يا رسول الله ويستحب
للقادم أن يقدم للقراء
شيئا لحق القدم .
ورد أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
قدم المدينة خرج جزوا
وكرهتهم لتقديم القادم
بعد المصروجه من
السنة منع النبي صلى
الله عليه وسلم عن
طريق الليل والصوفية
بعد المصرو يستعدون
لاستقبال الليل
بالطهارة والانكباب
على الأذكار والاستغفار
روى جابر بن عبد الله
قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « إذا قدم
أحدكم من سفر فلا
يطرقن أهله ليلا »
وروى كعب بن مالك
أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان
لا يقدم من السفر إلا
نهارا في الضحى
فيستحبون التقدم في
أول النهار فإن فات
من أول النهار فقد
يتفق تمويق من

والنسب والقر فينبغي أن يحتجب بالأخذ بالدين ما أمكن . القسم الثاني : ما قصد به في الجاهل غرض معين كالقبض يهدي إلى التفرط في خلته فهذه هبة بشرط الثواب لا يحق حكمها وإنما تخل عند الوفاء بالثواب للطموح فيه وعند وجود شروط العقود . الثالث : أن يكون الراد إعانة بفعل معين كالاحتياج إلى السلطان يهدي إلى وكيل السلطان وخاصة ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يبرف بقرينة الحال فليظن في ذلك العمل الذي هو الثواب فإن كان حراما كالسبي في تعيين إدارا حراما وظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ وإن كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من جبر عليه أو شهادة متعينة فيحرم عليه ما يأخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وإن كان مباحا لأوجابا ولا حراما وكان فيه تب محض لوعرف لجاز الاستيعار عليه لما يأخذه حلال مهما وفي بالقرض وهو جار مجرى الجمالة كقوله أوصل هذه القصة إلى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج إلى تب وعمل متقوم أو قال اقترح على فلان أن يمتني في غرض كذا أو يتم على بكذا واقترح في تعيين غرضه إلى كلام طويل فنذلك جعل كما يأخذه الوكيل المحسومة بين يدي القاضي فليس ب Haram إذا كان لا يسي في حرام وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لا تب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه أو تلك الكلمة من ذي الجاه تهدي كقوله للبواب لا تفتح دونه باب السلطان أو كوضه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لأنه عوض من الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على التهي عنه كسأني في هدايا للولود إذا كان لا يجوز العوض عن إسقاط الشفعة والرد بالغيب ودخول الأغصان في هواء الملك وجلة من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينه با على دواء يتفرد بعرفته كواحد يفرد بالعلم بنبت بقلع البواسير أو غيره فلا يذكره إلا بوض فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم كعبه من صمم فلا يجوز أخذ العوض عليه ولا على غيره إذ ليس ينتقل عمله إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل عمله ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالصيقل مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف أو الرأفة بدقة واحدة لحسن معرفته بوضع الخلل ولطيفه بصابته قد يزيد بدقة واحدة مال كثير في قوة السيف والرأفة فهذا لا يرى بأسا بأخذ الأجرة عليه لأن مثل هذه الصناعات تبس الرخيل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل . الرابع : ما قصد به الهبة وجلبها من قبل للهدى إليه لا لقرض معين ولكن طلبا للاستئناس وتأكيدا للصحة وتوددا إلى القلوب فذلك مقصود للعلاء ومندوب إليه في الشرع قال صلى الله عليه وسلم « تهادوا نحبوا » (١) وعلى الجملة فالقصد الإنسان في الغالب أيضا محبة غيره لعين الهبة بل لفائدة في محبته ولكن إذا لم تعين تلك الفائدة ولم يتشمل في نفسه غرض معين يمتثل في الحال أو لئال مما يهدي هدية وحل أخذها . الخامس : أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبة لاجتهت ولا لئاس به من حيث إنه أنس قطب ليتوصل بمجاهة إلى أغراض له ينصر جنسها وإن لم ينصر عنها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدي إليه فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخذ وأخذته مكروه فإن فيه مشابهة الرشوة ولكها هدية في ظاهرها فإن كان جاهه بولاية تولاه من قضاء أو عمل أو ولا يتقدمه أوجابا لمال أو غيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدي إليه فيه رشوة عرضت في معرض الهدية إذ التصديها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لأمر ينصرف في جنسه إذ ما يمكن التوصل إليه بالولايات لا يحق وآية أنه لا ينفى الهبة أنه لو في الحال غيره لسم المال إلى ذلك الغير فهذا مما اختصوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما وللمنى

(١) حديث تهادوا نحبوا البيهقي من حديث أبي هريرة وضمه ابن عدي .

فيه متارصا فانه دار بين الهدية المحضة وبين الرشوة للبدولة في مقابلة جاء محض في غرض معين وإذا تمارضت للشبهة القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما تمن للبل إليه وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر في ذلك قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البري » لتوعظ به العامة (١) ، وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن السحت فقال : يقضى الرجل الحاجة فيهدى له الهدية وله أراد قضاء الحاجة بكلمة لا تصب فيها أوتبرع بها لا على قصد أجرة فلا يجوز أن يأخذ بعده شيئا فيمرض المرض . شفع مسروق شفاعة فأهدى إليه للشفوع له جارية فضرب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أنكسر فيها بقى منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت ، وأخذ عمر رضى الله عنه ربع مال القراض التى أخذته ولدها من بيت المال وقال إنما أعطيتنا لمكانكم كى إذ علم أنهما أعطيا لأجل جاء الولاية . وأهدت امرأة أنى عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوفا فكافأتهما بجوهر فأخذ عمر رضى الله عنه فباعه وأعطاها ثمن خلوفا ورد باقية إلى بيت مال المسلمين . وقال جابر وأبو هريرة رضى الله عنهما هدايا للوكفول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة (٢) » أى كان يقرب إليه نبوته

للولايته ونحن إنما نعطى للولاية وأعظم من ذلك كله ما روى أبو حميد الساعدي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بثت واليا على صدقات الأزدي فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لي هدية . فقال عليه السلام ألا جلست في بيت أيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ثم قال مالي أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لي هدية هذا لك هدية ألا جلست في بيت أمه لهدى له والذى نفس يده لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أنى الله يحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة يبيع له رغاء أوبقرة لها خوار أو شاة تير ثم رفع يديه حتى رأيت ياضا بطيه ، ثم قال اللهم هل بلغت (٣) » وإذا ثبتت هذه التشديدات فالتقاضى والوالى ينبئ أن يهدى نفسه في بيت أمه وأبيه فما كان يعطى بعد الزل وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذ في ولايته وما يعلم أنه إنما يسطاه لولايته فزلم أخذه وما أشكل عليه في هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه .

(تم كتاب الحلال والحرام بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والله أعلم)

(كتاب آداب الألفة والأخوة والصحة والمعاشرة مع أصناف الخلق)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثانى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غفر صفوة عباده بطائفة التخصيص طولا واتساعا . وألف بين قلوبهم فأسبحوا بنعمته إخوانا . وزرع القل من صدورهم فظفروا في الدنيا أصدقاء وأخذانا . وفي الآخرة رقاء وخلانا والصلاة على محمد المطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واتقدوا به قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً .

(١) حديث يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البري » ليعظ به العامة لم أتف له على أصل (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية البخارى من حديث عائشة (٣) حديث أنى حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بثت واليا إلى صدقات الأزدي فلما جاء قال هذا مالكم وهذا هدية لي الحديث متفق عليه .

(كتاب آداب الصحة)

دوى أبو رفاعة قال

« أتيت رسول الله صلى

الله عليه وسلم وهو

يخطب فقلت يا رسول

الله رجل غريب جاء

يسأل عن دينه

لا يدري مدينه قال

فأقبل النبي صلى الله

عليه وسلم على وترك

خطبته ثم أتى بكرسى

قوايسه من حديد

فقد رسول الله ثم جعل

يصفى بماعله الله ثم أتى

خطبته وأتم آخرها

فأحسن أخلاق الفقراء

الرفق بالمسلمين

واحتمل المكروه من

للمسوع وللمرئ وقد

يدخل فقير بعض الربط

ويخل بجى من مراسم

للتصوفة فينهز ويخرج

وهذا خطأ كبير قد

يكون خلق من

الصالحين والأولياء

لا يرفون هذا الترس

الظاهر ويقصدون

للمرابطة صالحة فإذا

استقبلوا بالمكروه

يغنى أن تمشوش

بواطنهم من الأذى

أما بعد : فإن التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل العبادات . وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات . ولها شروط بها يلتحق للتصاحبون بالمتعابدين في الله تعالى وفيها حقوق بمرامها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان ، فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله تعالى وبالها فلفة عليها تال الحرجات الملى ، ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها . الباب الثاني : في حقوق الصعبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها . الباب الثالث : في حق السلم والرحم والجوار ولللك وكيفية للممارسة مع من قد بلى بهذه الأسباب .

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة في شروطها ودرجاتها وفوائدها)

(فضيلة الألفة والأخوة)

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التحاب والتألف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابير ومهما كان للشر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا يخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال - وإنك لملى خلق عظيم - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق ^(١) » وقال أسامة بن شريك قلنا يارسول الله « ما خير ما أعطى الإنسان ؟ قال خلق حسن ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « بشت لأتم بحسن الأخلاق ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أنقل مايوضع في البران خلق حسن ^(٤) » وقال عليه السلام ما حسن الله خلق امرئ وخلقه يقطع له النار ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أباهرية عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة رضى الله عنه وما حسن الخلق يارسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتمنعو عنك ذلك وتمضى من حرمك ^(٦) » ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن الألفة واطاعة الوحش ومهما طاب للشر طابت الثمرة ، وكيف وقد ورد في التناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله . ومن الآيات والأخبار والآثار ما في كفاية ومنع . قال الله تعالى مظهر أعظم منه على الخلق بنعمة الألفة - لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم - وقال - فأصبحتم بنعمته إخوانا - أى بالألفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها قال عز من قائل - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - إلى - لملمت تهتدون - وقال عليه السلام « إن أقربك مني مجلسا أحسنكم أخلاقا للوثون أكنافا الدين يألفون ويؤلفون ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة)

(١) حديث أول ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد وقد تقدم (٢) حديث أسامة بن شريك يارسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال خلق حسن ابن ماجه بإسناد صحيح (٣) حديث بشت لأتم بحسن الأخلاق أحمد والبيهقي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أنقل مايوضع في البران خلق حسن أبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء وقال حسن صحيح (٥) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقه قطعته النار ابن عدى والطبراني في معارج الأخلاق وفي الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة قال ابن عدى في إسناده بعض التكرار (٦) حديث يا أباهرية عليك بحسن الخلق قال وما حسن الخلق قال تصل من قطعك وتمنعو عنك ذلك وتمضى من حرمك البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن أبي هريرة ولم يسمع منه (٧) حديث إن أقربك مني مجلسا أحسنكم أخلاقا للوثون أكنافا الدين يألفون ويؤلفون الطبراني في معارج الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف ،

ويدخل على التكرار عليه ضرر في دينه ودنياه فليحذر ذلك وينظر إلى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما كان يستمد مع الخلق من اللدابة والرفق وقد صح « أن أعرابيا دخل للسجود بال فمرأته عليه السلام حتى أتى بذنوب فصب ذلك ولم ينير الأعرابي بل رفق به وعرفه الواجب بالرفق واللين والفظافة والتغليظ والتسلط على المسلمين بالقول والفعل من النفوس الحبيثة وهو مد حال التصوفة ومن دخل الرباط من لا يصلح للمقام به رأسا يصرف من الوضع على ألطف وجه بعد أن يقدم له طعام ويحسن له الكلام فهذا الذي يليق بسكان الرباط وما يستمده القراء من تغليب القادم فضلك حسن ومعاملة صالحة وردت

بالسنة روى عمر
رضي الله عنه قال :
« دخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وعلام له حبشي يميز
ظهره فقلت يا رسول الله
ما شأنك فقال إن الناقة
الصحمت في قدح عمن
الرضا بذلك ممن يميز
في وقت تعب وقدموه
من السفر فأما من
يتخذ ذلك عادة ويحب
التميز ويستجلب به
النوم ويساكنه حتى
لا يفوته فلا يلبق بحال
الفقراء وإن كان في
الشرع جائز لو كان بعض
الفقراء إذا استرسل
في التميز واستلذه
واستدعا يحتلم فيرى
ذلك الاحتلام عقوبة
استرساله في التميز
ولأرباب المزائم أمور
لا يسعهم فيها الركون
إلى الرخص . ومن
آداب الفقير إذا استقر
وقد بدد قدومه أن
لا يتسدى بالكلام
دون أن يستل
ويستحب أن يمكث

« المؤمن إلف مألوف ولاخريف من لا يألّف ولا يؤلّف (١) » وقال صلى الله عليه وسلم في التناء على
الأخوة في الدين « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانته (٢) » وقال
صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذا اتقيا مثل الدين تسفل إحداهما الأخرى وما اتقى مؤمنا
قط إلا أعاد الله أحدهما من صاحبه خيرا (٣) » وقال عليه السلام في الترغيب في الأخوة في الله « من آخى
أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا يناها شيء من عمله (٤) » وقال أبو إدريس الخولاني لما ذى أبي جحك
في الله فقال له أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس
كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس وهم لا يفزعون ويخاف
الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قيل من هؤلاء يا رسول الله ؟
قال هم للتحابون في الله تعالى (٥) » ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وقال فيه « إن حول العرش
منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوههم نور ليسوا بأنبيا ولا شهداء ينظّمهم النبيون والشهداء
فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم للتحابون في الله وللتجالسون في الله وللتزاورون في الله (٦) » وقال
صلى الله عليه وسلم « ما أحب إنسان في الله إلا كان أحبها إلى الله أشدها حبا لصاحبه (٧) » وقال
إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به

(١) حديث المؤمن إلف مألوف ولاخريف فمن لا يألّف ولا يؤلّف أحمد والطبراني من حديث سهل
ابن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه (٢) حديث من أراد الله به خيرا رزقه أخا صالحا
إن نسي ذكره وإن ذكر أعانته غريب بهذا اللفظ والمعروف أن ذلك في الأمير ورواه أبو داود من
حديث عائشة إذا أراد الله بالأمر خيرا جعله وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانته الحديث
ضعفه ابن عدي ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصلوة من حديث علي من سعادة للرء أن يكون
إخوانه صالحين (٣) حديث مثل الأخوين إذا اتقيا مثل الدين تسفل إحداهما الأخرى الحديث السلمي
في آداب الصلوة وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه أحمد بن محمد بن غالب
الباهلي كذاب وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الخزيات (٤) حديث من آخى أخا في الله
عز وجل رفعه الله درجة في الجنة لا يناها شيء من عمله ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث
أنس ما أحدث عبد أخا في الله عز وجل إلا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة وإسناده ضعيف
(٥) حديث قال أبو إدريس الخولاني لما ذى أبي جحك في الله فقال أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة الحديث أحمد
والحاكم في حديث طويل إن أبا إدريس قال قلت والله إنى لأجيك في الله قال فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول إن للتحابين جلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله قال الحاكم صحيح
على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بن بلط للتحابون في جلال
لهم منابر من نور ينظّمهم النبيون والشهداء قال حديث حسن صحيح ولأحمد من حديث أبي مالك
الأعمرى إن الله عبدا ليسوا بأنبيا ولا شهداء ينظّمهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقرهم من الله
الحديث وفيه تحاوي في الله وتضافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فتجلس وجوههم نور أوليائهم
نور ابفرح الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه شهرين
حوشب مختلف فيه (٦) حديث أبي هريرة إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوههم
نور ليسوا بأنبيا ولا شهداء الحديث النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات (٧) حديث ما أحب إنسان
في الله إلا كان أحبها إلى الله أشدها حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الإسناد

كما تلتحق الدرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة . قال عز وجل - ألقنناهم ذرياتهم وما ألقنهم من شيء - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول حقت محبة للذين يزاورون من أجلي وحقت محبة للذين يتحابون من أجلي وحقت محبة للذين يباذلون من أجلي وحقت محبة للذين يتناصرون من أجلي » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تعابا في الله اجتماعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا فاضت عنه ورجل صدقته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شمة ما تصدق بعينه » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « مازار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طيب وطاب عيشك وطابت لك الجنة » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « إن رجلا زار أخا له في الله فأرسله الله ملكا فقال أين تريد قال أريد أن أزور أخي فلانا فقال له حاجة لك عنده قال لا قال فإني أراك في الجنة قال لا قال فبئس ما لك عندك قال لا قال فم قال أحبه في الله قال فإن الله أرسلني إليك بخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله » (٥) فلهذا يجب أن يكون الرجل أعداء ينضفهم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان بهم في الله . ويروى أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أما زهدك في الدنيا فقد تجلبت الراحة وأما إعطائك إلى فقد تمزنت في ولكن هل عديت في عدوا وأهل واليت في وليا . وقال **عليه السلام** « اللهم لا تجعل لفاجر على منة تفرقه مني عمة » (٦) ويروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام « لو أنك عديت بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئا » وقال عيسى عليه السلام : تحبوا إلى الله يغض أهل للعاصي وتقرّبوا إلى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا ياروح الله فن يجالس قال جالسوا من تد كرم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغيبكم في الآخرة عمله . وروى في الأخبار السابقة أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا واربد نفسك إخوانا وكل خدنا وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو

(١) حديث إن الله يقول حقت محبة للذين يزاورون من أجلي وحقت محبة للذين يتحابون من أجلي الحديث أحمد من حديث عمرو بن عبسة وحديث عبادة بن الصامت ورواه الحاكم وصححه (٢) حديث إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي مسلم (٣) حديث أبي هريرة سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث مازار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طيب وطابت لك الجنة ابن عدي من حديث أنس دون قوله شوقا إليه ورغبة في لقائه ولترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة من عاد مرضا أوزار أخا في الله ناداه مناد من السماء طيب وطاب عيشك وتبوت من الجنة منزلا قال الترمذي غريب (٥) حديث إن رجلا زار أخاه في الله فأرسله الله ملكا فقال أين تريد الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليد بن أبي سلمة يختلف فيه والحرثاني في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث اللهم لا تجعل لفاجر على منة الحديث تقدم في الكتاب الذي قبله .

ثلاثة أيام لا يصح زيارة أو مشهدا أو غير ذلك مما هو مقصوده من المدينة حتى يذهب عنه وعناء السفر ويعود باطنه إلى هيئته قد يكون بالسفر وعوارضه تغير باطنه وتكدر حتى تجتمع في الثلاثة الأيام همه وينصلح باطنه ويستمد للقاء الشايع والزيارات بتقوية الباطن فان باطنه إذا كان منورا يستوفى حظه من الخير من كل شيخ وأخ يزوره . وقد كنت أسمع شيخنا يوصي الأصحاب ويقول لا تسلكوا أهل هذا الطريق إلا في أصنى أوقاتكم وهذا فيه فائدة كبيرة فان نور الكلام على قدر نور القلب ونور السمح على قدر نور القلب فان دخل على شيخ أو أخ وزاره ينبغي أن يستأذنه إذا أراد الانصراف قد روى عبد الله بن

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال : يا داود مالي أراك متبذرا وحيدا قال إلهي قلت الخلق من أجلك فقال يا داود كن قظانا وارعد لنفسك أخدانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقبض قلبك فيساعذك مني . وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال يارب كيف لي أن يرحمني الناس كلهم وأسلم فيا بيني وبينك قال خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيا بيني وبينك وفي بعضها خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة . وقال النبي ﷺ « إن أحبك إلى الله الدين يآلقون ويؤلفون وإن أبغضك للشامون بالقيمة للفرقون بين الإخوان (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من التلج يقول اللهم كما ألفت بين التلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين (٢) » وقال أيضا « ما أحدث عبدا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « للتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرقون على أهل الجنة بضوئهم حسنها لأهل الجنة كاتفي الشمس لأهل الجنة فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيضوئهم حسنها لأهل الجنة كاتفي الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم للتحابون في الله (٤) » . الآثار : قال طي رضي الله عنه عليكم بالإخوان فانهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع لي قول أهل النار - فالناس من ضافين ولا صدق حم - وقال عبده أن عمر رضي الله عنهما أقبل وصمت التهار لأفطره وقت الليل لأنامه وأتفتحت مالي غلقا غلقا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ماتتني ذلك شيئا . وقال ابن السكك عند موته اللهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطعك فأجبل ذلك قربة لي إليك . وقال الحسن علي بن ضنه يا ابن آدم لا يفرنك قول من يقول لله مع من أحب فانك لن تعلق الأبرار إلا بأعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه ما تهرب أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين بأي عمل عملته بأي شهوة تركتها بأي عيظ كظلمته بأي رحم قاطع وصلتها بأي زلة لأخيك غفرتها بأي قريب باعدته في الله بأي بعيد قاربته في الله . ويرى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال إلهي إني صليت لك وصمت وقصدت وزكيت فقال إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور فأني عمل عملت لي ؟ قال موسى إلهي دلي على عمل هوك قال يا موسى هل وائيت لي وليا قط وهل عانيت في عدوا قط فلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله . وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو أن رجلا قام بين الركن واللقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضي الله عنه مصارمة الناسق قربان إلى الله وقال رجل لمحمد بن واسع إنني لأحبك في الله فقال أحبك الذي أحببتني له ثم حول وجهه وقال اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض ودخل رجل

(١) حديث إن أحبك إلى الله الدين يآلقون ويؤلفون الحديث الطبراني في الأسط والصغير من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من التلج يقول اللهم كما ألفت بين التلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل والرباض بن سارية بسند ضعيف (٣) حديث ما أحدث عبد أخا في الله تعالى إلا أحدث الله له درجة في الجنة ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث للتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة الحديث الحكيم الترمذي في النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقوم من حتى يستأذنه » وإن نوى أن يقيم أياما وفي وقت سعة ولتفهم إلى البطالة وترك العمل تشوف يطلب خدمة يقوم بها وإن كان دائم العمل لربه فكفى بالعبادة شغلا لأن الخدمة لأهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط إلا باذن القدم فيه ولا يفسح شيئا دون أن يأخذ رأي فيه فهذه جمل أعمال يستمد بها الصوفية وأرباب الربط والله تعالى بفضلهم يزيدهم توفيقا وتاديبا .

[الباب التاسع عشر في حال الصوفي للتسبب]
اختلف أحوال الصوفية في الوقوف مع الأسباب والاعراض عن الأسباب فمن كان على التفرغ لا يركن

على داود الطائي قال له ما حاجتك ؟ فقال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل لي أنا إذا قيل لي من أنت فتزأر أمن الزهاد أنت لا والله أمن الصاد أنت لا والله أمن الصالحين أنت لا والله ثم أقبل يوحى نفسه ويقول كنت في الشبهة فاسقا فلما شئت صرت مرائيا والله للمرائي شر من الفاسق وقال عمر رضى الله عنه إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فلما يصيب ذلك وقال مجاهد للتحابون في الله إذا التقوا فكثروا بينهم إلى بعض تحتات عنهم الخطايا كما تحت ورق الشجر في الشتاء إذا يسى وقال الفضيل نظر الرجل إلى وجه أخيه على اللوعة والرحمة عبادة .

(بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا)

اعلم أن الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف النطاء عنه بما ذكره وهو أن الصحة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق كالصحة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع في السكنى أو في الدراسة أو في السوق أو على باب السلطان أو في الأسفار وإلى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذى نريد بيانه إذ الأخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة إذ لتوابع الإعلى الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها والصحة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فان غير المحبوب يجتنب ويواعد ولا يقصد مخالطته والذى يحب فلما أن يحب لذاته لا يتوصل به إلى محبوب ومقصود وراؤه وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود وذلك المقصود إما أن يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها وإما أن يكون متعلقا بالآخرة وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام . القسم الأول : وهو حبك الإنسان لذاته فلذلك يمكن وهو أن يكون في ذاته محبوبا عندك على معنى أنك تلتذ به برؤيته وممرقته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له فان كل جيل لذيذ في حق من أدرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة وللألفة والواقعة بين الطابع ثم ذلك المستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعنى حسن الخلقة وإما أن يكون هي الصورة الباطنة أعنى كمال العقل وحسن الأخلاق ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل للستقيم وكل مستحسن فستلذ به ومحبوب بل في اختلاف القلوب أمر أخفض من هذا فانه قد تستحكم الودة بين شخصين من غير ملاحاة في صورة ولا حسن في خلق وخلق ولكن مناسبة باطنة توجب الألفة والواقعة فان شبه الشيء يجذب إليه بالطبع والأشياء الباطنة خفية ولها أسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حيث قال « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » (١) فالتاكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناصب الذى عبر عنه بالتعارف وفي بعض الألفاظ « الأرواح جنود مجندة تلتقي فتتشام في الهواء » (٢) وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن الله تعالى خلق الأرواح فخلق بعضها فلما وأطافها حول العرش فأى زوجين من فقتين تعارفها هناك فالتقيتا واصلتا في الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أرواح المؤمنين يلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط » (٣) وروى « أن امرأة بمكة كانت تضعك النساء وكانت بالمدينة أخرى فزلت السكنة

(١) حديث الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف مسلم من حديث أبي هريرة البخارى تعليقا من حديث عائشة (٢) حديث الأرواح تلتقي فتتشام في الهواء الطبرانى في الأوسط بسند ضعيف من حديث على بن الأرواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتتشام الحديث .

(٣) حديث إن أرواح المؤمنين يلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط أحمد من حديث عبدة بن عمرو بلفظ تلتقي وقال أحمد وفيه ابن لهيعة عن دراج .

إلى معلوم ولا يتسببه بكسب ولا سؤا له ومنهم من كان يكتسب ومنهم من كان يسأل في وقت فاقته ولم يف كل ذلك أدب واحد يراعونه ولا يتعدونه وإذا كان الفقير يسوس نفسه بالعلم يأتيه الفهم من الله تعالى الذى يدخل فيه من سبب أو ترك سبب فلا يفتنى للفقير أن يسأل مهما أمكن فقد حث النبي عليه السلام على ترك السؤال بالترغيب والترهيب فأما الترغيب فاروى ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يضمن لى واحدة أمكفل له الجنة قال ثوبان قلت أنا قال لا سأل الناس شيئا فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله وينزلوه ويأخذها . وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قاله

على المدينة فدخلت على عائشة رضى الله عنها فأمنحكتها فقالت أين نزلت فذكرت لها صاحبها فقالت
 صدق الله ورسوله (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الأرواح جنود مجندة» الحديث
 والحق في هذا أن للشاهدة والتجربة تشهد للتألف عند التناصب والتناصب في الطباع والأخلاق
 باطنها وظاهرها أمر مفهوم . وأما الأسباب التي أوجبت تلك التناصفة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها
 وظاية هذين النجم أن يقول إذا كان طالع على تدبير طالع غيره أو تليته فهذا نظر الواظقة
 والودة تقتضي التناصب والتواد وإذا كان على مقابله أو تريسه اقتضى التباغض والعداوة فهذا
 لو صدق يكونه كذلك في مجرى سنة الله في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر
 من الإشكال في أصل التناصب فلا معنى للخصوص فيها لم يكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم إلا
 قليلا ويكتفى بالتصديق بذلك التجربة وللشاهدة فقد وردنا خبره قال صلى الله عليه وسلم «لو أن
 مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه (٢) وهذا يدل على أن شبه الشيء
 مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه (٣) وهذا يدل على أن شبه الشيء
 منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به . وكان مالك بن دينار يقول لا ينفع اثنان في عشرة
 إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا ينفع نوهان من الطير في
 الطيران إلا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فحب من ذلك فقال اخفا وليسا من
 شكل واحد ثم طارا فاذاهما أعرجان فقال من ههنا اخفا وكذلك قال بعض الحكماء : كل إنسان يأمن
 إلى شكله كأن كل طير يطير مع جنسه ، وإذا اصطبح اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد
 أن يفرقا ، وهذا معنى خفي تظن له الشعراء حتى قال قائلهم :

وقائل فكيف تفارقتما قتلتي قولاً فيه إنصاف
 لميك من شكلي ففارقته والناس أشكال وآلاف

قد ظهر من هذا أن الإنسان قد يجب لذاته لا فائدة تال منه في حال أو مال بل لجرد المجانسة
 والتناصفة في الطباع الباطنة والأخلاق الخفية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن المقصود
 قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة في عينها وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى
 الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح للشرب بالجمرة وإلى الماء الجاري والحضرة من غرض سوى
 عنها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن
 بالله إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموماً كحب الصورة الجميلة قضاء الشهوة حيث لا يعمل
 تضارها وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بمحمد ولا ذم إذ الحب إما محمود وإما
 مذموم وإما مباح لإحمد ولا يذم . القسم الثاني : أن يحبه لئال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة
 إلى محبوب غيره والوسيلة إلى الم محبوب محبوب وما يجب لغيره كان ذلك الغير هو الم محبوب بالحققة
 ولكن الطريق إلى الم محبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما إلا لإطعم
 ولا يلبس ولكنهما وسيلة إلى الم محبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث
 (١) حديث إن امرأة بمكة كانت تضعك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت للكية على المدينة

فدخلت على عائشة فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة الحسن بن سفيان في مسنده بالقصة بسند حسن
 وحديث عائشة عند البخاري تعليقا مختصرا دونها كالحديث (٢) حديث لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس
 وفيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على ابن
 مسعود وذكره صاحب الترمذ من حديث معاذ بن جبل ولم يخرجوه وهم في للسند .

رسول الله صلى الله
 عليه وسلم «لأن يأخذ
 أحدهم حبلا فيحطب
 على ظهره فيأكل
 ويتصدق خيره من
 أن يأتي رجلا فيسأله
 أعطاه أو منعه فإن
 اليد العليا خير من اليد
 السفلى» . أخبرنا
 الشيخ الصالح أبو زرعة
 طاهر بن أبي الفضل
 الحافظ للقدس قال
 أخبرني والذي قال أنا
 أبو محمد الصيرفي بغداد
 قال أنا أبو القاسم
 عبد الله بن محمد بن
 عبد العزيز قال شاعى
 ابن الجعد قال ثنا شعبة
 عن أبي حمزة قال سمعت
 هلال بن حسين قال :
 أتيت المدينة فنزلت دار
 أبي سعيد فضمني وإياه
 المجلس فحدث أنه
 أصبح ذات يوم وليس
 عندهم طعام فأصبح
 وقد عصب على بطنه
 حجرا من الجوع
 فقالت لي أمي أنت
 رسول الله صلى الله

إنه وسيلة إلى التصود إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه به أو جاهه ويجب خواصه لتحسين حاله عنده وتمهيد أمره في قلبه فالتوصل إليه إن كان مقصور القائمة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله وإن لم يكن مقصور القائمة على الدنيا ولكنه ليس بقصد به إلا الدنيا كحب التلذذ لأستانه فهو أيضا خارج عن الحب لله فانه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فحجبه العلم فإذا كان لا يقصد العلم للتقرب إلى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فحجبه الجاه والقبول والعلم وسيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله إذ يتصور كل ذلك بمن لا يؤمن بالله تعالى أصلا ثم ينقسم هذا أيضا إلى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال البناى وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذموما وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد التوصل إليه فانها تابعة له غير قاعة بنفسها . القسم الثالث : أن يحبه لآلئانه بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب أستاذه وحقه لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتشقق منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء ، إذ قال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدينى عظيما في ملكوت السماء ولا يمت التعليم إلا بتعلم فهو إذن آلة في تحصيل هذا الكمال فان أحبه لأنه آلة لا لإذعبل صدره مزرعة لخرته الذي هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم في ملكوت السماء فهو محب في الله بل الذي يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة الغرية تقربا إلى الله فأحب طباحا لحسن صنعه في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله بل يزيد على هذا ويقول إذا أحب من يغدمه بنفسه في غسل ثيابه وكسب بيته وطبخ طعامه ويقرع بذلك للعلم وأوال العمل ومقصوده من استخدامهم في هذه الأعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله بل يزيد عليه ويقول إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل والتقرب إلى الله فهو محب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفائهم جماعة من أولى التروة وكان الواسي والواسي جميعا من المتحابين في الله بل يزيد عليه ويقول من نسكح امرأة صالحة ليحصن بها عن وسواس الشيطان ويسون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجة ليها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الاتفاق على العيال حتى القصة يضمها الرجل في امراته ^(١) بل تقول كل من اشتهر بحب الله وحبه رضاء وحبه لقائه في الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محبا في الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئا إلا لمناسبتة لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل بل أزيد على هذا وأقول إذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد اللتان جميعا حتى صنع لأن يتوصل به إلى الله وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين في الله كمن يحب أستاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فأحبه من حيث إن في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسيلة إليهما فهو محب في الله وليس من شرط حبه الله أن لا يحب في العاجل

(١) حديث الأجر في الإفراق على العيال حتى القصة يضمها الرجل في امراته تقدم .

عليه وسلم فقد آتاه
فلان فأعطاه وآتاه
فلان فأعطاه قال فأئنته
وقلت الحمى شيئا
فذهبت أطلب فأثريت
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يخطب
ويقول ومن يستف
يعفه الله ومن يستغن
ينته الله ومن سألنا
شيئا فوجدناه أعطناه
واسيناه ومن استغف
عنه واستغنى فهو أحب
إلينا من سألنا قال
فرجعت ومأسأته
فرزقني الله تعالى حتى
ما أعلم أهل بيت من
الأصهار أكثر أموالا
منه وأما من حيث
الترهب والتعذر فقد
روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه
قال « لا تزال للشقة
بأحدكم حتى يلقى الله
وليس في وجهه مزرعة
لحم » وروى أبو هريرة
رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ليس
للسكين البقى ردة

حظاً ألبته إذ الداء الذي أمر به الأنبياء صلات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم - ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - وقال عيسى عليه السلام في دعائه : اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تؤسني صديق ولا تجعل مصيقي ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي فدفعت شناعة الأعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل ولا تجعل الدنيا أصلاً من همي بل قال لا تجعلها أكبر همي وقال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة ^(١) » وقال « اللهم عافني من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة ^(٢) » وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة منافياً لحب الله تعالى في السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون منافياً لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداهما أقرب من الأخرى فكيف يتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وإنما يحبها غدا لأن الغد سيصير حالاً راحة فالحالة الراحة لا بد أن تكون مطلوبة أيضاً إلا أن الحظوظ العاجلة منقسمة إلى ما يضاف حظوظ الآخرة وينع منها وهي التي احتز عنها الأنبياء والأولياء وأمروا بالاحتراز عنها وإلى ما يضاف وهي التي لم ينتعوا منها كالسكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك فما يضاف حظوظ الآخرة خلق العاقل أن يكرهه ولا يحبها أعني أن يكرهه ببقته لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيقه للملك من اللوك يعلم أنه لو أفسد عليه لقطعت يده أو حررت رقبته لا بمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهي بطبعه ولا يستلذه لو أكله فإن ذلك محال ولكن على معنى أنه يزرعه عقله عن الإقدام عليه وتحصل فيه كراهة الضرر للتعلق به والقصود من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويسلمه أو تلميذه لأنه يتعلم منه ويغفمه وأحدهما حظ عاجل والآخر آجل لكان في زمرة المتحابين في الله ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلاً أو تعذر عليه تحصيله منه لقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقد حبه لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس بمشكر أن يشتد حبه لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به فإن امتنع بعضها نقص حبه وإن زاد زاد الحب فليس حبه للذهب كحبك للفضة إذا تساوى مقدارها لأن الذهب يوصل إلى أغراض هي أكثر مما يوصل إليه الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتناع الأغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل في جملة الحب لله، وحده هو أن بكل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فذلك الزيادة من الحب في الله فذلك وإن دق فهو عزيز قال الجبري تعامل الناس في القرن الأول بالدين حتى رقق الدين وتماثروا في القرن الثاني بالوفا حتى ذهب الوفا وفي الثالث بالمرءة حتى ذهبت المرءة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة - القسم الرابع : أن يحب لله وفي الله لا لئلا يسهل عفا أو محلاً أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأعظمها وهذا القسم أيضاً يمكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولومن بعد فمن أحب إنساناً حباً شديداً أحب محب ذلك الإنسان وأحب محبوه وأحب من محبهم وأحب من يثق عليه محبوه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوه حتى قال بقية بن الوليد إن للؤمن إذا أحب المؤمن أحب كل به وهو كالمشهد للتحربة في أحوال المشاق وبدل عليه أثمان الشراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويحفظه تذكراً من حبه ومحبه منزله ومحله وجيرانه حتى قال مجنون بن عامر

(١) حديث اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الليل وقد تقدم (٢) حديث اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ، أحمد من حديث جبرين أبي أراطه نحوه بسند جيد .

الأكلة والأكلتان
والنمرة والنمرتان
ولكن المسكين الذي
لا يسأل الناس ولا
فطن بمكانه فيعطى
هذا هو حال الفقير
الصادق والتصوف
الحق لا يسأل الناس
شيئاً ومنهم من يلزم
الأدب حتى يؤديه إلى
حال يستحي من
الله تعالى أن يسأله
شيئاً من أمر الدنيا
حتى إذا همت النفس
بالسؤال تردده الحمية
ويرى الإقدام على
السؤال جراءة فيعطيه
الله تعالى عند ذلك
من غير سؤال كما نقل
عن إبراهيم الخليل
عليه السلام : أنه جاءه
جبريل وهو في الهواء
قبل أن يصل إلى النار
فقال هل لك من حاجة
فقال أما إليك فلا
فقال له قل ربك
فقال حسبي من سؤالي
عليه بحال وقد ينصف
عن مثل هذا فيسأل
الله عبودية ولا يرى

أمر على البيار ديار لى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب البيار شغفن قلبي ولكن حب من سكن البيارا

فإذن الشاهدة والتجربة تدل على أن الحب يتعدى من ذات المحبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه ولومن بعد ولكن ذلك من خاصة قرط المحبة فأصل المحبة لا يكتفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب إلى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة وقوتها وكذلك حب الله سبحانه وتعالى إذا قوى وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستنثار فيتعدى إلى كل موجود سواء فإن كل موجود سواء أثر من آثار قدرته ومن أحب إنسانا أحب صنمته وخطه وجميع أفعاله ولذلك كان ^{عليه السلام} إذا حمل إليه باكرة من القواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنه قريب العهد برئانه ^(١) وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجا في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة لمسانس من أياديه وصنوف نعمته وتارة لدانته للأمر آخر وهو أذق ضروب المحبة وأعلاها وسيأتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربيع النجيات إنشاء الله تعالى وكفما اتفق حب الله فاذل قوي تعدى إلى كل متعلق به ضرر ما من التعلق حتى يتعدى إلى ما هو في نفسه مؤلم ومكروه ولكن قرط الحب يضعف الإحساس بالألم والفرح بفعل المحبوب وقصد إياه بالإلزام بفرض إدراك الأمر ذلك كالفرح بضر بمن المحبوب أو فرصة فيها نوع معاناة فإن قوة المحبة تثير فرحا يضر إدراك الأمر فيموت قد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا لا تغرق بين البلاء والنعمة فإن السكل من الله ولا تفرح إلا بما فيه مناه حتى قال بعضهم لأريد أن أنال مغفرة الله بحسبة الله وقال حنون : وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبري

وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والقصد أن حب الله إذا قوى أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم أو عمل وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بأدب الشرع ومامن مؤمن محب للآخره ومحب لله إلا إذا أخبر عن حال رحلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق إلا وجد في نفسه ميل إلى العالم العابد ثم يضعف ذلك الليل ويثوى بحسب ضعف إيمانه وقوته ومحبة ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الميل هو حب في الله وقته من غير حظ فانه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضى عند الله تعالى ولأنه يحب الله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى لإلأنه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به ثواب ولا آخر فإذا قوى حمل على اللوالة والتصرة والذب بالنفس واللال واللسان وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب في الحال أو اللال لما تصور حب اللوق من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل ومن الأنبياء المقربين صلوات الله عليهم وسلامه وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بنضبه عند طعن أعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند اللقاء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله ومن أحب ملكا أو شخصاً جليلاً أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه إلا أنه يتمتع الحب بالمقابلة يحفظ لفظ النفس وقد يلبس بحيث لا يقي للنفس حظ إلا في ما هو حظ المحبوب وعنه غير قول من قال :

أريد وصاله ويريد هجرى فأتارك ما أريد لما يريد

(١) حديث كان إذا حمل إليه باكرة من القواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنها قريب عهد برئها الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ، وأبو داود في الراسيل والبيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة دون قوله وأكرمها الخ وقال إنه غير محفوظ وحديث أبي هريرة في الباء كورة عندي أصحاب السنن دون مسح عينيه بها وما بهد وقال الترمذي حسن صحيح .

سؤال الخلق فيسوق
الله تعالى إليه القسم
من غير سؤال مخلوق.
لفنا عن بعض
الصالحين أنه كان
يقول : إذا وجد الفقير
نفسه مطالبة بشيء
لتأخو تلك المطالبة
إما أن تكون لرزق
يزيد الله أن يسوقه
إليه فتنبه النفس
له قد تتطلع نفوس
بعض الفقراء إلى
ما سوف يحدث ركانها
تخبر بما يكون وإما
أن يكون ذلك عقوبة
لذنب وجد منه فإذا
وجد الفقير ذلك
وألحت النفس بالمطالبة
فليقم وليسبح الوضوء
ويصدر كنهين ويقول:
يا رب إن كانت هذه
للمطالبة عقوبة ذنب
فأستغفرك وأتوب
إليك وإن كانت
لرزق قدرته في فضل
وصوله إلى فإن الله
تعالى يسوقه إليه إن
كان رزقه والإلتصاف
المطالبة من باطنه

وقول من قال • وما لرج إذا أراضكم ألم • وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الخطوط دون بعض
 كمن تسمح نفسه بأن يساطر محبوبه في نصف ماله أو في ثلثه أو في عشرة فقادر الأموال الموازين الحبة
 إذ لا تصرف درجة المحبوب إلا بمحسوب يترك في مقابلته فن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب
 سواء فلا يملك لنفسه شيئا مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فسلم
 ابنته التي هي مرة عينه وبذل جميع ماله ، قال ابن عمر رضي الله عنهما • بيننا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم جالس وعند أبي بكر وعليه عبادة قد دخلها على صدره فخلل إذ نزل جبريل عليه السلام فأقرأه
 عن الله السلام وقال له يا رسول الله مالي أرى أبا بكر عليه عبادة قد دخلها على صدره فخلل فقال أنفق ماله
 على قبل الفتح قال فأقرأه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عني في قترك هذا أم
 ساخط ؟ قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من
 الله ويقول أراض أنت عني في قترك هذا أم ساخط قال فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال أظن ربي
 أسخط أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض ^(١) . لحصل من هذا أن كل من أحب عالما أو عبدا
 أو أحب شخصا رافعا في علم أو في عبادة أو في خير فالعالم أحبه في الله وله فيه من الأجر والثواب
 بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وهذا يتضح البغض في الله أيضا ولكن زبده يانا .

(بيان البغض في الله)

اعلم أن كل من يحب في الله لابد أن يبغض في الله فانك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ومحبوب
 عند الله فانه عساه فلا بد أن تبغضه لأنه عاصي لله ومقوت عند الله ومن أحب بسبب القصور في البغض
 لضده وهذا من تلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو معطر في الحب والبغض في العادات ولكن كل
 واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أعمال المحبين
 والبغضين في القارة واللبادة وفي الحالطة والواقعة فإذا ظهر في الفعل سمى موالاة ومعادة ولذلك قال
 الله تعالى : هل واليت في وليا وهل عادت في عدوا كما قلناه ، وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا
 طاعته تغدر على أن تحبه أو لم يظهر لك إلا فسقه وجوره وأخلاه السيئة فتغدر على أن تبغضه وإنما للشكل
 إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض
 محبتكما من الواقعة والمحالفة والموالة والمعادة فأقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض
 في الخطوط البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تحبه من
 وجه وتبغضه من وجه فمن له زوجة حسنة فاجرة أو ولد ذكي خديم ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه
 ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار والآخر بليد
 عاق والآخر بليد بار أو ذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم
 فكذلك ينبغي أن تكون حالك بالاضافة إلى من غلب عليه القصور ومن غلبت عليه الطاعة ومن
 اجتمع فيه كلاهما متفاوتة في ثلاث مراتب وذلك بأن تغطي كل صفة حظها من البغض والمحبة والإعراض
 والاقبال والصحة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منه . فان قلت فكل مسلم فإسلامه طاعة منه
 فكيف أبغضه مع الاسلام . فأقول تحبه لاسلامه وتبغضه لمصيته وتكون معه على حالة لو قسما حال
 كافر أو فاجر أدركت خفة بينهما وتلك الثفرقة حب الاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله

(١) حديث ابن عمر بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعند أبي بكر وعليه عبادة قد دخلها على
 صدره فخلل فقرأ جبريل فأقرأه من ربه السلام الحديث ابن حبان والمقبلي في الضعفاء قال الذهبي
 في التزيان هو كذب .

فشان القبر أن ينزل
 جوارحه بالحق فاما
 أن يرزقه الله أو الصبر
 أو يذهب ذلك عن
 قلبه فله سبحانه
 وتعالى أبواب من
 طريق الحكمة وأبواب
 من طريق القدرة
 فان فتح بابا من طريق
 الحكمة وإلا يفتح
 بابا من طريق القدرة
 ويأتيه الشيء بغرق
 العادة كما كان يأتي
 مريم عليها السلام - كما
 دخل عليها زكريا
 المهراب وجد عندها
 رزقا قال يا صرمتي إلى لك
 هذا قالت هو من عند
 الله - حكى عن بعض
 الفقهاء قال جئت ذات
 يوم وكان حالي أن
 لأسأل فدخلت بعض
 المجال يشهد عجزا
 متعرضا لعل الله تعالى
 يفتح لي على يد بعض
 عباده شيئا فلم يقدر
 ففست جامعا فأتيت
 في منامي فقال لي اذهب
 إلى موضع كذا وعين
 الوضع ثم خرقه زرقة

والطاعة له كالجنابة على حقه والطاعة لك فمن واهلك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين الأقبال والاعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه ولاتباع في إكرامه مبالفتك في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ولاتباع في إهاتته مبالفتك في إهاتته من خالفك في جميع أغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجنابة وتارة إلى طرف المجاملة والأكرام عند غلبة الواقعة فهكذا ينبغي أن يكون فيمن يطبع الله تعالى وبصيه ويعرض لرضاه مرة ولستخفه أخرى . فان قلت فإذا يمكن إظهار البغض فأقول أما في القول فبكتف اللسان عن مكنته ومخافته وبالاستخفاف والتخليط في القول أخرى وأما في الفعل فيقطع السعي في إهاتته مرة وبالسعي في إهاتته وإفساد مآربه أخرى وبعض هذا أشد من بعض وهي بحسب درجات الفسق واللصية الصادرة منه . أما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم أنه متقدم عليها ولا يصير عليها فالأولى فيه السر والإغماض . أما ما أصغر عليه من صغيرة أو كبيرة فان كان عن تأكدت بينك وبينه مودة ومحبة وأخوة فله حكم آخر وسياق وفيه خلاف بين العلماء . وأما إذا لم تتأكد أخوة ومحبة فلا بد من إظهار أثر البغض إمامي الاعراض والتباعد عنه وفيه الالتفات إليه وإمامي الاستخفاف وتخليط القول عليه وهذا أشد من الاعراض وهو بحسب غلظ اللصية وخفتها وكذلك في الفعل أيضا رتبتان إحداها قطع للمونة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات والأخرى السعي في إفساد أغراضه عليه كعمل الأعداء للبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيها يفسد عليه طريق للصية أما ما لا يؤثر فيه فلا ، مثاله رجل عصى الله يشرب الخمر وقد خطب امرأته لتيسر له نكاحها لكان مضبوطا بها بالمال والجمال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر في منته من شرب الخمر ولا في بث وتعرض عليه فإذا قدرت على إهاتته لئيم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليقوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه أما الإهانة فلوتركتها إظهارا للفتن عليه في فسقه فلا بأس وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية في أن تتلطف بأهاتته وإظهار الشفقة عليه ليعتد مودتك ويقل نصحتك فهذا حسن وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن يتعنه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الأحسن إن كانت معصيته بالجنابة على حقه أو حق من يملك بك وفيه زل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة - إلى قوله تعالى - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - إذ تكلم مسطح بن أثانة في واقعة الإفك^(١) خلف أبو بكر أن يقطع عنه رقه وقد كان يواسيه بالمال فزلت الآية مع عظم معصية مسطح وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطالة اللسان في مثل عاتقة رضى الله عنها إلا أن الصديق رضى الله عنه كان كالجنى عليه في نفسه بتلك الواقعة والفسو عن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك فأما من ظلم فترك وعصى الله به فلا يحسن الإحسان إليه لأن في الإحسان إلى الظالم إساءة إلى الظالم وحق للظالم أولى بالمرعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم أحب إلى الله من تقوية قلبه بالظالم فأما إذا كنت أمنت للظالم فالأحسن في حقه العفو والصنيع . وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل الماصي وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة وللبتة وكل من عصى الله بمعصية متعدي منه إلى غيره فأما من عصى الله في نفسه فهم من نظر بين الرحمة إلى العاة كلهم . ومنهم من حدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكارب في أدنى كلفه حتى هجر يحيى بن معين لقوله إنى لأسأل أحدا شيئا ولو عمل السلطان إلى شيئا لأخذته ، وهجر الحرث

(١) حديث كلام مسطح في الإفك وهجر أبي بكر له حتى زلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية متفق عليه من حديث عائشة .

فيها قطيعات أخرجه
في مصالحك فمن تجرد
عن المحلوقين وتفرّد
بالله فقد تفرّد بفى
قادر لا يعجزه شيء
يفتح عليه من أبواب
الحكمة والقدرة
كيف شاء وأولى من
سأل نفسه يسألها العبر
الجليل فان الصادق
تجيبه نفسه . وحكى
شيخنا رحمه الله تعالى
أن ولده جاء إليه
ذات يوم وقاله أريد
حبة قال قلت له
ما فعل بالحبة فذكر
شهوة يشتريها بالحبة
ثم قال عن ذلك اذهب
واستقرض الحبة قال
قلت نعم استقرضها
من نفسك فهي أولى
من أقرض . وقد نظم
بضم هذا للمنى
قَالَ :

إن شئت أن تستقرض
المال منك
على شبوات النفس في
زمن العسر
فلس تشك الاضاق
من كنز صبرها

الحاسبي في تصديقه في الرد على المعتزلة وقال إنك لا بد تورده أولا شبهتهم وتحمل الناس على التفسر فيها ثم ترد عليهم ، وهجر أبو ثور في تأويله قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته » (١) وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطراب الخلق ومجربهم وأنهم مسخرون لما قدوروا له أورش هذا تساهلا في العادة والبعض وله وجه ولكن قد تلتبس به للداهنة فأكثر البواعث على الأعضاء عن اللصاحي للداهنة ومراعاة القلوب والحرف من وحشتها وقارها وقديس الشيطان ذلك على النبي الأحمق بأنه ينظر بين الرحمة وعك ذلك أن ينظر إليه بين الرحمة إن جرى على خاص حقه ويقول إنه قد سخره والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعل وقد كتب عليه قتل هذا قد تصح له نية في الإغماض عن الجناية على حق الله وإن كان يتناظر عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهذا مذهب مغرور بمكيدة من مكاييد الشيطان فليتنبهه . فإن قلت فأقل الدرجات في إظهار البض المجرع والأعراض وقطع الرق والاعانة فهل يجب ذلك حق يسمى بالمبدركة . فأقول لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والإيجاب فانا نعلم أن الدين شربوا المحرم وتناولوا الفواحش في زمان رسول الله ﷺ والصحابة ما كانوا يهجون بالكلية بل كانوا متسمين فيهم : إلى من ينظر القول عليه ويظهر البغض له ، وإلى من يرض عنه ولا يترضه ، وإلى من ينظر إليه بين الرحمة ولا يؤثر القاطعة والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يتبعه حاله ووقته ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فتكون في رتبة الفضائل ولا تنتهي إلى التحريم والإيجاب فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا يمتد من المجهوب إلى غيره وإنما التمدد إفراط الحب واستبلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى وتحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلا .

(بيان مراتب الدين يفضون في الله وكيفية معاملتهم)

فإن قلت إظهار البغض والعداوة بالقول إن لم يكن واجبا فلا حاشية أنه مندوب إليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا . فأقول أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يغلو إما أن يكون مخالفا في عقده أو في عمله والمخالف في العقيد إما مبتدع أو كافر والمبتدع إما دافع إلى بدته أو ساكت والساكت إما بجزءه أو باختياره فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة الأول : الكفر فالكافر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والارفاق وليس بمذهبن إهانة وأما الذي فانه لا يجوز إيذاؤه إلا بالأعراض عنه والتحقير به بالاضطرار إلى أضيق الطرق وبترك القاطعة بالسلام فإذا قال السلام عليك فقدت عليك والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته وأما الانسياط معه والامتثال إليه كما يسترس إلى الأصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد يتسمى ما يقوى منها إلى حد التحريم قال الله تعالى - لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم - الآية ، وقال ﷺ « السالم وللشرك لا تراها آتى نارها » (٢) وقال عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء - الآية . الثاني المبتدع الذي يدعو إلى بدته فإن كانت البدعة بحيث يكثر بها فأمره أشد من الذي لأنه لا يجر مجزة ويسمح بقدر ذمة وإن كان ممن لا يكثر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لأعانة ولكن الأمر في الانكار عليه أشد منه

(١) حديث إن الله خلق آدم على صورته مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث المؤمن وللشرك لا تراها آتى نارها أبو داود والترمذي من حديث جرير أنا يحيى بن مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يا رسول الله ولم ؟ قال لا تراها آتى نارها ورواه النسائي ومرسلا وقال البخاري الصحيح أنه مرسل .

عليك وإرفاقا إلى

زمن اليسر

فإن قلت كنت النقي

وإن أبت

فكل منوع بعدها

واسع القدر

فاذا استغنى الفقير

الجهل من نفسه

وأشرف على الضعف

وتحققت الضرورة

وسأل مولاه ولم يقدر

له بشيء ووقته يضيئ

عن السكب من شغله

بحاله فتد ذلك يقرع

باب السبب ويسأل

قد كان الصالحون

يفعلون ذلك عند

فاتهم . قل عن أبي

سعيد الحراز أنه كان

يعد يده عند القاطعة

ويقول : ثم شيء لله .

وقل عن أبي جعفر

الحمداد وكان أستاذا

للعبد أنه كان يخرج

بين المشايخ ويسأل

من باب أو يبين

ويكون ذلك معلومه

على قدر الحاجة بعد

يوم أو يومين . وقيل

عن إبراهيم بن آدم

على الكافر لأن شر الكافر غير متدد فان المسلمين اعتقدوا بكفره فلا يلتفتون إلى قوله لا يذيع
 لنفسه الاسلام واعتقاد الحق . أما البدع التي يدعو إلى البدعة ويزعم أن ما يدعو إليه حق فهو
 سبب لغواية الخلق فشره متدد فالاستجاب في إظهار بضه ورماداته والاقطاع عنه وتخثيره والتشجيع
 عليه يدعته وتغير الناس عنه أشد وإن سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وإن عدت أن الأعراض
 عنه والسكوت عن جوابه يقيح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب أولى لأن جواب السلام
 وإن كان واجبا فيسقط بأدنى غرض فيمصاحبة حتى يسقط بكون الانسان في الحمام وفي قضاء حاجته
 وعرض الزجر أهم من هذه الأعراض وإن كان في ملا ترك الجواب أولى تنفيرا للناس عنه وتضييحا
 لبدعته في أعينهم وكذلك الأولى كلف الاحسان إليه والاعانة له لاسيما فيما يظهر للخلق قال عليه
 السلام « من أشر صاحب بدعة ملائكة قلبه أمنا وإيماننا ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم
 الأكر من الآن له وأكرمه ألقبه يشر قد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ » الثالث :
 البدع المعاصي التي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الانتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يبايع بالتخليط
 والاهانة بل يتلفظ به في الصبح فان قلوب العوام سريعة القلب فان لم ينفع الصبح وكان في الأعراض
 عنه تضييح لبدعته في عينه تأكد الاستجاب في الأعراض وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجود طبعه
 وروسخ عقده في قلبه فالأعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تضييحها شاعت بين الخلق وعم
 سادها . وأما المعاصي فبطل وعمله لا باعتقاده فلا يغلو إما أن يكون بحيث يتأدى به غيره كالغلم
 والقصب وشهادة الزور والفتية والضرب بين الناس والشئ بالجملة وأمثاله أو كان مما لا يقتصر
 عليه ويؤدي غيره وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال
 والنساء وبهي أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره إلى فعله كالذي يشرب ويرزى وهذا
 الذي لا يدعو غيره إما أن يكون عصيانه كبيرة أو صغيرة وكل واحد فلما أن يكون مصرا عليه
 أو غير مصر فهذه التضييحات تحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبضها أشد من بعض
 ولا تنسك بالكل مسلكا واحدا . القسم الأول : وهو أشدها ما يضر به الناس كالعلم والقصب وشهادة
 الزور والفتية والحكمة فهؤلاء الأولى الأعراض عنهم وترك مخالطتهم والابتياض عن معاملتهم لأن
 العصية شديدة فما يرجع إلى إيذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم في الدماء وإلى من يظلم في
 الأموال وإلى من يظلم في الأعراض وبعضهم أشد من بعض فالاستجاب في إهانتهم والأعراض عنهم
 مؤكد جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجرا لهم أولتهم كان الأمر فيه أشد وأشد . الثاني :
 صاحب الماخور الذي بهي أسباب الفساد ويسهل طرقة على الخلق فهذا لا يؤدي الخلق في دنياهم ولكن
 يختلس فبطه دنهم وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه فان العصية بين
 العبد وبين الله تعالى إلى الفوق أقرب ولكن من حيث إنه تمتد على الجملة إلى غيره فهو شديد وهذا
 أيضا يقتضي الاهانة والأعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعا من الزجر له ألقبه .
 الثالث : الذي يفسق في نفسه بغير شر أو ترك واجب أو مقارفة محظور غصه فالأمر فيه أخف ولكنه
 في وقت مباشرته أن صودف يجب منه بما يتنجس به منه ولو بالضرب والاستخفاف فان الته عن التكر
 واجب وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه بمنه عن المود إليه
 وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو الأفضل النصح والزجر بالتلفظ أو بالتخليط إن كان

(١) حديث من أشر صاحب بدعة ملائكة قلبه أمنا وإيماننا ، الحديث أبو نعيم في الحلية والمروى
 في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

أنه كان معسكفا بجامع
 البصرة مدة وكان
 يظفر في كل ثلاث
 ليال ليلة وإفطاره
 يطلب من الأبواب
 ونقل عن سفيان
 الثوري أنه كان يسافر
 من الحجاز إلى صنعاء
 الجبلين ويسأل في
 الطريق وقال كنت
 أذكر لهم حديثا في
 الضيافة فيقدم على الطعام
 فأقول حاجتي وأترك
 ما بيقي . وقد ورد من
 جاع ولم يسأل فبانت
 دخل النار ومن عنده
 علم وله مع الله حال
 لا يبالي بمثل هذا بل
 يسأل بالعلم وبالحكمة
 عن السؤال بالعلم . وحكي
 بعض مشايخنا عن
 شخص كان مصرا على
 المعاصي ثم اتقى وتاب
 وحسن توبته وصار
 له حال مع الله تعالى قال :
 عزمت أن أحج مع
 القافلة ونويت أن
 لا أسأل أحدا شيئا
 وأكتفي بسم الله بحالي
 قال فبقيت أياما في

هو الأقنع فأما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن النصيح ليس ينفع فهذا فيه نظر وسير الطاء فيه مختلفة والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الأعمال بالنيات إذ في الرفق والنظر بين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والإعراض نوع من الزجر والسيف في القلب فما يراه أميل إلى هواء ومتقضى طبعه فالأولى منه إذ قد يكون استخفافه وعنه عن كبر وهجب والتذاد باظهار علو والادلال بالصالح وقد يكون رفقته عن مداخنة واستقالة قلب الوصول به إلى غرض أو خوف من تأثير وحشته وخرته في جأه أو حال بظن قريب أو بعيد وكل ذلك مبرر على إشارات الشيطان ويبدع على أعمال أهل الآخرة فكل راغب في أحمال الدين عتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال والقلب هو اللقي فيه وقد يصيب الحق في اجتنبه وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواء وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الضرور ظان أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة وسياق بيان هذه الدقائق في كتاب الضرور من ربيع الهلكت ، ويدل على تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين البعد وبين الله ماروي أن شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يهود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يشرب فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عوناً للشيطان على أخيك » (١) أو لفظاً هذا معناه وكأن هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتفريط .

(بيان الصفات للشرولة فيمن تخار محبته)

اعلم أنه لا يصلح للصحة كل إنسان قال صلى الله عليه وسلم « للره على دين خليله فلينظر أحدكم من محال » (٢) ولا بد أن يتميز بحال وصفات يرغب بسببها في محبته وتشرط تلك الحاصل بحسب الفوائد المطلوبة من الصحة إذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول إلى المقصود فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط ويطلب من الصحة فوائد دينية ودنيوية أما الدنيوية فكالاستغناء بالمال أو الجاه أو مجرد الاستغناء بالمجاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا. وأما الدينية فيجتمع فيها أيضاً أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه فخصنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها الاستفادة للمال لا كغناء به عن تصحيح الأوقات في طلب القوت ومنها الاستفادة في المهام فيكون عدة في الصائب وقوة في الأحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فطلك تدخل في شفاعة أخيك وروى في غريب التفسير في قوله تعالى - ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله - قال يشتمهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال إذا غفر الله للعبد دفع في إخوانه ولذلك حدث جماعة من السلف على الصبحوا الألقوا الخاططة وكرهوا المزلة والافراد فيه فوائده تستدعي كل فائدة شرعاً لا تحصل إلا بها ونحن نصلها أما على الجلة فينبغي أن يكون فيمن تؤثر محبته خمس خصال أن يكون عاقلاً حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا . أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل فلا خير في محبة الأحق فالى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طالت قاله رضي الله عنه :

فلا تصحب أبا الجبل وإليك وإياه فكمن من جاهل أردى حلياً حين آخاه
يقاس السر بالره إذا ما للره ماشاه وقضى من الشيء مقاييس وأقباه
ولقلب على القلب دليل حين يلقاه

(١) حديث إن شارب خمر ضرب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لا تكن عوناً للشيطان على أخيك البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث للره على دين خليله الحديث أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح إن شاء الله .

الطريق فتفتح الله على
الماء والزاد في وقت
الحاجة ثم وقف الأمر
ولم يفتح الله على شيء
بغت وعطشت حتى
لم يبق لي طاقة ضعفت
عن الشيء وبقيت أنا خير
عن القافلة قليلاً قليلاً
حتى مرت القافلة فقلت
في نفسي هذا الآن
من إلقاء النفس إلى
الهلكة وقد منع الله
من ذلك وهذه مسألة
الاضطرار أسأل فلما
همت بالسؤال انبث
من باطن إنكار لهذه
الحال وقالت عزيمة
عقدتها مع الله لأعصها
وهان على الموت دون
نقص عزمي قصدت
شجرة ونصبت في
ظلمي وطرحت رأسي
استطرحاً للموت
وذهبت القافلة فبينما
أنا كذلك إذ جاءني
شاب متمسك بسيف
وحركني فتمت وفي
يده أداة فيها ماء
فقال لي اشرب فشربت
ثم قدم لي طعاماً وقال

كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر :

إني لأمن من عدو عاقل وأخاف خلا يستره جنون
فالقل فن واحد وطريقه أدري فأرصد والجنون فنون

ولذلك قبل مقابلة الأحمق قربان إلى الله . وقال الثوري : النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكتوبة ونعي بالعقل الذي يفهم الأمور هي ماعى عليه إيمان نفسه وإما إذا فهم . وأما حسن الحلق فلا بد منه إذا رب عاقل يدرك الأشياء على ماعى عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو غلج أوجب أن أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده ليجزه عن قهر صفاته وتقوم أخلاقه فلا خير في محبته . وأما القاسق للصبر على الفسق فلا فائدة في محبته لأن من يخاف الله لا يصبر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا يؤمن بالله فالتة ولا يوفق بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض وقال تعالى - ولا تطلع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وتابع هواه - وقال تعالى - فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها وتابع هواه - وأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وقال - وتابع سبيل من أناب إلى - وفي مفهوم ذلك زجر عن القاسق . وأما المتدع في محبته خطر سراية البدعة وتعدى شوها إلى ما لا يتدع مستحق للهجر والمقابلة فيكيف تؤثر محبته وقد قال عمر رضى الله عنه في الحث على طلب الدين في الصديق فيما رواه سعيد بن السبب قال : عليك باخوان الصديق تمشي في أكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يبيحك ما يبيحك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على شرك واستشر في أمرك الذين غشون الله تعالى . وأما حسن الحلق فقد جمعه عقلمة المطاردى في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال : يا بني إذا عرضت لك إلى محبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وإن محبته زانك وإن قصبك مؤنة مانك ، اصحب من إذا مددت يدك بغير مدنها وإن رأى منك حسنة عدوها وإن رأى سيئة سدها ، اصحب من إذا سأته أعطاك وإن سكت ابتدأك وإن زلت بك نازلة واسأله اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولنا أمرا أمرك وإن تنازعنا آثرنا فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصعبة وشروط أن يكون قائما بجميعها . قال ابن أكرم قال المأمون فابن هذا قليله أتدري لم أوصاه بذلك قال لا قال لأنه أراد أن لا يصحب أحدا . وقال بعض الأدباء لا تصحب من الناس إلا من يكتم سره ويستر عيبك فيكون معك في الثواب ويؤثرك بالרגائب وينثر حسنتك ويطوى سبيلك فان لم تجده فلا تصحب إلا نفسك ، وقال طى رضى الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفك
ومن إذا رب زمان صدعك شئت فيه فمهله ليجمعك

وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تعلم منه شيئا من أمر دينك فينفك أو رجل تعلمه شيئا من أمر دينة فيقبل منك والثالث فاهرب منه ، وقال بعضهم : الناس أربعة فواحد حلو كله فلا يشعب منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حوصة غلذ من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملحوة غلذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : لا تصحب خمسة الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويصدك منك القريب ، والأحمق فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك ، والبخل فانه يقطع بك أحوج ماتكون إليه ، والجبان فانه يسلك ويغر عند الشدة ، والفاسق فانه يبيعك بأكله أو أكلتها بقبل واما أكلها قال الطمع فيها ثم لا ياتلها . وقال الجندل أن يصحبنى فاسق حسن الحلق أحب إلى من أن يصحبنى قارى

كل فأكلت ثم قال لي
أريد القافلة قلت من
لى بالقافلة وقد عبرت
قَالَ لي ثم وأخذ
يسدى ومضى معى
خطوات ثم قال لي
اجلس فاقافلة إليك
نجمي خلست ساعة
فاذا أنا بالقافلة ورأى
متوجهة إلى ، هذا شأن
من يامل مولا
بالصدق وذكر
الشيخ أبو طالب السكى
رحمه الله أن بعض
الصوفية أول قول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « أهل ما أكل
المؤمن من كسب يده »
بأنه السألة عند القافة
وأشكر الشيخ
أبو طالب هذا التأويل
من هذا الصوفى وذكر
أن جعفر الحنفى كان
يحكى هذا التأويل عن
شيخ من شيوخ
الصوفية ووقع لى والله
أعلم أن الشيخ الصوفى
لم يرد بكسب اليد
ما أنكر الشيخ
أبو طالب منه وإنما

سبي الخلق ، وقال ابن أبي الحواري قال لي أستاذي أبو سليمان يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين رجلا تزفك به في أمر دينك أو رجلا تريد معه وتتفك به في أمر آخرتك والاشتغال بغير هذين حق كبير . وقال سهل بن عبد الله : اجتنب محبة ثلاثة من أصناف الناس الجارية العاقلين والقراء للذهابين والنصوفة الجاهلين . وإعلم أن هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصعبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس ما يشترط للصعبة في مقاصد الدنيا مشروطا للصعبة في الآخرة والأخوة كما قاله جبر . الاخوان ثلاثة : أخ لأخوتك وأخ لدينك وأخ لتأنيس به . ولقد اجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فبهم لاهعالة ، وقد قال للأموون الاخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل النقاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ولكن البعد قد يبتلى به وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع ، وقد قيل مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات فيها ماله ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فان تقع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ماله ثمر وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ماله ثمر وظل جميعا ومنها ما ليس له واحد منهما كأم عيلان تمرق الثياب ولا تعلم فيها ولا شراب ومثله من الحيوانات الفأرة والعقرب كما قال تعالى - يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى وبئس العشير - وقال الشاعر :

الناس شق إذا ما أنت ذقتهم لا يستون كما لا يستوى الشجر
هكذا له ثمر حلو مذاقته وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فاذا لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالوحدة أولى به . قال أبو بكر رضي الله عنه الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة وروى مرفوعا . وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى - واتبع سبيل من أتى إلى - ولأن مشاهدة الفسق والتساق تهنو أمر العصية على القلب وبطل نفرة القلب عنها . قال سعيد بن المسيب : لا تنظروا إلى الظلة تحبط أعمالكم الصالحة بل هؤلاء لاسلامه في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم . قال الله تعالى - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - أي سلامة والألف بدل من الهاء ومعناه إنا سلمنا من إعنكم وأتم سلمتم من شرنا ، فهذا ما أردنا أن نذكره من معاني الأخوة وشروطها وفوائدها ، فلنرجع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقوقها ، وأما الحرص على الدنيا فصعب سم قاتل لأن الطبع مجبولة على التشبه والاتقاء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه ، فجبالسة الحرص على الدنيا تمحرك الحرص وجبالسة الزاهد تزهد في الدنيا فذلك تكره محبة طلاب الدنيا ويستحب محبة الراغبين في الآخرة . قال علي عليه السلام : أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحي منه . وقال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أوفى في بلية الإحصية من لأحتشمه . وقال لقمان : يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فان القلوب تنحيا بالحكمة كما تحيا الأرض للينة بوابل القطر .

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصعبة)

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها فيما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح فكذلك عقد الأخوة . فلا تخيب عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب والنفوس والعطاء بالأخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يحجمه ثمانية حقوق :

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصعبة)

أراد بكسب الودفها إلى الله تعالى عند الحاجة فهو من أهل ما يأكله إذا أجاب الله سؤاله وساق إليه رزقه وقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام - رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير - قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال ذلك وإن خضرة البقل تراهي في بطنه من الهزال ، وقال عبد الباقر رحمه الله قالوا وإنه يحتاج إلى شق تمره وروى عن مطرف أنه قال : أما أولوكان عند نبي الله صلى الله عليه وآله ما اتبع للرأ ولكن حمله على ذلك المجد وذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي عن النضر ابداي أنه قال في قوله - إني لما أنزلت إلي من خير فقير - لم يسأل الكليم الخلق وإنما كان سؤاله من الحق ولم يسأل غداء النفس إنما أراد

(الحق الأول في المال)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل الأخوين مثل الدين تسفل إحداهما الأخرى^(١)» وإعما شبههما بالدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الإخوان إعما تم أخوتهما إذا تراضيا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضى السامعة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار . وللإسوة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو أخادمتك تقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا سئمت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم توجهه إلى السؤال فإن أوجبه إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة . الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بشاركتك إياك في مالك وتنزله منزلك حتى تسمح بمشاعرتك في المال . قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه . الثالثة : وهي العليا أن تؤثر على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات التعابين ومن ثمار هذه الرتبة الإتيان بالنفس أيضا كما روى أنه نسي جماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النوري فبادر إلى السيف ليكون هو أول مقتول قليله في ذلك فقال أحببت أن أوثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجات جميعهم في حكاية طويلة فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينقد بعد في الباطن وإعما الجارى بينكما غشاة رمية لا وقع لها في العقل والدين ، فقد قال ميعون بن مهران : من رضى من الإخوان بترك الأضال فلأوع أهل القبور . وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين ، روى أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد أخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال أثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعى الأخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة يبنى أن لاتعامله في الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دينك وإعما أراد به من كان في هذه الرتبة . وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى للمؤمنين بها في قوله - وأمرهم شورى بينهم وبها رزقناهم ينفقون - أى كانوا خطاه في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصبح من قال تعالى لأنه أضافه إلى نفسه وجاء فتح الوصول إلى منزل لأخيه وكان غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاه فقال إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورا بما فعل ، وجاء رجل إلى أبي هريرة رضى الله عنه وقال إني أريد أن أواخيك في الله فقال أندري ما حق الإخاء قال عرفني قال أن لاتسكون أحق بدينارك ودرهمك مني قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال لي عن الحسين رضى الله عنه لما رجل هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو يكسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه قال لا قال فسلمت يا أخا و دخل قوم لي الحسن رضى الله عنه فقالوا يا أبا سعيد أصليت قال نعم قالوا فإن أهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق يلفني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم قاله كالتجسس به وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال إني أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم على أن أكون أملك لشيتك منك قال لا قال أهبني صدقتك . قال فكان إبراهيم بن آدم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخافه وكان لا يصحب إلا من يوافق ، وصحبه رجل شركا فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض النازل قصعة من ثريد ففتح جراب رقيقه وأخذ حزمة من شركا وجعلها في القصعة وردها إلى صاحب الهدية فلما جاء رقيقه قال إن الشركاء قال ذلك التريد الذي أكلته إيش كان قال كنت تطعمه شركا كبن أو ثلاثة قال أصعب بسحق لك

(١) حديث مثل الأخوين مثل الدين الحديث ختم في الباب قبله .

سكون القلب . وقال أبو سعيد الخزاز الحلقا مترددون بين ما لهم وبين ما ليس لهم من نظر إلى ماله تكلم بلسان الفقر ومن شاهد ما إليه تكلم بلسان الجلاء والفقر الأثرى حال السكيم عليه السلام لما شاهد خواص ما خاطبه به الحق كيف قال : أرى أنظر إليك . ولما نظر إلى نفسه كيف أظهر الفقر وقال : إني لما أنزلت إلى من خير فقير . وقال ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية غشع وخضع وتكلم بلسان الاقتدار بما ورد على سره من الأنوار اقتدار الصب إلى مولاه في جميع أحواله لا اقتدار سؤال وطلب . وقال الحسين : قصير لما خصصني من علم اليقين أن ترقيني إلى عين اليقين وحسن موقع والله أعلم بقوله لما أنزلت

وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير إذنه رجلا رآه رجلا جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال أخى فلان أوحج مني إليه فيعت به إليه فيعت ذلك الانسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول ببدان تداوله سبعة . وروى أن سرقا اذان دينا ثقبها وكان على أخيه خيشة دين قال فذهب مسروق قضى دين خيشة وهو لا يملك وذهب خيشة قضى دين مسروق وهو لا يملك ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيها (١) فأثره بما آثره به وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبدابة إيثار والإيثار أفضل من المساواة وقال أبو سلمان الداراني لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في قم أخرج من إخواني لاستقلتها له وقال أيضا إني لأقيم القعدة أخوا من إخواني فأجد طعمها في حلق . ولما كان الإيثاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال على رضي الله عنه لشعرون درهما أعطيتها أخى في الله أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم على الساكين وقال أيضا لأن أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلى من أن أعتق رقبة . واقتداء الكل في الإيثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدها معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت والله أحق بالمستقيم مني فقال « ما من صاحب مصعب صاحباً ولو ساعه من التمار لإسئل عن مصيبتة هل أقام فيها حق الله أم أضاعه » (٢) فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصعبة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بشر يقتل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا تغفل فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أرققهما بصاحبه » (٤) وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزلا للحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت فلم يذنت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا فدخل الحسن وقال يا مولاي هكذا كنا لا يعتصم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك وأغار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى - أو صدقكم - وقال - وأما لمستم مفاتيح - إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويغوض التصرف كما يريد وكان أخوه يتخرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أزيل الله تعالى هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والاصدقاء .

(الحق الثاني في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات

والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة)

(١) حديث لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيها رواه البخاري من حديث أنس (٢) حديث أنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدها معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه الحديث لم أنصف له على أصل (٣) حديث ستر حذيفة لبي صلى الله عليه وسلم بثوب حتى اغتسل ثم ستره صلى الله عليه وسلم حذيفة حتى اغتسل لم أجده أيضا (٤) حديث ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أرققهما بصاحبه تقدم في الباب قبله بلفظ أعدهما جبا لصاحبه .

إلى من خير فقير . أن
الانزال مشعر يبعد
ربته عن حقيقته القرب
فيكون الانزال عين
الفقر فما تقع بالمزول
وأراد قرب الغزل ومن
صح فقره فقره في
أمر آخرته كفقره في
أمر دنياه ورجوعه
إليه في الدارين وإياه
يسأل حوائج المنزلين
وتساوى عنده
الحاجتان فالله مع غير
الله شغل في الدارين .
[الباب العشرون في
ذكر من يأكل من
الفتوح]

إذا كل شغل الصوفى بالله
وكل زهده لكال تقواه
بحكم الوقت عليه يترك
النسب وينكشف
له صريح التوحيد
وهمة الكفاية من الله
السكرام فيقول عن
باطنه الاهتمام بالأقسام
ويكون مقدمة هذا
أن يفتح الله له بابا من
التعرف بطريق
القابلة على كل فعل
يصدره حتى لو جرى

وهذه أيضاً درجات كاللواستقامات لما فادناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة على دفع الشاة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول اللذة وقال بعضهم إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فله أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فكبر عليه وأقرأ هذه الآية - والوئى يبخم الله - وتضى ابن شيرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ما هذا قال لما أسديته إلى فقال خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضاً للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده في اللوى قال جعفر بن محمد إنى لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائى مخافة أن أردم فيستغوا عنى هذا في الأعداء فكيف في الأصدقاء وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم ويعونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أيهم إلا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول هل لك زيت هل لك ملح هل لك حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه وهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تشر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنفع بصداقته لم تنفع بصدائه وقال صلى الله عليه وسلم «ألا وإن لله أوفى في أرضه وهى القلوب فأحب الأوفى إلى الله تعالى أصفاها وأصلها وأرقها أصفاها من الذنوب وأصلها في الدين وأرقها على الإخوان (١)» وبالجملة فينبغى أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك وأن تكون متفقدا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك وتنبه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستئمان بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قلت بها ولا ترى لنفسك حقاً بسبب قيامك بها بل تتفقد منه قبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالأكرام والزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد كان الحسن يقول إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع أخاه في الله بث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشعونه إلى الجنة وفى الأثر ما زار رجل أخاً في شوقاً إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة (٢) وقال عطاء تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فودعهم أو مشاغل فأعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم وروى «أن ابن عمر كان يلتفت بيننا وهما لا ين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال أحببت رجلاً فأنا أطلبه ولا أراه فقال : إذا أحببت أحداً فله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضاً عدته وإن كان مشغولاً أعنته (٣)» وفى رواية وعن اسم جده وعشيرته . وقال الشعبي فى الرجل يحالى الرجل فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكى . وقيل لابن عباس من أحب الناس إليك قال جليسى وقال ما اختلف رجل إلى جليسى ثلاثاً من غير حاجة له إلى ضلعت ما مكأفأته من الدنيا وقال سعيد ابن العاص لجليسى على ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث أتقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وقد قال تعالى - رحما بينهم - إشارة إلى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيذ

(١) حديث إن لله أوفى في أرضه وهى القلوب فأحب الأوفى إلى الله أصفاها وأصلها الطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى إلا أنه قال أليها وأرقها وإسناده جيد (٢) حديث مازار رجل أخاً في الله الحديث تقدم في الباب قبله (٣) حديث ابن عمر إذا أحببت أحداً فسأله عن اسمه واسم أبيه ومنزله وعشيرته الحديث الحرافطى في مكارم الأخلاق والبيهقى في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه الترمذى من حديث يزيد بن زمامة وقال غريب ولا يعرف ليزيد بن زمامة سماع من النبي صلى الله عليه وسلم .

عليه يسير من ذنب بحسب حاله أو الذنب مطلقاً مما هو منهى عنه في الشرع يجزئ في ذلك في وقته أو يومه كان يقول بعضهم : إنى لأعرف ذنبى في سوء خلقى غلامى وقيل إن بعض الصوفية قرض الفأرخفه فظاً رآه تألم وقال : لو كنت من مازن لم تسبح إلى بنو القبطة من ذهل ابن شيبان إشارة منه إلى أن الداخل عليه مقابلة له على شئ استوجب به ذلك فسلاً زال به القسايات متضمنة للترغبات الإلهية حتى يحسن بصدق الحاسبة وصفاء للرابقة عن تضييع حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت ويتعبد له حكم فعل الله وتنمى عنه أفعال غير الله فيرى المعطى والمانع هو الله سبحانه ذوقاً وحالا

أو محذور في مسرة دونه بل يقتضى لفرقه ويستوحش بافراده عن أخيه .

(الحق الثالث)

(في اللسان بالسكوت مرة وبالناطق أخرى) : أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبة وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يباريه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله وإذا رآه في طريق أو حاجة لم يفاعه بذلك غرضه من مصدره ومورده ولا يسأله عنه فرما يتقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسرارته التي بها إليه ولا يبينها إلى غيره أئبته ولا إلى أخس أصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطعة والوحشة فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وأن يسكت عن القدر في أسيابه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قبح غيره فيه فإن الله سبك من بلفك وقال أنس « كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بشيء يكرهه » (١) والتأذي يحصل أولا من البلغ ثم من القائل نعم لا يبين أن يخفى ما يسمع من الشاء عليه فإن السرور به أولا يحصل من البلغ للحد ثم من القائل وإخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا إلا إذا وجب عليه النطق في أمر معروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يلايى بكرهاته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر . أما ذكر مساويه وعيوبه وسواي أهله فهو من النية وذلك حرام في حق كل مسلم وبزجره عنه أمران : أحدهما أن تطالع أحواله فتسك فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهون على تسك ماله من أخيك وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به ولا تستغفبه بخصلة واحدة مذمومة فأى الرجال للهدب وكل مالا تصادفه من تسك في حق الله فلا تنتظره من أخيك في حق تسك فليس حقاك عليه بأكثر من حق الله عليك . والأمر الثاني أنك تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب اعترلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساو فإذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية وللشيء المؤمن الكريم أبدا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبت من قلبه التوقير والود والاحترام . وأما النفاق للتم فانه أبدا يلاحظ المساوي والميوب قال ابن المبارك للمؤمن يطلب للماذر وللنفاق يطلب للعترات وقال الفضيل الفتوة الطوع عن زلات الإخوان ولذلك قال عليه السلام « استعذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره » (٢) وما من شخص إلا ويمكن تحيين حاله بخصال فيه ويمكن تنجيحه أيضا روى « أن رجلا أتني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من القد ذه فقال عليه السلام : أنت بالأمس تنى عليه واليوم تنفه فقال والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرحاني بالأمس فقلت أحسن ماعلت فيه وأغضبني اليوم فقلت أقبح ماعلت فيه فقال عليه السلام : إن من البيان لسحرا » (٣) وكأنه كره ذلك فتشبه بالسحر ولذلك قال في خبر آخر

لاعلسا وإيمانا ثم يتدراك الحق تعالى بالمؤنة ويوقفه على صريح التوحيد ويجريد فعل الله تعالى كما حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الإهتام بالرزق فخرج إلى بعض الصغارى فرأى قبرة عمياء هرجاء ضيقة فوقف متعجبا منها متفكرا فيما تأكل مع عجها عن الطيران والذى والرؤية فيينا هو كذلك إذ انشقت الأرض وخرجت سكرجان في إحداها صمم نقي وفي الأخرى ماء صاف فأكلت من السمسم وشربت من الماء ثم انشقت الأرض وغابت السكرجان قال فلما رأيت ذلك سقط عن قلبي الإهتام بالرزق فاذا أوقف الحق عبده في هذا المقام يزيل عن باطنه الإهتام بالأقسام ويرى الدخول في التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة

(١) حديث أنس كان لا يواجه أحدا بشيء يكرهه أبوداود والترمذى في الشبايل والنسائي في اليوم والليلى بسند ضعيف (٢) حديث استعذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره البخارى في التاريخ من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وللنسائي من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح : تعوذوا بالله من جار السوء في مدار اللقائم (٣) حديث أن رجلا أتني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من القد ذه الحديث وفيه فقال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک من حديث أبى بكره إلا أنه ذكر للحدس والتم في مجلس واحد لا يؤمنين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا .

« البدء والبيان شعبان من الفاق (١) » وفي الحديث الآخر « إن الله يكره لكم البيان كل البيان » وكذلك قال الشافعي رحمه الله ما أحد من المسلمين يطع الله ولا يصبه ولا أحد يصي الله ولا يطعمه فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جمل مثل هذا عدلا في حق الله فأن تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى . وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهى عنه أيضا وحده أن لا يعمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن ، فأما ما انكشف يقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لا تعلمه عليك أن تحمل ما تشاهد على سبيل ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى نفرا وهو الذي يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه وإلى ما مشؤوه سوء اعتقاده حتى صدر منه فعله وجهان فيحتمل سوء الاعتقاد فيه على أن تنزهه على الوجه الأول من غير علامة تخص به وذلك جنابة عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الله قد حرّم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث (٣) » وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس ، وقد قال تعالى « لا تخسسوا ولا تجسسوا ولا تناقضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا (٤) » والتجسس في طعام الأخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتعامل عنها شيمة أهل الدين ويكفيك تنبيه على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجليل أن الله تعالى وصف به في الدماء قبيل يامن أظهر الجليل وستر القبيح والمرضى عند الله من خلق بأخلاقه فإنه ستر العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن البعيد فكيف لا تتجاوز أنت عن من هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا تخوفك ، وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أحاكم ناما وقد كشف الرمح ثوبه عنه قالوا نستره وننطقه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال أحدهم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها . واعلم أنه لا يمين إيمان للره مالم يحب لأخيه ما يحب لنفسه وأقل درجات الأخوة أن يبادل أخاه بما يجب أن يبادل به ولا حلك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوي والعيوب ولو ظهر له منه عيب ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما أبده إذا كان ينتظر منه مالا يصدره ولا يزم عليه لأخيه وويل له في نفس كتاب الله تعالى حيث قال - ويل للطفلين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون - وكل من يثنى من الانصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها البدء الدفين في الباطن وهو الحق والحمد فإن الحقود الحسود بلاء باطله ناخث ولكن بحسبه في طمعه وخفيه ولا يديه مهما

(١) حديث النذاء والبيان شعبان من الفاق الترمذي وقال حسن وعرب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث إن الله حرّم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ورجاله ثقات إلا أن أظني اليسابوري هل ليس هذا عدى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو عدى من كلام ابن عباس ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي هريرة كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه (٣) حديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لا تخسسوا ولا تجسسوا ولا تناقضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو يسن الحديث الذي قبله .

العوام ويصير منسوب
الاختيار غير متعلق
إلى الأغيار ناظرا إلى
فضل الله تعالى منتظرا
لأمر الله ففاسق إليه
الأقسام ويفتح عليه
باب الانعام ويكون
يدوام ملاحظته لقل
الله وترصده ما يحدث
من أمر الله تعالى
مكتشفا له تجليات من
الله تعالى بطريق
الأفعال والتسجل
بطريق الأفعال رتبة
من القرب ومنه يترق
إلى التجلي بطريق
الصفات ومن ذلك
يترق إلى أعلى الذات
والإشارة في هذه
التجليات إلى رب في
اليقين ومقامات في
التوحيد شيء فوق
شيء وأسمى من
شيء فالتجلى بطريق
الأفعال يحدث صمو
الرضا التسليم والتجل
بطريق الصفات
يكسب الهيبة والأسمى
والتجلى بالذات يكسب
العناء والبقاء وقد

لم يجد له بجلا وإذا وجد فرصة أخلت الرابطة وارفع الحياء ويرشح الباطن بحيثه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى قال بعض الحكماء ظاهر الصاب خير من مكتون الحقد ولا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمره عظيم وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله . وقد روى عبد الرحمن بن جبرين بقبر عن أبيه أن قال كنت باليمن ولي جاري يهودي يخبرني عن التوراة فقدم على اليهودي من سفر قتل إن الله قد بث فينا نيبا فدعانا إلى الاسلام فأسلمنا وقد أنزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نجد نعمة ونمت أمتة في التوراة إنه لا يحل لاسري أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه للسلم ، ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه فإن أخاه نازل منزله ومها كشيخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرابيا وخارجا عن أعمال السرى إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بعمله كفرته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام « من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ^(١) » وفي خبر آخر « فكلأنا أحيا مودة ^(٢) » وقال عليه السلام « إذا حدث الرجل بعدي ثم التفت فهو أمانة ^(٣) » وقال « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجلس يفسد فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله ^(٤) » وقال عليه السلام « إنما يتجالى التجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يغشى على صاحبه ما يكره ^(٥) » قيل لبعض الأبناء كيف حفظك للسر قال أناقبره وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار وقيل إن قلب الأحق في فيه ولسان العاقل في قلبه أي لا يستطيع الأحق إخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحق والتوقي عن محبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر قال أجهد الخبر وأحاف للستخير . وذلك آخر أسرته وأستر في أسرته وعبر عنه ابن المغز فقال :

ومستودعي سرا تبوات كتمته فأودعته صدري فصار له قبرا
وقال آخر وأراد الزيادة عليه :

وما السر في صدري كشأوبقيره لأنني أرى القبور ينتظر النشرا
ولكنني أنساه حتى سكتاني بما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بيني وبينه عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

(١) حديث من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل في الدنيا ولمسلم من حديث أبي هريرة من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٢) حديث فكلأنا أحيا مودة من قهرها أبو داود والنسائي والحاكم من حديث عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مودة زلزال الحاكم من قهرها وقال صحيح الاسناد (٣) حديث إذا حدث الرجل بعدي ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي من حديث جابر وقال حسن (٤) حديث المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس الحديث أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه (٥) حديث إنما يتجالى التجالسان بالأمانة لا يحل لأحدهما أن يغشى على صاحبه ما يكره أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود باسناد ضعيف ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرسلًا والحاكم وصححه من حديث ابن عباس إنكم تجالسون بينكم بالأمانة .

يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله فناء يمتن به فناء الإرادة والهوى والارادة ألطف أقسام الهوى وهذا الفناء هو الفناء الظاهر فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون في تجلي اللات وهو كل أقسام اليقين في الدنيا فأما تجلي حكم اللات فلا يكون إلا في الآخرة وهو للقام الذي حظي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المراج ومنع عنه موسى بن ترائي فليعلم أن قولنا في التجلي إشارة إلى رب الهظ من اليقين وروية البصيرة فاذا وصل البديلى مبادئ أقسام التجلي وهو مطالعة الفعل الإلهي مجردا عن فعل سواء يكون تناوله الأقسام من الفتح . روى عن رسول الله صلى الله

وأخى بعضهم سراه إلى أخيه ثم قاله حفظت فقال بل نسيت وكان أبو سعيد الثوري يقول إذا أردت أن تواخي رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك قال خيرا وكنتم سره فاجبه وقيل لأبي يزيد من تصب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يسر عليك كما يسره الله وقال ذو النون لا خير في محبة من لا يحب أن يراك إلا مصوما ومن ألقى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفاؤه عند الرضا تنفضه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال ولذلك قيل:

وترى الكريم إذا تصرم وصله يخفى القبيح ويظهر الاحسانا

وترى اللئيم إذا قضى وصله يخفى الجليل ويظهر الهتانا

وقال البياس لانه عبدالله إني أرى هذا الرجل يني عمر رضى الله عنه يقدم على الأشياخ حافظ على حسا لافشين له سرا ولا تفتان عنده أحدا ولا تجرّن عليه كذبا ولا تصين له أمرا ولا تظلمن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف ومن ذلك السكوت عن الماراة وللداغ في كل ما يتكلم به أخوك قال ابن عباس لا تمار سنيها فيؤذيك ولا حليا فيقلبك وقد قال صلى الله عليه وسلم «من ترك المراء وهو مبطل بن له بيت في رضى الجنة ومن ترك المراء وهو حق بن له بيت في أعلى الجنة» (١) هذا مع أن تركه مبطلا واجب وقد جعل ثوابه النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل وإعما الأجر على قدر التصب وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان الماراة وللناقة فاتها عين التدارب والتقاطع فان التقاطع يقع أولا بالأراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان وقال عليه السلام «لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تعاودوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا للسلام أو للسلام لا يظلمه ولا يحرمه ولا يغذله بحسب للرء من الشر أن يحقر أخاه للسلام» (٢) وأشد الاحتقار للماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسب إلى الجهل والحق أو إلى التفة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استعقار وإظهار للصدر وإعاش وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتأري فغضب وقال: ذروا المراء لقله خيره وذروا المراء فان نفعه قليل وإنه يهيج المداوة بين الإخوان» (٣) وقال بعض السلف من لآخى الإخوان وما رام قلت مروءته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن إياك ومماراة الرجال فانك لن تقدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم وقال بعض السلف أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة الماراة توجب التضييع والقطعة وتورث المداوة وقد قال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل وعلى الجنة فلا باع على الماراة إلا إظهار التميز بمزيد العقل والفضل واحتقار الردود عليه بإظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والأيذاء والشمم بالحق والجهل والامنى للمداوة إلا هذا فكيف تضامنه الأخوة والمصافاة فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك المراء وهو مبطل بن له بيت في رضى الجنة الحديث تقدم في العلم (٢) حديث لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تعاودوا وكونوا عباد الله إخوانا للسلام أخو السلام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بضه قبل هذا بسبعة أحاديث (٣) حديث أبي أمامة خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتأري فغضب وقال ذروا المراء لقله خيره فان نفعه قليل فانه يهيج المداوة بين الإخوان الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وأبي السرداء ورواه أنس دون ما يمد قوله لقله خيره ومن هنا إلى آخر الحديث رواه أبو منصور والبيهقي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط وإسنادهما ضعيف .

عليه وسلم أنه قال ومن وجه إليه شيء من هذا الرزق من غير مسئلة ولا إشراف فليأخذه وليوسع به في رزقه فان كان عنده غنى فليدفعه إلى من هو أحوج منه وفي هذا دلالة ظاهرة على أن السيد يجوز أن يأخذ زيادة على حاجته بنية صرفه إلى غيره وكيف لا يأخذ وهو يرى فضل الله تعالى ثم إذا أخذ منهم من يخرج به إلى المحتاج ومنهم من يقف في الإخراج أيضا حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون أخذه بالحق وإخراجه بالحق أخيرا الشيخ أبو زرعة طاهر قال أنا والدي الحافظ أبو الفضل القدسي قال أنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال قال أنا محمد بن عبد الرحمن ابن سعيد قال أنا أبو طاهر أحمد بن محمد

أنه قل لأعمار أخاك ولا تعازجه ولا تصد موعدا فتخلفه ^(١) وقد قال عليه السلام «إنكم لاتسمعون الناس بأموالكم ولكن ليسمع منكم بسط وجه وحسن خلق ^(٢)» والمراة مفادة لحسن الخلق وقد اتى السلف في الحذر عن المراة والحسن على المساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلا وقالوا إذا قلت لأخيك قم فقال لي أين فلا تصحبه بل قالوا ينبغي أن يقوم ولا يسأل وقال أبو سليمان الداراني كان لي أخ بالمرق فكنت أجيته في النواصب فأقول أعطني من مالك شيئا فكان يلقي إلى كفيه فأخذ منه ما أريد فجئت ذات يوم فقلت أحتاج إلى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة إخيه من قاي وقال آخر إذا طلبت من أخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الإخاء . واعلم أن قوام الأخوة بالمواقة في الكلام والقلم والشفقة قال أبو عثمان الحيري مواقة الإخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال .

(الحق الرابع على اللسان بالنطق)

فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن السكره تقتضي أيضا النطق بالهاب بل هو أخص بالأخوة لأن من نفع بالسكوت سبب أهل القبور وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذام والسكوت معناه كلف الأذى فلهذا أن يتودد إليه بلسانه ويتفقد في أحواله التي يحب أن يتفقد فيها كالسؤال عن عارض إن عارض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة أحواله التي يذكرها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها وجملة أحواله التي يسرها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فهي الأخوة الساهرة في السراء والضراء وقد قال عليه السلام «إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره ^(٣)» وإنما أمر بالأخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب فان عرف أنك تحبه أحب بالطبع لاهالة فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لاهالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويضعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم في الطريق فقال «تهادوا تحابوا ^(٤)» ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه إليه في غيته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه إذا لقته أولا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه ومن ذلك أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو التناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة وكذلك التناء على أولاده وأهله وصنعتهم وقوله حتى على عقله وخلقه وهيبته وخطه وشمعه وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحمين ما قبل التحسين لا بد منه وأكدم ذلك أن تبغضه تناء من أثنى عليه مع إظهار الترفع فإن إخفاء ذلك يحض الحسد ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك قال رضي الله عنه من لم يحمدا أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنعة وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة القرب عنه في غيته مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بسلام صريح أو تريض بحق الأخوة التشهير في الحماة والنصرة وتبكيك التلذذ وتقليط القول عليه

(١) حديث ابن عباس لأعمار أخاك ولا تعازجه ولا تصد موعدا فتخلفه الترمذي وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ينفى من حديث ليث بن أبي سليم وضعفه الجمهور (٢) حديث إنكم لاتسمعون الناس بأموالكم ولكن ليسمع منكم بسط الوجه وحسن الخلق أبو يعلى الوصلى والطبراني في المعجم الأخلاق وابن عدى في الكامل وضعفه الحاكم وصححه البيهقي في النصب من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم من حديث للقدم بن معدى كرب (٤) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة .

ابن عمر وقال أنابونس ابن عبد الأهل قال حدثنا ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحرث عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن حويط بن عبد المزى عن عبيد الله السعدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول له أعطه يارسول الله من هو أقرب مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذته فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا للسال وأنت غير متشرف ولا سائل غلظه وما لا فلا تنبته نفسك » قال سالم بن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه درج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصحاب بأوامره إلى رؤية فعل الله تعالى والخروج

والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوة وإنما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخوين بالدين تسلسل أحدهما الآخر وينوب عنه^(١) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «للسلم أخو للسلم لا يظلمه ولا يغذله ولا يئله^(٢)» وهذا من الاتساق والخذلان فإن إجماله لتزريق عرصة كإجماله لتزريق لحم فأخس بأخ براك والكلاب فتترك وعزق لحومك وهو ساكت لا تحرك الشفقة والحيلة للدفع عنك وعزق الأعراس أشد على النفوس من عزيق اللحوم ولذلك شبه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال - أحب أحكم أن يأكل لحم أخيه ميتا - ولذلك الذي يمثل في المنام ما ظلمه الروح من اللوح المحفوظ بالأمتة المحسوسة مثل الصبية بأكل لحوم الميتة حتى إن من يرى أنه يأكل لحم ميتة فإنه يفتاب الناس لأن ذلك المكافئ غيبه برأى للشاركة وللناتبة بين الشيء وبين مثاله للشيء الذي يجري من الكمال يجري الروح لاق ظاهر الصور فاذن حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعتق للتعتين واجب في عقد الأخوة وقد قال مجاهد لا تذكر أخاك في غيبته إلا كما تحب أن يذكرك في غيبتك فاذن لك فيه معيار أن أحدها أن تذكر أن الذي قيل فيه لويل فيك وكان أخوك حاضرا ما الذي كنت تحب أن يقوله أخوك فيك فينبغي أن تعامل للتعرض لمرضه به والثاني أن تذكر أنه حاضرا من وراء جدار يسمع قولك وينظر أنك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من الصرة له يسمع منه وصرأى فينبغي أن يكون في غيبه كذلك قد قال بعضهم ما ذكر أعلى فيجب إلا تصورته جالسا فقلت فيه ما يجب أن يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر أعلى إلا تصورت شئ في صورته فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه لنفسه وقد نظر أبو البرداء إلى ثورين يحرثان في فدان فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى وقال هكذا الإخوان في الله يعملان الله فإذا وقف أحدهما واقفه الآخر وبالمواقة يتم الاخلاص ومن لم يكن خلصا في إجماله فهو منافق والاخلاص استواء القلب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والحلوة والاختلاف والتفاوت في شئ من ذلك مما عدا في اللودة وهو دخل في الدين وولجية في طريق المؤمنين ومن لا يقدم من نفسه على هذا فلا تقاطع والعزلة أولى به من اللؤاخة والمصاحبة فان حق الصعبة تقبل لا يطيعه إلا بما يحق في الجوار والقيام بحق الصعبة فان الصعبة تقتضي حقوقا كثيرة في أحوال متغاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضي إلا حقوقا قربية في أوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التلصص والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال فان كنت غنيا بالمع فليكن العلم فضلك من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فضلك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائده تركه ونحوه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبه على عيوبه وتجنب القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع

(٢) حديث تشبيه الأخوين بالدين تقدم في الباب قبله (٣) حديث السلم أخو السلم تقدم في أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث (٤) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا الترمذي وابن ماجه واللفظ له من حديث أبي هريرة بالشر الأول فقط وقال الترمذي مؤمنا قال وأحب للناس ما أحب لنفسك تكن مسلما وقال ابن ماجه مؤمنا قال الدارقطني والحديث ثابت ورواه القضاء في مسند الشهاب بلفظ الصف .

من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى .
سئل سهل بن عبد الله القسري عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان هذا في واحد لكان من أوتاد الأرض . وروى زيد ابن خالد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله فانما هو شئ من رزق الله تعالى ساقه الله إليه »
وهذا العيد الواقف مع الله تعالى في قبول ما ساق الحق آمن ما مضى عليه وإنما يغشى على من يرد لأن من رد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بين الزهد في أخذ إسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفي إخراجهم إلى الخير إثبات حقيقته فلا يزال في كلا الحالين زاهدا

عليه أحد لما كان على اللأ فهو توبخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم «لؤمن امرأة المؤمن» (١) أي يرى منه مالا يرى من نفسه فيستفيد للرب بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو اتقرد لم يستفد كما يستفيد بالمرأة الوقوف على عيوب مورثه الظاهرة وقال الشافعي رضي الله عنه من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقيل لسمر أجب من غبرك بموكل قال إن نصحتني فيما بيني وبينه فعم وإن قرأتني بين اللأ فلا وقد صدق فان النصيح على اللأ فضيحة والله تعالى ياتب للؤمن يوم القيامة تحت كنفه في ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سررا وقد يدفع كتاب عمله محتوما إلى اللأئكة الذين يحفون به إلى الجنة فإذا قرأوا باب الجنة أعطوه الكتاب محتوما لقرأه وأما أهل اللق فتبادون على رهوس الأئهاد وتستنطق جوارحهم بفضايحهم فيزدادون بذلك خزيا واقتضاحا ونموذ بالله من الحزبي يوم العرض الأكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والاعلان كما أن الفرق بين اللدارة واللداهنة بالعرض الباعث على الاغضاء فان أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك الاغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شؤباتك وسلامة جاهك فأنت مدهان وقال ذوالنون لا تصحب مع الله إلا بالمواظقة ولا مع الحق إلا بالمناخعة ولا مع النفس إلا بالخالفه ولا مع الشيطان إلا بالعداوة . فان قلت فإذا كان في النصيح ذكر العيوب فيه إغشاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة فاعلم أن الإغشاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه فأما تنبيهه على مالا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استالة القلوب أعني قلوب العقلاء وأما الحق فلا يلتفت إليهم فان من ينهك على فعل مذموم تعاطيته أوصفه مذمومة انصفت بها لتركي نفسك عنها كان ممن ينهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد دمت بإهلاكك فان كنت تكره ذلك فما أشد حتمك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فانها تبلغ القلوب والأرواح وألها أهدما بلغ الظواهر والأجساد وهي مخلوقة من نار الله للوقدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ولذلك قال عمر لسانا وقد قدم عليه ما الذي يهلك عنى مما تكره فاستغنى فألح عليه فقال بلغنى أن لك حلتين تلبس إحداها بالتيار والأخرى بالليل وبلغنى أنك تجمع بين إدامين على مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه أما هذان فقد كفيتهما فهل يهلك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة للرعى إلى يوسف بن أسباط بلغنى أنك بت دينك بعيتين وقتت على صاحبين قتلتك بكم هذا فقال بئس قتلته له لاشمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن رأسك قناع الغافلين وانتبه عن ردة اللوى واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستزئرين وقد وصف الله تعالى الكاذبين فيضهم للناهيين إذ قال - ولكن لا يحبون الناصحين - وهذا في عيب هو غافل عنه فأما ما علمت أنه يعلم من نفسه فاعلموا هو مقبور عليه من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان غفيعه وإن كان يظهره فلا بد من التلطف في النصيح بالعرض مرة وبالتصریح أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإغشاش فان علمت أن النصيح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الاصرار عليه فالسكوت عنه أولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه أما ما يتعلق بتقصيره في حقه فالواجب فيه الاحتيال والغفو والصفح والتعاى عنه والعرض لذلك ليس من النصيح في شيء ، نعم إن كان يحث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب في السرخير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والكتابة خير من الشافهة والاحتيال خير من الكل إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحباتك تقصيره لا الاستعانة به

(١) حديث المؤمن مرآة المؤمن أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد حسن .

براه الغير بين الرغبة لقله السلم بحاله وفي هذا المقام يتحقق الزهد في الزهد ومن أهل الفتوح من يعلم دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه فمنهم من لا يتناول من الفتوح إلا إذا تقدمه علم بتعريف من الله إياه ومنهم من يأخذ غير مطلع إلى تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ومن لا ينتظر تقدمه العلم فوق من ينتظر تقدمه العلم لتتمام محبة مع الله وانسلاخه من إرادته وعلم حاله في ترك الاختيار ومنهم من يدخل الفتوح عليه لا بتقدمه العلم ولا رؤية تجرد الفعل من الله ولكن يركز شربا من الحبة بطريق رؤية النعمة وقد يشكر شرب هذا بغير مهور النعمة وهذا حال

والاسترقاق منه قال أبو بكر الكنانى سمعنى رجل وكان على قلبى شيئا فوجئت له يوما شيئا على أن يزول ما فى قلبى فلم يزل فأخذت يده يوما إلى البيت وقتلته صنع رجل على خدى فأبى قتلته لا بد ففعل فزال ذلك من قلبى ، وقال أبو بكر الرباطى سمعت عبد الله الرازى وكان يدخل البادية فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا قتلته بل أنت قتال وعليك الطاعة قتلته ثم فأخذ محمدا ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فإذا قتلته له أعطى قال ألتى قلت أنت الأمير فليك الطاعة فأخذنا للطير لينة فوقف على رأسى إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عنى للطير فكنت أقول مع نفسى لئنى مت ولم أقل أنت الأمير .

(الحق الخامس النفوس عن الزلات والمفوات)

وهفوة الصديق لا تغلوا إما أن تكون فى دينه بارتكاب معصية أو فى حقك بتقصيره فى الاخوة أما ما يكون فى الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فليك التلطف فى نفسه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويبعد إلى الصلاح والورع حاله فإن لم تقدر وبقي مصرا قد اختلفت طرق الصحابة والتابعين فى إدامة حق مودته أو مقاطعته فذهب أبو ذر رضى الله عنه إلى الانقطاع وقال إذا قلب أخوك عما كان عليه فأبضه من حب أحبيته ورأى ذلك من مقتضى الحب فى الله والبغض فى الله وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو الدرداء إذا تغبر أخوك وحال عما كان عليه فالتذرع لأجل ذلك فإن أخاك يسوج مرة ويستقيم أخرى ، وقال إبراهيم النخعى لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدا ، وقال أيضا لا تحذروا الناس زلة العالم فإن العالم يزول الزلة ثم يتركها وفى الخبر « اتوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيه » وفى حديث عمر وقد سأل عن أخ كان أخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل أخى قال ذلك أخو الشيطان قال له قال إنه قارب الكبر حتى وقع فى البحر قال إذا أردت الخروج فأتى فكتب عند خروجه إليه بسم الله الرحمن الرحيم - ثم تزييل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية ثم طأ به تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لى عمر خباب ورجع . وحكى أن أخوين ابلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه وقال لى قد اعتلت فان شئت أن لا تقعد على صديق فله فافعل قال ما كنت لأحل عقد أخوتك لأجل خطيئتك أبدأ ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يمضى الله أخاه من هواء فظوى أربعين يوما فى كلها يسأله عن هواء فكان يقول القلب مقبى على حاله وما زال هو يتحلل من التهم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يلف هزالا وضرا . وكذلك حكى عن أخوين من السلف اختلف أحدهما عن الاستقامة فقبل لأخيه ألا تقطعه وتهجره فقال أحوج ما كان لى فى هذا الوقت لما وقع فى غفرتى أن أخذه يده وأنظف له فى العانية وأدعوه بالمود إلى ما كان عليه . وروى فى الاسرائيليات أن أخوين عابدين كانا فى جبل نزل أحدهما ليشترى من النمر لحما يدرم فرأى بيا عند اللحام فرمقها وعشقاها واجتذباها إلى خلوة وواقعا ثم أقام عندها ثلاثا واستحيا أن يرجع إلى أخيه حياء من جنباته قال فاقطعه أخوه واهتم بشأنه فزول إلى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دل على فدخل إليه وهو جالس معها فاعتقه وجعل يقبله ويلتمسه وأنكر الآخر أنه يعرفه قط فلطم استحياءه منه فقال قتل أخى قد عدلت شأنك

(١) حديث اتوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيه النبوى فى المعجم وابن عدى فى الكامل من حديث عمرو بن عوف الزنى وضمناه .

ضعيف بالإضافة إلى
الحالين الأولين لأنه
علة فى المحبة ووليعة
فى الصدق عند
الصدقين وقد ينتظر
صاحب الفتوح العلم
فى الإخراج أيضا كما
ينتظر فى الأخذ لأن
النفس تظهر فى
الإخراج كما تظهر فى
الأخذ وأنهم من هذا
من يكون فى إخراجها
مختارا وفى أخذها مختارا
بسد تحفة بصحة
التصرف فإن انتظار
العلم إنما كان لموضع
اتهم النفس وهويها
هوى موجود فاذا زال
الاهتمام بوجود صريح
العلم يأخذ غير محتاج
إلى علم متجدد ويخرج
كذلك وهنما من
تحقق بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم حاكيا
عن ربه « فإذا أحببته
كنت له سميا وبصرا
فبسمع وبى يصرونى
ينطق » الحديث فلما
صح تعرفه مع تصرفه
وهذا أعز فى الأحوال

وصتكت وما كنت قط أحب إلى ولا أعز من سأعتك هذه فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فاضرب معه فهدد طريقة قوم وهي ألطف وأقسه من طريقة أبي ذر رضى الله عنه وطريقته أحسن وأسلم . فإن قلت ولما قل هذا ألطف وأقسه ومقارفة الصبية لأنجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعة انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بملة فالقياس أن يزول بزوالها وعلة عقد الأخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة الصبية . فأقول أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والاستئالة والتعطف للنقض إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحة ومهما قوطع واطع طمع على الصحة أصغر واستمر وأما كونه أقسه فمن حيث إن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء بأن لا يهمل أيام حاجته وقره وقرقر الدين أشد من قهر المال وقد أصابته جائحة وألمت به آفة انقصر بسببها في دينه فيبني أن يراقب ويراعي ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان إلى الخلاص من تلك الوصلة التي ألمت به فالأخوة عمدة للتأليف وحوادث الزمان وهذا من أشد النوائب والقابض إذا مضى تقياً وهو ينظر إلى خوفه ومدامته فيرجع على قرب ويستحي من الإصرار بل الكسلان يصحب الحرص في العمل فيحرص حياء منه . قال جعفر بن سليمان بهما قرت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فبرح إلى نشاطي في العبادة وفارقتي الكسل وحملت عليه أسبوعاً وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحة كالحمة النسب والقرىب لا يجوز أن يهجر بالمصيبة ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في عشرته سفان عسوك قلل إلى برى عاتملون ولم يقل إلى برى متكم مراعاة لحق القرابة ولحة النسب وإلى هذا أشار أبو برداء لما قيل له ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا فقال إنما أبغض عمله وإلا فهو أخى وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم أما أحب إليك أخوك أو صدقك فقال إنما أحب أخى إذا كان صدقياً وكان الحسن يقول كم من أخ تم له أمك ولذلك قيل القرابة تحتاج إلى مودة وللودة لا تحتاج إلى قرابة وقال جعفر الصادق رضى الله عنه مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم مائة من قطعها قطعه الله فإذا نزل الوفاء بقدر الأخوة إذ أسبق انفقادها واجب وهذا جوابنا عن ابتداء اللؤاخة مع الفاسق فإنه لم يتقدم له حق فإن تقدمت له قرابة فلا جرم لا يئبني أن يقطع بل يجامل والدليل عليه أن ترك اللؤاخة والصحة ابتداء ليس مذموماً ولا مكروهاً بل قال قائلون الأفراد أولى فأما قطع الأخوة عن دوامها فهي عنه ومذموم في نفسه ونسبت إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح قال صلى الله عليه وسلم « شرار عباد الله للشامون بالنجاسة للفرقون بين الأجيال »^(١) وقال بعض السلف في ستر زلات الإخوان ود الشيطان أن يلقى على أخيك مثل هذا حتى تهجره وتقطعوه فلماذا اتقيتم من محبة عدوك وهذا لأن التفريق بين الأجيال من محاب الشيطان كما أن مقارفة الصبيان من محابه فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلا يئبني أن يضاف إليه الثاني وإلى هذا أشار عليه السلام في الذي ذم الرجل الذي أتى فاحشة إذ قال له وزره وقال « لا تسكنوا عونا للشيطان على أخيك »^(٢) فهذا كله يشين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة القساق محذورة ومقارفة الأجيال وال الإخوان أيضاً محذورة وليس من سلم عن معارضة غيره كآلته لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا أن للهجرة والتباعد هو الأول وفي الدوام تمارض فكان الوفاء بحق الأخوة أولى هذا كله في زلته في دينه أما زلته في حقه بما يوجب إجماعه فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحبال بل كل ما يعمل تنزيهه على وجه حسن ويتصور تمجيد

من الكبريت الأحمر وكان شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى رحمه الله يحكى عن الشيخ حماد الدباس أنه كان يقول أنا لا أكل إلا من طعام الفضل فكان يرى الشخص في المنام أن يحمل إليه شيئاً وقد كان بين للرأى في المنام أن يحمل إلى حماد كذا وكذا وقيل إنه بقي زماناً يرى هو في واقعته أو منامه إنك أحأت على فلان بكذا وكذا، وحكى عنه أنه كان يقول كل جسم تربى بطعام الفضل لا يتسلط عليه البلاء ويسمى بطعام الفضل ما شهد له صحة الحال من فتوح الحق ومن كانت هذه حاله فهو غنى بالله . قال الواسطي الانتقار إلى الله أعلى درجة للربدين والاستثناء بالله أعلى درجة الصديقين وقال أبو سعيد الخراز

- (١) حديث شرار عباد الله للشامون بالنجاسة للفرقون بين الأجيال أحمد بن حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف
- (٢) حديث لا تسكنوا عونا للشيطان على أخيك . البخارى من حديث أبي هريرة وتقدم في الباب قبله .

عند فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة فقد قيل ينبغي أن تستبذل لذة أخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما أقساك يستدر إليك أخوك سبعين عذرا فلا يقبله فأنت للعيب لأخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب إن قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نياة عن أخيك واحترز أن تكون شيطانا إن لم تقبل قال الأحنف حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا عظم الغضب وعظم المودة وعظم المغفوة وقال آخر ما شئت أحدا قط لأنه إن عشتني كريم فأنا أحق من غفرها له أولئك فلا أجعل عرضي له عرضا ثم يتل وقال :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن غم الائم تكراما
وقد قيل : خذ من خيلك ماصفا ودع الذي فيه العكدر
فالعسر أقصر من مما تبة الخليل على السير

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أوصافا فاقبل عذره قال عليه السلام « من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فقله مثل إثم صاحب اللبس (١) » وقال عليه السلام « للؤمن سريع الغضب سريع الرضا (٢) » فلم يصفه بأنه لا يغضب وكذلك قال الله تعالى - والكافرين النيط - ولم يقلوا القادريين النيط وهذا لأن المادة لا تنتهي إلى أن يخرج الانسان فلا يتألم بل تنتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب ولا يمكن قلمه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشنج والانتقام والسكافة وترك العمل بمقتضاه يمكن وقد قال الشاعر :

ولست بمسئق أخا لائمه على شئت أي الرجال للهدب

قال أبو سليمان الداراني لأحد بني أبي الحواري إذا واخيت أحدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لاتأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول قال جبرته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مفض الأذى خير من معاتبته والمعاينة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقعة ويبنى أن لا يبالغ في البضعة عند الوقعة قال تعالى - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة - وقال عليه السلام « أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون يفيضك يوما ما وانض يفيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما » وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلنا ولا يفيضك تلقا وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك .

(الحق السادس)

(الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متملق به فتدعوه كما تدعوا نفسك)

(١) حديث من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فقله مثل صاحب مكس ابن ماجه وأبو داود في الراصيل من حديث جودان واختلف في محبته وجهه أبو حاتم وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف (٢) حديث للؤمن سريع الغضب سريع الرضا لم أجده هكذا والترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شق الحديث وفيه ومنهم سريع الغضب سريع النفي ذلك نك (٣) حديث أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون يفيضك يوما ما الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوي تردد في روجه .

العارف تديره في
في تدير الحق والواقف
مع القنوع واقف مع
الله ناظر إلى الله
وأحسن ما حكي في هذا
أن بعضهم رأى
النوري بعد يده
ويسأل الناس قال
فاستغظمت ذلك منه
واستحيته له فأثبت
الجديد وأخبرته
قائل لا يعظم هذا
عليك فان النوري لم
يسأل الناس إلا ليعظم
سؤلهم في الآخرة
فيؤجرون من حيث
لا يضره وقول الجديد
ليعظمهم كقول بعضهم
اليد العليا يد الآخذ
لأنه يعطي الثواب قال
ثم قال الجديد هات
للزنان فوز مائة درهم
ثم قبض قبضة فألقاها
على المائة ثم قال احملها
إليه فقلت في نفسي إنما
يزن ليعرف مقدارها
فكيف خلط المجهول
بالموزون وهو رجل
حكيم واستحييت أن
أسأله فذهبت بالصره

ولا تحرق بين نفسك وبينه فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الثيب قال الملك ولك مثل ذلك »^(١) وفي لفظ آخر « يقول الله تعالى بكأبدأ يا عبدي »^(٢) وفي الحديث « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه »^(٣) وفي الحديث « دعوة الرجل لأخيه في ظهر الثيب لا ترد »^(٤) وكان أبو البرداء يقول إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أميهم بأسمائهم وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول « وأين مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك ويتعمون بما خلفت وهو مفرد بحزنك مهم بما قدمت وماصرت إليه يدعوك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى وكان الأخ الصالح يقتدى باللائكة إذ جاء في الخبر « إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقال لللائكة ما قدم »^(٥) فراحون له بما قدم وبسألون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت أخيه فحرقه عليه واستغفره كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الميت في قبره مثل الفريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب »^(٦) وإنه يدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل للملك على الميت ومعه طبق من نور عليه مندبل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيخرج بذلك كما يخرج الحي بالهدية .

(الحق السابغ الوفاء والإخلاص)

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى اللوت معه وبعد اللوت مع أولاده وأصدقائه فإن الحب إنما يراد للآخرة فإن أقطع قبل اللوت جبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام « في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وفترقا عليه »^(٧) وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روى أنه عليه السلام « أكرم عجزوا دخلت عليه فقيل له في ذلك قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين »^(٨) فمن الوفاء للائخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه وللمتقين به ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه فإن فرحه ينقد من يتعلق به أكثر إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا لمدهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي أن يميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما أقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فإنه لا يحسد متعاونين على برٍّ كما يحسد متواخين في الله ومتجابين

إلى الثورى فقال هات
اليزان فوزن مائة درهم
وقال ردوها وقل له أنا
لا أقبل منك شيئا
وأخذ ما زاد على المائة
قال فزاد تعجبى فسأله
على ذلك فقال الجنيد
رجل حكيم يريد أن
يأخذ الجبل بطريقه
وزن المائة لنفسه طلبا
للتواب وطرح عليها
قبضة بلا وزن فـ
تأخذت ما كان فـ
وردت ماضة لنفسه
قال فرددتها على الجنيد
فبكى وقال أخذ ماله
ورد مائنا . ومن
لطائف ما صحت من
أصحاب شيخنا أنه قال
ذات يوم لأصحابه نحن
عناجون إلى شيء من
العلوم فارجعوا إلى
خلافكم واسألوا الله
تعالى وما يفتح الله
تعالى لكم اتقوا به
فعلوا ثم جاءهم من بينهم
شخص يعرف بأسميل
البطاخي ومعه كاغد
عليه ثلاثون دائرة
وقال هذا الذي فتح

- (١) حديث إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الثيب قال الملك ولك مثل ذلك مسلم من حديث أبي البرداء
- (٢) حديث الدعاء للائخ بظهر الثيب وفيه يقول الله بكأبدأ يا عبدي ما أجدهذا اللفظ (٣) حديث يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه لم أجده بهذا اللفظ ولأبي داود والترمذي وضعفه من حديث عبد الله بن عمرو إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لعائيب (٤) حديث دعوة الأخ لأخيه في الثيب لا ترد الدارقطني في الملل من حديث أبي البرداء وهو عند مسلم إلا أنه قال مستجابة مكان لا ترد (٥) حديث إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت لللائكة ما قدم البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٦) حديث مثل الميت في قبره مثل الفريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة وله أو والد الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة قال الذهبي في اليزان إنه خير منك جدا (٧) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث تقدم غير مرة (٨) حديث إكرامه صلى الله عليه وسلم لحوز دخلت عليه وقوله إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة .

فيه فانه يجهد نفسه لاقصاد ما بينهما قال الله تعالى - وقل لبادي يقولوا الذي أحسن إن الشيطان يزغ بينهم - وقال غيبرا عن يوسف - من بعد أن زغ الشيطان بيني وبين إخوتي - ويقال ما تواخى اثنان في الله ففرق بينهما إلا بدنب يرتكبه أحدهما وكان بشر يقول إذا قصر البديق طاعة الله سلبه الله من يؤنسه وذلك لأن الإخوان سلاة للمعوم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الله الأشياء مجالسة الإخوان والافتلاب إلى كفاية والوودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لفرض يزول بزوال ذلك الفرص ومن غمرات اللودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودينا وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فأثنته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى قال - ولا يعبدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم - ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه وأسمت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم قال الشاعر :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في الزلل الحشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لاتصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استغثت عنه لم يقطع فيك وإن علت مرتبته لم يرفع عليك وقال بعض الحكماء إذا دلى أخوك ولاية ثبت على نصف مودته لك فهو كثير . وحكي الريع أن الشافعي رحمه الله آخى رجلا ينفاد ثم إن أخاه ولي السيين فتغير له عما كان عليه فكتب إليه الشافعي بهذه الآيات :

أذهب قودك من فؤادي طالق أبدا وليس طلاق ذات البين
فإن أروعيت فانها تطليقة ويدوم ذلك لي على ثنتين
وإن امتست غصفتها بثألها فتكون تطليقتين في حيفين
وإذا التلات أتك مني بنة لم تكن عنك ولاية السيين

واعلم أنه ليس من الوفاء مواقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقبني بغير غيره فاعتل محمد فصاده الشافعي رحمه الله تعالى فقال :

مرض الحبيب فصدته فمررت من حذري عليه
وأتى الحبيب يسودني فبرئت من نظري إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته فقبل للشافعي في علته التي مات فيها رضي الله عنه إلى من يجلس بصدك يا أبا عبد الله فاستترف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومي إليه فقال الشافعي سبحان الله أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي فأنكسر لها محمد ومال أصحابه إلى البويطي مع أن محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع فصح الشافعي فله وللمسلمين وترك الدلاهة ولم يؤثر رضا الحلق على رضا الله تعالى فلما توفي اضل محمد ابن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله وأثر البويطي الزهد والخلول ولم يجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الأم الذي ينسب الآن إلى الريع بن سليمان ويعرف به وإنما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الريع فيه وتصرف وأظهره وللقصود أن الوفاء بالهبة من تمامها النصيحة قال الأحنف الإخاء جوهره رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة لآفات فاحرسها بالكظم حتى تمتد إلى من ظلك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التصبر ومن آثار الصدق والاخلاص وبتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة قور الطبع عن أسبابها كاقيل :

الله لي في واقعي فأخذ
الشيخ الكاغذ فلم
يكن إلا ساعة فإذا
بشخص دخل ومعه
ذهب قدمه بين يدي
الشيخ ففتح القرطاس
وإذا هو ثلاثون
صحيفة ترك كل
صحیح على دائرة وقاله
هذا قروح الشيخ
اسماعيل أو كلاما هذا
معناه . وصمت أن
الشيخ عبد القادر
رحمه الله بث إلى
شخص وقال فلان
طعام وذهب الثمن من
ذلك بكذا ذهباً
وكذا طعاما قال الرجل
كيف أتصرف في ودية
عندي ولو استغثت بك
ما أقتبتي بالتصرف
فأزومه الشيخ بذلك
فأحسن الظن بالشيخ
وجاء إليه بالثي طلب
فلما وقع التصرف
منه جاءه مكتوب من
صاحب الودية وهو
غائب في بعض نواحي
العراق أن احمل إلى
الشيخ عبد القادر

وجدت مصيبت الزمان جميعها سوى فرقة الأجيال هينة الخطب

وأشد ابن عينة هذا البيت وقال لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يغيل إلى أن حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لاسيا من يظهر أولا أنه يحب لصديقه كيلا يتهتم ثم بلغ الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضرع ومن لم يترزز منه لم تدم مودته أصلا قال واحد الحكماء قد جئت خاطبا لمودتك قال إن جعلت مهرها ثلاثا قلت قال وما هي قال لا تسمع على بلاغة ولا تغالتي في أمر ولا توطئي عشوة ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي رحمه الله إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك .

(الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف)

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفقه عن أن عمله شيئا من أعبائه فلا يستعمل منه من جاء ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بحقوقه إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بقلقه واستمانة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وعمل مؤثته قال بعضهم من اقتضى من إخوانه مالا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد آثمهم ومن لم يقتض فهو التفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره آثم وأثموا ومن جعل نفسه في قدره تب وآثمهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتعام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيا لا يستحي من نفسه وقال الجنيد ماتواخي اثنان في الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لمة في أحدهما وقال على عليه السلام شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أوجبك إلى مداراة وأجلك إلى اعتذار وقال الفضيل إنما تطاع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلفه فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها للؤمن أخو للؤمن لا يفتنه ولا يجشمه وقال الجنيد صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارثا المحاسبي وطبقته وحسنا للسوحى وطبقته وسريا السقطي وطبقته وابن الكربي وطبقته فما تواخى اثنان من الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لمة في أحدهما وقيل لبعضهم من نصب قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول أقل إخواني على من يتكلف لي وأحفظ منه وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس إلا من لا تزيد عنده ير ولا تنقص عنده يأم يكرن ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء وإنما قال هذا لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ وإلا فالطبع يجعله على أن يتحفظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع أعارفين كيف شئت وقال آخر لا تصعب إلا من يتوب عنك إذا أذبت ويستدر إليك إذا أسأت وعمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقال هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك بل ينبغي أن يواخي كل متدين عاقل ويبرم به أن يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تسكر إخوانه إذ به يكون مواخيا في الله والإكانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أعلى في الله فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثا فلما أكثر قال له الجنيد إن أردت أخا يفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمري قليل وإن أردت أخا في الله تحمل أنت مؤنته وتبصر على أذاك فتدني جماعة أعرفهم لك فسكت الرجل . واعلم أن الناس ثلاثة رجل تتلفع بصحته ورجل تهدر على أن تنفعه ولا تنصر به ولكن

كذا وكذا وهو القدر الذي عينه الشيخ عبد القادر ضايقه الشيخ بعد ذلك على توفقه وقال ظننت بالفقراء أن إشاراتهم تكون على غير محبة وعلم فاليد إذا صح مع الله تعالى وأقرب هواه متعلبا رضا الله تعالى يرفع الله عن باطنه هموم الدنيا ويعمل الفنى في قلبه ويفتح عليه أبواب الرقى وكل المأموم للسلطة على بعض الفقراء لكون قلوبهم ما استكملت الشغل بالله والاهتمام برعاية حقائق العبودية فعل قدر ما حلت من لهم بالله ابتليت بهم الدنيا ولو امتلأت من هم الله ما عذبت بهموم الدنيا وقعت وارتقت . روى أن عوف بن عبد الله السموذي كان له ثلثائة وستون صديقا وكان يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له ثلاثون

لانتفع به ورجل لا تقدر أيضا على أن تنفعه وتضرر به وهو الأحق أو السوء الخلق فهذا الثالث ينبغي أن تجنبه فأما الثاني فلا تجنبه لأنك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبشوايك على القيام به وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أعطيت فإكثر إخوانك أي إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف فإني كنت معهم على نفسى ومن كانت هذه شيعة كثر إخوانه . ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يترس في نوافل العبادات . كان طائفة من الصوفية يسطبحون على شرط المساواة بين أربع معان إن أكل أحدهم التمار كله لم يقل له صاحبه صم وإن صام النهر كله لم يقل له أفطر وإن نام الليل كله لم يقل له قم وإن صلى الليل كله لم يقل له تم وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى الرياء والتحفظ لا عمالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت ألفتة ومن خفت مؤثته دامت مودته وقال بعض الصالحين إن الله لمن التكفين وقال صلى الله عليه وسلم « أنا والأتقياء من أمق برآء من التكلف » (١) وقال بعضهم إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به (٢) إذا أكل عنده ودخل الخلاء وصلى وتام فذكر ذلك لبعض الشايع فقال بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه ويجماعها لأن البيت يتخذ للاستغناء في هذه الأمور المحس وإلا فالساجد أرواح قلوب المتعبدين فإذا فعل هذه المحس قد تم الإخاء وارتفعت الحشمة وتأكّد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير إلى ذلك إذ يقول أحدهم لصاحبه مرحبا وأهلا وسهلا أي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب واللكان ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله أي لا يشتد علينا شيء مما تريد ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسوء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرا من نفسه فمئذ ذلك يكون هو خيرا منهم وقال أبو ماعوية الأسود إخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك ؟ قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلى على نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله ولاخير في صجة من لا يرى لك مثل ماترى له » (٣) فهذه أقل الدرجات وهو النظر بين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ ولذلك قال سفيان إذا قيل لك ياشر الناس فضبت فأنت شر الناس أي ينبغي أن تكون معتقدا ذلك في نفسك أبدا وسياقي وجه ذلك في كتاب الكبير والمجب وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان آيات :

تذلل لمن إن تذلل له يرى ذاك للفضل لا لله

وجانب صداقة من لا يزال على الأصدقاء يرى الفضل له

وقال آخر : كم صديق عرفته بصديق صار أخطى من الصديق العتيق

ورفيق رأيته في طريق صار عدى هو الصديق الخلق

وهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا في عموم السليمين مذموم قال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم » (٤) ومن تممة الانبساط وترك التكلف أن يشاور

(١) حديث أنا وأمق برآء من التكلف الهارقطي في الأفراد من حديث الزبير بن العوام ألا إنى برىء من التكلف وصالحوا أمق وإسناده ضيف (٢) حديث إذا صنع الرجل في بيت أخيه أربع خصال قدتم أنسه به الحديث لم أجده إلا أصلا (٣) حديث المرء على دين خليله ولاخير في صجة من لا يرى لك مثل ماترى له تقدم الشطر الأول منه في الباب قبله وأما الشطر الثاني فرواه ابن عدى في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . مسلم

صديقا يكون عند كل واحد يوم وآخر كان له سبعة إخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد فكان إخوانهم معلومهم وللموم إذا أقامه الخلق للنظر إلى الله الكامل توحيده يكون نعمة هنية . جاء رجل إلى الشيخ أبي السعود رحمه الله وكان من أرباب الأحوال السنية والواقفين في الأشياء مع فعل الله تعالى متمكنا من حاله تاركا لاختياره ولعله سبق كثيرا من المتقدمين في تحقيق ترك الاختيار رأينا منه وشاهدنا أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل أريد أن أعينك شيئا كل يوم من الحزب أحله إليك ولكن قلت الصوفية يقولون للعلوم شؤم قال الشيخ نحن ماقول للعلوم شؤم فإن الحق يصفي لنا وفه نرى فكل مايقسم لنا

إخوانه في كل ما يقصده وقبل إشارتهم فقد قال تعالى - وشاورهم في الأمر - وبنيي أن لا يخفى عنهم شيئا من أسرارهم كما روى أن يعقوب ابن أخي معروف قال جاء أسود بن سالم إلى عمي معروف وكان مواخيا له فقال إن هجر بن الحرث يحب مؤاخاتك وهو يستحي أن يشافئك بذلك وقد أرسلني إليك يسألك أن تقدمه فإني بينك وبينه أخوة محسبها ويستد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا لا يحب أن يشتر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزورة ولا ملاقة فإنه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف أنا أمتا لو أخيت أحدا لم أحب مفارقتها لئلا تلهيها وأثرته في كل وقت وآثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله ﷺ عليا فشاركه في العلم (١) وقاسم في البدن (٢) وأنسكه أفضل بناته وأحبهم إليه وخسه بذلك لمؤاخاته (٣) وأنا أشهدك أني قد عقدت له أخوة بيني وبينه وعقدت إخاءه في الله لرسالتك ولسأله على أن لا زوري إن كره ذلك ولكني أزوره متى أحببت ومرة أن يلتقي في مواضع تلتقي بها ومرة أن لا يخفى على شيئا من شأنه وأن يظن على جميع أحواله فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضي وسر به فهذا جامع حقوق الصبوة وقد أجمناه مرة وفضلناه أخرى ولا يمت ذلك إلا بأن تكون على نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك . أما البصر فبأن تنظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر إلى محاسنهم وتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم معك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطى كل من جلس إليه نصيبا من وجهه وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه ومعه وحديثه ولطيف مسأله وتوجهه للجالس إليه (٤)

من حديث أبي هريرة وتقدم في أثناء حديث لاندأبروا في هذا الباب (١) حديث أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه في العلم النسائي في الخصائص من منته الكبرى من حديث على قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبدالمطلب الحديث وفيه فأبكم يابني على أن يكون أخى وصاحي ووارثي فلم يتم إليه أحد فقامت إليه وفيه حتى إذا كان في الثالثة ضرب يده على يدي وله وللحاكم من حديث ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إنى لأخوه وولي ووارث علمه الحديث وكل ما ورد في أخوته فضعيف لا يصح منه شيء وللقمى من حديث ابن عمر وأنت أخى في الدنيا والآخرة وللحاكم من حديث ابن عباس أنا مدينة العلم وعلى باب . وقد صحح الإسناد وقال ابن حبان لأصله وقال ابن طاهر إنه موضوع وللقمى من حديث على أنا دار الحكمة وعلى بابها . وقد غريب (٢) حديث مقامته عليا للبدن مسلم في حديث جابر الطويل ثم أعطى عليا فخر ما عبر وأشركه في هده (٣) حديث أنه أنسكه عليا أفضل بناته وأحبهم إليه هذا معلوم مشهور في الصحيحين من حديث على لما أوردت أن أبتى بفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وأعدت رجلا صواغا الحديث وللحاكم من حديث أم أيمن زوج صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليا الحديث وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة بفاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين الحديث (٤) حديث كان يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه الحديث الترمذي في التاجل من حديث على في أثناء حديث فيه يعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرد إلا بها وأبو عبيدور من القول ثم قال مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة وفيه يضحك مما يشككون ويشتجب مما يتعجبون منه وللقمى من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء مرأيت أحدا أكرم تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب

نراه مباركا ولا نراه شوما . أخبرنا أبو زرعة بإجازة قال أنبأنا أبو بكر بن أحمد بن خلف الشيرازي بإجازة قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر بن شاذان قال سمعت أبا بكر السكتاني قال كنت أنا وعمرو والسكي وعياش ابن المهدي نسططب ثلاثين سنة نصلى الفدلة على طهر الصبر وكنا قعودا بمكة على التجريد ما لنا على الأرض ما يساوى فلما وربما كان يصحبنا الجوع يوما ويومين وثلاثة وأربع وخمسة ولا نسأل أحدا فان ظهر لنا شيء وعرفنا وجهه من غير سؤال ولا تعرض قبلناه وأكلناه وإلا طوينا فإذا اشتد بنا الأمر وخفنا على أنفسنا نقصنا في الفرائض قصدا بأسيدهم الخراز فيتخذنا ألوانا من الطعام ولا تصد غيره

وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضجافا وجودا محبا به وتبجيا مما يحدثونه به وكان ضحك أصحابه عنده التيسر اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام .
وأما السمع فبأن تسمع كلامه متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظفرا للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فإن أرهكت عارض اعتذرت إليهم وتحرس سمعك عن جماع ما يكرهون . وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فإن القول فيه يطول ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون . وأما اليدين فأن لا يقبضن عن معاوئتهن في كل ما يتعاطى باليد . وأما الرجلان فإن يمشي بهما وراهم مشى الأتباع لأمشي للتبوين ولا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمون ولا يقرب منهم إلا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم إذا أتوا ولا يقيم إلا بقدمهم ويقعد متواضعا حيث يقعد ومهما تم الاتحاد خف حملهم هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والتناء فانهن من حقوق الصلوة وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف فاذن الاتحاد انطوى بساطا للتكلف بالكلية فلا يسلك به إلا مسلك نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار ما فيها ومن كان نظره إلى محبة الخلق فثارة عوج وتارة يستقيم ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحلب فهو لخلقهم وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانهما على أنواع الخدمة فهو إذ لا وصول إليها إلا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة التمام الصائم وزيادة [خاتمة لهذا الباب] نذكر فيها جملة من آداب الشرعة والمجالسة مع أصفاء الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء . إن أردت حسن الشرعة فائق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقير من غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع أمورك في أوسطها فلا تطرف في قصد الأمور ودم ولا تطرف في عطفك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات وإذا جلست فلا تستوفز وعظمن تشيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتحيل أسنانك وادخال أصبعك في أنفك وكثرة إصاقتك وتخنمك وطرد الدباب من وجهك وكثرة التخطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيره وألكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واضحا إلى الكلام الحسن بمن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته واستكت عن الضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولئك ولا جارتك ولا شعرك ولا تصنيفك وسائر ما يخصك ولا تصنع لصنع المرأة في التزين ولا تبتذل تبدل العبد وتوق كثرة السكحل والاسراف في الدهن ولا تلج في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهن إرأوه قليلا هنت عندهم وإن كان كثيرا لم تبلغ قط رضام وخوفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضغف ولا تهازل أمك ولا عبك فيسقط وقارك وإذا خاستم فتوقرو عظمين جهلك وتجنب مجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الإشارة بيدك ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك ولا تبحث على ركبتيك وإذا هدا غيظك فتسكهم وإن قريك سلطان فككن منه على مثل حد السنان فإن استرسل إليك فلا تمن أنقلابه عليك وارق به رحك بالصبي وكله بما يشتهيه ما لم يكن مصيبة ولا يعملك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقا عنده فإن سقطه الداخل بينك وبين أهله سقطه لا تمتش وزلة لا تقالوا إليك وصدق العافية فانه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرشك وإذا دخلت مجلسا فلا بد في البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع وأن تعني بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فإن جلست فأدبه غض البصر وضرة للظلم وإغاثة للملوف وعون للضعيف وإرشاد الفال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياح لموضع البصاق ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن

ولا تبسط إلا إليه لما
نعرف من تنواه
وورعه . وقيل لأبي
زيد ما نراك تشغل
بكسب فن أين معاشك
قال مولاي يرزق
الكلب والخنزير تراه
لا يرزق أبا زيد .
قال السلي سمعت أبا
عبد الله الرازي يقول
سمعت مظفرا القرميضي
يقول الفقير الذي
لا يكون له إلى الله
حاجة . وقيل لبعضهم
ما الفقر قال وقوف
الحاجة على القلب
وعوها من كل أحد
سوى الرب . وقال
بعضهم أخذ الفقير
الصدقة ممن يعطيه
لا يمن تصل إليه على
يده ومن قيل من
الوساط فهو الترسم
بالفرع مدعاة همته .
أبو النجيب خاضع الدين
قال أنا عصام الدين أبو
حفص عمر بن أحمد
ابن مصور الصفاق قال
أنا أبو بكر أحمد بن

بينك ولكن عن يشارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس للوك فان فعلت فأدبه ترك القيسة
ومجانبة الكذب وصيانة السروقة الحوائج وتهذيب الألفاظ والاعراب في الخطاب وللذاكرة بأخلق
اللوكة وقلة الدعاية وكثرة الحذر منهم وإن ظهرت لك الودعة وأن لا تبشأ بمضرتهم ولا تتخلل بمد
الأكل عنده وعلى اللك أن يحتمل كل شيء إلا إفساء السروا والصدق في الملك والعرض للرحم ولا تجالس العامة
فان فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الإصفاء إلى أرائجهم والتفاؤل عما يجري من سوء ألفاظهم
وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم وإياك أن تنازع ليلاً أو غريباً فان التبيب عقد عليك والسفيه يجترى
عليك لأن الزاح غرق الحمية ويسقط ماء الوجه ويسب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين قبه الفقيه
ويجرى السفيه ويسقط للزلة عند الحكيم ويمتعه التفنون وهو يبيت القلب ويواعد عن الرب تعالى
ويكسب الفقه ويورث القلة وبه تظلم السرا وتعمت الجوارح وتكثر العيوب وتبين الذنوب وقد
قيل لا يكون للزاح إلا من سخط أو بطر ومن على مجلس بزاح أو لفظ فليذكر الله عند قيامه قال النبي
صلى الله عليه وسلم « من جلس في مجلس فكثر فيه لظه قال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانه
الله وبمحمد أشهد أن لا إله إلا أنا أنت أستغفرك وأتوب إليك لا يغفر له ما كان في مجلسه ذلك » (١) .

(الباب الثالث في حق السلم والرحم والجوارح والملك وكيفية العاشرة مع من بدلي بهذه الأسباب)

اعلم أن الانسان إما أن يكون وحده أو مع غيره وإذا تمرد عيش الانسان إلى مخالطة من هو من جنسه
لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة وكل مخالطة في مخالطة آداب الأدب على قدر حقوقه على قدر رابطة
التي بها وقعت المخالطة والرابعة إما القرابة وهي أخصها أو أخوة الاسلام وهي أعمها وينطوي في معنى
الأخوة الصداقة والصحة وإما الجوارح وإما محبة السفر والكتب والدرس وإما الصداقة أو الأخوة
ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد من كل صفة محرم حق ولكن
حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قرب من الدار وبعدة وبظهور التفاوت
عند النسبة حتى إن البلي في بلاد القرية يجري القرب في الوطن لاختصاصه بحق الجوارح في البلد
وكذلك حق السلم بتأكد بتأكد كدلالة كدلالة للمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق
الذي عرف بالسماع بل آكد منه والعرف بعد وقوعها تأكد بالاختلاط وكذلك الصحة تتفاوت
درجاتها فحق الصحة في الدرس والكتب آكد من حق صحة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت
فانها إذا قويت صارت أخوة فان ازدادت صارت محبة فان ازدادت صارت خلة والخلة أقرب من
الحبيب فالخلة ما تمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب
خليل وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فانما يكون الخلة فوق الأخوة فمما أن
لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة وتفرق من قوله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذاً خليلاً
لا تأخذت أباً بكر خليل ولكن صاحبكم خليل الله » (٢) إذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع أجزاء
قلبه ظاهراً وباطناً ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منته الخلة عرش
الاشتراك فيمع أنه أخذ علياً رضي الله عنه أخاً قال « طي مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة » (٣)

(١) حديث من جلس في مجلس فكثر فيه لظه قال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانه الله
وبمحمد الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه .

(الباب الثالث في حقوق السلم والرحم والجوارح)

(٢) حديث لو كنت متخذاً خليلاً لا تأخذت أباً بكر خليل الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري

(٣) حديث طي مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص .

خلف الشيرازي قال
أنا أبو عبد الرحمن
السلي قال سمعت أحمد
ابن علي بن جعفر يقول
سمعت أن أبا سليمان
الداراني كان يقول
آخر أقدم الراهدين
أول أقدم التوكلين .
روى أن بعض المارفين
زهد فبلغ من زهده
أن فارق الناس وخرج
من الأمصار وقال
لا أسأل أحداً شيئاً
حتى يأتيني رزقي فأخذ
يسبح فأقام في سفح
جبل سبعاً لم يأت شيء
حتى كاد أن يتلف فقال
يا رب إن أحببتني فأتني
برزقي الذي قسمت لي
وإلا فأقبضني إليك
فألهم الله تعالى في
قلبه وعزتي وجلالي
لأرزقك حتى تدخل
الأمصار وتقيم بين
الناس فتدخل المدينة
وأقام بين ظهرائي
الناس فجاءه هذا
بطعام وهذا شراب
فأكل وشرب فأوجس
في نفسه من ذلك

فعدل بلى عن النبوة كما عدل بأبي بكر عن الحقلة فشارك أبو بكر علياً رضي الله عنهما في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الحقلة وأهلته لها لو كان للشركة في الحقلة مجال فإنه نيه عليه بقوله لا تخنث أبا بكر خليلاً وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليفه وقد روى أنه صدق النبي يوماً مستبشراً فرحاً فقال: «إن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى» (١) فاذن ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الحقلة درجة وما سواها من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصحة والأخوة ويدخل فيها ما وراءهما من المحبة والحقلة وإعانة تفاوتت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والأخوة حتى ينتهي أعضاها إلى أن يوجب الأثر بالنفس وللحال كما أثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما أثره طلحة بيده إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم ونحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الإسلام وحق الرحم وحق الوالدین وحق الجوار وحق الملك أعي ملك المؤمنين فان ملك التكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح .

(حقوق السلم)

(١) هي أن تسلم عليه إذا لقيته وتحيه إذا دعاك وتتمتع إذا عطس وتعوده إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات (وتبرقسه إذا أغمس عليك وتصح له إذا استصحك وتحفظه بظهر الثياب إذا غاب عنك وتحبب له ما يحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك) (٢) ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدرهم وأن تحب تأنيهم» (٣) وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى - رحما بينهم - قال يدعو صالحهم لطايعهم وطالحهم لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فبارك الله له فما قسمت له من الخير وثبتت عليه واعتنا به وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهدمه وتب عليه واغفر له عثرته . ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال الثمان بن بشر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كتل الجسد إذا اشتكى عضومته تداعى سائر الجسد بالحق والبر» (٤) وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «للمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (٥) ومنها أن لا يؤدي أحداً من المسلمين بفعل ولا قول قال رسول الله ﷺ «السلم من سلم للمسلمون من لسانه ويده» (٦)

(١) حديث إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله فأنا حبيب الله وأنا خليل الله .

(الأخبار الواردة في حقوق السلم على السلم)

(٢) هو أن يسلم عليه إذا لقيه فذكر عشر خصال الشبان من حديث أبي هريرة حق السلم على السلم خمس رد السلام وعبادة للريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس وفي رواية لسلم حق السلم على السلم ست إذا لقيته تسلم عليه وزاد وإذا استصحك فاصح له ولاترمذى وابن ماجه من حديث علي السلم ست فذكر منها ما يحب له وما يحب لنفسه وقال وينصح له إذا غاب وأشهدوا لأحمد من حديث معاذ وأن يحب للناس ما يحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وفي الصحيحين من حديث البراء أمرنا رسول الله ﷺ يسبح فذكر منها وإبرار القسم ونصر للظالم (٣) حديث أنس أربع من حقوق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدرهم وأن تحب تأنيهم ذكره صاحب القردوس ولم أجد له إسناداً (٤) حديث الثمان بن بشر مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كتل الجسد الحديث متفق عليه (٥) حديث أبي موسى للمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً متفق عليه (٦) حديث المسلم من سلم للمسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو .

فسمع هانفا أردت أن تبطل حكته بزهك في الدنيا أما علمت أن يرزق العباد بأيدي العباد أحب إليه من أن يرزقهم بأيدي القدرة فالواصف مع الفتوح استوى عنده أبدى الآدميين وأبدى اللاتكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب القفار والتوصل إلى قطع الأسباب من الارتهاق برؤية الأسباب وإذا صح التوحيد تلاشت الأسباب في عين الانسان . أخبرنا شيخنا قال أنا أبو حفص عمر قال أنا أحمد

ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا محمد بن أحمد بن حمدان السكري قال سمعت أحمد بن عمرو ابن اليسرى يقول سمعت محمداً الإسكافي يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول من استفتح باب العارضة

غير مفاتيح الأقدار
وكل إلى الخالقين .
قال بعض المقلعين
كنت ذا صنعة جليلة
فأريدني تركها فأك
في صدى من أين
للماش ففتن في
حافظ لأرأه تنقطع
إلى وتنهى في رزقك
على أن أخدمك وليا
من أوليائي أو أسخر
لك منافع من أعدائي
فطامع حال الصوفي
وانقطعت أطعاه
وسكنت عن كل تشوف
وتطلع خدمته الدنيا
وصاحته الدنيا خادمة
وما رضاها عنومة
فصاحب الفتوح يرى
حركة النفس بالتشوف
جنابة وذنباً . روى
أن أحمد بن حنبل
خرج ذات يوم إلى
شارع باب الشام
فاشترى دقيقاً ولم يكن
في ذلك اللوز من
يعمله فوافي أيوب
الجال فعمله ودفع إليه
أحمد أجرته فلما دخل
الدار بعد إذنته اضيق

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل «فإن لم تقدر دفع الناس من الشرفاها صدقة تصدقت بها على نفسك» (١) وقال أيضاً «أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «أتدرون من السلم قالوا الله ورسوله أعلم قال السلم من سلم المسلمون من لسانه والسوء واجتنبه» (٣) وقال رجل يارسل الله ما الاسلام قال «أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويديك» وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادي يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذي المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين» (٤) وقال أبو هريرة رضي الله عنه «يارسل الله علمي شيئاً أتضع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «من زحزح عن طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة» (٦) وقال عليه «لا يحل لمسلم أن يمشي إلى أخيه بنظرة تؤذي» (٧) وقال «لا يحل لمسلم أن يروم مسلماً» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يكره أن يمشي المؤمن» (٩) وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذيه وجاهل فلا تتجاهله . ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل غرور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يغفر أحد على أحد» (١٠) ثم إن تتأخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لبيته صلى الله عليه وسلم - خذ الصفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - وعن ابن أبي أوفى «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجته» (١١)

(١) حديث فإن لم تقدر دفع الناس من الشرفاها صدقة تصدقت بها على نفسك متفق عليه من حديث أبي ذر (٢) حديث أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث أن موسى (٣) حديث أتدرون من السلم قالوا الله ورسوله أعلم قال السلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الطبراني والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد الأناخير كان يؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمجاهر من هجر الخطايا والذنوب روى ابن ماجه مقتصر على المؤمنين والمجاهر وله كما من حديث أنس وقال على شرط مسلم والمجاهر من هجر السوء ولأحمد بسند صحيح من حديث عمر بن عبسة قال رجل يارسل الله ما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويديك (٤) حديث قد رأيت رجلاً في الجنة يتقلب في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أن هريرة يارسل الله علمي شيئاً أتضع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين مسلم من حديث أبي بزة قال قلت يا نبي الله فذكره (٦) حديث من زحزح عن طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب الله بها حسنة أوجب له بها الجنة أحمد من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٧) حديث لا يحل لمسلم أن ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد من رواية حمزة بن عبيد مسلم بسند ضعيف وفي البر والصلة له من زيادات الحسين المروزي حمزة بن عبد الله بن أبي سمى وهو الصواب (٨) حديث إن الله تعالى يكره أذى المؤمنين ابن المبارك في الزهد من رواية عكرمة بن خالد مسلم بسند جيد (٩) حديث إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يغفر أحد على أحد أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن جاز ورواه رجال الصحيح (١٠) حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجته النساء بسند صحيح والحاكم وقال على شرط الشيخين .

ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بشئهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قتات » (١) وقال الحليل بن أحمد من ثم لك نعم عليك ومن أخبرك خبر غيرك أخبر غيرك بخبرك . ومنها أن لا يزيد في الحجر لمن يرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه . قال أبو أيوب الأنصاري قال صلى الله عليه وسلم « لا يحمل لسل أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » (٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أقال مسلما عشرته أقاله الله يوم القيامة » (٣) قال عكرمة قال قال تعالى لبوسف بن يعقوب بسفوك عن إخوتك رفضت ذكرك في الدارين . قالت عائشة رضي الله عنها « ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله » (٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما ضا رجل عن مظلة إلا زاده الله بها عزا . وقال صلى الله عليه وسلم « ما همس مال من صدقة وما زاد الله رجلا مضو إلا عزا وما من أحد تواضع لله إلا رضعه الله » (٥) ومنها أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل ، روى علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع للعروف في أهل وفي غير أهل فان أصبت أهل فهو أهل وإن لم تصب أهل فأنت من أهل » (٦) وعنه باسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس القمل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع العروف إلى كل بر وفاجر » (٧) قال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحد يده فيزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركة جلوسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أتبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه » (٨) ومنها أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثا فان لم يؤذن له انصرف . قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاستئذان ثلاث فالأولى يستصتون والثانية يستملحون والثالثة يأذنون أو يردون » (٩) ومنها أن يخالف الجميع بخلق حسن ويسامهم بحسب طريقته فانه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمر بالحق والبيان أدى وتأذى . ومنها أن

(١) حديث لا يدخل الجنة قتات متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث أبي أيوب لا يحمل لسل أن يهجر أخاه فوق ثلاث الحديث متفق عليه (٣) حديث من أقال مسلما عشرته أقاله الله يوم القيامة أبو داود والحاكم وقد تقدم (٤) حديث عائشة ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله متفق عليه بلفظ إلا أن تنتهك (٥) حديث ما همس مال من صدقة وما زاد الله رجلا مضو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رضعه الله مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده اصنع للعروف إلى أهل فان لم تصب أهل فأنت أهل ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعيف ورواه القاضى في مسند الشباب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلا بسند ضعيف (٧) حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده رأس القمل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع العروف إلى كل بر وفاجر الطبراني في الأوسط والحطابي في تاريخ الطالبيين وعنه أبو نعيم في الحلية دون قوله واصطناع إلى آخره وقال الطبراني التجب . (٨) حديث أبي هريرة كان لا يأخذ أحد يده فيزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها الحديث الطبراني في الأوسط باسناده حسن والآب داود والترمذي وابن ماجه نحوه من حديث أنس بسند ضعيف (٩) حديث أبي هريرة الاستئذان ثلاث فالأولى يستصتون والثانية يستملحون والثالثة يأذنون أو يردون الدارقطني في الأفراد بسند ضعيف وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الاستئذان ثلاث فان أدن لك وإلا فارح .

أن أهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرأى أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما قال أحمد ضمهما ثم صبر قليلا ثم قال خذهما فألقه بهما فلقه فأخذها فرجع صالح متعبا فقال له أحمد عجبت من رده وأخسسه قال نعم قال هذا رجل صالح فرأى الحبيب فاستشرت قسه إليه فلما أعطياه مع الاستشراف رده ثم أيس فرددناه إليه بعد الإيساقيل . هذا حال أرباب الصدق إن سألو سألوا بعل وإن أسكوا عن السؤال أسكوا بحال وإن قبلوا قبلوا بعل فمن لم يرزق حال الفتح فله حال السؤال والكسب بشرط العلم فأما السائل

بوقر الشايع ورحم الصبيان . قال جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » (١) قال عليه السلام « من إجلال الله إكرام ذى الشيعة للسلم » ومن عام توقير الشايع أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن ، وقال جابر « قدم وقد جهنة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قدام غلام ليحكم فقال صلى الله عليه وسلم ما فأن الكبير » (٢) وفي الخبر « ما وقر شاب شيئا إلا قبض الله في سنه من بوقره » (٣) وهذه بشارة بدوام الحياة فليقبلها فلانها فليوقر للشايع إلا من قضى الله له بطول العمر ، وقال عليه السلام « لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا ولا طرا قيطا وتضيض الثام فيضا وتضيض الكرام غيضا ويجترى الصغير على الكبير والاشم على الكريم » (٤) « والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله عليه السلام » . « كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فينقله الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفقون إليه فيرفعونهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يعملوا بهم » (٥) « فرما تفاخر الصبيان بمد ذلك يقول بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك أنت وراءه ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يعملوك وراءهم » وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة وليسميه فيأخذه فيضه في حجره فرميا بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول : لا تزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضى بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويلج سرور أهله فيه للابروا أنه تأذى بيوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بهمه (٦) ومنها أن يكون

مستكثرا فوق الحاجة لافي وقت الضرورة فليس من الصوفية بشي . سمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل فقال لمن عندما أكل لك عشي السائل فقال قد عشيته فظفر عمر فاذا تحت إبطه عجلة مملوءة خبزا فقال عمر ألك عيال فقال لا فقال عمر لست بسائل

ولكنك تاجر ثم ثر عجلته بين يدي أهل الصدقة وضربه بالبركة وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال إن الله تعالى في خلقه مثنويات فمرو عيوبات فمرو من علامة الفقر إذا كان مثنوبة أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء خلقه ويسعى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط لقضاء فعال الصوفية حسن الأدب

(١) حديث جابر ليس منا من لم يوقر كبيرنا ورحم صغيرنا الطبراني في الأوسط بسند ضعيف وهو عند أبي داود والبخاري في الأدب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن (٢) حديث من إجلال الله إكرام ذى الشيعة للسلم أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن (٣) حديث جابر قدم وقد جهنة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قدام غلام ليحكم فقال صلى الله عليه وسلم ما فأن الكبير الحاكم وصححه (٤) حديث ما وقر شاب شيئا لسنه إلا قبض الله في سنه من بوقره الترمذي من حديث أنس لفظ ما أكرم ومن يكرمه وقال حديث غريب وفي بعض النسخ حسن وفيه أبو الرجال وهو ضيف (٥) حديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والطريقا الحديث الحرانلي في مقام الأخلاق من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن مسعود وإسناده ضيف (٦) حديث التاطف بالصبيان البراز من حديث أنس كان من أفكه الناس مع صبي وقد تقدم في النكاح وفي الصحيحين يا أبا عمر ما قبل الخبر وغير ذلك (٧) حديث كان يقدم من السفر فينقله الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفقون إليه الحديث مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان إذا قدم من سفر تلقى بنا قال فيأتي في والحسن وقال فحمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه وفي رواية تلقى صبيان أهل بيته وأنه قدم من سفر فسبقني إليه فحملني بين يديه ثم جرى . بأحد ابن فاطمة فأردفه خلفه وفي الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير أتدكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك لفظ مسلم وقال البخاري إن ابن الزبير قال لابن جعفر فافقه أعلم (٨) حديث كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة ويسميه فيأخذه ويضعه في حجره فرميا بال الصبي فيصيح به بعض من رآه الحديث مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيركب عليهم ويخضعهم فأبى فقال عليه فدعا بماء فأبسه بوله ولم يسله وأسله متفق عليه وفي رواية لأحمد في دعوتهم وفيه صوابا عليه للماء صا ولقد رطقي بال ابن الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه أخذا عني الحديث وفيه الحاجب بن أرملة ضيف ولأحمد بن منيع من حديث حسن بن علي عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيًا إذ بال قامت لتأخذه وتضربه فقال دعني اتوني بكوز

مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا . قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال على الذين الهين السهل القريب ^(١) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب السهل الطلق الوجه ^(٢) » وقال بعضهم : يا رسول الله دلى على عمل يدخلني الجنة فقال « إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام ^(٣) » وقال عبد الله بن عمر إن البر شيئين وجه طلق وكلام لين وقال ^(٤) « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فكلمة طيبة ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لثرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها : قالوا أعرابي لمن هي يا رسول الله ؟ قال « لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ^(٦) » وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الحيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح ^(٧) » وقال أنس رضي الله عنه « عرضت لنبي الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت : لي معك حاجة وكان معه تاس من أمحابه فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك فجلست فجلس إليها حتى قضت حاجتها ^(٨) » وقال وهب بن منبه إن رجلا من بني إسرائيل صام سبعين سنة يخطر في كل سبعة أيام فقال الله تعالى أنه يريه كيف يفوى الشيطان الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجد ما يحب قال لو اطلمت على خطيئتي وذنبتي يبي وبين ربّي لكان خيرا لي من هذا الأمر الذي طلبته فأرسل الله إليه ملكا فقال له إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إلي مما مضى من عبادتك وقد قضى الله بصرك فانظر فأنظر فأنظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذي تاب فقال أي دى من ينجو من هذا قال الورع اللين . ومنها أن لا يصم مسلما بوعدا ولا يبي به قال ^(٩) « المدة عطية ^(١٠) » وقال « المدة دين ^(١١) » وقال « ثلاث في الناس إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ^(١٢) » وقال « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى ^(١٣) » وذكر ذلك

من ماء الحديث وإسناده صحيح (١) حديث أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال الذين الهين السهل القريب الترمذي من حديث ابن مسعود ي نقل اللين وذكرها الحرائطي من رواية محمد بن أبي عتيق عن أمه قال الترمذي حسن غريب (٢) حديث أبي هريرة إن الله يحب السهل الطلق البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه من رواية موري العجلي مرسل (٣) حديث إن من موجبات للمغفرة بذل السلام وحسن الكلام ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والحرائطي في معارج الأخلاق واللفظ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث هاني بن زيد بإسناد جيد (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتقدم في الزكاة (٥) حديث إن في الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها الحديث الترمذي من حديث علي وقال حديث غريب . قلت وهو ضعيف (٦) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث الحرائطي في معارج الأخلاق والبيهقي في كتاب الزهد وأبو نعيم في الحلية ولم يقل البيهقي وخفض الجناح وإسناده ضعيف (٧) حديث أنس عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك الحديث رواه مسلم (٨) حديث المدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قتات بن أشيم بسند ضعيف (٩) حديث المدة دين الطبراني في معجمه الأوسط والأسمر من حديث علي وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود في اللسان (١٠) حديث ثلاث في الناس إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه (١١) حديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى البخاري من حديث أبي هريرة

في السؤال والفتوح والصدق مع الله على كل حال كيف خلب [الباب الحادي والعشرون في شرح حال التجرد والتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم]

الصوفي يتزوج له كما يتجرد لله فليتجرده متصدا وأوان وتأهله مقصودا وأوان الصادق يعلم أوان التجرد والتأهل لأن الطبع الجوارح للصوفي ملهم بلجام العلم بهما يصلح له التجرد لا يستجبه الطبع إلى التزوج ولا يقدم على التزوج إلا إذا انصلحت النفس واستحقت إدخال الرفق عليها وذلك إذا صارت متفاداة مطوعة بحجة إلى ما يراد منها بمثابة الطفل الذي يتأهل بما يروق له وعن عماضره فإذا صارت النفس محكومة مطوعة قد فاءت إلى أمر الله وتملتت عن مشاحة

ومنها أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه قال صلى الله عليه وسلم « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام ^(١) » وقال عليه السلام « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وليؤت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً وأحب للناس ما نحب لنفسك تكن مسلماً ^(٣) » قال الحسن : أوحى الله تعالى إلى آدم صلى الله عليه وسلم بأربع خصال وقال أمين : جماع الأمر لك ولولم لك واحدة في واحدة لك واحدة بيني وبينك واحدة بينك وبين الخلق فأما التي لي تبدني ولا تشرك لي شيئاً وأما التي لك فعملك أجزيك به أقفر ما تكون إليه وأما التي بيني وبينك فليكك الدماء وعلى الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي يحب أن يصحبوك به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال أي رب أي عبادك أعدك قال من أنصف من نفسه . ومنها أن يزيد في توفير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فيزول الناس منازلهم روى أن عائشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت منزلاً فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة تناولوا هذا السكين قرصاً ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه إلى الطعام فقبل لها تعطين للسكين وتدعين هذا الذي فقالت إن الله تعالى أنزل الناس منازل لا بد لنا من أن نزلهم تلك المنازل هذا السكين رضى بقرص وتبيح بأن نعطى هذا الذي على هذه الهيئة قرصاً وروى أنه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوت فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكاناً فقدم على الباب فلفرس رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فألقاه إليه وقال له اجلس على هذا فأخذ جرير ووضع على وجهه وجعل يقيه ويبكي ثم لفه ورمى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لأجلس على ثوبك أكرمك الله كما أكرمتني فظفر النبي صلى الله عليه وسلم بين يمينه وشماله ثم قال « إذا أتاكم كرم قوم فأكرمهم ^(٤) » وكذلك كل من له عليه حق قد قبله فليكرمه ، روى « أن ظر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعت جاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بأبي ثم أجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفني وسلي تعطى فقالت قومي فقال أما حق وحق بن هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحققنا بإرسول الله ثم وصلها بدم وأخذنها ووهب لها سمانه مجنين ^(٥) » بيع ذلك من عثمان بن عفان رضى الله عنه بمائة ألف درهم « ولربما أتاه من يأتيه وهو على وسادة وأمله متفق عليه ولفظ مسلم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وهذا ليس في البخاري ^(١) حديث لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام الخراطبي في مكارم الأخلاق من حديث عمار بن ياسر ووقع البخاري عليه ^(٢) حديث من سره أن يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص نحوه والخراطبي في مكارم الأخلاق بلفظه ^(٣) حديث يا أيها الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً وأحب للناس ما نحب لنفسك تكن مسلماً الخراطبي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف والمروفي أنه قاله لأبي هريرة وقد تقدم ^(٤) حديث إذا أتاكم كرم قوم فأكرمهم وفي أوله قصة في قدوم جرير بن عبد الله الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وتقدم في الزكاة مختصراً ^(٥) حديث إن ظر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعت جاءت إليه فبسط لها رداءه الحديث أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي الطيفيل مختصراً في بسط رداءه لها دون ما بعده .

القلب فيصلح بينهما بالعدل وينظر في أمرهما بالقسط ومن صبر من الصوفية على الزوجة هذا الصبر إلى حين بلوغ الكتاب أجله ينتخب له الزوجة انتخاباً وبهيه الله له أعواناً وأسباباً وينعم برفيق يدخل عليه وورق يساق إليه ومقام استجلب للريد واستغفره الطبع وخامره الجهل يورن دخان الشهوة الملقطة لشعاع العلم وانحط من أوج العزعة الذي هو فضية حاله وموجب إرادته وشريطة صدق طلبه إلى حضيض الرخصة التي هي رحمة من الله تعالى لعامة خلقه يحكم عليه بالنقصان ويشهد له بالخسران ومثل هذا الاستحجال هو حضيض الرجال قال سهل بن عبد الله التستري إذا كان للديد مال يتوقع به زيادة فدخل عليه الابتلاء فرجوعه في الابتلاء

جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فيزعمها ويضعها تحت الذي يجلس إليه فإن أن عزم عليه حق فعل (١) . ومنها أن يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين (٣) » وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضي الله عنه قال « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله بأي أنت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جثيا بين يدي رب العزة قال أحدهما يارب خذني مطلق من هذا قال الله تعالى رد علي أخيك مظلمة فقال يارب لم يبق لي من حسنتي شيء قال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسنة شيء قال يارب فليحمل عني من أوزاري ثم قاضت عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكاء فقال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تعالى أي للمظلم ارفع يديك فانظر في الجنان قال يارب أرى مدائن من فضة وتصور من ذهب مكللة بالؤلؤ لأي نبي هذا أولأي صديق أولأي شهيد قال الله تعالى هذا لمن أعطى الثمن قال يارب ومن علك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة (٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا (٥) » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب أكد منه قال صلى الله عليه وسلم « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لاسمائه لرضيها (٦) » . ومنها أن تستعورت المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم « من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة (٧) » وقال « لا يستر عبدا إلا ستره الله يوم القيامة (٨) »

(١) حديث نزع صلى الله عليه وسلم وسادته ووضعها تحت الذي يجلس إليه أحمد من حديث ابن عمرو أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فألقى إليه وسادة من آدم حشوها ليف الحديث وإسناده صحيح والطبراني من حديث سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فألقاه إلى الحديث وسنده ضعيف قال صاحب اللباز هذا خير ساقط (٢) حديث ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين الحالة أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي هريرة (٣) حديث أفضل الصدقة إصلاح ذات البين الطبراني في الكبير والحرثي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفرقي ضعفه الجوهري (٤) حديث أنس بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بأي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جثيا بين يدي الله عز وجل فقال أحدهما يارب خذني مطلق من هذا الحديث الحرثي في مكارم الأخلاق والحاكم وقال صحيح الإسناد وكذا أبو يعلى اللوصي خرجه بطول وضعه البخاري وابن حبان (٥) حديث ليس بكذاب من أصلح بين اثنين قال خيرا أو عني خيرا متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (٦) حديث كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب الحديث الحرثي في مكارم الأخلاق من حديث النواس ابن صمان وفيه انقطاع وضعف ولمس نحوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة (٧) حديث من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة مسلم من حديث أبي هريرة ولشيوخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٨) حديث لا يستر عبدا إلا ستره الله يوم القيامة مسلم من حديث أبي هريرة أيضا .

إلى حال دون ذلك
تصان وحدث وصمت
بعض الفقهاء وقد قيل
لهم لا تزوج فقال المرأة
لا تصلح إلا للرجال وأنا
ما بلغت مبلغ الرجال
فكسيف أزواج
فالمصدقون لهم أو أن
بلوغ عنده يتزوجون
وقد تمارضت الأخبار
وتماثلت الآثار في فضيلة
التجريد والتزويج
وتنوع كلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك لتنوع الأحوال
لنهم من فضيلته في
التجريد ومنهم من
فضيلته في التأهل وكل
هذا التمارض في حق
من تار توافقه برد
وسلام لكل تقواه
وقهره هواه وإلا فني
غير هذا الرجل الذي
يخاف عليه الفتنة
يجب التسامح في حال
التوافق الفرط ويكون
الحلاف بين الأئمة في
غير النافق فالصوفي
إذا صار متأهلا يتعين
على الإخوان معاوئته

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم «لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة» (١) وقال الشيخ المازني لما أخبره «لو سترته بثوبك كان خيرا لك» (٢) فإذا نزل على المسلم أن يستر عورة نفسه حق إسلامه واجب عليه حتى إسلام غيره قال أبو بكر رضي الله عنه لو وجدت شارباً لأحببت أن يستره الله ولو وجدت سارقاً لأحببت أن يستره الله وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسر بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس أرايتم لو أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا إنما أنت إمام فقال صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك إذا قام عليك الحد إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ثم تركهم مشاء الله أن يتركهم ثم سألمهم فقال القوم مثل مقاتلهم الأولي فقال صلى الله عليه وسلم مثل مقاتله الأولى وهذا يشير إلى أن عمر رضي الله عنه كان متردداً في أن الوالي هل له أن يقضي ببلعه في حدود الله فذلك راجعهم في معرض التندر لافي معرض الإخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفاً بأخباره ومال رأي على إلى أنه ليس له ذلك وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش فإن أغشها أترنا وقد نيط بأربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المسكة وهذا فقط لا يتفق وإن علمه القاضي عقيقا لم يكن له أن يكشف عنه فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات ثم انظر إلى كيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فترجو أن لا نحرّم هذا السكر يوم تبلى السرائر في الحديث «إن الله إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى» (٣) وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة فبينما نحن نغشى إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمّه فلما دنونا منه إذا باب مطلق على قوم لهم أصوات ولطف فأخذ عمر يدي وقال أتدري بيت من هذا؟ قلت لا فقال هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف يوم الآن شربنا نرى؟ قلت: أرى أن قد أتينا ما هنا قال الله تعالى «ولا تخسبوا» - فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التبصير وقد قال صلى الله عليه وسلم لماوية «إنك إن تبصرت عورات الناس أفسدتهم أوكدت تضدهم» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغلبوا المسلمين ولا يتغلبوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته» (٥) وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لو رأيت أحداً على حد من حدود الله تعالى

بالإشارة ومساعدته في الاستكثار إذا رأى ضيف الحال قاصراً عن رتبة الرجال كما وصفا من صبر من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله. أخبرنا أبو زرعة عن والده أبي الفضل القدسي الحافظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب قال أنا أبو الحسين محمد بن عبيد الله ابن أخي ميمى قال أنا أبو القاسم عبيد الله ابن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد ابن هرون قال أنا أنا أبو المعيرة قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنا عبد الرحمن ابن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه في قسمه في يومه فأعطى المتأهل حظين والعزب حظاً واحداً فدعينا وكنت أدعى قبل عمر بن ياسر

(١) حديث أبي سعيد الخدري لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة الطبراني في الأوسط والصفير والحراطين في مكارم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف (٢) حديث لو سترته بثوبك كان خيراً لك أبو داود والنسائي من حديث نعم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الاسناد ونعم مختلف في محبة (٣) حديث إن الله إذا ستر على عبده عورة في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث علي بن مازن ذنباً في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فأكرم من أن يرجع في شيء قد عفا عنه ومن أذنب ذنباً في الدنيا فغوب عليه فأكرم من أن يثني القوبة على عبده لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وسلم من حديث أبي هريرة لا ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة (٤) حديث إنك إن تبصرت عورات الناس أفسدتهم أوكدت تضدهم قاله لماوية أبو داود بإسناد صحيح من حديث لماوية (٥) حديث يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغلبوا المسلمين ولا يتغلبوا عوراتهم الحديث أبو داود من حديث أبي رزة بإسناد جيد والترمذي نحوه من حديث ابن عمرو وحسنه .

ما أخذته ولا دعوت له أحد حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إذ جاءه رجل بأخر فقال هذا نثنوان فقال عبد الله بن مسعود استكبهوا فاستكبهوا فوجده نثنوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فكسره ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك وأعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء أومرط فلما فرغ قال للذي جاء به ما أنت منه قال معه قال عبد الله ما أدبت فأحسن الأديب ولا مرت الحرمه إنه ينيئ للامام إذا انتهى إليه حد أن يقيه وإن الله عفو يحب العفو فقرأ - وليعفو وليصفحوا - ثم قال «إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ أي سارق قطعه، فكأنما أسف وجهه فقالوا يارسول الله كأنك كرهت قطعه فقال وما ينبغي لأتكونوا عوناً للشياطين على أخيك فقالوا ألا عفوت عنه فقال إنه ينبغي للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيه إن الله غفور عفوف العفو وغفر - وليعفو وليصفحوا ألا يحبون أن يضرب الله لكم والله غفور رحيم» (١) وفي رواية فكأنما سقى في وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة قهره وروى أن عمر رضي الله عنه كان يس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتخفى فقتل عليه فوجد عنده امرأة وعنده خر قال يا عدواؤه أظننت أن الله يترك وأنت على مصبته فقال وأنت يا أمير المؤمنين فلاتجلل فإن كنت قد عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاثا قال الله تعالى - ولا تجسسوا - وقد تجسس وقال الله تعالى - وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها - وقد نسوت على وقد قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الآية وقد دخلت بيتي خير إذن ولا سلام فقال عمر رضي الله عنه هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم والله يا أمير المؤمنين لكن عفوت عنى لأعود إلى مثلها أبدا ففأعنه وخرج وتركه وقال الرجل لبيد الله بن عمر يا أبا عبد الرحمن كيف صحت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة قال صحت يقول «إن الله ليدين منه المؤمن فيضع عليه كفه ويستره من الناس فيقول أترف ذنب كذا أترف ذنب كذا فيقول نعم يارب حتى إذا قرره بذنوبه فرأى في نفسه أنه قد هلك قال له يا عبيدي إني لم أسترها عليك في الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم يعطى كتاب حسنة وأما الكافرون ولنا نقول فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم إلا لعنة الله على الظالمين» (٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم «كل أمي معافي إلا المجاهرين» (٣) وإن من المجاهرة أن يسل الرجل السوء سرا ثم يخبره وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع خبر قوم وهم كارهون صب في أذنه الآنك يوم القيامة» (٤) ومنها أن يتي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن الفرية فاتهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السب فيه كان شريكا قال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - وقال صلى الله عليه وسلم «كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ! فقال لهم سب أبوي غيره فيسبون أبويه» (٥) وقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه

فأعطاني حطين وأعطاء
حظا واحدا فسخط
حتى عرف ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في وجهه ومن حضره
فبقيت معه سلسلة من
ذهب فقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يرفها بطرف عصاه
وتسقط وهو يقول
كيف أتم يوم يكسر
لكم من هذا فلم يجبه
أحد فقال عمار وددنا
يارسول الله لو قد
أكثرنا من هذا
فالتجرد عن الأزواج
والأولاد أعون على
الوقت الفقير وأجمع
لهمه وأتة ليشه
ويصلح للفقير في ابتداء
أمره قطع الصلاقي
وعوالمواقي والتنقل
في الأسفار وركوب
الأخطار والتجرد عن
الأسباب والخروج عن
كل ما يكون حجابا
والزواج أعطاط من
العزيمة إلى الرخص
ورجوع من التزوج
إلى النكاح وتزيد

(١) حديث ابن مسعود إلى لأذكر أول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم أي سارق قطعه فكأنما أسف وجهه رسول الله ﷺ الحديث رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولا يخفى في مكارم الأخلاق فكأنما سقى في وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد الحديث (٢) حديث ابن عمر رضي الله عنهما ورجل ليدين المؤمن فيضع عليه كفه ويستره من الناس فيقول أترف ذنب كذا أترف ذنب كذا الحديث (٣) حديث كل أمي معافي إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث من استمع من قوم وهم كارهون صب في أذنه الآنك يوم القيامة البخاري من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوف على أبي هريرة أيضا (٥) حديث كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه الحديث متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو نحوه .

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نسائه فر به رجل فدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا فلان هذه زوجتي صفة فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه فاني لم أكن أظن فيك فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ^(١) » وزاد في رواية « إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا وكانا رجلين فقال علي رسلهما إنها صفة ^(٢) » الحديث وكانت قد أرته في البشر الأواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من أقام غسه مقام التهم فلا يؤمن من أساء به الظن ومر به رجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فلهاء بالردة فقال يا أمير المؤمنين : إنها امرأتى فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس ؟ . ومنها أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلى الله عليه وسلم « إني أوتي وأسأل وتطلب إليّ الحاجة وأتم عندي فاشفوا تؤجروا ويغفر الله لي يدي نبيه ما أحب ^(٣) » وقال معاوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشفوا إليّ تؤجروا إني أريد الأمر وأؤخره كي تشفوا إلى تؤجروا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك ؟ قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجربها للنفقة إلى آخر ويدفع بها للكروه عن آخر ^(٥) » وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآني أنظر إليه خلفها وهو يبكي ودموعه تسيل على لحيتة فقال صلى الله عليه وسلم لعباس ألا تعجب من غدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له فقال النبي صلى الله عليه وسلم لوراجيته فائه أبو ولدك فقالت يا رسول الله أتأمرني فأفعل فقال لا إنما أنا شافع ^(٦) » ومنها أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل السلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم « من بدأ بالسلام قبل السلام فلا يجيبوه حتى يبدأ بالسلام ^(٧) » وقال بعضهم « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع قل السلام عليكم وادخل ^(٨) » وروى جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا بلم أحدكم لم يدخل بيته ^(٩) » وقال أنس رضي الله عنه « خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمان حجج قال لي يا أنس أسبغ الوضوء بزد في عمرك وسلم على

بالأولاد والأزواج
ودوران حول مظان
الاعوجاج والتفات إلى
الدنيا بصد الزهادة
وانصاف على الهوى
بمقتضى الطبيعة
والعادة . قال أبو سليمان
الحراني ثلاث من
طلبهن قد رخصن
إلى الدنيا من طلب
معاشا أو تزوج امرأة
أو كتب الحديث .
وقال مارأيت أحدا
من أصحابنا تزوج
فحبب على مريته .
أخبرنا الشيخ طاهر
قال أنا والذي أبو الفضل
قال أنا محمد بن
إسماعيل اللقري قال
أنا أحمد بن الحسن
قال أنا حاجب الطوسي
قال حدثنا عبد الرحيم
قال حدثنا الفزاري
عن سليمان التيمي
عن أبي عثمان التهدي
عن أسامة بن زيد
رضي الله عنهما قال
: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ما تركت
بصدي فتنة أضرم على

- (١) حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نسائه فر به رجل فدعاء فقال يا فلان هذه زوجتي صفة وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم (٢) حديث إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا وقال علي رسلهما إنها صفة (٣) حديث إني أوتي وأسأل وتطلب إليّ الحاجة وأتم عندي فاشفوا تؤجروا الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى نحوه (٤) حديث ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان الحديث الخراطمي في مكارم الأخلاق واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث حمزة بن جندب بسند ضعيف (٥) حديث عكرمة عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآني أنظر إليه خلفها يبكي الحديث رواه البخاري .
- (٦) حديث من بدأ بالسلام قبل السلام فلا يجيبوه الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في اليوم واليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين (٧) حديث دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن قال ﷺ ارجع قل السلام عليكم أ أدخل أبو داود والترمذي وحسنه من حديث كلدة بن الحنبل وهو صاحب القصة (٨) حديث جابر إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته الخراطمي في مكارم الأخلاق وفيه ضعف .

[١] هذا الحديث ساقط عند العراقي وهو من رواية أبي داود والنسائي وابن عساكر من طريق همام بن منبه عن معاوية كافي الشارح اهـ .

الرجال من النساء
وروي رجاء بن حيوة
عن معاذ بن جبل
قال « اتلينا بالراء
فصبرنا وإيتينا بالراء
فلم نصبر وإن أخوف
ما أخاف عليكم فتنة
النساء إذا تسورن
بالقهوب ولبن رطب
والشام وعصب العن
وأعبين الفتي وكفنن
الفقير ما لا يجد » وقال
بعض الحكماء معالجة
العزوبة خير من
معالجة النساء . وسئل
سهر بن عبد الله عن
النساء فقال الصبر عنهن
خير من الصبر عليهن
والصبر عليهن خير من
الصبر على النار . وقيل
في تفسير قوله تعالى
- خلق الإنسان
ضغفا - لأنه لا يصبر
عن النساء وقيل في قوله
تعالى - ربنا ولا تخلفننا
مألا قلنا له - الفلة
فإن قدر الفقير على
مقاومة النوى ورزق
الملم الوافر بحسن
المأالة في معالجة

(۲۶ - إحياء - ثاني)

« لاتصاغوا أهل القمة ولا تبدءوهم بالسلم فاذا قنعتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أن سبق الطريق »
 قالت عائشة رضي الله عنها « إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم قالت عائشة رضي الله عنها قتلت بل عليكم السلام واللعة فقال عليه السلام يا عائشة إن الله يحب الرفق في كل شيء قالت عائشة ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت عليكم (١) » وقال عليه السلام « سلم الراكب على السائى وللشائى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (٢) » وقال عليه السلام « لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالأكف (٣) » قال أبو عيسى إسناده ضعيف وقال عليه السلام « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة (٤) » وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقي المؤمنان فصاغحا فسمعت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسهما بشراً (٥) » وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا التقي المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصاغحا نزلت بينهما مائة رحمة لبدأي تسعون وللصاغح عشرة (٦) » وقال الحسن للصالغة زيد في الود وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمام حياتكم بينكم للصالغة (٧) » وقال عليه السلام « قبله للسلم أخاه للصالفة (٨) » ولا بأس بقبله يد العظمى في الدين تبركا به وتوقيراً له وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم (٩) وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده (١٠) وروى أن أعرابياً قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك قال فأذن له فقبل (١١) ولقي أبو عبيدة

النفس وصبر عن
 قد حاز الفضل
 واستعمل العقل
 واعتدى إلى الأمر
 السهل قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 « خيركم بعد اللاتين
 رجل خفيف الحاذق
 يارسل الله ما خفيف
 الحاذق قال الذي لأهل
 له ولأولده وقال بعض
 الفقهاء لما قيل له تزوج
 أنا إلى أن أطلق نكسي
 أخرج مني إلى الزوج
 وقيل لبشر بن الحرث
 إن الناس يشكمون
 فيك فقال ما يقولون
 قيل يقولون إنه تارك
 للسنن يعني النكاح فقال
 قولوا لهم أنا مشغول
 بالقرض عن السنة .
 وكان يقول لو كنت
 أعول دجاجة خفت
 أن أكون جلادا على
 الجسر والصوفي مبتلى
 بالنفس ومطالبها هو
 في شغل شافل عن
 نفسه فاذا انضاف إلى
 مطالبات نفسه
 مطالبات زوجته

(١) حديث عائشة إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك الحديث متفق عليه (٢) حديث سلم الراكب على السائى وللشائى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل سلم والصغير على الكبير (٣) حديث لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالأكف الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال إسناده ضعيف (٤) حديث إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبي هريرة (٥) حديث أنس إذا التقي المسلمان فصاغحا فسمعت بينهما سبعون رحمة الحديث الحرايطى بسند ضعيف وللطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة مائة رحمة تسعون لأحسهما وأطلقهما وأبترهما وأحسنهما مسألة لأخيه وفيه الحسن بن كثير بن يحيى بن أبي كثير مجهول (٦) حديث عمر بن الخطاب إذا التقي المسلمان فلم كل واحد على صاحبه وتصاغحا نزلت بينهما مائة رحمة الحديث البزار في مسنده والحرايطى في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وفي إسناده نظر (٧) حديث أبي هريرة تمام حياتكم بينكم للصالفة الحرايطى في مكارم الأخلاق وهو عند الترمذى من حديث أبي أمامة ووضعه (٨) حديث قبله للسلم أخاه للصالفة الحرايطى وابن عدى من حديث أنس وقال غير محفوظ (٩) حديث ابن عمر قبلنا يارسول الله صلى الله عليه وسلم أبو داود بسند حسن (١٠) حديث كعب ابن مالك لما نزلت توبى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده أبو بكر بن القرى في كتاب الرخصة في تهليل اليد بسند ضعيف (١١) حديث أن أعرابياً قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك فأذن له فقبل الحاكم من حديث بريرة إلا أنه قال جلبيك موضع يدك وقال صحيح الاسناد.

عمر بن الخطاب رضى الله عنهم فضاخه وقبل يده وتحميا يكيان وعن البراء بن عازب رضى الله عنه «أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده إليه فضاخه قال يا رسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المسلمين إذا التقيا قصصا غمات ذنوبهما (١) » وعن النبي ﷺ قال « إذا مرَّ الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملا خير منهم وأطيب » أو قال وأفضل (٢) » والاعناء عند السلام منى عنه قال أنس رضى الله عنه « قلنا يا رسول الله أينحن بضنا لبعض ؟ قال لا قال فيقبل بضنا بضنا ؟ قال لا قال فيصافح بضنا بضنا ؟ قال نعم (٣) » والالتزام والتقبل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر (٤) وقال أبو ذر رضى الله عنه ما كنت صلى الله عليه وسلم إلا صاغني وطلبني يوما فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرر فالتزمني فكانت أجود وأجود (٥) » والأخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر فل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت (٦) » وأخذ عمر بن زید حتى رفعه وقال هكذا فاضلوا يزيد وأصحاب زيد . والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال أنس ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يملون من كراهيته لذلك (٧) » وروى أنه عليه السلام قال مرة « إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم (٨) » وقال عليه السلام « من سره أن يثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار (٩) » وقال عليه السلام « لا يثم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا (١٠) » وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته فإما هي كرامة أكرمه بها أخوه

(١) حديث البراء بن عازب أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد يده إليه فضاخه الحديث رواه الخرائطي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصرا ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا قال الترمذي حسن غريب من حديث أبي إسحاق عن البراء (٢) حديث إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملا خير منهم وأطيب الخرائطي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعا وضمف البيهقي للرفع ورواه موقوفا عليه بسند صحيح (٣) حديث أنس قلنا يا رسول الله أينحن بضنا لبعض قال لا الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه وضمفه أحمد والبيهقي (٤) حديث الالتزام والتقبل عند القدوم من السفر الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاستغفقه وقبله وقال حسن غريب (٥) حديث أبي ذر ما كنت صلى الله عليه وسلم إلا صاغني الحديث أبو داود وفيه رجل من عزة لم يسم وصماه البيهقي في الشعب عبد الله (٦) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت تقدم في العلم (٧) حديث أنس ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا كما يصنع الأعاجم أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة وقال كما يقوم الأعاجم وفيه أبو العديس مجهول (٨) حديث من سره أن يثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال حسن (٩) حديث لا يثم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وضمفوا متفق عليه من حديث ابن عمر .

ينصف طلبه وتسل
إرادته وتقر عزيمته
والنفس إذا أطمعت
طمعت وإذا أقمت
قمت فيستعين الشاب
الطالب على حم مواد
خاطر النكاح بادامة
الصوم فان للصوم أثر
ظاهرا في قمع النفس
وتقهرها وقد ورد أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم مر بجماعة
من الشبان وهم يرفون
الحجارة فقال « يا معشر
الشباب من استطاع
منكم الباءة فليتزود
ومن لم يستطع فليصم
فان الصوم له جواد »
أصل الوجاء رضى
الحصيتين كانت العرب
تجأ الفحل من التتم
تذهب لغوته
ويسمن ومنه الحديث
ضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكشين
ألمحين موجود بن وقد
قيل هي النفس إن لم
تشلها شفلتك فاذا
أدام الشاب للريد
العمل وأذاب قسه في

فان لم يوسع له فليُنظر إلى أوسع مكان يجده فيجلس فيه ^(١) وروى أنه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب ^(٢) فيكره السلام على من يقضى حاجته ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام فانه قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام «إن عليك السلام تحية للوق قالها ثلاثاً» ثم قال: إذا لقي أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ^(٣) ويستحب للدخول إذا سلم ولم يجد مجلساً أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثاني فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الثاني فاستحب فاستحب الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه ^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «ممن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا ^(٥)». وسئل أم هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قبيل له أم هانئ؟ فقال عليه السلام مرحباً بأم هانئ ^(٦). ومنها أن يصون عرض أخيه للسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر وبرد عنه ويناضل دونه وينصره فان ذلك يجب عليه يعقضى أخوة الاسلام. روى أبو الدرداء «أن رجلاً نال من رجل عند رسول الله ﷺ فرد عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار ^(٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «ممن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ^(٨)» وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «من ذكر عند أخوه للسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره أدركه الله بما في الدنيا والآخرة ومن ذكر عند أخوه للسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة ^(٩)»

(١) حديث إذا أخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل أخاه فأوسع يني له فليجلس فانه كرامة من الله عز وجل الحديث القوي في معجم الصحابة من حديث ابن شية ورجاله ثقات وابن شية هذا ذكره أبو موسى اللديني في ذيله في الصحابة وقد رواه الطبراني في الكبير من رواية مصعب بن شية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أخضر منه وشية بن جبير والد منصور ليست له محبة (٢) حديث أن رجلاً سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب مسلم من حديث ابن عمر بلفظ فلم يرد عليه (٣) حديث قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال إن عليك السلام تحية لبيت الحديث أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جري الهجيمي وهو صاحب القصة قال الترمذي حسن صحيح (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها الحديث متفق عليه من حديث أبي واقد اللي (٥) حديث مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث البراء بن عازب (٦) حديث سئل أم هانئ؟ عليه فقال مرحباً بأم هانئ؟ مسلم من حديث أم هانئ (٧) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار الترمذي وحسنه (٨) حديث مامن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة أحمد من حديث أسماء بنت زيد بنحوه والحراطي في مكالم الأخلاق وهو عند الطبراني بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وفيها شهر بن حوشب (٩) حديث أنس من ذكر عند أخوه للسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة الحديث ابن أبي الدنيا.

المادة تحمل عليه
خواطر النفس وأيضاً
شغله بالعبادة يشر له
حلاوة العاملة ومحبة
الاكثار منه ويفتح
عليه باب السهولة
والعيش في العمل فيأمر
على حاله ووقته أن
يتكدر بهم الزوجة .
ومن حسن أدب الريد
في عزوته أن لا يمكن
خواطر النساء من باطنه
وكذا خطر له خاطر
النساء والشهوة يفر
إلى الله تعالى بحسن
الانابة فيتداركه الله
تعالى حيثئذ بقوة
العزيمة ويؤيده
بمراغمة النفس بل
ينعكس على نفسه نور
قلبه ثواباً لحسن إنباته
فتسكن النفس عن
الطالبة ثم يمرض على
نفسه ما يدخل عليه
بالسكاح من الدخول
في الداخل للدمومة
للؤدية إلى القل
والهوان وأخذ الشيء
من غير وجهه وما
يتوقع من القواطع

وقال عليه السلام « من حمى عن عرض أخيه للسلم في الدنيا بث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار (١) » وقال جابر وأبو طلحة سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن امرئ مسلم بنصر مسلما في موضع ينتك فيه عرسته ويستحل حرمة إلا نصرة الله في موطن يحب فيه نصرة وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتك فيه حرمة إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرة (٢) ». ومنها تشيعت العاطس قال عليه الصلاة والسلام في العاطس يقول « الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمك الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم (٣) ». وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلمنا يقول « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فإذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل ينفر الله إلى ولكم (٤) ». وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخره إلا أنه عن ذلك فقال إنه محمداً وأنه سكت (٥) » وقال عليه السلام « يشمت العاطس للسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام (٦) ». وروى أن شمت عاطسا ثلاثا فطس أخرى فقال إنك مزكوم (٧) وقال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس غص صوته واستر بثوبه أو يده (٨) ». وروى خر وجهه وقال أبو موسى الأشعري « كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول : يهديكم الله (٩) ». وروى عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه « أن رجلا عطس خلف النبي عليه السلام في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات فقال أنا يا رسول الله ما أردت بهن إلا خيرا فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا كلهم ينتدونها أيهم يكتبها (١٠) »

في الصمت مقتصر على ما ذكر منه وإسناده ضعيف (١) حديث من حمى عن عرض أخيه السلم في الدنيا بث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف (٢) حديث جابر وأبي طلحة مامن امرئ بنصر مسلما في موضع ينتك فيه عرسته ويستحل حرمة الحديث أبو داود مع تقديم وتأخير واختلاف في إسناده (٣) حديث يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم البخاري وأبو داود من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري على كل حال (٤) حديث ابن مسعود إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين الحديث النسائي في اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذي من حديث سالم بن عبدالله واختلف في إسناده (٥) حديث شمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فساءه عن ذلك فقال إنه محمداً الله وأنه سكت متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث شمتا ثلاثا الحديث وإسناده جيد (٧) حديث أنه شمت عاطسا فطس أخرى أبي هريرة شمت أخاك ثلاثا الحديث وإسناده جيد (٨) حديث أبي هريرة كان إذا عطس من صوته وستر بثوبه أو يده أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية لأبي نعيم في اليوم والليلة خر وجهه وفاته (٩) حديث أبي موسى كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح (١٠) حديث عبدالله بن عامر بن ربيعة أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وإسناده جيد

بسبب التفات الحاضر إلى ضبط للرأه وحراستها والكلف التي لا تتحصر . وقد سئل عبد الله بن عمر عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال ، وقد قيل كثرة العيال أحد الفقرين وقلة العيال أحد اليسارين . وكان إبراهيم بن آدم يقول : من تعود أفضاخ النساء لا يفلح ولا شك أن للرأه تدعو إلى الرفاهية والودعة وتنع عن كثرة الاعتقال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن خوف الفقر وعجبة الاذخار وكل هذا بعيد عن التجرد وقد ورد « إذا كان بعد الماتين أبيضت العزوبة لأمتي » فان توالى على الفقر خواطر التكاح وزاحمت باطنه سببا في الصلاة والأذكار والتلاوة فليستن بالله أولا ثم

وقال صلى الله عليه وسلم « من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشك خاصرته » (١) وقال عليه السلام « الطمس من الله والتأوب من الشيطان فإذا تاب أحدكم فليضع يده على فيه فإذا قالهاها فان الشيطان يضحك من جوفه » (٢) وقال إبراهيم النخعي إذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس بأن يذكر الله وقال الحسن يحمده الله في نفسه ، وقال كعب قال موسى عليه السلام يارب أقرب أنت فأنا بك أم بعيد فأنا بك فقال أنا بك من ذكرني فقال أنا نكون على حال نملك أن نذكرك عليها كالجناية والفاط قال ذكرني على كل حال . ومنها أنه إذا بلى يدي شر فيفني أن يتعلمه ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمنين مخالصة وخالف الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر . وقال أبو الدرداء إن النبي « في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلصقهم وهذا معنى للدائرة وهي مع من يغاف شره قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن السيئة - قال ابن عباس في معنى قوله - ويدرون بالحسنة السيئة - أي القبيح والأذى بالسلام والدائرة وقالت عائشة رضي الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل الشيعة هو فلما دخل الآن له القول حتى ظننت أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له ما دخل قلت الذي قلت ثم ألت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فضه » (٣) وفي الخبر « ماوى الرجل به عرضه فهو له صدقة » (٤) وفي الأثر : خالطوا الناس بأعمالكم وزابلوهم بالقول . وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . ومنها أن يجنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين ويعين إلى الأيتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم أحيني مسكيناً وأمتي مسكيناً واحشرفي في زمرة المساكين » (٥) وقال كعب الأحماد كان سليمان عليه السلام في ملكه إذا دخل للسجد فرأى مسكيناً جلس إليه وقال مسكين جالس مسكين . وقيل ما كان من كلمة قال لمسي عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يمسكين وقال كعب الأحبار مافي القرآن من يا أيها الذين آمنوا فهو في التوراة يا أيها المساكين وقال عبادة ابن الصامت إن النار سبع أبواب ثلاثة للأغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل بئس أن نيا من الأنبياء قال : يارب كيف لي أن أعلم رضاك عني فقال انظر كيف رضا المساكين عنك ، وقال عليه الصلاة والسلام « يا أيكم ومجالسة اللئيم ، قيل ومن اللئيم يا رسول الله ؟ قال الأغنياء » (٦) وقال موسى إلهي أين أنبيك قال عند المنكسرة قلوبهم ، وقال صلى الله عليه وسلم

بالمشايع والإخوان
وضريح الحال لهم
وبسألهم مسألة الله له
في حسن الاختيار
وطوف على الأحياء
والأموات وللساجد
وللشاهد ويستعظم
الأمر ولا يدخل فيه
بقلة الأكثرات فانه
باب فتنة كبيرة وخطر
عظيم وقد قال الله تعالى
- إن من أزواجكم
وأولادكم عدوا لكم
فاحذروهم - ويكثر
الضراعة إلى الله تعالى
ويكثر البكاء بين يديه
في الخلوات ويكرر
الاستخارة وإن رزق
القوة والصبر حتى
يستبين له من فضل الله
الحسنة في ذلك فهو
الكمال والتمام فقد
يعكشف الله تعالى
لصادق ذلك من أَوْ
إطلافا في منامه أو
يقظته أو على لسان
من ينطق إلى دينه وحاله
أنه إذا أشار لا يشير
إلا على بصيرة وإن أحكم
لا يحكم إلا بحق فهد

(١) حديث من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشك خاصرته الطبراني في الأوسط وفي الدعاء من حديث علي بن بسند ضعيف (٢) حديث الطمس من الله والتأوب من الشيطان الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله الطمس من الله فرواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم واليلة وقال البخاري إن الله يحب الطمس ويكره التأوب الحديث (٣) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل الشيعة الحديث متفق عليه (٤) حديث ماوى للره به عرضه فهو له صدقة أبو يعلى وابن عدى من حديث جابر وضعفه (٥) حديث اللهم أحيني مسكيناً وأمتي مسكيناً واحشرفي في زمرة المساكين ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد الترمذي من حديث عائشة وقال غريب (٦) حديث إياكم ومجالسة اللئيم وما للئيم قال الأغنياء الترمذي وضعفه والحاكم وصححه إسناده من حديث عائشة إياكم ومجالسة الأغنياء .

«لا تلبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري إلى ما يصير بعد الموت فان من ورأته طالبا حثيثا (١)» وأما اليتيم فقال صلى الله عليه وسلم «من ضم يتيما من أبيوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة أئنة (٢)» وقال عليه السلام «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهويشر بأصميه (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة (٤)» وقال ﷺ «خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشري بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه (٥)» . ومنها النصيحة لكل مسلم والجاهد في إدخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن حب للمؤمن كما يحب لنفسه (٦)» وقال ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئا فليمحطه عنه (٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره (٨)» وقال صلى الله عليه وسلم «من أقر عين مؤمن أقر الله عنه يوم القيامة [١]» وقال صلى الله عليه وسلم «من مضى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين (٩)» وقال عليه السلام «من فرج عن مؤمن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة (١٠)» وقال صلى الله عليه وسلم «انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قيل كيف ينصره ظالما قال يمنه من الظلم (١١)» وقال عليه السلام

(١) حديث لاتبطن فاجرا بنعمة الحديث البخارى في التاريخ والطبرانى في الأوسط والبيهقى في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث من ضم يتيما من أبيوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة أئنة أحمد والطبرانى من حديث مالك بن عمر وفيه على بن زيد بن جعدان متكلم فيه (٣) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة البخارى من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة أحمد والطبرانى بإسناد ضعيف من حديث أبي أمامة ودون قوله ترحما ولا بن جابر في الضعفاء من حديث ابن أبي أوفى من مسح يده على رأس يتيم رحمة له الحديث (٥) حديث خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشري بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وفيه ضعف (٦) حديث للمؤمن يجب للمؤمن ما يحب لنفسه تقدم بلطف لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولم أره بهذا اللفظ (٧) حديث إن أحدكم مرآة أخيه الحديث رواه أبو داود والترمذى وقد تقدم (٨) حديث من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره البخارى في التاريخ والطبرانى والخرائطي كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسل (٩) حديث من مضى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين الحاكم وصححه من حديث ابن عباس لأن يمضى أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته وأشار بأصميه أفضل من أن يعتكف في مسجدى هذا شهرين والطبرانى في الأوسط من مضى في حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين وكلاهما ضعيف (١٠) حديث من فرج عن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن جابر في الضعفاء وابن عسدى من حديث أنس بلطف من أغاث مملوكا (١١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم .

حديث من أقر عين مؤمن لم نجد له تحريجا في نسختنا ووجدنا الشارح نقل عن العراقي أنه رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق بإسناد ضعيف مرسل .

ذلك يكون تزوجه
مدراما نافية . وصحنا
أن الشيخ عبدالقادر
الجلى قال له بعض
الصالحين لم تزوجت ؟
قال ما تزوجت حتى
قال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
تزوج فقال له ذلك
الرجل الرسول صلى الله
عليه وسلم يأمر
بالرخص وطريق
القوم التام بالزينة
فلا أعلم ما قاله الشيخ
في جوابه ولكنى أقول
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يأمر
بالرخصة وأمره على
لسان الشرع فأما من
التجأ إلى الله تعالى
واختار إليه واستخاره
فيكاشفه الله بتبينه
إياه في مثامه وأمره
هذا لا يصحكون أمر
رخصة بل هو أمر يبقمه
أرباب الزينة لأنه
من علم الحال لا من علم
الحكم ويدل على صحة
ما وقع لى ما نقل عنه
أنه قال كنت أريد

الزوجة مدقة من الزمان ولا أجتري على التزوج خوفا من تكدير الوقت فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله لي أربع زوجات مافين إلا من تحقق على إرادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجليل الكامل فإذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله يأتيه الفرج والنجاح - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا تزوج الفقير بعد الاستقصاء والإكثار من الضراعة والثناء وورد عليه وارء من الله تعالى إذن فيه فهو الناية والنهاية وإن عجز عن الصبر إلى ورود الاذن واستند جهده في الدعاء والضراعة قد يكون ذلك حظه من الله تعالى ويمن عليه لحسن نيته وصديق مقصده وحسن رجاؤه واعتماده على ربه وقد

«إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن أو أن يفرج عنه غما أو يقضى عنه دينا أو يطعمه من جوع» (١) «وقال صلى الله عليه وسلم «من حمى مؤمنا من منافق يئته بعث الله إليه ملكا يوم القيامة يحسب له من ناره» (٢) [١] «وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لمباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والتفيع لمباد الله» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «من لم يهتم للمسلمين فليس منهم» (٤) وقال معروف السكرخي من قال كل يوم : اللهم ارحم أمة محمد كتبه الله من الأبدال وفي رواية أخرى اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الأبدال . وبكى على بن الفضل يوما فقيل له ما يبكيك ؟ قال أبكى على من ظنني إذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظله ولم تكن له حجة . ومنها أن يعود مرضا من الفمرة والاسلام كافيا في إثبات هذا الحق ونيل فضله وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والثناء بالصفاء وغض البصر عن عورات اللوض وعند الاستئذان لا يخال الباب ويدق برق ولا يقول أنا إذا قيل له من ؟ ولا يقول يا غلام ولكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم «تمام عبادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهة أو على يده ويسأله كيف هو وتعام تخاتكم للصاغة» وقال (٥) «من عاد مريضا تعد في مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل» (٦) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا عاد الرجل المريض خاضق الرحمة فإذا عاد عند قرنتيه» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا عاد السلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طيب وطاب ممثاك وتبوات منزلا في الجنة» (٨) وقال عليه السلام «إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لمؤاده فان هو إذا جاءوه محمد الله وأثنى عليه فمما ذلك إلى الله وهو أعلم يقول لعبدى على إن توفيت أن أدخله الجنة وإن أنا شفته أن أبدل له لما خيرا من محمود ما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته» (٩) وقال رسول الله صلى الله

(١) حديث إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٢) حديث خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لمباد الله الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يسند له في مسنده (٣) حديث من لم يهتم للمسلمين فليس منهم الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف (٤) حديث من عاد مريضا تعد في مخارف الجنة الحديث أصحاب السنن والحاكم من حديث على من أتى أخاه السلم عائدا مشى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة قال كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان مساء الحديث لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ومسلم من حديث ثوبان من عاد مريضا لم يزل في نومة الجنة (٥) حديث إذا عاد الرجل المريض خاضق الرحمة فإذا عاد عند قرنتيه الحديث الباقى . يث جابر وقال انقسم فيها قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك في اللوطا بلاغا لم ينفردت فيه ورواه الواقدي بلفظ استقرها للطبراني في الصغير من حديث أنس فإذا قد عدده غمرته الرحمة وله في الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم استقيم فيها (٦) حديث إذا عاد السلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طيب وطاب ممثاك وتبوات منزلا في الجنة الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة إلا أنه قال ناداه ناد قال الترمذى غريب قلت فيه عيسى بن سنان القسمل صفه الجمهور (٧) حديث إذا مرض العبد بعث الله تعالى

[١] حديث من حمى مؤمنا قال الشارح لم يذكره العراقي ورواه ابن المبارك وأحمد وأبو داود وابن أبي الدنيا في ذم التنية والطبراني عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه .

عليه وسلم « من رد الله به خيرا يصب منه »^(١) وقال عثان رضي الله عنه مرحت فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بسم الله الرحمن الرحيم أعينك الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد قالها مرارا »^(٢) ودخل عليه على بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له « قل اللهم إني أسألك تعجيل عاقبتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فانك تستطع إحداهن »^(٣) ويستحب للليل أيضا أن يقول أعوذ بمرغلة وقدرته من شر ما أجد وأحذر . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا شك أحدكم بطنه فليساغ امرأته شيئا من صدقاتها ويشتري به عبدا ويضربه بهاء البهاء فيجمع له الهوى والرى والشفاء والبارك . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لا إله إلا الله يحيى ويميت وهو حي لا يموت سبحانه الحرب العباد البلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيرا إن كبريا ربنا وجلا له وقدرته بكل مكان اللهم إني أنت أمرتني لتقبض روحي في مرضي هذا فأجمل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وابعدي من النار كما باعدت أوليائك الذين سبقت لهم منك الحسنى »^(٤) وروى أنه قال عليه السلام « عيادة المريض بعد ثلاث فوق نافذة »^(٥) وقال طاوس أفضل العيادة أخفها وقال ابن عباس رضي الله عنهما عيادة المريض مرة سنة فما ازدادت نافذة ، وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث ، وقال عليه السلام « أغفوا في العيادة وأرهبوا فيها »^(٦) وجملة أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والفزع إلى الدعاء والتوكل بسد الدواء على خالق الدواء . ومنها أن يشيع جنازته قال صلى الله عليه وسلم « من شيع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان »^(٧) وفي الخبر « القيراط مثل أحد »^(٨) ولما روى أبو هريرة هذا الحديث وصحه ابن عمر

مسلكين فقال انظرا ما يقوله لعمادته الحديث مالك في اللوطا مرسل من حديث عطاء بن يسار ورواه ابن عبد البر في التمهيد من روايته عن أبي سعيد الخدري وفيه عبادين كثير التثني ضعيف الحديث وللباق من حديث أبي هريرة قال الله تعالى إذا ابتليت عبدي المؤمن فله يشكى إلى عواده أطلقته من يسارى ثم أبده لها خيرا من طه ودماعيرا من دمه ثم تنافى العمل وإسناده جيد^(٩) حديث من رد الله به خيرا يصب منه البخاري من حديث أبي هريرة^(١٠) حديث عثان مرحت فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أعينك الله الأحد الصمد الحديث ابن السني في اليوم واليلة والطبراني والبيهقي في الأدعية من حديث عثان بن عفان بإسناد حسن .^(١١) حديث دخل على علي وهو مريض فقال قل اللهم إني أسألك تعجيل عاقبتك الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الرض من حديث أنس بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل وهو يشتكي ولم يسم عليا وروى البيهقي في الدعوات من حديث عائشة أن جبريل علم النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات^(١٢) حديث أبي هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي الرض والكفارات^(١٣) حديث عيادة المريض فوق نافذة ابن أبي الدنيا في كتاب الرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة^(١٤) حديث أغفوا في العيادة وأرهبوا ابن أبي الدنيا وفيه أبو يسى من حديث جابر وزاد إلا أن يكون مغلوبا وإسناده ضعيف^(١٥) حديث من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان الشيخان من حديث أبي هريرة^(١٦) حديث القيراط مثل جبل أحد مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة وأصله متفق عليه .

قل من عبد الله بن عباس أنه قال لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج وتدل عن شيخ من مشايخ خراسان أنه كان يكثر الزوج حتى لم يكن يغلو عن زوجتين أو ثلاث فتوب في ذلك فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف وقفة في معاملته غطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد يصيبنا ذلك فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد ما تزوجت قط ولكني ما خطر على قلبي خاطر شهوة قط شغلني عن حالي إلا غفلة لأستريح منه وأرجع إلى شغلي ثم قال منذ أربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر مصيبة فالصادقون ما دخلوا في النكاح إلا على بصيرة وقصدوا حسم مواد النفس وقد يكون للأقوياء والعلماء

قال لقد فرطنا إلى الآن في قراريط كثيرة والقصد من التشيع قضاء حق المسلمين والاعتبار وكان مكحول المشقة إذا رأى جنازة قال اغدوا فإنارأون موعظة بلية وغفلة سرمة يذهب الأول والآخر لا عقل له ، وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهويكي ويقول والله لا نمر عيني حتى أعلم إلى ما صرت ولا والله لا أعلم ما دمت حيا . وقال الأحمشي كنا شهد الجنازة فلاندرى لمن نمرى لحزن القوم كلهم ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت فقال لو ترحمون أنفسكم لكان أولى إنه نجما من أهوال ثلاث وجه ملك الموت قدرأي ومبرلة الموت قد ذاق وخوف الحاخة قد آمن ، وقال حماد بن عيسى عليه وسلم « يتبع الميت ثلاث فيرجع إثنان ويقيم واحد تبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويقيم عمله (١) » ومنها أن يزور قبورهم وللقصود من ذلك السعاء والاعتبار وترقيق القلب قال **عليه** « ما رأيت منظرًا إلا والقبر أرفع منه (٢) » وقال عمر رضي الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى للقبائر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فسكى وبكى فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبيك قال هذا قبر أخته بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي واستأذنتني أن أستغفر لها فأني على قدر كفي ما يدرك المؤمن الرقة (٣) » وكان عمر رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحية ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فابعد أشد (٤) » وقال مجاهد أول ما يبكيكم ابن آدم حفرته تقول أنا بيت الدود وبيت الودع وبيت القربة وبيت الظلة فهذا ما أعدتلك فما أعدت لك ؟ قال أبو ذر الأسدي يوم قدي يوم أو ضمه في قبري ، وكان أبو الدرداء بعد إلى القبور فيقبله في ذلك فقال اجلس إلى قوم يذكرونني معادي وإن قتلت عنهم لم يثابوني وقال حاتم الأصم من مر بالقبائر فلم يشكر لنفسه ولم يلعن لم قد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم « مامن ليلة إلا وينادي مناد يا أهل القبور من تبطون قالوا نبط أهل الساجد لأنهم يصومون ولا نصوم وصلون ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكره (٥) » وقال سفيان من أكثر ذكر القبر وجدده روضة من رياض الجنة ومن عقل عن ذكره وجدده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبرًا فكان إذا وجد في قلبه تساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال - رب أرجعون لملي أعمل صالحا فها تتركت - ثم يقول يا رب قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر إلى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركو أهل الدنيا في لقاءهم أما تراه صرعى قد خلت بهم الثلاث وأصاب الهوام من أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدًا أنعم مني صار إلى هذه القبور وقد آمن عذاب الله . وآداب العزى خفض الجناح وإظهار الحزن وقلة الحديث وترك التيسر . وآداب تشيع الجنازة تزوم الحشوع وترك الحديث وملاحظة البيت والتفكير في الموت والاستعداد له

(١) حديث يتبع الميت ثلاثة فيرجع إثنان ويقيم واحد مسلم من حديث أنس (٢) حديث ما رأيت منظرًا إلا والقبر أرفع منه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الإسناد وقال الترمذي حسن غريب (٣) حديث عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى للقبائر فجلس إلى قبر الحديث في زيارته قبر أمه مسلم من حديث أبي هريرة مختصراً وأحمد من حديث بريدة وفيه تقدم عمر فقده بالأب والأم يقول يا رسول الله مالك الحديث (٤) حديث عثمان بن عفان إن القبر أول منازل الآخرة الحديث الترمذي وحسنه ابن ماجه والحاكم وصححه إسناده (٥) حديث مامن ليلة إلا وينادي مناد أهل القبور من تبطون فيقولون تبط أهل الساجد الحديث لم أجده أصلاً .

الراخين في السلم أحوال في دخولهم في النكاح تخص بهم وذلك أنهم بعد طول المجاهدات والرقابت والرياضات تطمئن نفوسهم وتقبل قلوبهم وللقلوب إقبال وإدبار يقول بعضهم : إن للقلوب إقبالا وإدبارا فإذا أدبرت روحه بالإرقاق وإذا أقبلت ردت إلى اللياق تنقي قلوبهم دأمة الإقبال إلا البسر ولا يدوم إقبالها إلا لطمانية النفوس وكفها عن اللزاع وتترك التشبث في القلوب فاذا اطمانت النفوس واستقرت عن طيشها وغورها وشراسبتها وفرت عليها حقوقها وربما يصير من حقوقها حظوظها لأن في أداء الحق إتماما وفي أخذ الحظ إتماما وهذا من دقيق علم الصوفية فاتهم يسمون بالنكاح الباطن إصلا إلى النفس حفظ ظاهرا لها مازالت

وأن يعنى أمام الجنائز قبرها والاسراع بالجنائز سنة (١) فهذه جملة آداب تنبه على آداب العاشرة مع عموم الخلق ، والجملة الجامعة فيه أن لا تستغفر منهم أحدا حيا كان أو ميتا قهرك لأنك لا تدري له خير منك فانه وإن كان فاسقا فله عظم جرم لك يمثل حاله ويحتم له بالصلاح ولا تستر إليهم بين التعظيم لهم في حال دينهم فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم أهل الدنيا في خشك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تجلج لهم دينك لتنال من دينهم قصفري في أميهم ثم تحرم دينهم فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذى هو خير ولا تهاجم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك في العادة وينهب دينك ودنياك فيهم وينهب دينهم فيك إلا إذا رأيت منكرا في الدين فتداوى أهلهم القبيحة وتنتظر إليهم بين الرحمة لهم لترضهم لقت الله وعقوبته بصيانتهم تحسبهم جهنم يصلونها فإلك تحقد عليهم ولا تسكن إليهم في مودتهم لك وثأبهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في ثلاثة إلا واحدا وربما لا تجده ولا تشك إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم ولا تطمع أن يكونوا لك في التيب والسر كما في الملاينة فذلك طمع كاذب وإن تظفر به ولا تطمع فيا في أيديهم فتستجبل القتل ولا تبال التبرؤ ولا تمل عليهم تنكبرا لاستغنائك عنهم فإن الله يلبثك إليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء وإذا سألت أخا منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد وإن لم يقض فلا تمانيه فيصير عدوا تطول عليك مقاماته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه غايل القبول فلا يسمع منك وياديك ولكن وعظك عرضا واسترسالا من غير تخصيص على الشخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك واستعد بالله أن يكلك إليهم وإذا بلفك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرا أو أصابك منهم ما يسوؤك فكل أمرهم إلى الله واستعد بالله من شرهم ولا تشتغل نفسك بالسكافة فيزيد الضرر ويتبيح المنع بشقه ولا تغل لهم لم تعزوا موسى ، واعتقد أنك لو استجيت ذلك لجلل الله لك موضعا في قلوبهم ذقه الحب واللبس إلى القلوب وكن فيهم صيما لحظهم أصم عن باطلهم فطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صيحة أكثر الناس فاهم لا يقبلون عثرة ولا يفرقون زلة ولا يسترعون عورة ومحاسبون على النقص والقطرير وعسودون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون يفرعون الاخوان على الاخوان بالنجاسة والبهتان فضجة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان إن رضوا فظاهرهم اللق وإن شغلوا فباطلهم الحق لا يؤتمنون في حنفهم ولا يرجون في ملتهم ظاهرهم ثياب وباطلهم ذئاب يطمون بالظنون ويتناصرون ورايك بالدون ويرقصون بصدقهم من الحسد ريب للنون يحسون عليك العثرات في صميم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تسول في مودة من لم تخبره حق الحجة بأن تصحبه مدة في دار أو موضع واحد فحجبه في عزله وولايته وغناه وقصره أو تسافر معه أو تامله في الديار والبردم أو تقع في خدمة فتحتاج إليه فإن رضيت في هذه الأحوال فاتخذته أبا لك إن كان كبيرا أو ابنا لك إن كان صغيرا أو أخاك إن كان مثلك ، فهذه جملة آداب العاشرة مع أصناف الخلق .

(حقوق الجوار)

أعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ما يقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجوار للسلم ما يستحقه كل مسلم وزادة إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة تجار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فالجار الذى له ثلاثة حقوق الجار للسلم ذوالرحم فله حق الجوار وحق الأسلام وحق الرحم

(١) حديث الاسراع بالجنائز متفق عليه من حديث أنى هزيمة اسرعوا بالجنائز الحديث .

تخالفه وهاحق صار
داؤها وادها وصارت
الشوات للباحة
والذات للشرعة
لا تضرها ولا تضر عليها
عزأها بل كما وصلت
النفس الزكية إلى
حظوظها ازداد القلب
اشراحا وانسحا
ويصير بين القلب
والنفس موافقة يطفئ
أحدهما على الآخر
وزداد كل واحد منهما
بما يدخل على الآخر
من الحظ كلما أخذ
القلب حظه من الله
خلع على النفس خلع
الطمأنينة فيصكون
مزيد السكينة للقلب
مزيد الطمأنينة للنفس
وينشد :
إن الساء إذا كتبت
كست الثرى
حلا يدبها النعام
الرام
وكلا أخفت النفس
حظها تروح القلب
تروح الجار للشفق
براحة الجار . صحت
بعض الفقهاء بقول :
النفس تقول للقلب كن

وأما الذي له حقان الجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام ، وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك (١) فانظر كيف أنشئت للشرك حقاً بمجرد الجوار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً » (٢) وقال النبي ﷺ « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « أول خصمين يوم القيامة جاران » (٦) وقال عليه الصلاة والسلام « إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته » (٧) وروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إن لي جاراً يؤذيني ويشتكي ويضيق عليّ قال اذهب فان هو عصى الله نيك فأطع الله فيه ، وقيل لرسول الله ﷺ « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها قال صلى الله عليه وسلم هي في النار » (٨) . وجاء رجل إليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك في الطريق قال فيعمل الناس يعمرون به ويقولون ذلك فيقال آذاه جاره قال فيعملوا يقولون لئنه الله فعاده جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود (٩) وروى الزهري « أن رجلاً أتى النبي عليه السلام فبشكو جاره فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي على باب المسجد ألا إن أربعين داراً جار (١٠) » قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأوماً إلى أربع جهات وقال عليه السلام « الجن والشؤم في المرأة والسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها وعين السكن سمته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله وعين الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه » (١١) .

معنى في الطعام أن كرمك في الصلاة وهذا من الأحوال العزيزة لا تصلح إلا لعالم رباني وكرم من مدح يهلك بنوعه هذا في نفسه ومثل هذا البذر يزداد بالسكاح ولا ينقص والنبذ إذا كل عليه يأخذ من الأشياء ولا تأخذ الأشياء منه وقد كان الجفند يقول : أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام وضع بعض العلماء بعض الناس يطمئن في الصوفية فقال ياهذه ما الذي يتقصم عنك فقال يا كليون كثيراً فقال وأنت أيضاً وجدت كما يجوعون أكلت كما يأكلون ثم قال : ويتزوجون كثيراً قال وأنت أيضاً حفظت فركك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال وأي شيء أيضاً قال يسمعون القول قال وأنت أيضاً لو نظرت كما ينظرون سمعت كما

(١) حديث الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجاره ثلاثة حقوق الحديث الحسن بن مسفيان والبراز في مسندهما وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر وابن عدي من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف (٢) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً تقدم (٣) حديث ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديث أبي شريح (٥) حديث لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه البخاري من حديث أبي شريح أيضاً (٦) حديث أول خصمين يوم القيامة جاران أحمد والطبراني من حديث عتبة بن عامر بسند ضعيف (٧) حديث إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته لم أجده أصلاً (٨) حديث إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار ، أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح لاسناد (٩) حديث جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك في الطريق الحديث أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (١٠) حديث الزهري ألا إن أربعين داراً جار أبو داود في اللراسيل ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة وقال أربعون ذراعا وكلاهما ضعيف (١١) حديث الجن والشؤم في المرأة والسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها الحديث مسلم من حديث ابن عمر الشؤم في الدار والمرأة والفرس وفي رواية له إن بك من الشؤم شيء حقاً وله من حديث سهل بن سعد إن كان في الفرس والمرأة والسكن والفرس من حديث حكيم ابن معاوية لشؤم وقد يكون الجن في الدار والمرأة والفرس ورواه ابن ماجه فعاده محمد بن معاوية والطبراني من حديث أسباط بن محمد قال يارسول الله ما سوء الدار قال ضيق صاحبها وخيب جيرانها .

واعلم أنه ليس حق الجوار كذب الأذى قط بل احتمال الأذى فإن الجوار أيضا قد كذب إذاه فليس في ذلك تضاد حق ولا يكتفى احتمال الأذى بل لابد من الرفق وإسداء الخير والرفوف إذ يقال إن الجوار القليل يخلق مجاره التي يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لمنعتي معروفيه وسد بابي دوني وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره في دين ربه وكان يجلس في ظل داره فقال ما كنت إذا جرمته ظل داره إن باعها معدما فدفعت إليه من الدار وقال لا تباعها ، وشكا بعضهم كثرة الثأر في داره فقيل له لو اتقيت هرا قال أخشى أن يسمع الثأر صوت الحرف فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أصيبت لهم مالا أحب نفسي ، وجملة حق الجوار أن يبداه بالسلاام ولا يطلع منه الكلام ولا يكثر عن حله السؤال ويعوده في الرض ويحزيه في السية ويقوم منه في العزاء ويهتبه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصنع عن زلاته ولا يطلع من السطح إلى عوراته ولا يضايقه في وضع الجنع على جداره ولا في مصب الماء في مزبائه ولا في مطرح التراب في فائه ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يبعث النظر فيما عمله إلى داره ويستمر ما يكتشف له من عوراته ويمنعه من صرعه إذا نابه نابة ولا يخل عن ملاحظة داره عند غيته ولا يسمع عليه كلاما يفض بصره عن حرته ولا يبدى النظر إلى خادمته ويتلطف بولده في كلمته ويرعده إلى ما يحمله من أمر دينه ودنياه ، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعمامة المسلمين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما حق الجوار إن استعان بك أمته وإن استصرك نصرتهم وإن استغضرك أقرضته وإن افتقر عدت عليه وإن مرض عدته وإن مات تمت جنازته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزته ولا تستمل عليه البناء فتجب عنه الرمح إلا بإذنه ولا تؤذنه وإذا اشترت فأكفه فأهد له فإن لم يفضل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدا ولا يخطب بها ولده ولا يؤذنه بقتار قدرك إلا أن تفرق له منها ، ثم قال أتدرون ما حق الجوار ؟ والقي قسي يده لا يلغ حق الجوار إلا من رحمه الله (١) » هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر وغللاه يسلم شاة بإغلام إذ أسلمت فأبدا بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا قال له كم تقول هذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجوار حتى خشينا أنه سيورثه (٢) » وقال هشام : كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجوار اليهودي والنصراني من أضحتك ، وقال أبو ذر رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال « إذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ثم انظر بين أهل بيت في جيرانك فأعرف لهم منها (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله إن لي جارين أحدهما مقبل على يابه والآخر ناه قيل فما سوء الدابة ؟ قال منها ظهرها وسوء خلقها ، قيل فما سوء المرأة ؟ قال عقم رحمها وسوء خلقها وكلامها ضيف وروى في كتاب الحيل للديلمطي من رواية سالم بن عبد الله مرسل إذا كان القرس ضروبا فهو مشؤم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجا قبل زوجها ففحت إلى الزوج الأول فهي مشؤمة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع فيها الأذان والاقامة فهي مشؤمة وإسناده ضعيف ووصله صاحب مستند القردوس بذكر ابن عمر فيه (١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتدرون ما حق الجوار إن استعان بك أمته وإن استغضرك أقرضته الحديث الجرائط في مكالم الأخلاق وابن عدي في الكامل وهو ضعيف (٢) حديث مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغللاه يسلم شاة بإغلام إذ أسلمت فأبدا بجارنا اليهودي الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب (٣) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم إذا طبخت فأكثر للرق ثم انظر بين أهل بيت من جيرانك فأعرف لهم منها رواه مسلم .

يسمعون . وكان سليمان ابن عيينة يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سيرة وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول خير هذه الأمة أكثرها نساء وقد ذكر في أخبار الأنبياء أن عابد ابتل للعبادة حتى فاق أهل زمانه فذكر له ذلك الزمان فقال نعم الرجل لو لأنه تارك شيء من السنة فسمي ذلك إلى العابد فأهمه فقال ما تنقص عبادي وأنا تارك السنة فجاء إلى النبي عليه السلام فسأله فقال نعم إنك تارك التزوج فقال ما تنقص لأن أحرمه وما مني منه إلا في قبري لأشبه لي وأنا عيال على الناس يطعنون هذا مرة فأكراه أن تزوج

يباه عنى وربما كان الذى عندى لا يسمعهما فأيهما أعظم حقا فقال للقبل عليك يباه (١) ورأى الصديق ولهم عبد الرحمن وهو يباهى جارا له فقال لاتناس جارك فان هذا يبق والناس يذهبون وقال الحسن بن عيسى التيبابورى : سألت عبد الله بن المبارك قلت الرجل الجاور يأتمنى فيشكو غلامى أنه أتى إليه أمرا والقدام ينكره فأكره أن أضربه ولله برئى وأكره أن أدعه فيجد على جارى فكيف أصنع قال إن غلامك له أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه فإذا عساه جارك فأدبه على ذلك الحدث فتكون قد أرضيت جارك وأدبت على ذلك الحدث وهذا تلطف فى الجمع بين الحقين . وقالت عائشة رضى الله عنها خلال للكارم عشر تكون فى الرجل ولا تكون فى آية وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده بقسمها الله تعالى لمن أحب : صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل وللكفاة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الأمانة والتذم للجار والتذم للعاصب وقرى الضيف ورأسهن الحياء . وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معشر السلفات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن من سعادة لرد السلم للكنن الواسع والجوار الصالح ولركب الحمى » (٣) وقال عبد الله قال رجل يارسول الله « كيف لى أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت وإذا سمعته يقولون قد أسأت قد أسأت » (٤) وقال جابر رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كان له جار فى حاله أو شريك فلا يهمل حتى يرضه عليه » (٥) وقال أبو هريرة رضى الله عنه « قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جده فى حاله جاره شاء أم أبى » (٦) وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يمتن أحدكم جاره أن يضع خشفه فى جداره » وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول مالى أراكم عنها معرضين والله لأرميها بين أكتافكم وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم « من أراد الله بخيرا عساه قيل وماعسه قال عيبه إلى جيرانه » .

(١) حديث عائشة قلت يارسول الله إن لى جارين الحديث رواه البخارى (٢) حديث أبى هريرة يانباء للسلفين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة رواه البخارى (٣) حديث إن من سعادة لرد السلم للكنن الواسع والجوار الصالح ولركب الحمى أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث وسعد بن أنى وقاص وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد (٤) حديث عبد الله قال رجل يارسول الله كيف لى أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت أحمد الطبرانى وعبد الله هو ابن مسعود وإسناده جيد (٥) حديث جابر من كان له جار فى حاله أو شريك فلا يهمل حتى يرضه عليه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار وقال صحيح الإعتاد وهو عند الحرائطى فى مكارم الأخلاق بلفظ المصنف ولابن ماجه من حديث ابن عباس من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره ورجاله رجال الصحيح (٦) حديث أبى هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جده فى حاله جاره شاء أم أبى الحرائطى فى مكارم الأخلاق هكذا وهو متفق عليه بلفظ لا يمتن أحدكم جاره أن يفرر خشفه فى حاله رواه ابن ماجه بإسناد ضيف واتفق عليه الشيخان من حديث أبى هريرة (٧) حديث من أراد الله بخيرا عساه قيل وماعسه أحمد من حديث عمرو بن الحلق زاد الحرائطى قيل وماعسه قال عيبه إلى جيرانه وقال البيهقي يمتعه لعملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله وإسناده جيد .

بأمرأة أعزلها أو أرحته جهدا قال له النبي عليه الصلاة والسلام وما يمنعك لإلهذا قال نعم فقال أنا أزوجهك ابني فزوجه النبي عليه السلام ابنته وكان عبد الله بن مسعود يقول لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام أحببت أن أزوجه ولا ألقى الله عزبا وما ذكر الله تعالى فى القرآن من الأنبياء إلا التاهلين . وقيل إن محمد بن زكريا عليهما السلام تزوج لأجل الصنة ولم يكن يفرها وقيل إن عيسى عليه السلام سينكح إذا نزل إلى الأرض ويولد له . وقيل إن ركة من متاهل خير من سبعين ركة من حزب أخرنا الشيخ طاهر بن أبى الفضل قال أنا أبو منصور عهد بن الحسين بن أحمد بن الحليم القومى القروى قال أنا أبو طلحة التماس

(حقوق الأكارب والرحم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا الرحمن وهذه الرحم شققن لها اسماء من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينسأ له في آثره ويوسع عليه في رزقه وليصل رحمه » (٢) وفي رواية أخرى « من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليطلق الله وليصل رحمه » وقيل لرسول الله ﷺ أي الناس أفضل « قال أنعام فداؤهم لرحمهم وأسرهم بالمعروف وأنهم عن النكسر » (٣) وقال أبوذر رضي الله عنه « أوصاني خليلي عليه السلام بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أتول الحق وإن كان مرا » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها » (٥) وقال عليه السلام « إن أهل الطاعة ثواب صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون جاراً تقتسم أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم » (٦) وقال زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأم فليك بين مدجل فقال عليه السلام « إن الله قد متني من بني مدجل بصلتهم الرحم » (٧) وولت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قدمت على أمي فقلت يارسول الله إن أمي قدمت على وهي مشركة أفأصلها ؟ قال نعم (٨) وفي رواية أخرى أفأصلها قال نعم صلها وقول عليه السلام « الصدقة على السائلين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان » (٩) ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بمائة كاهل يسيبه عملاً بقوله تعالى - لن تتأوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - (١٠) قال يارسول الله هو في سبيل الله وللفقراء وللسائلين فقال عليه السلام « ووجب أجرك على الله فانقصه في أقاربك » وقال عليه السلام « أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح » (١١)

(١) حديث يقول الله أنا الرحمن وهذه الرحم الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من سره أن ينسأ له في آثره ويوسع له في رزقه فليطلق الله وليصل رحمه متفق عليه من حديث أنس دون قوله فليطلق الله وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث علي بن إسماعيل (٣) حديث أي الناس أفضل فقال أنعام فداؤهم لرحمهم وأوصامهم لرحمهم والطبراني من حديث درة بنت أبي لبيب بإسناد حسن (٤) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أتول الحق وإن كان مرا ، أحمد وابن حبان وصححه (٥) حديث إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها الطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو وهو عند البخاري دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة (٦) حديث أنجيل الطاعات ثواب صلة الرحم الحديث ابن حبان من حديث أبي بكره والحراطل في مكرم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضيف (٧) حديث زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأم فليك بين مدجل قال إن الله متني من بني مدجل بصلتهم الرحم الحراطل في مكرم الأخلاق وزاد وطهم في لباب الإبل وهو مرسل صحيح الإسناد (٨) حديث أسماء بنت أبي بكر قدمت على أمي فقلت يارسول الله قدمت على أمي وهي مشركة أفأصلها قال نعم صلها متفق عليه (٩) حديث الصدقة على السائلين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة الترمذي وحسنه والنسائي وإن ما به من حديث سلمان بن عامر الضبي (١٠) حديث لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بمائة كاهل يسيبه عملاً بقوله تعالى - لن تتأوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - الحديث أخرجه البخاري وقد تقدم (١١) حديث أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح أحمد والطبراني من حديث أبي أيوب وفيه الجمع

ابن أبي البدر الخطيب قال ثنا أبو الحسن علي ابن إبراهيم بن سلمة القطان قال ثنا أبو عبد الله بن محمد يزيد بن ماجه قال ثنا أحمد بن الأزر قال حدثنا آدم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السكاح عليه وسلم » السكاح سقى فمن لم يعمل بسقى فليس مني فترجوا إني مكارم بكم الأم ومن كان فاطول فليسكح ومن لم يجد فضله بالصيام فإن الصوم له وجاء » ومما ينبغي للنساء أن يحذر من الافراط في الخالطة والمعتدق الزوجة إلى حد ينقطع عن أوراده وسياسته - لوفاته - فإن الافراط في ذلك يقوى النفس وحودها ويقترب أهل الحمة - وللنساء بسبب الروجة فتشأن قصة لموم حاله وقته

وهو في معنى قوله «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعلمي من حرمك وتصنع عمن ظلك»^(١) وروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا وإعما قال ذلك لأن التجاور يورث التزام على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم .

(حقوق الوالدين والولد)

لا يخفى أنه إذا تأكد حق القرباء والرحم فأحسن الأرحام وأمسها الولادة فيضاعف تأكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم « لن يجزى ولد والده حتى يجد مملوكا فيشتريه فيقتنه »^(٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم « برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله »^(٣) وقد قال ﷺ « من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى قتل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلا وإن ظلا ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار وإن أمسى مثل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلا وإن ظلا وإن ظلا »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجنة يوجد ربحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ربحها على ولا قاطع رحم »^(٥) وقال ﷺ « برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك »^(٦) وروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى إنه من برّ والديه وعق كتيبه بارأ ومن برى وعق والديه كتيبه هالكا ، وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يمه له فأوحى إليه الله أن تقوم لأبيك وعزى وجلاي لا أخرجت من صلبك نيبا وقال صلى الله عليه وسلم « ما حل أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء »^(٧) وقال مالك بن ربيعة يينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن أرحمة ورواه البيهقي من حديث أم كلثوم بنت عقبة (١) حديث أفضل الفضائل أن تصل من قطعك الحديث أحمد من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف والطبراني نحوه من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٢) حديث لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيقتنه مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد لم أجده هكذا وروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس أن رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنى أشهى الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد ، قال أمى قال فابلى الله في ربحها فإذا قطعت ذلك فأنت حاج ومضمر ومجاهد وإسناده حسن (٤) حديث من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة الحديث البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ولا يصح (٥) حديث إن الجنة يوجد ربحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ربحها على ولا قاطع رحم الحديث الطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة دون ذكر القاطع وهي في الأوسط من حديث جابر إلا أنه قال من مسيرة ألف عام وإسناده ضعيف (٦) حديث برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك الناس من حديث طارق الحارثي وأحمد والحاكم من حديث أبي رمثة ولأبي داود نحوه من حديث كليب بن منقعة عن جده وله وقتر مذمى والحاكم ومعه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : من أبر قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم الأقرب فالأقرب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رجل من أمي الناس بحسن الصبغة قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك فقط مسلم (٧) حديث ما حل أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين الحديث الطبراني في الأوسط من حديث حمرو بن شبيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف دون قوله إذا كانا مسلمين .

شخص حاله إفراط في عموم حاله الإفراط في الاهتمام بأسباب البينة . كان الحسن يقول : والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله على وجهه في النار . وفي الخبر « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يميرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق يدخل في الدخائل التي يذهب فيها دينه فيهلك » . وروى أن قوما دخلوا على يونس عليه السلام فأضافهم وكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذبه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فصبوا من فلك وهما يوه أن يسأله فقال لا صبوا من هذا فإني سألت الله قلت يارب ما كنت معتمدا على بقى الأخرى فصبه في الدنيا قال إن عقوبتك بنت فلان تزوج بها

إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من ير أبوي شيء أبرهما به بدوا فإني أريد
 قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإعطاء عهديما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا
 بها (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهله وأبيه بعد أن يولي الأب (٢)»
 وقال صلى الله عليه وسلم «بر الوالدة على الولد شفعان (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «دعوة الوالدة
 أسرع إجابة قيل يا رسول الله ولماذا قال في أمي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط (٤)» . وسأله رجل
 قال : يا رسول الله من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كأن لو لوالديك
 عليك حقا كذلك لو ولدك عليك حق (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله والدا أمان ولده على
 بره (٦)» أي لم يحمله على العقوق بسوء عمله . وقال صلى الله عليه وسلم «ما ولى بين أولادكم العطية»
 وقد قيل ولدك رجائك تشمها جميعا وخادمك سبما ثم هو عبدك أو شريكك . وقال أنس رضي الله
 عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم «السلام يقي عنه يوم السابع ويسمى ويمط عنه الأذى فإذا
 بلغ ست سنين أديب فإذا بلغ تسع سنين عزل فرائشه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة
 فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجته أبوه ثم أخذ يديه وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أهوز
 بآمنه فتنك في الدنيا وعذابك في الآخرة (٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «من حق الوالد على الولد
 أن يحسن أدبه ويحسن اسمه (٨)» وقال عليه الصلاة والسلام «كل غلام رهين أو رهينة
 ببقية تدفع عنه يوم السابع ويعلق رأسه (٩)» وقال قتادة إذا ذبحت البقرة أخذت صوفة منها
 فاستقبل بها وأواجهها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل عنه مثل الحليب ثم ينسل رأسه ويخلق بعد
 وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشا إليه بسن ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت

(١) حديث مالك بن ربيعة يينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة
 فقال هل بقي على من ير أبوي شيء أريد أن يصل الرجل أهله وأبيه بعد أن يولي الأب (٢) حديث
 (٣) حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهله وأبيه بعد أن يولي الأب (٣)»
 (٤) حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهله وأبيه بعد أن يولي الأب (٣)»
 (٥) حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهله وأبيه بعد أن يولي الأب (٣)»
 (٦) حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهله وأبيه بعد أن يولي الأب (٣)»
 (٧) حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهله وأبيه بعد أن يولي الأب (٣)»
 (٨) حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهله وأبيه بعد أن يولي الأب (٣)»
 (٩) حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهله وأبيه بعد أن يولي الأب (٣)»

أشدته ويستحب الزفق بالولد . رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشر من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه الصلاة والسلام « إن من لا يرحم لا يرحم » (١) وقالت عائشة رضي الله عنها « قال لي رسول الله ﷺ يوما أغسلي وجه أسامة فغسلت أغسله وأنا أشفه ففرك يدي ثم أخذه فقبل وجهه ثم قبله ثم قال : قد أحسن بنا إذ لم يكن حاربه » (٢) وتشر الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فقرأ قوله تعالى « إنا أموالكم وأولادكم فتنة » (٣) وقال عبد الله بن عدي « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاء الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى قتلوا أنه قد حدث أمر فقام فوضي صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله حتى قلنا أنه قد حدث أمر قال : إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أبوجه حتى يقضى حاجته » (٤) « وفي ذلك فوالله إحداها القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعلم لأمنته . وقال ﷺ « ربح الولد من ربح الجنة » (٥) وقال يزيد بن معاوية أرسل إلي أبي الأحنف بن قيس فقام وصل إليه قال : يا أبا بحر ما تقول في الولد ؟ قال يا أمير المؤمنين نمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لم أرض ذليلة وسماطة ذليلة وبهم نصول على كل جبيلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم ينحون ودمهم ومجولهم يهدم ولا يمكن عليهم قتلا قتيلا فيملاو حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية له أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا ملوء غضبا وغيتا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبش إليه بما بقي ألف درهم وما بقي ثوب فأرسل يزيد إلى أبي الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقامه بإهاطه الشطر فبذره في الأخبار الدالة على ما كد حق الوالدين وكيفية القيام بهما تعرف عما ذكرناه في حق الأخوة فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة بل يزيد ههنا أمران : أحدهما أن أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشهات وإن لم يجب في الحرام الحسن حتى إذا كانا يتقصان بأمر أدركهما بالطعام فليك أن تأكل معها لأن ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا باذنها واللبادة إلى الحج الذي هو فرض الإسلام قل لأنه على التأخير والخروج لطلب العلم قل إلا إذا سكنت تطلب علم القرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وفلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام فليعلم المعبرة ولا يتقيد بحق

(١) حديث رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشر من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال موت لا يرحم لا يرحم البخاري من حديث أبي هريرة

(٢) حديث عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أغسلي وجه أسامة فغسلت أغسله وأنا أشفه ففرك يدي ثم أخذه فقبل وجهه ثم قبله ثم قال : قد أحسن بنا إذ لم يكن حاربه هكذا ولأحمد من حديث عائشة أن أسامة عثر بئبة الباب فدعى فقبل النبي صلى الله عليه وسلم وجهه ويقول لو كان أسامة جارية لحببها ولكسوتها حتى أنفقها وإسناده صحيح (٣) حديث عثر الحسن وهو على منبره ﷺ فقرأ قوله تعالى « إنا أموالكم وأولادكم فتنة » أصحاب السنن من حديث بركة في الحسن والحسين مما عيشان ويعمران قال الترمذي حسن غريب (٤) حديث عبد الله بن عدي « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاء الحسين فركب عنقه فقال للناس من رواية عبد الله بن هداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث ربح الولد من ربح الجنة الطبراني في الصغير والأوسط وابن جبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه منديل بن على ضيف .

عند المبالغة عينا
باطنان ينظرهما إلى
مولاهم عينا ظاهرا
يستعملهما في طريق
هواه . وقد قالت رابعة
في معنى هذا نظما :
إني جعلتك في القواد
عدي
وأبعت جسي من
أراد جلاوس
فالجسم من لجليس
مؤانس
وحبيب قلبي في القواد
أنسى .
والطف من هذا فتنة
أخرى غشاها التناهل
وهو أن يصير للروح
استرواح إلى لطف
الجلال ويسكون ذلك
الاسترواح موقوفا
على الروح وصير
ذلك وليجة في حب
الروح الخصوص
بالخلق المحضرة الالهية
فقتله الروح وينتد
باب التردد من الفتوح
وهذا البلاهة في الروح
يمز الشعور بها فتعذر
ومن هذا القليل
دخلت الفتنة على طاعة

الوالدين قال أبو سعيد الحدرى «هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه السلام هل باليمن أيواك قال نعم قال هل أذن لك ؟ قال لا قال عليه السلام فارجع إلى أبيك فاستأذنها فإن فضلا فجاهدوا وإلا فبرها ما استطعت فإن ذلك خير مما تلقى الله به بعد التوحيد (١)» «وجاء آخر إليه صلى الله عليه وسلم يستشيره في الفزوق قال ألك والدة قال نعم قال فازمها فإن الجنة عند رجلها (٢)» «وجاء آخر يطلب البينة على الحجر وقال ماجشك حتى أبكت والدة فقال دارج إليها فأنحكما كما أبكتكما (٣)» وقال عليه السلام «حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده (٤)» وقال عليه السلام «إذا استصعبت على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه (٥)»

(حقوق المملوك)

اعلم أن ملك النكاح قدس بقدره في آداب النكاح فأما ملك العين فهو أيضا يفتنى حقوقا في العاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال «انظروا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهما بما تكونوا كسومما تلبسون ولا تكفوهما من العمل ولا يطعونهما فاجبتهم فأمسكوا وما كرهتم فيبيحوا ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو عاهدكم إياكم (٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكف من العمل ما لا يطيق (٧)» وقال عليه السلام «لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء السكة (٨)» وقال

(١) حديث أبي سعيد الحدرى هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم هل باليمن أيواك ؟ قال نعم الحديث أحمد وابن حبان دون قوله ما استطعت الخ (٢) حديث جاء آخر إلى النبي ﷺ يستشيره في الفزوق قال ألك والدة فقال نعم قال فازمها فإن الجنة تحت قدمها الثمانى وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جهمه أن أنى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح الإسناد (٣) حديث جاء آخر فقال ماجشك حتى أبكت والدة فقال دارج إليها فأنحكما كما أبكتكما أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الإسناد (٤) حديث حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود في اللزاسيل من رواية سعيد بن عمرو بن العاص مرسلا ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده سعيد ابن العاص وإسناده ضعيف (٥) حديث إذا استصعب على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب بسند ضعيف نحوه (٦) حديث كان من آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال انظروا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهما بما تكونوا كسومما تلبسون ولا تكفوهما من العمل ولا يطعونهما فاجبتهم فأمسكوا وما كرهتم فيبيحوا ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو عاهدكم إياكم (٧) حديث قال صلى الله عليه وسلم «للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكف من العمل ما لا يطيق مسلم من حديث أبي هريرة (٨) حديث لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء السكة أحمد مجموحا والترمذى ومرفقا وابن ماجه مقتصرا على سيء السكة من حديث أبي بكر وليس

قالوا بالشهادة وإذا كان في باب الخصال ولوجه في الحب يقول منجسا ببلادة الروح في القيام بوظائف حب الحضرة الإلهية - فحسبك فحسب يدي ذلك في باب تغيير مشروح يفرض سكون النفس لحظن الله لو كان من قبل الحق ما صنعت النفس والنفس لا تكن في ذلك فأما بل سلب من الروح ذلك الوصف وتأخذ إليها على أنى أصليحت مما يتلى به الفتون بالمشاهدة فوجدت الحق من ذلك من سورة الفتنى عنه وهو شرب الشهوة فأنزل ذهب حلة الشرب ما بقيت الرقة فليحذر ذلك جنتا ولا يسمع من يتبع فيه حالا وصحة فانه كذاب متع ولذا لما قال الأطباء الجامع يسكن هيجان الشقى وإن كان من غضب

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفق عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه في كل يوم سبعين مرة (١)» وكان عمر رضي الله عنه يذهب إلى العوالي في كل يوم سبت فإذا وجد عبدا في عمل لا يطقه وضع عنه منه . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله أحله خلفك فأما هو أخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله عبدا ما شئ خلقه . وقالت جارية لأبي العرواء إنى صمتك منذ نذا عمل فيك حيثما قال لم صمت ذلك قالت أرودت الراحمتك قال انهي عنى فأنت حررت لوجه الله وقال الزهري متى قلت للملوك أخزأك الله فهو حر . وقيل لأخف بن قيس عن ثعلبة الجهم ؟ قال من قيس بن عاصم ، قيل فاباغ من حله ؟ قال بينا هو جالس في داره إذ أتته خادمتة يسفود عليه عواء فسقط السفود به دعاها ابن له ففره فأت فدعشت الجارية قال ليس يسكن روح هذه الجارية إلا لالتقي فقال لها أنت حر لا بأس عليك وكان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه قال ما أعيبك بمولاك مولاك يصح مولاه وأنت تسمى مولاك فأغضبه يوما قال إنما تريد أن أضربك اذهب فأنت حر وكان مند ميمون بن مهران يضيف فاستجبل على جاريته بالمشاء فجاءت مسرعة ومعهما قصة مله ففترت وأراقتا على رأس سيدهما ميمون قال يا جارية أحرقتي قالت يا معلم الحبر ومؤدب الناس أوجب إلى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال - والكاظمين الفيت - قال قد كظمت غيظي قالت سو العاقين عن الناس - قال قد عفوت عنك قالت زد فإن الله تعالى يقول - والله يحب المحسنين - قال أنت حررت لوجه الله تعالى . وقال ابن النكدر «إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم ينفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فالتفت إليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك يده فقال رسول الله أسألك بوجه الله فلم ينفه فلما رأى أمسك يده قال فإنه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لولم تفعل لسمعت وجهك النار (٢)» وقال مالك «العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين (٣)» ولما أعتق أبو رافع بكى وقال كانى أجران فذهب أحدهما وقال صلى الله عليه وسلم «عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال وأول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وفؤور لا يعطى حق الله وقبره فخور (٤)» وعن ابن

المعوق فليعلم أن مستند الشهوة ويكذب من يدعي فيه حالا وهذه قن التآكل وقتة العزب مرور النساء غاطره وتصورهن في متخذه ومن أعطى الطهارة في باطنه لا يدنس باطنه بخواطر الشهوة وإذا منع الخاطر يحوه بحسن الانابة والاباذ بالمر بوقى سامر الفكر ككشف الخاطر وخرج من القلب إلى الصدر . وعند ذلك يحد حساس الضو بالخاطر فيصير ذلك عملا خيا وما أتبع مثل هذا بالصادق للتطلع إلى المحضو واليقظة فيكون ذلك باقية الحال وقد قيل يروى الفاحشة قلب المصابين كفصل القائلين لها والله أعلم . [السياق الثاني] والعشرون في القول في البيع قبل الإقرار قال الله تعالى - فيشر

عند أحد منهم متكرروا أحمد والترمذي والخيل وللتان وهو ضعيف وحسن الترمذي أحد طريقه (١) حديث ابن عمر جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفق عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث ابن النكدر أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد الحديث ابن المبارك في الزهد مرسلوا في رواية لمسلم في حديث أبي مسعود الآتي ذكره فيصل يقول أعوذ بالله قال فيصل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له قتلته هو حر لوجه الله قال أما إنك لولم تفضل لفحتك النار أو لسمت النار (٣) حديث إذا نصح السيد وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأول ثلاثة يدخلون الجنة وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده

مسعود الأنصاري قال « بينا أنا أضرب علامي إذ سمعت صوتاً من خافي أعلم يا أبا مسعود مرتين فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقيت السوط من يدي فقال : والله أنه أقدر عليك منك على هذا ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلوفاً فإنه أطيب لنفسه ^(٢) » ورواه معاذ . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أنى أحدكم خادمه يطعمه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليناوله قصة ^(٣) » وفي رواية « إذا كفى أحدكم ملوكه سنة طعامه فسكاه حرمه وموته وقرّبه إليه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليناوله أو ليأخذ أكلة فليروغها وأشار بيده وليضربها في يده وليلعل كل هذه . ودخل على سلمان رجل وهو يسجن فقال يا أبا عبد الله ما هذا فقال بشنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجتمع عليه فمهلين وقال صلى الله عليه وسلم « من كانت عنده جارية فصاتها وأحسن إليها ثم أعطاها وتزوجها فذلك له أجران ^(٤) » وقد دل صلى الله عليه وسلم « كل كراع وكل كسول عن رعيته ^(٥) » فجملة حق للملوك أن يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر إليه بين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بفحوت أوبعجائبه في معاصيه وجنائبه على حق الله تعالى وتقصيره في طاعته مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة ورجل عصي إمامه فأت عاصياً فلا يسأل عنها وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفها مؤنة الدنيا فترجعت بسده فلا يسأل عنها وثلاثة لا يسأل عنهم رجل ينازع الله رداؤه ورداؤه الكبرياء وإزاره العز ورجل في شك من الله وقنوط من رحمته ^(٦) » ثم كتاب آداب الصلوة للصحة وللعاشرة مع أصناف الخلق .

(كتاب آداب العزلة)

(وهو الكتاب السادس من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أعظم النعمة على خيرة خلقه وضوئته بأن صرف محمداً إلى مؤانسته وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح أسرارهم بتناجياته وملاطفته وحرق في قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بزلته كل من طوبى المحجب عن مجاري فكرته فاستأنس عطالة سيجات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الأنس بالإنس وإن كان من أخص خاصته

الحديث الترمذي وقال حسن وابن حبان من حديث أبي هريرة .

(١) حديث أبي مسعود الأنصاري بينا أنا أضرب غلاماً لي سمعت صوتاً من خلفي أعلم يا أبا مسعود مرتين الحديث رواه مسلم (٢) حديث معاذ إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلوفاً فإنه أطيب لنفسه الطبراني في الأوسط والحرثاني في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة وليأكل كل معه فإن أنى فليناولوه وفي رواية إذا كفى أحدكم ملوكه سنة طعامه الحديث متفق عليه مع اختلاف لفظ وهو في مكارم الأخلاق للحرثاني في اللفظين الذين ذكرهما الصنف غير أنه لم يذكر علاجه وهذه اللفظة عند البخاري (٤) حديث من كانت عنده جارية فصاتها وأحسن إليها ثم أعطاها وتزوجها فذلك له أجران متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث كل كراع وكل كسول عن رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم (٦) حديث فضالة بن عبيد ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً الحديث الطبراني والحاكم وصححه .

(مكتاب العزلة)

(الباب الأول في شل للذاهب والمحب فيها)

عباد الله الذين يستمعون القول فيقيمون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب قيل أحسنه أي أهله وأرسله وقال عز وجل - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق - هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب وهذا سماع ترد حركاته على يرد اليقين قضيت العين بالسمع لأنه تارة يشير حزناً والحزن حار وتارة يشير شوقاً والشوق حار وتارة يشير ندماً والندم حار فإذا آثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب ملود يرد اليقين أبكى وأدمع لأن الحرارة والبودة إذا اصطدنا عصرهما فافا ألم السماع بالقلب تارة خفف إلامه فظهر

والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحبه سادة الحق وأئمة.

[أما بعد] فإن للناس اختلافا كثيرا في الزلة والمخالطة وتفضيل إحداها على الأخرى مع أن كل واحد منهما لا يمتنع عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار الزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحة من فضيلة المخالطة وللزلة والوقاية بكاد يناقض ما مال إليه أكثر من اختيار الاستيعاش والحلوة فكشفت القطاء عن الحق في ذلك مهم ويحصل ذلك برسم باين . الباب الأول : في محل للذاهب والحجج فيها . الباب الثاني : في كشف القطاء عن الحق بحصر القوائد والقوائل .

(الباب الأول في محل للذاهب والأقوال وذكر حجج القريبين في ذلك)

أما للذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب إلى اختيار الزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وإبراهيم بن آدم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط وحذيفة الرعشي وبشر الحافي وقال أكثر التابعين باستيعاب المخالطة واستكثار للمعارف والإخوان والثأف والتحبب إلى المؤمنين والاستمئنة بهم في الدين تعاونوا على البر والتقوى وما إلى هذا سعيد بن المسيب والشامي وابن أبي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك ابن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وجماعة ، ولما تفرقت عن العلماء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الميل فلتنتقل الآن لمطاف تلك الكلمات لينبذ للذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نوره عند التمرض للقوائل والقوائد فقول قد روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال خذوا بحظكم من الزلة وقال ابن سيرين الزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله عجا وبالقرآن مؤثرا وبالوقت إعطاء وقيل أخذ الله صاحباً ودفع الناس جانباً . وقال أبو الريح الزاهد داود الطائي عطفي قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الأخيرة وفر من الناس فرارك من الأسد وقال الحسن رحمه الله كلمات أحفظهن من التوراة فتح ابن آدم فاستغنى اعترل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظفرت مروته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا أن الحسكة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والماشي في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعن بن بكار ما أصبرك على الوحدة وقد كان ثم البيت فقال كنت وأنا ذاهب أصبر على أكثر من هذا كنت أنحالي الناس ولا أكلمهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومنا شاب من الملوقة فسكت معنا سبعا لانسع له كلاما فقلناه يا هذا قد جئنا الله وإياه مندسبح ولا نراك تخاطبنا ولا نكلمنا فأنا يقول :

قليل الملم لا وله يموت . ولا أمر يحلفه يموت

فمن وطر الصبا وأفاد علما . فنباته التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعي لرجل فمعه ثم اعزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الإخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا تترأى للعدو أن يخبرك غدره وقيل لعمر بن عبد العزيز لو نغرغرتنا لقلنا ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عدله تعالى وقال الفضيل إني لأجد للرجل عندي بما إذا قلني أن لا يسلم علي وإذا مرضت أن لا يودني وقال أبو سليمان الداراني بينا الربيع بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه جعرصك جبهته ففجحه فيعمل بمسح السهم ويقول قد عظمت يارب يسع مقام ودخل داره فاجلس بذلك في باب داره حتى أخرجت جنازته . وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد زما يوتهما بالقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجملة ولا غيرها حتى ماتا بالقيق وقال يوسف بن أسباط سمعت سفيان الثوري يقول : والله الذي لا إله إلا هو لقد حملت الزلة

أثر في الجسد وشعر منه الجسد قال أنه تعالى - تشعر منه جلود الذين يحسون ربهم - وفارة يسلم وقبسه ويصوب أثره إلى فوق نحو السماع كاهنر للممثل فيعظم وقع للتجدد الحادث فتدقق منه العين بالسمع وفارة يصوب أثره إلى الروح فتخرج منه الروح موجا يكاد تنقيق عنه نطاق القلب فيكون من ذلك الصباح والاضطراب وهذه كلها أحوال يحدثها أربابها من أصحاب الحال وقبده يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب المجال . روى أن عمر رضي الله عنه كان ربما مر بآية في ورده فتخذه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يهاد ويحب مريضا فالسماع يستجلب الرحمة من الله الكريم . روى زيد بن أسلم قال

وول بشر بن عبد الله اهل من معرفة الناس ونك لا تدري ما يكون يوم القيمة فان تسن صيغة كان من يعرف قليلا ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له ألك حاجة ؟ قال نعم قال وما هي ؟ قال أن لا تراني ولأرأاك ولا تعرفني وقال الرجل لسهل أريد أن أصحبك فقال إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر قال الله قال فليصحبه الآن وقيل للفضيل إن عليا ابنك يقول لوددت أني في مكان أرى الناس ولا يرونني فيك الفضيل وقال يابوع على أعلامها فقال لأبرام ولا يرون وقال الفضيل أيضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفة وقال ابن عباس رضي الله عنهما أفضل الجالس مجلس في قصر بيتك لا ترى فيه من أقاويل للتالين إلى المزمة .

(ذكر صحيح للتالين إلى الخاطلة ووجه ضحفا)

احتج هؤلاء بقوله تعالى - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا - الآية - بقوله تعالى - قاتل بين يديكم - أي من الناس بالسبب للثأل وهذا ضعيف لأن الرداء به تفرق الآراء واختلاف اللهاج في منه في كتاب الله وأصول الشريعة والرداء بالأمة تزعم القوائل من الصدور وهي الأسباب للثيرة لفتن الحركة للخصومات والمزلة لاتاني ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم «لؤمن الناس ما لوف ولاخير فيمن لا يأنف ولا يؤلف» (١) وهذا أيضا ضعيف لأنه إشارة إلى منة سوء الخلق التي تنم عن بسية مؤلفة ولا يدخل تحت الحسن الخلق الذي إن خالط ألب وأفسد ولكنه ترك الخاطلة احتجوا بفساد نفسه وطلبا لسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة شرا فحل في ربة الاسلام من عقه » وقال « من فارق الجماعة فمات فمات جاهليا » (٢) وبقوله صلى الله عليه وسلم « من شق عصا المسلمين وللمسلمون في اسلام دامج فقد حلع ربة الاسلام من عقه » (٣) وهذا ضعيف لأن الرداء به الجماعة التي انتمت آراهم على إمام بقدر البيعة فالخروج عليهم بغير ذلك مخالفة بالرأي وخروج عليه وذلك محظور لا اضطرار الخلق إلى إمام مطاع يجمع ربه ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر له لمة فيها تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للمزلة . واحتجوا بنبيه صلى الله عليه وسلم عن الحجر فوق ثلاث إذ قال « من هجر أخاه فوق ثلاث فمات داخل النار » (٤) وقال عليه السلام « لا يهل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة » (٥) وقال « من هجر أخاه سنة فهو كفافك دمه » (٦) قالوا والمزلة هجرة بالكيفية وهذا ضعيف لأن الرداء به التفضيل على الناس وللجاء فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المدة فلا يدخل فيه ترك الخاطلة أصلا من غير غضب مع أن المجر فوق ثلاث جائز في موضعين : أحدهما أن يرى فيه إصلاحا للمهجور في الزيادة . والثاني أن يرى لنفسه سلامة فيه والتي وإن كان قاما فهو محمول على موارد للوضعين الخصوصيين بدليل ما روي عن عائشة رضي الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم هجرها ذات الحجة

(١) حديث للؤمن الناس ما لوف الحديث تقدم في الباب الأول من أدب الصحبة (٢) حديث من ترك الجماعة فمات فيكته جاهلية مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام (٣) حديث من شق عصا المسلمين وللمسلمون في اسلام دامج قد حلع ربة الاسلام الطبراني والحطابي في المزمة من حديث ابن عباس بسند جيد (٤) حديث من هجر أخاه فوق ثلاث فمات داخل النار أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد صحيح (٥) حديث لا يهل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة متفق عليه من حديث أنس دون قوله والسابق بالصلح زاد فيه الطبراني والبيهقي يبدأ بالصلح يسبق إلى الجنة (٦) حديث من هجر أخاه سنة فهو كفافك دمه أبو داود من حديث أبي خراشي السلمي واسمه حدود بن أبي حدود وإسناده صحيح .

قرأ أبي بن كعب عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اغتصموا الصلوة عند الرقة فلها رحمة من الله تعالى » وروى أم كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا انشمر جلد البع من خشية الله ماتت عنه الذنوب كما ماتت عن الشجرة اليابسة ورقها » وروى أيضا إذا انشمر الجلد من خشية الله حرمه الله تعالى على النار » وهم جلة لا تنكر ولا اختلاف فيها إنما الاختلاف في استماع الأصوات والألحان وقد كثرت الأقوال في ذلك وتباينت الأحوال فمن منسكرك يلحقه نقص ومن مولع به يشهد بأنه واضح الحق ويتجاذبان في طرفي الإفراط والتفريط . قبل لأن الحسن بن سالم كيف تنسكك الساج وقد كان الجيديموسرى

والحرم وبعض صفر^(١) وروى عن عمر^(٢) أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نسائه وآل منتهى شهرا وصعد إلى غرفة له وهي خزائنه ثلث تسعا وعشرين يوما فلما نزل قيل له إنك كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعا وعشرين^(٣) وروى عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يخل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائه^(٤) » فهذا صريح في التصريح وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال : هجران الأخ حق قربة إلى الله فإن ذلك بدوم إلى اللوث إذ الحاجة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم : سعد بن أبي وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى مات وعثمان بن عفان كان مهاجرا لمعد الرضين بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة . واحتجوا بما روى « أن رجلا أتى الجبل ليتصيد فيه غي^(٥) » به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في سبب مواطن الاسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاما^(٦) » والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدته وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فررنا بشعب فيه عينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولني أفضل ذلك حتى أذكره لرسول الله ﷺ قال صلى الله عليه وسلم : لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته في أهله ستين عاما لا تحبون أن يفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل في سبيل الله فوق ناقه أدخله الله الجنة^(٧) » واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه ﷺ قال « إن الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاردة وإياكم والشباب وعليكم العامة والجماعة والمساكين^(٨) » وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسيأتي بيان ذلك وأن ذلك ينهى عنه إلا للضرورة .

(ذكر جميع المائلين إلى فضيل الزلزلة)

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام - وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربى - الآية ثم قال تعالى - فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا - إشارة إلى أن ذلك يركة الزلزلة وهذا ضعيف لأن مخالطة الكفار لا تامة فيها إلا دعوتهم إلى الدين وعند اليأس من إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم وإنما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم هجر عائشة ذا الحجة والحرم وبعض صفر . قلت : إنما هجر زينب هذه لليلة كما روى أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عنده صالح (٢) حديث عمر أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نسائه وآل منتهى شهرا الحديث متفق عليه (٣) حديث عائشة لا يخل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون ممن لا يأمن بوائه ابن عدى وقال غريب اللين والامسناد وحديث عائشة عند أبي داود دون الاستثناء بإسناد صحيح (٤) حديث أن رجلا أتى الجبل ليتصيد فيه غي^(٥) » به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في سبب مواطن الاسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاما (٦) حديث ابن عبد البر يقولون إن حديثه مرسل وكذا ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٧) حديث أبي هريرة غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فررنا بشعب فيه عينة طيبة الماء غزوة ضال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب الحديث الترمذي وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم إلا أن الترمذي قال سيعين عاما (٨) حديث معاذ بن جبل الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية أحد والعطاري ورحاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا .

السقطى وذو النون
يسمعون فقال كيف
أنكر السباع وقد أجاز
وصحه من هو خير مني
فقد كان جسر الطيار
يسمع وإنما للشكر
اللب واللب في السباع
وهذا قول صحيح .
أخبرنا الشيخ طاهر بن
أبي الفضل عن أبيه
الحافظ للقدس قال أنا
أبو القاسم الحسين بن
محمد بن الحسن الخوافي
قال أنا أبو محمد صيد الله
ابن يوسف قال ثنا
أبو بكر بن واثب وقال
محمد بن الحرث قال ثنا
الأوراعي عن الزهري
عن عروة عن عائشة
رضي الله عنها « أن أبا
بكر دخل عليها عندها
جارتان قضيتان
وقصيران بدفين
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم مجي
بشبه فاتهما أبو بكر
فكشفت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
وجهه وقال : دعهما
يا أبا بكر فاتهما أيام عيدا .

لما روى أنه قيل « يا رسول الله الوضوء من جر محر أحب إليك أو من هذه الطاهر التي يطهر منها الناس قال بل من هذه الطاهر التحاما لبركة أيدي المسلمين (١) » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرّب منها فاذا القمر المنقع في حياض الأدم وقد منته الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه وقال اسقوني فقال العباس إن هذا النبيذ شراب قد منث وخيض بالأيدي أفلا آتيتك بشراب أنظف من هذا من جر محر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس ألقى بركة أيدي المسلمين فشرّب منه (٢) » فإذا كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام - وإن لم تؤمنوا لي فاعزّلون - وأنه فرغ إلى العزة عند اليأس منهم وقال تعالى في أصحاب الكهف - وإذا اعتزّلوا قوم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينزلكم ربكم رحمة - أمرهم بالهجرة إلى أرض الحبشة (٣) ثم تلاحقوا به إلى المدينة ببدان أبي الله كنهه وهذا أيضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فأنصلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامهم من الكفار وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بضامهم مؤمنون وإعما اعتزلوا الكفار وإعما النظر في العزة من المسلمين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لبيد الله بن عامر الجهني لما قال « يا رسول الله ما الحاجة ؟ قال ليسك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك (٤) » وروى أنه قيل له صلى الله عليه وسلم « أي الناس أفضل ؟ قال مؤمن مجاهد بنفسه وما له في سبيل الله تعالى قيل ثم من ؟ قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويسمع الناس من شره (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب البعد التقي التقي الخفي (٦) » وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فأما قوله لبيد الله بن عامر

(١) حديث قيل له صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر محر أحب إليك أو من هذه الطاهر التي يطهر منها الناس فقال بل من هذه الطاهر الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٢) حديث لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم يشرّب منها فاذا القمر المنقع في حياض الأدم قد منته الناس بأيديهم الحديث وفيه قال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس رواه الأزرقي في تاريخ مكتم حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طاووس مرسل نحوه (٣) حديث اعتزاله صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة الحديث رواه موسى بن عقبة في التنازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب مرسل ورواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن شهاب على بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام مرسل أيضا وصله من رواية أبي سلمة الحضرمي عن ابن عباس إلا أن ابن سعد ذكر أن الشريكين حصروا بني هاشم في الشعب وذكر موسى بن عقبة أن أبا طالب جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعبهم ومغازي موسى بن عقبة أصح التنازي وذكر موسى بن عقبة أيضا أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة ولأن داود من حديث أبي موسى أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تنطلق إلى أرض التجاشي قال البيهقي وإسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود بسند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التجاشي وروى ابن اسحق بإسناد جيد ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث أم سلمة إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالتحقوا بيلاده الحديث (٤) حديث سأله عقبة بن عامر يا رسول الله ما الحاجة ؟ فقال ليسك بيتك الحديث الترمذي من حديث عقبة وقال حسن (٥) حديث أي الناس أفضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وما له في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري (٦) حديث إن الله يحب البعد التقي التقي الخفي مسلم

فلا يمكن تنزيهه إلا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخاطلة فانهم يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخاطلة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل وفي مخاطلة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الذي يخاطل الناس ويصبر على أذى من الناس لا يخاطل الناس ولا يصبر على أذى من الناس » (١) وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام « رجل معزول يبد ربه ويدع الناس من شره » فهذا إشارة إلى شرير بطبعه تتأذى الناس بمخاطلته وقوله « إن الله يحب التقي الحق » إشارة إلى إشار الحول وتوق الشهرة ، وذلك لا يتعلق بالعزلة فكيف من راهب معزول تعرفه كافة الناس وكثير من مخالط لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة ، واحتجوا بما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى يا رسول الله فأشار يده نحو الغرب وقال رجل أخذ بنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يبار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده وأشار يده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شروا الناس (٢) » فإذا نظرنا هذه الأدلة لاغشاه فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقاييس بعضها بالبعض ليعتد الحق فيها .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضائلها)

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة ، وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ماضئانه من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيها نحن فيه فلنذكر أولا فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائد دينية ودنيوية والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة والواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم وإلى التخلص من ارتكاب الناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخاطلة كالرياء والنية والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء . وأما الدنيوية فتقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكين المحترف في خلوته إلى ما يخلص من محذورات يتعرض لها بالمخاطلة كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الحلق عليها وطعمه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف سر مروءته بالمخاطلة والتأذي بسوء خلق الجليس في مراتبه أو سوء ظنه أو بغيته أو محاسناته أو التأذي بثقله وتشويه خلقته وإلى هذا ترجع جماع فوائد العزلة فلنصرها في ست فوائد :

(القائمة الأولى)

الفرغ لعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الحق والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملسكوت السموات والأرض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخاطلة فالعزلة وسيلة إليه ، ولهذا قال بعض الحكماء لا يمكن أحدا من الخلوة إلا بالنسك بكذب الله

من حديث سعد بن أبي وقاص (١) حديث الذي يخاطل الناس ولا يصبر على أذى من الناس والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطريق واحد (٢) حديث ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فأشار يده نحو الغرب وقال رجل أخذ بنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يبار عليه الحديث الطبراني من حديث أم مبشر إلا أنه قال نحو للشرق بدل للغرب وفيه ابن اسحق رواه بالضعف والترمذي والنسائي نحوه مختصرا من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائلها)

قول الشيخ أبي طالب للسك وهو الصحيح فاذن لا يطلق القول بمنه ونجبره والانكار على من يسمع كفعل القراء للترهدين البائسين في الانكار ولا يفسح فيه على الإطلاق كفعل بعض المشتهرين به المهملين شروطه وآدابه للقيمين على الإصرار وتفصل الأمر فيه تفصيلا ونوضح للماهية فيه تحريما وتحليلا فأما الدف والشابة وإن كان فيهما في مذهب الشافعي فسحة فالأولى تركهما والأخذ بالأحوط والخروج من الخلاف وأما غير ذلك فإن كان من القوائد في ذكر الجنة والنار والتشويق إلى دار القرار ووصف نعم تلك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الحيرات فلا سبيل إلى الانكار ومن ذلك القليل قصائد العزلة

تعالى ولتسكون بكتاب الله تعالى م الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذي كرون الله بآله عاشوا بذكر الله وامتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ، ولاشك في أن هؤلاء تمنهم الخاطلة عن الفكر والذكر فالعزة أولى بهم ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يقتل في جبل حراء وينزل إليه حتى قوى فيه نور النبوة (١) فكان الخلق لا يعجبونه عن الله فكان يدينه مع الخلق وقبله مبقلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليفه ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن استغراقهم بالله قال «لو كنت متخذًا خليلًا لاخنت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله (٢)» ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والاقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يترك كل ضعيف نفسه فيطمع في ذلك ولا يمد أن تقتضى درجة بعض الأولياء إليه ، فقد نقل عن الجليل أنه قال أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنى أكلمهم وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لايبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر فى للشهري بحب الخلق من مخالطة الناس يدينه وهو لا يدرى مايقول ولا مايقال له لقرط عشقه محبوبه بل الذى دهاه لم يشوش عليه أمرا من أمور دينه فقد يستغرقه الملم بحب مخالطة الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه وأمر الآخرة أعظم عند الغفلاء فلا يستجبل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزة ، ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذى أرادوا بالخلو واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم فى قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويدققوا حلالة للرفة وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة فقال ما أنا وحدى أنا جليس الله تعالى إذا شئت أن يناجى قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجه صليت وقيل لبعض الحكماء إلى أى شئ أفضى بكم الزهد والخلو فقال إلى الأنس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت إبراهيم ابن آدم رحمه الله فى بلاد الشام فقلت له يا إبراهيم تركت خراسان فقال ما نهأت بالعيش إلا ههنا أفر بدنى من شاق إلى شاق فمن برأى يقول موسوس أو حمال أو ملاح وقيل لقزوان الرقاشى هيك لا تضحك فى يمينك من محالة إخوانك قال إنى أصيب راحة قلبى فى محالة من عنده حاجتى وقيل للحسن بابا سعيد ههنا رجل لم تره قط جالسا لإوحدته خلف سارية فقال الحسن إذا رأيتوه فأخبرونى به فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذى أخبرناك به وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال له يا عبد الله أراك قد حببت إليك العزلة فى يمينك من محالة الناس فقال أمر شغلنى عن الناس قال فى يمينك أن تأتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن تجلس إليه فقال أمر شغلنى عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن وما ذلك الشغل يرحمك الله فقال إنى أصبح وأمسى بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسى بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفتة عندى من الحسن فأكرم ما أنت عليه وقيل بينا أوسى القرنى جالسا إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أوسى ما جاء بك قال جئت لأنسى بك فقال أوسى ما كنت أرى أن أحدا يعرف ربه فى أنس بغيره وقال الفضيل إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخو برى وإذا رأيت الصبح أذكرنى استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئنى من يشغلنى عن ربي وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش فى الدنيا وعاش فى الآخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجى الله فى الدنيا ويهاو به فى الآخرة وقال ذوالنون للصري سرور المؤمن وقدهته فى الخلو بمنجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة الخلوين

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم فى أول أمره يقتل فى جبل حراء وينزل إليه متفق عليه من حديث عائشة نحوه فكان غلو بنار حراء يتحدث فيه الحديث (٢) حديث لو كنت متخذًا خليلًا لاخنت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

والحجاج فى وصف
الغزو والحج مما يثير
كامن الزمزم من الزمى
وساكن الشوق من
الحجاج وأما ما كان من
ذكر القدود والحدود
ووصف النساء فلا يبق
بأهل الهيات الاجتماع
لشئ ذلك وأما ما كان
من ذكر الهجر والوصل
والقطعية والصد مما
يقرب حمله على أمور
الحق سبحانه وتعالى
من تلون أحوال
الريدين ودخول
الآفات على الطالبين
لمن مع ذلك وحدث
عنده ندم على ما فات
أو تجدد عنده عزم
لما هو آت فكيف
يكون سماعه وقد قيل
إن بعض الواجدین
يقات بالباع ويتقوى
به على الطى والوصال
ويثير عنده من الشوق
ما ينهب عنه لخب
الجوع فاذا استمع
العبد إلى بيت من
الشعر وقلبه حاضره
كان يسمع الحادى

فقد قل علمه وعنى قلبه وضيع عمره . وقال ابن المبارك ما أحسن حال من انقطع إلى الله تعالى وبروى عن بعض الصالحين أنه قال بينا أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بما يدخارج من بعض تلك الجبال فلما نظرت إلى تنحي إلى أصل شجرة وتستر بها قلت سبحان الله تبخل على النظر إليك فقال يا هذا إني ألفت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تبني وفيه عمري فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أي شيء في مجاهدة قلبي ففكره الله عن الاضطراب والله الوحدة والافتراق فلما نظرت إليك خفت أن أقع في الأمر الأول فإليك عنى فإني أعوذ من شرك رب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح وانغهم من طول السكث في الدنيا ثم حول وجهه عنى ثم قضى يديه وقال إليك عنى يا دنيا لغيري قترني وأهلك فترى من قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما ألهمى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسن وجعهم في ذكره فلا شيء أله عديم من مناجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس فإذا في الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل :

وإني لأستغشى وماني غشوة لعل خيالا منك يلقي خيالها
وأخرج من بين الجالوس لعلني أحدثك النفس بالرخايل

ولذلك قال بعض الحكماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه لحلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ لملاقاة الناس ويطرده الوحشة عن نفسه بالكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على المكرة ويستخرج العلم والحكمة . وقد قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فإذا هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأسى بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله بالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالخالطة فإن غاية العبادات وجمرة العاملات أن يموت الإنسان عجا لله عارفاً بالله ولا حجة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر وفرغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع الخالطة .

(الفائدة الثانية)

انتخلص بالزلة عن المعاصي التي يتعرض للانسان لما غالبا بالخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة القية والنجاسة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا . أما القية فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربيع الهللكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع الخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون فإن عادة الناس كافة التخصص بأعراض الناس والتفكك بها والتنقل بحلواتها وهي طعمتهم ولذتهم وإلها يستروحون من وحشهم في الخلوة فإن خالطتهم وواقهم أثمت وترسنت لسطح الله تعالى وإن سكت كنت شريكا ولستم أحد للتائبين وإن أنكرت أبغضوك وتركوا ذلك الكتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى غيبة وربما زادوا على القية وانها إلى الاستخفاف والشم . وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتي بيانه في آخر هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة للتركات فإن سكت عسى الله به وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يحرمه طلب الخلاص منها إلى معاصي أكبر مما تنهى عنه ابتداء وفي الزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إلهامه عديد والقيام به شاق . وقد قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا وقال يا أيها الناس إنكم ترمون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنكم تضيئون في غير موضعها وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأى الناس المنكر فلم يبروه .

أتوب إليك يا رحمن إلى
أسأت وقد تضاعفت
الذنوب

فأما من هوى ليلي وحى
زيارتها فإني لأتوب
فطاب قلبه لما يجد
من قوة عزمه على
الثبات في أمر الحق
إلى الممات يكون في
صماعة هذا ذاك راثة

تعالى . قال بعض
أصحابنا كنا نعرف
مواجيد أصحابنا في
ثلاثة أشياء عند
المسائل وعند الغضب
وعند السماع . وقال
الجنيد تنزل الرحمة
على هذه الطائفة في

ثلاثة مواضع عند
الأكل لأنهم يأكلون
عن فاقة وعند اللذكرة
لأنهم يتحاورون في
مقامات الصديقين
وأحوال التبيين وعند
السماع لأنهم يسمعون
بوجد ويشهدون حقا
وسئل روم عن وجد
الصوفية عند السماع
فقال يتنبهون للمعاني
التي تعزب عن غيرهم

أوشك أن يمهم الله بكتاب (١) « وقد قال صلى الله عليه وسلم : إن الله يسأل العبد حتى يقول له مامنك إذا رأيت للسكر في الدنيا أن تسكره فافا لقن الله العبد حبه قال يارب رجوتك وخفت الناس (٢) » وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطروا الزلة خلاص وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إثارة للخصومات وتحريك لقوائل الصدور كاقيل :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البتة للتصحيح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالباً فانه يجدار ماثل يريد الانسان أن يقيه فيوشك أن يسقط عليه فاذ استطع عليه يقول باليتي تركته ما لانم لو وجدنا أعوانا أسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وأنج نفسك . وأما الزيادة فهو الضال الذي يصير على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه هو كل من خالط الناس دارهم ومن دارهم راءهم ومن راءهم وقع فياوقافه وهلك كما هلكوا أقل ما يلزم فيه النفاق فانك إن خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه بوجه صرت بيضا إليهما جديماً وإن جاملتهما كنت من شرار الناس . وقال **عليه السلام** : « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (٣) » وقال عليه السلام : « إن من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (٤) » وأقل ما يجنب في مخالطة الناس إظهار الشوق والبالغة فيه ولا يجوز ذلك عن كذب إما في الأصل وإما في الزيادة وإظهار الشقة بالسؤال عن الأحوال بقولك كيف أنت وكيف أهلك وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه وهذا غافق بعض قال سرى لودخل على أفع لى فسويت لحى يدي لدخوله فحشيت أن أكتب في جريدة للتائقين وكان الفضيل جالساً وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخ له فقال له ما جاء بك قال لك الوساة يا أباي قال تعالى والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تترنن لي وأترنن لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني أو أقوم عنك . وقال بعض العلماء ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يشمر به ودخل ما لوس على الخليفة هشام فقال كيف أنت يا هشام فغضب عليه وقال لم تخاطبني بأمر المؤمنين فقال لأن جميع المسلمين ما انتفقوا على خلافتك فغضبت أن أكون كاذباً فمن أمكنه أن يجتر هذا الاحتراز فليخالط الناس وإلا فليرض بآثبات اسمه في جريدة للتائقين فقد كان السلف يتلاقون ويجترزون في قولهم كيف أصبحت وكيف أمسيت وكيف أنت وكيف حالك وفي الجواب عنه فكان سؤالهم عن أحوال الدين لأعن أحوال الدنيا قال حاتم الأصم لحامد اللفاف كيف أنت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه وقال بإحاديث السلامة من وراء الصراط والعاقبة في الجنة وكان إذا قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت قال أصبحت لأملك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتها بعمل والخير كله في يد غيري ولا تقبر أقرب مني وكان الريح بن خنم إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت من ضياء مدينين تنسقي أرزاقنا وننتظر آجالنا وكان أبو الهرداء إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت غير إن نجوت من النار وكان سفيان الثوري إذا قيل له كيف أصبحت يقول أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأذن ذا إلى ذا وأقر من ذا إلى ذا وقيل لأويس القرني كيف أصبحت

(١) حديث أبي بكر إنكم ترمون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم - وإنكم لتشعونها في غير موضعها الحديث أصحاب السنن قال الترمذي حسن صحيح (٢) حديث إن الله يسأل العبد حتى يقول مامنك إذا رأيت للسكر في الدنيا أن تسكره ما للحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري باستدجيد (٣) حديث تجدون من شرار الناس ذا الوجهين متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إن من شر الناس ذا الوجهين مسلم من حديث أبي هريرة وهو الذي قبله .

فيشير إليهم إلى إلى
فيتنمون بذلك من
الفرح ويقع الحجاب
للوقت فيعود ذلك
الفرح بكاء فنه من
يمزق ثيابه ومنهم من
يسكي ومنهم من يصيح .
أخبرنا أبو زرعة بإجازة
عن ابن خلف بإجازة
عن السلي قال سمعت
أبا سهل محمد بن سليمان
يقول للسمع بين
استأثروا نجل فالاستأثر
بورش التلهب والتجلى
بورث للزيد فالاستأثر
يتوله منه حركات
الريدين وهو محل
الضعف والعجز والتجلى
يشوك منه السكون
للواصلين وهو محل
الاستقامة والتمكين
وكذلك محل الحضرة
ليس فيه إلا الدبول
تحت موارد الحمية قال
الشيخ أبو عبد الرحمن
السلي سمعت جدي
يقول للسمع يبنى
أن يستمع بقلب ونس
ميتة ومن كان قلبه
ميتاً وقسمه لا يعمل

أصبحت قال كيف يصبح رجل إذا أمسى لا يدرى أنه يصبح وإذا أصبح لا يدرى أنه أمسى . وقيل لما لك ابن دينار كيف أصبحت قال أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد . وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت قال أصبحت لأرضي حياتي لعمالي ولا تضيي لربي . وقيل لحكيم كيف أصبحت قال أصبحت أكل رزق ربي وأطيع عدوه إبليس . وقيل لعماد بن واسع كيف أصبحت قال ما ظنك برجل يرغب كل يوم إلى الآخرة مرحلة . وقيل لحامد اللفاف كيف أصبحت قال أصبحت أشتي عافية يوم إلى الليل قليل له ألس في عافية في كل الأيام قال العافية يوم لأعصى الله تعالى فيه . وقيل لرجل هو يهودي بنفسه ما حاله فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبراً موحشا بلا مؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة . وقيل لحسان بن أبي سنان ما حاله قال ما حال من يموت ثم يموت ثم يموت ثم يحاسب . وقال ابن سيرين لرجل كيف حاله قال وما حال من عليه خمائة درهم ديناهو ومعل فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفعها إليه وقال خمائة أفض بها دينك وخمسة عد بها على نفسك وعيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا أسأل أحدا عن حاله أبدا وإنما فعل ذلك لأنه خشي أن يكون سؤاله من غير اهتمام بأمره فيكون بذلك مرأيا مناققا قد كان سؤالهم عن أمور الدين وأحوال القلب في معاملة الله وإن سألو عن أمور الدنيا فمن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم إنى لأعرف أئواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لمعنه وأرى الآن أئواما يتلاقون ويتسألون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط آدمحلبة من مال صاحبه لمتعه قبل هذا إلا بمجرد الرياء والتفاق وآية ذلك أنك ترى هذا يقول كيف أنت ويقول الآخر كيف أنت فالسائل لا ينتظر الجواب وللسؤل يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن صفات وأخاد والألسنة تطبق بالسؤال . قال الحسن إنما كانوا يقولون السلام عليكم إذ اسلمت والله القلوب وأما الآن فكيف أصبحت فافاك الله كيف أنت أصلحك الله فإن أخذنا بغيرهم كانت بدعة لاكرامة فإن شاموا غضبوا علينا وإن شاؤا لا وإنما قال ذلك لأن البداية بقوله كيف أصبحت بدعة وقال رجل لأبي بكر بن عياش كيف أصبحت لما أجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقال إنما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون محموس بالشام من اللوث الذي ربح كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف أصبحت والقصد أن الالتقاء في غالب المادات ليس مخلوع عن أنواع من التصنع والرياء والتفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي الزلة الخلاص من ذلك فإن من لقي الخلق ولم يخالفهم بأخلاقهم مقتوه واستغفروه واعتابوه وتشبهوا بإيذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودينه في الانتقام منهم . وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء دفين فلما يتبين له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يحالسى الإنسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه إلا ولو قاس ضمه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستغفاله إذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع فيسقط وقعه واستظامه له وإنما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فإذا صار مستغفرا بطول المشاهدة أوشك أن تتحل القوة الوازع فتدفع الطبع لليل إليه أو لما دونه ومهما طال مشاهدته للكبائر من غير استحقاق الصنائع من نفسه ولذلك يزدري الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم في أن يستصغر ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استظام ما أتبع له من النعم وكذلك النظر إلى الطيبين والحسان هذا تأثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال السحابة والتابعين في العبادة والتزهد عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بين الاستمرار وإلى عبادته بين الاستحقار وما دام يرى نفسه

له السماع وقيل في قوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء الصوت الحسن وقال عليه السلام « قد أشدنا بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلى قيته » شغل عن الجنب قال : رأيت إبليس في النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشئ أو تتال منهم شيئا فقال إنه يسر على شأنهم ويسظم على أن أصيب منهم شيئا إلا في وقتين قلت أى وقت قال وقت السماع وعند النظر فاني أسترقي منهم فيه وأدخل عليهم به قال فحكيت رؤياي لبعض الشايع فقال لو رأيته قلت له يا أحق من سمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر أترعب أنت عليه شيئا أو تظفر بشئ منه قلت صدقت . وروى عائشة رضى الله عنها قالت « كانت عندي

مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستقاما للاقتداء ومن نظر إلى الأحوال الدالة على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم للعاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير يصادفها فليبوذلك هو الملاك ويكنى في تنمير الطبع مجرد مماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وهذه الحقيقة يعرف سر قوله عليه السلام « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة (١) » وإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحر كذا الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف عما هو مالا يس من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة وللفهم من فعوى هذا الكلام عند الفطن كلكهوم من عكسه وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر للعاصي واللعنة هي البعد ومبدأ البعد من الله هو للعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على المخلوط الماحلة والشهوات المحاضرة لا على الوجه للشروع ومبدأ للعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثرة السماع وإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « مثل المجلس السوء كمثل الكير إن لم يحرقك بعروره علق بك من ريحه (٢) » فكما أن الريح يعلق بالتوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال مثل المجلس الصالح مثل صاحب السك إن لم يهب لك منه نجد ريحه ولهذا أتول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعتين : أحدهما أنها غيبة والثانية وهي أعظمهما أن حكايتها تهون على المستمعين أمر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتبوين تلك للصبي فانهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون إلى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الإقدام فك من شخص يتكالب على الدنيا وعمره على جمعها وتبهاك على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه فيجها ويزعم أن الصحابة رضي الله عنهم لم يزهوا أنفسهم عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال على ومعاوية ويحمن في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة ولوازمها من العاصي والطبع اللئيم يعيل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالنزول على مقتضى الشهوة ليتطل به وهو من دقائق مكاييد الشيطان ولذلك وصفناه للراغبين للشيطان فيها بقوله - الذين يستمعون القول فيتعنون أحسنه - وضرب عليه السلام لذلك مثلا وقال « مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا بشر ما يسمع كمثل رجل أنى راعيا قال له يراعى اجر لي شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فأخذ بأذن كلب النعم (٣) » وكل من ينقل هفوات الأمة فهذا مثاله أيضا وما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر في نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضى إلى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون

(١) حديث عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ليس له أصل في الحديث للرفع وإنما هو قول سفيان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة صفوة الصفوة (٢) حديث مثل المجلس السوء كمثل الكير الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل منها إلا شر ما يسمع كمثل رجل أنى راعيا قال يراعى اجر لي شاة من غنمك الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند ضيف -

جارية تسمعي فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حالها ثم دخل عمر فقزت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله ؟ فحدثه حديث الجارية فقال لا أبيع حتى أسمع مامع رسول الله فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسمته « وذكرك الشيخ أبو طالب السكي قال كان لعطاء جاريان تلحان وكان إخوانه يجتمعون إليهما وقال أدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمن التلحين أعلهن الصوفية وهذا القول نقله من قول الشيخ أبي طالب وقال وعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهو لا يسلم إلا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفاء بشرط قوله تعالى :

من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تفر عنه طبعاهم كفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يقتضى تركها الكفر عند قوم وحز الرقية عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعا بالمشاهدة عن القلب ولذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير أو خاتما من ذهب أو شرب من إناء فضة استبعدته النفس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اغتياض للناس ولا يستبعد منه ذلك والنية أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير ولكن كثرة سمع الفية ومشاهدة القنابين أسقط وقعا عن القلوب وهون على النفس أمرها فتفطن لهذه الدقائق وفر من الناس فرار من الأسد لأنك لا تشاهد منه إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة وهون عليك العصية وضف رغبتك في الطاعة فإن وجدت جليسا يذكر لك آفة رؤيته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقه فاتها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولا حظت بطبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولي التباعد عنه بالمرلة أو التقرب إليه بالخاطلة وإياك أن تحكم مطلقا على المرلة أو على الخاطلة بأن إحداها أولى إذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا أو نعم خلف من القول محض ولا حق في الفصل إلا التفصيل .

(القائمة الثالثة)

(الحلاس من الفتن والحصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها)
وقفا تخلو البلاد عن نصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة منها قال عبدالله بن عمرو ابن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال « إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قلت فيأت أمرني فقال الزم بيتك وأملك عليك لسانك وخذ ما تصرف ودع ما تنكر عليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة » (١) وروى أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاق إلى شاق » (٢) وروى عبدالله بن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « سيأتى على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق ومن جحر إلى جحر كالمعلب الذي يروغ قبله ومق ذلك يارسول الله قال إذا لم تمل للبيعة إلا بمأصى الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت الزوبة قالوا وكيف ذلك يارسول الله وقد أمرتنا بالتزويج قال إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده فإن لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يارسول الله قال يبرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة » (٣) وهذا الحديث وإن كان في الزوبة فالمرلة مفهومة منه إذ لا يستغنى للتأهل عن للبيعة والمخالطة ثم لا ينال للبيعة إلا بمصية الله تعالى ولست

- (١) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم الحديث أبو داود والنسائي في اليوم واليلة بإسناد حسن (٢) حديث أبي سعيد الخدري يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن رواه البخارى .
(٣) حديث ابن مسعود سيأتى على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق تقدم في النكاح .

- سلم خاتنة الأعمى وما تخفى الصدور وما هذا القول من الشيخ أبى طالب السكى إلا مستغرب عجيب والتزهد عن مثل ذلك هو الصحيح . وفى الحديث في مدح داود عليه السلام أنه كان حسن الصوت بالنيابة على همه وبتلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والطير لسامع صوته وكان يجعل من عجله آلاف من الجنائز . وقال عليه السلام في مدح أبى موسى الأشعري « لقد أعطى مزارا من مزامير آل داود » . وروى عنه عليه السلام أنه قال « إن من الشرر حكمه » « ودخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرءون القرآن وقوم يشهدون الشرع قال يارسول الله قرآن وشرع فقال من

أقول هذا أو أن ذلك الزمان قلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ولأجله قال سفيان والله لقد حلت العزلة . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام المخرج قلت وما المخرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت فبم تأمن إن أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت يارسول الله أرأيت إن دخل على داري قال فادخل بيتك قلت فإن دخل على بيتي قال فادخل مسجدك واضع هكذا وقبض على الكوع وقل رب الله حتى تموت (١) . وقال سعد لما دعى إلى الخروج أيام معاوية لا إلا أن تطعنوني فها هو عينا بصيرتان ولسان ينطق بالكفر فأقتله والمؤمن فأكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على عجة يشاء فبيناهم كذلك يسرون إذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فهاهوا وضلوا . وقال بعضهم ذات الشمال فأخذوا فيها فهاهوا وضلوا وأناع آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبينت الطريق فصاروا فاعزل سعد وجماعة معه فارقوا الفتن ولم يخالطوا إلا بعد زوال الفتن . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه لما بلغه أن الحسين رضى الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلبسه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له ابن تيرد قال العراق فإذا معه طوامير وكتب فقال هذه كنهم ويستم فقال لا تنظر إلى كتبهم ولا تأتهم فأني قال إنى أحدثك حديثا إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يلها أحد منكم أبدا وماصرفها عنكم إلا للذي هو خير لكم فأني أن رجع فاعتقه ابن عمر وبني وقال أستودعك الله من قبل وأسير (٢) وكان في الصحابة عشرة آلاف لما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلا وجلس طاوس في بيته قبله في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الأئمة ولما بنى عروة قصره بالقيظ ولزمه قيل له لزمتم القصر وتركتم مسجد رسول الله ﷺ قال رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة في فجأكم عالية وفيها هناك عما أنتم فيه غاية فإذن الحذر من الحصورات ومشارت الفتن إحدى فوائد العزلة .

(الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس)

فانهم يؤذونكم مرة بالقبية ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالافتراحات والأطباع الكاذبة التي يصير الوفاء بها وتارة بالهجمة أو الكذب فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا يبلغ عقولهم كنهه فينتخون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر فإذا اعتزلتم استغثت من التحفظ عن جميع ذلك ، ولذلك قال بعض الحكماء لغيره أعلك بيتين خير من عشرة آلاف درهم قال ما هما قال : اخفض الصوت إن نطقت بلبس والتفت بالهيار قبل اللقال ليس للقول رجعة حين يبدو بقبیح يصحكون أو يجمال

ولاشك أن من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لا يشفك من حاسد وعدو يسوء الظن به ويتوهم أنه يستعمل ماداته ونصب للكيدة عليه ويتدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر يحسون كل

(١) حديث ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام المخرج قلت وما المخرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه الحديث أبو داود مختصرا والخطابي في العزلة بتمامه وفي إسناده عند الخطابي اشطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم محتاج إلى معرفته (٢) حديث ابن عمر أنه لما بلغه أن الحسين توجه إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة الطبراني مقتصر على للرقوع رواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام وكذا رواه الزائر بنحوه وإسنادهما حسن .

هذامة ومن هذامة
وأشد النابذة عند
رسول الله صلى الله عليه
وسلم آياته التي فيها :
ولاخير في حلم إذا لم يكن له
بواد تحصى صفوه
أن يكدر
ولاخير في أمر إذا لم
يكن له

حكم إذا ما ورد الأمر
أصدرا

تقاله رسول الله صلى

الله عليه وسلم

« أحسن يا أبا ليلى

لا يفضى الله لك »

فماش أكثر من مائة

سنة وكان أحسن الناس

تقرا وكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم

يضع لسان منيرا في

المسجد فيقوم على قبر

قائما بهيجو الذين كانوا

يهجون رسول الله صلى

الله عليه وسلم ويحول

التي صلى الله عليه

وسلم « إن روح القدس

مع حسن مادام نافع

عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم « ورأى

بعض الصالحين أبا

صيحة عليهم هم المدوفا حذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بينهم إلا الحرص عليها قال النبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يتبادر من توهم
وعادى عييه بقول عاداته فأصبح في ليل من الشك مظلم

وقد قيل لمعاشر الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار وأنواع الشر الذي يلقاه الإنسان من معارفه ومن
يخلط به كثيرة ولنا نطول بتفصيلها فبقيا ذكرناه إشارة إلى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها
وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة فقال أبو الدرداء أخبر ظله يروي مرفوعا وقال الشاعر:

من حمد الناس ولم يلبهم ثم يلامهم من محمد
وصار بالوحدة مستأنسا يوحشه الأقرب والأبعد

وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرن السوء . وقيل لعمدة ابن الزبير ألا تأتي المدينة فقال
ما بقي فيها إلا حاسد نعمة أوفرح بنعمة . وقال ابن الهالك كتب صاحبنا أما بعد فإن الناس كانوا دواء
يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الأسد وكان بعض الأعراب يلزم شجرا ويقول
هو نديم فيه ثلاث خصال إن معي مني لم ينم علي وإن غلث في وجهه احتمل مني وإن عربت عليه
لم يضرب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في النعماء ، وكان بعضهم قد تفرم الدفاتر والقابر فقبله في ذلك
فقال لم أراهم من وحدة ولا أعظم من قبر ولا جليسا أمتع من دفتر . وقال الحسن رضي الله عنه أردت
الحج فسمع ثابت البناني بذلك وكان أيضا من أولياء الله فقال بلغني أنك تريد الحج فأجبت أن أصبحت
فقال له الحسن وحك دعنا تتماثر بستر الله علينا في أخاف أن نسطحب فبري بضنا من بعض ما تباقت
عليه وهذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة وهو بقاء السطح الديني والروية والأخلاق والفقرو سائر
العورات وقد مدح الله سبحانه للتسعين فقال - بحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف - وقال الشاعر:

ولا تار إن زالت عن الحر نعمة ولكن طار أن يزول التجمل

ولا يخلو الإنسان في دينه ودينه وأخلاقه وأفعاله عن عورات الأولى في الدين والدنيا سترها ولا يتيق
السلامة مع انكشافها . وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لاشوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه
وإذا كان هذا حكم زمانه وهو في أواخر القرن الأول فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر . وقال
سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في البقرة في حياته وفي المنام بعد وفاته أقل من معرفة الناس
فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا بمن عرفت . وقال بعضهم جئت إلى مالك
ابن دينار وهو قاعد وحده وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال دعه ياهد هذا
لا يضرك ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على أن تعزل الناس قال خشي أن
أسلب ديني ولا أضر وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرن السوء وقال أبو الدرداء اتقوا
أنفسوا وحذروا الناس فانهم ماركبو أظهير لا أدبروه ولا ظهر جواد لا يعقروه ولا قلب مؤمن لا يخبروه ،
وقال بعضهم أقل للعارف فانه أسلم لديك وقلبك وأخف لسقوط الحقوق عنك لأنه كلما كثرت
للعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع . وقال بعضهم أنكر من تعرف ولا تعرف إلى من لا تعرف .

(القائمة الخامسة)

أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فأما اقتطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد
فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور
الجنة وعبادة الرضى وحضور الولائم والاملاكات وفيها تنضيق الأوقات وتعرض لآفات ثم قد
تعوق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المآذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون له قلت بحق .

العباس الحضرمي قال
قلت له ما تقول في
السمع الذي يختلف فيه
أصحابنا فقال هو الصفا
الزلال لا يثبت عليه
إلا أقدام الماء . ونقل
عن محمد الدينوري
قال رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
النام قلت يا رسول
الله هل تنصكر من
هذا السماع شيئا ؟
فقال ما أنكره ولكن
قل لهم يفتحون
قبله بقرأة القرآن
ويعلمون بعده
بالقرآن قلت يا رسول
الله إنهم يؤذون
وينسبون فقال
احتملهم يا أبا علي هم
أصحابك فكان محمد
يتخفر ويقول كنان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وأما وجه
الانكار فيه فهو أن
يرى جماعة من المريدين
دخلوا في مبادئ الإرادة
وقوسهم ما تمررت على
صدق المجاهدة حتى
يحدث عندهم علم يظهر

فلان وقصرت في حقنا وصير ذلك سبب عداوة قد قيل من لم يد مريضا في وقت العيادة اشتى موته خيفة من تجليه إذا صح على نصيره ومن عم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خضع استوحشوا وتسميمهم بجميع الحقوق لا يتدر عليه التجرد له طول الليل والهار فكيف من له مهم يشبه في دين أودينا . قال عمرو بن العاص كثرة الأصدقاء كثرة التراء وقال ابن الرومي :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تره يكون من الطام أو الشراب

وقال الشافعي رحمه الله أصل كل عداوة اصطناع للعروف إلى اللثام وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبثقت جوة الحرص طعمه ولا يرى إلا الحية في أكثر الأحوال فيتأذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى - ولا تمدن عينك إلى ما متعنا به أزواجا منهم - وقال صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ^(١) » وقال عون بن عبد الله كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي ودابة أفقره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت . وحكي أن الزنى رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبدالحكم في موكة فيهره مارأى من حسن حاله وحسن هيئته ففلا قوله تعالى - وجعلنا بصرك لبعض فتنة أنصرون - ثم قال بلى أصبر وأرضى وكان قفرا مقلدا لآدمي هو في بيته لا يبني بمثل هذه الفتن فإن من شاهد زينة الدنيا فلماذا يقوى دينه ويوقينه فيصير فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصبر أو تنبت رغبته فيحتاج إلى طلب الدنيا فيهلك هلاكاً مبدءاً أما في الدنيا فبالطمع الذي يغيب في أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له وأما في الآخرة فبإشارته متاع الدنيا له ذكر الله تعالى والتقرب إليه ولذلك قال ابن الأعرابي :

إذا كان باب القلب من جانب الفنى صموت إلى العلياء من جانب القفر

أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلا .

(القائمة السادسة)

الخلاص من مشاهدة القلاء والحقى ومقاساة حقهم وأخلاقهم فإن رؤية الثقيل هي العمى الأصغر قيل للأعمش م عشت عينك قال من النظر إلى القلاء . وحكي أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال في الخبر « إن من سلب الله كرميته عوضه الله عنهما ما هو خير منهما ^(٢) » فما الذي عوضك فقال في معرض اللطاية عوض الله منهما أنه كفا في رؤية القلاء وأنت منهم . وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت إلى ثقل مرة ففتى على وقال جاليس لكل شيء حى وحى الروح النظر إلى القلاء . وقال الشافعي رحمه الله ما جالس ثقيلا إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه أثقل على من الجانب الآخر . وهذه القوائد ماسوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضا تتعلق بالدين فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقل لم يأمن أن يفتا به وأن يستكرم ما وضع الله فإذا تأذى من غيره بفتنة أو سوء ظن أو محاسبة أو نية أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته وكل ذلك يجر إلى فساد الدين وفي الزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم .

(١) حديث انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث من سلب الله كرميته عوضه عنهما ما هو خير منهما للطريق بإسناد ضعيف من حديث جرير من سلب كرميته عوضه عنهما الجنة ولله ولأحمد نحوه من حديث أبي أمامة بسند حسن وللخارى من حديث أنس يقول الله تبارك وتعالى إذا ابتليت عبيد بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عييه .

صفات النفس وأحوال

القلب حتى تضبط

حركاتهم بقانون

العلم ويعطون عالم

وعليم مشتغلين به

حكي أن ذا النون لما

دخل بغداد دخل عليه

جماعة ومعهم قوال

فاستأذنه أن يقول

شيئا فأذن له فأنشد

القول :

صغير هو لك عذبي

فكيف به إذا احتكا

وأنت جئت من قلبي

هو قد كان مشتركا

ماتر لمصنئ

إذا ضحك الخلى بكى

قطب قلبه وقام وتواجد

وسقط على جبهته والدم

يقطر من جبهته ولا يقع

على الأرض ثم قام

واحد منهم فنظر إليه

ذو النون فقال اتق

الذي رآك حين تقوم

لجلس الرجل وكان

جلوسه لموضع صدقه

وعله أنه غير كامل

الحال غير صالح للقيام

متواجدا فيقوم أحدم

من غير تدبر وعلم في

(آفات العزلة)

اعلم أن من القاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمحاطة فكل ما يستفاد من المحاطة يفوت بالعزلة وفوائده من آفات العزلة فانظر إلى فوائد المحاطة والدواعي إليها ما هي وهي التعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس والائناس ونيل الثواب وإنائه في القيام بالحقوق واعتقاد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها فلنحصل ذلك قاتها من فوائد المحاطة وهي سبع :

(القائدة الأولى : التعلم والتعلم)

وقد ذكرنا فضلها في كتاب العلم وها أعظم السادات في الدنيا ولا يتصور ذلك إلا بالمحاطة لأن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالحتاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وإن تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الحوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعزل وإن كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الحسran ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعزل ومن اعزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضجع أوقاته بنوم أو فكر في هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ولا ينفك في أعماله باليدن والقلب عن أنواع من التروير غيب سعيه ويسفل عمله بحيث لا يدري ولا ينفك اعتقاده في الله وصفاته عن أهوام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتربه فيها فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من المباد فالعلم هو أصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال أعنى من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فشال النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه فالمرض الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن تعلم الطب تصاعف لاهالة مرضه فلا تليق العزلة إلا بالعلم وأما التعلم فبهي ثواب عظيم مهما صحت نية العلم والتعلم ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستكثار بالأحباب والأتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان أن يعزل إن أراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب إلا للسلام مزحف يستحيل به العوام في معرض الوعظ أو الجدل مقعد يتوصل به إلى إلحاح الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل في معرض النافسة واللباهة وأقرب علم مرغوب فيه للذهب ولا يطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولي الولايات واجتلاب الأموال فهو لاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله فأكبر الكباثر الاعتزال عنه وكتبان العلم منه وهذا لا صادف في بلية كبيرة أ أكثر من واحد أو اثنين إن صودف ولا ينبغي أن يشتر الإنسان بقول سفيان ثعلبنا العلم لغير الله فإني العلم أن يكون إلا لله فان الفقهاء يملكون لغير الله ثم يرجعون إلى الله وانظر إلى أواخر أعمار الأ أكثرين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكت على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الخبر كالمائة . واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإزالة الخوف من الله فإني يؤثر في الحال أثر في الآل ، وأما الكلام والفقهاء المجرّد الذي يتعلق بختاوى للعاملات وفصل المحسومات للذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه الدنيا إلى الله بل لا يزال المتأديب في حرمه إلى آخر عمره ولعل ما أودعناه هذا الكتاب إن تعلمه التعلم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرضخ فيه إذ يرجى أن ينزجر به في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بانمو الترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي أن يخادع الإنسان نفسه فان لتقصير العالم

قيامه وذلك إذا جمع
إيخاها موزونا بسبع
يؤدى ماسمه إلى طبع
موزون فيتعرك الطبع
للوزون للصوت
للوزون والايقاع
للوزون وينسبل
حجاب نفسه للنبسط
بانسباط الطبع على
وجه القلب ويستفزه
النشاط الثبث من
الطبع فيقوم برقص
موزونا بمزوجا يصنع
وهو حرم عند أهل
الحق وبسبب ذلك
طية القلب وما رأى
وجه القلب وطيته في
تعالى ولم يرى هو
طية القلب ولكن
قلب ملون بلون النفس
ميال إلى الهوى موافق
للدعى لا يهتدى إلى
حسن النية في الحركات
ولا يعرف شروط صحة
الارادات ومثل هذا
الراقص قبل الرقص
قص لأنه رقص
مصدوه الطبع غير
مقترون بنية سالحة
لأسيا إذا انضاف

بقصيره أسعد حالا من الجاهل للزور أو للجاهل للعبون وكل عالم اشتد حرصه على التعلم يوشك أن يكون غرضه القبول والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخلاء (١) كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولذلك حكى عن بشر أنه دفن سبعة عشر قطرا من كتب الأحاديث التي جمعها وكان لا يحدث ويقول إني أشتهي أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتيت أن لا أحدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا وإذا قال الرجل حدثنا فاعلم يقول أوسعوا لي . وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري ، نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيماذا رغبت ؟ قالت : في الحديث ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر قدر كن إلى الدنيا فهذه آفات قد نهينا عليها في كتاب العلم والحزم والاحتراز بالمرأة وترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب إن كان عاقلا في مثل هذا الزمان أن يتركه فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا مجال إخوان العلانية أعداء السر إذا تلوك تعلقوك وإذا غبت عنهم سلقوك من أذاك منهم كان عليك رقيا وإذا خرج كان عليك خطيبا أهل شقاق ونجسة وغفل وخديعة فلا تفر باجتماعهم عليك فأغرضهم العلم بل الجاه ولئال وأن يتخذوك سلفا إلى أوطارهم وأغراضهم وحماراق حاجتهم إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يمدون ترددهم إليك دالة عليك وبرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرشك وجاهك ودينك لهم فتصادي عدوهم وتصر قريتهم وخادهم ووليهم وتنهض لهم سفيرا وقد كنت قضيا وتكون لهم تابعا خيسا ببدان كنت متبوعا ريسا ولذلك قيل اغترال العامة مروءة تامقة فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه وهو حق وصدق فإنك ترى للدرسين في فرق داهم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد إليهم فكانته يهدى تحفه إليهم ويرى حقه واجبا عليهم وربما لا يخلف إليهم ما يكفل برزق له على الإدرار ثم إن للدرس للسكين قديم عن القيام بذلك من ماله فلا يزال مترددا إلى أبواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الدليل للهن حق يكب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يستترقه ويستخرجه ويمتنه ويستبدله إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه إن سوى بينهم مقته للميزون ونسبوه إلى الحق وقلة التميز والقصور عن درك مصارف الفضل والقيام بمقادير الحقوق بالعدل وإن فاوت بينهم سلقه الشفاء بألسنة حداد وثأروا عليه ثوران الأسود والأساف فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطالبة ما يأخذوه ويفرقه عليهم في العمى والعجب انه مع هذا البلاء كله يمتن نفسه بالأباطيل ويدلها بجمل الزور ويقول لها لا تفتري عن صنعك فاعلم أنت بما فعلته مريدة وجه الله تعالى ومديرة شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشرة علم دين الله وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله وأموال السلاطين لا مال لكما وهي مرصدة للصالح وأي مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم فهم يظهر الدين ويتقوى أهله ولولم يكن ضحكة للشيطان لهم بأدنى تأمل أن فساد الزمان لا سببه إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فتحلظهم أعين الجاهل ويستجرون على المعاصي باستجرائهم ابتداء بهم وانقضاء لأثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية إلا بفساد اللوك وما فسدت اللوك إلا بفساد العلماء فتعوز بالله من الزور والعمى فاته الداء الذي ليس له دواء .

إلى ذلك شوب حركاته
بصرح التفاق بالتودد
والتقرب إلى بعض
الحاضرين من غير
نية بل بدلالة نشاط
النفس من المعاقبة
وتقيل اليد والتقدم
وغير ذلك من الحركات
التي لا يشتملها من
التصوفة إلا ما ليس
له من التصوف إلا
مجرد زى وصورة أو
يكون القوال أمرد
تنجذب النفوس إلى
النظر إليه وتستلذ ذلك
وتنصر خواطر السوء
أو يكون للنساء إشراف
على الجمع وتراسل
البواطن الملوذة من
الحوى بسفارة الحركات
والرقص وإظهار
التواجد فيكون ذلك
عين الفسق المجمع على
نحره فأهل اللواخير
حينئذ أرجى حالهم
يكون هذا ضميره
وحركاته لأهم يرون
فسقهم وهذا لا يراه
ويرمه عياده لمن لا يعلم
ذلك أقترى أحدا من

(١) حديث آفة العلم الخلاء للزور مارواه مطيع في مسنده من حديث بن أبي طالب بسند ضيف آفة العلم التبيان وآفة الجمال الخلاء .

(القائمة الثانية التفيع والاتفاع)

أما الاتفاع بالناس فيالكسب والمعاملة وذلك لايتأتى إلا بالمخالطة والاحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كاذر كنهه في كتاب الكسب فان كان معه مال لولا كسبه به فاقنا لأقنعه فالعزلة أفضل له إذا انسدت طرق الكسب في الأكثر لإمن للعاصي إلا أن يكون غرضه الكسب للصداقة فإذا اكتسب من وجهه وتصديق به فو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافعة وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولأمن الأقبال بكنه المحمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله أعنى من حصل له أنس بمنجاة الله عن كشف وبصرة لآعن أوهم وخيالات فاسدة . وأما التفيع فهو أن ينفع الناس إما بماله أو بدينه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسنة في التهورض قضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لايتأتى إلا بالمخالطة ومن قدر عليها مع القيام بعددالشرع فهي أفضل من العزلة إن كان لا يشتغل في عزته إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية وإن كان ممن انتفع له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يبدله بغيره البتة .

(القائمة الثالثة التأديب والتأديب)

ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذىهم كسر النفس وقهر الشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تهذب أخلاقه ولم تدع عن حدود الشرع شهراته ولهذا اتدب خدام الصوفية في الرابات فيخالطون الناس بخدمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسر لرعونة النفس واستمداداً من بركة دعاء الصوفية للتصريف بهمهم إلى الله سبحانه وكان هذا هوالبدا في الأغصار الحالية والآن قدخالطته الأغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كماله سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكنبر بالاستتباع والتذرع إلى جمع المال والاستظهار بكنة الأتياع فان كانت الية هذه فالعزلة خير من ذلك ولولو إلى القبر وإن كانت التبريضة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج إلى الرياضة وذلك مما عتاج إليه في بداية الإرادة فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل الرواد منها أن تتخذ مركبا يقع به للراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب بركها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكرها سمحت به في الطريق فن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركها فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورعها وهي لمعمرى فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهمة للية وإنما تراد الدابة لقائمة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من ألم الشهوات في الحال يحصل بالزوم واللوت ولا ينبغي أن يقتنع به كالأهلب الذي قيله ياراهب فقالما أنا راهب إنما أنا كلب عقور حبست نفسي حق لا عفر الناس وهذا حسن بالإضافة إلى من يعثر الناس ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه فان من قتل نفسه أيضا لم يعثر الناس بل ينبغي أن يتشوف إلى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة فالأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أولا والعزلة آخرا . وأما التأديب فاقنا نعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لايقدر على تهذيبهم إلا بمخالطهم وحاله حال العلم وحكمه حكمه ويتطرق إليه من دقائق الآفات والزياد ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن يحايل طلب الدنيا من الرديين الطالين للارتياض أبسد منها من طلبة العلم ولذلك يرى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة فينبغي أن يقيس ما تيسر له من الخوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم ولقابل أحدها بالآخر وليؤثر الأفضل وذلك بمدرك بدقيق

أهل الديانت يرضى بهذا ولا يشكره فن هذا الوجه توجبه للنكر الانكار وكان حقيقا بالاعتذار فكمن من حركات موجبة للمقت وكم من هفوات تهذب رونق الوقت فيكون إنكار للنكر على المرید الطالب بتمنه عن مثل هذه الحركات ويجزئه من مثل هذه المجلس وهذا إنكار صحيح وقد يرقص بعض الصادقين بإقناع ووزن من غير إظهار وجد وحال ووجه نيته في ذلك أن تعرجا يوافق بعض الفقراء في الحركة فيتحرك بحر كموزونة غير مدع بها حالاً ووجدا يعمل حركته في طرف الباطل لأنها وإن لم تكن محرمة في حق الشرع ولكنها غير محلبة عكم الحال لما فيها من التهورض حركاته ورفسه من قيل للباحات التي تجري عليه من الضحك

الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا إثبات .

(الفائدة الرابعة : الاستئناس والإيناس)

وهو غرض من مغير الولايم والدعوات ومواضع الماشرة والأنس وهذا يرجع إلى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا يجوز مؤانسته أو على وجه مباح وقد يستحب ذلك الأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالمشايخ اللازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب إذا كان القرض منه ترويح القلب لتيسر دواعي النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت عيبت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المحالة أنس بروح القلب فهي أولى إذ الرفق في العبادة من حزم العبادة وذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يعمل حتى تملاوا ^(١) » وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها للامتناع دأعة للفترة وهذا على قوله عليه السلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه بروق » والأيغال فيه بروق دأب للتبصير وذلك قال ابن عباس لولا غفافة الوسواس لم أجالس الناس ، وقال مرة لدخلت بلادا لا أنيس بها وهل يفسد الناس إلا الناس فلا يستغنى العزلة إذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثة في اليوم واليلة ساعة فيجتهد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر ساعته فقد قال صلى الله عليه وسلم « الرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ^(٢) » وليرحس أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاعتناء إلى الرشد في ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه فانه لا يتقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة والراضى عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليتفقد أحوال القلب وأحوال الجليس أولا ثم لجالس .

(الفائدة الخامسة : في نيل الثواب وإنائه)

أما النيل فيحضور الجنائز وعبادة الرضى وحضور المدين ، وأما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة في سائر الصلوات أيضا لا رخصة في تركه إلا لحوف ضرر ظاهر يقام ما يفوت من فضيلة الجماعة وي زيد عليه وذلك لا يتفق إلا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم . وأما إنائه فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزوه في المصائب أو يهنوه على النعم فانهم يتألون بذلك ثوابا وكذلك إذا كان من العلماء وأذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتحكيم سببا فيه فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات بأناتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجع العزلة وقد ترجع المخالطة . فقد حكى عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعبادة الرضى وحضور الجنائز بل كانوا أحلاس يومهم لا يخرجون إلى إلا إلى الجمعة وأزياره القبور ويضعهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغ للعبادة وفرار من الشواغل .

(الفائدة السادسة)

من المخالطة التواضع فانه من أفضل القامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر ميبا في اختيار العزلة فقد روى في الاسرائيليات أن حكما من الحكماء منصف ثلثائة وستين مصحفا للحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة فأوحى الله إلى نبيه قل لفلان إنك قد ملأت الأرض غفارا وإنى لا أقبل من تفادك شيئا قال فتحنى واغرد في سرب تحت الأرض وقال الآن قد بلغت رضا ربى

(١) حديث إن الله لا يعمل حتى تملاوا (٢) حديث الرء على دين خليله تخدم في آداب الصحة .

والدأبة وملاعبة
الأهل والولد ويدخل
ذلك في باب الترويح
للقلب وبعاصار ذلك
عبادة بحسن انية إذا
نوى به استجمام النفس
كانت عن أي البرداء
أنه قال إنى لأستجم
نفسى بى من الباطل
ليكون ذلك عونا لى
على الحق ولوضع
الترويح كرهت الصلاة
في أوقات ليستريح
عسأل الله وترتقى
النفس يعض مآربها
من ترك العمل
وتستطيب أوطان الهل
والأدى يترعبه
المختلف وترتيب خلقه
للتنوع بتنوع أصوله
خلقته وقسبى شرحه
في غر هذا الباب لاني
قواه بالصبر على الحق
الصرف فيسكون
التفصح في أمثال
ما ذكرناه من البياح
الذى ينزع إلى هو ما
باطلا يستمان به على
الحق فان البياح وإن لم
يكن باطلا في حقيقة

فأوحى الله إلى نبيه قل له إنك لن تبلغ رضى حتى تحاطل الناس وتصب على أذى ثم خرج فدخل الأسواق وحاطل الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومشى في الأسواق معهم فأوحى الله تعالى إلى نبيه الآن قد بلغ رضى فكف من معتزل في بيته وبعثه الكبر ومافه عن المحافل أن لا يوقر أو لا يقدّم أو يرى الترفع عن محاطتهم أرفع لهله وأقْبى لطاوة ذكره بين الناس وقد يمتلئ خيفة من أن تظهر مقابحه لو حاطل فلا يثقده الزهد والاشتغال بالعبادة فينخدع البيت سرا على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبه من غير اشتغاق وقت في الخلوة بذكر أو فكر وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا ويحرون يتقرب العوام والصلطين إليهم واجتماعهم على بهم وطرقهم وتقيلهم أيديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي ينض إلى المحاطة وزيارة الناس لينض إليه زيارتهم له كما حكينا عن الفضيل حيث قال وهل جئتني إلا لأتزين لك وتزين لي . وعن حاتم الأصم أنه قال لأمر الذي زاره حاجي أن لا يراك ولا ترائي فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزله عن الناس سبه شدة اشتغاله بالناس . لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظرم إليه بين الوفاء والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه : أحدها أن التواضع والمحاطة لا تنقسم من منصب من هو متكبر يعلمه أوديته إذا كان على رضى الله عنه يعمل النمر والملح في ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص الكامل من كاله ما جر من تقع إلى عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبي وابن مسعود رضى الله عنهم يعملون حزم الخطب وجرب الدقيق على أكتافهم . وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول وهو والى للدينه والخطب على رأسه طرقتوا لأمرهم « وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحب الشيء أحق عمله ^(١) » وكان الحسن بن علي رضى الله عنهما يمر بالسؤال وبين أيديهم كسر فيقولون : هلم إلى الفداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق وبأكل معهم ويركب ويقول - إن الله لا يحب المتكبرين - الوجه الثاني أن الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتعمين اعتقادهم فيه مفرور لأنه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يفتنون عنه من الله شيئا وأن ضرره وقمته بيد الله ولا نافع ولا ضار سواء وأن من طلب رضا الناس ومحبته يسخط الله يسخط الله عليه وأسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تتلذذها الله أولى بالطلب ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الأعلى ما أقول لك إلا نصحا إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله وتلك قيل :

من راقب الناس مات غما وفاز بالآلة الجسور

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له : اعمل كذا وكذا شيء أمره به فقال يا أستاذ لا أقدر عليه لأجل الناس فالتفت إلى أصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين : عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلا خالقه وإن أحدا لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي بأى حال يروى . وقال الشافعي رحمه الله ليس من أحد إلا وله عيب ومبغض فاذا كان هكذا فكف مع أهل طاعة الله . وقيل للحسن يا أبا سعيد إن قومًا غضروا مجلسك ليس بينهم إلا تتبع سقطات كلامك وتمتلك بالسؤال تبسم وقال للقاتل هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لأنى قد

(١) حديث كان يشتري الشيء ويحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحب التاع أحق عمله أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حله السراويل التي اشتراها .

الشرع لأن حدّ للباح ما استوى طرفاه واعتدل جانبيه ولكنه باطل بالنسبة إلى الأحوال ورأيت في بعض كلام سهل بن عبد الله يقول في وصفه للصادق الصادق يكون جبهه مزيدا لعلمه وباطله مزيدا لحقه ودينه مزيدا لآخرته ولهذا المعنى جيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ليصكون ذلك حفظ نفسه الشريفة للوهوب لها حظوظها للوفر عليها حقوقها لموضع طهارتها وقديسها فيكون ما هو نصيب الباطل الصرف في حق التعبير من للباحات المقبولة برخصة الشرع للرودة بمزعة الحال في حقه صلى الله عليه وسلم مقبلا بمسمة العبادات وقد ورد في فضيلة النكاح ما يدل على أنه عبادة ومن ذلك

علت أن خالطهم ورازقهم وحريمهم ويقيمهم لم يسلم منهم - وقال موسى صلى الله عليه سلم : يارب احبس عني ألسنة الناس فقال يا موسى هذا شيء لم أمضه نفسي فكيف أقفه بك وأوصى الله سبحانه وتعالى إلى عزير إن لم تطب نفسا بأني أجعلك علكا في أنفاه للماضين لم أكثبك عدى من التواضعين فاذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا - ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون - فاذن لا تستحب العزلة إلا لاستغرق الأوقات بربه ذكرًا وفكرًا وعبادة وعلمًا بحيث لو خالطه الناس لصنعت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوشت عليه عباداته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن تتق فانها مهلكات في صور منجيات .

(الفائدة السابعة التجارب)

فانها تستفاد من المخالطة للخلق ومجاري أحوالهم والمقل التمرى ليس كافيا في فهم مصالح الدين والدنيا وإنما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحس التجارب فالصبي إذا اعتزل بقى غمرا جاهلا بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكتفي بذلك ويحصل بقاء التجارب بتمام الأحوال ولا يحتاج إلى المخالطة ومن أمم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات بطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل جرب في الخلوة يسر وكل غضوب أو حقود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في أنفسها يجب إباطها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الحيات مثال دمل ممتلئ بالصديد واللدة وقد لا يحس صاحبه بألمه مالم يتحرك أو يسه غيره فان لم يكن له يد يسهه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالهمل في نفسه واعتقد بقده ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لا تفجر منه الصديد وفار فوران الشيء المحتق إذا حبس عن الاستمرار فكذلك القلب للشحون بالحقد واليغل والحسد والضبط وسائر الأخلاق التيممة إنما تتفجر منه خبايته إذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون تركية القلوب يجربون أنفسهم فمن كان يستعمر في نفسه كبرا سمى في إباطه حتى كان بعضهم يحمل قرية ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد في الأسواق ليحرب نفسه بذلك فان غوائل النفس ومكائد الشيطان خفية قل من يظن لها ، ولذلك حكى عن بعضهم أنه قال أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أنني كنت أصلها في الصف الأول ولكن تخلفت يوما بغير فواجبت موضعا في الصف الأول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستعمر خجلة من نظر الناس إلي وقد سبقت إلى الصف الأول فقلت أن جميع صلاتي التي كنت أصلها كانت مشوبة بالرياء مزوجة بلذة نظر الناس إلي ورؤيتهم إياي في زمرة السابقين إلى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة في استخراج الحيات وإظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الأخلاق فانه نوع من المخالطة الدائمة وستأتي غوائل هذه المأني ودقائقها في ربيع المهلكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعمل بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يبراد إلا بالصلاة أفضل من الصلاة فاننا تعلم أن ما يبراد لغيره فان ذلك التبريد أشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العلم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي »^(١) فمضى تفضيل العلم بربع إلى ثلاثة أوجه : أحدها ما ذكرناه والثاني عموم النفع لتدني فائدته والعمل لا تمدى فائدته والثالث أن ربا به العلم بأفقه وصفاته وأفضاله فذلك أفضل من كل عمل بمقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتثبت

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي تخدم في العلم .

بعد الانصراف إليه لمعرفته وعجته فالعمل وعلم الصل مرادان لهذا العلم وهذا العلم غاية المرادين
والعمل كالشرط له وإلا الإشارة بقوله تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - فالكلم
الطيب هو هذا العلم والعمل كالحال الرافع له إلى مقصده فيكون الرفع أفضل من الرافع وهذا
كلام معترض لا يليق بهذا الكلام . فلتخرج إلى المقصود فنقول : إذا عرفت فوائد العزلة وغوايها
تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل ثبوت وإثباتا خطأ بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى
الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى الغائات بسبب مخالطته من هذه القوائد المذكورة ويقاس
القائم بالحاصل فبعد ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب
إذ قال يابونى انقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم محبة لقرناء السوء فكأن بين
التضيض والتبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالأحوال وبملاحظة القوائد
والآفات يتبين الأفضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو إخبار كل
واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم
والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفي لا يتكلم إلا عن حاله فلا جرم تختلف أجوبتهم
في السائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك
كما لا يختلف فيه فإن الحق واحد أبدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك سئل الصوفية عن
الفرق ما من واحد إلا وأجاب بجواب غير جواب الآخر وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله وليس بحق
في نفسه إذ الحق لا يكون إلا واحدا ولذلك قال أبو عبد الله الجلاء ، وقد سئل عن الفقر فقال اضرب
بكميك الحائط وقل رب الله فهو الفقير . وقال الجنيد الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو أن لا يكون لك فان
عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو أن لا يكون لك فان
كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك وقال إبراهيم الخواص هو ترك الشكوى وإظهار أثر
البؤى وللقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قدما يتفق منها اثنا وذلك كله
حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم ثبت أحدهما
لصاحبه قدما في التصوف أوفى عليه بل كل واحد منهم يدعى أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه
لأن أكثر تردد على مقتضى الأحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى
غيرهم ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف النطاء ورفع الاختلاف ومثال نظره هؤلاء ما رأيت
من نظر قوم في أدلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدما . وحكي عن آخر أنه
نصف قدم وآخر يرد عليه وأنه في الشتاء سبعة أقدام . وحكي عن آخر أنه خمسة أقدام وآخر يرد
عليه فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذي رآه يلد
نفسه صدق في قوله وأخطأ في تخطئه صاحبه إذ ظن أن العالم كله بلده أو هو مثل بلده كما أن الصوفي
لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف عظم طول الظل وقصره وعلة اختلافه
بالبلاذ فيجرب بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبق ظلا وفي بعضها يطول وفي بعضها
يقصر فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة . فان قلت فمن أثر العزلة ورأها أفضل له
وأسلم لها أذايها في العزلة فنقول إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة
وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل أن ينوي بمنزلة كفى شر نفسه عن الناس أولا ثم طلب
السلامة من شر الأشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد
بكنه المهمة لمادة الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والتفكير

جاهل بالسنة والآثار
وإما مقرر بما أبيع
له من أعمال الأخيار
وإما جامد الطبع
لا ذوق له فيصر على
الإنكار وكل واحد
من هؤلاء الثلاثة
يقابل بما سوف يقبل ،
أما الجاهل بالسنة
والآثار فيعرف بما
أسلفناه من حديث
عائشة رضي الله عنها
وبالأخبار والآثار
الواردة في ذلك وفي
حركة بعض للتحركين
تعرف رخصة رسول
الله صلى الله عليه وسلم
للعبشة في الرقص
ونظر عائشة رضي الله
عنها إليهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
هذا إذا سلمت الحركة
مثل السكره التي
ذكرناها وقد روى
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لعل
رضي الله عنه « أنت
منى وأنا منك فصيل
وقال لجعفر أشبهت

ليحقق ثمرة العزلة ولينع الناس عن أن يكثرُوا غشيانَه وزيارته فيتشوش أكثر وقته وليكف عن السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينفرس في القلب حتى يثبت في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الأخبار في السمع كوقوع البذر في الأرض فلا بد أن ينبت وتفرغ عروقه وأغصانه ويتداعى بعضها إلى بعض وأحد مهمات للمعزل قطع الوسواس الصارفة عن ذكر الله والأخبار ينابيع الوسواس وأصولها وليتعمق بالسير من العيشة وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم وليكن صبوراً على ما يلقاه من أذى الجيران وليسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة فإن كل ذلك يؤثر في القلب ولومدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقفاً عن سيره إلى طريق الآخرة فان السير إما بالموظبة على ورد ودر كرم حضور قلب وإما بالفكر في جلال الله وصفاته وأفضاله وملكوته صوته وأرضه وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ومفصلات القلوب وطلب طرق التحصن منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الله كرم من حيث لا ينتظر وليكن له أهل صالحه أو مجلس صالح لتسترع نفسه إليه في اليوم ساعة من كد اللواظبة فيه عون على بقية الساعات ولا يتهل بالصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر نفسه عمراً طويلاً بل يصبح على أنه لا يمسي ويمسي على أنه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الأجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزال الموت أنسه إذ لا يهيم الموت محل الأنس واللرفة بل يبقى حياً بمعرفة وأنسه فرحاً بفضل الله عليه ورحمته كما قاله تعالى في الشهداء - ولا تحزن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله - وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت مقبلاً غير مدبر « فالجهاد من جاهد نفسه وهواه ^(١) » كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضى الله عنهم رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ينون جهاد النفس .

تم كتاب العزلة ويتلوه كتاب آداب السفر والحمد لله وحده .

﴿ كتاب آداب السفر ﴾

وهو الكتاب السابع من ربيع العادات من كتب إحياء العلوم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر واستخلصهم لمشاهدة محابب منه في الحضر والسفر فأصبحوا راضين بمجاري القدر مزهين قلوبهم عن التلقت إلى متزهات البصر إلا على سبيل الاعتبار بما يسع في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر . والصلاة على محمد خير البشر وعلى آلِهِ ومحبه القنفذ لآثاره في الأخلاق والسير وسلم كثيراً .

(١) حديث المجاهد من جاهد نفسه وهواه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصححه دون قوله وهواه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة .

(كتاب آداب السفر)

خالق وخالق فجعل وقال
زيد أنت أخونا ومولانا
فجعل « وكان جعل
جعفر في قصة ابنه حمزة
لما اختصم فيها على
وجعفر وزيد . وأما
النكر للفرور بما
أبيض له من أعمال
الأخبار فقال تترك
إلى الله العباداة لشغل
جوارحك بها ولولانية
قلبك ما كان لعمل
جوارحك قدر فاعما
الأعمال بالنيات ولكل
امرئ ما نوى والنية
لنظره إلى ربك خوفاً
أو رجاء فالسابع من
الشعر بيتا يأخذ منه
معنى يذكره ربه إما
فرحاً أو حزناً أو انكساراً
أو افتقاراً كيف يقلب
قلبه في أنواع ذلك
ذاكراً لربه ولومع
صوت طائر طاب له ذلك
الصوت وتفكر في قدرة
الله تعالى وتسميته
حجراً الطائر أو تسخيره
حلقه ومنشأ الصوت
وتأديته إلى الأسماع

[أما بعد] فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحارى والقوافل وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات وأشرف السفرة الباطن فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامدة على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والأجداد لا زدهم درجة القصور وقانع عربة النقص ومستبدل بمتسع فضاء - جنة عرضها السموات والأرض - ظلمة السجن وضيق الحبس ولقد صدق القائل :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنعس القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مفتوحه في خطب خطير لم يستثن فيه عن دليل وخفي فاقضى غموض السيل وقدر الحفير والدليل وقاعة السالكين عن الخط الجزيل بالنصيب النازل القليل اندرس مسالكه فاقطع فيه الرفاق وخلا عن الطامنين متزهات الأنفس والملكوت والآفاق وإليه دعا الله سبحانه بقوله - سفرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وبقوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى - وإنكم لترون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون - وبقوله سبحانه - وكان من آية في السموات والأرض يرون عليها وهم عنها معرضون - فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيرة متزهة في جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه للنهال وللوارد ولا يضرب فيه التزام والتوارد بل يزيد بكثرة السافرين غناؤه وتتضاعف غراته وفوائده فضاء داعة غير ممنوعة وغراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للسافر قرة في سفره ووقفة في حركته فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يثبتوا ما بأ أنفسهم وإذا زاغوا أزاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكمهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الديدان والتطواف في متزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مفتتاً بها تجارة الدنيا أودخيرة للأخرة فإن كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من السالكين سبيل الأخرة وكان له في سفره شروط وآداب إن أهملها كان من محال الدنيا وأتباع الشيطان وإن غاب عنها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بهما الأخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين إن شاء الله تعالى . الباب الأول :

في الآداب من أول التهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان . الباب الثاني :

في آداب السفر من تعلقه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات .

(الباب الأول في الآداب من أول التهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان :

الفصل الأول في فوائد السفر وفصله ونيته)

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وآفات كآثاره في كتاب الصحة والعزلة والقوائد الباعثة على السفر لاختلو من هرب أو طلب فإن للسافر إما أن يكون له مزيج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه وإما أن يكون له مقصد ومطلب والهرب عنه إما أمر له نكابة في الأمور الدنيوية كالطاعون والوباء إذا ظهر يله أَوْخُوفُ سِيَةِ قَتْلِهِ أَوْ خُصُومَةُ أَغْلَاةِ سَعْرِ وَهُوَ إِمَّا عَامٌ كَأَنَّهُ ذِكْرُهُ أَوْ خَاصٌ كَمَنْ يَقْصِدُ بَأْذِيَةً فِي بَلَدَةٍ فَيَهْرَبُ مِنْهَا وَإِمَّا أَمْرٌ لَهُ نَكَاةٌ فِي الدِّينِ كَمَنْ ابْتَلَى فِي بَلَدِهِ بِيْجَاهٍ وَمَالٍ وَاتَّسَعَ سَبَابُ تَصَدُّعٍ عَنِ التَّجَرُّدِ فَهُوَ قِيُوثُ الْقَرْبَةِ وَالْحُجُولِ وَيَحْتَبِئُ السَّعَةِ وَالْجَاهِ أَوْ كَمَنْ يَدْعَى إِلَى بَدْعَةٍ قَبْرًا أَوْ إِلَى وَلايَةٍ عَمَلٍ لَأَعْلَ مَبَاشَرَتِهِ فَيُطْلَبُ الْفِرَارُ مِنْهُ وَأَمَّا لِلطَّلُوبِ فَيُؤْهِدُ إِمَادَتِيكَ كَالْمَالِ وَالْجَاهِ أَوْ دِينِيكَ وَالْإِيمَانِ عِلْمٌ وَإِمَامٌ عَمَلٌ وَإِمَامٌ عِلْمٌ وَإِمَامٌ عَمَلٌ وَإِمَامٌ عِلْمٌ وَإِمَامٌ عَمَلٌ

(الباب الأول في الآداب من أول التهوض إلى آخر الرجوع)

كان في جميع ذلك الفكر مسبحاً مقدساً فإذا سمع صوت آدمي وحضره مثل ذلك الفكر وامتلأ باطنه ذكراً وفكراً كيف ينسكب ذلك . حكى بعض الصالحين قال كنت مضطرباً في جامع جدة على البحر فرأيت يوماً طائفة يقولون في جانب منه شيئاً فأنكرت ذلك فقلبي وقلت في بيت من بيوت الله تعالى يقولون الشعر فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر وإذا أبو بكر يقول شيئاً من القول والتي صلى الله عليه وسلم يستمع إليه ويضع يده على صدره كالوارجد بذلك قلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يسمعون وهذا رسول الله

نفسه وصفاته على سبيل التجربة وإعالم بآيات الأرض ومحاسنها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الأرض والعمل إما عبادة وإما زيارة والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة أيضا من القربات وقد قصد بها مكان ككة وللدنية وبيت المقدس والتتور فإن الرباط بها قرينة وقد قصد بها الأولياء والعلماء وهم إما موتى قزار يقومون وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام . القسم الأول : السفر في طلب العلم وهو إما واجب وإما سهل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو تالا وذلك العلم إما علم بأمور دينه أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع ^(١) » وفي خبر آخر « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ^(٢) » وكان معيد بن السيب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد . وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بانهم عن عبد الله بن أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يجمعوه ^(٣) وكل مذكور في العلم محصله من زمان الصحابة إلى زماننا هذا لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا منهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحصين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال وبه يفجر الله الحب في السموات والأرض وإنما سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي زكى عنده بعض اليهود هل سمعته في السفر الذي يستدل به على مكارم أخلاقه فقال لا فقال ما أراك تعرفه . وكان بشر يقول بامتنع القراء سيحوا تقيوا فإن للاء إذا ساج طاب وإذا طال مقامه في موضع تقبر . وبالجملة فإن النفس في الوطن مع مواتة الأسباب لا تظهر خباثات أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المهودة فإذا حلت وتغاث السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتنعت بمشاق القرية انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب البرقة فوائد الخاطلة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق . وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر فقها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شيء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد وأما الجاحدون والتافلون ولسترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم معجبون - يملون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وما أريد بالسمع السمع الظاهر فالذين يريدوا به ما كانوا معزولين عنه وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ويشارك الإنسان فيه

(١) حديث من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٢) حديث من سلك طريقا يلتمس فيه علما الحديث رواه مسلم وتقديم في العلم (٣) حديث رجل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مسيرة شهر في حديث بلغه عن عبد الله ابن أنيس الخليلي في كتاب الرحلة بإسناد حسن ولم يسم الصحابي وقال البخاري في صحيحه رجل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبدالله بن أنيس في حديث واحد ورواه أحمد إلا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن ولأحمد أنأ يا أيوب ركب إلى عقبه بن عامر إلى مصر في حديثه وله أن عقبه بن عامر

صلى الله عليه وسلم
يسمع وأبو بكر إلى
جنبه يقول فالتفت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يقول هذا
حق بحق أو حق من
حق بلى إذا كان
ذلك الصوت من أمره
يخشي بالنظر إليه
الفتنة أو من امرأة غير
محرم وإن وجد من
الأذكى والأفكار
ما ذكرنا محرم معاه
لخوف الفتنة لا لغيره
الصوت ولكن يحصل
مع الصوت حريم
الفتنة ولكل حرام
حريم ينسحب عليه
حكم التنع لوجه للصحة
كالتبلة للشباب الصائم
حيث جعلت حريم
حرام الواقع وكأخولة
بالأجنبية وغير ذلك
فصل هذا قد تقتضي
للصحة التنع من السماع
إذا علم حال السامع
وما يؤديه إليه معاه
فيجمل التنع حريم
الحرام هكذا وقد
ينكر السماع جامد

سائر الحيوانات فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو نطق وراء نطق اللقال بشبه قول القائل حكاية لكلام الودت والخائض قال الجدار لا وددت لم تشقني فقال سلمن بدقني ولم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى وما من فوة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شهادات لله تعالى بالوحداية هي توحيدها وأنواع شهادات لسانها بالقدس هي تسيبها - ولكن لا يفتنون تسيبها - لأنهم لم يسافروا من مضيق مع الظاهر إلى فضاء مع الباطن ومن ركبا كة لسان للقال إلى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسماع كلام الله تعالى الذي يجب تحديسه عن مشابهة الحروف والأصوات ومن يسافر ليستقري هذه الشهادات من الأمطر للكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع وفرغ قلبه لمتنوع بجمع ثمرات التسيبجات من آحاد الدرات فانه ولتردد في التفوات وله غنية في ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات وهي إلى إيصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دابة في الحركة على توالي الأوقات فمن التراب أن يداب في الطواف بأحادي الساجد من أمرت السكينة أن تطوف به ومن التراب أن يطوف في أكناف الأرض من تطوف به أقطار السماء ثم مادام السافر مفتترا إلى أن يصير عالم لللك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في التزل الأول من منازل السائر إلى الله والسافرين إلى حضرته وكأنه متكف على باب الوطن لم يغض به للسير إلى متسع القضاء ولا سبب لطول اللقام في هذا التزل إلا الجبن والقصور ولذلك قال بعض أرباب القلوب إن الناس يقولون اتبعوا أعينكم حتى تبصروا وأنا أقول تخمضوا أعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق إلا أن الأول خير عن التزل الأول القريب من الوطن والثاني خير عما يبعد من التنازل البعيدة عن الوطن التي لا يظنها إلا عاظم بنفسه والمجاهز إليها بما يتيه في هاستين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشد به إلى سواء السبيل والمالكون في التيه هم الأكثرون من ركاب هذه الطريق ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالنعيم ولللك القيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى واعتبر هذا لللك بلك الدنيا فاته قبل بالإضافة إلى كثرة الخلق طلبه ومهما عظم المطلوب قل المساعدم الذي يهلك أكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب لللك الماخر الجبان لعظم الخطر وطول التعب:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

وما أودع الله العز واللك في الدين والدنيا إلا في حيز الخطر وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والمخدر كما قيل :

تري الجبناء أن الجبن حزم وتلك خدعة الطبع التميم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله في الأرض . فلنرجع إلى الترض الذي كنا نقصده ولتين القسم الثاني : وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحج ويدخل في جملة زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يترك بمشاهدته في حياته يترك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الترض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى (١) لأن ذلك في المساجد فاتها متانة بعد هذه المساجد وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء

آني سلفه بن علفه وهو أمير مصر في حديث آخر وكلاما منقطع (١) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث تخلف في الحج .

الطبع عديم الذوق
فيقال له : المنين لا يعلم
لذة الوقاع واللكثوف
ليس له بالمال البارع
استمتاع وغير الصاب
لا يتكلم بالاسترجاع
فماذا ينكره من محب
تربى باطنه بالشوق
والهبة ويرى الخبايا
روحه الطيارة في
مضيق قصص النفس
الأمارة يمر بروحه
نسب أنس الأوطان
وتلوح له طوابع جنود
العرفان وهو بوجود
النفس في دار العربة
يتجرع كأس الميجران
يئن تحت أعباء المجاهدة
ولا تحمل عنه سوانح
للشاهدة وكلما قطع
منازل النفس بكثرة
الأعمال لا يقرب من
صكبة الوصول
ولا يكشف له للسبل
من الحجاب فيتروح
بنفس الصعداء ويرتاح
بالأع من شدة البرحاء
ويقول مخاطبا للنفس
والشيطان وهما اللذان
أجابني نعان بالله خليا

في أصل العسل وإن كان يتفاوت في الدرجات ثخاونا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله . وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات والقائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدماء وبركة النظر إليهم فإن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة وفيه أيضا حركة للرقية في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من القوائد العظيمة السفادة من أنفاسهم وأفعالهم كيف ومجرد زيارة الإخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصبغة وفي التوراة : سر أرمية آمال زر أخوا في الله . وأما البقاع فلا مسمى لزيارتها سوى الساجدة الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها الحادث ظاهري أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى الساجدة الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج ، وبيت المقدس أيضا له فضل كبير خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من البلد إلى المدينة وقد سأل سليمان عليه السلام ربه عز وجل أن من قصد هذا المسجد لا يمينه إلا الصلاة فيه أن لا تصرف نظرك عنه مادام مقفيا حتى يخرج منه أنه أخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك . القسم الثالث : أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك أيضا حسن فالقارعا لا يطابق من سنن الأنبياء والمرسلين . ومما يجب الحرب منه الولاية والجاه وكثرة الملائق والأسباب فإن كل ذلك يشوش بالدين ولا يتصور فراغ القلب والدين لا يمت إلا بقلب فارغ عن غير الله فإن لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور أن يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن تصور تخفيفها وتقليلها وقد نجح المحقون وهلك اللغويون والجدد الذي لم يعلق النجاة بالفراغ الطلاق عن جميع الأوزار والأعباء بل بقل الخف فضله وعنده بسمة رحمة والخف هو الذي ليست الدنيا كرهه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جباهه وكثرت علاقته فلا يتم مقصوده إلا بالقرية والحقول وقطع الملائق التي لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة مدية ثم يربها بيمه الله بعموته فيتم عليه بما يقوى به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الأسباب والملائق وعندهما فلا يصده شيء منها عما هو يسدده من ذكر الله وذلك كما يميز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والتصور عن الاتساع للخلق والخالق وإنما يساعد بهذه القوة الأنبياء والأولياء والوصول إليها بالكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضا ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كتفاوت القوة الظاهرة في الأعضاء قرب رجل قوى ذي مرة سوى شديد الأعصاب بحكم البنية يستقل بحمل ما وزنه ألف رطل مثلا فلا أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بممارسة الجمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن للممارسة والجهد يزيد في قوته زيا دة ما وإن كان ذلك لا يلبثه درجته فلا ينبغي أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف رضى الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن وقال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحامل فكيف على الشترين هذا زمان رجل يتنقل من بلد إلى بلد كما عرف في موضع تحول إلى غيره وقالوا بوعين رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره قتل إلى ابن يابا عبد الله قال بلنى عن قرية فيها رخص أريد أن أقوم بها قتلته وضع هذا قال نعم إذا بملك أن قرية فيها رخص فأقوم بها فانه أسلم لديك وأقل لملك وهذا هرب من غلاء السر وكان سرى السقطي يقول للصوفية إذا خرج الشتاء صدخرج أذكار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم يبلد أكثر من أربعين يوما وكان من للتوكلين يرى الإقاة اعتقادا على الأسباب قادسا في التوكل وسأني أسرار الاعتقاد على الأسباب في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى . القسم الرابع : السفر هربا عما يقدح في البدن كالطاعون أو في المال كغلاء السر

نسيم الصبا يخلص إلى

نسيمها

فان الصبا ويح إذا

ما تفتت

على قلب محزون تجلج

همومها

أجد بردها أوتشف

من حرارة

على كبد لم يبق إلا

صميمها

ألا إن أدوائى بلى

قدية

وأقتل داء العاشقين

قد يمه

وللشكر يقول هل

الحبة إلا امتثال الأمر

وهل يعرف غير هذا

وهل هناك إلا الخوف

من الله ويشكر الحبة

الخاصة التي تختص

بالعلاء الراسخين

والأبدال للقرين ولما

تقرر في فهمه القاصر

أن الحبة تستدعي

مثالا وخيالا وأجتاسا

وأشكالا أنسرك عجة

القوم ولمسلم أن القوم

بلغوا في رب الإيمان

إلى آتم من المحسوس

وجادوا من فرط

أو ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب القرار في بعض الواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من القوائد واستجابته ولكن يستثنى من الطاعون فلا ينبغي أن يفتر منه لورود التهي فيه قال أسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الوبع أو السقم رجز عذوب به بعض الأمم قبلكم » ثم بقي بعض في الأرض فيذهب للرة ويأخذ الأخرى فمن مع به في أرض فلا يقدم عليه ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرج منه القرار منه ^(١) وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « إن فناء أمي بالطن والطاعون قتلت هذا الطعن قد عرفناه في الطاعون قال غدة كغدة البعير تأخذهم في مراتهم للسلم لئلا يت شيد ولقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله والقار منه كالفار من الزحف ^(٢) » وعن مكحول عن أم أيمن قالت « أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه لا تشرك بالله شيئا وإن عذبت أو حرقت وأطع والهديك وإن أمارك أن تخرج من كل شيء هو لك فخرج منه ولا تشرك الصلاة عمدا فإن من ترك الصلاة عمدا قد برئت ذمة الله منه وإياك واحمرا فإنها مفتاح كل شر وإياك والصلية فإنها تسخط الله ولا تخر من الزحف وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم ثابت فيهم أنفق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم بالله ^(٣) » فبهذه الأحاديث تدل على أن القرار من الطاعون منهي عنه وكذلك القدوم عليه وسياق شرح ذلك في كتاب التوكل فبهذه أقسام الأسفار وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى مضموم وإلى محمود وإلى مباح وللمضموم ينقسم إلى حرام كإيقاع اليد وسفر العاق وإلى مكروه كالمخرج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم إلى واجب كالخروج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهد ومن هذه الأسباب تتبين النية في السفر فإن معنى النية الانعاش لسبب الباعث والالتفات لإجابة الداعية ولكن نية الآخرة في جميع أسفاره وذلك ظاهر في الواجب وللمندوب ومحال في المكروه والمختار . وأما اللباغ فمرجه إلى النية فهما كان قصده بطلب المال مثلا لتتفرغ عن السؤال ورعاية ستر الروة على الأهل واليال والتصديق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا اللباغ بهذه النية من أعمال الآخرة ولو خرج إلى الحج وباعته الرياء والسعة خرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات ^(٤) » لقوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات عام في الواجبات والمندوبات واللباحات دون المظهورات فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن محكماتها من المظهورات وقد قال بعض السلف : إن الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطي كل واحد على قدر نيته فمن كانت نيته الدنيا أعطى منها ونفس من آخرته أضاعه وقرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغفه ومن كانت نيته الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والفطنة وقنع له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له اللاتسكة واستغفرت له . وأما النظر في أن السفر هو الأفضل أو الإقامة ذلك يضاهي النظر في أن الأفضل هو العزلة أو الخلطة وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فليفهم ههنا أن السفر نوع خلطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق القلب وتشتت القلب في حق الأكثرين والأفضل في هذا ما هو الأعون على الدين ونهاية عمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى

الكنف والبيان بالأرواح والنفوس .
دوى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله قال من خلق الأرض قالت الله قال من خلق الجبال قالت الله قال من خلق النعم قالت الله فقال إنني أسمع شأنا ورحم بنفسه من الجبل فقطع » فالجبال الأزلي الإلهي منكشف للأرواح غير مكيف للعقل ولا مفسر لفهم لأن العقل موكل بحال الشهادة لا يتدنى من الله سبحانه إلا إلى مجرد الوجود ولا يتطرق إلى حرم الشهود للتجلى في طي التيب المنكشف للأرواح بلاريب وهذه رتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة وأعم منها من رب الهبة الخاصة

وحصيل الأنس يذكر الله تعالى والأنس يحصل بدوام الذكر وللعرفة حصل بدوام التذكرو من لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منها والسفر هو اللعين على التعليل في الابتداء والاقامة هي اللعين على العمل بالعلم في الانتهاء وأما السياحة في الأرض على الدوام فن للوشاة القلب في حق الأقوياء فان السافر وماله على قلق إلا ما وقع الله فلا يزال السافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بفارقة ما الله واعتاده في قايته وإن لم يكن معه مال مخاف عليه فلا يغلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق فتارة يصف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع ثم الشغل بالخطو والترحال مشوش لجميع الأحوال ، فلا ينبغي أن يسافر للريد إلا في طلب علم أو مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته واستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر واقتصر على طريق الفكر أو العمل فالسكون أولى به إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار لما حلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بظالين غير محترفين ولا مشغولين قد ألقوا البطالة واستقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلوا جانب السؤال والكسبة واستطابوا إلى رباطات البنية لهم في البلاد واستسرخروا الحشم للتصنيف لقيام بحمد القوم واستغفروا غفولهم وأديتهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال تملأ بكثرة الأتباع فلم يكن لهم في الخفاخاهات حكم نافذ ولا تأديب للريدن نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا الرقعات وأخذوا في الخفاخاهات منزهاة وربما تلقفوا ألفاظا مزخرفة من أهل الطامات فيظنون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرجهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا وبحسبون أنهم يحسنون صنعا ويستندون أن كل سوداء ثمرة ويوهمون أن المشاركة في الظاهر توجب المساهمة في الخفاقات وهيئات فما أغزر حقاقة من لا يميز بين الشحم والورم فهو لا بضائه الله فان الله تعالى يفيض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة إلا للاسباب والفراخ إلا من سافر ليج أو عمرة في غير رياء ولا ميمة أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد دخلت البلاد عنه الآن والأمور الدينية كلها قد فسدت وضعت إلا التصوف فانه قد انعمق بالكلية وبطل لأن العلوم لم تدرس بعد والمالم وإن كان عالم سوء فانما فساد في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ماسوى الله وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فأت الأصل وفي أسفار هؤلاء نظر الفقهاء من حيث إنه إصاب للنفس بلا فائدة وقد يقال إن ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة ومشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وإن كانت خسية فنفوس التحركين لهذه الحظوظ أيضا خسية ولا بأس باتمام حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه فهو لتأذى والتلذذ والقوى تقتضى تشتيت العوام في الباحات التي لا تقع فيها ولا ضرر فالسائحون في غير مهم في الدين والدنيا بل لحض التفرج في البلاد كالبهايم المترددة في الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وإنما عيبتهم في التلبس والسؤال على اسم التصوف والأكل من الأذواق التي وقعت على الصوفية لأن الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات أخر وراء الصلاح ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين وأكل الحرام من الكبار فلا يتقى به العدالة والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وقته يهودى وكأن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على التقدر الذى يحصل به العدالة ، وكذلك من نظر إلى تلواهم ولم يعرف بواطنهم .

دون العامة مطالبة
جمال الكمال من
الكبرياء والجلال
والاستقلال بالفتح
والنوال والصفات
للقسمة إلى ما ظهر
منها في الآداب ولازم
الفتا في الآزال فللكمال
جمال لا يدرك بالحواس
ولا يستبطن بالقياس
وفي مطالعة ذلك الجمال
أخذ طائفة من المئين
خصوا بتجلى الصفات
ولهم بحسب ذلك ذوق
وشوق ووجد وسماع
والأولون منحوا قسطا
من تجلى الذات فكان
وجدهم على قدر الوجود
وسماعهم على حد
الشهود . وحكى بعض
الشايخ قال رأينا جماعة
من يحيى على الله
والهواء يسمعون به
البعاج ويعبدون به
ويتولعون عنده .
وقال بعضهم كنا على
الساحل فسمع بعض
إخواننا فجعل يتقلب
على اللاء بحر . ويحيى
حتى رجع إلى مكانه .

وأعظم من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتا وأعنى به إذا كان للمطعم بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم فأخذ المال باظهار التصوف من غير انصاف بحقيقته كأخذه باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ، ومن زعم أنه علوى وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لجه أهل البيت ولوعلم أنه كاذب لم يسطه شيئا فأخذه على ذلك حرام وكذلك الصوفى ولهذا احترز المحتالون عن الأكل بالدين فإن المبالغ في الاحتياط لديه لا ينفك في باطنه عن عورات لوانكشف للرأغب في مواساته لفترت رغبته عن اللواسة فلا جرم كانوا لا يشترون شيئا بأنفسهم مخافة أن يساعوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين وكانوا يوكون من يشتري لهم ويشترون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشتري نعم إنما يحل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الأخذ بحيث لو علم المطعم من باطنه ما يسله الله تعالى لم يقتض ذلك خورا في رأيه فيه والعاقلة للتصوف يعلم أن ذلك تمتع أو عزيز والفرور الجاهل بنفسه أخرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه فإن أقرب الأشياء إلى قلبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة ثمه لا محالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه الفائلة أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لوانكشف له عورات باطنه لم يمتعه ذلك عن مواساته فان اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له وليلعل إنك إن كنت تعطى لما تعتد به من الدين فليست مستحقا لذلك ولو كشف الله تعالى سترى لم ترى بين التوقير بل اعتقدت أنى شر الحلق أو من شرارهم فإن أعطاهم من ذلك فليأخذ فانه ربما رضى منه هذه الحصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ولكن ههنا ميكدة للنفس بينة وعجدة فليفتن لها وهو أنه قد يقول ذلك مظهرا أنه متشبه بالصالحين في ذمهم فوسهم واستخارهم لها ونظرهم إليها بمن القى والازدراء فتكون صورة الكلام صورة القبح والازدراء وباطنه وروحه هو عين اللع والاطراء ، فكمن من ذام نفسه وهو لها مانع بين ذمه فقم النفس في الخلقة مع النفس هو المحمود وأما القم في اللع فهو عين الرياء إلا إذا أوردته إرادا يحصل للستمع يقينا بأنه مقترف للذنوب ومعتز بها وذلك مما يمكن تفهمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبسه بقرائن الأحوال والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن عبادته لله عز وجل أو عبادته لنفسه محال فلا يتصرف عليه الاحتراز عن أمثال ذلك فهذا هو القول في أقسام السفر ونية للسافر وفضيلته .

(الفصل الثانى فى آداب للسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا)

الأول أن يبدأ بالظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته وبرد الدائم إن كانت عنده ولا يأخذ زاده إلا الحلال والطيب وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه . قال ابن عمر رضى الله عنهما من كرم الرجل طبيب زاده في سفره ولا بدق السفر من طب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق في السفر فانه يخرج خبايا الباطن ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر ولذلك قيل إذا أتى على الرجل معاملة في الحضر ورقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر من أسباب الضجر ومن أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق ولا فتند مساعدة الأمور على وفق المرض قلما يظهر سوء الخلق . وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر : الصائم والمرضى والمسافر . وتعام حسن خلق المسافر الإحسان إلى المكارى ومعاونة الرقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالاعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله وتعام ذلك مع الرقاء بجزاء ومطاية في بعض الأوقات من غير غش ولا مصيبة ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشافة . الثانى : أن يختار رفيقا .

وقيل أن بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها . وهذا أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمعة فجعلها في عينه قال الناقل قربت من عينه أنظر فرأيت نارا أو نورا يخرج من عينه يرد نار الشمعة . وحكى عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض في الهواء أذرا عروبي فيه . وقال الشيخ أبو طالب للكن رحمة الله في مكناته إن أنكرنا السماع محملا مطلقا غير مقيد بمفصل يكون إنكارا على سبعين صدقا وإن كنا قلنا أن الانكار أقرب إلى قلوب القراء والتصديق إلا أنا لا نفضل ذلك لأننا نعلم ما يلبسون وسمعا عن السلف من الأصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا قول الشيخ عن

ولا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه عن يمينه على الدين فيذكره إذا نسي وبينه ويساعده إذا ذكر فإن الرجل على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يسافر الرجل وحده (١) وقال الثلاثة نفر (٢) وقال أيضاً إذا كنتم ثلاثة في السفر فأمرُوا أحدكم (٣) وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا أميرنا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ولؤمروا أحسنهم أخلاقاً وأرفعهم بالأصحاب وأسرعهم إلى الأثر وطلب للواقعة وإعماً يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا في الكثرة وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد لو كان فيها آلهة إلا أنه قد تسدنا ومهما كان للديرواحدا انتظم أمر التدبير وإذا كثرت الدبرون فسدت الأمور في الحضر والسفر إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد وأمير خاص كرب الدار وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأمر فلهذا وجب التأمر ليجتمع شتات الآراء ثم على الأمير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم كما فعل عن عبد الله للروزي أنه صحبه أبو علي الرضا فقال لي أن تكون أنت الأمير أو أنا فقال بل أنت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبي علي على ظهره فأطمرت السبادات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه الطر فكم قال له عبد الله لا تفعل يقول ألم تقل إن الامارة مسلمة لي فلاتحك على ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو علي وددت أني مت ولم أقل له أنت الأمير ، فهكذا ينبغي أن يكون الأمير وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير الأصحاب أربعة (٥) » وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لا بد أن يكون له فائدة والذي يقترح فيه أن المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان التردد في الحاجة واحداً فيتردد في السفر بالرفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد أنس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرجل واحداً فلا يخلو أيضاً عن الخطر وعن ضيق الصدر فإذا نزل مادون الأربعة لا يني بالمقصود وما فوق الأربعة يزيد فلا يجتمعهم رابطة واحدة فلا يسقط بينهم الترافق لأن الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تتصرف المهمة إليه فلا تتم المراقبة معه نعم في فكرة الرفقاء فائدة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرفقة الخاصة للرفقة العامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستئناء عنه . الثالث : أن يودع رفاق الحضر والأهل والأصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم يحب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكه إلى المدينة حرسها الله فلما أردت أن أفارقه شيعني وقال مصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه وإن استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك (٦) » وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث النهي عن أن يسافر الرجل وحده أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح وهو عند البخاري لفظ لو يعلم الناس مافي الوحدة ماسر راكب ليل وحده (٢) حديث الثلاثة نفر روي عنه الترمذي وحسنه النسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٣) حديث إذا كنتم ثلاثة فأمرُوا أحدكم الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٤) حديث كانوا يفعلون ذلك ويقولون هو أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبار والحاكم عن عمر أنه قال إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرُوا عليكم أحدكم ذا أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث خير الأصحاب أربعة أبو داود والترمذي والحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذي حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث ابن عمر قال لقمان إن الله إذا

علمه الوافر بالسنة والآثار مع اجتباؤه وتحريره الصواب ولكن ينسب لأهل الانكار لسان الاعتذار ونوضح لهم الفرق بين صماع يؤثر وبين صماع ينكر وسمع الشبل قالوا يقول :

أسائل عن سلفي فهل من مخبر
يكون له علم بها أين تنزل

فزعق الشبل وقال لا والله ما في البارين عنه مخبر . وقيل الوجد سر صفات الباطن كما أن الطاعة سر صفات الظاهر وصفات الظاهر الحركة والسكون وصفات الباطن الأحوال والأخلاق . وقال أبو نصر السراج أهل الساج على ثلاث طبقات

قوم يرجعون في صماعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون وقوم يرجعون فيما يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم

أنه قال « إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فان الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة ^(١) » وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ودع رجلا قال « زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت ^(٢) » فهذا دعاء للتقوى للودع وقال موسى بن وردان أنبتأبى هيرة رضى الله عنه أودعه لسفر أردته فقال ألا عليك يا ابن أخي شيئا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع فقلت بلى قال قل « أستودعك الله الذى لا تسبغ ودائه ^(٣) » وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني أريد سفرا فأوصنى فقال له في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت ^(٤) » شك فيه الراوى . وبنى إذا استودع الله تعالى ما يحلفه أن يستودع الجمع ولا يخص فقد روى أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم إذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر : ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال له الرجل أحدك عنى يا أمير المؤمنين بأمره إني أردت أن أخرج إلى سفروأما حامل به فقلت تخرج وتدعى على هذا الحاله فقلت أستودع الله ما فى بطنك غرقا ثم قدمت فإذا هى قد ماتت فجلسنا تحدث فإذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذا النار فقالوا هذه النار من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله إنها كانت لصوامه قومة فأخذت العلوق حتى اتينا إلى القبر فخرنا فإذا سراج وإذا هذا النلام دبب قبلى إلى هذه ودبعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر رضى الله عنه : لم هو أشبه بك من الغراب بالغراب . الرابع : أن يصلى قبل سفره صلاة الاستسخره كما وصفناها فى كتاب الصلاة وقت الخروج يصلى لأجل السفر فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيقى فالى أى الثلاثة أدفعها إلى أبى أم أخى أم أبى قال النبي ﷺ ما استخلف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلهن فى بيته إذا خد عليه ثياب سفره بقرا فمن باغحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إني أقرب بين إليك فاخلق بينى وبين أهلى ومالى فهى خليفته فى أهله وماله وحزروه داره حتى يرجع إلى أهله ^(٥) » الخامس : إذا حصل على باب الدار فليقل باسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو أجهل على فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت عليك توكلت وبك اعصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقى وأنت رجاى فاكفى ما أهمنى ومالا أهمنى به وما أمت أعلم بمعنى عز جارك وجل شأوك ولا إله غيرك اللهم زدنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهى للخير أينما توجهت ، وليدع بهذا الدعاء فى كل منزل يرحل عنه فإذا ركب الدابة فليقل باسم الله وبالله

استودع شيئا حفظه وأنى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك النساءى فى اليوم واليلية ورواه أبو داود مختصرا وإسناده جيد (١) حديث زيد بن أرقم إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فان الله جاعل له فى دعائهم البركة الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضيف (٢) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى الخرائطى فى مكارم الأخلاق والمحاملى فى الدعاء وقبه ابن لهية (٣) حديث أبى هيرة أستودعك الله الذى لا تسبغ ودائه ابن ماجه والنسائى فى اليوم واليلية باسناد حسن (٤) حديث أنس فى حفظ الله وفى كنفه زودك الله التقوى الحديث تقدم فى الحج فى الباب الثانى (٥) حديث أنس أن رجلا قال إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيقى فالى أى الثلاثة أدفعها إلى أبى أم أخى أم امرأتى فقال ما استخلف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات الحديث الخرائطى فى مكارم الأخلاق وقبه من لا يعرف .

مرتبطون بالعلم ومطالبون بالصدق فبما يشيرون لله من ذلك وقوم هم الفقراء المجردون الذين قطعوا العلائق ولم تساوئ قلوبهم بحبة الدنيا والجمع والنسج فهم يسمعون لطيفة قلوبهم ويليق بهم السماع فهم أقرب الناس إلى السلامة وأسلمهم من الفتنة وكل قلب ماثو بحب الدنيا فسماعه صماع طبع وتكلف وسئل بعضهم عن التكلف فى السماع فقال هو على ضربين : تكلف فى السمع لطلب جاه أو منفعة دنيوية وذلك تلبس وخيانة وتكلف فيه لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بالوجد وهو بمنزلة التباكى الندوب إليه وقول القائل إن هذه الهيئة من الاجتماع بدعة يقال له إنما البدعة المنهورة المنوع منها

والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يَشَأْ لم يكن سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت الدابة تحته فليقل - الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت السعنان على الأمور . السادس : أن يرحل عن المنزل بكرة . روى جابر ^(١) أن النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وقال « اللهم بارك لأمتي في بكورها » ^(٢) ويستحب أن يبتدئ بالخروج يوم الخميس ، فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال قلنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس ^(٣) . وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم السبت » وكان ^(٤) إذا بستم سرية بشيا أول النهار ^(٥) . وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها » ^(٦) وقال عبد الله بن عباس : إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبه منه نهارا ولا تطلبه ليلا واطلبه بكرة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم بارك لأمتي في بكورها » ^(٧) ولا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاميا برك الجمعة واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها والتشجيع للوداع مستحب وهو سنة قال صلى الله عليه وسلم « لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكثرته على رحله غدوة أروحة أحب إلى من الدنيا وما فيها » ^(٨) . السابع : أن لا يزل حتى يحسب النهار فهي السنة ويكون أكثر سيرة بالليل قال ^(٩) « عليكم بالدجلة فان الأرض تطوى بالليل لا تطوى بالنهار » ^(١٠) ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظلل ورب الأرضين السبع وما أقفل ورب الشياطين وما أضلل ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه أصرف عن شرارهم فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل فليقل يا أرض رب وربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شر ما فبك ومن شر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسد وحية وعقرب ومن شر ساكني البلد ووالد وما ولد ولهما سكن في الليل والنهار وهو المسيح العليم ومهما علا شرفا من الأرض في وقت السير فينبغي أن يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط مسبح ومهما خاف الوحشة فصفه قال سبحانه لللك القدوس رب للالاسكة والروح جللت السموات بالعرز والجبروت . الثامن : أن يحتاط بالنهار فلا يمشي

- (١) حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس يريد تبوك وقال اللهم بارك لأمتي في بكورها رواه البخاري ، وفي السنن الأربعة من حديث صخر العامري اللهم بارك لأمتي في بكورها قال الترمذي حديث حسن (٢) حديث كعب بن مالك قلنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس والسبت البزار مقتصر على يوم خميسها والخرائطي مقتصر على يوم السبت وكلهما ضعيف (٣) حديث كان إذا بستم سرية بشيا أول النهار الأربعة من حديث صخر العامري وحسنه الترمذي (٤) حديث أبي هريرة اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها ابن ماجه والخرائطي في مكالم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه يوم الخميس وكلا الإسنادين ضعيف (٥) حديث ابن عباس إذا كانت لك إلى رجل حاجة فاطلبه إليه نهارا الحديث البزار والطبراني في الكبير والخرائطي في مكالم الأخلاق واللفظ له وإسناده ضعيف (٦) حديث لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكثرته على رحله غدوة أروحة أحب إلى من الدنيا وما فيها ابن ماجه بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس (٧) حديث عليكم بالدجلة الحديث هتم في الباب الثاني من الحج .

بعدة تزاحم سنة مأموراها وما لم يكن هكذا فلا بأس به وهذا كالقيام للداخل لم يكن فكان في عادة العرب ترك ذلك حتى تقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل عليه وسلم كان يدخل ولا يقام له وفي البلاد التي فيها هذا القيام لهم عادة إذا اعتمد ذلك لطيب التسلوب والمداواة لا بأس به لأن تركه يوحى القلوب ويوغر الصدور فيكون ذلك من قبيل الضررة وحسن الصحة ويكون بدة لا بأس بها لأنها لم تزاحم سنة مأمورة .

[الباب الثالث

والعشرون في القول في الساجد ردا وإنكارا] قد ذكرنا وجه صحة الساجد وما يليق منه بأهل الصدق وحيث كثرت الفتنة بطريقه وزالت الصمة فيه وتصدى للحرص عليه أقوام قلت أعمالمهم

منفردا خارج القافلة لأمر بما يشاء أو يقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترش ذراعيه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعيه نصبا وجعل رأسه في كفه^(١) والترض من ذلك أن لا يستقل في النوم فقطع الشمس وهوائهم لا يدري فيكون ما يؤت من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره ، وللمتج بالليل أن يتأوب الرقاة في الحراسة فإذا نام واحد حرس آخر^(٢) فهذه السنة ومهما تصدع أو سجع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله وسورة الإخلاص والموذنين وليل باسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتي بالحرير إلا الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى مع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحق القيوم الذي لا يموت اللهم احرسنا بينك التي لا تنام واكفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا تهلك وأنت تحتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإيمانك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين . التاسع : أن يرقى بالدابة إن كان راكبا فليجعلها ملا تطبيق ولا يضربها في وجهها فإنه ينمى عنه ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتأدى به الدابة كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا اغتوة ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي^(٣) » ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروى بذلك^(٤) فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكرى بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك حسنا إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان حسنات الكارى ومن أذى بهيمة بضرب أو حمل مالا تطيق طوبى به يوم القيامة إن في كل كبد حراء أجر . قال أبو الدرداء رضى الله عنه لعير له عند الموت : أيها البعير لا تخافنى إلى ربك فاني لم أهلك فوق طاعتك وفي التزول ساعة صدقتان : إحداهما ترويح الدابة والثانية إدخال السرور على قلب الكارى وفيه فائدة أخرى وهى رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب ويبنى أن يقرر مع الكارى ما يجعله عليها شيئا شديدا ويعرضه عليه ويستأجر الدابة بقدر صحيح ثلاثين يوما بينهما نزاع يؤذى القلب ويجعل على الزيادة في الكلام فيألفظ العبد من قول لإلاديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام والاجاج مع الكارى فلا ينبغي أن يعمل فوق للشروط شيئا وإن خف فإن القليل يجزى الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . قال الرجل لابن المبارك وهو على دابة أحملني هذه الرقة إلى فلان فقال حتى أستأذن للكارى فاني لم أشاركه على هذه الرقة فانظر كيف لم يأتني إلى قول الفقهاء إن هذا مما يباح فيه ولكن سلك طريق الورع . العاشر : ينبغي أن يستصحب ستة أشياء قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : الرأة والمكحلة والقرص والسواك والمشط^(٥) وفي رواية أخرى عنها ستة أشياء : للرأة والقارورة والقرص والسواك والمكحلة والمشط وقالت أم سعد الأنصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغارقه في السفر للرأة والمكحلة^(٦) وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث كان إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترش ذراعيه الحديث تقدم في الحج (٢) حديث تناوب الرقاة في الحراسة تقدم في الحج في الباب الثاني (٣) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي تقدم في الباب الثالث من الحج (٤) حديث التزول عن الدابة غدوة وعشية تقدم فيه (٥) حديث عائشة كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : للرأة والمكحلة وللدري والسواك والمشط وفي رواية ستة أشياء الطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه والحرثي في مكارم الأخلاق واللفظ له وطرقه كلها ضعيفة (٦) حديث أم سعد الأنصارية كان لا يغارقه في السفر للرأة والمكحلة رواد الحرثي وإساده ضعيف

وفسدت أحوالهم وأكثروا الاجتماع للسلع وربما يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع لذلك لارغبة للسلوب في السلع كما كان من سير الصادقين فيصير السلع مطولا تركن إليه النفوس طلبا للشهوات واستعلاء لمواطن الله والهو والفتلات وقطع ذلك على المرید طلب المزيد ويكون بطريقه تضییع الأوقات وقلعة الحظ من العبادات وتكون الرغبة في الاجتماع طلبا لتناول الشهوة واسترواحا لأولى الطرب والله والعبادة ولا ينبغي أن هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق . وكان يقال لا يصح السلع إلا لعارف مكين ولا يباح لمريد مبتدئ . وقال الجنيد رحمه الله تعالى إذا رأيت المرید يطلب السلع فاعلم أن

«عليكم بالأخذ عند مضجكم فانه مما يزيد في البصر وينبت الشعر» (١) وروى أنه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية أنه اكتحل للحنى ثلاثا واليسرى ثنتين (٢) وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع القبر ركوة وجعل دل على نقصان دينه وإنما زادوا هذا لما رآه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب لتسول ولترفع الماء من الآبار وكان الأولون يكتفون بالتميم وينفون أنفسهم عن نقل الماء ولا يولون بالوضوء من القدران ومن لباه كلها ما لم يبتقوا نجاستها حتى توضع أمر رضى الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب للوضوء عليها فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة وإنما البدعة المسمومة مانضاد السنن الثابتة وأما ما بين على الاحتياط في الدين فستحسن وقد ذكرنا أحكام المبالغة في الطهارة في كتاب الطهارة وأن التجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يؤثر طريق الرخصة بل يحاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه . وقبل كان الخواص من التوكلين وكان لا يفارقه أربعة أشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة مخيوطها والقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا . الحادى عشر : في آداب الرجوع من السفر «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قتل من غزو أوجع أو جمر أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» (٣) وإذا أشرف على مدينته فليقل اللهم اجعل لنا باقرا ورزقا حسنا ثم ليبرسل إلى أهله من يشرم قدمه كيلا يقدم عليهم بنته فيرى ما يكبره ولا ينبغي له أن يطرهم ليلا (٤) فقد ورد النهي عنه ، وكان عليه السلام إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت (٥) وإذا دخل قال «توبا توبا لربنا أوبا لا ينادر علينا حوبا» (٦) وينبغي أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعم أو غيره على قدر مكانه فهو سنة قد روى أنه إن لم يجد شيئا فليضع في غلته حجرا (٧) وكان هذا مبالغة في الاستحسان على هذه المسكرة لأن الأئمة تمتد إلى القادم من السفر والقابض تفرح به فيتأكد الاستجاب في تأكيد فرحهم وإظهار الفخات القلب في السفر إلى ذكرهم بما يستحب في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة . وأما الآداب الباطنة ففي الفصل الأول بيان جملة منها وجملة أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا إلى حصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي أن يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة أن يرى شيوخها ويحدث أن يستفيد من كل واحد منهم أدبا أو كلمة لينفع بها لايحكي ذلك ويظهر أنه لقي المشايخ ولا يقيم ليلة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين وإن كان قصد زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حد الضيافة

(١) حديث صهيب عليكم بالأخذ عند مضجكم فانه يزيد في البصر وينبت الشعر الخراطلى في مكازم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذى وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبيد البر وقال الخطاي صحيح الاسناد (٢) حديث كان يكتحل للحنى ثلاثا واليسرى ثنتين الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بسندلين (٣) حديث كان إذا قتل من حج أو غزو أو غيره يكبر الحادى عشر تقدم في الحج (٤) حديث الترمذى عن طريق الأهل ليلا تقدم (٥) حديث كان إذا قدم من سفر دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم (٦) حديث كان إذا دخل قال توبا توبا لربنا أوبا لا ينادر حوبا (٧) ابن السكيت في اليوم واليلة والحكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين (٨) حديث اطراق أهله عند القدوم ولو بجحر الحارقلنى من حديث عائشة بإسناد ضعيف .

فيه بقية البطالة .
وقيل إن الحنيد ترك
السباع فقيل له كنت
تستمتع فقال مع من
قيل له تسمع لنفسك
فقال بمن لأنهم كانوا
لا يسمعون إلا من
أهل مع أهل فلما قد
الاخوان ترك لها
اختاروا السباع حيث
اختاروه إلا بشرط
وقيود وآداب يذكرون
به الآخرة ويريغون
في الجنة ويحذرون
من النار وزداد
به طلبهم وتحسن به
أحوالهم ويتفق لهم
ذلك اتفاقا في بعض
الأحايين لأن يعملوه
دأبا ودينا حتى
يتروا الأجله الأوراد .
وقد قل عن الشافعى
رضى الله عنه أنه قال
في كتاب القضاء القضاء
لهو محكروه يشبه
الباطل وقال من
استكثر منه فهو
سفيه ترد شهادته .
وافق أصحاب الشافعى
أن للراءة غير المحرم

إلا إذا شق على أخيه مفارقتها وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقم عنده أكثر من يوم وليلة ولا يشغل نفسه بالمشقة فإن ذلك يقطع برخصه وكما دخل بلدا لا يشغل شيئا سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فإن كان في بيته فلا يندق عليه بأية ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج فإذا خرج تقدم إليه بأدب فلم عليه ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله فإن سأله أجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة مالم يستأذن أولا وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسماؤها ولا ذكر أصدقائه فيها ولا يذكر مشاغلها وقراءاتها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدتها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها ويلزم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره وإذا كلف إنسان فليترك الذكر وليجبه مادلما يحتمل ثم يرجع إلى ما كان عليه فإن تبرعت نفسه بالسفر أو بالأقامة فليحالفها فالبركة في مخالفة النفس وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي له أن يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في قصصان عما كان عليه في الحضر فليعلم أن سفره معلول ويرجع إذ لو كان لحق لظهر أمره . قال رجل لأبي عثمان اللبري خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للؤمن أن يذل نفسه وأشار به إلى أن من ليس له في السفر زيادة دين فقد أدل نفسه وإلا فعز الدين لا ينال إلا بذلة الغربة فليكن سفر الريد من وطن هوام ومراده وطبعه حتى يميز في هذه الغربة ولا يذل فإن من اتبع هواه في سفره ذل لامحالة إما عاجلا وإما آجلا .

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من قلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات)

اعلم أن للمسافر محتاج إلى أن يتزود لنداءه ولآخرته أما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من هقة فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة أو بين قرى متصلة وإن ركب البادية وحده أوعى قوم لأطعام معهم ولا شراب فإن كان بمن صبر على الجوع أسبوعا أو عشرين مثلا أو جدد على أن يكتفي بالحشيش فله ذلك وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش غروجه من غير زاد مصيبة فانه ألقي نفسه يده إلى التهلكة ولهذا سرسباني في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب بالسكينة ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل وزرع اللاء من البئر ولو جب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا أخر حتى يسب اللاء فيه في فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول إلى الشراب فحمل عين للطعوم وللشروب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه وستأتي حقيقة التوكل في موضعها فانه يتبسبب إلى أعلى المقتنين من عطاء الدين وأما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج إليه في طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد وأن يتزود منه إذا سفر تارة يخفف عنه أمور فيحتاج إلى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمل والفطر وتارة يشدد عليه أمور كان مستغنيا عنها في الحضر كالمعلم بالقبلة وأوقات الصلوات فانه في البلد يكتفي بغيره من محارب للساجد وأذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج إلى أن يعرف بنفسه فإذا ن ما يشتر إلى قلمه ينقسم إلى قسمين :

(القسم الأول العلم برخص السفر)

والسفر جيد في الطهارة رخصتين مسح الحفين والتيمم وفي صلاة القرض رخصتين التصر والجمل وفي النفل رخصتين أداءه على الرحلة وأداءه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من قلمه)

لا يجوز الاستماع إليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب . وهل عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان يصكره القطعة بالضميق ويقول وضه الزنادقة ليشفوا به عن القرآن وقال لأبأس بالقراءة بالأحسان وتحسين الصوت بها بأى وجه كان . وعند مالك رضي الله عنه إذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله أن يردّها بهذا العيب وهو مذهب سائر أهل المدينة وهكذا مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وسأع التناء من الذنوب وما أباحه إلا لآخر قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا لم ير إعلانا في للساجد والباقع الشريف . وقيل في ضمير قوله تعالى - ومن الناس

رخص . الرخصة الأولى : للسهل على الحفين قال صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نترع خفافا ثلاثة أيام ولياليهن ^(١) فكل من لبس الحنف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسه على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا أو يوما وليلة إن كان مقما ولكن الخمسة شروط : الأول أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها في الحنف ثم غسل اليسرى فأدخلها في الحنف لم يجز له اللبس عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع اليمنى ويبعد لبسه . الثاني : أن يكون الحنف قويا يمكن الشئ فيه ويجوز للسهل على الحنف وإن لم يكن متملا إذ العادة جارية بالتردد فيه في النازل لأن فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فإنه لا يجوز للسهل عليه وكذا الجر موق الضميف . الثالث : أن لا يكون في موضع فرض الفسل خرق فإن خرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز للسهل عليه وللشافعي قول قديم إنه يجوز مادام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك رضي الله عنه ولا بأس به لمسيس الحاجة إليه وتقدر الحفر في السفر في كل وقت والداس للتسوج يجوز للسهل عليه مهما كان سائرا لا يبدو بشرة القدم من خلاله وكذا للشقوق الذي يرد على محل الشق يشرح لأن الحاجة تمس إلى جميع ذلك فلا يعتبر إلا أن يكون سائرا إلى ما فوق الكعبين كيما كان فأما إذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز للسهل عليه . الرابع : أن لا ينزع الحنف بعد اللبس عليه فإن نزع فالأولى له استئفاف الوضوء فإن اقتصر على غسل القدمين جاز .

الخامس : أن يمسه على اللوض المحاذي لمحل فرض النسل لاطى الساق وأقفه ما يسمى مسحاً على ظهر القدم من الحنف وإذا مسح ثلاث أصابع أجزاء والأولى أن يخرج من شبة الخلاف وأكمله أن يمسه أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار ^(٢) كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه أن يبل يديين ويضع رءوس أصابع اليمنى من يده على رءوس أصابع اليمنى من رجله ويمسه بأن يمر أصابعه إلى جهة نفسه ويضع رءوس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الحنف ويمر بها إلى رأس القدم . ومهما مسح مقما ثم سافر أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الإقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد للسهل على الحنف فلو لبس الحنف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج وأحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصل إلا بعد غسل الجلين فينسل رجله ويبعد لبس الحنف ويراعى وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث ولو أحدث بعد لبس الحنف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسه ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضى اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فأما إذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة التيممين ويستحب لكل من يريد لبس الحنف في حضر أو سفر أن يتكس الحنف وينفض ما فيه حذر من حية أو عقرب أو شوكه قد دروي عن أبي أمامة أنه قال دعا رسول الله ﷺ بخفيه فلبس أحدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به ففرجت منه حية فقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما ^(٣) .

(١) حديث صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نترع خفافا ثلاثة أيام ولياليهن الترمذي وصححه وابن ماجه والنسائي في الكبرى وابن خزيمة وابن حبان (٢) حديث مسحه صلى الله عليه وسلم على الحنف وأسفله أبو داود والترمذي وضعه وابن ماجه من حديث الثوري وهكذا حنيفة البخاري وأبو زرعة (٣) حديث أبي أمامة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما رواه الطبراني وفيه من لا يعرف .

من يشتري لهو الحديث - قال عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه هو القضاء والاستماع إليه . وقيل في قوله تعالى - وأنتم ساعدون - أى ممنون رواه عكرمة عن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما وهو القضاء بلفظ حبر يقول أهل اليمن مسدد فلان إذا غنى وقوله تعالى - واستغفر من استغفرت منهم بصوتك - قال مجاهد القضاء والزمير . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان إبليس أول من ناع وأول من تقى » وروى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إيمانيت عن صوتين فاجرين صوت عند تقمة وصوت عند مصيبة » وقد روى عن عثمان رضى الله عنه أنه

الرخصة الثانية : التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر وإنما يصنع للماء بأن يكون بعيدا عن المنزل بدلا لومئى إليه لم يلحقه غوث الثقافة إن صاح وأستغاث وهو البعد القوي لا يستاد أهل المنزل في ترددهم قضاء الحاجة التردد إليه وكذا إن نزل على ماء عدو أوسع فيجوز التيمم وإن كان الماء قريبا وكذا إن احتاج إليه لمعطش أحد رفقاته فلا يجوز الوضوء ويلزمه بذلك إما شمن أو غير شمن ولو كان يحتاج إليه لطبخ مرققة أو لحم أو لبن تبيت يجمعه به لم يحز له التيمم بل عليه أن يجزى بالفتيت اليابس ويترك تناول اللقمة ومهما وهب له الماء وجب قبوله وإن وهب له منه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وإن سيع شمن للكل لزمه الشراء وإن سيع بغيره لم يلزمه فإذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهاجوز الوصول إليه بالطلب وذلك بالتردد حوالى المنزل وتفتيش الرجل وطلب البقاي من الأواني والطاهر فإن نسي الماء في رحله أوصى بشره بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره في الطلب وإن علم أنه سيجد للماء في آخر الوقت فالأولى أن يسئى بالتيمم في أول الوقت فإن العذر لا يوثق به وأول الوقت رضوان الله . تيمم ابن عمر رضى عنهما قليل له أن تيمم وجدرا ن المدينة تنظر إليك ؟ قال أو أبقى إلى أن أدخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم ينطصل صلاته ولم يلزمه الوضوء وإذا وجده قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقتصد بعيدا طيبا عليه تراب يشور منه غبار وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعهما ضربة فيمسح بها وجهه ويضرب ضربة أخرى بعد نزع الحاتم ويخرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرقبيه فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى وكيفية التلطيف فيه ما ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيد ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يتنفل ماشاء بذلك التيمم وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلى فريضتين إلا بتيممين ولا يفني أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم ولينوع مسح الوجه استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفي لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما . الرخصة الثالثة في الصلاة للفرصة القصرة وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والمغرب على ركعتين ولكن بشرط ثلاثة : الأول : أن يؤديها في أوقاتها فلا صارت قضاء فالأظهر لزوم الإتمام . الثاني : أن ينوي القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام ولو شك في أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام . الثالث : أن لا يقتدى بعقب ولا بحسار متهمة فإن فعل لزمه الإتمام بل إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام وإن تيقن بعده أنه مسافر لأن شمار المسافر لا تخفى فليكن متحققا عند التية وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بد أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك لأن التيات لا يطالع عليها وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والتهاية فيه إشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط التقصد بقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا مالم يفارق عمران البلد ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة ويسكنها التي يخرج أهل البلدة إليها للتنزه وأما القرية فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحيطة دون التي ليست بمحطة ولو رجع للمسافر إلى البلد لأخذ شيء نسيه لم يتبرخ أن كان ذلك وطنه مالم يجاوز عمران وإن لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذ صار مسافرا بالانزياح والمخرج منه . وأما نهاية السفر فاحد أمور ثلاثة : الأول : الوصول إلى عمران من البلد الذي عزم على الإقامة به . الثاني : الزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا إما في بلد أو في صحراء . الثالث : صورة الإقامة وإن

قال ما غنيت ولا محتيت ولا مست ذكرى يميني منذ بايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال القضاء ينبت الفناق في القلب وروى أن ابن عمر رضى الله عنه مر عليه قوم وهم يحرمون وفهم رجل يتنفل فقال ألا لا سمع الله لكم ألا لا سمع الله لكم وروى أن إنسانا سأل القاسم بن محمد عن القضاء فقال أنهارك عنه وأكرهه لك قال أكرام هو ؟ قال انظر يا ابن أخي إذا ميز الله الحق والباطل في أيهما يصل القضاء . وقال الفضيل بن عياض الضاحك في القضاء مفسدة للقلب مسخطة للرب وقال بعضهم : إياكم والقضاء فإنه يزيد النسيوة ويهدم للروية وإنه لينوب عن الحجر

لميزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وإن لميزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازا ولكنه يتعوق عليه ويتأخر عنه أن يتخص وإن طالت للدة على أقيس القولين لأنه متزعج جليبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا بمبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع ارتجاج القلب ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أو غيره ولا بين أن تطول للدة أو تقصر ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاءه ثلاثة أيام أو لغيره إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد (١) وظاهر الأمر أنه لو تمدد القتال لتمادي ترخصه إذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر ، وأما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام ومعنى اللباس أن لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ولا تمسكون للراءة هاربة من زوجها ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق أو قتل إنسان أو طلب إمداد حرام من سلطان ظالم أو مسي باقصادين للسلبين . وبالحاجة فلا يسافر الإنسان إلا لغرض والقرض هو الحركة فإن كان تحصل ذلك القرض حراما ولولا ذلك القرض لكان لا يبعث لسفره فسفره مضيعة ولا يجوز فيه الترخص وأما القس في السفر فحرب الحر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهي الشرع عنه فلا يبين عليه بالرخصة ولو كان له باعثن أحدهما مباح والآخر محظور وكان بحيث لولم يكن الباعث له المحظور لكان اللباس مستقلا بحريكة ولكان لأحالة يسافر لأجله هذه الترخص وللصوفة الطوائف في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمتأخر أن لهم الترخص . الرخصة الرابعة : الجمع بين الظهر والعصر وفي وقتها وبين المغرب والعشاء وفي وقتها : فذلك أيضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازها في السفر القصير قولان ، ثم إن قدم العصر إلى الظهر فليجمع الجمع بين الظهر والعصر في وقتها قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليتم وعند الفراغ يقيم العصر ويجدد التيمم أولا إن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة فإن قدم العصر لميزم وإن نوهه الجمع عند التحرم صلاة العصر جاز عند الزنى وله وجه في القهاس إذ لا مستند لإيجاب تقديم النية بل الشرع جواز الجمع وهذا جمع وإما الرخصة في الصلوات في النية فيها وأما الظهر فجار على القانون ثم إذا فرغ من الصلوتين فينبغي أن يجمع بين سنن الصلوتين أما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر صلحيا بعد الفراغ من العصر إما راكبا أو مقبلا لأنه لو صلى رابعة الظهر قبل العصر لاقطعت الموالاة وهي واجبة على وجهه ولو أراد أن يقيم الأربع للسنونة قبل الظهر والأربع للسنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصل على سنة الظهر أولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد القرض ولا يبين أن يهمل التوابع في السفر فما بغوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح لاسيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الرحلة كي لا يتعوق عن الرقة بسببها وإن أخر الظهر إلى العصر فيجوز على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع رابعة الظهر

(١) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد أبو داود من حديث عمران بن حصين في قصة الفتح أقام بمكة ثمانية عشر ليلة لا يصل إلا ركعتين ولغيره من حديث ابن عباس أقام بمكة تسعة عشر يوما بقصر الصلاة ولأبي داود سبعة عشر بتقديم السنين وفي روايته خمسة عشر .

ويفضل ما يفعل السكر وهذا الذي ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع للوزن يفيق بالفناء والأوزان ويستحسن صاحب الطبع عند السماع ما لم يكن يستحسنه من الفرقة بالأصابع والتصفيق والرقص وتصدمه أفعال تدل على سخافة العقل . وروى عن الحسن أنه قال : ليس الدف من سنة للسلبين . والقى جمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع الشمر لا يدل على إباحة الفناء فإن الشعر كلام منظوم وغيره كلام متثور فصنه حسن وقيعه قبيح وإنما يصير غناء بالألحان وإن أنصف النصف وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقعود الخفي بدنه والمشتب بشبابته وتصور في نفسه هل وقع مثل

بعد العصر في الوقت للركوه لأن ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر وإذا قدم أو أخر فبعد الفراغ من القرض يستنفل بجميع الرواتب ويحتم الجميع بالوتر وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع الصرهما فهو نية الجميع لأنه إنما يخلو عن هذه النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والمزم عليه حرام وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته إما لنوم أو لشغل فله أن يؤدى الظهر مع الصرولا يكون مأميا لأن السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداء إذ اعزم على فعلها قبل خروج وقتها ولكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلايين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل الغروب وقد لا يقدح أن لا تشترط للواتلولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر أما إذا قدم العصر على الظهر لم يجز لأن ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقت العصر إذ يبعدان يشغل بالعصر من هو عازم من ترك الظهر أو على تأخيره وعذر للظرمجوز للجميع كمن السفر وترك الجمعة أيضا من رخص السفر وهي متعلقة أيضا بأرض الصوات ولو نوى الإقامة بعد أن صلى العصر فأدرك وقت العصر في الحضر فله أداء العصر وما مضى إما كان عجزا بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت العصر . الرخصة الخامسة : التنفل راكبا « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته » (١) وأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على التنفل راكبا في الركوع والسجود إلا بالإعلاء وينبغي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ولا يزمه الانحناء إلى حد يتعرض به لخطر بسبب الدابة فإن كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فإنه قادر عليه . وأما استقبال القبلة فلا يجب لأني ابتداء الصلاة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلاته إمام مستقبلا للقبلة أو متوجها في صوب الطريق لتكون له جهة ثبت فيها فلا حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته إلا إذا حرفها إلى القبلة ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم تبطل صلاته وإن طال فقه خلاف وإن جمعت به الدابة فأعرفت بطلت صلاته لأن ذلك مما يكره وقوعه وليس عليه سجود سهو إذا جاح غير منسوب إليه بخلاف ما لو حرف ناسيا فإنه يسجد سهو بالإعلاء . الرخصة السادسة : التنفل للعاشي جائز في السفر ويومي بالركوع والسجود ولا يقدح للشهد لأن ذلك يسهل فائدة الرخصة وحكمه حكم الركاب لكن ينبغي أن يحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لأن الانحراف في لحظة لا عسر عليه فيه بخلاف الركاب فإن في تحريف الدابة وإن كان النمان يده نوع عسر وربما تكررت الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي أن يعشى في نجاسة رطبة عمدا فإن فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو طئت دابة الركاب نجاسة وليس عليه أن يشوش للشيء على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو الطريق عنها غالبا وكل هارب من عدو أو سيل أو سبع فله أن يصلى الفريضة راكبا أو ماسيا كذا ذكرناه في التنفل . الرخصة السابعة : الفطر وهو في الصوم فله المسافر أن يخطر إلا إذا أصبح مقبيا ثم سافر فله إتمام ذلك اليوم وإن أصبح مسافرا صائما . ثم أقام فله الإتمام وإن أقام مفطرا فليس عليه الإمساك بقية النهار وإن أصبح مسافرا على عزم الصوم لم يزمه بله أن يخطر إذا أراد والصوم أفضل من الفطر والقصر أفضل من الإتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولأنه ليس في عهدة القضاء بخلاف الفطر فإنه في عهدة القضاء وربما يعتذر عليه بذلك بما تقي في ذمته إلا إذا كان الصوم يضرب به فالأقصر أفضل . فهذه سبع رخص تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والسح ثلاث أيام وتعلق اثنتان منها بالسفر طويلا كان أو قصيرا

هذا الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل استحضروا قولا وقصدوا محتملين لاستناعه لاشك بأنه ينكر ذلك من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولو كان في ذلك فضيلة تطلبها أهلها فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجمع لها لم يحظ بدوق معرفة أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين واستروح إلى استحسان بعض للتأخيرين ذلك وكثيرا ما يظلم الناس في هذا وكلما احتج عليهم بالسلف للنازين يجتجون بالتأخيرين وكان السلف أقرب إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من القراء يتسم عند قراء القرآن

(١) حديث كان يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر على الراحلة متفق عليه من حديث ابن عمر .

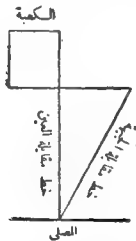
وما سقط الجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتييم وأما صلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والأصح جوازها في القصر والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والأظهر اختصاصها بالطويل وأما صلاة الغرض وراكبا ومشيا لخوف فلا تعلق بالسفر وكذا أكل اللبنة وكذا أداء الصلاة في الحال بالتييم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها . فإن قلت فاعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تيممه قبل السفر أم يستحب له ذلك . فاعلم أنه إن كان عازما على ترك السجدة والقصر والجمع والفطر وترك التنفل وراكبا ومشيا لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك لأن الترخص ليس بواجب عليه ، وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه إلا أن يسافر على شاطئ نهر يوثق بقاء مائه أو يكون معه في الطريق عالم يقدر على استغائه عند الحاجة فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه ما يلزمه التحل للاحالة . فإن قلت : التيمم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بدو قضاها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بدو لم يجب ورع الانحجب . فأقول : من بينه وبين السجدة مسافة لا تقطع إلا في سنة فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم للناسك للاحالة إذا كان يظن أنه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لأن الأصل الحياة واستمرارها ومالاتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقعا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل إليه إلا بتقدم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط للاحالة كعلم للناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحل إذن للمسافر أن ينشئ السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وإن كان عازما على سائر الرخص فله أن يتعلم أيضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص فانه إذا لم يعلم القدر الجائز لرخصة السفر لم يكن له الاقتصار عليه . فإن قلت إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل وراكبا ومشيا ماذا يشتره وغيابه إن صلى أن تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون علمها واجبا . فأقول من الواجب أن لا يصل الفل على نعت الفساد فالتعلم مع الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير تمام شروط الصلاة وأركانها رافع فله أن يتعلم ما يجزئه عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع في المخطوئ فلهذا بيان علم ما خفف عن السافر في سفره .

(القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر)

وهو علم القبلة والأوقات وذلك أيضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يخفيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعى الوقت فيفنيه عن طلب علم الوقت والمسافر قد تشبه عليه القبلة وقد يتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بأدلة القبلة والمواثيق أما أدلة القبلة فهي ثلاثة أقسام : أرضية كالاستدلال بالجلال والقرى والأنهار وهوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودورها وصماوية وهي النجوم فأما الأرضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على عين المستقبل أو أماله أو ورائه أو قدماه فليعلم ذلك وليفهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولنا نقد على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر وأما السماوية فأدلتها تنقسم إلى نهارية وإلى ليلية أما النهارية فالشمس فلا بد أن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه أي بين المجابين أو على العين اليمنى أو اليسرى أو غير ذلك إلى الجبين ميلا أكثر من ذلك فإن الشمس لاتعدو في البلاد الشالية هذه الواقع فإذا حفظ ذلك فهمما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة وهذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه وأما القبلة وقت المغرب فانها تترك موضع التروب وذلك بأن يحفظ أن الشمس تقرب عن عين المستقبل أو هي مائلة إلى وجهه أو قفاه وبالشفق أيضا عرف القبلة للعشاء الأخيرة وبشرق الشمس تعرف القبلة .

بأشياء من غير غلبة قال عبد الله بن عروة ابن الزبير قلت لجديك أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما وصفهم الله تعالى تدعهم أينهم وتتشعر جلودهم قال قلت إن ناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خروا أحدهم منشا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وروى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرَّ برجل من أهل العراق ينساقط قال ما هذا ؟ قالوا إنه إذا قرئ عليه القرآن سقط فقال ابن عمر رضي الله عنهما إنا لنخشى الله وما نسقط إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما هكذا كان يصنع

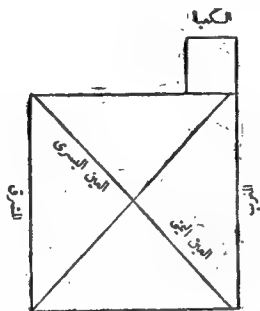
لصلاة الصبح فكان الشمس تدل على القبلة في الصلوات الحسنة ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصف
فان للشارق والغارب كثيرة وإن كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك أيضا ولكن قد يصل
الغرب والشاء بعد غيوبة الشفق فلا يمكن أن يستدل على القبلة به فعليه أن يراعى موضع القطب
وهو الكوكب الذي يقال له الجدى فانه كوكب كاثبات لا تظهر حركته عن موضعه وذلك إما أن
يكون على قفا المستقبل أو على منكب الأيمن من ظهره أو منكب الأيسر في البلاد الشمالية من مكة
وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فيتعلم ذلك وما عرفه في بلده فليعمل
عليه في الطريق كله إلا إذ طال السفر فان للسافة إذا بدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب
وموقع للشارق والغارب إلا أن ينتهي في أثناء سفره إلى بلاد فينبى أن يسأل أهل البصرة
أو راقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البصرة حتى يتضح له ذلك فهما تعلم هذه الأدلة
فهو أن يسأل عليها فان بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبى
أن يقضى وإن اعرف عن حقيقة عاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد أورد
الفقهاء خلافا في أن للطلوب جهة الكعبة أو عنها وأشكل معنى ذلك على قوم إذ قالوا إن قلنا إن
للطلوب العين فمى تصور هذا مع بعد الديار وإن قلنا إن للطلوب الجهة فالواقف في المسجد إن
استقبل جهة الكعبة وهو خارج يبدنه عن موازاة الكعبة لاختلاف في أنه لا تصح صلاته وقد
طولوا في تأويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولا بد أولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة
فمعنى مقابلة العين أن يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عيني إلى جدار الكعبة لاقص
به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته واحط الخارج من موقف للصلى
يقدر أنه خارج من بين عيني فهذه صورة مقابلة العين :



وأما مقابلة الجهة فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارجى من بين العينين إلى الكعبة من غير أن
يتساوى الزاويتان عن جهتي الخط بل لا يتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هي
واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط من بينها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين
أصغر فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كخطا الذى كتبنا عليه مقابلة الجهة
فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لاليتها وحد تلك الجهة
ما يقع بين خطين يتوجههما الواقف مستقبلا لجهة خارجتين من العينين فيلتقي طرفاهما في داخل الرأس

أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم .
وذكر عند ابن سيرين
الذين يصرون إذا
قرئ القرآن فقال
بيننا وبينهم أن يقعد
واحد منهم على ظهر
بيت بإسقاط رجله ثم
يقرأ عليه القرآن من
أوله إلى آخره فان رضى
بنفسه فهو صادق وليس
هذا القول منهم
إنكارا على الإطلاق
إذ يتفق ذلك لبعض
الصادقين ولكن
للتصنع للتوهم في حق
الأكثرين قد يكون
ذلك من البعض تصنعا
ورياء ويكون من
البعض قصور علم
وعلماء جهل بمزاج
يهوى بل بأحدم يسير
من الوجد فيقبه
بزيادات جهل أن ذلك
يضر بدنه وقد
لا يجهل أن ذلك
من النفس ولكن
النفس تسترق السمع
استراقا خفيا تخرج
الوجد عن الحد الذى

بين العينين على زاوية قائمة فأتبع بين الخططين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخططين تتزايد بطول الخططين وبإلحاح عن الكعبة وهذه صورته :



الصلى

فإذا فهم معنى العين والجهة فأقول القديس بصر عندنا في القنوى أن المطلوب العين إن كانت الكعبة بما يمكن رؤيتها وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها في كفى استقبال الجهة . فأما مطلب العين عند الشاهدة فجميع عليه وأما الاكتفاء بالجهة عند منظر العائنة فبدلًا عليه الكتاب والسنة وفضل الصحابة رضي الله عنهم والقياس . أمال الكتاب قوله تعالى - وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره - أي نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولي وجهه شطرها . وأما السنة فما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل المدينة « ما بين القربى للشرق قبة (١) » والقربى يقع على عين أهل المدينة وللشرق على يسارهم فجعل رسول الله ﷺ جميع ما يقع بينهما قبة ومساحة الكعبة لاتفى ما بين للشرق وللغرب وإنما بنى بذلك جهتها ، وروى هذا اللفظ أيضًا عن عمر وابنه رضي الله عنهما . وأما فعل الصحابة رضي الله عنهم فما روى: أن أهل مسجد قباء كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبليين لبیت القدس مستدبرين الكعبة لأن المدينة بينهما ، قبل لهم الآن قد حوّلت القبلة إلى الكعبة فاستداروا في أثناء الصلاة من غير طلب دلالة (٢) ولم ينكر عليهم وصلى مسجد ذال قبلتين ومقابلة العين من المدينة إلى مكة لا تعرف إلا بأدلة هندسية بطول النظر فيها فكيف أدركوا ذلك على البديهة في أثناء الصلاة وفي ظلمة الليل ، وبدلًا أيضًا من فعلهم أنهم بنوا الساجد حوالى مكة وفي سائر بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسًا عند تسوية المحاريب ، ومقابلة العين لا تدرى إلا بدقيق النظر الهندسى . وأما القياس فهو أن الحاجة تسمى إلى الاستقبال وبناء الساجد في جميع أقطار الأرض ولا يمكن مقابلة العين إلا بطوم هندسية لم يرد التوسع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في عليها

(١) حديث ما بين للشرق وللغرب قبة الترمذى وصححه النسائى وقال منكر وابن ماجه من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن أهل قبا كانوا في صلاة الصبح مستقبليين لبیت القدس قبل لهم ألا إن القبلة قد حوّلت إلى الكعبة فاستداروا الحديث مسلم من حديث أنس واتفقا عليه من حديث ابن عمر مع اختلاف .

يلبني أن يقف عليه
وهذا يبين الصدق .
قل أن موسى عليه
السلام وعظ قومه
فشق رجل منهم قبعة
قيل لموسى عليه
السلام قل لصاحب
القبعة لا يشق قبعة
وشرح قلبه . وأما
إذا انضاف إلى الساجد
أن يسمع من أمره
قد توجهت الفتنة
وتبين على أهل الديانات
انكار ذلك . قال غيبة
ابن الوليد كانوا
يكروهون النظر إلى
القبلة الأمر الجليل .
وقال عطاء كل نظرة
يهواها القلب فلا خير
فيها وقال بعض التابعين
ما أنا أخوف على الشاب
التائب من السبع
الضاري خوفي عليه
من التلام الأمر بقعد
إليه . وقال بعض
التابعين أيضًا الوطية
على ثلاثة أصناف صنف
ينظرون وصنف
يصالحون وصنف
يعملون ذلك العمل

فكيف ينبنى أمر الشرع عليها فيجب الاكفاء بالجهة للضرورة . وأمادليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في أربع جهات قوله عليه السلام في آداب قضاء الحاجة « لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا » (١) وقال هذا بالمدينة والشرق على يسار المستقبل بها وللغرب على يمينه قسبي عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك أربع جهات ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض في ست أو سبع أو عشر وكيف كان فما حكم الباقي بل الجهات تثبت في الاعتقادات بناء على خلقه الانسان وليس له إلا أربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالإضافة إلى الانسان في ظاهر النظر أربعة والشرع لا يبنى إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم بأدلة القبلة فأما مقابلة العين فانها تعرف بعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو يدها عن أول عمارة في الشرق ثم يعرف ذلك أيضا في موقف الصلوة ثم يقابل أحدها بالآخر ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذا قدر القدر الذي لا يضمن تعلم من أدلة القبلة موقع الشرق والغرب في الزوال وموقع الشمس وقت الصلوة يسقط الوجوب . فان قلت فلو خرج للسافر من غير تعلم ذلك هل يصح . فأقول إن كان طريقه على قري متصلة فيها محارب أو كان معه في الطريق بصير بأدلة القبلة موقوف بعد الله وبصيرته ويقدر على تقليده فلا يصح وإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى لأنه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الأدلة واستهم عليه الأمر بشيئ مظلّم أو ترك التعلّم ولم يجد في الطريق من يقبله فليعلم أن يصلي في الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء أصاب أم أخطأ والأعمى ليس له إلا التقليد فليقلد من يوقف يدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهدا في القبلة وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتداد قول كل عدل بخبره بذلك في حضر أو سفر وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة حيث يحتاج إلى الاستدلال كالليس العامي أن يقم ببلدة ليس فيها قبة عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة إلى حيث يجد من يلمه دينه وكذا إن لم يكن في البلد إلا قبة فاسق فليعلم الهجرة أيضا إذ لا يجوز له اعتداد فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وإن كان معروفا بالفقه مستور الحال في العدالة والفقه فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن السافر في البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة الفقيه فان رآه لا بسا للحرير أو ما يغلب عليه الابريس أو راكبا لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام أو يأخذ منه إدارا أو صلة من غير أن يعلم أن الذي يأخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يندفع في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة . وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس فلا بد منها . فوقت الظهر يدخل بالزوال فان كل شخص لا بد أن يقع في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب للغرب ثم لا يزال ينقص إلى وقت الزوال ثم يأخذ في الزيادة في جهة للشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب فليقم للسافر في موضع أو ينصب عودا مستقيما وليعلم على رأس الظل ثم ينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر . وطريقه في معرفة ذلك أثبت ينظر في البلد وقت أذان للؤذن للتمدد ظل قامته فان كان مثلا ثلاثة أقدام بقدمه فيها صار كذلك في السفر وأخذ في الزيادة صلى فان زاد عليه ستة أقدام ونصفا بقدمه دخل وقت العصر إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف وإن كان أول الشتاء فينقص كل يوم وأحسن ما يعرف به ظل الزوال والليزان فليستصحبه السافر وليتلمذ اختلاف

(١) حديث لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا متفق عليه من حديث أبي أيوب.

قد تمعين على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات واتقاء مواضع التهم فان التصوف صدق كله وجد كله. يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخلطوه بجي من الهزل فهذه الآثار دلت على احتساب الساج وأخذ الحذر منه والباب الأول بما فيه دل على جوازه بصروحه وتزيهه عن السكره التي ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقا بين القصاص والفناء وغير ذلك . وكان جماعته من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا ينسكرون على من يسمع بنية حسنة وبراعى الأدب فيه .

[الباب الرابع]
والضرون في القول في الساج ترها واستغناء [اعلم أن الوجد يشعر بساقية قد دفن لم يقدر لم يجد وإنما كان القدر لمزاحة وجود البعد بوجود صفاته وبقيائه فلا تمنع عبدا

الظل به في كل وقت وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينيه مثلاً إن كانت كذلك في البلد . وأما وقت للغرب فيدخل بالغروب ولكن قد تحجب الجبال للغرب عنه فينبغي أن ينظر إلى جانب الشرق فهما ظهر سواد في الأفق مرتفع من الأرض قدر رمح قد تدخل وقت للغرب . وأما المساء فيعرف بغيوبة الشفق وهو الحمرة فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها فإن ذلك يكون بغيوبة الحمرة . وأما الصبح فيبدو في الأول مستطيلاً كذنب السحابة فلا يحكم به إلى أن ينقضي زمان ثم يظهر يابض متعرض لا يسر إدراكه بالعين لظهوره فهذا أول الوقت قال **ابن بطيئة** « ليس الصبح هكذا وجمع بين كفيه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبائقيه على الأخرى وقصهما (١) » وأشار به إلى أنه متعرض وقد يستدل عليه بالنازل وذلك تقريب لتحقيق فيه بل الاعتدال على مشاهدة انتشار البياض عرضاً لأن قوماً ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل وهذا خطأ لأن ذلك هو القعر الكاذب والذي ذكره المحققون أنه يقدم على الشمس بمنزلةين وهذا تقريب ولكن لا اعتدال عليه فإن بعض النازل تطلع متعرضة متحركة فيقصر زمان طلوعها وبضها متصلة فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافاً بطوله ذكره ثم تصلح للنازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبسده فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلةين أصلاً على الجملة فإذا ثبت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتبين أنه الصبح الكاذب وإذا بقي قريب من منزلةتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب وهو مبداً يظهر البياض وانتشاره قبل الساعة عرضة فمن وقت الشك يبغي أن يترك الصائم السجود ويقدم القيام الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى تنقضي مدة الشك فإذا تحقق صلى ولو أراد مزيد أن يقدّر على التحقيق وقتاً معينا يشرب فيه متسحراً ويقوم عقبه ويصلي الصبح متصلاً به لم يقدر على ذلك فليس معرفة ذلك في قوة البشر أصلاً بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتدال إلا على اليان ولا اعتدال في اليان إلا على أن يصير الضوء منتشراً في الأرض حتى تبدو مبادئ الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذي في جامعه بإسناده عن طلق بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع الصدع وكلوا واشربوا حتى يعرض لكم الأحمر (٢) » وهذا صريح في رعاية الحمرة قال أبو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وأبي ذرّة وصحرة بن جندب وهو حديث حسن غريب والعدل على هذا عند أهل العلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كلوا واشربوا مادام الضوء ساطعاً قال صاحب التريين أي مستطيلاً فإذا لا يبغي أن يحول إلا على ظهور الصفرة وكأنها مبادئ الحمرة وإنما يحتاج للسافر إلى معرفة الأوقات لأنه قديماً بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول أو قبل النوم حتى يستريح فإن وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتبين قد تسبح نفسه بغوات

(١) حديث ليس الصبح هكذا وجمع كفه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبائقيه على الأخرى وقصهما وأشار به إلى أنه متعرض ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح مختصر دون الإشارة بالكف والسبائيتين ولأحمد من حديث طلق بن علي : ليس القعر للسطيل في الأفق لكنه للمتعرض الأحمر وإسناده حسن (٢) حديث طلق بن علي كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع الصدع وكلوا واشربوا حتى يعرض لكم الأحمر قال للصف رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه وقال حسن غريب وهو كما ذكره وروده أبو داود أيضاً .

لتحصى حراً ومن
تعض حراً أفلت من
شرك الوجد فشرك
الوجد يصطاد القيا
ووجود القيا تخلف
شيء من السطيا . قال
الحصري رحمه الله
مأدود حال من يحتاج
إلى مزيج يزعمه
فالوجد بالسباع في حق
الحق كالوجد بالسباع
في حق البطل من حيث
النظر إلى انزعاجه
وتأثير الباطن به وظهور
أثره على الظاهر وتغييره
للبعد من حال إلى
حال وإنما يختلف الحال
بين الحق والبطل أن
البطل يجد لوجود
هو النفس والحق
يجد لوجود إرادة
القلب ولهذا قيل
السباع لا يحدث في
القلب شيئاً وإنما
يجرك مافي القلب فمن
متعلق بباطنه بغير الله
يجرك السباع فيجد
بالهوى ومن متعلق
باطنه بمحبة الله يجد
الإرادة إرادة القلب

فضيلة أول الوقت ويتجنب كلفة التزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استخفى عن تعلم علم الأوقات فان للشكل أوائل الأوقات لا أوساطها .

(كتاب آداب السماع والوجد)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أحرق قلوب أوليائه بنار محبته . واسترق قلوبهم وأرواحهم بالشوق إلى لقاء ومشاهدته . ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرة . حتى أصبحوا من نسيم روح الوصال سكرى . وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والجليلة جبرى . فلم يروا في الكونين شيئا سواه . ولم يذكروا في المدينين إلا إياه . إن منحت لأبصارهم صورة عبرت إلى الصور بصائرهم . وإن قرعت أسمعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم . وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق أو مبهج لم يكن إزعاجهم إلا إليه . ولا طربهم إلا به ولا قلقهم إلا عليه . ولا حزنهم إلا فيه ولا شوقهم إلا إلى مالهيه . ولا ابتعاضهم إلا به ولا تردد في إحواله . فنه سماعهم . وإليه استماعهم . قد أقلل عن غيره أبصارهم وأسمعهم . أولئك الذين استطاعوا الله لولايته . واستخلصهم من بين أصفياه وخاصته . والصلاة على محمد النبي وآله وأصحابه أئمة الحق وقادته . وسلم كثيرا .

[أمابد] فان القلوب والسرائر . خزان الأسرار ومعادن الجواهر . وقد طويت فيها جواهرها كطويت النار في الحديد والحجر . وأخفيت كأن خفي لاء تحت التراب والندى . ولا سبيل إلى استنارة خفاياها إلا بقوادح السماع . ولا منفذ إلى القلوب إلا من هذلي الأسماع . فالتفتت للوزونة المستلذة تخرج مافيا . وتظهر محاسنها أو مساوئها . فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه . كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه . فالسمع للقلب حكم صادق . وميزان ناطق . فلا يصل نفس السماع إليه . إلا وقد تحرك فيها ما هو القالب عليه . وإذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للأصحاء حتى أبدت بوارداتها مكانها . وكشفت بها عن مساوئها وأظهرت محاسنها . وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيها من الفوائد والآفات . وما يستحب فيها من الآداب والهيئات . وما يتطرق إليها من خلاف الطاء في أنهما من المغطورات أو للباحات . ونحن نوضح ذلك في بابين . الباب الأول : في إباحة السماع . الباب الثاني : في آداب السماع وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزرق وعزيق الثياب .

(الباب الأول في ذكر اختلاف الطاء في إباحة السماع وكشف الحق فيه)

(بيان أقاويل الطاء والتصوفة في تحليله وحرجه)

اعلم أن السماع هو أول الأمر وثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد وثمر الوجد تحريك الأطراف إما محرقة غير موزونة تقسمي الاضطراب وإما موزونة تقسمي التصفيق والرقص فليدأ بحكم السماع وهو الأول وتنقل فيه الأقاويل للربة عن للذهب فيه ثم تذكر الدليل على إباحته ثم تردفه بالجواب عما تمسكه به القائلون بصره . فأما نقل للذهب فقد حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألقاظا يستدل بها على أنهم رأوا محرجه وقال الشافعي رحمه الله

(كتاب السماع والوجد)

(الباب الأول في ذكر اختلاف الطاء في إباحته)

فالمبطل محبوب
بجواب النفس والمحق
محبوب بحجاب القلب
وحجاب النفس حجاب
أرضي ظماني وحجاب
القلب حجاب حماوى
توراني ومن لم يفقد
بدولم التحق بالشهود
ولا يتعثر بأذيال الوجود
فلا يسمع ولا يجد
ومن هذه اللطافة قال
بضم الوجد نادم
كلني لا ينفذ في قول
ومر عشاء الدينوري
رحمه الله يقوم فهم
قوال قلنا رأوه
أمسكوا فقال أرجعوا
إلى ما كنتم فيه فوالله
لوجعت ملاهي الدنيا
في أذن ما شغل همي ولا
شغى بضم ما في الوجد
صراخ الروح المثل
بالنفس تارة في حق
للبطل وبالقلم تارة
في حق الحق فتأثر
الوجد الروح الروحاني
في حق الحق والبطل
ويكون الوجد تارة
من فهم الملقى يظهر
وتارة من مجرد التناقل

في كتاب آداب القضاء إن التناء لم يكره يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي أبو الطيب استناعه من المرأة التي ليست بحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال سواء كانت مكتوبة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعي رضي الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فبوسفيته ترد شهادته وقال وحكي عن الشافعي أنه كان يكره الملقطة بالقتيب ويقول وضحه الزنادقة ليشتموا به عن القرآن وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللب بالرد أكثرهما يكره اللب يعني من اللامع ولا أحب اللب بالشرطج وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللب ليس من صنعة أهل الدين ولا للروعة . وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن التناء وقال إذا اشترى جارية فوجدها منفية كان له ردها وهو منهب سائر أهل المدينة إلا لإبراهيم ابن سعد وحده . وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع التناء من القنوب وكذلك سائر أهل الكوفة : سفيان الثوري وحماد وإبراهيم والشعي وغيرهم . فهذا كله قله القاضي أبو الطيب الطبري ونقل أبو طالب الكشي إباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير ولثيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وثامي وإحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام للمدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواطنين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأذكرنا أبا امرئ القاسم في جوار يسمعون الناس التلحين قد أعدهم للصوفية قال وكان لطاء جاريين يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما قال وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجليل وسري السقطي وذو النون يستمعون قال وكيف أنكر السماع وقد أجازوه وصحبه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكره الطبري واللب في السماع وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال قد نأثرت ثلاثة أشياء لما تراها ولا تراها تزداد إلا فلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الصيانة وحسن الإخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا حكيا بينه عن الحرث المحاسي وفيه ما يدل على تجوز السماع مع زهده وتصاونه وجهه في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيه سماع وحكي غير واحد أنه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرهم خفض صماخ فجعل ابن مجاهد معرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على منهب أبي قال أبو القاسم ابن بنت منيع أماجدي أحمد ابن بنت منيع لحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الحارث فقال ابن مجاهد لابن داود دعني أنت من أليك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أو حرام فقال ابن داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فان أنشده وطوله وقصر منه المدود ومد منه القصور أبحرم عليه قال أنا لم أقول لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين قال وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع وصف فيه كتابا ورد فيه على منكره وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكره . وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا الباس الحضر عليه السلام قتلته ماتحول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصغر الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدم العلماء . وحكي عن حماد الدينوري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم قتلته يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لم يفتحنون قلبه بالقرآن ويغثون بصد بالقرآن . وحكي عن طاهر بن بلال

والألحان لما كان من قيل للماني تشارك النفس الروح في السماع في حق للبطل ويشارك القلب في حق الحق وما كان من قبيل مجرد الثفات تجرد الروح للسمع ولكن في حق للبطل تسترق النفس السمع وفي حق الحق يسترق القلب السمع ووجه استقذاذ الروح الثفات أن العالم الروحاني يجمع الحسن والجلال ووجود التناسب في الأكوام مستحسن قولاً وفعلًا ووجود التناسب في الهياكل والصور ميراث الروحانية فحق سمع الروح الثفات اللذيذة والألحان التناسبية تؤثر لوجود الجنسية ثم يتبدد ذلك بالشرع بمصالح عالم المحكمات ورعاية الحدود للبعد عين للصحة عاجلا وأجلا . ووجه آخر إنما يستدل الروح الثفات لأن الثفات بها

الحمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فأنكرت ذلك بقلي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاله هذا حق محق أو قال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجندب نزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند اللذكرة لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجود ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخس في السماع قيل له أن يؤتى يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبه بالغو وقال الله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم - هذا ما نقل من الأقاويل ومن طلب الحق في التقليد فلهما استقصى فمارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا إلى بعض الأقاويل بالمشي وكل ذلك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدرك الخطر والاباحة كما سنذكره.

(بيان الدليل على إباحة السماع)

اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس على النصوص وأغنى بالنص ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله أوفضله والقياس المعنى للمفهوم من أفاضله وأما هل فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لأخرج فيه كسائر المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس وينضج ذلك في جوابنا عن أدلة المالئين إلى التحريم ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا في إثبات هذا الفرض لكن نستفتح وقول قد دل النص والقياس جميعا على إباحته . أما القياس فهو أن الفناء اجتمعت فيه معان ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى اللوزون وغيره وللوزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلهذه حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به ولانسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذذة النظر في البصريات الجلية كالخضرة واللآلئ الجارية والوجه الحسن والجلمة سائر الألوان الجلية وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرية السيئة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأتبان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كاللوسمة والخلوة والخوضه وهي في مقابلة الرارة المستبشعة وللسنة اللين والنعمه والملاسه وهي في مقابلة الخشونة والضراصة وللعقل لغة العلم واللغة وهي في مقابلة الجهل والبلاهة فكذلك الأصوات للمدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنبق الحجر وغيرها فما أظهر قياس هذه الحاسة ولقتها على سائر الحواس ولقتها . وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به إذ قال - يزيد في الخلق ما يشاء - قيل هو الصوت الحسن وفي الحديث « ما حب الله نبيا إلا حسن الصوت (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشد أذنا لرجل

نطق النفس مع الروح بالإيمان الحق إشارة ورمزا بين للتعاشقين وبين النفوس والأرواح تعاشق أصل ينزع ذلك إلى أنوثة النفس وذكرورة الروح والليل والتعاشق بين الله كرم والأثنى بالطبيعة واقع قال الله تعالى - وجعل منها زوجها ليسكن إليها - وفي قوله سبحانه منها إشعار بتلازم وتلاصق موجب للاتلاف والتعاشق والنفات يستلذها الروح لأنها منافاة بين للتعاشقين وكما أن في عالم الحكمة كومت حواء من آدم في عالم القدرة كومت النفس من الروح الروحاني فهذا التألف من هذا الأصل وذلك أن النفس روح حيواني تجنسى بالقرب من الروح الروحاني وتجنسها بأن امتازت من أرواح جنس الحيوان جبرف

(١) حديث ما حب الله نبيا إلا حسن الصوت الترمذي في الشامل عن قتادة وزاد قوله وكان نبيك

الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته (١) « وفي الحديث في معرض للدخ له اود عليه السلام » أنه كان حسن الصوت في النباح على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجمع الناس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يعمل في مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب منها في الأوقات (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى زممارا من زمامر آل داود (٣) » وقول الله تعالى - إن أنكر الأصوات لصوت الحجر - يدل بفهمه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال إنما أيسح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمر أن يحرم سماع صوت الضليل لأنه ليس من القرآن وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة واللغوي الصحيحة وإن من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث إنه طيب حسن . البرجة الثانية النظر في الصوت الطيب الموزون فإن الوزن وراء الحسن فكيف من صوت حسن خارج عن الوزن وكمن صوت موزون غير مستطاب والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فإما أن تخرج من جدار كهوت الزمير والأوتار وضرب القضيب والطنبل وغيره وإما أن تخرج من حجرة حيوان وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كهوت الغنادل والقهارى وذات السجج من الطيور فهي مع طيرها موزونة متناسبة للطالع والقاطع فذلك يستدل سماعها والأصل في الأصوات حناجر الحيوانات وإما وضعت للزمير على أصوات الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الخلقة التي استأنز الله تعالى باختراعها فنه تعلم الصانع وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك بطول فبلغ هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذهاب إلى تحريم صوت الضليل وسائر الطيور ولا فرق بين حجرة وحجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي أن يقاس على صوت الضليل الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الأذى كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطنبل والدف وغيره ولا يستثنى من هذه إلا للالهى والأوتار والزمير التي ورد الشرع بالمتنع منها (٤) لا لقلتها إذ لو كان للقة قيس عليها كل ما يلذ به الإنسان ولكن حرمت الخمر واقتضت ضراوة الناس بها للبالغة في الطعام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان غرم معها ما هو شمار أهل الشرب وهي الأوتار والزمير فقط وكان تحريمها من

حسن الوجه حسن الصوت وروياه متصلا في الفيلايات من رواية قتادة عن أنس والصواب الأول قاله البارقي ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن أبي طالب وطرقه كلها ضعيفة (١) حديث لله أشد أثرا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته تقدم في كتاب تلاوة القرآن (٢) حديث كان داود حسن الصوت في النباح على نفسه وفي تلاوة الزبور الحديث لم أجده له أصلا (٣) حديث لقد أوتي زممارا من زمامر آل داود قاله في مدح أبي موسى تقدم في تلاوة القرآن (٤) حديث للنع من للالهى والأوتار والزمير البخارى من حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ليكونن في أمي أقوام يستحلون الحرّ والحريم وللعازف صورته عند البخارى صورة التليق ولذلك ضعفه ابن حزم ورواه أبو داود والاسماعيلي . وللعازف لله الجوهري ولأحمد من حديث أبي أمامة إن الله أمرني أن أعطي الزمير والكباريات يعني الرباط وللعازف وله من حديث قيس بن سعد بن عباد إن ربي حرم على الحر والكوبة والتين وله في حديث لأبي أمامة باستحلاله الخمر وضربهم بالدفوف وكلها ضعيفة ولأبي الشيخ من حديث مكحول مرسل الاستماع إلى للهى مصيبة الحديث ولأبي داود من حديث ابن عمر مع زممارا فوضع أصبعه على أذنيه قال أبو داود وهو منكرو .

القرب من الروح
الروحاني فصار نفسا
فإذا تسمى النفس من
الروح الروحاني في عالم
القدرة كنعون
حواء من آدم في عالم
الحكمة فهذا التألف
والتماسق ونسبة
الأرومة والذكورة من
هنا ظهر وبهذا
الطريق استطابت
الروح النفث لأنها
مراسلات بين
التماسقين ومكاملة
بينهما وقد قال القائل :
تسكن منا في الوجود
عيونا
فنحن سكوت والهوى
يتكلم
فإذا استلذت الروح النعمة
وجدت النفس الملوثة
بالهوى وتحرك بما
فيها لحدوث العارض
ووجد القلب الملوث
بالارادة وتحرك بما فيه
لوجود العارض في
الروح :
شربنا وأهرقنا على
الأرض جرة
وللأرض من كأس
السكرام نصيب

قبل الاتباع كحرمت الخلو بالأنجية لأنها مقدمة الجماع وحرم النظر إلى الفخذ لاصاله والسواكين وحرم قليل الحجر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر ومان حرام إلا وله حرم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حرمة ليكون حرم للحرام ووقاية له وحظا ما حوله كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لكل ملك حرمي وإن حرمي الله حارمه » (١) فهي حرمة تبعا لتحريم الحجر ثلاث علل : إحداهما أنها تدعو إلى شرب الحجر فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالحجر وتلك هذه العلة حرم قليل الحجر . الثانية أنها في حق قريب العهد يشرب الحجر تذكر كجالس الأُنس بالشرب فهي سبب التذكر والتذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق إذا قوى فهو سبب الإقدام ولهذا العلة « نهى عن الابتذال في الزفت والحتم والتغير » (٢) وهي الأوَانِي التي كانت عضوية بها فنهى هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تغلق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة في التذكر إذ اللذة في رؤيتها التقنية وأواني الشرب لكن من حيث التذكر بها فإن كان الصانع يذكر الشرب تذكره يشوق إلى الحجر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهي عن الصانع بخصوص هذه العلة فيه . الثالثة الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل القسق فيمنع من التشبه بهم لأن من تشبه بهم فهو منهم وبهذه العلة تقول بترك السنة مهما صارت شمارة لأهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب السكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المختلين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحبيب والفرز وبهذه العلة قول لواجتمع جماعة وزنوا وجلسوا وأضربوا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكتين ونصبوا ساقي يدور عليهم ويسقيهم فأخذون من الساق وشربون ويحيي بعضهم بضأ بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان للشرب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل القساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الرأس قرعا في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل القساد ولا ينهى عن ذلك في بلاد وراء النهر لاعتدائهم أهل الصلاح ذلك فهم فيه هذه المأني حرم للزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والربط وغيرها ومعها ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحبيب وشاهين الطبايين وكالطبل والتغيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يتأده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالحجر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأهلها فلم يكن في معناها فبقى على أصل الابعدة قياسا على أصوات الطيور وغيرها بل أقول صانع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مسئلة حرام أيضا وبهذا يتبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيات كلها إلا ما في تحليله فساد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - فهذه الأصوات لا تحرم من حيث إنها أصوات موزونة وإنما تحرم بعارض آخر كما سيأتي في المواضع المحرمة . الدرجة الثالثة : للوزون والقهوم وهو الشرم وذلك لا يخرج إلا من حجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه مازاد إلا كونه مفهوما والسلام القهوم غير حرام والصوت الطيب للوزون غير حرام فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فإن كان فيه أمر محظور حرم ثمره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بالألحان أو لم يكن والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله إذ قال الشرع كلام فنهى حسن وقيحه قبيح ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز إنشاده مع الألحان فإن أفراد الباحث إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا

ففسد للبطل أرض لباء قلبه وقلب الحق أرض لباء روحه فالبالغ مبلغ الرجال وللتجوهر التجرد من أعراض الأحوال خلع نعل النفس والقلب بالوادي المقدس وفي مقعد صدق عند ملك مقتدر استقر وعرس وأحرق بنور الصبان أجرام الألحان ولم تصغ روحه إلى منافاة عاشقه لشغله بعطالة آثار محبوه فالهائم للشقاق لاسمه كشف قلامة الشقاق ومن هذا حاله لا يحركه الصانع رأسا وإذا كانت الألحان لا تلحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها وحق لطيف منافاتها كيف يلحظه الصانع بطريق فهم اللاني وهو أكتف ومن يضعف عن حمل لطيف الاشارات كيف يتحمل قسمل أعياء الصارات وأقرب من هذا عبارة تقرب إلى

(١) حديث إن لكل ملك حرمي وإن حرمي الله حارمه تخدم في كتاب الحلال والحرام .

(٢) حديث النبي عن الابتذال في الحتم والزفت والتغير متفق عليه من حديث ابن عباس .

ومهما انضم مباح لمعزم إلا إذا تضمن المجموع عظورا لا تضمنه الأحاد ولا محذور ههنا وكيف
يشكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقال عليه السلام « إن
من الشعر لحكمة (٢) » وأنشدت عائشة رضي الله عنها :

ذهب الدين يمشي في أكنافهم وحبيت في خلف كجلد الأجر

وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
للمدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما وكان بها وباء قتل يا أبت كيف تجددك وبإبل كيف
تجدك ؟ فسكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصيب في أهله ولوت أدنى من شركائه

وكان بلال إذا أفلتت عنه الحمى يرفع عقبرته ويقول :

ألا ليت شعري هل آتيت لية بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة رضي الله عنها فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم حب إلينا
للمدينة كحبنا مكة أو أشد (٣) » وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء للسجد
وهو يقول :

هذا الحمال لأحamal خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار وللهاجرة (٤)

(١) حديث إنشاد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة
أن عمر بن الخطاب وهو ينشد الشعر في السجد لفظت إليه فقال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك
الحديث ، وسلم من حديث عائشة إنشاد حيوان :

هيجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء القصيدة

وإنشاد حسان أيضا :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت عزموم ووالهاك اليد

وللبخاري إنشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يسلمو كتابه إذا انتق معروف من القجر ساطع الأيات

(٢) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب وتقدم في السلم

(٣) حديث عائشة في الصحيحين لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة وعك أبو بكر وبلال

الحديث وفيه إنشاد أبي بكر :

كل امرئ مصيب في أهله ولوت أدنى من شركائه

وإنشاد بلال : ألا ليت شعري هل آتيت لية بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قلت : هو في الصحيحين كأذكر الصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخاري قسط ليس عند

مسلم (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء للسجد وهو يقول :

هذا الحمال لأحamal خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار وللهاجرة

الأنفهام : الوجود

يرد من الحق سبحانه

وتعالى ومن يريد الله

لا يفتن بما من عند الله

ومن صار في محل القرب

متحقيقا لآلهيه ولا

يحركه ما ورد من عند

الله فالوارد من عند

الله مشعر يبعد

والقرب واجد في

يصنع بالوارد والوجد

نار والقلب للواجد

ربه نور والنور اللطيف

من النار والكثير

غير مسطر على

اللطيف فإدام الرجل

البالغ مستمرا على

جهاد استقامته غير

منحرف عن وجهه

معهوده بنوازع

وجوده لا يدركه الوجد

بالسمع فان دخل عليه

قور أوعاقه تصور

بدخول الابتلاء عليه

من البلى الحسن تألفه

الحسن من تافريق صور

الابتلاء أي يدخل

عليه وجود يدركه

الواجد لمود البعد

عند ابتلاء إلى حجابيه

وهذه في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم « يضع لسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً
يخاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافع ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله
يؤيد حسان بروح القدس ما نافع أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) » ولما أنشده النابتة
شعره قاله صلى الله عليه وسلم « لا يفضض الله^(٢) » وقالت عائشة رضي الله عنها « كان أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون عنده الأشعار وهو يتبسم^(٣) » وعن عمرو بن الشريد عن
أبيه قال « أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك
يقول هيه هيه ثم قال إن كاد في شعره ليسلم^(٤) » وعن أنس رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يحدي في السفر وإن أمجشة كان يحجو بالنساء والبراء بن مالك كان يحجو بالرجال فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا أمجشة رويدك سوقك بالقوارير^(٥) » ولم يزل الحداة وراء الجمال من عادة
العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدى
بأسوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك
تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز أن يجرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى

قال الصنف والبيان في الصحيحين . قلت البيت الأول انفراد به البخاري في قصة الهجره من رواية
عروة مرسلا وفيه البيت الثاني أيضا إلا أنه قال الأجر بدل العيش تثل بشر رجل من المسلمين
لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يلقنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تثل بيت شعر تام
غير هذا البيت والبيت الثاني في الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه
وسلم معهم يقولون :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فافصر الأنصار وللهاجرة

وليس البيت الثاني موزونا وفي الصحيحين أيضا أنه قال في حفر الخندق بلفظ : فبارك في الأنصار
والهاجرة . وفي رواية فاغفروني رواية لمسلم فأكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للهاجرين
والأنصار (١) حديث كان يضع لسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يخاخر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أو ينافع الحديث البخاري تليقا وأبو داود والترمذي والحاكم متصل من حديث عائشة قال
الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الإسناد وفي الصحيحين أنها قالت إنه كان ينافع عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أنه قال لنا بئنا ما أنشد شعرا لا يفضض الله فاك البغوي في معجم الصحابة
وابن عبد البر في الاستيعاب بإسناد ضعيف من حديث النابتة واسمه قيس بن عبد الله قال أنشدت النبي ﷺ :
بلقنا الساء مجدنا وجدودنا وإننا لرجو فوق ذلك مظهرا الأبيات

ورواه البراء بلفظ : علونا الباء عفة وتسكروا . الأبيات وفيه قال أحسن يا أبا ليلى لا يفضض
الله فاك وللحاكم من حديث خزيمة بن أوس سمعت العباس يقول يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك
فقال قل لا يفضض الله فاك قال العباس :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يحصف الورق الأبيات
(٣) حديث عائشة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يتبسم
الترمذي من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة (٤) حديث الشريد أنشدت
النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه
رواه مسلم (٥) حديث أنس كان يحدي في السفر وإن أمجشة كان يحجو بالنساء وكان البراء بن مالك
يحجو بالرجال الحديث أبو داود الطيالسي واتفق الشيخان منه على قصة أمجشة دون ذكر البراء بن مالك

القلب فن هومع الحق
إذا زل وقع على القلب
ومن هومع القلب إذا
زل وقع على النفس
سمعت بعض مشايخنا
يخبرني عن بعضهم أنه
وجد من السماع قبيل
له ابن حاله من هذا
فقال دخل على داخل
أوردني هذا المورد .
قال بعض أصحاب سهل
صحبته سهلا سنين
ما رأيت فيه غير عند
شيء كان يسمعه من
الذكر والقرآن فلما
كان في آخر عمره قرئ
عنده فاليوم لا يؤخذ
عنكم فدية - فارمد
وكاد يسقط فستأثرك عن
ذلك قال نعم لحقني
ضعف وجمع مرقس الملك
يومئذ الحاق لم يرحم -
فاضطرب فساء ابن سالم
وكان صاحبه قال قد
ضغنت قبيل له إن
كان هذا من الضعف
لها القوة قال القوة
أن الكامل لا يرد
عليه وارد إلا

بأصوات طيبة وألحان موزونة . الدرجة الرابعة : انظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فأقول قد تعالى سر في مناسبة النغمة الموزونة للأرواح حتى إنها تؤثر فيها تأثيراً عجيباً فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما يندم ومنها ما يضحك ويضطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس واليدين أن يظن أن ذلك لهم معنى الشعر بل هذا جار في الأوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو قاصد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لهم للحن وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده فانه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يكره إلى الأصناف إلى ما يجمع له طبعه يتأثر بالحداد تأثراً يستغنى عنه الأحمال الثقيلة ويستعصر لقوة نشاطه في سماعه للملحاة الطويلة ويثبت فيه من النشاط ما يكره ويؤلمه فتراها إذا طالت عليها البوايا واعتراها الإعياء والكلال تحت الحامل والأحمال إذا سمعت منادى الحداد تحمد أعناقها وتضنى إلى الحادي ناصبة أذناها وتسرع في سيرها حتى تزهرع عليها أحمالها وعاملها وربما تلفت نفسها من هدة السير وتقل الجمل وهي لا تشعر لنشاطها قد حكي أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقبي رضي الله عنه قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضائق رجل منهم وأدخلني خبائه فرأيت في الحياء عبداً أسود مقيدا بقيد ورأيت جمالا قد مات بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو نازل ذابل كأنه يزع روحه فقال لي الذي لم أنت ضيف ولا حق فقتنع في إلى مولاي فانه مكرم لضيئه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر فضاء محل القيد عني قال فلما أحضروا الطعام امتنت وقلت لا أكل ما لم أشفع في هذا العبد فقال إن هذا العبد قد أفرق وأهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال إن له صوتا طيبا وإني كنت أعيش من ظهور هذه الأعمال خفيها أحمالا تقالا وكان يمدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نعمته فلما حطت أحمالي مات كلها إلا هذا الجمل الواحد ولكن أنت ضيف فسكرتمك قد وجهته ك قال فأجبت أن أسمع صوته فلما أصبحت أمره أن يمدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك فمارف صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقت أنا على وجهي لما أظن أني سمعت قطصوتا طيبا فاذن تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلط الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمة الموزونة ولذلك كانت الطيور تنقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يحزن إن يحرك فيه مطلقا بإباحة ولا يحزن بل بخلاف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمة فحكمه حكم ما في القلب قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالنغم بالسكيات للنسجة الموزونة معناني مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع . الأول : غناء الحبيب قائم ولا يلدورون في البلاد بالطليل والشاهين والغناء وذلك مباح لأنها أشعار نطقت في وصف السكينة والطمأنينة والمزمع وسائر الشاعر ووصف البادية وغيرها وأثر ذلك يوجب الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتغال نيرانه إن كان ثم شوق حاصل أو استئارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصل وإذا كان الحنجرة قريبة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسمع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والشاعر ووصف الثواب عليه جاز لنغمه ذلك على نظم الشعر فإن الإذن إذا انضاف إلى التمتع صار الكلام أوقع في القلب فلذا أنصف إليه صوت طيب ونغمة موزونة زاد وقصه فإن أنصف إليه الطليل والشاهين وحركات الإقاع زاد التأثير وكل ذلك جائز ما لم

يبتلعه بقوة حاله فلا
يسيره الوارد . ومن
هذا القبيل قول أبي بكر
رضي الله عنه هكذا
كما حتى قست القلوب
لما رأى الباكي يسكن
عند قراءة القرآن
وقوله قست أي تصبغت
وأمنت صمغ القرآن
وألفت أنواره فما
استغرته حتى تغير
والواجد كالمتغرب
ولهذا قال بعضهم حالي
قبل الصلاة كحالي في
الصلاة إشارة منه إلى
استمرار حال الشهود
في كذا في السماع كقبل
السماع . وقد قاله
الجليد لا يضر نقصان
الوجد مع فضل العلم
وفضل العلم أتم من فضل
الوجد . وبلغنا عن
الشيخ حماد رحمه الله
أنه كان يقول البكاء
من بقية الوجود وكل
هذا جرب البعض من
البعض في اللغي لمن
عرف الإشارة فيه وفهم
وهو عزيز القيم عزيز
الوجود . واعلم أن

يدخل فيه الزايم والأوتار التي هي من شمار الأثرار ، نعم إن قصده تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالقدي سقط القرص عن نفسه ولم يأذنه أبواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه إلى الحج بالسباع وبكل كلام يشوق إلى الخروج فإن التشويق إلى الحرام حرام وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الملاك غالباً لم يجر تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق . الثاني : ما يتاحه الفزاة لتجريض الناس على الفزو وذلك أيضاً مباح كالسباحة ولكن ينبغي أن تخالف أفعالهم وطرق أفعالهم أفعال الحاج وطرق أفعالهم لأن استتار داعية الفزو بالتشجيع وتحريك القلوب والتضيق فيه على السكفار ومحسين الصنعة واستحضار النفس والبال بالإضافة إليه بالأشعار المشعة مثل قول المتنبي :

فإن لا تحت تحت السيوف مكرماً تحت وتقاتل الدل غير مكرم

وقوله أيضاً :

يرى الجبناء أن الجبين حزم وتلك خدعة الطبع الشيم
وأمثال ذلك وطرق الأوزان للشجعة تخالف الطرق للتوبة وهذا أيضاً مباح في وقت مباح فيه الفزو
ومندوب إليه في وقت يستحب فيه الفزو ولكن في حق من يجوز له الخروج إلى الفزو . الثالث : الرجزات
التي يستعملها الشجعان في وقت الفداء والترض منها التشجيع للنفس وللاصر وتحريك النشاط فيهم
للقات وفيه التحميد بالشجاعة والتجدة وذلك إذا كان بنظر رشيق وصوت طيب كان أوقع في النفس
وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين وأهل الذمة
وكل قتال محظور لأن تحريك السواحي إلى المظهور محظور وذلك منقول عن شجعان الصنعة رضى الله
عنه كلى وخالفه رضى الله عنهما وفيهما ولذلك قول ينبغي أن يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر
الفزاة فإن صوته مرقع يحزن بحال عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن
ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب فالألحان المرققة المحزنة تبين
الألحان المحركة للشجعة فمن فعل ذلك على قصد تنيير القلوب وتفتير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص
ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو ذلك مطيع . الرابع : أصوات النباحة وتمايها
وتأثيرها في تهيج الحزن والبكاء وملازمة السكابة والحزن تبيان : محمود ومذموم فأما المذموم
فالحزن على مفات قال الله تعالى - لكيلا تأسوا على مفاتكم - والحزن على الأموات من هذا
القبيل فإنه تسخط قضاء الله تعالى وتأسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموماً تحريكه
بالتباينة مذموماً فقلنا ورد التي الصريح عن النباحة (١) وأما الحزن المحمود فهو حزن الإنسان
على قصيره في أمر دينه ، وبكائه على خطايا ، وبكائه والتباكي والحزن والتحازن على ذلك محمود
وعليه بكاء آدم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتكوينه محمود لأنه يثبت على التمسك
للتدارك ولذلك كانت نباحة داود عليه السلام محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء
بسبب الخطايا والذنوب فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي ويحزن حتى كانت الجنائر ترفع من
جبال نباحته وكان يعمل ذلك بألفاظه وألحانه وذلك محمود لأن النفس إلى الحمود محمود وعلى
هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن يتعدى إلى اللبر بألحانه الأشعار المحزنة المرققة للقلب
ولأن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى تبيحة فيه وإثارة حزنه . الخامس : السباع في أوقات
السرور تأكيد السرور وتهيجها له وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحاً كالثناء في أيام العيد

للباكين . عند السباع
مواجيد مختلفة فهم
من يبكي خوفاً ومنهم
من يبكي شوقاً ومنهم
من يبكي فرحاً كالأقوال
الغائل :

طبع السرور على حق إنى
من عظم ما قد سرى بكاني
قال الشيخ أبو بكر
الكتاني رحمه الله
سماع العوام على
متابعة الطبع وسماع
للربدين رغبة ورهبة
وسماع الأولياء رؤية
الآلاء والنعماء وسماع
العارفين على المشاهدة
وسماع أهل الحقيقة على
الكشف والبيان
ولكل واحد من
هؤلاء مصدر ومقام .
وقال أيضاً للوارد ترد
تصادف شكلاً أو
مواقفاً وإيراد صاف
شكلاً مازجه وأى
وارد صاف موقفاً
ساكنه وهذه كلها
مواجيد أهل السباع
وما ذكرناه حال من

(١) حديث النبي عن النباحة منق عليه من حديث أم عليه أخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم في البيعة أن لا تنوح .

وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به ووجه جوازه أن من الألمان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فهذا إظهار السرور لقدومه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود فإظهاره بالشعر والنشبات والرقص والحركات أيضا محمود فقد قل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم جعلوا في سرور أصابعهم (٣) كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من أسباب السرور ويدل على هذا ما روى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن يردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأله » (٤) فأقروا وقد الجارية الحديثة السن الحريصة على الله بإشارة إلى طول مدة وقوفها. وروى

البخاري ومسلم أيضا في صحيحهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها « أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جارتان في أيام من تدفنان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متش بشوبه فاتهرها أبو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فاتها أيام عيد » وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن يردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلبون في المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمنا يا بني أرفدة » (٥) يعني من الأمن ومن حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه قتيان وتضربان (٦) وفي حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقوم على باب حجرتي والحبشة يلبون بمحارهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترن بشوبه أو بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجل حتى أكون أنا الذي أنصرف » (٧) :

(١) حديث إنشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

البقي في دلائل النبوة من حديث عائشة معضلا وليس فيه ذكر للدف والألحان (٢) حديث جعل جماعة من الصحابة في سرور أصابعهم أبو داود من حديث علي وسيأتي في الباب الثاني (٣) حديث عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترن يردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلبون في المسجد الحديث هو كما ذكره للصف أيضا في الصحيحين لكن قوله إنه فيما من رواية عقيل عن الزهري ليس كما ذكر لي هو عند البخاري كما ذكر وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عن ابن شهاب (٤) حديث عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن بشوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلبون في المسجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمنا يا بني أرفدة تقدم قبله حديث دون زجر عمر لم إلى آخره فرواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أمنا يا بني أرفدة بل قال دعهم يا عمر زاد النسائي فأما م بنو أرفدة ولها من حديث عائشة دونك يا بني أرفدة وقد ذكره الصف بعد هذا (٥) حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه غيخان ويضربان رواه مسلم وهو عند البخاري من رواية الأوزاعي عن ابن شهاب (٦) حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلبون بمحارهم الحديث رواه مسلم أيضا .

ارتفع عن السباع وهذا الاختلاف منزل على اختلاف أقسام البكاء التي ذكرناها من الحروف والشوق والفرح وأعلامها بكاء الفرح بشابة قادم يشتم على أهله بسد طول غربته ففسد رؤية الأهل يسكن من قوة الفرح وكثرة وفي البكاء رتبة أخرى أعز من هذه يمز ذكرها ويكبر نشرها قصور الانهم عن إدراكها فرجا يقابل ذكرها بالانكسار وضغنى لاستكبار ولكن يعرفها من وجدها قدما ووصولا أو فهمها نظرا كثيرا ومثولا وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحديث ذلك في بعض مواطن حتى اليقين ومن حتى اليقين في الدنيا للممات يسيرة فيوجد البكاء في بعض مواطنه

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان يأتيه صواحب لي فكأن يتعنن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر لحيثين إلى فيلبن مسمى^(١) وفي رواية أن النبي ﷺ قالما يوما « ما هذا قال بناتي قال لها هذا الذي أرى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي عليه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت أوما سمعت أنه كان لسليمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه » والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصور ممن الحزف والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ما روى في بعض الروايات أن القرس كان له جناحان من رقايع وقالت عائشة رضي الله عنها « دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان ثقيان يفتان بعات فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر رضي الله عنه فآثرني وقال مزار الشيطان عند رسول الله ﷺ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : دعهما فلما غفلت غمزتهما فخرجا^(٢) » وكان يوم عيد يلعب فيه المودان بالدرق والحرايب فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قال تشبهين تطرين قلت نعم فألقى ورامه وخذني على خذه ويقول دونكم يا بني أرفضة حتى إذا مللت قال حبسك قلت نعم قال فاذهي . وفي صحيح مسلم فروضت رأسني على منكبي فجعلت أنظر إلى لبعي حتى كنت أنا الذي انصرفت فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين وهو نس صريح في أن الفناء واللعب ليس حرام وفيها دلالة على أنواع الرخص . الأول : اللعب ولا يعني عادة الحبشة في الرقص واللعب . والثاني فضل ذلك في المسجد . والثالث قوله صلى الله عليه وسلم « دونكم يا بني أرفضة » وهذا أمر باللعب والتجسس فكيف بقدر كونه حراما . والرابع منه لا يكره عمر رضي الله عنهما عن الانكسار والتضير وتعليق به بأنه يوم عيده هو وقت سرور وهذا من أسباب السرور . والخامس : وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لمواظقة عائشة رضي الله عنها وفيه دليل على أن حسن الخلق في تطيب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتشغف في الامتناع وللمعنى . والسادس : قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لمائسة « أنتهين أن تطري » ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفا من غضب أو وحشة فإن الالتباس إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فلما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه . والسابع : الرخصة في الفناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بعزم الشيطان وفيه بيان أن الزمار المحرم غير ذلك . والثامن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع صمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالأوتار في موضع ما جاوز الجلوس ثم يقرع صوت الأوتار صمعه فيل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحرير صوت الزامير بل إنما يحرم عند خوف الفتنة فهذه التقاييس والنصوص تدل على إباحة الفناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحرايب والنظر إلى رقص الحبشة والنووج في أوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فإنه وقت سرور وفي مناء يوم العرس والوليمة والعقيقة والحضان ويوم القدوم من السفر

(١) حديث عائشة كُنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وهو في الصحيحين كما ذكره المصنف لكن مختصر إلى قولها فيلبن مسمى . وأما الرواية الطويلة التي ذكرها المصنف بقوله وفي رواية فليست من الصحيحين إنما رواها أبو داود بإسناد صحيح (٢) حديث عائشة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان ثقيان يفتان بعات الحديث هو في الصحيحين كما ذكره المصنف والرواية التي عزاها لمسلم انفراد بها مسلم كما ذكر .

لوجود تغاير وتباين بين الحدث والقديم فيكون البكاء رجعا هو من وصف الحدثان لو هج خطوة عظيمة الرحمن ويقرب من ذلك مثلا في الشاهد قطر النمام بتلاق مختلف الأجرام وهذا وإن عز مشعر بيقية قدح في صرف الفناء . نعم قد يتحقق العبد في الفناء متجردا عن الآثار متضمنا في الأنوار ثم يرتقي منه إلى مقام البقاء ويرد إليه الوجود مطهرا فتعود إليه أقسام البكاء خوفا وشوقا وفرحا ووجدانا بمشكلة صورها ومباينة حقائقها غرق لطيف يدركه أربابه وعند ذلك يسود عليه من السباع أيضا قسم وذلك القسم مقدوره مقهور معه يأخذه إذا أراد وربه إذا أراد ويصكون هذا السباع من

وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعاً ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضاً مظنة السماع . السادس : سماع العشاق تحريكاً للشوق وتنهيجاً للشوق وتلبية للنفس فإن كان في مشاهدة العشوق فالعرض تأ كيد اللذة وإن كان مع المقارنة فالعرض تنهيج الشوق والشوق وإن كان أمناً فيه نوع لذة إذا اضاف إليه رجاء الوصال فإن الرجاء للذيد والياس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والمحبة لشيء الرجو في هذا السماع تنهيج العشاق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء التقدير في الوصال مع الاطياب في وصف حسن المحبوب وهذا حلال وإن كان الشقاق إليه عن ياح وصالة كمن يشق زوجته أو سيرته فيصنئ إلى غنائها لتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسمع الأذن وبغنى لطائف معاني الوصال والفرق القلب فتزاد أسباب اللذة فهذه أنواع تمنع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة إلا الهولوب وهذا متنعو كذلك إن غضبت منه بجارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب لله أن يحرك بالسمع شوقه وأن يستدير به لذة رجاء الوصال فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء وأما من يشغل في نفسه صورة صبي أو امرأة لا يخل به النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما تثل في نفسه فهذا حرام لأنه يحرك الفكر في الأفعال المحظورة ومهيج للدعابة إلى ما لا يباح الوصول إليه وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضار شيء من ذلك وذلك ممنوع في حقهم لما فيه من الداء الدفين لا لأمر يرجع إلى نفس السماع ولذلك مثل حكيم عن العشاق فقال دخان يصد إلى دماغ الإنسان يزيله الجاع وبهيج السماع . السابع : سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه في سبحانه ولا يقرع سمعه فارع إلا سمعه منه أوفيه فالسماع في حقه بهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحيه ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالاً من الكشافات وللإطلاقات لا يحيط الوصف بها جرحها من ذاتها وينكرها من كل حصة من ذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدناً مأخوذاً من الوجود والمصادقة أي صادف من نفسه أحوالاً لم يكن صادفها قبل السماع ثم تكون تلك الأحوال أسباباً لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتقي من الكدورات كائنات النار الجواهر والعروض عليها من الخشب ثم يتبع الصفاء الحاصل بمشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرات القربات كلها فالقضى إليها من جملة الكربات لا من جملة المعاصي وللباحات وحصول هذه الأحوال للقلب بالسمع سببه سر الله تعالى في مناسبة النعمات للوزونة للأرواح وتفسير الأرواح وأثرها بها شوقاً وفرحاً وحزناً وانبساطاً وهاباً ومعرفة السبب في تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم الكشافات والبلديات الجاد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذات للسمع ووجهه واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمية من لذة اللوزنج وتعجب العين من لذة الباشرة وتعجب الصبي من لذة الرئاسة والسماع أسباب الهاء وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب منتهى ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والادراك يستدعي مدركاً ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من قد التوق وكيف يدرك لذة الألحان من قد السمع ولذة العقولات من قد السفل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب فمن قدحها عدم لعمالة لذته ولملك تحول كيف يتصور العشاق في حق الله تعالى حتى يكون السماع محركاً له . فاعلم أن من عرف الله أحبه لا عمالة ومن تأكد معرفته تأكد محبته بقدر تأكد معرفته والمحبة إذا تأكدت سميت عشقاً فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة وقلبك قالت العرب إن محمداً قد عشق ربّه لما رآه يتخل

التمكن بنفسه اطمانت واستارت وبايت طبعها واكتسبت طمأنينتها وأكسبها الروح معنى منه فيكون سماعه نوع تمنع للنفس كتمتعها بمباحات الذات والشهوات لأن يأخذ السماع منه أو يزيد به أو يظهر عليه منه أثر فتكون النفس في ذلك بمثابة الطفل في حجر الوالد يفرحه في بعض الأوقات بعض ما يرويه ومن هذا القليل ما قل أن أبا محمد الرازي كان يشغل أصحابه بالسماع وينزل عنهم ناحية يصلح قد تطرق هذه التمنعات مثل هذا الصلي فتدلى إليها النفس متمتعة بذلك فيزداد مورد الروح من الأنس صفاء عند ذلك لبعد النفس عن الروح في تمتعها فانها مع طمأنينتها بوصف من الأجنبية بوضعها وجبلت أروى بعده توفّر

للعادة في جبل حراء . واعلم أن كل جمال محبوب عندم ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال إن كان يتناسب الحلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلا الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب ولطف الجمال قد يستأثر أيضاً فيقال إن فلاذا حسن وجميل ولا تراذ صورته وإنما يتبعه أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحساناً لها كالحب الصورة الظاهرة وقد تأتى كد هذه المحبة قدسمى عشقا وكم من الغلاة في حب أرباب للذهب كالشافي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم حتى بدلوا أموالهم وأرواحهم في نصرتهم وموالاهم وبزيدوا على كل عاشق في القلو وللباقية ومن الحب أن يقل عشق بعض لمشاهد قط صورته أجمل هو أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيره للربة والخيرات الخاصة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من المحال ثم لا يقل عشق من ترى الخيرات منه بل على التحقيق من الأخير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالفتول والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدا العالم إلى منقرضه ومن ذروة الثريا إلى منتهى الترى فهو ذرة من خزان قدرته ولحمه من أنوار حضرة فليت شعري كيف لا يقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأ كد عند العارفين بأوصافه حبهم حتى يجاوز حدا يكون إطلاق اسم الشق عليه ظلماً في حقه فتصوره عن الأنياه عن فرط حبه فسيحان من استحباب عن الظهور بقعة ظهوره واستد عن الأبصار بأشراق نوره ولولا استحبابه بسمين حجاباً من نوره لأحرقت سبعاً توجهه بأصار للأطالين بجمال حضرة ولولا أن ظهوره سبب خافه لنبئت الفتول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتافرت الأعضاء ولوركت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت بياض أنوار تجليه دكا دكا فأتى لطيف كنه نور الشمس إصاراً لحفا في وسأى عتيق هذه الإشارة في كتاب المحبة وينضح أن محبة غيره الله تعالى تصور وجهه بل للتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى إذ ليس في الوجود عتيقاً إلا الله وأضاله ومن عرف الأفعال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره فمن عرف الشافي مثلاً رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه لامن حيث إنه ياض وجلد وجو ووري وكلام منظوم ولته عرية فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافي إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفقه وبديع أضاله فمن عرفه فامن حيث هي صنع الله تعالى فأرى من الصنع صفات الصانع كآبى من حسن التصنيف فضل للصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواء ومن حد هذا المشق أنه لا يقل الشر ك وكل ماسوى هذا المشق فهو قابل للشر ك إذ كل محبوب سواء بصوره نظير إلى الوجود دوماً في الامكان فأما هذا الجمال فلا يتصوره فامن لا في الامكان ولا في الوجود فكان اسم المشق على حب غيره مجازاً محضاً لاحقاً ، ثم النافى القريب في قصاته من البيعة قد لا يدرك من قطة المشق إلا طلب الوصال الذى هو عبارة عن غاس ظواهر الأجسام وقضاء هموة الواقع فكل هذا المحار يبنى أن لا يستعمله لفظ المشق والشوق والوصال والأنس بل يجب هذه الأقطار والماتى كالحب البيعة الترس والربحان وتخصى بالفتو الحشوى وأوراق القصبان فان الأقطار إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم يكن موحية معنى يجب تقديس الله تعالى عنه والأوهام تختلف باختلاف الأنفهام فليتبه لهذه الدفينة في أمثال هذه الأقطار بل لا يحد أن ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب قد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أَتَدْرُكُ رُوحَ مَن مَاتَ
وَيَكُونُ طَرِيقَ الْأَحْيَاءِ
مَعَهُ فِي الصَّلَاةِ غَيْرَ
مَحِلٍّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَقِيقَةِ
الْإِنجَاةِ وَفَهُمْ تَنْزِيلُ
السَّكَنَاتِ وَتَسَلُّ
الْأَقْصَامِ إِلَى الْغَايَةِ
مَزَاحِمَ وَلَا مَزَاحِمَ
وَذَلِكَ كُلُّهُ لَمْ يَشْرَحْ
الصدر بالإعَانِ وَاللهُ
الْحَسَنُ الثَّانِي وَهَذَا
قِيلَ السَّاعِ لِقَوْمٍ كَالدَّوَاهِ
وَلِقَوْمٍ كَالْفَنَاءِ وَلِقَوْمٍ
كَالرُّوحَةِ وَمَنْ عَوَدَ
أَقْسَامَ الْبَيْكَةِ مَارِوِي
أَنْدَرَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَأْتِي
أَعْمَرُ أَقْصَامَ أَهْلِ عِلْبِكِ
وَعَلَيْكَ أَزَلْ فَقَالَ
أَبُي أَنْ أَحْمَهُ مِنْ
عَمْرِي فَأَنْشَأَ سُورَةَ
النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغَ قَوْلَهُ
تَعَالَى - فَكَيْفَ إِذَا
جِئْنَا مِنْكُمْ أَفْئِدَةً تُبْسِدُ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ
عَيْدًا - فَاذَا عَيَاةُ
تَبْعَانٍ . وَدَرَوِي أَنَّ
رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَبْدَلَ
الْجَبْرِ وَاسْتَبْدَلَ نَهْضَ

«أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل قال لأمه من خلق البهاء قالت الله عز وجل دل من خلق الأرض قالت الله عز وجل قال من خلق الجبال قالت الله عز وجل قال من خلق التيم قالت الله عز وجل قال إنني لأسمع له خائما ثم يرى بنفسه من الجبل تقطع^(١)» وهكذا كأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتعالى قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى بنفسه من الوجد وما أزلت الكتب إلا ليطربوا بذلك كما قال تعالى قال بعضهم رأيت مكتوبا في الأجل غنيا لكم فلم تطربوا وزمنا لكم فلم ترصوا أي شوقناكم بذلك كما قال تعالى فلم تشاقوا فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام البهاج وبوائه ومقتضياته وقد ظهر على القلم الطبع إباحته في بعض الواضع والتدب إليه في بعض الواضع . فان قلت فهل له حالة يحرم فيها . فأقول إنه يحرم بخمسة عوارض عارض في السمع وعارض في آلة الإسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس السمع أو في مواظبته وعارض في كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان البهاج هي السمع والسمع والسمع وآلة الإسماع العارض الأول أن يكون السمع امرأة لا يجل النظر إليها وتغشى الفتنة من سماعها وفي معناها الصبي الأمرد الذي تخشى فتنته وهذا حرام لمنايه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل التناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بصوتها في المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته . فان قلت فهل يقول إن ذلك حرام بكل حال حسا الباب أو لا يحرم إلى حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة . فأقول هذه مسألة عظيمة من حيث الفقه يتجاذبها أصلا نأحدها أن الحلو بالأجنسية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة قضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور . والثاني أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في محوم الجسم بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين فان قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيجانها ولا تدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة العادة كتحريك البهاج بل هو أحد وصوف المرأة في غير النساء ليس بمودة فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضى الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال وللشاور وغير ذلك ولكن لفناء مزيد أثر في تحريك الشهوة قياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات فينبغي أن يتبع مثار الفتنة ويقصر التحريم عليه هذا هو الأقبس عندي ويتأيد بحديث الجاريتين اللتين في بيت عائشة رضى الله عنها إذ يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتهما ولم يحترض منه ولكن لم تكن الفتنة عوفة عليه فلذلك لم يحترض فإذا خيف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال فانا نقول للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم وليس لشاب ذلك لأن القيلة تدعو إلى الوقاع في الصوم وهو محظور والبهاج يدعو إلى النظر والقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص . العارض الثاني في الآلة بأن تكون من حمار أهل التربة أو الخنثين وهي للزائمر والأوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالف وإن كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهمين والضرب بالقضيب وسائر الآلات . العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شيء من الحنا والقش والمجو أو ما هو كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم أو على الصحابة رضى الله عنهم كما ربه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسباع ذلك حرام بالإن

(١) حديث أبي هريرة إن غلاما كان في بني إسرائيل على جبل قال لأمه من خلق البهاء فقالت
الله الحديث وفيه ثم روى نفسه من الجبل تقطع رواه ابن حبان .

شفتيه عليه طويلا
يكي وقال يا عمرهنا
تصحب الصبرات
وللتكن تمود إليه
أقسام البكاء وفي ذلك
فضيلة سالها الي صلى
الله عليه وسلم فقال
« اللهم ارزقني عينين
هطالين » ويكون
البكاء في الله فيكون الله
ويكون بالله هو الأتم
لعوده إليه بوجود
مستأنسه موهوب له
من الكرم اللتان في
مقام البقاء .

[الباب الحشامس
والعشرون في القول في
البهاج تأديا واعتناء]
ويتضمن هذا الباب
آداب البهاج وحكم
التخريق وإشارات
الشايع في ذلك وما في
ذلك من السأثور
والمحدور . مبني
التصوف على الصدق
في سائر الأحوال وهو
جد كله لا ينبغي
لصادق أن يتعمد
الحضور في جمع يكون
فيه سماع إلا بعد أن

وغير الحان والسمع شريك للقاتل وكذلك ما فيه وصف امرأة بيننا فانه لا يجوز وصف المرأة بين يدي الرجال ، وأما هباء الكفار وأهل البدع فذلك جائز ، فقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجي الكفار وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك (١) فأما النسيب وهو التشبيه بوصف الحدود والأصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر ، والصحيح أنه لا يحرم نظم وإنشاده بلعن وغيره لمن وطئ السمع أن لا يتره على امرأة معينة فإن تره فليتره على من يحل له من زوجته وجاريته فإن تره على أجنبية فهو العاصي بالتزويج وإجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغي أن يجنب السماع وأما فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسباً له أو لم يكن إلا ما من لفظ لا يمكن تره على معان بطريق الاستعارة فالذي يطلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدى مثلاً ظلمة الكفر وبضارة الحد نور الإيمان ويذكر الوصال لقاء الله تعالى ويذكر القرائح الحجاب عن الله تعالى في زمرة الردودين ويذكر الرقيب للشوش روح الوصال عوالت الدنيا وآفات الشوكة لولم الأنس بالله تعالى ولا يحتاج في تزييل ذلك عليه إلى امتطاب وتذكر ومهلة بل تنسج للماني التالية على القلب إلى فهمه مع اللفظ كما روى عن بعض الشيوخ أنه من في السوق فسمع واحداً يقول الحيار عشرة حبة فطلبه الوجد فقتل من ذلك فقال إذا كان الحيار عشرة حبة فما قيمة الأشرار واجتاز بعضهم في السوق فسمع قالاً يقول يستعبري فطلبه الوجد فقتل له على ماذا كان وجدك فقال صمت كأنه يقول اسمع نر بى حتى إن العبي قد يطلب عليه الوجد إلى الآيات المنظومة بلغة العرب فإن بعض حروفها يوازن الحروف الجبية فيهم منها معان أخر أنشد بعضهم : وما زلت في الليل إلا خيال • فتواجد عليه رجل أهمل فقتل عن سبب وجده فقال إنه يقول ما زارهم وهو كما يقول فإن لفظ زار يدل في الجبية على الشرف على الهلاك فتوم أنه يقول كلنا مشرفون على الهلاك فاستعمر عند ذلك خطر هلاك الآخرة والمتحرى في حب الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولنته فهذا الوجد حق وصديق ومن استعمر خطر هلاك الآخرة فقدر بأن يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه أعضاؤه فاذن ليس في تغيير أعيان الألفاظ كبير فائدة بل الذي غلب عليه عشق مخلوق ينبغي أن يحترز من السماع بأى لفظ كان والذي غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تخنعه عن فهم المعاني الطليقة للتلقة بجاري هذه التمرغة . المارض الرابع في السمع : وهو أن تكون الشهوة غالبية عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها فالسباع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب فانه كيف كان فلا يسمع وصف الصدى والحد والقرائ والوصال إلا ويحرك ذلك شهوته ويتره على صورة معينة بنزع الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة ونغته بواشئ الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل لقتل اللامع منه الذي هو حزب الله تعالى والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل إلى قلبه فانه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فحتاج حينئذ إلى أن تستأف أبواب القتال لإزاحتها فكيف يجوز تكثير أسلحتنا وتعميد سيوفها وأستيا والسباع مشعد لأسلحة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن جميع السماع فانه يستعريه . المارض الخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم

يخلص النية لله تعالى ويتوقع به مزيداً في إرادته وطلبه ويغفر من ميل النفس لشيء من هواها ثم يقدم الاستخارة للصور ويسأل الله تعالى إذا عزم البركة فيه وإذا حضر بقرم الصدق والوقار بسكون الأطراف قال أبو بكر السكتاني رحمه الله للسمع يجب أن يكون في معناه غير مستروح إليه يهيج منه السماع وجداً أو فوفاً أو غلبة أو وارداً والوارد عليه بخيه عن كل حركة ومكون ويتق الصادق استدعاء الوجد ويجنب الحركة فيه منها أمكن سبباً محضرة الشيوخ . حكى أن هاباً كان يصحب الجند رحمه الله وكلا مع شيئاً زحق وتغير فقالبه يوماً إن ظهر منك شيء يبد هذا فلا تصحب فكان بذلك بسيط نفسه وربما كان من

(١) حديث أمره صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء الشرير متفق عليه من حديث البراء أنه صلى الله عليه وسلم قال لسان اصهم أوهاجم وجبريل معك .

يطلب عليه حب الله تعالى فيكون السباع له محبوباً ولا غلبت عليه شهوة فيكون في حقه محظوراً ولكنه أيسر في حقه كسائر أنواع القنات للباحة إلا أنه إذا اتخذ ديدنه وهجره وأصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فإن الواظبة على الله جناية وكأن الصبرة بالإصرار والداومة تصير كبيرة فكذلك بعض اللباحات بالداومة يصير صغيرة وهو كالواظبة على طيابة الزنوج والحيشة والنظر إلى لجمهم على الدوام فانه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعاً إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل العيب بالشرطي فانه مباح ولكن الواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ومهما كان الفرض الحب والتلذذ بالله فذلك إعجاباً لما فيه من ترويع القلب إذ راحة القلب معالجة له في بعض الأوقات لتثبت دواعيه تشتت في سائر الأوقات بالجسد في الدنيا كالكسب والتجارة أو في الدين كالصلاة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعف الجسد كاستحسان الحال على الحد ولو امتنعت الحيوان الوجه لشوته لما أتبع ذلك فهو داخل في حبس السكرة فكل حسن بحسن كثيره ولا كل مباح مباح كثيره بل الحظر مباح والاستحسان منه حرام فهذا المباح كسائر اللباحات . فان قلت فقد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح في بعض الأحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولاً بالباحة إذ إطلاق القول في الفصل بلا أو بنم خلف وخطأ . فاعلم أن هذا غلط لأن الإطلاق إعانة لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق ألا ترى أنا إذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا قلنا إنه حلال على الإطلاق مع أنه حرام على المحرور الذي يستخرج به وإذا سئلنا عن المحرور قلنا إنها حرام مع أنها على من عص بلمعة أن يشربها مما لم يصعبها ولكن هي من حيث إنها محرر حرام وإعانة أيسر لأرض الحاجة والعسل من حيث إنه عمل حلال وإعانة حرم لأرض الضرر وما يكون لأرض فلا يلتفت إليه فإن البيع حلال ومحرر بأرض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض والسباع من جملة اللباحات من حيث إنه مباح صوت طيب موزون مفهوم وإعانة تحريمه لأرض خارج عن حقيقة ذاته فإذا انكشف القطع عن دليل الإباحة فلا يقال بمن يخالف ببداهة الدليل وما لا شافعي رضي الله عنه فليس تحريم القضاء من مذهبه أصلاً وقد نص الشافعي وقال في الرجل يشترط صناعته لا يجوز شهادته وذلك لأن من اللهو للسكر والذى يشبهه الباطل ومن اتخذ صنعة كان منسوباً إلى السفاهة وسقوط الروعة وإن لم يكن محرراً بين التحريم فإن كان لا ينسب نفسه إلى القضاء ولا يؤثّر فذلك ولا يأتي لأجله وإعانة يعرف بأنه غير طرب في الحال فيترحمها لم يستطع هذا مردوداً على بطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا قناتين في بيت عائشة رضي الله عنها وقال يونس ابن عبد الأعلى سألت الشافعي رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للسباع فقال الشافعي لا أعلم أحداً من علماء الحجاز كرم السباع إلا ما كان منقياً لأوصافه فأما الحداد وذكر الأطلال والرابع وتحسين الصوت بلحان الأنهار فباح وحيث قال إنه مكروه يشبه الباطل قوله فهو صحيح ولكن المهر من حيث إنه مكروه ليس محرراً قلب الحيشة ورخصهم لم هو وقد كان يترجم بنظر إليه ولا يكرهه بل اللهو والنحو لا يؤخذ الله تعالى به إن عني به أنه فعل ما لا فائدة فيه فإن الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع يده برأسه في اليوم مائة مرة فهذا عيب لا فائدة له ولا يجرم قال الله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم - فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على شيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصبب والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤخذ به فكيف يؤخذ بالشر والرقص . وأما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه بل لو قال هو باطل صريحاً لا يدل على التحريم وإعانة يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه بقول الرجل لأمرته مثلاً بت شئ منك وتوقها اشتريت عقد باطل مهما كان قصد الحب ولطافة وليس

كل شعرة منه تقطر قطرة عرق فلما كان يوماً من الأيام زعم زعقة فخرج روحه فليس من الصدق إظهار الوجود من غير وجد نازل أو أدهاء الحال من غير حال حاصل وذلك حين الزفان . قيل كان النصر أبهى رحمة الله بكثير الزعم بالسباع فوجب في ذلك قتال فهو خير من أن تهدم وتقتاب فقال له أبو عمرو ابن عبيد وغيره من إخوانه هيات يا أبا القاسم زقة في السباع شر من كذا كذا سنة تقتاب الناس وذلك أن زقة السباع إشارة إلى الله تعالى وترويع للعالم بصريح الحال وفي ذلك ذنوب متعددة منها أنه يكذب على الله تعالى أنه وهب له شيئاً وما وهب له والكلب على الله من أيسر الآلات . ومنها أن يترجم بعض الحاضرين فيبحث به الظن

بحرام إلا إذا قصد به التحليل المحقق الذي منع الشرع منه . وأما قوله مكروه فيزول على بعض الراضع التي ذكرتها لك أو يزول على التنزيه فانه نص على إباحة لعب الشطرنج وذكر أني أكره كل لب وتلبه يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوي الدين والروءة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا بل قد ترد الشهادة بالأكل في السوق وما يحرم الروءة بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوي الروءة وقد ردت شهادة المحترف بالحرقة الحسية فتعفيه يدل على أنه أراد بالكره التنزيه وهذا الظن أيضا يبرهن من كبار الأئمة وإن أرادوا التحريم فاذكرناه حجة عليهم .

(بيان حجج القائلين بتحريم البيع والجواب عنها)

احتجوا بقوله تعالى - ومن اتى من يفتري هو الحديث - قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي رضي الله عنهم إن لم هو الحديث هو الماء ورويت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال « إن الله تعالى حرم القينة ويحسب غنما وتلميذها » فقولوا أما القينة فالمراد بها الجارية التي تنزل الرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفسافي ومن يخاف عليهم الفتنة حرام وهم لا يقصدون الفتنة إلا ما هو محظور فأما غناء الجارية للملكها فلا يفرقهم تحريمه من هذا الحديث بل يغير مالها كما سماها عند عدم الفتنة بدليل ما روي في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضي الله عنها وأما شراء لم هو الحديث بالدين استبدالاً به ليلبس على سبيل الله فهو حرام مذموم وليس الزنا فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى وهو المراد في الآية ولقرأ القرآن ليلبس على سبيل الله لكان حراما . حكى عن بعض للتائقين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقتله ورأى فعله حراما لما فيه من الاضلال فلا اضلال بالشعر والفتاء أولى بالتحريم . واحتجوا بقوله تعالى - أفئن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا يكون وأنتم سامدون - قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الفتاء بلفظ حير يعني السمد فتقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه فان قيل إن ذلك مخصوص بالضحك على السلفين لاسلامهم فهذا أيضا مخصوص بأصعابهم وغانمهم في معرض الاستهزاء بالسلفين كآل قال تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون - وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه . واحتجوا بما روي جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تنهى » فقد جمع بين الناحية والفتاء . قلنا لاجرم كما استثنى منه نباحة داود عليه السلام ونباحة اللذين على خطاياهم فكذلك يستثنى الفتاء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناوهن عند قدومه عليه السلام بقولهن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روي أبو أمامة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « مارفع أحد صوته ببناء إلا بث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يسلك » قلنا هو منزل على بعض أنواع الفتاء الذي قدمناه وهو الذي يحركه من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق

(١) حديث عائشة إن الله حرم القينة ويحسب غنما وتلميذها الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف قال البيهقي ليس بمحفوظ (٢) حديث جابر كان إبليس أول من ناح وأول من تنهى لم أجده أصلا من حديث جابر وذكره صاحب القردس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له ولده في مسنده

(٣) حديث أبي أمامة مارفع أحد عقيرته ببناء إلا بث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يسلك ابن أبي الدنيا في ذم اللهاى والطبراني في الكبير وهو ضعيف .

والاغرار خيانة قال عليه السلام « من غشنا فليس منا » ومنها أنه إذا كان مبطلا ويرى بين الصلاح فسوف يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة المعتد فيه يفسد عقيدته في غيره ممن يظن به الخير من أمثاله فيكون سببا إلى فساد العقيدة في أهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته فيقطع عنه مودة الصالحين ويتشعب من هذا آفات كثيرة يثر عليها من يبحث عنها ومن أنه يروج الحاضرين إلى مواقفته في قيامه وقصوده فيكون متكفلا مكلفا فتناس يباطل ويكون في الجمع من يرى بتور القراصة أنه مبطل ويحمل على نفسه الموافقة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليترك الله ربه ولا يتحرك إلا إذا

المخوفين فأما ما جرك الشوق إلى الله أو السرور بالبعد أو حدوث الولد أو قدوم القاتل فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل خمسة الجاريتين والحشة والأخبار التي نقلناها من الصحاح والتجويد في موضع واحد نص في الإباحة وللعن في ألف موضع عتلت للتأويل وعتلت للتزويل أما الفعل فلا تأويل له إذ ما حرم فعله إنما جعل بمرض الإكراه فقط وما أيسر فعله بحرم بمرض كثيرة حتى الثبات والقعود . واحتجوا بما روى عتبة بن حامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامرأته ^(١) » قلنا فتقوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد سلم ذلك على أن التلهي بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمصور غير المصور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم « لا يعمل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث فإنه يلحق به رابع وخامس ^(٢) » فكذلك ملاعبة امرأته لافائدة إلا التلذذ وفي هذا دليل على أن التدرج في البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع الدعايات مما يلهو به الرجل لا يجرم عليه شيء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل . واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه : ما تقبنت ولا تعنتت ولا مسست ذكرى يميني مذ بايت بهارسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا فليكن التقى ومس الذكر باليمين حراما إن كان هكذا دليل تحريم الفناء فمن أين ثبت أن عثمان رضي الله عنه كان لا يترك إلا الحرام . واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه الفناء بقيت في القلب النفاق وزاد بعضهم كما ثبت للماء البقل ^(٣) ورفعه بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومضى على ابن عمر رضي الله عنهما قوم يهرمون وفيهم رجل يثنى فقال ألا لأسمع الله لكم ألا لأسمع الله لكم وعن نافع أنه قال كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يانافع أسمع ذلك حتى قلت لا فأخرج أصبعيه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع ^(٤) وقال الفضيل بن عياض رحمه الله الفناء رقة الزنا وقال بعضهم الفناء رائد من رواد الفجور وقال يزيد بن الوليد إياكم والفناء فإنه ينقص الحياء ويؤذي الشهوة ويهدم الروعة وإنه لينوب عن الحجر ويغسل ما يغسله السكر فإن كنتم لابد فاعلمين فجنوبه النساء فإن الفناء داعية الزنا فتقول قول ابن مسعود رضي الله عنه يثبت النفاق أراد به في حق للفتى فإنه في حقه يثبت النفاق إذ غرسته كله أن يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا في غناؤه وذلك أيضا لا يوجب تحريما فإن ليس الثياب الجليلة وركوب الخيل الملهجة وسمار أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأصنام والزروع وغير ذلك يثبت في القلب النفاق والراء ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل الباحات التي هي مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا ولذلك تزل عمر رضي الله عنه عن فرس هلمج تحته وقطع دبه لأنه استشر في نفسه الحياء لحسن مطيته فهذا النفاق من الباحات وأما قول ابن عمر رضي الله عنهما ألا لأسمع الله لكم فلا يدل على التحريم من

(١) حديث عتبة بن حامر كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته زوجته أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب (٢) حديث لا يعمل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث ابن مسعود الفناء يثبت النفاق في القلب كما ثبت للماء البقل قال الصنف والرفوع غير صحيح لأن في إسناده من لم يسم رواه أبوداود وهو في رواية ابن الصديق ليس في رواية الأئمة ورواه البيهقي مرفوعا وموقوفا (٤) حديث نافع كنت مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه الحديث ورفعه أبوداود وقال هذا حديث منكر.

صارت حركته حركة
للرمعى الذي لا يجد
سيلا إلى الامساك
وكالعاطس الذي لا يجد
أن يرد العطسة وتكون
حركته بمثابة النفس
التي يدعو به إليه
داعية الطبع فها قال
السري: شرط الواجد
في زعفته أن يبلغ
إلى حد لو ضرب
وجهه بالسيف لا يشعر
فيه بوجع وقد
يقع هذا لبعض
الواجدين نادرا وقد
لا يبلغ الواجد هذه
الرتبة من الفية
ولكن زعفت تخرج
كالتففس بنوع إرادة
مزعوجة بالاضطرار
فهذا الضبط من رعاية
الحركات ورد الفترات
وهو في تحريك الثياب
أكد فإن ذلك يكون
إتلاف السال وإضاق
المال وهكذا رمى
الحرقا إلى الحادي
لا يثنى أن يغسل إلا إذا
حضرته نية يجتنب فيها
التكلف والراءفة

حيث إنه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من محالهم أن سماعهم لم يكن لوجد وهو ق إلى زيادة بيت الله تعالى بل لجرد اللهو فأشكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حلهم وحال الإحرام وحكايات الأحوال فكثير فيها وجوه الاحتمال وأما وضه أصبغ في أدنيه فيما رصته أنه لم يأمر ناضا بذلك ولا أنكر عليه سماعه وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن يتره صمه في الحال وقلبه عن صوت وبما عرك اللهو ويمنع عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يمنع ابن عمر لا يدل أيضا على التحريم بل يدل على أن الأولى تركه ونحن نرى أن الأولى تركه في أكثر الأحوال بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب قد خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كانت عليه أعلام فخلت قلبه (١) أخرى أن ذلك يدل على تحريم الأسماع على الثوب فخله صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الرامي ينفخه عن تلك الحالة فكشفه العلم عن الصلاة بل الحاجة إلى استكارة الأحوال الشريفة من القلب بحجة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق وإن كان كالا بالإضافة إلى غيره ولذلك قال المصري ماذا أحمل سماع يقطع إدامات من يسمع منه إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم فالأنبياء عليهم السلام على الدوام في لغة السمع والشهود فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة . وأما قول الفضيل هورقة الزنا وكذلك ما عداه من الأقاويل القرية منه فهو منزه على سماع الفساق وللتفتين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما التماس ضاية ما يذكر فيه أن يقاس على الأوتار وقد سبق الفرق أوقال هو هو ولرب وهو كذلك ولكن اللهنا كالمهوول لب . قال عمر رضي الله عنه زوجته إنما أنت لبة في زاوية البيت وجميع للامعة مع النساء هو إلا الحرانة التي هي سبب وجود الولد وكذلك الزبح الذي لا يفتى فيه حلال قل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سيأتي تفصيله في كتاب آفات اللسان إن شاء الله (٢) وأما هو يزيد على هو الحبشة والزنج في لبهم وقد ثبت بالنس لإباحته على أي أنول اللهو مروح القلب ومخفف عنه أهواء الفكر والقلوب إذا أكرهت حيمت وتروجها إبانة لها على الجدل فالوافظ على الثقة ثلاثين أن يشغل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تمتع على النشاط في سائر الأيام والوافظ على نوافل الصلوات في سائر الأوقات فينبى أن يتعطل في بعض الأوقات ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات فالسلطة مونة على العمل واللهو معين على الجدل ولا يصير على الجدل المحض والحق للز إلا فخرس الأنبياء عليهم السلام فاللهو دواء القلب من داء الإعياء ولللال فينبى أن يكون مباحا ولكن لا ينبى أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فإذا اللهو على هذه الية يصير قرينة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محودة يطلب تحريكها بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحضة فينبى أن يستحب ذلك ليتوصل به إلى التصور الذي ذكرناه ثم هذا يدل على قصان عن ذروة السكال فان السكال هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الأبرار سيئات القريين ومن أحاط بلم علاج القلوب ووجوه التلطيف بها لاسبقها إلى الحق علم قطعا أن تروجها بأشكال هذه الأمور دواء نافع لا يضره .

(الباب الثاني في آثار السماع وآدابه)

(١) حديث خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كان عليه أعلام فخلت قلبه فقدم الصلاة (٢) حديث مزاحه صلى الله عليه وسلم يأتي في آفات اللسان كما قال المصنف .

(الباب الثاني في آداب السماع وآثاره)

وإذا حسنت النية فلا بأس بإلقاء الحرفة إلى الحادى قد زوى عن كعب بن زهير أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم للجد وأنشده أياتا التي أولها :

بانت سعاد قلبي اليوم متبول

حق انتهى إلى قوله فيها :

إن الرسول لصف يستنابه

مهتد من سبوف الله سلال

قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من

أنت قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن

محمد رسول الله أنا كعب بن زهير فرمى

رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه بركة

كانت عليه فلما كان زمن معاوية بث إلى

كعب بن زهير بنا بركة رسول الله صلى

الله عليه وسلم بشرة آلاف فوجه إليه

اعلم أن أول درجة السباع فهم السموع وتزليه على معنى يقع للسمع ثم يشر القهم الوجد ويشمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه القامات الثلاثة . القام الأول : في الفهم وهو يختلف باختلاف أحوال السمع ، وللمسمع أربعة أحوال : إحداهما أن يكون سماع بمجرد الطبع أى لحاظه في السماع إلا امتداد الألمان والنهات وهذا سماع وهو أخص رتب السماع إذ الإبل شركة له فيه وكذا سائر البهائم بل لا يستدعى هذا النوع إلا الحيلة فلكل حيوان نوع تلهذ بالأموات الطيبة . الحالة الثانية أن يسمح بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ويكون تزليهم للسمع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم وهذه الحالة أخص من أن تتكلم فيها إلا بيان خبئها والتي هي هنا . الحالة الثالثة أن ينزل ما يسمح على أحوال نفسه في معاملته لا تعالى وتقلب أحواله في الفسكن مرة والتعذر أخرى وهذا سماع للرديين لاسيا للبشدين فإن للرديد لا عالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله سبحانه ولقاؤه والوصول إليه بطريق للمشاهدة بالسر وكشف القطاء وله في مقصده طريق هو سالكة ومعاملات هوشا رعليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قول أو ردا أو وصل أو هجر أو قرب أو بعدا وتلف على فائت أو تمطش إلى منظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو بأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو قرض للمهد أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة لطيب ومداخلة الرقيب أو همول العبرات أو ترادف الحشرات أو طول القراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الأشعار فلابد أن يوافق بعضها حال للرديد في طلبه فيجرب ذلك مجرى القدرح الذي يورى زنادقيه فتشتمل به نيرانه وقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسببه أحوال غائقة لعادته ويكون له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله وليس على السمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذى فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ وتضرب لهذه التزييلات والمفهوم أمثلة كي لا يظن الجاهل أن السمع لأيات فيها ذكر القم والحد والصدغ وإنما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعاني من الآيات ففي حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكى أن بعضهم سمع قائلا يقول :

قال الرسول غدا نزو ر قتلتم تعقل ما تقول

فاستغزه اللحن والتقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا فيقول: قال الرسول غدا نزور . حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما أفاد سئل عن وجهه م كان ؟ فقال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة (١) » . وحكى الرقي عن ابن الدراج أنه قال : كنت أنا وابن القوطى ماربين على دجلة بين البصرة والأبلة فاذا بقصر حسن له منظره وعليه رجل بين يديه جارية تقي وتقول :

كل يوم تسلون غير هذا بك أحسن

فاذا هاب حسن تحت النظرة وبده ركوه وعليه مرقعة يستمع فقال بإجارية إلى وبجارية مولاد إلا أعدت على هذا البيت فأعادت فكانت الشاب يقول هذا والله تلاوتى مع الحق في حال تشبى شبهة ومات . قال: قلنا قد استقبلنا فرض فوقتنا فقال صاحب القصر للجارية أنت حرّة لوجه الله تعالى

(١) حديث إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل جمعة الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين مختلف فيه وقال الترمذى لا نعرفه إلا من هذا الوجه قال وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعي شيئا من هذا .

ما كنت لأؤثر بوب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحدا فقا
مات كعب بنت معاوية
إلى أولاده بعشرين
ألفا وأخذ البردة وهي
البردة الباقية عنه .
الامام الناصر لدين الله
اليوم مات بركته على .
أيامه الزاهرة . وللتصوفة
آداب يتعاهدونها
ورعايتها حسن الأدب
في الصلوة والعاشرة .
وكثير من السلف لم
يكونوا يمتدنون ذلك
ولكن كل شيء
استحسنوه وتواظفوا
عليه ولا يشكروا الشروع
لاوجه للانكار فيه .
فمن ذلك أن أحدم إذا
تحرّك في السماع
فوقمت منه خرقة
أو نازله فوجد ورمى
صامته إلى الحادي
فالمستحسن عندهم
مواظقة الحاضرين له
في كشف الرأس إذا
كان ذلك من متقدم
وشيع وإن كان ذلك
من الشبان في حضرة .

قال ثم إن أهل البصرة خرجوا ضلوا عليه فلما فرغوا من دفعه قال صاحب القصر أشهدكم أن كل شيء لي في سبيل الله وكل جوارى أحرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رعى بيباه وانزى يلزار وارندى وأخر وصراً على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يسكون فلم يسمع له بسد خبر وللقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بماله مع الله تعالى ومعرفة بحجته عن الثبوت على حسن الأدب في المألة وتأسفه على قلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع صممه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له :

كل يوم تسلون غير هذا بك أحسن

ومن كان سمعه من الله تعالى وعلى الله وفيه فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وإلا خطر له من السماع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به في سماع الربيب البصدي خطر إلا إذا لم ينزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يعلق بوصف الله تعالى . ومثال الخطأ فيه هذا البيت بينه فلو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلون إلى الله تعالى فيكثر وهذا قد يقع عن جهل بعض مطلق غير مجزج بتحقيق وقد يكون عن جهل سانه إليه نوع من التحقيق وهو أن يرى قلب أحوال قلبه بل تلب أحوال سائر العالم من الله وهو حق فانه تارة يسلط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يظلمه وتارة يقبضه وتارة يبلينه وتارة يشته على طاعته وقوبه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه أحوال مختلفة في أوقات متقاربة قد يقال له في العادة إنه ذو بداوان - وإنه متلون ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوبة إلى التلون في قوله ورده وتغريه وإبعاده وهذا هو المعنى فسباع هذا كذلك في حق الله تعالى كثر بعض بل ينبغي أن يعلم أنه سبحانه وتعالى يلون ولا يتلون ويضرب ولا يتبرع بخلاف عبادته وذلك العلم يحصل للربيد باعتقاد تقليدي إيماني وحصل للمعارف البصير يتبين كشيء حقيقي وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو المغير من غير تغير ولا يتصور ذلك إلا في حق الله تعالى بل كل مغير سواء فلا يغيره مالم يتغير ومن أبواب الوجد من يلب عليه حال مثل السكر للدهش فطابق لسانه بالكتاب مع الله تعالى ويستشكر أفعاله للقلوب وقسمته للأحوال الشريفة على تفاوت فانه السمتين لقلوب الصديقين والبلد لقلوب الجاهدين والمفرودين فلا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية تقدموا لأمد الأنبياء عليهم السلام بتوقيفه ونور هدايته لوسيلة ساقطة ولكنه قال - ولقد سبقت كفتنا لبيادنا للرسلين - وقال عز وجل - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون - فان خطر يياك أنهم اختلفت السابقون في رتبة النبوة مشتركون نوديت من سرادات الجلال لا تجاوزه أحد الأدب - فانه لا يستل عما يفعل وهم يشئون - ولمعنى تأدب اللسان والظاهر بما يقدر عليه الأكثرون فأما تأدب السر عن إضمار الاستبعاد بهذا الاختلاف الظاهر في التبريد والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الحضر عليه السلام لماسئل عن السماع في التلثم إنه الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدم العلماء لأنه محرك لأسرار القلوب ومكامنها ومشوق لماتعويش السكر للدهش الذي يكاد يحل عقدة الأدب عن السر إلا عن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجوئنا من هذا السماع رأياً رأس في هذا القرن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة قاذبة ذلك مصيبة وغاية الخطأ هنا كفر .

الشيوع فليس على
الشيوع موافقة
العسان في ذلك
وينسحب حكم الشيوع
على بقية الحاضرين في
ترك الموافقة للعسان
فإذا حكوا من السماع
برء الواجد إلى خرقه
وبواقفه الحاضرون
برفع الهائم ثم ردها على
الردوس في الحال
للموافقة والخرقة إذا
رمت إلى الحادي هي
للحادى إذا قصد
إعطائه إيها وإن لم
يقصد إعطاءه الحادى
فقبله للحادى لأن
المحرك هو منه صدر
للموجب إلى الخرقه .
وقال بعضهم هي للجمع
والحادى واحد منهم
لأن المحرك قول
الحادى مع ركة الجمع
في إحداث الوجد
وإحداث الوجد
لا يتقاصر عن قول
القائد فيكون الحادى
واحدا منهما في ذلك .
روى أن رسول الله
صل الله عليه وسلم قال

واعلم أن القوم قد يختلف بأحوال السمع فنبال الوجد على مستمعين لبيت واحد وأحدهما مصيب في القوم والآخر مخطئ، أو كلاهما مصيبان وقد فهمنا من معنى مختلفين متضادين ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض كما حكي عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول :

سبحان جبار البيا إن الحب لي هنا

فقال صدقت وصحبه رجل آخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصائر أصابا جميعا وهو الحق فالصديق كلام حب غير ممكن من اللواد بل مصدود متب بالصد والهجر ، والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاس به بسبب فرط حبه غير متأثر به أو كلام حب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر بخاطر الصد في السأل وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه باختلاف هذه الأحوال يختلف القوم . وحكي عن أبي القاسم بن مروان ، وكان قد صحب أباسمدا الخراز رحمه الله وترك حضور السجود سنين كثيرة فحضر دعوة وفيها إنسان يقول :

واقف في اللاد عطشا ن ولكن ليس يسقي

فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سأله عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها فلم يقنع ذلك فقالوا له فلماذا عندك فيه فقال أن يكون في وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذه إشارة إلى إثبات حقيقة وراء الأحوال والكرامات والأحوال سوابقها والكرامات تسبق في مبادئها والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها ولا فرق بين اللقى التي فهمه وبين مذكروه إلا في تفاوت رتبة للتعطش إليه فان المحروم عن الأحوال الشريفة أولا يتعطش إليها فان ممكن منها تمطش إلى ما وراءها فليس بين الصديق اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين . وكان الشبل رحمه الله كثيرا ما يتواجد على هذا البيت :
ودادكم هجسر وجبكم قلى ووصلكم صرم ووصلكم حرب

وهذا البيت يمكن جماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل وأظهرها أن فهم هذا في الخلق بل في الدنيا بأسرها بل في كل ما سوى الله تعالى فان الدنيا مكاره خداعة قتالة لأربابها معادية لهم في الباطن ومظاهرة صورة الود « لما امتلأت منها دار جبرية إلا امتلأت عبرة » (١) كما ورد في الخبر وكما قال الثعلبي في وصف الدنيا :

تنح عن الدنيا فلا تخطئها ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفرجها عنها ينجوها ومكرورها إما تأملت راجع
لقد قال فيها الواصفون فأكثرها وعندي لها وصف لعمرى صالح
سلاف قصارها زعاف ومركب شه إذا استذلقته فهو جامع
وخصص جميل يؤثر الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبايح

ولمضى الثاني : أن يتزله على نفسه في حق الله تعالى فانه إذا تشكر كفره جهل إذا ما قدره الله حق قدره وطاعته وباد إذ لا يتق الله حق ثناته وجه معلول إذ لا يبع شهوة من شهواته في حبه ومن أراد الله به خيرا بصره يسيب تفسيرى مصدق هذا البيت في نفسه وإن كان على الترتيب بالإضافة إلى الغافلين ولقد قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٢) وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة » (٣) وإنما كان استغفاره عن أحوال

(١) حديث ما امتلأت دار منها عبرة إلا امتلأت عبرة ابن المبارك عن عكرمة بن حمار عن يحيى بن أن كثير مرسل (٢) حديث لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رواه مسلم وقد تقدم (٣) حديث إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة تقدم في الباب الثاني من الأذكار .

يوم بدر ٥ من وقف
بمكان كذا فله كذا
ومن قتل كذا كذا
أسره كذا كذا
الشبان وأقام الشيوخ
والوجوه عند الرابات
فضاض الله للدين
طلب الشبان أن يجعل
ذلك لهم فقال الشيوخ
كنا ظهرا لكم وردنا
فلا تمنعوا بالناهم
دونا فآذن الله تعالى
- يستلونك غني
الأطفال قل الأطفال لله
والرسول - قسم
النبي صلى الله عليه وسلم
بينهم بالسوية . وقيل
إذا كان القول من
القوم يجعل كواحد
منهم وإذا لم يكن من
القوم فكان له قيمة
يؤثر به وما كان من
خرق الفقراء يقسم
بينهم . وقيل إذا كان
القول أجيرا فليس له
منها شيء وإن كان
متبرعا يؤثر بذلك وكل
هذا إذا لم يكن هالة
شيخ يحكم فلما إذا
كان هالة شيخ بهاب

ويحتل أمره فالشيخ يحكم في ذلك بما يرى فقد خُلف الأحوال في ذلك والشيخ اجتهد في فعل ما يرى فلا اعتراض لأحد عليه وإن غلبها بعض المحبين أو بعض الحاضرين فرضي القوال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم إلى خرقته فلا بأس بذلك وإذا أصر واحد على الإيثار بما خرج منه لئلا له في ذلك يؤثر بخرقته الحادى وأما تحريق الحرقه المبروكة التي مر فيها واحد صادق عن غلبه سلبت اختياره كغلبة النفس فمن يعتمد إمساكه فيهم في خرقتها وتزويها التبرك بالحرقه لأن الوجد أثر من آثار فضل الحق وتزوي الحرقه أثر من آثار الوجد فصارت الحرقه متأثرة بآثاره وباني من حبه أن تفتدى بالنفوس

هى درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها وإن كانت قريبا بالإضافة إلى ما قبلها فلا قرب إلا يتيق وراه قرب لانها يقته إلى سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه والوصول إلى أقصى درجات القرب محال وللغنى الثالث أن ينظر في مبادئ أحواله فيرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدرها لاطلاعه على خفايا الغرور فيها فبى ذلك من الله تعالى فيستمع البيت في حق الله تعالى شكايه من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت إلا ويمكن تزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه . الخالة الرابعة : جامع من جاوز الأحوال وال مقامات فزرب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالدهوش الغائص في بحر عين الشهود الذى يضيئ حاله حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن ومقط إحساسهن وعن مثل هذه الخالة تعبر الصوفية بأنه قد دفن من نفسه ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أنفى فكأنه فنى عن كل شيء إلا عن الواحد الشهود وفى أيضا عن الشهود فإن القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد قد غفل عن للشهود فالسهر بالمرئى لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته ولا إلى غيره التى يمارؤيته ولا إلى قلبه الذى به لفته فالسكران لا خبر له من سكره والتلذذ لا خبر له من التلذذ وإنما خبره من التلذذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعلم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق الخلق وتطرا أيضا في حق الحق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذى لا يثبت ولا يدوم وإن دام نطقه القوة البشرية فربما اضطرب تحت أعينها اضطرابا تهلك به نفسه كما روى عن أبى الحسن النورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت :

مازلت أنزل من وادك منزلا تحير الألباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في أجمة نصب قد قطع وبقيت أسوله مثل السيوف ضار يمدونها ويبدع البيت إلى النبذة والسلم يخرج من جليله حتى ورمت قدماء وساقه وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله فعنده درجة الصديقين في الفهم والوجد فهي أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات السكال وهى منزجة بصفات البشرية وهو نوع قصور وإنما السكال أن يغنى بالسكالية عن نفسه وأحواله أعنى أنه ينسأه فلا يبق له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين فيسمع لله والله وفى الله ومن الله وهذه رتبة من خاض سبله الخفايا وعبر ساحل الأسوال والأعمال واتخذ بصفاء التوحيد وتحقيق بعض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلا بل خدعت بالسكالية بحريته ونفى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ولست أعنى بصفاته فناء جسده بل فناء قلبه ولست أعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيفه إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراهها سر الروح الذى هو من أمر الله عز وجل عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجوده وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر ومثاله المرأة المجلوة إذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضرها وكذلك الزجاجة فانها تحكى لون قرارها ولونها لون الحاضرها وليس لها في نفسها صودة بل صورتها بول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان ويعرب عن هذه الحقيقة أعنى سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه قول الشاعر :

رق الزجاج وزقت الحجر فقلبتها فتسا كل الأمر فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قمع ولا خر

وهذا مقام من مقابلات علوم الكاشفة منه تتأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد ، وقال أنا الحق

وحوله يدندن كلام التصاري في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حاولها فيها على ما اختلف فيهم عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على الرأى بصورة الحجة إذ ظن فيها لون الحجة من مقابلها وإذا كان هذا غير لائق بعلم العامة فلترجع إلى الترض قد ذكرتنا خاتوم البرجيات في فهم للسموعات . للقام الثاني : بعد الفهم والتزيل الوجد . ولناس كلام طويل في حقيقة الوجد اعنى الصوفية والحكاه . الناظرين في وجه مناسبة السباع للأرواح فلننتقل من أقوالهم ألقاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه أما الصوفية فقد قال ذو النون السمرى رحمه الله في السباع إنه وارد حق جاء بزج القلوب إلى الحق فمن أسنى إليه بحق تحقق ومن أسنى إليه بنسى تزدق فكانه غير عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق وهو الذى يجده عند ورود و ارد السباع إذسمى السباع و اردحق . وقال أبو الحسين الدراج عبدا عما وجدته في السباع الوجد عبارة عما يوجد عند السباع وقال جال في السباع في ميادين البهاء فأوجدنى وجود الحق عند المعطاء فسقأت بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء وأخرجنى إلى رياض التزهن والقضاء . وقال الشبل رحمه الله : السباع ظاهره فتنة وباطنه مرة فمن عرف الإشارة حل له استماع العبارة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السباع غذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يندى عن سائر الأعمال ويدرك بركة الطبع لرقته وبصفا السر لصفاته ولطفته عند أهله وقال حمرون غنان السكى لايح على كنية الوجد عبارة لأنه سر الله عند عباده للؤمنين اللوطين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال أبو سعيد بن الأعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة القلب ومحادثة السر وإناس للفقود وهو فتاؤل من حيث أنت وقال أيضا الوجد أول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالقلب فلما ذاقوه وسطح في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال أيضا الذى يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والأسباب لأن النفس محبوبة بأسبابها فإذا انقطعت الأسباب وخلص الفكر وصحا القلب ورق وصفا ونجحت الوعظة فيه وحل من الناجات في محل قرب وخو طبع وجمع الخطاب بأذن وإعانة وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان ممدوما عنده وقال أيضا الوجد ما يكون عند ذكر مزج أو خوف مقلق أو توبخ على زلة أو محادثة بلطفية أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو دواع إلى واجب أو مناجاة بسرو ومقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والقلب بالقلب والسر بالسر واستخراج مائل بما عليك مما سبق لسمى فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر إذ كان هو اللبى بالتم والتولى وإليه يرجع الأمر كله فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة . وأما الحكاه فقال بعضهم في القلب فضية شريفة ثم قد قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان فلما ظهرت سرت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وتاجوها ودعوا مناجاة الظواهر وقال بعضهم نتائج السباع استبهاض العاجز من الرأى واستجلاب العازب من الأفكار وحدة الكمال من الأفكار والآراء حتى ثوب ما عذب وبينى ما جهز ويسفو ما كدر ويرح في كل رأى ونية فيصيب ولا غلطى . وبأنى ولا يضى . وقال آخر كما أن الفكر يترك العلم إلى السمو قال السباع يترك القلب إلى العالم الروحاني . وقال بعضهم وقس على سبب حركة الأطراف بالطمع على وزن الألحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقلى والماشق العقل لإحتياج إلى أن يناهى معشوقه بالمنطق الجبرى بل يناهيه ويناجيه بالتبسم والحفظ والحركة القبطية بالحاجب والجفن والإشارة وهذه نواطق أجمع لإظهار روحانيقوأما العاشق البسمى فانه يتمثل للنطق الجبرى ليعبر به

وترك على الودوس
إسكراما وعازازا :
تضوع أرواح نجد
من تياجم
يوم القدوم لقرب
الصد بالدار
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستقبل
التيث ويستبرك به
ويقول حديث عهد
ربه فالخرقة المزة
حديث الصد حكيم
المجروحة أن تخرق على
الحاضرين وحكم
مايتبعها من الخرق
الصالح أن يحكم فيها
الشيخ إن خصم
بشي منها بعض الفقراء
فه ذلك وإن خرقها
خرقا فله ذلك ولا يقال
هذا تفرط وسرف
فان الخرقة السفيرة
يتنفع بها في موضعها
عند الحاجات
الكبيرة . وروى
عن أمير المؤمنين على
ابن أبي طالب رضي الله
عنه أنه قال : أهدى
لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حة حرير

عن حمزة ظاهر شوقه الضيف وعشقه الزائف . وقال آخر من حزن فليسبح الأمان فان النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها يظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفاته وقائه من الشئ والندس . والأقوال للقررة في الباع والوجد كثيرة ولا يمكن الاستسكار من إيرادها فلنشغل تفهيم للشيء الذي الوجد عبارة عنه فنقول إنه عبارة عن حالة يشمرها الباع وهو وارد حق جديد عقيب الباع يجده للسمع من قسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين قائبا إما أن ترجع إلى مكشفات ومشاهدات هي من قيل العلوم والتنبيهات وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والحوف والحزن والتعلق والسرور والأسف والندم والبسط والتبعض وهذه الأحوال يبيجها الباع ويقومها فان نصف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرأ أو يسكن عن النظر والتطرق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وإن ظهر على الظاهر سمى وجدا إما ضيفا وإما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التثيير بحسب قوة الوجد وقدرته على ضبط جوارحه قد يقوى الوجد في الباطن ولا يثير الظاهر بقوة صاحبه وقد لا يظهر لنفس الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك وإلى معنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة القلب ولا يعد أن يكون الباع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفاً قبله فإن الكشف يحصل بأسباب منها التنبية والباع منه ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها فان إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورد ومنها صفاء القلب والباع يؤثر في تصفية القلب والصفاء يسبب الكشف ومنها إثبات نشاط القلب بقوة الباع فيقوى به على مشاهدة ما كان تنصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار اللسكوت كما أن عمل البير حمل الأثقال فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع صممه يبر عنه بصوت المخاض إذا كان في القنطة وبالرؤيا إذا كان في المنام وذلك جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم اللامعة وذلك كما روى عن محمد ابن مسروق البندادي أنه قال خرجت ليلة في أيام جهاني وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم ما مررت به إلا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمت قالوا يقول :

وفي جهنم ماء ما تجرعه خلق فأبقي له في الجوف أمعاء

قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالم والعبادة ، فانظر كيف أثر الصفاء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك صممه الظاهر . وروى عن مسلم البباداني أنه قال قدم علينا مرة صالح للرئ وعنته الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسواري فزلوا على الساحل قال فهأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاءوا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بقائل يقول رافضا صوته هذا البيت :

وتظلمت عن دكر الخلود مطاعم ولقمة تفس غيبا غير نافع

قال فصاح عنته الغلام صيحة وخر منشا عليه وبقي القوم فرفضت الطعام وماذاقوا وأثمنه لقمة ، وكما يسمع صوت المخاض عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبرصورة الخضرة عليه السلام فانه يمثل للأرباب القلوب بصور مختلفة ومثل هذه الحالة تتمثل للأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها

فأرسل بها إلى غرجت فيها فقال لي ما كنت لأكره نفسي شيئا أَرْضاه لك فتشفتها بين النساء خراهم وفي رواية أئيمته قتلت ما أصنع بها ألبسها قال ولكن اجعلها خراهم القواطع أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفي هذه الرواية أن الهدية كانت حلة مكشوفة محرر وهذا وجه في السنة لتزريق التوب وجهه خرقا . حكى أن الفقهاء والصوفية بنسبوا اجتماعي دعوة فوفت الحرفة وكان شيخ الفقهاء الشيخ أبو محمد الجويني وشيخ الصوفية الشيخ أبا القاسم القشيري قسمت الحرفة على عاداتهم فالتفت الشيخ أبو محمد إلى بعض الفقهاء وقال سرا هذنا صرف وإضاعة المال فسمع أبو القاسم

وأما على مثال يحكي صورتها بعض المحاكاة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين في صورته وأخبر عنه بأنه سد الألق (١) وهو المراد بقوله تعالى - عليه شدد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى - إلى آخر هذه الآيات وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على صفات القلوب وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالقرس وقد قال عليه السلام « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » (٢) وقد سكت أن رجلاً من الجوس كان يدور على السليلين ويقول لعمري قول النبي صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن » فكان يذكر له خبره فلا يسمعه ذلك حتى انتهى إلى بعض الشايخ من الصوفية فساءله فقال له معناه أن تخطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه وأسلم وقال الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق . وكما حكى عن إبراهيم الخواص قال كنت بغداد في جماعة من الفقهاء في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه قلت لأصحابي يفتي أنه يهودي فكلمهم كرهوا ذلك فخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال أي شيء قال الشيخ في فاحتشموه فأبلغ عليهم فقالوا له قال إنك يهودي قاله فجاءني وأكب على يدي وقبل رأسي وأسلم وقال نجدي كنياناً الصديق لا غنى - فراسته قلت أمتحن السليلين فأملتهم قلت إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرهون كلامه فلبست عليهم فلما اطلع على الشيخ وقرس في علمت أنه صديق قالو صار الشاب من كبار الصوفية وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله عليه السلام « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » (٣) وإيمانهم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات الذمومة فاتها مري الشيطان وجنده ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطلب الشيطان حول قلبه وإليه الإشارة بقوله تعالى - لإعبادك منهم المخلصين - وقوله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - والباع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روي أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه في أن يقول لهم شيئاً فأذن لهم في ذلك فأنشأ يقول :

ضير هواك عذبي فكيف به إذا احتكا وأنت جئت في قلبي
هوى قد كان مشتركاً أما ترى لمحتكب إذا ضحك الحلي بكى

فقال ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذي يراك حين تقوم جلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذي النون على قلبه أنه متكلف متواجد فصره أن الذي يراه حين يقوم هو الخضم في قيامه فغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لجلس ، فإذا قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات . وأعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقته وإلى ما لا يمكن البارة عنه أصلاً ولعلك تسجد حالة أو علماً لاتم حقيقة ولا يمكن التعبير عنه عن حقيقة فلا تستبعد ذلك فأنك تجد في أملاك القرية لذلك شواهد . أما العلم فكمن فيه تعرض عليه مستلثان متباهتان في الصورة ويدرك القبيح بدونه أن بينهما فرقا في الحكم وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده الحسان على التعبير وإن كان من أنصح الناس فيدرك بدونه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وإدراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا يشك في أن لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لالتصور في لسانه بل حقيقة للمنى في نفسه عن أن تاله العبارة وهذا مما قد تضلن له

- (١) حديث رأى جبريل عليه السلام مرتين في صورته فأخبر أنه سد الألق متفق عليه من حديث عائشة
- (٢) حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حديث غريب (٣) حديث لولا أن الشياطين يحومون على بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم الصوم .

القشيري ولم يقل شيئاً
حق فرغت القصة ثم
استدعى الخادم وقال
انظر في الجع من معه
سجادة خرق اثنتي بها
فجاءه بسجادة ثم
أحضر رجلاً من أهل
الحبرة فقال هذه
السجادة بك تشتري
في الزاد؟ قال بدينار قال
ولو كانت قطعة واحدة
كم تساوى قال نصف
دينار ثم التفت إلى
الشيخ أبي محمد وقال
هذا لا يسمى اساعة
للل والخرقة للزقة
تقسم على جميع
الحاضرين من كان
من الجنس أو من غير
الجنس إذا كان حسن
الظن بالقوم متقدماً
للتبرك بالخرقة .
روى طارق بن
شهاب أن أهل البصرة
غزوا نهاوند وأمدم
أهل الكوفة وعلى
أهل الكوفة محاربين
ياسر فظفروا وأراد
أهل البصرة أن
لا يقسموا لأهل

الواظبون على النظر في المشكلات . وأما الحال فكأن من إنسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح فيه قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر إنسان في شيء فيؤثر في نفسه أثرا فينبئ ذلك السبب وبيق الأثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور أو حزنا فينبئ التفكير فيه وحس بالأثر عليه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة منصفحة عن القصور بل ذوق الشر والوزن والفرق بينه وبين غير الوزن يختص ببعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها أعني التفرقة بين الوزن وللتزلف فلا يمكنه التعبير عنها بما يتضح مقصوده به لمن لا ذوق له وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل للعاني للشهوة من الخوف والحزن والسرور إنما تحصل في الباع عن غنا مفهوما ، وأما الأوتار وسائر النفقات التي ليست مفهومة فإنها تؤثر في النفس تأثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن هجاب تلك الآثار وقد يبر عنها بالشوق ولكن شوقه لا يبرف صاحبه للشتاق إليه فهو عجيب والذي اضطرب قلبه بباع الأوتار أو الشاهدين وما أشبه ليس يدري إلى ماذا يشاق ويجد في نفسه حالة كأنها تقاضى أمرا ليس يدري ماهو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا ينسب على قلبه لأب آدمي وأحب الله تعالى وهذا أسر وهو أن كل شوق له ركنان : أحدهما صفة للشتاق وهو نوع مناسبة مع الشتاق إليه . والثاني معرفة للشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه فإن وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد الملم بصورة الشتاق إليه كان الأمر ظاهرا وإن لم يوجد العلم بالمشاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة واشتملت نازها أو رثت ذلك دهشة وحيرة لاعماله ولو نشأ آدمي وحده بحيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الواقع ثم راقق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه ناز الشهوة ولكن لا يدري أنه يشاق إلى الواقع لأنه ليس يدري صورة الواقع ولا يعرف صورة النساء فكذلك في نفس آدمي مناسبة مع العالم الأعلى والذات التي وعد بها في سدة النسي والفراديس الملا إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كالتي سمع لفظ الواقع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرأة ليرف بالمقايضة فالباع يحرك منه الشوق والجمل للفرط والاشتغال بالدين قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حنينه واشتياقه بالطبع فتقاضاه قلبه أمرا ليس يدري ماهو فيدهش ويتعجب ويضطرب ويصكون كالتفتق الذي لا يبرف طريق الخلاص فيها وأمثلة من الأحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن التصرف بها أن يبر عنها قد ظهر أقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف ويسمى التواجد وهذا التواجد للتكلف فنه مذموم وهو الذي يقصد به الرأى وإظهار الأحوال الشريفة مع الافلاس منها ومنه ماهو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلاها بالحيلة فإن للكسب مدخلا في جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن (١) فإن ههنا الأحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق أو آخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في أن يصير التكلف في الآخرة طعنا وكل من يتلم القرآن أو لا يحفظه تكلفا ويثرؤه تكلفا مع تمام التأمل وإحضار النهن ثم يصير ذلك دينا لسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فقيرا تمام السورة وتوتب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بمجدد يدبمه

الكوفة من النينة
شيئا فقال رجل من
بنى عيم لعمار أيها
الأجدع تريد أن
تشاركنا في غنائنا
فكتب إلى عمر بذلك
فكتب عمر رضى
الله عنه أن النينة
لمن شهد الواقعة وذهب
بضمهم إلى أن المبروح
من الخرق يقسم على
الجمع وما كان من
ذلك صحيحا يعطى
لقوال . واستدل بما
روى عن أبي قتادة
قال لما وضعت الحرب
أوزارها يوم حنين
وفرغا من التوم قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من قتل
قتيلا فله سلبه » وهذا
له وجه في الحرفة
الصحيحة فأما المبروحة
فحكها اسهام
الحاضرين والقسمه
لهم ولو دخل على الجمع
وقت القسمه من
لم يكن حاضرا قسم
له . روى أبو موسى
الأشعري رضى الله

(١) حديث البكاء عند قراءة القرآن فإن لم تبكوا قبا كوا ، تقدم في تلاوة القرآن في الباب الثاني .

تتمرن على الكتابة يده فبصر الكتب له طبعاً فيكتب أوراقاً كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر فجميع ما تختمله النفس والجوارح من الصفات لاسيلاً إلى اكتسابه إلا بالكشف والتصنع أولاً ثم يصير بالمادة طبعاً وهو المراد بقول بعضهم : المادة طيبة خامسة . فكذاك الأحوال الشريفة لا يبنى أن يقع اليأس منها عند قدحها بل يبنى أن يتسكف اجتلابها بالباع وغيره فلقد شوهد في العادات من انتهى أن يشق شخصاً ولم يكن يشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويدبر النظر إليه ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه ورسوخاً خرج عن حد اختياره فأغنى به ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذاك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا قدحها الإنسان فينبى أن يتسكف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم وتحسين صفاتهم في النفس والجوارح معهم في السماع والدعاء والتضرع إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن ييسر له أسبابها . ومن أسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبتين والحناثين في جالس شخصاً سرت إليه صفاته من حيث لا يدري ويدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب من يقربني إلى حبك (١) » فقد فرغ عليه السلام إلى الدعاء في طلب الحب فهنا بيان انقسام الوجد إلى مكشفات وإلى أحوال وانقسامه إلى ما يمكن الاضمار عنه وإلى ما لا يمكن وانقسامه إلى التسكف وإلى اللطوع . فان قلت : فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر عند الفناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقاً من لطف الله تعالى ولم يكن باطلاً من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الفناء فتقول : الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه وذلك بهيج بسماع القرآن أيضاً وإنما الذي لا بهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق الخلق ويدل على ذلك قوله تعالى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - وقوله تعالى - مثاني تقشع منه جلود الذين يحشون ربه ثم تبلى جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب الباع في النفس فهو وجد فالطمأنينة والافتقار والحشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى - وإنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - وقال تعالى - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله - فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكشفات ولكن قد يصير سبباً للمكشفات والتبنيات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « زبوا القرآن بأصواتكم (٢) » وقال لأبي موسى الأشعري « لقد أوتى مزاراً من مزامير آل داود عليه السلام (٣) » . وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة قوله صلى الله عليه وسلم « شيتي هود وأخواتها (٤) » خبر عن الوجد فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد . وروى أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء فلما انتهى إلى قوله تعالى - فكيف إذا جثنا من كل أمة بشييد

(١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث زبوا القرآن بأصواتكم تقدم في تلاوة القرآن (٣) حديث لقد أوتى مزاراً من مزامير آل داود قاله لأبي موسى تقدم فيه (٤) حديث شيتي هود وأخواتها الترمذي من حديث أبي جحيفة وله وللحاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذي حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري

تعالى عنه قال لما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خير ثلاث فأسمهم لنا ولم يسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا ويكره للقوم حضور غير الجنس عندهم في السماع كتره لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر أو صاحب دنيا يحوج إلى اللدارة والتكلف أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضر بنواجهه أخبرنا أبو زرعة طاهر عن والده أبي الفضل الحافظ للقدس قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفرى برخصي قال أخبرنا أبو الفضل بن منصور بن نصر الكاغدي السمرقندي بإجازة قال حدثنا الهيثم ابن كليب قال أخبرنا أبو بكر عمار بن اسحق قال ثنا سعيد بن عامر عن شعبة عن

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حبيب وكانت عيناه تذرفان بالدموع (١) وفي رواية أنه عليه السلام قرأ هذه الآية أنثرى عنده - إن لدينا أنكلا وجحيا وطعما ذا غصة وعذابا أليما - فصق (٢) وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قرأ - إن تعذبهم فإنهم عبادك - فبكى (٣) وكان عليه السلام إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر (٤) والاستبشار وجد وقد أنشأ الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق - وروى أن رسول صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره أنزير كازير للرجل (٥) وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فكثير : فمنهم من سقى ومنهم من بكى ومنهم من غشى عليه ومنهم من مات في غشيته وروى أن زرار بن أوفى وكان من التابعين كان يؤم الناس بالركة قرأ - فإذا قرأ في الناقور - فصق ومات في حجره رحمه الله وجمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ - إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع - ضاح صيحة وخرّ مغشيا عليه فحمل إلى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح المري فشقي ومات وجمع الشامي رحمه الله قارئا يقرأ - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتدون - فنشى عليه وجمع على ابن الفضل قارئا يقرأ - يوم يقوم الناس لرب العالمين - فسقط مغشيا عليه فقال الفضل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية قد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمامه قرأ الإمام - ولئن شئنا لنذهبن بالتي أوحينا إليك - فزعم الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واحمر وجهه وارتعدت فرائسه وكان يقوم بمثل هذا يخاطب الأحباب بردد ذلك مرارا - وقال الجنيدي دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشى عليه فقال لي هذا رجل قد جمع آية من القرآن فنشى عليه فقلت اقرءوا عليه تلك الآية بينما قرئت فأفاق فقال من أين قلت هذا قلت رأيت يقوب عليه السلام كان عمامه من أجل مخلوق فيمخلوق أبصر ولو كان عمامه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق فاستحسن ذلك ويشير إلى ما قاله الجنيدي قول الشاعر:

وكأس شربت على لغة وأخرى تداويت ضيا بها

وقال بعض الصوفية كنت أقرأ ليلة هذه الآية - كل نفس ذائقة الموت - فجلت أرودها فإذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الآية قد قلت أربعة من الجن ما رضوا ردهم إلى السماء منذ خلقوا - وقال أبو علي الغزالي للشبلي : ربما تطرق معنى آية من كتاب الله تعالى فتجذبني إلى الإعراض عن الدنيا ثم أرجع إلى أحوالي وإلى الناس فلا أبقى على ذلك فقال ما طرقت صمكت من القرآن فاجتذبك به إليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك وإذا ردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فإنه لا يصلح لك إلا التبري من الحول والقوة في التوجه إليه - وجمع رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ - يا أيها النفس

(١) حديث إن ابن مسعود قرأ عليه فلما انتهى إلى قوله - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حبيب الحديث متفق عليه من حديثه (٢) حديث أنه قرأ عنده - إن لدينا أنكلا وجحيا وطعما ذا غصة وعذابا أليما - فصق ، ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسل (٣) حديث أنه قرأ - إن تعذبهم فإنهم عبادك - فبكى ، مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر تدم في تلاوة القرآن دون قوله واستبشر (٥) حديث أنه كان يصلي ولصدره أنزير كازير للرجل أبو داود والنسائي والترمذي في الشمايل من حديث عبد الله ابن السخير وقد تقدم .

عبد العزيز بن سبيل
عن أنس قال كنا عند
رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذ نزل عليه
جبريل عليه السلام
فقال يا رسول الله إن
قراء أمتك يدخلون
الجنة قبل الأغنياء
بنصف يوم وهو
خمسة عام ففرح
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هل
فيكم من يشهدنا فقال
بدوي نعم يا رسول الله
فقال هات فأنشأ
الأعرابي :
قد لست حية الهوى
كدي

فلا طيب لها ولا راق
إلا الحبيب الذي
شفعت به

فضده رقيق وترثاق
فتواجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وتواجد الأصحاب معه
حتى سقط رداؤه من
منكبهما فرغوا أوى
كل واحد منهم إلى
مكانه قال معاوية بن
أبي سفيان ما أحسن

الطامشة ارجسى إلى ربك راضية مرضية - فاستأذنها من القارىء وقال كم أقول لها ارجسى وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة غرجت روحه وسمع بكربن معاذ قارئا يقرأ - وأنذرم يوم الآفة - الآية فاضطرب ثم صاح ارحم من أنفرت ولم يقبل إليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشى عليه وكان إبراهيم ابن آدم رحمه الله إذا سمع أحدا يقرأ - إذا الساء انشقت - اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل ينقل في القارنات فرأى به رجل على الشاطئ يقرأ - وامتنأوا اليوم أيها المجرمون - فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات . وذكر أن سلمان القارنى أبصر شابا يقرأ فاتى على آية فاتشعر قلبه فأجبه سلمان وقد قدس فقال عنه قتيب له إنه مريض فأتاه يسوده فلذا هو في اللوت فقال يا عبد الله : أرايت تلك التشعيرة التي كانت في فمها أتتني في أحسن صورة فأخبرني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب . وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا - مثله كمثل الذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكى سمى فهم لا يفتقون - بل صاحب القلب تؤثر فيه الحكمة من الحكمة بسمها قال جعفر الخليلي دخل رجل من أهل خراسان على الجنيب وعنده جماعة فقال للجنيب متى يستوى عند البدي حامده وفلمه فقال بعض الشيوخ إذا دخل البهارستان وقيد بقيدى فقال الجنيب ليس هذا من شأنك ثم أتبل على الرجل وقال إذا تحقق أنه مخلوق فسبق الرجل شهقة ومات . فان قلت فان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فلابالهم يجتمعون على سماع النناء من القوالين دون القارئى فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في خلق القراء لخلق اللعين وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارىء لا قوال فإن كلام الله تعالى أفضل من النناء لعمالة . فاعلم أن النناء أشد تهيبا للوجد من القرآن من سبعة أوجه . الوجه الأول : أن جميع آيات القرآن لاتناسب حال السمع ولا تصلى لهمه وتنزله على ما هو ملابس له فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى - يوصيك الله في أولادكم - وذكر مثل حظ الأنثيين - وقوله تعالى - والذين يرمون المحصنات - وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان أحكام للبراث والطلاق والحدود وغيرها وإنما الحركة لما في القلب ما يناسبه والآيات وإنما يضعها الشعراء إعرابا بها عن أحوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف نعم من يستولى عليه حالة غالبة قاهرة لم يبق فيه متسع لتعريفها ومعه ينطق وذكاء ثابت ينطق به للسان البعيدة من الألفاظ فقد يخرج وجهه على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى - يوصيك الله في أولادكم - حالة للوت الموهج إلى الوصية وأن كل إنسان لابد أن يخلف ماله وولده وما يحبوا به من الدنيا فيترك أحد المهيوبين لثاني ويهجرها جميعا فينقلب عليه الخوف والجزع أو يسمع ذكر الله في قوله - يوصيك الله في أولادكم - فيدهش بمجرد الاسم مما قبله ويده أو يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بأن تولى قسم موارثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول إذا نظر لأولادنا يمدحهم فلا تشك بأنه ينظر لنا فيجس منه حال الرجاء وبورثه ذلك استبشارا وسرورا أو يخطر له من قوله تعالى - لذلك مثل حظ الأنثيين - فضيل الله كبريائه وجلال الأنبي وأن الفضل في الآخرة لرجال لاتلهم تجارة ولا يسع عن ذكر الله ، وأن من ألهمه غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإنث لان من الرجال تحقيقا فيخشى أن يحب أو يؤخر في نسب الآخرة كما أخرت الأنثى أموال الدنيا فأمثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيوصفان : أحدهما حالة غالبة مستترقة قاهرة والآخر تمنطق بلين ويتقط بالتع كامل لثنيته بالأمور القرية على اللسان البعيدة وفلكا يمز فلاجل ذلك يفرغ إلى النناء الذي هو ألقاط مناسبة لأحوال حتى يتسارع هيجاتها . وروى أن أبا الحسين التوري كان مع جماعة

لبيكم يا رسول الله قال
مه يا معاوية ليس بكريم
من لم يهز عند سماع
ذكر الحبيب ثم قسم
رداه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على من
حاضرم بأربعة قطعة
فهذا الحديث أوردناه
مسندا كما سمعناه
ووجدناه وقد تكلم
في صحته أصحاب الحديث
وما وجدنا شيئا نقل
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشاكل
وجد أهل الزمان
وصاحبه واجتماعهم
وهيتهم إلا هذا وما
أحسنه من حجة
للمصوية وأهل الزمان
في سماعهم وتزعمهم
الحرق وقسمتها أن
لوصع والله أعلم وخالف
سرى أنه غير صحيح
ولم أجده فيه ذوق
اجتماع النبي صلى الله
عليه وسلم مع أصحابه
وما كانوا يستمدونه
على ما بلغنا في هذا
الحديث وبأى القلب
قوله والله أعلم
بنك .

في دعوى جفري بينهم مسألة في العلم وأبو الحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم :
 رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في قن
 ذكرت إلها ودعرا صالحا وبكت حزنا فهاجت حزى
 فبصكتي ربما أرقها وبكها ربما أرقى
 ولقد أشكو لها أنفها ولقد تشكو لها ضففى
 غير أنى بالجوى أعرفها وهى أيضا بالجوى تعرفى

قال لما بقى أحد من القوم لإقام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذى خاضوا فيه وإن كان العلم جدوا حقا . الوجه الثانى : أن القرآن محفوظ لأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب وكما سمع أولا عظم أثره في القلوب وفي السكرة الثانية يصف أثره وفي الثالثة يكاد يسقط أثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على المواقف في مرات متقاربة في الزمان في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ولو أبدل بيت آخر لتجدد أثره في قلبه وإن كان معربا عن عين ذلك للحن ولكن كون النظم والقنط غريبا بالإضافة إلى الأول يحرك النفس وإن كان للحن واحد وليس بقدر القارىء على أن يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة فإن القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ متكرر وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضى الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويكونون قال كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا ولا تظن أن قلب الصديق رضى الله عنه كان أقسى من قلوب الأجلاف من العرب وأنه كان أخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرار على قلبه اقتضى اللون عليه وقلة التأثر به لما حصل له من الأنى بكثرة استماعه إذ حال في العادات أن يسمع السامع آية لم يسمها قبل فيبقى ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ثم يرددها ويكسى ولا يفرق الأول الآخر إلا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ومع كل ما لوف أنسى يناقض الصدمة ولذا هم محمرون على الله عنه أن يمنع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أى يأنسوا به ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا وبكى وزعق وربما غشى عليه إذ وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه بأثر فإذا التقى بقدر على الآيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة . الوجه الثالث : أن وزن الكلام يذوق الشعر تأثرا في النفس فليس الصوت الوزون الطيب كالصوت الطيب الذى ليس بموزون وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولو زحف للحن البيت الذى ينشده أولحن فيه أو مال على حدتك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه وشرطه لعدم المناسبة وإذا نثر الطبع اضطرب القلب وتوشق فالوزن إذن مؤثر فذلك طاب الشعر . الوجه الرابع : أن الشعر الوزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التى تسمى الطرق والمستأنات وإنما اختلاف تلك الطرق يعد القصور وقصر المدود والوقف في أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أزيل قصره ومدته والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه وإذا رتل القرآن كما أزيل سقط عنه الأثر الذى سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوما كالأوتار وللزمار والشاهين وسائر الأصوات التى لا تفهم . الوجه الخامس : أن الألحان للوزونة تعمد وتؤكد بأقناعات وأموات أخر موزونة خارج الخلق كالضرب بالقطيب والخف وغيره لأن الوجد الضعيف لا يستأثر إلا بسبب قوى وإنما قوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ في التأثير وواجب أن يسان القرآن عن مثل هذه القرآن لأن صورتها عند عامة الخلق

[الباب السادس]

والشعرون في خاصة الأربينية السق يشاهدها الصوفية [ليس مطلوب القوم من الأربين شيئا عضوما لا يطلبونه في غيرها ولكن لما طرقت مخالقات حكم الأوقات أحبا تحيد الوقت بالأربين رجاء أن يسحب حكم الأربين على جميع زماتهم فيكونوا في جميع أوقاتهم كبريتهم في الأربين على أن الأربين خصت بالذكر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أخلص لله أربين صابحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقد خص الله تعالى الأربين بالذكر في قصة موسى عليه السلام وأمره بتخصيص الأربين بمزيد تبتل قال الله تعالى سوأعدنا موسى ثلاثين ليلة وأعمناهم بشرى قم

سورة القلم واللحم والقرآن جد كنهه كافة الخلق فلا يجوز أن يخرج بالحق المحض ما هو له عند العامة وصورته سورة القلم عند الخاصين كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها لم يبق أن يقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال الجنابة ولا في غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال إلا الرابون لأحوالهم فيمدل إلى الفناء الذي لا يستحق هذه الرقابة والرعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن لئلا يمرض وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في المرس وقال «أظهروا النكاح ولو بضرب التريال» (١) أو يلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشعر دون القرآن ولذلك دخل رسول الله ﷺ بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يثنين فسمع أحدهن تقول وفيما نهدن ما في غد. على وجه الفناء قال صلى الله عليه وسلم «دعي هذا وقولي ما كنت تقولين» (٢) وهذه شهادة النبوة فزجرها عن أوردتها إلى الفناء الذي هو لمولان هذا جد محض فلا يقرن بصورة القلم فإذا تمترن بسببه تقوية الأسباب التي بها يصير السماع محركا للقلب فواجب في الاحترام العدول إلى الفناء عن القرآن كأوجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة إلى الفناء. الوجه السادس: أن التثني قد يثنى بيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينها عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافق لكل حال فلا اجتماعوا في الدعوات على القاري فرما يقرأ آية لا توافق حاله إذا القرآن شفاء فليس كلهم على اختلاف الأحوال، فأبأت الرحمة شفاء الحائف وآيات العذاب شفاء القرور والأمن وتفصيل ذلك مما يطول فإذا لا يؤمن أن لا يوافق القروء الحال وتكرهه النفس فتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجدر سبيلا إلى دفعه فالاحترار عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لا يجدر الخلاص عنه إلا بتزيله على وفق حاله ولا يجوز تزليل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى. وأما قول الشاعر فيجوز تزيله على غير مراده فقيه خطر الكراهة أو خطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقيع كلام الله وصيائه عن ذلك، وهذا ما يتقدح في على انصراف الشيوخ إلى سماع الفناء عن سماع القرآن. وهنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك قال: القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيق الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيته لتصدعت ودهشت وتحيرت والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة المخطوط لانسبة الحقوق والشعر نسبتها نسبة المخطوط فإذا علت الألحان والأصوات بما في الآيات من الإشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا كان أقرب إلى المخطوط وأخف على القلوب لمشاكلة الخلق فقامت البشرية بآفة ونحن بصفتنا وحظوظنا تتم بالنبات الشجيرة والأموات الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه المخطوط إلى القاصد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ وإليه يعود هذا حاصل للتصود من كلامه واعتدائه. وقد حكى عن أبي الحسن السراج أنه قال: قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الري كنت أسأل عنه فكل من سأله عنه قال أيش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جبت هذا الطريق كله فلا تأمل من أن أراه فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في الهراب وبين يديه رجل ويده مصحف وهو يقرأ فإذا هو شيخ بهي حسن الوجه والحية فسلمت عليه فأقبل على وقال

(١) حديث الأمر بضرب الدف في المرس تضم في النكاح (٢) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يثنين الحديث البخاري من حديثها وقد تقدم في النكاح.

مقات ربه أربسين لية - وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر أن الله تعالى إذا أهلك عدوهم واستنقذهم من أيديهم بأنهم يكتبون من عند الله تعالى فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والأحكام فلما ضل الله ذلك وأهلك فرعون، سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوما وهو ذو القعدة فلما تمت الثلاثون لية أنكر خلفه فقتلوه فكيف يهود خرونوب قتلت له لللائكة كنانهم من فيك راحة السك فقدمته بالسواك فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة وقال له أما علمت أن خلفي قم الصائم أطيب عندي من ريح السك ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام

من أين أقبلت قلت من بغداد قال وما الذي جاء بك قلت قصدتك للسلام عليك فقال لو أن في
بعض هذه البلدان قال لك إنسان أتم عندنا حتى نشتري لك داراً أو جارية أو كان يمدك ذلك عن
الجبى قلت ما امتحنني الله بشئ من ذلك ولو امتحنني ما كنت أدرى كيف أكون ثم قال لي أحسن
أن تحول شيئاً قلت نعم قال هات فأنشأت أقول :

وأنتك تبني دعماً في قطيقي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

كأنني بك واليت أفضل قولكم ألا لينا كنا إذ البيت لا ينفي

قال فأطبق الصلح ولم يزل يكي حتى ابتلت لحية وابتل ثوبه حتى رحته من كثرة بكائه ثم قال يابني
تولم أهل الري يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة الفداة أقرأ في الصلح لم تنظر من عيني
قطرة وقد قامت القيامة على لحدذين البيتين فإذا القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى فإن البيت
الغريب يبيع منها مالا تبيع ثلاثة القرآن ، وذلك لوزن الشر ومساكنه للطباع ولكونه مشاكلاً
لطيح اقتدر البشر على نظم الشعر ، وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهجه وهو
لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لمهم ما كتبه لطلبه . وروى أن إسرائيل أستاذ ذئنون المصري
دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت في الأرض ويترنم بيت فقال هل تحسن أن ترنم بشئ
فقال لا قال فأنت بلا قلب إشارة إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الآيات والنفحات
تحريكاً لا يصادف في غيرها فيستكف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بشيء . وقد ذكرنا حكم اللقام
الأول في فهم للسوم وتزيده وحكم اللقام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب ، فلنذكر الآن أثر
الوجد أعني ما يترشح منه إلى الظاهر من صفة وبكاء وحركة وتخريق ثوب وغيره فنقول :

(اللقام الثالث من الباع)

نذكر فيه آداب الباع ظاهراً وباطناً وما محمد من آثار الوجد وما ينجم ، فأما الآداب فهي خمس جل
الأول : مراعاة الزمان والمكان والاخوان . قال الجنيدي : الباع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فلا تسمع
الزمان والمكان والاخوان ومنه أن الاشتغال بعق وقت حضور طعام أو خضام أو صلاة أو صارف
من الصوارف مع اضطراب القلب لأفائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب له .
وأما المكان فقد يكون شارحاً مطروفاً أو موضعاً كره الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب
ذلك . وأما الاخوان فبفيه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر الباع مزهده الظاهر مفلس من
لطائف القلوب كان مستغنياً في المجلس واشتغل القلب به وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا
يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته أو متكلف متواجداً من أهل التصوف يرأى بالوجد والرقص وتخريق
الثياب فكل ذلك مشوشات فترك الباع عند هذه الشروط أولى ففي هذه الشروط نظر المستمع .
الأدب الثاني : هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مريدون يضرم الباع فلا ينبغي أن يسمع
في حضورهم فإن سمع فليشتغل بشغل آخر والريد الذي يضرم الباع أحد ثلاثة أقسام درجة هو
الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق الباع فاشتغاله بالباع اشتغال عما
لا ينبغي فانه ليس من أهل الهوى فليهو ولا من أهل الذوق فيقيم بذوق الباع ، فليشتغل بذكر
أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه . الثاني : هو الذي له ذوق الباع ولكن فيه بغيض من المخطوط
والانفلات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكساراً تؤمث غواؤه فرما يبيع
الباع منه داعية الهوى والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصدّه عن الاشتغال . الثالث : أن يكون
قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته وانتهجت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكن لم يحكم

بالتبار وأكله بالليل
بل طوى الأربعين
من غير أكل فدل على
أن خلو للعدة من
الطعام أصل كبير في
الباب حتى احتاج موسى
إلى ذلك مستعداً لمكالمة
الله تعالى والصلوات
الدنيوية في قلوب
المتقنين إلى الله تعالى
ضرب من للكلمة
ومن اتقطع إلى الله
أربعين يوماً عتصماً
متعاهداً نفسه بخفة
للمدة يفتح الله عليه
العلوم الدنيوية كما أخبر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك غير
أن تعيين الأربعين
من المدة في قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وفي أمر الله تعالى موسى
عليه السلام بذلك
والتحديد والتعديد
بالأربعين لحكمة فيه
ولا يطلع أحد على حقيقة
ذلك إلا الأنبياء إذا
عرفهم الحق ذلك أو من
يحب الله تعالى
يعرف ذلك من غير

ظاهر الم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح باب الساج نزل السموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر أعظم من فتح الساج . قال سهل رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح الساج لمثل هذا ولأن قلبه يندموا بحب الدنيا وحب الممدة والثناء ولأن يسمع لأجل اللذذ والاستمطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشته ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه ويقطع عليه طريقه فالساج منزلة قدم يجب حفظ الضمضاء عنه قال الجنيد : رأيت إبليس في النوم قلت له هل تنظر من أصحابنا جيء قال نعم في وقتين وقت الساج ووقت النظر فاني أدخل عليهم به فقال بعض الشيوخ لورأيت أنا قلت له ما أحسك من سمع منه إذا صبح ونظر إليه إذا نظر كيف تنظر به قال الجنيد صدقت . الأدب الثالث : أن يكون مصعبا إلى ما يقول القائل حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزا عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد مشتتلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراعاة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سر مستحفظا عن حركة تنوش على أصحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر هادئ الأطراف متحفظا عن التنصت والتأويل ويجلس مطرقا رأسه كجلاوسه في فكر مستغرق لقلبه متأسا عن التصديق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف وللرأفة ساكنا عن التطق في أثناء القول بكل ماعنه بد فان غلبه الوجد وحركه غير اختيار فهو فيه معذور غير ملام ومهما رجع إليه الاختيار فليد إلى هدوئه وسكوته ولا يفتني أن يستدعيه حياء من أن يقال أقطع وجده على القرب ولأن يتواجد خوفا من أن يقال هو قاسى القلب عديم الصفاء والرفقة . حكى أن شابا كان يصعب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعم فقال له الجنيد يوما إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصعب فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شجرة منه قطرة ماء ولا يزعم فحكى أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشق شققة فأنشق قلبه وتلفت نفسه . وروى أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل ففرق واحد منهم ثوبه وألقيه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له مر قلبك ولا تنزع ثوبك قال أبو القاسم النضر الباذي لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خيرا لهم من أن يشتابوا فقال أبو عمرو الربا في الساج وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تنقلب ثلاثين سنة أو نحو ذلك . فان قلت الأفضل هو الذي لا يحركه الساج ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه ، فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال وتارة يكون لسكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها فلا يتبين للساج مزيد تأثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو للرباط للحق ولللازم لبين الشهود فهذا لا يتغير طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا مناه قويت قلوبنا واشتدت فصار تطبيق ملازمة الوجد في كل الأحوال فنحن في جماع معاني القرآن على الهوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارفا علينا حتى تتأثر به فاذا قوة الوجد تحرك قوة العقل والتجسس فضطرب الظاهر وقد ضلب أحدهما الآخر أما لشدة قوته وإما لضعف ما يقابله ويكون نقصان والكمال بحسب ذلك فلا تطلق أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أم وجدنا من الساكن باضطرابه بلرب ساكن أم وجدنا من للضطرب قد كان الجنيد يتحرك في الساج في بدايته ثم صار لا يتحرك فليل له في ذلك فقال - وعري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء - إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في لللكوت

الأنبياء ويولوج في سر ذلك معنى والله أعلم وذلك أن الله تعالى لما أراد يتكبر آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد كالوردة فخرطية آدم يده أربعين صباحا فكان آدم لما كان مستصلا لعمارة الدارين وأراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة كونه من القرب تركيا يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه الدارين الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تأتي منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة فمن التراب كونه وأربعين صباحا فخر طيبته ليبدأ بالتخمير أربعين صباحا بأربعين صباحا من الحضرة الإلهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا ويتوقى به عن الحضرة الإلهية

والجوارح متأدية في الظاهر ساكنة . وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة : صحبت سهل ابن عبد الله ستين سنة فأرأيت تغيير عتشي . كان يسمه من الذكر أو القرآن فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه - قالوا لا يؤخذ منكم غدية - الآية فأرأيت قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد إلى حاله سأله عن ذلك فقال لهم يا حبيبي قد ضغفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى - للكم يومئذ الحق للرحمن - فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه قال قد ضغفت قبله فإن كان هذان الضغف فاقوة الحال قال أن لا يرد عليه وأرد الإدهويثية بقوة حاله فلا تثيره الواردات وإن كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بعلامزة الشهود كالحكي عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال حالتي قبل الصلاة وبسببها واحدة لأنه كان مرعبا القلب حاضر الفكر مع الله تعالى في كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبسببها إذ يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السماع في زيادته كما يرى أن عشاء الدينوري أشرف على جماعة فيهم قال ففسكونا قال ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جئت ملاهي الدنيا في أذى ما شغلني ولا شغلني مني . وقال الجليد رحمه الله تعالى لا يضرب تصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أتم من فضل الوجد فإن قلت فثل هذا لم يحضر السماع فأعلم أن من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر إلا نادرا لمساعدة أخ من الإخوان وإدخال السرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون أنه ليس الكمال بالوجد الظاهر فيعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طباعلم وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون من غير سماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضي الجلوس معهم وبضهم قل عنه ترك السماع ويظن أنه كان سبب تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه وبضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من أهل اللهو فتركه للتأليف مشغولا بما لا ينيه وبضهم تركه لفقد الإخوان . قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال عن ومع من . الأدب الرابع : أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أوتيا كي فهو مباح إذا لم يقصد به اللاماة لأن التباكي استغلاب للحنن والرقص سبب في تحريك السرور والتشاطر فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفون (١) هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات وقدرى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم جعلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم فقتلوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي « أنت مني وأنا منك فحبب علي وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلق فحبب وراءه جعل علي وقال زيد أنت أخونا ومولانا فحبب زيد وراءه جعل جعفر ثم قال عليه السلام هي لجعفر لأن خالها تحته والحالة والدة (٢) » وفرواية أنه قال لما شئت رضي الله عنها « أعجب أن تنظري إلى زفني الحبشة » والزفني والحبل هو الرقص وذلك يكون لقرح أو شوق فحكمه حكم مهيج إن كان فرحه محمودا والرقص يزيد ويؤكده فهو محمود وإن كان مباحا فهو مباح وإن كان مذموما فهو مذموم نعم لا يلحق اعتياد ذلك بتعاسب الأكابر وأهل القدوة لأنه (١) حديث نظرت عائشة إلى رقص الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفون تقدم في الباب قبله (٢) حديث اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي أنت مني وأنا منك فحبب وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلق فحبب وقال زيد أنت أخونا ومولانا فحبب الحديث أبو داود من حديث علي بإسناد حسن وهو عند البخاري دون فحبب .

ومواطن القرب إذلولم يتوق بهذا الحجاب ما عبرت الدنيا فتأصل البعد عن مقام القرب فيه لصارعة عالم الحكمة وخلافة الله تعالى في الأرض فالتبتل لطاعة الله تعالى والاقبال عليه والانتزاع عن التوجه إلى أمر الماشي بكل يوم يخرج عن حجاب هو معنى فيه مودع على قدر زوال كل حجاب ينحجب ويتخذ مثلا في القرب من الحضرة الإلهية التي هي مجمع العلوم ومصدرها فادا تمت الأربون زالت الحجب وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبابا ثم العلوم والمعارف هي أعيان اقلبت أنوارا باتصال اكسير نور العظمة الإلهية بها فانقلبت أعيان حديث النفس علوما إلهامية وتصدت أجرام حديث النفس لقبول أنوار العظمة فلولو وجود

في ألا كثريكون عن لمو ولوب وماله صورة اللب واللب في أعين الناس فينبغي أن يجنبه للفتدى به
 ثلاثين في أعين الناس فيترك الاقتداء به . وأما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن
 الاختيار ولا يمد أن يلبس الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لقلبة سكر الوجد عليه أو يدري
 ولكن يكون كالمنظر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة للسكر إذ يكون له
 في الحركة أو التمزيق متعش فيضطر إليه اضطرار للرئيس إلى الأئين ولو كلف الصبر عنه لمقدّم عليه
 مع أنه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة
 ولو كلف الانسان أن يمسك النفس ساعة لا يضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس فكذلك الترقعة
 وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السرى حديث الوجد الحاد
 القالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد أن يمتنع إلى هذا الحد فأصر
 عليه ولم يرجع ومعناه أنه في بعض الأحوال قد يمتنع إلى هذا الحد في بعض الأشخاص . فان قلت فاقول
 في تمزيق الصوفة الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفرغ من السبع فانهم يمزقونها قطعا صفرا
 ويرقونها على القوم ويسمونها الحرقه . افاعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعا مربعا تصلح لترقيع الثياب
 والسجادات فان الكراسي يمزق حتى يغط منه القميص ولا يكون ذلك نصيبا لأنه تمزيق لفرض
 وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصفار وذلك مقصود والفرقة على الجميع ليم ذلك الخير
 مقصود مباح ولكل مالك أن يقطع كراسه مائة قطعة ويعطيا لمائة مسكين ولكن ينبغي أن تكون
 القطع بحيث يمكن أن ينعش بها في الرقاق وإنما منعا في السبع التمزيق للفسد للثوب الذي يهلك بضه
 بحيث لا يبقى متبقا فهو تخصيص محض لا يجوز بالاختيار . الأدب الخامس : موافقة القوم في القيام
 إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف أو قام باختيار من غير اظهار وجد وقامت له
 الجماعة فلابد من الموافقة فذلك من آداب الصلوة وكذلك إن جرت عادة طائفة بتحية العامة على
 موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو أخلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالواقة في هذه
 الأمور من حسن الصحبة والمشرية إذا خالفتمو حشوا لكل قوم رسم ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم (١)
 كأورد في الخبر لاسما إذا كانت أخلاقا فيها حسن الشرية والمجامة وتطبيب القلب بالمساعدة وقول
 القائل إن ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة رضى الله عنهم
 وإنما المندود ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ولم ينقل اليه عن شيء من هذا والقيام عند الدخول
 للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة رضى الله عنهم لا يقومون لرسول الله ﷺ في بعض
 الأحوال (٢) كأرواه أنس رضى الله عنه ولكن إذا لم يثبت فيه نهى عام فلا ترضى به بأسا في البلاد التي جرت
 العادة فيها بأكرام الداخل بالقيام فإن التصود منه الاحترام والاكرام وتطبيب القلب به وكذلك سائر
 أنواع المساعدات إذا قصد بها تطبيب القلب واصطلم عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الأحسن
 للمساعدة إلا في ما ورد فيه نهى لا يقبل التأويل ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستقل
 رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم إذا الرقص من غير اظهار التواجد مباح والتواجد هو الذي يلوح للجميع
 منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لاستشفه الطباع قلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب
 محك للصدق والتكلف . مثل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال سمعت يقول قلوب الحاضرين له إذا كانوا

(١) حديث مخالفة الناس بأخلاقهم الحاكم من حديث أبي ذر خالقوا الناس بأخلاقهم الحديث قال
 صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث كانوا لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
 الأحوال كأرواه أنس تقدم في آداب الصلوة .

النفس وحديثها
 ما ظهرت العلوم الهلمية
 لأن حديث النفس
 وعاء وجودي قبول
 الأنوار وما للقلب في
 ذاته قبول العلم شيء
 وقول رسول الله صلى
 الله عليه وسلم «ظهرت
 ينابيع الحكمة من
 قلبه على لسانه» أشار
 إلى القلب باعتبار أن
 القلب وجهها إلى النفس
 باعتبار توجهه إلى عالم
 الشهادة وله وجه إلى
 الروح باعتبار توجهه
 إلى عالم النيب فيستمد
 القلب العلوم للكونة
 في النفس ويخرجها
 إلى اللسان القوي هو
 ترجمانه فظهور العلوم
 من القلب لأنها متأصلة
 فيه فقلوب والروح
 مراتب من قرب للهم
 سبحانه وتعالى فوق
 رتب الالهام فالبلد
 باقتطاعه إلى الله تعالى
 واعتزال الناس يقطع
 مسافات وجوده
 ويستنبط من معدن
 نفسه جواهر العلوم

أشكالا غير أشداد . فإن قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولمو
ومخالف الدين فلا يراه زوج في الدين إلا وينكره . فاعلم أن الجدل لا يزد على جد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد رأى الحبشة يزفون في المسجد وما أنكره لما كان في وقت لا تقى به وهو العيد ومن
شخص لا تقى به ومحبشة نعم خرة الطباع عنه لأنه يرى باقيا مقرنا باللهو والعصباء باللهو والعصباء
ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه لدوى للناس لأنه لا يليق بهم وما كره
لكونه غير لا تقى بمنصبه للنسب فلا يجوز أن يوصف بالحريم فمن سأل قتيلا عيشا فأعطاه رغبيا
كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكا فأعطاه رغبيا أو رغبين لكان ذلك منكرا عند الناس
كافة ومكتوبا في تواريخ الأخيار من جملة مساويه وصيربه وأعقابا وأشياعه ومع هذا فلا يجوز أن يقال
ماضيه حرام لأنه من حيث إنه أعطى خيرا للفقير حسن ومن حيث إنه بالاضافة إلى منصبه كالنكاح بالاضافة
إلى الفقير مستحب فكذلك الرقص وما يجري مجراه من اللباحات ومباحات العوام سيئات الأبرار
وحسنات الأبرار سيئات للقرين ولكن هذا من حيث الاختلاف إلى الناس وأما إذا نظر إليه في نفسه
وجب الحكم بأنه هو في نفسه لا يحرم فيه والله أعلم فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد
يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مكروها وقد يكون مستحبا أما الحرام فهو لأكثر الناس من
الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو القالب على قلوبهم من الصفات
للذمومة وأما للكره فهو لمن ينزله على صورة الخلوقة ولكن يتخذ عادة له في أكثر الأوقات على
سبيل اللهو وأما للباح فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن وأما للسحب فهو لمن غلب عليه
حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات الحمودة والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

(كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثاني من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تفتن الكتب إلا بعبد . ولا تمنع النعم إلا بواسطة كرمه ورفده . والصلاة
على سيد الأنبياء محمد رسول الله وعبد . وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده .

[أما بعد] فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين . وهو اللهم الذي ابتعث الله
النبيين أجمعين . ولوطى بساطه وأعمل عمله وعمله تنطقت النبوة واشتملت الديانة وعمت الفترة
وقفت الضلالة وشاعت الجهالة واستمرى الفساد واتسع الحرق وخربت البلاد . وهلك العباد . ولم يشعروا
بالملاك إلا يوم التناد . وقد كان الذي خفنا أن يكون . فلما فؤادنا إلى الراجون . إذ قد اندرس من هذا
القطب عمله وعلمه . وأعحق بالكلية حقيقته وروحه . فاستولى على القلوب مدهانة الخلق وانعحت
عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسل البهائم . وعز على بساط الأرض
مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم . فمن سعى في تلافى هذه الفترة وسد هذه الثلة إما متكفلا
بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الدائرة ناهضا بأعبائها ومتشعرا في إحيائها كان مستأثرا
من بين الخلق بأحياء سنة أمضى الزمان إلى إيمانها . ومستقيدا بقرينة تضائل درجات القرب دون
ذروتها . وهما نحن نشرح عمله في أربعة أبواب . الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ونصيته . الباب الثاني : في أركانه وشروطه . الباب الثالث : في مجاريه وبيان

(كتاب الأمر بالمعروف)

وقد ورد في الخبر
« الناس معادن كعادن
الذهب والفضة خيأرم
في الجاهلية خيأرم في
الاسلام إذا قهوا »
ففي كل يوم بإخلاصه
في العمل لله يكشف
طبقة من الطباق
الترابية الجبلية للبعدة
عن الله تعالى إلى أن
يكشف باستكمال
الأربعين أربعين طبقة
في كل يوم طبقة من
أطباق حجابيه وآية
حصة هذا الصديق علامة
تأثره بالأربعين ووفاته
بشروط الاخلاص أن
يزهد بعد الأربعين في
الدنيا ويتجافى عن
دار القربى وينيب إلى
دار الخلود لأن الزهد
في الدنيا من ضرورة
ظهور الحكمة ومن
لم يزهد في الدنيا
ما ظفر بالحكمة ومن
لم يظفر بالحكمة يبد
الأربعين تبين أنه قد
أخلت بالشروط ولم
يخلص لله تعالى ومن
لم يخلص لله ما بعد

الشكرات المألوفة في العادات . الباب الرابع : في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف والنهي عن المنكر .
(الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)
وفضيلته وللجنة في إمامه وإمامته)

ويدل على ذلك إجماع الأمة عليه وإشارات القول السليمة إليه الآيات والأخبار . أمّا الآيات :
قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم
الفلحون - في الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى ولتكن أمر وعظم الأمر الإيجاب وفيه بيان أن
الفلاح منوط به إذ حصر وقال وأولئك هم الفلحون وفيه بيان أن تفرض كفاية لأمرهم وعين وأن إذا
قام به أمة سقط القرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلكم أمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم
أمة فإذا مهيا قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به للبشرين
وإن قاعد عنه خلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى - ليسوا سوا من أهل
الكتاب أمة قاعة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين - فلم يشهد لهم الصلاح بمجرد
الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تعالى - وللمؤمنون
وللمؤمنات بضعهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة - قد نصت
للمؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالتى هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
خارج عن هؤلاء المؤمنين للتوطين في هذه الآية ، وقال تعالى - لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على
لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
لبئس ما كانوا يعملون - وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم لعنة بتركهم النهي عن المنكر وقاله
وجل - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى - فلما نسوا
ما ذكروا به أجبنا الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يعملون - فبين
أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن سوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا . وقال تعالى - الذين إن مكناهم
في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - قرن ذلك بالصلاة
والزكاة في نص الصالحين وللمؤمنين وقال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم
والعدوان سوهم أمر جزم بمعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب
الامكان وقال تعالى - ولولا ينهم الرابيون والأجبار عن قولهم الإثم وأكلهم السم لبئس ما كانوا
يصنعون - فبين أنهم أعوا بترك النهي وقال تعالى - فلو لا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون
عن الفساد في الأرض - الآية فبين أنه أهلك جميعهم لإقلاصهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى
- يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء فأولوا على أنفسكم أو الودين والأقربين - وذلك هو
الأمر بالمعروف للودين والأقربين وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة وأمر معروف
أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اجزاء مرضاة الله سوف نؤتيه أجرا عظيما - وقال تعالى
- وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما - الآية والإصلاح نهى عن البغي وإعادة إلى الطاعة
فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال - قاتلوا التي تبغى حق تقي - إلى أمر الله بذلك هو النهي عن
للمنكر . وأما الأخبار : فلها ما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها :

(الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف)

الله لأن الله تعالى .
أمرنا بالإخلاص كما
أمرنا بالعمل فقال
تعالى - وما أمروا إلا
ليجدوا الله مخلصين له
الدين - أخبرنا الشيخ
طاهر بن أبي الفضل
إجازة قال أنا أبو بكر
أحمد بن خلف إجازة
قال أنا أبو عبد الرحمن
السلي قال أنا
أبو منصور الضبي قال
ثنا محمد بن أشروسه
قال ثنا حفص بن
عبد الله قال ثنا إبراهيم
ابن طهمان عن عاصم
عن زر عن صفوان
ابن عسال رضى الله
عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « إذا
كان يوم القيامة يجىء
الإخلاص والشرك
يجشوان بين يدي الرب
هن وجل ، فيقول
الرب للإخلاص انطلق
أنت وأهلك إلى الجنة
ويقول للشرك انطلق
أنت وأهلك إلى النار »
وبهذا الاستناد قال
السلي سمعت علي بن

أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنتمسك^(١) لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فله يفعل إلا يؤشك أن يعصم الله بعباد من عنده » وروى عن أبي ثعلبة الحنفي « أنسأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا اهتديتم^(٢) » قال يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن النكر فإذا رأيت شعا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم قنا كقطع الليل للظلم للتسكفها بمنزل الذي أتم عليه أجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا » وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال إن هذا ليس زمانها إنما اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرن بالمعروف فيضع بكم كذا وكذا وتقولن فلا يقل منكم حينئذ عليكم أشكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسطن الله عليكم شراركم يدعوهم إلى الضلالة فلا يستجاب لهم^(٣) » معناه منقطع مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس إن الله يقول لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى ، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجى^(٥) » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « إن الله تعالى ليسأل العبد مامناكم إذ رأيت للنكر أن تتركه فإذا قرن الله العبد حجة قال رب وقتك بك وفرتك من الناس^(٦) » وقال ﷺ « إياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فإذا أبيتم إلا ذلك فاعطوا الطريق حقا قالوا وما حق الطريق قال غش البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا أمرا بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى^(٨) »

(١) حديث أبي بكر أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنتمسك - الحديث أصحاب السنن وتقدم في المزملة (٢) حديث أبي ثعلبة أنسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه (٣) حديث لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسطن الله عليكم شراركم يدعوهم إلى الضلالة فلا يستجاب لهم الزوار من حديث عمر بن الخطاب والطبراني الأوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف والترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم قال هذا حديث حسن (٤) حديث يا أيها الناس إن الله سبحانه يقول لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم أحمد والبيهقي من حديث عائشة بلفظ مروا وانها وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى وفي إسناده لين (٥) حديث ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى - ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس مقتصرًا على الشطر الأول من حديث جابر بسند ضعيف وأما الشطر الأخير فرواه على ابن مبيد في كتاب الطاعة والنسبة من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو مضلا ولا أدري من يحيى ابن عطاء (٦) حديث إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت للنكر أن تتركه الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٧) حديث إياكم والجلوس على الطرقات الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد (٨) حديث كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا أمرا بمعروف الحديث تقدم في العلم .

سعيد ومأثنه عن الاخلاص ماهو قال سمعت إبراهيم الشافعي ومأثنه عن الاخلاص ماهو قال سمعت محمد ابن جعفر الحفاف ومأثنه عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد ابن بشار عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطى عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن عثمان عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن علي المجيب عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو قال سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الاخلاص

ومن غاب عنها فأحبها فكانه ^(١) » ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بين يديه فأما الحضور فقد اختلفوا في دليل الحديث الأول . وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بين الله عز وجل نبيًا إلا وله حوارى » فيمكن التنبؤ بين أظهرهم بإشارة الله تعالى يسئل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيه فإذا اهرضوا كان من بعدهم قوم يركبون ردوس للناير يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيت ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم يده فان لم يستطع فليسانه فان لم يستطع فليقلبه وليس وراء ذلك إسلام ^(٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة هزبرين كانوا يعملون ما أحدهم فقال إنكم تعملون كذا وكذا فيفعل فيهم وبغيرهم يجيب ما يصنعون فجعلوا يرددون عليه ولا يرفعون عن أعمالهم فسيهم فسبوه وقتلهم فقلوبهم فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطعوني وعتبتهم فسبوني وقتلتهم فقلوبوني ثم ذهب ثم قام الآخر فتهاجم فلم يطعوه فسيهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم فقلوبوني ثم ذهب ثم قام الثالث فتهاجم فلم يطعوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم فقلوبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم إني لو نهيتهم لصنوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم فقلوبوني ثم ذهب قال ابن مسعود رضي الله عنه كان الاربعة أديانهم مثله وقليل فيكم مثله ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما « قيل يا رسول الله أتهلك القرية فغيرها الصالحون ؟ قال : نعم قيل يا رسول الله قال بهاؤهم وسكوتهم على معاصي الله تعالى ^(٣) » وقال جابر ابن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يحك طرفه عين قال اقلبا عليه وعليهم فانوجه لم يتمعري ساعة قط ^(٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يخضون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ^(٥) » وعن عروة عن أبيه قال : قال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب أي عبادك أحب إليك قال الذي يتسرع إلى هواي كما يتسرع النسر إلى هواه والذي يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبي بالئدى والذي ينضب إذا أتيت محارمي كما ينضب النمر لنفسه فان الغر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال أبو ذر الغفارى

(١) حديث أبي هريرة من حضر مصيبة فكرها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكانه حضرها رواه ابن عدى وفيه عجي بن أبي سليمان قال البخارى منكر الحديث (٢) حديث ابن مسعود ما بين الله عز وجل نبيًا إلا وله حوارى الحديث روى مسلم نحوه (٣) حديث ابن عباس قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل يا رسول الله قال بهاؤهم وسكوتهم عن معاصي الله الزبار والطبراني بسند ضعيف (٤) حديث جابر أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا الحديث الطبراني فى الأوسط والبيهقي فى الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار (٥) حديث عائشة غضب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء لم تأفف عليه مرفوعا وروى ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصنعاني أوحى الله إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنيهم لم يخضوا لنسبي فكانوا يؤاكلونهم وشاربونهم

وتجذب النفس إلى ذلك وهذا أتم وأكمل وأدلى على كمال الاستعداد . وقدرى من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فيما حدثنا شيخنا من أعلام الدين أبو النجيب الملا قال أخبرنا الحافظ أبو القاسم اسمعيل ابن أحمد للقرى قال أنا جعفر بن الحسك لكى قال أنا أبو عبد الله الصنعاني قال أنا أبو عبد الله البغوي قال أنا اسحق الديري قال أنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت « أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حب إليه الخلاء فكان

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه « يارسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر إن قتال مجاهدين في الأرض أفضل من الشهادة أحياء مرزوقين يحشون على الأرض يسأل الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزيت أسئلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله ومن هم؟ قال الأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر والمحبون لله والله والبضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده إن العبد منهم ليكون في الرفقة فوق الرفقات فوق غرف الشهداء للرفقة منها ثلثة ألف باب من الأياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوج بثلاثة ألف حوراء قاصرات الأطراف عين كالثفت إلى واحدة منهن فنظر إليها فتولاه أندر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كما نظر إلى واحدة منهن ذكرت له مقاماً أمراً فيه معروف ونهى فيه عن منكر ^(١) » وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت « يارسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل قال رجل قام إلى والي جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القتل لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش ^(٢) » وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر ^(٣) » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بشي القوم قوم لا يأمرن بالقسط وبشي القوم قوم لا يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر ^(٤) » . أما الآثار : فقد قال أبو المنذر رضي الله عنه : لأمرن بالمعروف ونهين عن المنكر أولي سلطان الله عليكم سلطاناً ظاهراً لا بجل كبير ولا برحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستصرون فلا تصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم . وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الأحياء قال الذي لا ينكر المنكر يده ولا لسانه ولا قلبه . وقال مالك بن دينار كان جبر من أجاب بني إسرائيل يشي الرجال والنساء منزله يعظم ويدكرهم أيام أم عز وجل فرأى بعض بنيهم يوماً وقد غمز بعض النساء فقال مهلاً يا بني مهلاً وسقط من سريره فاقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه أن أخبر فلانا الخبر أتى لأخرج من صلبك صديقاً أبداً أما كان من غضبك لي إلا أن قلت مهلاً يا بني مهلاً وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم حيلة حار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم

(١) حديث أبي ذر قال أبو بكر يارسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين قال نعم يا أبا بكر إن قتال مجاهدين في الأرض أفضل من الشهداء فذكر الحديث وفيه فقال هم الأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر الحديث بطوله لم أقضه على أصل وهو منكر ^(٢) حديث أبي عبيدة قلت يارسول الله أي الشهداء أكرم على الله قال رجل قام إلى والي جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله الحديث البزار مختصراً على هذا دون قوله فان لم يقتله إلى آخره وهذه الزيادة منكورة وفيه أبو الحسن غير مشهور لا يعرف ^(٣) حديث الحسن البصري مرسل أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر لم أره من حديث الحسن ولحاحكم في السند ترك وصحح إسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله ^(٤) حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أي القوم قوم لا يأمرن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر روى أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسند ضعيف وأما حديث عمر فأشار إليه أبو منصور الديلمي بقوله وفي الباب ورواه على ابن معبد في كتاب الطاعة والعبادة من حديث الحسن مرسل .

يأتي حراء فيتحدث فيه إلى ذوات العدد ويتروذ لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتروذ لثملها حتى يجاهه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم رجف بوارده حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة مالي وأخبرها الخبر فقال

وبهائم وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إلى مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم قال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يضيؤوا لنفسي وواكلهم وشاربهم وقال بليل بن نهد : إن النسيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغتر أمرت بالعامه ، وقال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني كيف منزلتكم من قومك ؟ قال حسنة . قال كعب إن التوراة تقول غير ذلك . قال وما تقول ؟ قال تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه قال صدقت التوراة وكذب أبو مسلم ، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يأتي العمال ثم قد عنهم قيل له لو أني منهم فطلمهم يجدون في أنفسهم قال أرحب إن تكلمت أن يروا أن الذي بي غير الذي بي وإن سكنت رعبت أن آثم وهذا يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف فليبه أن يمد عن ذلك الوضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشاهدته أو قال على من أنى طلب رضي الله عنه أول ما تقبلون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بالسيف ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يفر القلب للمعروف ولم ينكر المنكر نكس لجمل أعلاه أسفله . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتكرها وتشوش الزمان فهو من قد قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه قيام بها وأنكر أحوال الغير فليبه قد جاء بما هو الغاية في حقته ، وقيل للتفصيل الأتأمر ونهى ؟ قال إن قوما أمروا ونهوا ففكروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصبوا ، وقيل للتوري الأتأمر بالمعروف ونهى عن المنكر قال إذا انتبق البحر فنشد أن يسكره قد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وإن فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به فلذلك الآن شروطه وشروط وجوبه .

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف وشروطه)

اعلم أن الأركان في الحسبة التي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط .

(الركن الأول المحتسب)

وله شروط وهو أن يكون مكفياً مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والمجانم ويدخل فيه أحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والرأه ، فلذلك كروجه اشتراط ما اشتراط وجه اطراح ما اطرحناه . أما الشرط الأول : وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فإن غير التكليف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردناه به شرط الوجوب فأما إمكان القتل وجوازه فلا يستدعي إلا القتل حتى إن الصبي للراحم البلوغ للميز وإن لم يكن مكفياً فله إنكار المنكر وله أن يريق الحجر ويكسر اللathi وإذا فعل ذلك نال به ثواباً ولم يكن لأحد منه من حيث إنه ليس بمكلف فإن هذه قرينة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أئمتنا لعبد وآحاد الرعية نعم في التبع بالقول وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستأخذ بمجرد الإيعان قتل للشرك وإبطال أسبابه وسلب أسلحته فإن قصي أن يفعل ذلك حيث لا يستغفره فالتبع من التبع كالتبع من الكفر . وأما الشرط الثاني : وهو الإيعان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدو له . وأما الشرط الثالث : وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفسق أن يحتسب ، وربما استدلوا فيه بالانكسار الوارد على من يأمر بما لا يحل مثل قوله تعالى - أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم -

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف وشروطه)

قد خشيت على عفتي
قالت كلا أبى ففواه
ما غيترك الله أبداً
إنك لتصل الرحم
وتصدق الحديث
وتحمل الكل وتكسب
للمدوم وتقرى الضيف
وتعين على نوائب الحق
ثم انطلقت به خديجة
رضي الله عنها حتى أتت
به ورقة بن نوفل
وكان امرأ تنصر في
الجاهلية وكان يكتب
الكتاب العبراني
فيكتب من الإنجيل
بالبغائية ما شاء الله أن
يكتب وكان شيخاً
كثيراً قد عمى فقالت
له خديجة يا عم اصبر
من ابن أخيك فقال
ورقة يا ابن أخي ماذا
ترى فأخبره الخبر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم
هذا هو الناموس
الذي أنزل على موسى
يا ليتني فيها جذعاً ليتني
أكون حيّاً إذ يخرجك
قومك فقال رسول الله

وقوله تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تعلمون - وبما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «مرت ليلة أسرى في قوم تعرض شفاهم بمقاريض من نار قتلتم من أثم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأثم ونهي عن الشر» وتأنيبه (١) وبما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم عظم نصرك فان امتطت فخط الناس وإلا فاستحي مني، وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الخير فرع للاعتناء وكذلك تقويم الخير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصالح فمن ليس صالح في نفسه فكيف يصلح غيره ومضى يستقيم الظن والود أعوج وكل مذكروه خيالات وإنما الحق أن لفاسق أن محسب وبرهانه هو أن يقول هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن العاصي كلها فان شرط ذلك فهو خرق للإجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلا عن دونهم والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى العصية وكذا جماعة من الأنبياء، ولهذا قال سعيد بن جبير: إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا ما لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فأعجب ما لك ذلك من سعيد ابن جبير وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصفات حتى يجوز للإمام الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فتقول: وهل لشارب الخمر أن ينزول الكفار ويحسب عليهم باليمن من الكفر فان قالوا لا، خرخوا الإجماع إذ جنود المسلمين لم تنزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام ولم يمنوا من الغزو لاقى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فان قالوا نعم فتقول: شارب الخمر هل له اللعنة من القتل أم لا فان قالوا لا قلنا الحق بيننا وبين لايس الحرير إذ يجازله اللعنة من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشر كالترب بالنسبة إلى لايس الحرير فلا فرق، وإن قالوا نعم وفضاوا الأمر فيه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا حكم فانه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع من شراب بل من أين يبعد أن شراب يمنع غلمانا وخدمه من الشراب ويقول يجب على الانتهاء والنهي فمن أين يلزم من الصيانة بأحدهما أن أعصى الله تعالى بالثاني وإذا كان النهي واجبا على فمن أين يسقط وجوبه بأحداهما إذ يستحيل أن يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فإذا شرب سقط عنه النهي. فان قيل فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فانما أتواضأ وإن لم أصل وأتسحر وإن لم أصم لأن للتحب على السحور والصوم جميعا ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الخير مرتب على تقويمه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يقول. والجواب أن التسحر يراد الصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الخير وإصلاح الخير لا يراد لإصلاح النفس ولا إصلاح النفس لإصلاح الخير فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكيم، وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من تواضأ ولم يصل كان مؤديا أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الصلاة والوضوء جميعا فليسكن من ترك النهي والاجتهاد أكثر عقابه ممن لم يتنه كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم بدون الصلاة. وأما الحسية فليست شرطا في الانتهاء والانتهاز فلا مشابهة بينهما. فان قيل فيلزم على هذا أن يقال إذا زنى الرجل بامرأة وهي مكروهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل محسب في أثناء الزنا ويقول أنت مكروهة في الزنا وعثرة في كشف الوجه لتب عهرم وهما أنا غير محرم لك فاسترى وجهك فهذا احتساب شنيع يستكره قلب كل عاقل ويستغنه كل طبع سليم. فالجواب أن الحق قد يكون شنيعا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والتبع

(١) حديث مرت ليلة أسرى في قوم تعرض شفاهم بمقاريض من نار الحديث تقدم في العلم.

صلى الله عليه وسلم
أوحى جبرئيل عليه السلام
نمائه لم يأت أحد قط
بما جئت به إلا عودي
وأودى وإن يدركني
يومك أنصرك نصرا
مؤزرا وحدث جابر
ابن عبد الله رضي الله
عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وهو يحدث عن قرة
الوحي فقال في حديثه
«فبينما أنا أمشي سمعت
صوتا من السماء فرفت
رأسي فإذا الملك الذي
جاءني بحراء جالس
على كرسى بين السماء
والأرض فجئت منه
ربعا فرجعت فقلت
زملوني زملوني
فدثروني فأنزل الله
تعالى - يا أيها المذرم
فأنذر إلى والرجز
فاهجر - وقد نزل أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذهب مرارا
كي يردى نفسه من
شواقي الجبال فكيف
واقي ذروة جبل لكي
يلقى نفسه متبدي له

الدليل دون قرة الأوهام والحيالات فانا نقول قوله لما في تلك الحالة لا تكتفى وجهك واجب وأصابع
أو حرام فإن قلتم إنه واجب فهو الفرض لأن الكشف مصيبة والتهنى عن المصيبة حق وإن قلتم إنه مباح
فإنه لأن يقول ما هو مباح فامتنع قولكم ليس للفاسق الحسبة وإن قلتم إنه حرام فنقول كان هذا واجبا
فمن أين حرم باقدامه على الزنا ومن التريب أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر وأما قرة
الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين : أحدهما أنه ترك الأثم واشتغل بما هو مهم وكما أن الطباع
تتفر عن ترك اللهم إلى ما لا يمتنى تتفر عن ترك الأثم والاشتغال بالمهم كما تتفر عن من يتخرج عن
تأول طعام منسوب وهو مواظب على الريا وكما تتفر عن يتعاون عن القية ويشهد بالزور لأن
الشهادة بالزور أغشى وأشد من القية التي هي إخبار عن كائن يصدق فيه الخبر وهذا الاستبعاد
في النفوس لا يدل على أن ترك القية ليس بواجب وأنه لو اغتاب أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك
عقوبته فكذلك ضرره في الآخرة من مصيبته أكثر من ضرره من مصيبة غيره فاشتغاله عن الأقل
بالأكثر مستنكر في الطبع من حيث إنه ترك الأكثر لامن حيث إنه أتى بالأقل فمن غضب فرسه
ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك القرس قرت عنه الطباع ويرى مسيئا إذ قد صدر منه طلب
اللجام وهو غير منكر ولكن للنكر تركه لطلب القرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه وتركه
الأثم بما دونه فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسنة من حيث
إنها حسبة مستنكرة . الثاني أن الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالتعريض ولا ينجم وعظ
من لا يعظ أولا ونحن نقول من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لعل الناس يفسد فليس عليه الحسبة
بالوعظ إذ لا فائدة في وعظه فالتسقي يؤثر في إسقاط فائدة كلامه ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط
وجوب الكلام فأما إذا كانت الحسبة بالنهي فالمراد منه القهر وعصم القهر أن يكون بالقول والحجة جميعا
وإذا كان فاسقا فان قهر بالقول قد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال له فأنت تقدم عليه تتفر
الطباع عن قهره بالقول مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما أن من يذب
الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تتفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن السلم
عن كونه حقا فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه
لا يعظ وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول ليس
له ذلك أيضا فخرج الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة
مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في إراقة الخمر وكسر
للإلهي وغيرها إذا قدر وهذا غاية الانصاف والكشف في الشبهة وأما الآيات التي استدلو بها فهو
انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لامن حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة عليهم وعقاب
العالم أعدل لأنه لا عذر له مع قوة عله وقوله تعالى - لم تقولون مالا تفعلون - للراد به الوعد الكاذب
وقوله عز وجل - وتسنون أنفسكم - إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لامن حيث إنهم أمروا غيرهم
ولكن ذكر أمر التبر استدلالا به على علمهم وتأكيدها للحجة عليهم وقوله لا ابن مريم عظم حشك
الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدى عند من يعرف فسقه
ثم قوله فاستمعى من لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استمعى منى فلا ترك الأثم وتشتغل
بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك وإلا فاستمعى . فان قيل فيلزم للكافر الذي أعجب على السلم
إذا رآه يزنى لأن قوله لا تزن حق في نفسه فمحال أن يكون حراما عليه بل ينبغي أن يكون مباحا

جبرائيل عليه السلام
قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ
لِرَسُولِ اللَّهِ حَقَائِكُنْ
لَدُنْكَ جَاشِعُوا ذِطَالَتِ
عَلَيْهِ قُرَّةُ الْوُحَى عَادَ
لِئَلْ ذَلِكَ قَيْتَبْدَى لَهُ
جَبْرِيلُ يَقُولُ لَهُ مِثْلُ
ذَلِكَ فَهَذِهِ الْأَخْبَارُ
لِلنَّبِيِّ عَنْ بَدءِ أَمْرِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ الْأَصْلُ
فِي إِيضَارِ الشَّيْخِ الْخُلَوَّةِ
لِلْمُرِيدِينَ وَالطَّالِبِينَ
فَاتِمُّوا إِذَا أَخْلَصُوا لَهُ
تَعَالَى فِي خُلُوتِهِمْ يَفْتَحُ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا يُؤْمِنُ بِهِمْ فِي
خُلُوتِهِمْ تَمْوِيضًا مِنْ اللَّهِ
إِيَّاهُمْ عَمَّا تَزْكُوا لِأَجَلِهِ
ثُمَّ خُلُوتُ الْقَوْمِ مُسْتَمِرَّةٌ
وَأَمَّا الْأَرْبَعُونَ
وَأَسْتَكْمَلَهَا لَهُ أَمْرٌ
ظَاهِرٌ فِي ظُهُورِ مَبَادِي
بَشَائِرِ الْحَقِّ سَبْعَانَهُ
وَتَعَالَى وَسُوءُ مَوَاجِبِهِ
السَّنِيَّةُ .

[الباب السابع]
وتنثرون في ذكر
فتوح الأربينية
وقد غلط في طريق
الخلوة والأربينية

أو واجبا . قلنا الكافر إن منع السلم بقله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث إنه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سيلا . وأما مجرد قوله لاتزن فليس يحرم عليه من حيث إنه نهى عن الزنا ولكن من حيث إنه يظهر دالة الاحتكام على السلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والناسق يستحق الإذلال ولكن لامن الكافر الذي هو أولى بالذل منه فهذا وجه مناضا إليه من الحسبة وإلا قلنا قول إن الكافر يعاقب بسبب قوله لاتزن من حيث إنه نهى بل قول إنه إذا لم يقل لاتزن يعاقب عليه إن رأينا خطاب الكافر بروع الدين وفيه نظر استوفياء في التقنيات ولا يليق بفرضنا الآن . الشرط الرابع : كونه مأذونا من جهة الإمام والوالى قد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للاحد من الرعية الحسبة وهذا الاعتراض فاسد فان الآيات والأخبار التي أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم فال تخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لأصله والسبب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام للصوم وهو الإمام الحق عندهم وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم أن يقال لهم إذا جاءوا إلى القضاء طالبن لحقوقهم في دعائهم وأمواهم إن نصرتمكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهى عن النكر وطلبكم لحكمكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق يعد لم يخرج . فان قيل في الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على السلم مع كونه حقا فينبى أن لا يثبت لأحد الرعية إلا بتفويض من الولى وصاحب الأمر . فنقول أما الكافر فمنع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على السلم وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يجوز إلى تفويض كمر التعليم والتعريف إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على النكر بمجهله لا يحتاج إلى إذن الوالى وفيه عز الإرشاد وعلى التعريف ذلك التجهيل وذلك يكفى فيه مجرد الدين وكذلك النهى . وشرح القول في هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتى أولها التعريف . والثانى الوعظ بالكلام اللطيف . والثالث السب والتعنيف ولست أعنى بالسب الفحش بل أن يقول يا جاهل يا حق ألتأخاف الله وما يجري هذا المجرى . والرابع اللع بالتهر بطريق المباشرة ككسر للدهى وإراقة الحجر واختطاف الثوب الحرير من لابه واستلاب الثوب النصب منه ورده على صاحبه . والخامس التخويف والتهديد بالغرب ومباشرة الضرب به حتى يمنع عما هو عليه كاللواظ على النية والتذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن جعل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يجوز إلى استماتة وجمع أعوان من الجانبين ويجز ذلك إلى قتال وسائر الراتب لا يخفى وجه استغنائها عن إذن الإمام إلا للرتبة الخامسة فان فيها نظرا سيأتى أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام . وأما التجهيل والتعقيم والنسبة إلى النسق وثقة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كمتحقق عند إمام جائر (١) كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه وكذلك كسر للدهى وإراقة الجور فانه تماطى ما يعرف كونه حقا من غير اجتهد فلم يفتقر إلى الإمام وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يمر إلى فتنة عامة فقيه نظر سيأتى واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاية

(١) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث

أبي سعيد الخدرى .

قوم وحرقوا الكرم
عن مواضع ودخل
عليهم الشيطان
وفتح عليهم بابا
من الفرور ودخلوا
الحلوة على غير أصل
مستقيم من تأدية حق
الحلوة بالاخلاص
وصموا أن الشايخ
والصوفية كانت لهم
خاوات وظهرت لهم
وقائع وكوشفوا بضراب
وعجائب قد دخلوا الحلوة
لطلب ذاك وهذا عين
الاعتسالة وبعض
الضلال وأما القوم
اختاروا الحسوة
والوحدة لسلامة الدين
وتفقد أحوال النفس
وإخلاص العمل لله
تعالى . نقل عن أبي
عمرو الأنماطى أنه قال
لن يصفو لعالم فهم
الأخير إلا بإحكامه
ما يجب عليه من
إصلاح الحال الأول
والواطن التي ينبغي أن
يعرف منها أمزاد هو
أم منتقص فضله أن
يطلب مواضع الخلو

قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضيا به فذاك وإن كان سخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج إلى إذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الأئمة كما روى أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل إنما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان اترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكرا فليستكرهه يده فان لم يستطع فليأمنه فان لم يستطع فليبلغه وذلك أضف الإيمان (١) » فقد كانوا يقومون من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنه وروى أن الهدي لما قدم مكة لبث بها ماشاء الله لها أخذ في الطواف يحيى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلبه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما صنع من جعلك بهذا البيت أحق بمن أتاه من المذبح إذا صار عنده حلت بينه وبينه وقد قال الله تعالى - سواء المالك فيه والباد - من جعل لك هذا فطر في وجهه وكان يعرفه لأنهم من مواليهم قال أعبد الله بن مرزوق ؟ قال نعم فأخذ ضربه إلى بحداد فسكره أن يساقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة فضبه في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وشتموا إليه فرسا عضوا سبي الخلق ليقره الفرس فلين الله تعالى له القرس قال ثم صبروه إلى بيت وأغلق عليه وأخذ الهدي للفتح عنده فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأودن به الهدي فقال له من أخرجك فقال الذي حبسني فضج الهدي وصاح وقال ما أخاف أن أتلك فرفع عبد الله إليه رأسه بضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة أودونا فما زال محبوسا حتى مات الهدي ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة قال وكان قد جعل على نفسه ندرا إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نهرها . وروى عن جابر بن عبد الله قال تراه هرون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر فقال له هرون قد كانت لك جارية تفتي فتحسن فحشاها قال فجاءت ففتت فلم يعهد غناها فقال لها ماشائك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالود فوائت شيئا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فغضب به الأرض فأخذه الخادم وذبح به إلى صاحب الربيع فقال احتفظ بهذا فانه طلبة أمير المؤمنين فقال له صاحب الربيع ليس ينفذ أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين فقال له اسمع ما أقول لك ثم دخل على هرون فقال إني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فغضب به الأرض فسكره فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا الضرب يا أمير المؤمنين ابش إلى صاحب الربيع ضرب عنقه وبرم به في الدجلة فقال لا ولكن نبش إليه ونناظره أولا فجاء الرسول فقال أجب أمير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقتل هرون قد جاء الشيخ فقال لئن شاء أي شيء ترون نرفع ما قدما من التكر حتى يدخل هذا الشيخ أو قوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له قوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أطلعهم إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفيه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم أخرج هذا من كك وادخل على أمير المؤمنين فقال من هذا عشائ الألب قال نحن نمشك قال لاجابة في عشائك قال هرون للخادم أي شيء تريد منه قال في كهنوت قلته الطرحه وادخل على أمير المؤمنين (١) حديث إن مروان خطب قبل الصلاة في العيد الحديث وفيه حديث أبي سعيد مرفوعا من رأى منكرا الحديث رواه مسلم .

لكي لا يمارضه شاغل
يفسد عليه ما يريد .
أنيابا طاهر بن أبي
التفضل إجازة عن أبي
بكر بن خلف إجازة قال
أنيابا أبو عبد الرحمن
قال سمعت أبا تميم الغري
يقول من اختار الحلو
على الصعبة فبني أن
يكون خاليا من جميع
الأنفكار إلا ذكر ربه
عز وجل وخاليا من
جميع اللذات والإمراد
وبه وخاليا من مطالبة
النفس من جميع
الأسباب فان لم يكن
بهذه الصفة فان خلوته
توقه في فتنة أو بلية .
أخبرنا أبو زرعة إجازة
قال أنا أبو بكر إجازة
قال أنا أبو عبد الرحمن
قال سمعت منصورا
يقول سمعت محمد بن
حامد يقول جاد رجل
إلى زيارة أبي بكر
الوراق وقال له أوصني
فقال وجدت خير الدنيا
والآخرة في الخلوة والقة
ووجدت شرها في
الكثرة والاختلاط

قال دعه لا يطرعه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال رأى شيء صنعت وجعل هرون يستحي أن يقول كبرت عودي فلما أكثر عليه قال إني سمعت أباك وأجدادك يقرءون هذه الآية على التبر - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وأنا رأيت منكراً فسيرته فقال فسيره فوالله ما قال إلا هذا فلما خرج أعطى الخليفة رجلاً بكرة وقال اتبع الشيخ فإن رأيت يقول قلت لأمر المؤمنين وقال لي فلا تمطه شيئاً وإن رأيت لا يكلم أحداً فاعطه البكرة ، فلما خرج من القصر إذا هو بخواة في الأرض قد فشت فجعل يبالغها ولم يكلم أحداً فقال له يقول لك أمير المؤمنين خلفه البكرة فقال قل لأمر المؤمنين بردها من حيث أخذها . ويرى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على الخوة التي يبالغ قلمها من الأرض وهو يقول :

أرى الدنيا لن هي في يدي هموماً كلها كثر ليد
تهين للكرمين لها يسفر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استخفيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

وعن سفیان الثوري رحمه الله قال حج الهمدي سنة ست وستين ومائة فرأيت برمي حجرة القبة والناس يخطبون بينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا أين عن والي عن قدامة ابن عبد الله الكلابي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم برمي البكرة يوم النحر على جبل لأضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك (١) . وها أنت يخطب الناس بين يديك بينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفیان الثوري فقال بسفیان لو كان للنصور ما احتملك على هذا فقال لو أخبرك للنصور بما لقي لقصرت عما أنت فيه قال قيل له إنه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفیان فاختفى . وقدرى عن اللأمون أنه بلغه أن رجلاً عسبياً يمشي في الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأموراً من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له إنه بلغني أنك رأيت نفسك أهلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن تأمر بك وكان للأمون جالساً على كرسى ينظر في كتاب أوصية فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به فقال له المتنب ارفع قدمك عن أعماح الله تعالى ثم قل ما شئت فلم يرفعهم للأمون مراده فقال ماذا تقول حتى أعاده ثلاثاً فلم يرفعهم فقال إما رفعت أو أذنت لي حتى أرفع فظفر للأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وفيه وخجل ثم عاد وقال لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم - الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - فقال صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت حاكم من السطان والتحكيم غير أنا أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى - وللمؤمنون وللؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف - الآية - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (٢) وقد مكنت في الأرض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فإن أخذت لها شكرت لمن أعانك لحرمتهما وإن استكبرت عنهما ولم تتقدم لأمرك منهما

(١) حديث قدامة بن عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم برمي البكرة يوم النحر على جبل لأضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه وأما قوله في أوله إن الثوري قال حج الهمدي سنة ست وستين فليس بصحيح فإن الثوري توفي سنة إحدى وستين (٢) حديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً متفق عليه من حديث أبي موسى وقد فهم في الباب الثالث من آداب الصحبة .

فمن دخل الخلوّة معتلاً
في دخوله دخل عليه
السلطان وسول له
أنواع الطغيان وامتلأ
من الضرور والهمال فظن
أنه على حسن الحال فقد
دخلت الفتنة على قوم
دخلوا الخلوّة بشير
شروطها وأقبلوا على
ذكر من الأذكار
واستجمعوا نفوسهم
بالزلة عن الخلوّة
ومنعوا الشواغل من
الحواس ككف
الرهائين والبراهمة
والفلاسفة والوحدة في
جميع المهم لها تأثير في
صفاء الباطن مطلقاً
كان من ذلك بحسن
سياسة الشرع وصدق
التابعة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أتبع
تنوير القلب والزهد في
الدنيا وحلاوة الذكر
والمعاملة بالله بالاخلاص
من الصلاة والتلاوة
وغير ذلك وما كان
من ذلك من غير
سياسة الشرع ومتابعة
رسول الله صلى الله

فإن الذي إليه أمرك ويده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا قتل الآن ماشئت فأعجب للأمن بكلامه وسره وقال مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف ونهى عن المنكر على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا فاستمر الرجل في ذلك ففي سياق هذه الحكايات بيان الدليل على الاستثناء عن الأذن، فإن قيل أقتبست ولاية الحسية للولد على الوالد والجد على الولي والزوجة على الزوج والتلميذ على الأستاذ والرعية على الراعي أفيينها فرق . فاعلم أن الذي نراه أنه ثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قدرتنا للحسبة خمس مراتب وللولد الحسية بالمرتبة الأولى وهما التعريف ثم الوعظ والنصح بالعرف والعدل والسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما المرتبتان الأخريان وهل له الحسية بالمرتبة الثالثة حيث تؤدي إلى أذى الوالد وسخطه هذا فيه نظره هو بأن يكسر مثلا عوده ويريق حمرة ويحل الخيوط عن ثيابه للنسوة من الحرير ويرد إلى اللالك ما يجده في بيته من لال الحرام الذي ضربه أو أسرقه أو أخذه عن إدراج رزق من ضريبة المسلمين إذا كان صاحبه معينا ويطلق الصور للنسوة على حيطانه وللثورة في خبث بيته ويكسر أو أوى الذهب والفضة فإن ضمه في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه لأن فعل الولد حق وسخط الأب منشؤه حبه لباطل وللحرام والأظهر في القياس أنه ثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يحد أن ينظر فيه إلى تبسبب النكر وإلى مقدار الأذى والسخط فإن كان للنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كإزالة حجر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وإن كان للنكر قريبا والسخط شديدا كإلواكته آتية من بور أو زجاج على صورة حيوان وفي كسر هاضر إن مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجرى هذه الصفة بجري الحر وغيره فهذا كله مجال النظر . فإن قيل ومن أين قلتم ليس له الحسية بالتعنيف والضرب والارهاق إلى ترك الباطل والأمر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص وأما التي عن التأنيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص فلا لا يطلق بارتكاب النكرات فنقول قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم إلا خلافا في أن الجلال ليس له أن يقتل أباه في الزنا حدا ولا له أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر بل يقطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابته . وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالاجماع (١) فإذا لم يجزله إيذاؤه بقوة هي حق على جناية ساجدة فلا يجوز له إيذاؤه بقوته هي منع عن جناية مستقبله متوقفة بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغي أن يجري في الجد والزوجة مع السيد والزوج فيما قربان من الولد في الزوم والحق وإن كان ملك الجاني كدمن ملك النكاح ولكن في الخبر أنه «لوجاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» (٢) وهذا يدل على تأكيدهم الحق أيضا وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها منه إلا التعريف والنصح فأما المرتبة الثالثة ففيها نظرم حيث إن الهجوم على أخذ الأموال من خزائنه وردها إلى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر آتية الخمر في بيته يكاد يفضي إلى خرق هيبة وإسقاط حشمته وذلك محظور ورد النبي عنه كأورد النبي عن السكوت على المنكر (٣) قد تمارض فيه أيضا عهذوران والأمريفة موكول

عليه وسلم ينتج صفاء في النفس يستأن به على اكتساب علوم الرياضة مما يعتنى به الفلاسفة والهريريون خذلهم الله تعالى وكلما أكثر من ذلك بعد عن الله ولا يزال القبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتب من المصوم الرباطية أوجعا قد يتأذى له من صدق الحاضر وغير ذلك حتى يركن إليه الركون التام ويظن أنه فاز بالمقصود ولا يعلم أن هذا الفن من الفائدة غريب متنوع من النصارى والبراهمة وليس هو المقصود من الخلوة بقول بعضهم إن الحق يريد منك الاستقامة وأنت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين شيء من خوارق العادات وصدق القراسة وبتين ما سيحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يفتح

(١) الأخبار الواردة في أن الجلال ليس له أن يجها أباه في الزنا ولا أن يباشر إقامة الحد عليه ولا يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالاجماع . قلت : لم أجده في الإحاديث لا بخلاف الوالد بالولد رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي فيه اضطراب (٢) حديث لوجاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها تهم في النكاح (٣) حديث النبي عن الانكار

إلى اجتهد منشؤه النظر في فاحش التكرار ومقدار ما يستطعن حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك بما لا يمكن ضبطه وأما التليد والأستاذ فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ لليدلهم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بسله فلأن يما له بموجب عليه الذي تعلمه منه . وروى أنه سئل الحسن عن الولد كيف يعتب على والده فقال يظلمه ما لم يظلم فإن غضبك عنه . الشرط الخامس : كونه قادرا ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حصة إلا قبله إذ كل من أحب الله بكره معاصيه وشكرها . وقال ابن ماجة رضي الله عنه جاهدا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفروا في وجوههم فافعلوا .

واعلم أنه لا يفسد سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يتحقق به ما يخاف عليه مكرها يئله فذلك في معنى العجز وكذلك إذا لم يخف مكرها ولكن علم أن إنكاره لا ينعف قليلت إلى معنيين : أحدهما عدم إقامة الإنكار امتناعا والآخر خوف مكره . ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال أحدها أن يجتمع للعيان بأن يعلم أنه لا ينعف كلامه ويضرب إن تكلم فلا يجنب عليه الحصة بل ربما تحرم في بعض المواضع فيلزمه أن لا يخسر مواضع التكرار ويترك في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا الحاجة ماسة أو واجب ولا يلزمه مقارنة تلك البلدة والمجرة إلا إذا كان يهوى إلى الفساد أو يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم وللتكرات

فيلزمه الهجرة إن قدر عايفا أن لا يكون عندها في حق من يقدر على الحرب من الأكرام . الحالة الثانية أن يفتي للعيان جميعا بأن يعلم أن التكرار يزيل قوله وقوله ولا يقدر له على مكره فيجب عليه الإنكار وهذه هي القدرة المطلقة . الحالة الثالثة أن يعلم أنه لا ينفذ إنكاره لكنه لا يخاف مكرها فلا يجنب عليه

الحصة لعدم فائدتها ولكن تستحب لأظهار شعائر الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين . الحالة الرابعة عكس هذوهو أن يعلم أنه يصاب بمكره ولكن يظن للتكرار ضربه كما يقدر على أن يرى زجاجة الفاسق

بحجر فيكسرهما ويرقى الحجر أو يضرب المود الذي في يده ضربة مخنطة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا التكرار ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي أوردناه في فضل كفة حق عند إمام جائر ولا شك في أن ذلك مظنة

الخوف . ويدل عليه أيضا ما روى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فأردت أن أنكر عليه وعلت أني أقتل ولم ينهي القتل ولكن كان في ملا من الناس

فخشيت أن يعترضني الذين لله خلق فأقلت من غير إخلاص في القتل . فان قيل فامع قوله تعالى - ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة - قلنا لا خلاف في أن السلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل وهذا ربما يظن أنه مخالف لموجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضي الله

عنهما ليس التهلكة بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى أي من لم يضل ذلك فقد أهلك نفسه . وقال البراء بن عازب التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لا تاب على ، وقال أبو عبيدة هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا

حق يهلكه وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضا له ذلك في الحصة ولكن لو علم أنه لا تملك لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وإنما

جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراته واعتقاده في سائر السنين فله البلاء وجههم للشهادة في سبيل الله فتكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز

على السلطان جهرة بحيث يؤدي إلى خرق هيئته الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعري من كانت عنده نصيحة لدى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخضه يده فليخل به فان

قبلها قبلها وإلا كان قد أدى الذي عليه والذي له قال صحيح الإسناد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكره من أهان سلطان الله في الأرض أهان الله في الأرض .

في عالم عدم ذلك وإنما قدح في عالم الانحراف عن حد الاستقامة فما يفتح من ذلك على الصادقين بصريسيا لمزيد إيمانهم والداعي لهم إلى صدق المجاهدة والمعاملة والزهدة في الدنيا والتخلق بالأخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وسماته واستطائه على الناس وازدراءه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الإسلام عن عنقه وينسكب الحدود والأحكام والحلال والحرام ويظن أن المقصود من العبادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يتدرج من ذلك إلى تلحد وتزندق ونعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لأقوام خيالات

للحاسب بل يستحب له أن يمرض نفسه بالضرب والقتل إذا كان حسبه تأثير في رفع المنكر أو في كسر جاه الناسق أو في قوة قلوب أهل الدين وأما إن رأى فاسقا متعلبا وعنده سيف ويده قدح وعلم أنه لو أنكر عليه شرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا يرى الحسبة فيه وجها وهو عين الملاك فان للطلوب أن يؤثر في الدين أثرًا ويغديه بنفسه فأما تعرض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغي أن يكون حراما وإنما يستحب له الانكار إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر له فاسقا فاند ذلك بشرط أن يقتصر للمكروه عليه فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رعاياه فلا يجوز له الحسبة بل يحرم لأنه يحجز عن دفع المنكر إلا بأن يضفي ذلك إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لغيره آخر يتعاطاه غير الاحتساب عليه فلا يصلح له الانكار على الأظهر لأن التصود عدمنا كبر الشرع مطلقا لا من زيد أو عمرو وذلك بأن يكون متلعا من الإنسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم أنه لو أراقه شرب صاحبه أضر أو شرب أولاده أضر لإعوازم الشراب الحلال فلا معنى لارتأفة ذلك ويحتمل أن يقال إنه يرق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكروه وأما شرب الخمر فهو اللوم فيه والاحتساب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب إلى هذا ذاهبون وليس يبينان ههنا مسائل قهية لا يمكن فيها الحكم بالإطلاق ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر القهية والمنكر الذي تفضي إليه الحسبة والتخير فانه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك قدح إنسانا وأكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه عمله على أخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقائق واقعة في عمل الاجتهاد وعلى الاحتساب اتباع اجتهاده في ذلك كله وهذه الدقائق تقول : العاقل ينبغي له أن لا يحتسب إلا في الجليات المعلومة كسبب الخمر والرائحة وترك الصلاة فأما ما يسلح من تعصية بالإضافة إلى ما يضيف به من الأفعال فيغفر فيه إلى الاجتهاد فالعاقل إن خاص فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالي إذ ربما يتدب لها من ليس أهلا لها فتصور معرفته أو تصوراتياته فيؤدي ذلك إلى وجوه من الخلل الوسياني كشف القطاء عن ذلك إن شاء الله فإن قيل وحيث أطلعت العلم بأن يصيبه مكروه أو أنه لا ينفذ حسبه فتوكلان بدل العلم ظن فما حكمه . قلنا : الظن النال في هذه الأبواب معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجع العلم اليقيني على الظن ويغرق بين العلم والظن في مواضع أخرى وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا أنه لا ينفذ فان كان غالب ظنه أنه لا ينفذ ولكن يحتمل أن يفيدوه مع ذلك لا يتوقع مكروهه فقد اختلفوا في وجوبه والأظهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقفة وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الوجوب بكل حال ونحن إنما نستقي عنه بطريق التخصص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالاجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد منه بل للمأمور فاعلم على اليأس عنه فلا فائدة فيه فأما إذا لم يكن يأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب فان قيل قل فالمكروه الذي تتوقع إصابته إن لم يكن متيقنا ولا معلوما بنائب الظن ولكن كان مشكوكا فيه أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتدل أن يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الاعتداليين بأنه لا يصيبه مكروه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب في ظنه أنه يصاب بمكروه قلنا إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب وإن غلب أنه لا يصاب وجب ومجرد التجوز لا يسقط الوجوب فان ذلك يمكن في كل حصة وإن شك فيه من غير جهان فهذا محل النظر فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم السموات وإنما يسقط بمكروه وللكره هو الذي يظن أو علم حتى يكون متوقفا وهذا هو الأظهر ويحتمل أن يقال إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر في فعله أو ظن أنه لا ضرر عليه

يظنونها وقائع
ويشبهونها بوقائع
للشايخ من غير علم
بحقيقة ذلك فمن أراد
تحقيق ذلك فليعلم أن
الصد إذا أخلص لله
وأحسن نيته وقصد
في الخلة أربعين
يوما أو أكثر فمنهم
من يباشر باطنه صفو
اليقين ويرفع الحجاب
عن قلبه ويصير كما
قال قائمهم : رأى قلبى
ربى ، وقد يصل إلى
هذا المقام تارة بآبائه
الأوقات بالصالحات
وحكف الجوارح
وتوزيع الأوراد من
الصلاة والتلاوة
والذكر على الأوقات
وتارة ياديه الحق
لموضع صدقه وقوة
استمداده بمباداة من
غير عمل وجد منه
وتارة يبعد ذلك
بملازمة ذكر واحد
من الأذكار لأنه
لازال يردد ذلك
الذكر وهو يتكون
جداثة الصلوات

والأول أصح نظرا إلى قضية العمومات اللوجية للأمر بالمعروف فإن قيل فالتوقع للمعروف يختص بالجين والجرامة للجانين الضعيف القلب يرى المصدق ما حتى كأنه يشاهده ويرتاج منه والتهور الشجاع يبعد وقوع الكسوف به بحكم ما جيل عليه من حسن الأمل حتى إنه لا يصدق به إلا بدموعه قتل ماذا التعويل . قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والزواج فإن الجين مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وضرب في التهور إفراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وإنما الكمال في الاعتدال الذي يسره به بالشجاعة وكل واحد من الجين والتهور صدر تارة عن نقصان العقل وتارة من خلل في الزواج بفطرط أو إفراط فإن من اعتدل مزاجه في صفة الجين والجرامة قد لا يفتن لمداير الشر فيكون سبب جراته جهله وقد لا يفتن لمداير الشر ودوافعه ولكن يصل الشر البدي في تغذيه وجهه وقد يكون علما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ولكن يصل الشر البدي في تغذيه وتحليل قوته في الأقدام بسبب ضعف قلبه ما يعضه الشر القريب في حق الشجاع للعدل الطبع فلا تنافس إلى الطرفين وعلى الجبان أن يتكشف إذا كان الجين بإزالة علته وعلته جهله أو ضعفه وبزوال الجبل بالتجربة وبزوال الضعف بممارسة الفعل الخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا إذ للتبدي في المناظرة والوعظ مثلاً فحينئذ عن طبعه لضعفه فإذا مارس واعتاد فارتفع الضعف فإن صار ذلك ضرورياً غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيمنع كما يمنع الرئس في القاعد عن بعض الواجبات وذلك قد قول على رأى لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الإسلام على من يظن عليه الجين في ركوب البحر ويجب على من لا يظن خوفه منه فكذلك الأمر في وجوب الحسبة . فإن قيل فالمعروف التوقع ماحده فإن الإنسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المهتجب عليه في حقه بالنسبة وما من شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسمى به إلى سلطان أو يفتح فيه في مجلس يتضرر بقدره فيه فاحذر المكروه الذي يسقط الوجوب به . قلنا هذا أيضا فيه نظرقاض وصورته منتشرة وبجارية كثيرة ولكننا نجد في ضم كثره وحصر أقسامه فنقول المكروه تنقيض للطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور : أما في النفس فالعلم وأما في البدن فالصحة والسلامة . وأما في المال فالثروة . وأما في قلوب الناس فقيام الجاه . فإذا للطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كأن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض كأن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض وسيأتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه في ربيع الهللكات وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الإنسان لنفسه ولأقاربه واختص به ويكره في هذه الأربعة أمران أحدهما زوال ما هو حاصله موجود والآخر امتناع ما هو منتظر مفقود أعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر إلا في فوات حاصل وزوال أو تنويق منتظر فإن للتظن عبارة عن الممكن حصوله وللمكن حصوله كأنه حاصل وفوات إمكانية كأنه فوات حصوله فترجع المكروه إلى قسمين أحدهما خوف امتناع للتظن وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصاً في ترك الأمر بالمعروف أصلاً . ولندكر مثاله في الطالب الأربعة . أما العلم فثاله تركه الحسبة على من يخص بأستاده خوفاً من أن يفسح حاله عنده فيمتنع من تعليمه . وأما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلاً وهو لا يلبس حريراً خوفاً من أن يتأخر عنه فتمتعه بسببه صحته للتظن . وأما المال فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدارته في المستقبل ويترك مواساته . وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يفسح حاله

الحسب يستبها الزانية
فحسب وسائر أوقاته
مشغولة بالذكر الواحد
لا يتخللها شور ولا
يوجد منه قصور ولا
يزال يردد ذلك الذكر
ملتزم به حتى في طريق
الوضوء وساعة الأكل
لا يتر عنه . واختار
جماعة من الشايع من
الذكر كلمة لا إله إلا الله
وهذه الكلمة لها
خاصية في تور الباطن
وجمع الهم إذا دأب
عليها صادق عخلص
وهي من مواهب الحق
لهذه الأمة وفيها خاصة
لهذه الأمة فيها حدثنا
شيخنا ضياء الدين
إسلام قال أنا
أبو القاسم الدمشقي
الحافظ قال أنا
عبد الكريم بن
الحسين قال أنا
عبد الوهاب الدمشقي
قال أنا محمد بن خريم
قال ثنا هشام بن
عمار قال ثنا الوليد
ابن مسلم قال أنا
عبد الرحمن بن زيد

عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت
وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شيء
إلا ما يدعو إليه الحاجة ويكون في فوائده محذور يزيد في محذور السكوت على التكرار إذا كان محتاجا إلى
الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب وسلم أن في تأخر مقعدة الفتن به وطول المرض وقد
ينضى إلى الموت وأغنى بالمظن الذي يجوز بثله ترك استعمال الدواء والدول إلى التيمم فإذا انتهى إلى
هذا الحد لم يعد أن يرخص في ترك الحسبة وأما في العلم فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد إلا معصيا
واحدا ولا قدرته على الرحلة إلى غيره وعلم أن المختب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه
لكون العالم مطعاه أو مستعما لقوله ، فإذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على التكرار
محذور ولا يمدن أرجح أحدهما ويختلف ذلك بتفاصيل التكرار وبشدة الحاجة إلى العلم المتعلقة بمهمات
الدين وأما في المال فكم من يجوز عن الكسب والسؤال وليس هو قوى النفس في التوكل ولا منفق
عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وانقرض في تحصيله إلى طلب ائدار حرام أو مات
جوعا فهذا أيضا إذا اشتد الأمر فيه لم يعد أن يرخص له في السكوت . وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير
ولا يجسبيل إلى دفع شره إلا بجاء يكتسبه من سلطان ولا قدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص
يلبس الحرير أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه
ويدوم بسببه أذى الشرير فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقوت لم يعد استثنائها ولكن الأمر فيها
منوط باجتهاد المختب حتى يستفيق فيها قلبه ويزن أحد المحذورين بالآخر ويرجع بنظر الدين لا عوج
المهوى والطبع فإن رجع بموجب الدين مسمى سكوت مدارة وإن رجع بموجب المهوى مسمى سكوت
مداهنة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه أن
يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعته وصارفه أنه الدين أو المهوى ويستجد كل نفس ما حملت من
سوء أخير محضرا عند الله ولو في قلعة خاطر أو قلعة ناظر من غير ظلم وجور لما الله بظلام للبيد .
وأما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الأمور الأربعة إلا العلم فإن
فوائده غير مخوف إلا بتقصيره وإلا فلا يضر أحد على سلب العلم من غيره وإن قدر على سلب الصحة
والسلامة والثروة والمال وهذا أحد أسباب شرف العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا
انقطاع له أبد الآباد . وأما الصحة والسلامة فتواتهما بالضرب فكل من علم أنه يضرب ضربا مؤلما
يتأذى به في الحسبة لم تزلمه الحسبة وإن كان يحتمل ذلك كما سبق وإذا فهم هذا في الإيلام بالضرب
فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر . وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنب داره وغرب بيته وتسل
ثيابه فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويحق الاستعجاب إذا بأس بأن يهدى دينه ودينه ولكل واحد
من الضرب والتهب حد في القلة لا يكثر به كالحاجة في المال والطمعة الخفيف ألها في الضرب وحد
في الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين أن يجتهد في ذلك
ويرجع جانب الدين ما أمكن . وأما الجاه فقواته بأن يضرب ضربا غير مؤلم أو يسب على ملا من
الناس أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسود وجهه ويظاف به وكل ذلك من غير
ضرب مؤلم للبدن وهو قاذح في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى ما يرجع عنه
بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حائفا فهذا يرخص له في السكوت لأن المروءة أمور يحفظها
في الشرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات درجات قليلة فهذه درجة .
الثانية ما يرجع عنه بالجاه المحض وعلاوة الرتبة فإن الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذلك الركوب بالخيول

عن أبيه أن عيسى
ابن مريم عليه السلام
قال : رب أنبئني عن
هذه الأمة للرحمة
قال أمة محمد عليه
الصلاة والسلام علماء
أخفاء أتقياء خطاء
أصفياء حكماء كائهم
أنبياء رضون مسمى
بالقليل من الطعام
وأرضى منهم باليسير من
العمل وأدخلهم الجنة
بلا إله إلا الله يا عيسى
هم أكثر سكان الجنة
لأنهم لم تذلل السنن قوم
قط بلا إله إلا الله كما
ذلت ألسنتهم ولم تذلل
رقاب قوم قط بالسجود
كما ذلت رقابهم . وعن
عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما
قال إن هذه الآية
مكتوبة في التوراة
يا أيها النبي إنا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للمؤمنين وكذرا
للاميين أنت عيسى
ورسولي ميثك للتوكل
ليس بقط ولا غليظ
ولا مستجاب في الأسواق

فلو علم أنه لو احتسب لكلف الشيء في السوق في ثياب لا يتعد هومثلها أو كلف الشيء راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة الزايا وليست الواظية على حفظها محمودة وحفظ الرومة محمود فلا ينبغي أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف أن تعرض له باللسان إما في حضرته بالتجمل والتحميق والنسبة إلى الرياء والبهتان وإما في غيبته بأنواع القية فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه القليل ليس إليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتيال فاسق أو شتمه وتعتيه أو سقوط للثرة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان الشكر هو القية وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن التثاب ولكن أضاف إليه وأدخله معه في القية تحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة للمصيبة وإن علم أنه يترك تلك القية ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضا مصيبة في حق الثواب ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بمرض نفسه على سبيل الإيثار وقد دلت المصومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابله إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد تظهر في الشرع خطرها فأما زيا الجاه والحشمة ودرجات التجميل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له . وأما امتناعه لحرفه من هذه المكارة في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوفقه لأن له أن يسمح في حقوق نفسه وليس له المساحة في حق غيره فإذا ينبغي أن يتمتع فانه إن كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المصيبة كالشرب والتهب فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضي إلى منكر وإن كان يفوت لا بطريق المصيبة فهو إيذاء السلم أيضا وليس له ذلك إلا براضام فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له أقارب أغنياء فانه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطتهم فإذا كان يتهدى الأذى من حسبه إلى أقاربه وجيرائه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على الشكر محذور نعم إن كان لا يتألمه أذى في مال أو نفس ولكن يتألمه الأذى بالثتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاقمها ودرجات الكلام المحذور في نكاته في القلب وقدحه في العرض . فان قيل فلو قصد الانسان قطع طرف من نفسه وكان لا يتمتع عنه إلا بقتال رجما يؤدي إلى قتله فهل يقاتل عليه فان قتلهم يقال فهو محال لأنه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف أيضا . قلنا يمنعه عنه ويقاتله إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل الشكر والمصيبة وقتله في الحسبة ليس بمصيبة وقطع طرف نفسه مصيبة وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فانه جائز لا على معنى أنا نهدى درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين مصيبة وقتله في الدفع عن المصيبة ليس بمصيبة وإنما المقصود دفع المعاصي . فان قيل فلو علمنا أنه لو خال بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن يقتله في الحال حسبا لباب المصيبة . قلنا ذلك لا يسلم فينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم مصيبة ولكن إذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفنناه فان قاتلنا قاتلناه ولم نباله بما يأتي على روحه فإذا المصيبة لها ثلاثة أحوال : إحداها أن تكون متصرمة فالعقوبة على متصرم منها أحد أو تمزج وهو إلى الولا لا إلى الأحاد . الثانية أن تكون المصيبة راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وإسكاكه الودع والخرق فإبطال هذه المصيبة واجب بكل ما يمكن مالم تؤد إلى مصيبة أعظم منها أو مثلها وذلك ثبت للأحاديث الشرعية الثالثة أن يكون الشكر متوقفا كإحدى يستمد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه إذ ربما يوق عنه عائق فلا يثبت للأحاد سلطة على العازم على الشرب

ولا يجوز بالبيتة البيتة ولكن ينفو ويصنع ولن أقضه حتى تقام به لثة اللوعة بأن يقولوا لإله إلا الله ويفتحوا أعيننا عميا وأذا لنا صماوقوا بغلفا فلا يزال العبد في خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطأة القلب حتى يصير الكلمة متأصلة في القلب مزينة لحديث النفس ينوب معناها في القلب عن حديث النفس فإذا استولت الكلمة وسهلت على اللسان يتشربها القلب فلو سكت اللسان لم يسكت القلب ثم تتجوه في القلب ويتجوهها يستكن نور اليقين في القلب حتى إذا ذهبت سورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها تتجوهها وتتخذ الدهر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى ويصير الذكر حيث ذكر الذات

إلا بطريق الوعظ والنصح تأمّا بالتنيف والضرب فلا يجوز للأحد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك الحبة علقت منه بالمادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدى إليها ولم يبق حصول الحبة إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج فأنهم وإن لم يضيقوا الطريق لسته تجوز الحبة عليهم بأقاصمهم من اللؤس ومنهم عن الوقوف بالتنيف والضرب وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية وإن كان مقصد العاصي وراهم كما أن الخلوة بالأجنبية في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونفى المظنة ما تعرض للانسان به لوقوع المعصية غالباً بحيث لا يقدر على الانكشاف عنها فإذا هو على التحقيق حبة على معصية راحته لاطى معصية منتظرة .

(الركن الثاني للحبة مافيه الحبة)

وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للبحث فيه نجس معلوم كونه منكراً بغير اجتهاد فيه أربعة شروط فنبعث عنها . الأول : كونه منكراً ونفى به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صبيّاً أو مجنوناً يشرب الخمر ضلّهُ أن يريق خمره ويمنه وكذا إن رأى مجنوناً زنى بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لوصاف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لا عاصي بها محال فلنقف المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا نخص الحبة بالكبائر بل كشف الصورة في الحام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنساء الأجنبية كل ذلك من الصغار ويجب التنبه عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظرياً في كتاب التوبة . الشرط الثاني : أن يكون موجوداً في الحال وهو احتراز أيضاً عن الحبة على من فرغ من شرب الخمر فإن ذلك ليس إلى الأحاد وقد اقتضى المنكر واحتراز عما سويجده في ثاني الحال كمن يعلم قربته حاله أنه عازم على الشرب في ليته فلاحبة عليه إلا بالوعظ وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضاً فإن فيه إساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لما تعلق ولتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه . الشرط الثالث : أن يكون المنكر بظاهراً للبحث فيه نجس : فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابها لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد أوردناها في كتاب آداب الصبغة وكذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه تسلى دار رجل قرأه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيت من ثلاثة أوجه فقال وما هي ؟ فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا - وقد تجسست - وقال تعالى - وأنوا البيوت من أبوابها - وقد آسورت من السطح . وقال - لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها - وما لم تستركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد نفسه منكراً فهل له إقامة الحد فيه ؟ فأشار على رضي الله عنه بأن ذلك منوط بدلين فلا يكفي فيه واحد وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصبغة فلا نبيدها فإن قلت لما حدث الظهور والاستتار . فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه تشرف المعصية إلا لأن يظهر في الدار ظهوراً يبره من هو خارج الدار كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملامى وكذا

وهذا الذكر هو
الشاهدة وللشاهدة
والعانية أعني ذكر
الذات بتجوهر نور
الذكر وهذا هو
للقصد الأقصى من
الخلوة وقد يحصل
هذانم الخلوة لا يذكر
الكلمة بل بتلاوة
القرآن إذا أكثر من
التلاوة واجتهد في
مواطأة القلب مع
الاسان حتى تجري
التلاوة على اللسان
ويقوم معنى الكلام
مقام حديث النفس
فيدخل على البعد
سهولة في التلاوة
والصلاة ويتنور
الباطن بتلك السهولة
في التلاوة والصلاة
ويتجوه نور الكلام
في القلب ويكون منه
أيضاً ذكر الذات
ويجتمع نور الكلام

إذا ارتفعت أصوات السكاري بالكلمات للألوفة بينهم بحيث يسمعون أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة فاذن إنما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أوراثة فإذا فاحت روائح الخمر فإن احتمل أن يكون ذلك من الجوار المحترمة فلا يجوز قصدها بالإراقة وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر في السكك ونعت القليل وكذلك للالهى فإذا رأى قاصقاً ونحت ذيله شيء لم يجوز أن يكشف عنه ما يظهر بعلامه خاصة فإن فسقها لا يدل على أن الذى معه خمر إذ القاصق محتاج أيضاً إلى الخل وغيره فلا يجوز أن يستدل باخفائه وأنه لو كان حلالاً لأخفاه لأن الأغراض في الإخفاء مما تستكر وإن كانت الرأفة فافعة فهذا محل النظر والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة تنفيع الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور وكذلك العود ربما يصرّف بشكله إذا كان الثوب السائر له رقيقاً فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالاته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بأن نستمر الله ونسبح على من أبدى لنا صفحته والإبداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن أن نخصص ذلك بحاسة البصر بل للراد العلم وهذه الحواس أيضاً تنفيع العلم فاذن إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول أرفى لأعلم ما فيه فإن هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الأمارات المعرفة فالأمارات المعرفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بغيرها فأما طلب الأمارات المعرفة فلا رخصة فيه أصلاً. الشرط الرابع أن يكون كونه منكراً معلوماً بغير اجتهد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفى أن ينسكب على الشافعى أكله الضب والضعف ومتروك التسمية ولا للشافعى أن ينسكب على الحنفى شربه النبيذ الذى ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الأرحام وجولسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجارى الاجتهاد نعم لورأى الشافعى شافعيًا يشرب النبيذ ينسكب بلا ولي وطأ زوجته فهذا محل النظر والأظهر أن له الحسبة والانسكار إذ لم يذهب أحد من المحصلين إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهد غيره ولا أن الذى أدّى اجتهداه في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بذهب غيره فيعتقد من المذاهب أطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذن مخالفته للتقليد متفق على كونه منكراً بين المحصلين وهو عاص بالخالفة إلا أنه يلزم من هذا أمر أغضض منه وهو أنه يجوز للحنفى أن يعترض على الشافعى إذا نسكب بغيرولى بأن يقول له القفل في نفسه حق ولكن لا في حقك فانت مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعى ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وإن كانت صواباً عند الله وكذلك الشافعى يحتسب على الحنفى إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له إما أن تعتقد أن الشافعى أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أولاً تعتقد ذلك فلا تخدم عليه لأنه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجامع الأهم مثلاً امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأة زوجه أبوه وإياها في مفروء ولكنه ليس يدرى وعجز عن تعريض ذلك لصومه أو لكونه غير عارف بلفظه فهو بالاقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبى أن يمنعا عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث إنه حلال في علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلظه وجهله ولا شك في أنه لو علّق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلاً من مشيت أو غضب أو غيرهم وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريض ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فإذا وآه جوامع فضله للتعلى بالسان لأن ذلك زنا إلا أن الزانى غير عالم بهو المحتسب عالم بأنها طلقته منه ثلاثاً وكونهما غير عاصين لجهلها بما وجود الصفة لا يخرج القفل عن كونه منكراً ولا يتقاعد ذلك عن زنا الخناجون

في القلب مع مطالعة
عظمة للشك سبحانه
وقال ودون هذه
للوهبة ما يفتح على
البعد من العلوم
الالهامية الدينية وإلى
حين بلوغ البعد هذا
للبلغم حقيقة الذكر
والثلاوة إذا صفا باطنه
قد يقبض في الذكر من
كال أنه وحلاوة
ذكره حتى يلتحق في
غيبته في الذكر بالانتم
وقد تتجلى له الحقائق
في لسة الخيال أولاً
كما تنكشف الحقائق
للانتم في لسة الخيال
كن رأى في المنام أنه
قتل حية فيقول له
المبرقظظر بالعدو فظفروه
بالعدو هو كشف
كاشفه الحق تعالى به
وهذا الظفر روح
عجود صاغ ملك الرؤيا
له جسدا لهذا الروح

وقدينا أنه يمنع منه فاذا كان مع ما هو منكر عند الله وإن لم يكن منكرا عند القاعل ولا هو عاص به لغير الجهل فيأمر من عكس هذا أن يقال ما ليس ينكر عند الله وإنما هو منكرا عند القاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الأظهر والعلم عند الله ، فحصل من هذا أن الحنفى لا يعترض على الشافعى في النكاح بلاولى وأن الشافعى يعترض على الشافعى فيه لكون التعرض عليه منكرا باخفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل قهية ذوقية والاحتمالات فيها متعارضة وإنما أقتينا فيها بحسب ما ترجع عندنا في الحال ولنا قطع خطأ ترجيح المخالف فيها إن رأى أنه لا يجرى الاحتساب إلا في معلوم على القطع وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا لاحسبة إلا في مثل الحر والخزير وما يقطع بكونه حراما ولكن أنجبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد إذ يعد غاية البد أن يجتهد في القبة ويسترف بظهور القبة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع منه لأجل ظن غيره لأن الاستدبار هو الصواب ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلدان يختار من المذهب ما أراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلا فهذا مذهب لا يثبت وإن ثبت فلا يعتد به . فان قلت إذا كان لا يعترض على الحنفى في النكاح بلاولى لأتبرى أنه حق فينبى أن لا يعترض على المعتزلى في قوله إن الله لا يرى وقوله وإن الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الخشوى في قوله إن الله تعالى جسم وله صورة وإنه مستقر على العرش بل لا يبنى أن يعترض على الفيلسفى في قوله الأجساد لا تبيث وإماتت النفوس لأن هؤلاء أيضا أدى اجتهدهم إلى ما قالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق . فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فطلان مذهب من خالف نص الحديث الصحيح أيضا ظاهر وكأنت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى والمعتزلى ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفى كسئله النكاح بلاولى ومسئلة خفة الجوار ونظارها . فاعلم أن المسائل تنقسم إلى ما يتصور أن يترك فيه كل مجتهد مصيب وهي أحكام الأفعال في الحل والحرمه وذلك هو الذى لا يعترض على المجتهدين فيه إذ لم يعلم خطأهم قطعا بل ظنا وإلى ما لا يتصور أن يكون الصيب فيه إلا واحد كسئله الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفى الصورة والجسميه والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ الخطأ فيه قطعا ولا يبقى لحظه الذى هو جعل بعض وجهه فاذن البدع كلها يبنى أن تحسم أبوابها وتتصكر على البدعين بدعهم وإن اعتقدوا أنها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان الاجتهاد . فان قلت فهما اعترضت على القدرى في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدرى أيضا في قولك الشر من الله وكذلك في قولك : إن الله يرى وفي سائر المسائل إذ البدع حق عند نفسه والحق مبتدع عند البدع وكل يدعى أنه حق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب . فاعلم أنا لأجل هذا التعارض قول ينظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة فإن كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بنير إذن السلطان وإن اقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة وكان في الاعتراض تحريك فتنة المقاتلة فليس للأحد الحسبة في المذهب إلا بنصب السلطان فإذا رأى السلطان رأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر للبدعة عن إظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الأحاد فيتقابل الأمر فيه وعلى الجملة فالحسبة في البدعة أهم من الحسبة في كل التنكرات ولكن يبنى أن أراعى فيها هذا التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيها ولا ينتجر إلى تحريك الفتنة بل لو أذن السلطان مطلقا في منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش بماس له أو غير ذلك من البدع لتسلط الأحاد على النعم منه ولتقابل الأمر فيه وإمات يتقابل عند عدم إذن السلطان فقط .

من خيال الحية فالروح الذى هو كشف الظفر أخبار الحق ولبسة الخيال الذى هو بمثابة الجسد مثال انبيث من نفس الرأى في النام من استصحاب القوة الوهمية والخيالية من القطة فيتألف روح كشف الظفر مع جسد مثال الحية فاقترن إلى التعبير إذ لو كشف بالحقيقة التى هى روح الظفر من غير هذا المثال الذى هو هيئة الجسد ما احتاج إلى التعبير فكان يرى الظفر ويسبح الظفر وقد يتجرد الخيال باستصحاب الخيال والوهم من القطة في النام من غير حقيقة فيكون النام أضغاث أحلام لا يبرق وقد يتجرد

(الركن الثالث : المحتسب عليه)

وشرطه أن يكون بصفة صير الفعل للمنع منه في حقه منكراً أو قلاً ما يكفي في ذلك أن يكون إنساناً ولا يشترط كونه مكلفاً إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإن كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه عيماً إذ بينا أن المجنون لو كان يترى بمجنونة أو يأتى بهيمة لوجب منه من نهي الأفعال ما لا يكون منكراً في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره . ولكننا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضاً ما يختلف فيه للقيم والسافر والريض والصحيح وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها يتبأ توجه أصل الانكار عليه لا ما بها يتبأ للتفاصيل . فإن قلت فاكشف بكونه حيواناً ولا يشترط كونه إنساناً فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعاً لإنسان لكنها منه كاتمة المجنون من الزنا وإتيان البهيمة . فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لأوجهها لإدخاله عبارة عن المنع عن منكراً لحق الله صيانة للمنعوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والإنسان إذا أنلف زرع غيره منع من الحلقين : أحدهما حق الله تعالى فإن فعله مصيبة والثاني حق التلفت عليه فهما علتان تفصل إحداها عن الأخرى فلو قطع طرف غيره بإذنه فقد وجدت المصيبة وسقط حق المجني عليه بإذنه فنثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين والبهيمة إذا أنلفت فقد عدمت المصيبة ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين ولكن فيه حقيقة وهو أننا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم تمنعها منه بل يجوز إعطام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقد نال على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظاً للمال بل لو وقعت جرة لإنسان من علو أو تحتها فإرادة لغيره فتدفع الجرة القارورة لمنع الجرة من السقوط فانا لا نقصد منع الجرة وحراسها من أن تصير كاسرة للقرورة ومنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لصيانة البهيمة المأتمنة أو الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتزنيهاً له من حيث إنه إنسان يحترم فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها إلا المحققون فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فباستحباب الصبي والمجنون عنه نظر إذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك وستعرض لما نشير إليه في الباب الثالث . فإن قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها وكل من رأى مالاً للمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه . فإن قلت إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخراً لغيره طول عمره وإن قلت لا يجب فلو يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير . فنقول : هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو قصان في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في أن مال الإنسان إذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتان الشهادة في معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لأضرار على الدافعيه فأما إن كان عليه تب أو ضرر في مال أو جاء لم يلزمه ذلك لأن حقه مرعى في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يهدى غيره بنفسه نعم الإشارة مستحب وتجنب المصاعب لأجل المسلمين قرية فأما إيجابها فلا فائدة إن كان يتب بإخراج البهائم عن الزرع يلزمه السعي في ذلك ولكن إذا كان لا يتب بتنبية صاحب الزرع من نومه أو بإعلامه يلزمه ذلك فاهل تعرفه وتنبية كاهله تعرف القاضي بالشهادة وذلك لأرخصة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال

لصاحب الخلوه الحيال
للتبث من ذاته من
غير أن يكون وعاء
لحقيقة فلا ينبغي على
ذلك ولا يلتفت إليه
فليس ذلك واقعة وإنما
هو خيال فأما إذا غاب
الصادق فيه ذكر الله
تعالى حتى يسيب عن
المحسوس بحيث لو
دخل عليه داخل من
الناس لا يعلم به لخصيته
في الذكر فعند ذلك قد
ينبث في الابتداء من
نفسه مثال وخیال
ينفع فيه روح
الكشف فاذا عاين
غيبته فلما يأتيه تفسيره
من باطنه موهبة من
الله تعالى وإما يفسره
له شيخه كما يمر المر
الناس ويكون ذلك
واقعة لأنه كشف
حقيقة في لبسة مثال
وشرط صحة الواقعة

إن كان لا يضيع من منفعة في مدة اشتغاله باخراج البهائم إلا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يغوته مال كثير فيترج جانبته لأن الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف ولا سبيل للمصير إلى ذلك فأما إذا كان فوات اللال بطريق هومعصية كالنصب أو قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع منه وإن كان فيه تب ما- لأن للصود حق الشرع والنرض دفع العصية وعلى الإنسان أن يتب نفسه في دفع العاصي كما عليه أن يتب نفسه في ترك العاصي والعاصي كلها في تركها تب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غاية التب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفتيل فيه كما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مستلئين تحريمان من غرضنا : إحداها أن الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة وللنقط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا أن فصل ويقال إن كانت اللقطة في مواضع لو تركها فيه لم تضع بل ينفطها من يعرفها أو ترك كالوكان في مسجد أو رباط يتعين من بدخله وكلهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط وإن كانت في مضية نظرفان كان عليه تب في حفظها كالوكانت بهيمة وتحتاج إلى علف وإسبيل فلا يلزمه ذلك لأنه إنما يجب الالتقاط لحق للمالك وحقه بسبب كونه إنسانا محترما وللنقط أيضا إنسان وله حق في أن لا يتب لأجل غيره كما لا يتب غيره لأجله فان كانت ذهباً أو ثوبا أو شيئا لاضرر عليه فيه إلا مجرد تب التعريف فهذا ينبغي أن يكون في عمل الوجهين قتائل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تب فلا سبيل إلى إزاهم ذلك إلا أن يتبرع فيلزم طلبا للثواب وقائل يقول : إن هذا القدر من التب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين فيلزم هذا منزلة تب الشاهد في حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع به فإذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التب بهذه الخطوات لا يعد تبيا في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأوحج إلى الحضور في المهاجرة وشدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فان الضرر الذي ينال السامح في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبال به وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزمه احتمال ووسط يتجاوز به الطرفان ويكون أبدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات للزمنة التي ليس في مقدور البشر إزالتها إذ لاعة تفرق بين أجزائها للنفارية ولكن التي ينظر فيها نفسه ويدفع ما يبريه إلى ما لا يبريه ، فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل .

(الركن الرابع : نفس الاحتساب)

وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعدو الصبح ثم السب والتعنيف ثم التنفير باليد ثم التريديد بالضرب ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود . أما الدرجة الأولى وهي التعرف ونفي به طلب العرفة بجريان للسكر وذلك منهى عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار ولأن يستشقى ليدرك رائحة الحمر ولأن يس مافي ثوبه ليعرف شكل الزمار ولأن يستخبر من جبرانه ليعبره بما يجري في داره نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا يشرب الحمر في داره أو بأن في داره خرا أعمده للسكر فله إذ ذلك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالدخول لتوصل إلى دفع السكر كسكر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه وإن أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة كل من قبل روايته لأشهادته في جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال والأولى أن يمنع لأن حقا في أن لا يتخطى داره بغير إذنه ولا يسقط حق السلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين فهذا أولى ما يجعل مردا فيه . وقد قيل إنه كان نفس خاتم لقمان الست لماعنت أحسن من إذاعة ما ظننت.

الإخلاص في الذكر وأولا
ثم الاستغراق في الذكر
ثانيا وعلاصة ذلك
الزهد في الدنيا وملازمة
التقوى لأن الله جلله
بما يكشفه في واقعة
مورد الحكمة والحكمة
نعمك بالزهد والتقوى
وقد يتجرده للذاكر
الحقائق من غير لبسة
الثال فيكون ذلك
كشفا وإخبارا من الله
تعالى إياه ويكون ذلك
ثارة بالرؤية وثارة
بالمع وقد يسمع من
باطنه وقد يطرئ ذلك
من الهواء لا من باطنه
كالهوائف يعلم بذلك
أمره يربدها إحداها
ه أو لغيره فيكون
إخبار الله إياه بذلك
مزيدا ليقينه أو يرى
في التام حقيقة الشيء .
قل عن بعضهم أنه
أتى بصراب في قبح

الدرجة الثانية : التعريف فان الشكر قد قدم على التقدير (عجله) وإذا عرف أنه منكّر تركه كالسواى يصلى ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولورضى بأن لا يكون مصليا ترك أصل الصلاة فيجب تعريفه بالاطف من غير عنف وذلك لأن ضمن التعريف نسبة إلى الجهول والحق والتجهيل إيذاء وقد رضى الانسان بأن ينسب إلى الجهول بالأمور لاجبا بالشرع وذلك ترى الذى يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نهى على الخطأ والجهول وكيف يجتهد في مجاهدة الحق بعد معرفته خيفة من أن تنكشف عورة وجهه والطباع أحرص على ستر عورة الجهول منها على ستر العورة الحقيقية ، لأن الجهول قبيح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبيح السوائين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن وقبحها أهد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لأنه خلق لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره إزالته وتحسينه والجهول قبيح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تألم الانسان بظهور جهله ويعظم انتباهه في نفسه بلمه ثم قدته عند ظهور جمال علمه لغيره وإذا كان التعريف كشفاً للعورة مؤذيا للقلب فلا بد وأن يبالغ دفع أذاه بلطف الرفق فقول له إن الانسان لا يولد علما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة فلما علمنا العلماء ولعل قريبتك خالية عن أهل العلم أو علمها مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها إنا نشاركها الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء فان إيذاء السلم حرام محذور كما أن تقريره على الشكر محذور وليس من العقلاء من يسأل الله بالسم أو بالبول ومن اجتنب محذور السمكوت على الشكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للسلم من الاستثناء عنه فقد غسل الله بالبول على التحقيق ، وأما إذا وقعت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترد عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدواً إلا إذا علمت أنه ينتمى العلم وذلك عزز جدا . الدرجة الثالثة : التى بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا كالذى يواطى على الشر أو على الظلم أو على اغتيال المسلمين أو ما يجري مجراه فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك ونحوه كسيرة السلف وعبادة المؤمنين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر الرحمة عليه ويرى إقدامه على العصية مصيبة على نفسه إذ السلعون كنفس واحدة ، وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوفاها فانها مهلكة ، وهى أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذلك غيره بالجهل فرما يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التغير بصرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهول فان كان الباعث هذا فهذا للشكر أقبح في نفسه من للشكر الذى يترضى عليه ، ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بأحراق نفسه وهو غاية الجهول ، وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بعجله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وقبح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على التبرئة للنفس عظيمة من وجهين : أحدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الحقبة الداعية إلى الشرك الحقيقى وله حكم وميعار ينبغي أن يتحسب المحتسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الانسان عن الشكر بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفى بغيره فليحتسب فان باعته هو الدين وإن كان اتماط ذلك الباعى بوعظه وأزجاره بجزره أحب إليه من اتماطه بوعظه غيره فها هو إلا متبع هوى نفسه ومتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبه فليتق الله تعالى وليحتسب أولا على نفسه وعند هذا يقال ما قيل ليعسى عليه السلام

فوضعه من يده وقال
قد حدث في العالم
حدث ولا تشرب هذا
دون أن أعلم ماهو
فانكشف له أن قوما
دخلوا مكة وتولوا فيها.
وحكى عن أبى سليمان
الحواص قال كنت
راكبا حمارا لي يوما
وكان يؤذيه الباب
فقطأته رأسه فكنت
أضرب رأسه بخشبة
كانت في يدي فرفع
الحمار رأسه إلى وقال
اضرب فانك على
رأسك تضرب قيل له
يا أبا سليمان وقع لك
ذلك أو سمعته فقال
صعته يقول كما سمعته.
وحكى عن أحمد بن
عطاه الروذباري قال
كان لي مذهب في أمر
الطهارة فكنت ليلة
من الليالي أستنجي
إلى أن مضى ثلث الليل

يا ابن مريم عظم نفسك فان اعظمت فظم الناس ولا فاستحي مني ، وقيل لادود الطائي رحمه الله : أريت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قال إنه يقوى عليه قال أخاف عليه السيف قال إنه يقوى عليه قال أخاف عليه اللداه الدين وهو العجب .

الدرجة الرابعة : السب والتعنيف بالقول الغليظ الحشن وذلك يعدل إليه عند العجز عن اللع واللفظ وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام - أفل لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعلمون - ولنا نفي بالسب الفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدّماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه ممالأيد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا أحمق يا جاهل يا خالف الله وكتوبه يا سوادى يا غي وما يجري هذا الجري فان كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولولا حقه لماعصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياس حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونفى على الله » (١) وهذه الرتبة أديان : أحدها أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف . والثاني أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له ولا ازدرام عجله لأجل معصيته وإن علم أنه لو تكلم ضرب بلوا كفه وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب بزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الانكار له . الدرجة الخامسة : التنبيه باليد وذلك ككسر للملاهي وإراقة الحجر وخلع الحبر من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار المقصوبة بالجبر برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يجري مجراه وتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض ، فاما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة ، وفي هذه الدرجة أديان : أحدها أن لا يباشر بيده التنبيه ما لم يعجز عن تكليف المحاسب عليه ذلك فاذا أمكنه أن يكلفه للشيء في الخروج عن الأرض المقصوبة ولا يباشر أن يدفعه أو يحجره وإذا قدر عن أن يكلفه إراقة الحجر وكسر للملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يتعاط نفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حرج عليه في فعله . الثاني أن يقتصر في طريق التنبيه على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بلحيته في الإخراج ولا يرجه لإقذار على جرحه بيده فان زيادة الأذى فيه مستغنى عنه وأن لا عزق ثوب الحرير بل يعمل دروز وقط ولا يحرق للملاهي والصلب الذي أظهره النصارى بل يسلط صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج في استئفاف إصلاحه إلى تصب يساوى تصب الاستئفاف من الخشب ابتداء وفي إراقة الحور يتوق كسر الأواني إن وجد إليه سبيلا فان لم يقدر عليها إلا بأن يرى ظروفها بجرحه ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الحجر إذ صار حالاً بينه وبين الوصول إلى إراقة الحور ولو ستر الحجر بيده لكانت تصديده بالجرح والضرب لتتوصل إلى إراقة الحجر فاذا لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الحجر في قوارير مضيق الرءوس ولو اشتغل بارتقاها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرهما فهذا عذر وإن كان لا يغدر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع في زمانه وتعتل عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس .

ولم يطبق قلبي فخرجت
فبكيت وقلت يارب
العفو فسمعت صوتا ولم
أر أحدا يقول
يا أبا عبد الله العفو في
العلم وقد يكشف الله
تعالى عبده بآيات
وكرامات ترى العبد
وتقوية ليقينه وإيمانه
قيل كان عند جعفر
الجلدي رحمه الله نص
له قيمة وكان يوما من
الأيام رأى أكبا في السارية
في دجلة فهم أن يعطى
للإحراق قطعة وحل
الحرقه فوق الفص في
الدجلة وكان عنده
دعاء للفضالة جرب وكان
يدعوه فوجد الفص
في وسط أوراق كان
يتصفحها والدماء هو
أن يقول يا جامع الناس
ليوم لا ريب فيه اجمع
على صفاتي . وصحمت
شيخنا بهذان حكاه

لأجل ظروف المحروحيث كانت الارقاة متمسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان . فان قلت فلما جاز
السكر لأجل الزجر وهلا جاز الجربا للرجل في الاخراج عن الأرض المقصوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر .
فاعلم أن الزجر إما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون على الماضي والدفع على الحاضر الزمان وليس
إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام النسكر فإزاد على قدر الإعدام فهو إماعة على جرعة سابقة
أو زجر عن لاحق وذلك إلى الولاة لا إلى الرعية . نعم الوالي لأن فعل ذلك إذا رأى السلحة فيه . وأقول
له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها المحور زجرا وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
تأكيدا للزجر^(١) . ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والقطام شديدة فإذا رأى الوالي
باجتهاد مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك وإذا كان هذا منوطا بنوع اجتهد فحق لم يكن ذلك لأحاد
الرعية . فان قلت : فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف أموالهم وتخريب دورهم التي فيها
يشربون ويعصون وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى المعاصي . فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم
يكن خارجا عن سنن المصالح ولكن لا ينتفع للمصالح بل تتبع فيها وكسر ظروف المحر قد ثبت عند
شدة الحاجة وتركه ببذل لك عدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكي زول بزوال الملقود يعود مدوها
وإنما جاز ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لحفا وجه الاجتهاد فيه بل تقول لو أريق
المحور أولا فلا يجوز كسر الأواني بعدها وإنما جاز كسرها تبعيا للخطر فإذا خلت عنها فهو إتلاف مال إلا أن
تكون ضاربة بالخر لا تصلح لإلهة فكان الفعل للقول عن المصرا الأول كان مقرونا بمعينين : أحدهما
شدة الحاجة إلى الزجر والآخر تبعية الظروف للخطر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لأسبيل
إلى حذفها ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأى صاحب الأمر لعله بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضا
مؤثر لأسبيل إلى إلغاءه فهذه صفات دقيقة فقهية تحتاج المحتسب لاعتالة إلى معرفتها . الدرجة السادسة
التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا أو لا كسر رأسك أو لأضربن رقبتك أو لأمرن بك
وما أشبه وهذا ينبغي أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه بالأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده
بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأنهن دارك أو لأضربن ولدك أو لأضربن زوجتك وما يجري مجراه بل
ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام وإن قاله من غير عزم فهو كذب نعم إذا تعرض لوعيده بالضرب
والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم يقتضيه الحال ولأن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن
إذا علم أن ذلك يققه ويردعه وليس ذلك من الكذب المذمور بل بالاعتاق في مثل ذلك متعاق وهو معنى
مبالغة الرجل في إصلاحه بين شخصين وتأليفه بين الضرتين وذلك بمقادير خص فيه للحاجة وهذا في معناه
فإن القصده إصلاح ذلك الشخص وإلى هذا لفتي أشار بعض الناس أنه لا يقيس من أنه أن يتوعد بما لا يفعل
لأن الخلف في الوعيد كرم وإنما يقيس أن يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فإن الكلام القديم
لا يتطرق إلى الخلف وعدا كان أو وعيدا وإنما يصوّر هذا في حق العباد وهو كذلك إذ الخلف في الوعيد
ليس بحرام . الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه تهديد وسلاح وذلك
جائز للأحد بشرط الضرورة والاعتصار على قدر الحاجة في الدفع فإذا اندفع للنسكر فبني أن يكف
والقاضى قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحبس فان أصرّ الحبوس وعلم القاضى قدرته

(١) حديث تكسير الظروف التي فيها المحور في زمنه صلى الله عليه وسلم الترمذى من حديث أبي
طلحة أنه قال : يا بني الله إني اشتريت خرا لأيتام في حجرى قال اهرق المحر واكسر الدنان وفيه
ليث بن أبي سليم والأصح رواية السدى عن يحيى بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عندى
قاله الترمذى .

شخص أنه كشف في
بعض خلواته بوله له
في جيعون كاد يسقط
في الماء من السفينة قال
فزجرته فلم يسقط
وكان هذا الشخص
بنواحي همدان وولده
يجيعون فلما قدم الولد
أخبر أنه كاد يسقط في
الماء فسمع صوت والده
فلم يسقط . وقال عمر
رضي الله عنه يأسارية
الجليل على النهر بالمدينة
وسارية بها وند فأخذ
سارية نحو الجبل ونظر
بالعدو فقبل لسارية
كيف عمت ذلك فقال
سمعت صوت عمرو هو
يقول يأسارية الجبل .
سئل ابن سالم وكان قد
قال للإيمان أربعة
أركان ركن من
الإيمان بالقدره وركن
من الإيمان بالحسنة
وركن من التبرى من

على أداء الحق وكونه معاتدا فله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدريج كاحتياج إليه وكذلك المحتسب يرى التدريج فان احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع النكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك ما لم يترقته كما لو قبض فاسق مثلا على امرأة أو كان يضرب بزملا معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له خل عنها أولأكرمينك فان لم يخل عنها فله أن يرمى ويبني أن لا يقصد للقتل بل الساق والفتخذوما أشبهه ويراعى فيه التدريج وكذلك يسلب سيفه ويقول أترك هذا النكر أولأضربك فكل ذلك دفع للنكر ودفعه واجب بكل يمكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين. وقالت للمرأة لا يتلق بالآدميين فلا حسبة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للامام لا لأحد. الدرجة الثامنة : أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح وربما يستعد الفاسق أيضا بأعوانه ويؤدي ذلك إلى أن يتقابل الصنان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل أحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتنة وهيجان الفساد وخراب البلاد. وقال آخرون لا يحتاج إلى اذن وهو الأقيس لأنه إذا جاز للأحد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته نجر إلى نوان والثواني إلى ثوالت وقد ينتهي لأعالة إلى التضارب والتضارب يدعو إلى التعاون فلا ينبغي أن يبالى بلوازم الأمر بالمعروف ومتناه تجنيد الجنود في رضا الله ودفع معاصيه ونحن نجوز للأحد من الفزاة أن يجتمعوا ويقانلوا من أرادوا من فرق الكفار قحما لأهل الكفر فكذلك قم أهل الفساد جائز لأن الكافر لأبأس بقتله والسلم إن قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق للناسل عن فقهه لأبأس بقتله والمحتسب الحق إن قتل ظلوما فهو شهيد. وعلى الجلبة فاتها الأمل إلى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغيره قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبفسه وبأعوانه فالمسئلة إذن محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الوافي.

(آداب المحتسب)

قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن أجملا ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب: العلم والورع وحسن الحاق. أما العلم فليعلم لمواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقصر على حد الشرع فيه. والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعله بل ربما يعلم أنه مسرف في الحسبة وزائد على الحد للأذن فيه شرعا ولكن بجملة عليه عرض من الأغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به إذا احتسب وبورث ذلك جرأة عليه. وأما حسن الحاق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسبابه والعلم والورع لا يكفيان فيه فان الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمع ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصير المحتسب على ما أمابه في دين الله وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاهل والاسم فهذه الصفات الثلاث بها تحصر الحسبة من القربات وبها تدفع للنكرات وإن فقدت لم يندفع للنكر بل ربما كانت الحسبة أيضا منكرة لجأوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن النكر إلا رفيق فإما أمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فم ينهى عنه قهيه فيما يأمر به قهيه فيما ينهى عنه» ^(١) وهذا يدل على أنه لا يشترط

الحول والقوة وركن منه الاسعانة بالله عز وجل في جميع الأشياء قبل له مامعنى قولك الايمان بالقدرة فقال هو أن تؤمن ولا تستكر أن يكون لله عبيد بالشرق قائما على بينه ويكون من كرامة الله له أن يعطيه من القوة ما ينقلب من بينه على يساره فيكون بالمعرب تؤمن بمجواز ذلك وكونه وحكى على قبر أنه كان عبيدا وأرجف على شخص ينفد أنه قد مات فكشفه الله بالرجل وهو راكب يمشى في سوق بغداد فأخسبر إخوانه أن الشخص لم يموت وكان كذلك حتى ذكر لي هذا الشخص أنه في تلك الحالة التي كوشف بالشخص راكبا قال

(١) حديث لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن النكر إلا رفيق فإما أمر به رفيق فيما ينهى عنه الحديت

أن يكون فقها مطلقا بل فيا أمر به وبني عنه وكذا الحلم . دل الحسن البصري رحمه الله تعالى :
إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكُنْ من أخذ الناس به وإلا هلك . وقد قيل :

لا تلم للرء على فعله وأنت تنسب إلى مثله
من ذم شيئا وآتى مثله فأعسا يَرى على عقله

رأيت في السوق وأنا
أسمع بأذني صوت
للطرفة من الحداد في
سوق بغداد وكل هذه
مواهب الله تعالى وقد
يكشف بها قوم وتعطي
وقد يكون فوق هؤلاء
من لا يكون له شيء
من هذا الآن هذه كلها
تقوية اليقين ومن
منع صرف اليقين
لا حاجة له إلى شيء من
هذا فكل هذه
الكرامات دون
ما ذكرناه من تجوهر
الدخكر في القلب
ووجوده ذكر الذات
فان تلك الحكمة فيها
تقوية للربدين وتربية
للسالكين ليزدادوا
بها يقينا يجذبون به إلى
مراغمة النفوس
والسلو عن ملاذ الدنيا
ويستبش منهم
بذلك ساكن عزمهم

ولسنا نفي هذا أن الأمر بالمعروف يصير مغموعا بالنسق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور فسقه
للناس . فقد روى عن أنس رضي الله عنه قال « قلنا يارسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله
ولانتهى عن التكرار حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله
واهنوا عن التكرار وإن لم تجتنبوه كله » (١) وأوصى بعض السلف بنية فقال إن أراد أحدكم أن
يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس
الأذى ، فاذن من آداب الحسبة تطويل النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف
فقال حاكيا عن لقمان - يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن التكرار واصبر على ما أصابك - .
ومن الآداب تقليل الملاقاة حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلاق حتى تزول عنه المداينة .
فقد روى عن بعض الساجد أنه كان له سنور وكان يأخذ من تصاب في جواره كل يوم شيئا من
الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار أولا وأخرج السنور ثم جاء واحتسب على
القصاب فقال له القصاب لا أعطينك بعد هذا شيئا السنورك فقال ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج
السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع
في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وأستهم بالثناء عليه مطلقا لم تيسر له الحسبة . قال كعب
الأجبار لأبي مسلم الخولاني : كيف تترك بين قومك ؟ قال حسنة قال إن التوراة تقول : إن الرجل
إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر سامت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب
أبو مسلم . وبدل على وجوب الرفق ما استدبل به للأمن إذ وعظه واعظ وعنفه في القول فقال
بارجل أرق فقد بث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى - فقولا
له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى - فليكن اتقاء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم . فقد
روى أبو أمامة « أن غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا بني الله أتأذن لي في الزنا فصاح
الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربه أدن فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي عليه الصلاة
والسلام أحبه لأماك ؟ فقال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لأماهم أحبه لبتك ؟ قال لا
جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبتهم أحبه لأختك » (٢) وزاد ابن عوف حتى ذكر
العمة والحالة وهو يقول في كل واحد ، لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس
لا يحبونه وقال جميعا في حديثهما أني ابن عوف والراوى الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على صدره وقال « اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه » فلم يكن شيء أبغض إليه مني
من الزنا وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله : إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل

لم أجده هكذا وللبليق في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر معروف فليكن
أمر معروف (١) حديث أنس قلنا يارسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا نهى عن المنكر
حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله واهنوا عن التكرار وإن لم
تجتنبوه كله الطبراني في المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعا على تركه .

(٢) حديث أبي أمامة أن شابا قال يارسول الله أتأذن لي في الزنا فصاح الناس به الحديث رواه أحمد باسناد جيد

ما أخذهم إلا دون حقه ثم خلا به وعذله ووجهه فقال سفيان يأبى على إن لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين . وقال حماد بن سلمة : إن صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال دعوني أنا أكفيكم فقال بإذن أخي إن لي إليك حاجة قال وما حاجتك يا عم ؟ قال أحب أن ترفع من إزارك فقال نعم وكرامة فرفع إزاره فقال لأصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشمكم . وقال محمد بن زكريا الفلابي : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس يضربونه فظفر إليه ابن عائشة فصره فقال للناس تنحوا عن ابن أخي ثم قال لي يا ابن أخي فاستحي الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلم بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد أمر أن تأتبه فأدخله عليه فقال له أما استحييت لنفسك أما استحييت لشرفك أما ترى من ولدك ؟ فائق الله واتزع عما أنت فيه فبكي الغلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله تعالى عهدا يسألني عنه يوم القيامة أتى لأعود لشرب النبيذ ولالتصق بما كنت فيه وأنا نائب فقال ادن مني فقبل رأسه وقال أحسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يقرمه ويكتب عنه الحديث وكان ذلك يركه رفته ثم قال : إن الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرا قهليكم بالرفق في جميع أموركم تالون به ما تطلبون . وعن الفتح بن شخرف قال : تملق رجل بامرأة وتقرص لها ويده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره وكان الرجل شديد البدن فيبئ الناس كذلك والمرأة تصيح في يده إذ مر بشر بن الحرث فدنا منه وحك كفته بكفت الرجل فوق الرجل على الأرض ومضى بشر فدنا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت المرأة لحالها فسألوه ما حالك ؟ فقال ما أدرى ولكن حاكني شيخ وقال لي إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل فضغفت لقوله قدمي وهبته هيبة شديدة ولا أدرى من ذلك الرجل ؟ فقالوا له هو بشر بن الحرث فقال واسوأنه كيف ينظر إلى بعد اليوم وهم الرجل من يومه ومات يوم السابع ، فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد قلنا فيها آثارا وأخبارا في باب البغض في الله والحلب في الله من كتاب آداب الصلوة فلا نطوّل بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الحسبة وآدابها والله الوفي بكرمه والمحمد لله على جميع نعمه .

(الباب الثالث في النكرات المألوفة في العادات)

فنشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لا مطمع في حصرها واستقصائها . فمن ذلك :

(منكرات الساجد)

اعلم أن النكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة فإذا قلنا هذا منكرا مكروهة فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بجرم إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم في الشرع يجب تليقه على من لا يعرفه وإذا قلنا منكرا محظورا قلنا منكرا مطلقا فترد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا . فبما شاهد كثيرا في الساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكرا مبطل للصلاة بعض الحديث فيجب التنبه عنه لا عند الحنفى الذي يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة إلا لا ينفع التنبه منه ومن رأى ميتا في صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الأثر في الخبر ما يدل عليه إذ ورد في الفيهان للسمع شريك القائل (١)

رجاله رجال الصبيح . (الباب الثالث في النكرات المألوفة)

(١) حديث للكتاب والسمع شريكان في الإثم تقدم في الصوم .

لعمارتهم الأوقات بالقرابات فيترهون بذلك وبروقون لطريقة من كوشف بصرف اليقين من ذلك لمكان أن نفسه أسرع إجابة وأسهل اقتيادا وأنهم استعدادوا والأولون استلين بذلك منهم ما استوعروا واستكشف منهم ما استروا وقد لا يمنع صور ذلك الرهايين والبراهمة من هو غير منتهج سبل الهدى وراكب طريق الردى ليكون ذلك في حقهم مكررا واستدرجا ليستحسنوا حالهم ويستقروا في مقام الطرد والبعيد إبقاء لهم فيما أراد الله منهم من الصم والضلال والردى والوبال حتى لا يضر السالك يسير شيء فيفتح له ويسلم أنه

وكذلك كل ما يندفع في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها أو انحرافا عن القبلة بسبب ظلام أو غمى فكل ذلك نجاسة يجب الحسبة فيه . ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان للكسب في السجدة يضعف أكثر أوقاته في أمثال ذلك ويستغل به عن التطوع والذكر فليستغل به فان هذا أفضل من ذكره وتطوعه لأن هذا فرض وهي قربة تمدى فائدتها فهي أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وإن كان ذلك عنمة عن الورقة مثلا أو عن الكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجزله ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادرا على التلهم فليستغنى عن القراءة قبل التلهم فانه عاص به وإن كان لا يطاوعه اللسان فان كان أكثر ما يقرأه لخلافه تركه وليجتهد في تلم الفاتحة وتصحيحها وإن كان الأكثر صحيحا وليس يجدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ولكن ينبغي أن يخضع للصوت حتى لا يسمع غيره ولنعم سرا منه أيضا وجه ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فليست أرى به بأسا والله أعلم . ومنها إرسال المؤذنين في الأذان وتطويلهم بمد مكانه وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الجملة إن أفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطر على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريضها فان صدرت عن معرفة فيستحب للتع منها والحسبة فيها وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن يمنع من الأذان بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يقول على أذانه في صلاة وترك سجود أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح . ومن المكروهات أيضا تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة إما من واحد أو جماعة فانه لا فائدة فيه إذ لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات الخاملة لسنة الصلابة والسلف . ومنها أن يكون الخطيب لباسا لثوب أسود يغلب عليه الإبريسم أو ممسكا بسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب وأما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمجبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البياض ومن قال إنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهودا في العصر الأول لكن إذا لم يرد فيه نهى فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للأحباب . ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة بالقصاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ البتبع يجب منه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه إما للسكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواله فان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة قال الله تعالى لنبيه - فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره - ومهما كان كلامه مائلا إلى الإرجاء وتجربة الناس على المعاصي ، وكان الناس يزادون بكلامه جراءة وبغفوا الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجائهم على خوفهم فهو منكر ويجب منه عنه لأن فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فانهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل لو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لحقت أن أكون أنا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شامرا بمنزلة الفساق في ثيابه وحيثه كثير الأشعار والاشارات والحركات وقد حضرت مجلسه النساء فهذا منكر يجب اللع منه فان الفساد فيه أكثر من الصلاح ويبين ذلك منه برأى أحواله

لو مشى على الماء
والهواء لا ينفعه ذلك
حتى يؤدي حتى التقوى
والزهد فأما من تعوق
بخيال أو قنع بمحال ولم
يحكم أساس خلوته
بالاخلاص يدخل
الحلوة بالزور ويدخل
بالفرور فيرفض
العبادات ويستحقرها
ويسليه الله تعالى
لنة للعامة وتذهب
عن قلبه هبة
الشريعة ويفتضح في
الدنيا والآخرة فليعلم
الصادق أن القصور
من الخاوة التقرب إلى
الله تعالى بصبرة
الأوقات وكف الجوارح
عن اللعكروها
فصلح قوم من
أرباب الخلة إدامة
الأوراد وتوزيعها على
الأوقات وصلح قوم
ملازمة ذكر واحد

بل لا ينبغي أن يسلم الوعط إلا لمن ظاهره الورع وهيمته السكينة والوقار وزيه زى الصالحين والإفلا
 بزاد الناس به إلا ناديا في الضلال ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن
 ذلك أيضا مظنة الفساد والمادات تشهد لهذه المنكرات ويجب مع النساء من حضور للساجد للصلوات
 وجالس الذكر إذا خيف الفتنة بهن فقد منتهن عائشة رضي الله عنها قبل لها : إن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ما منعه من الجماعات قالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثت بعده لمتعن^(١)
 وأما اجتياز المرأة في السجدة المستمرة فلا تمنع منه إلا أن الأولى أن لا تتخذ للسجدة عازرا أصلا وقراءة القرآن
 بين يدي الوعظ مع التجديد والألحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه
 شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف . ومنها الحلق يوم الجمعة ليسح الأذوية والأطعمة
 والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأشعار وما جرى مجراه فهذه الأشياء منها
 ما هو محرم لكونه تليسا وكذا كالسكاكين من طريقة الأطباء وكأهل الشبهة والتلبسات وكذا
 أرباب التعويذات في الأغلب يتوصلون إلى بعضها بتلبسات على الصديان والسوادية فهذا حرام في السجدة
 وخارج السجدة ومجرب للنع منه بل كل يسع فيه كذب وتلبس وإخفاء عيب على المشتري فهو حرام .
 ومنها ما هو مباح خارج السجدة كالخياطة ويسع الأدوية والكتب والأطعمة فهذا في السجدة أيضا لا يحرم
 إلا بمرض وهو أن يضيق الحلق على الصلح ويشوش عليهم صلاتهم فإن لم يكن شيء من ذلك فليس
 بحرام والأولى تركه ولكن شرط بإباحته أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة فإن اتخذ السجدة
 ذكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن الباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثرت صار صغيرة كما أن من
 الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا الواقع بابه لحيفه أن ينجر
 إلى الكثير فلينع منه وليكن هذا للنع إلى الوالي أو إلى القيم بمصالح السجدة من قبل الوالي لأنه
 لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس لأحد اللع ما هو مباح في نفسه خوفاً أن ذلك يكثر . ومنها دخول
 المجانين والصبيان والسكران في السجدة ولا بأس بدخول الصبي السجدة إذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب
 في السجدة ولا السكوت على لحيه إلا إذا اتخذ السجدة لعبا وصار ذلك معتادا فيجب للنع منه فهذا مما يحل
 قبله دون كثيره ، ودليل حل قلبه ما روى في الصحيحين « أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله
 عنها حتى نظرت إلى الحبيسة يزفون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في السجدة » ولا شك في أن
 الحبيسة لو اتخذوا السجدة لعبا لمنعوا منه ولم يرد ذلك على الندرة والقلة منكر حتى ينظر إليه بل أمرهم به
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبرهم عائشة تطييبا لقلبه إذ قال « دونكم يا بني أرعدة » كما نقلناه
 في كتاب السماع . وأما المجانين فلا بأس بدخولهم السجدة إلا أن يغشى تلبسهم له أو تشتمهم أو تعظمهم بما هو
 مخفى أو تعاطبهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيره . وأما المجنون المأدب الساكن الذي قد
 علم بالعادة سكوته وسكوته فلا يجب إخراجه من السجدة والسكران في معنى المجنون فإن خيف منه
 القذف أغنى التي أو الألباء باللسان وجب إخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه
 وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه نفوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا ، ومن
 أكل الثوم والبصل^(٢) قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور الساجد ولكن يحل ذلك
 على الكراهة والأمر في الخمر أشد . فإن قال قائل ينبغي أن يضرب السكران ويخرج من السجدة زجرا .
 قلنا لا بل ينبغي أن يترك القعود في السجدة ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا

ويصلح لقوم دوام
 للراقة ويصلح لقوم
 الانتقال من الذكر
 إلى الأوراد ولقوم
 الانتقال من الأوراد
 إلى الذكر ومعرفة
 مقادير ذلك يصلح
 للصحاب للشيخ للطالع
 على اختلاف الأوضاع
 وتنوعها مع نصحه
 للأمة وشفته على
 السكافة يريد للمريد
 لالفسه غير مبتلى
 بهوى نفسه عجا
 للاستتباع ومن كان
 عجا للاستتباع فما
 يفسده مثل هذا أكثر
 مما يصلحه .

باب الثامن

والشرون في كيفية
 الدخول في الأربينية
 روى أن داود عليه
 السلام لما أتى بالحطيفة
 خرقة ساجدا أربعين
 يوما ولبه حتى أتاه

(١) حديث عائشة لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثت أي النساء من بعده لمتعن المتعني الساجد
 متفق عليه (٢) هذا الحديث لم يخرج في العراق وقد أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الأحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادة شاهدين فأما لجرد الرائحة فلا ، نعم إذا كان يشئ بين الناس متايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد معناه عن إظهار أثر السكر فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فإن كان مستترا خفيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الخمر وبوصوله إلى النعم دون الابتلاع فلا ينبغي أن يبول عليه .

(منكرات الأسواق)

من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في الرائحة وإخفاء الميب فمن قال اشترت هذه السلعة مثلا بشرة وأربع فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك أن يغبر للشرى بكذبه فإن سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له في الخيانة وعصى بسكوته وكذا إذا علم به عيا فيزمره أن يئبه المشتري عليه . وإلا كان راضيا بضياع مال أخيه السلم وهو حرام وكذا التفاوت في الدراع والكيال واليزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رضعه إلى الولي حتى يغيره . ومنها ترك الإيجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فإنها مفسدة للعقود وكذا في الرويات كلها وهي غالبية وكذا سائر التصرفات الفاسدة . ومنها بيع اللأهي وبيع أشكال الحيوانات الصورة في أيام العيد لأجل الصيادين فكذلك يجب كسرها وبيعها كاللأهي وكذلك بيع الأواني للتخنة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير أي التي لا تصلح إلا للرجال أو يعلم بعادة البلد أنه لا يلبسها إلا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يتاد بيع الثياب البتلة المقصورة التي يلبس على الناس بمصارتها وابتدائها ويزعم أنها جديدة فهذا الفصل حرام ولتبع منه واجب وكذلك تلبس اغتراف الثياب بالرفو وما يؤدي إلى الالتباس وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبس وذلك يطول إحصاؤه . فليقتى بما ذكرناه ما لم نذكره .

(منكرات الشوارع)

من المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكاك المتصلة بالأبنية المملوكة وغرس الأشجار وإخراج الراشن والأجنحة ووضع الحطب وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضيق الطرق واستقرار اللارة وإن لم يؤدي إلى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه الكفاية ولا يمكن التبع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب التبع منه إلا بقدر حاجة التزول والركوب وهذا لأن الشوارع مشتركة للنفعة وليس لأحد أن يخص بها إلا بقدر الحاجة والمرعى هو الحاجة التي تتراد الشوارع لأجلها في العدة دون سائر الحاجات . ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يعجز ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدها وضما بحيث لا تعجز أو أمكن المدول بها إلى موضع واسع وإلا فلا منع إذ حاجة أهل البلد تنس إلى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مودة النقل ، وكذلك تحميل الدواب من الأحمال لا تنطقه منكر يجب منع اللالك منه . وكذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت وبولوث الطريق بالدم فإنه منكر يمنع منه بل حقه أن يتخذ في مكانه مذبحا فإن في ذلك تضيقا بالطريق وإضرار بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب استقذار الطباع للفاذورات وكذلك طرح القمامة

الغفران من ربه وقد

تقرر أن الوحدة

والعزلة ملاك الأمر

ومتتمك أرواب

الصدق فمن استمرت

أوقاته على ذلك فجميع

عمره خاوة وهو الأسلم

لديه فإن لم يتيسر له

ذلك وكان مبتسلى

بنفسه أولا ثم بالأهل

والأولاد ثانيا فليجمل

لنفسه من ذلك نصيبا .

نقل عن سفیان

الثوري فيأروى أحمد

ابن حرب عن خالد بن

زيد عنه أنه قال كان

يقال ما أخلص عبده

أربعين صباحا إلا أنبت

الله سبعائه الحسنة

في قلبه وزهده الله

في الدنيا ورضيه

في الآخرة وبصره داه

الدنيا ودواءها فتعاهد

العبد نفسه في كل سنة

على جواد الطرق وتبديد قشور البطيخ أو رش الماء بحيث يغطي منه التراق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال الماء من اليازيب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة فإن ذلك ينجس الثياب أو يضيّق الطريق فلا يمنع منه في الطرق الواسعة إذا المدول عنه ممكن فأما ترك مياه المطر والأحوال والتلوج في الطريق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يغتص به شخص معين إلا التلج الذي يغتص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فله صاحبه على الخصوص كسح الطريق وإن كان من المطر فذلك حسبة عامة على الولاية تكليف الناس القيام بها وليس للأحاديث إلا الوضوء فقط وكذلك إذا كان له كلب غنور على باب داره يؤذي الناس فيجب منعه منه وإن كان لا يؤذي إلا بالتجسس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وإن كان يضيق الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من أن ينالم على الطريق أو يعتمد قودا يضيق الطريق فكله أولى بالمنع .

(منكرات الحمامات)

منها الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر فإن كان الموضع مرتعاً لاتصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر فإن مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوه وجهها ويصل به صورها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان . ومنها كشف العورات والنظر إليها ومن حملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتحية الوسخ بل من حملتها ادخال اليد تحت الإزار فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها . ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتضيق الأفضاض والأعجاز فهذا مكروه إن كان مع حائل ولكن لا يكون محظوراً إذ لم يغلض من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للحجّام الدمي من الفواحيش فإن المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنّها للضيقة في الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال . ومنها غس اليد والأواني النجسة في المياه القليلة وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فإنه منجس للماء إلا على مذهب مالك فلا يجوز الانكسار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع المالكي والشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتماس والطف وهو أن يقول له إننا نحتاج أن نغسل اليد أولاً ثم نغسلها في الماء . وأما أنت فمستثنى عن إيدائي وتفويت الطهارة على وما يجري مجرى هذا فإن مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالهر . ومنها أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء ملقاة بزلق عليها الفاسقون فهذا منكر ويجب قلمه وإزالته وينكر على الحمامي إهماله فإنه يفضي إلى السقطة وقد تؤدي السقطة إلى انكسار عضو أو اغتلاعه وكذلك ترك الصدر والصابون الزلق على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضامن متردد بين الذي تركه وبين الحمامي إذ حقه تنظيف الحمام والوجه بإيجاب الضمان على تاركه في اليوم الأول وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذ إعادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة الرجوع في موافقت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها وفي الحمام أمور آخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلتنظر هناك .

(منكرات الضيافة)

فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في محرة فضة أو ذهب أو الشراب أو استعمال ماء الورد في أواني الفضة أو ما رؤوسها من فضة . ومنها إسدال الستور عليها الصور . ومنها معاق الأوتار أو معاق القينات . ومنها اجتباع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال

مرة وأما الريد الطالب إذا أراد أن يدخل الحلوة فأكل الأمر في ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما يملكه ويفتسل غسلاً كاملاً بعد الاحتياط للثوب والصلى بالنظافة والطهارة وصلى الركنين ويثوب إلى الله تعالى من ذنوبه بىكاه وتضرع واستسكانة وتخشع ويسوى بين السرية العلانية ولا ينطوى على غل وعش وحقد وحسد وخيانة ثم يقعد في موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة فترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ فإن وجد خفزة في خروجه يكون له شخص يصلى معه جماعة

شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة التكرات وأما الصور التي على النافق والزرابي والقروشة فليس منكرها وكذلك على الأطباق والقصاص لا الألوان للتخلية على شكل الصور قد تكون رؤوس بعض الجمار على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي السككة الصغيرة من النضة خلاف وقد خرج أحد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومنها كان الطعام حراما أو كان الموضع مفسوبا أو كانت الثياب القروشة حراما فهو من أحد التكرات فإن كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور إذ لا يحل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وإنما النظر في مجالسته بعد ذلك وأنه هل يجب بنضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فإن كان التوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزع عنه إن كان عيضا لعموم قوله عليه السلام «هذان حرام على ذكور أمتي» (١) وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لكونه مكلفا ولكن لأنه يأنس به فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة الزين بالحرير تغلب عليه إذا اعتاده فيكون ذلك بذرا للفساد يندر في صدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يسر قلها بعد البلوغ أما الصبي الذي لا يميز فيضف معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز ثم محل الزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف ولا يرى رخصة في تنقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز إلا الحاجة مهمة كالقصد والحجامة والحجائن والزين بالخلق غيرهم بل في التقریط تعليقه على الأذن وفي الخناق والأسورة كفاية عنه فهذا وإن كان معتادا فهو حرام والنزع منه واجب والاستنجار عليه غير صحيح والأجرة المأخوذة عليه حرام إلا أن يثبت من جهة الفل فيه رخصة ولم يبلغنا إلى الآن فيه رخصة . ومنها أن يكون في الضيافة متبذع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فإن كان لا يقدر عليه لم يجز فإن كان المتبذع لا يتكلم يبدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والإعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع النواذر فإن كان يضحك بالقبح والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الإنكار عليه وإن كان ذلك مزح لا كذب فيه ولا خفى فهو مباح أعني ما يابل منه فأما اغتاده صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس من جملة التكرات كقول الإنسان مثلا طلبة اليوم مائة مرة وأعدت عليك الكلام ألف مرة وما يجري مجراها مما يعلم أنه ليس يقصده التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا رد الشهادة به وسيأتي حد المزاح الباسو السكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربح المهلكات . ومنها الإسراف في الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران : أحدهما الإضاعة والآخر الإسراف فالإضاعة ضيوت مال بلا فائدة يعتد بها كإحراق الثوب وتزيخه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال إلى الناعمة والمطرب وفي أنواع الفساد لأنها فساد هدمه شرعا فصار كالمدمومة وأما الإسراف فقد يطلق لإرادة صرف المال إلى الناعمة والمطرب والتكرات وقد يطلق على الصرف إلى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة إلى الأحوال فتقول لمن لم يملك إلا مائة دينار مثلا ومعه عياله وأولاده

(١) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي وقد تقدم في الباب الرابع من آداب الأكل .

في خلوة ولا يبنين أن
يرضى بالصلاة منفردا
ألينة فترك الجماعة
يغنى عليه آفات وقد
رأينا من يتشوش
عقله في خلوته ولعل
ذلك بشؤم إصراره
على ترك صلاة الجماعة
غير أنه يبنين أن يخرج
من خلوته لصلاة
الجماعة وهو ذكر لا يفتر
عن الذكر ولا يكثر
إرسال الطرف إلى
ما يرى ولا يضي إلى
ما يسمع لأن التسوية
الحافظة والتخيلة كلوح
يتنفس بكل مرئ
ومسوم فيكذب ذلك
الوسواس وحديث
النفس والخيال ويعتد
أن يحضر الجماعة بحيث
يدرك مع الإمام تكبيرة
الاحرام فاذا سلم الإمام
وانصرف ينصرف إلى
خلوته ويتنق في خروجه

ولا معيشة لهم سواء فأفق الجميع في ولاية فهو مسرف يجب منه منه قال تعالى - ولا تبسطوا كل البسط فتعمد ما لوما محسورا - نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لوالده فطوب بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال تعالى - ولا تبذر تبذرا إن للبذرين كانوا إخوان الشياطين - وكذلك قال عز وجل - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا - فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضى أن يحجر عليه إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك في أبواب البر ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وزين بيابه فهو أيضا إسراف محرم وفضل ذلك من له مال كثير ليس بحرام لأن التزين من الأغراض المصححة ولم نزل للساجد زين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة فكذلك الدور وكذلك القول في التجميل بالثياب والأطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير إسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وأمثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه المنكرات الجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلف بقعة عن منكر مكروه أو محذور . واستقصاء جميع المنكرات يستدعى استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها.

(للتكرات العامة)

اعلم أن كل قاعد في بيته أينا كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التفاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحلمهم على المعروف فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبادى ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد قفية يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل قفية فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرهم منصوب فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين والإعجم الحرج الكافة أجمعين أما العلم فالتقصير في الخروج وأما الجاهل فالتقصير في ترك التعلم وكل عاى عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك في الإثم ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالما بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بهاء لعمري الإثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو يصنعهم البقي ، لأن المترفين لو تركوا حرقتهم لبطلت المعايير فهم قد تقلدوا أمرا لا بد منه في صلاح الخلق وشأن القفية وحررفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن العلماء ورثة الأنبياء وليس للإنسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والتبليغ وكذا كل من يتيقن أن في السوق منسكرا يجرى على الدوام أوفى وقت بينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقيود في البيت بل يلزمه الخروج فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محذور عن مشاهدته ويحذر على البعض لزمه الخروج لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدته ما لا يقدر عليه وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير عرض صحيح فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يتعدى بعد الفرائض إلى جيرانه ثم إلى أهل محله ثم إلى أهل بلده ثم إلى أهل السواد المكتشف يبلده ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم وهكذا إلى أقصى العالم فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد والإحرج به على كل قادر عليه قريبا

استجلاء نظر الخلق إليه وعلمهم بحلومه في خلوته فقد قيل لا تطعم في الزلزلة عند الله وأنت تريد الزلزلة عند الناس وهذا أصل ينسب به كثير من الأعمال إذا أهمل وينصلح به كثير من الأحوال إذا اعتبر ويكون في خلوته جاهلا وقته شيئا واحدا موهوبا لله بادامة فعل الرضا ما تلاوة أو ذكر أو صلاة أو مراقبة وأى وقت فتر عن هذه الأقسام ينال فإن أراد تعيين أعداد من الركعات ومن التلاوة والذكر آتى بذلك شيئا فشيئا وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يعتمد أخف ما على قلبه من هذه الأقسام فإذا قرع عن ذلك ينال وإن

كان أو بعيدا ولا يسقط المخرج مادام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فبقوله فرضه وهذا غفل شاغل لمن يهمله أمر دينه يشغله عن تجزئة الأوقات في التفرجات النادرة والتعمق في دقائق المعلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أم منه .

(الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخصيص في القول ورابعه النعم بالخير في الجلب على الحق بالضرب والعقوبة والخيار من جملة ذلك مع السلاطين في سنتان الأوليان وهما التعريف والوعظ وأما النعم بالخير فليس ذلك لأحد الرعية مع السلطان فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المخذور أكثر وأما التخصيص في القول كقوله : يا هذا يا من لا تخاف الله وما يجري مجراه فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه فقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصریح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك الملهة والتعرض لأنواع العذاب لعلهم بأن ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك (١) » وقد روي في « أفضل الجهاد كفة حق عند سلطان جائر (٢) » ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال « قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم » وركه قوله الحق ماله من صديق (٣) » ولما علم التصلبون في الدين أن أفضل الكلام كفة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار فقبول على ذلك موطنين أن يسيروا على الملائكة ومحتملين أنواع العذاب وصار بن علي في ذات الله تعالى ومحتسبين لما يدلونه من موهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما هزل علماء السلف. وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام وتقتصر الآن على كتابات تعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم . فلما مروى من إنكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أكار قرقي حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموء وذلك مروى عن عروة رضي الله عنه قال « قلت لبيد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قرقي نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه أخلنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب أئمتنا ولقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فبيناهم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يتشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول

(الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

(١) حديث خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى رجل فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم في الباب قبله (٢) حديث أفضل الجهاد كفة حق عند سلطان جائر تقدم (٣) حديث وصفه صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بأنه قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم تركه الحق ماله من صديق الترمذي بسند ضعيف مقتصر على آخر الحديث من حديث علي رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق وأما أول الحديث فرواه الطبراني إن عمر قال لكعب الأحبار كيف تجد سقي ، قال أجد نكثك قرنا من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم .

قال ضربت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها
 ضربت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى ثم بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال أسمعوني
 يا معشر قريش : أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالبرق قال فأطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كما
 على رأسه طائر واقع حتى إن أحدكم فيه وطأة قبل ذلك لبرفؤه بأحسن ما يجتمع من القول حتى إنه يقول
 انصرف يا أبا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من
 القد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكركم ما باع منكم وما بئسكم عنه حتى إذا
 بادأكم بما تكرهون تركتموه فبينما في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه
 وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا أنت الذي تقول كذا لما كان قد بلغهم
 من عيب آلهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد
 رأيت رجلا منهم أخذ بجماع ردائه قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه ودونه يقول وهو يركب
 ويلك أقتلون رجلا أن يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت
 منه ^(١) وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال « بينا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بغناه الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلفقه فبقيت عنته فنفقه
 خفا شديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أقتلون رجلا أن
 يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ^(٢) » وروى أن معاوية رضي الله عنه حبس العطاء فقام إليه
 أبو مسلم الخولاني فقال له يا معاوية إنه ليس من كذا ولا من كذا أياك ولا من كذا قال فغضب
 معاوية وزل عن اللبر وقال لهم مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال إن
 أبا مسلم كفى بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الغضب من الشيطان والشيطان
خلق من النار وإنما تطأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغسل ^(٣) » وإني دخلت فاعطست وصدق
 أبو مسلم أنه ليس من كذا ولا من كذا أي فهو إلى عطائكم . وروى عن ضبة بن محسن العنزي قال
 كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله
 عليه وسلم وأنشأ يدعو لسمر رضي الله عنه قال فخطبني ذلك منة فقممت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه فنهض
 عليه فصنع ذلك جما ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول إن ضبة بن محسن العنزي يتعرض لي في خطبتي
 فككتب إليه عمر أن أشخصه إلى قال فاشخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إلى فقال
 من أنت قلت أنا ضبة فقال لي لا مرحبا ولا أهلا قلت أما للرحب فمن الله وأما للأهل فلا على ولا
 مال فبأذا استحللت بإعمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أئنته فقال ما الذي شجر
 بينك وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك به إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي
 صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فخطبني ذلك منة فقممت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه فنهض
 عليه فصنع ذلك جما ثم كتب إليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول أنت
 والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر لي ديني يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين قال

والخولة فالأولى أن
 يقتحم بالحجر والمخ
 ويتناول كل ليلة رطلا
 واحدا بالبغدادى
 يتناوله بعد العشاء
 الآخرة وإن قسمه
 نصفين يأكل أول
 الليل نصف رطل وآخر
 الليل نصف رطل فيكون
 ذلك أخف للمعدة
 وأعون على قيام الليل
 وإحيائه بالسكر
 والصلاة وإن أراد
 تأخير فطوره إلى
 السحر فليفعل وإن
 لم يصبر على ترك الآدم
 يتناول الآدم وإن
 كان الإدم شيئا يقوم
 مقام الخبز ينقص من
 الخبز بقدر ذلك وإن
 أراد التقليل من هذا
 القدر أيضا ينقص كل
 لية دون اللقمة بحيث
 ينتهي ثقله في الشر
 الأخير من الأربعين

(١) حديث عروة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته الحديث بطوله البخارى مختصرا وابن حبان بنامه (٢) حديث
 عبد الله بن عمرو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغناه الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ
 بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه البخارى (٣) حديث معاوية الغضب من
 الشيطان الحديث وفي أوله قصة أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه .

ثم اندفع باكياً وهو يقول والله ليلية من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليته ويومه قلت نعم قال أما الليلية فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هارباً من المشركين خرج ليلاً فتبعه أبو بكر فقبل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أضيالك فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فئس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أسابيه حتى خفيت فلما رأى أبو بكر أنها قد خفيت سمع على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى قم الغار فأنزله ، ثم قال والذي بئس الحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزلني قبلك قال قد دخل فلم ير فيه شيئاً فحمله فأدخله وكان في الغار خرق فيه حبات وأفاع فالتصم أبو بكر قدمه عاقفة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تتحدر على خديه من ألم ما يجد ورسول الله ﷺ يقول يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا فأنزله الله سكينته عليه والطمانينة لأبي بكر فهذه ليلته ، وأما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نضلى ولا نزكي فأتيتهم لا آلوهم نصحاً قلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارتق بهم فقال لي أجياب في الجاهلية خوار في الإسلام فهاذا أنالهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لو تمنوني عقلاً كانوا يسطرون رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتهم عليه قال قاتلنا عليه فساكن والله رشيد الأمر فهذا يومه ثم كتب إلى أبي موسى يومه (١) . وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الله بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطون وذلك بمكة في وقت حجة في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتصاهده بالمعارة واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في أهل الثنور فانهم حسن السلفين وتفقد أمور السلفين فانك وحدك للثول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تنفل عنهم ولا تنلق بابك دونهم فقال له أجل أفضل ثم نهض وقام قبض عليه عبدالله قال يا أبا محمد إنعاساً لنا حاجة لتركك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال مالي إلى غنوق حاجة ثم خرج فقال عبدالله لك : هذا أويك الشرف . وقد روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوماً قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله حتى ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ أدخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويلك أمرتك أن تدخل إلى رجل أجدني ويسارني فأدخلت إلى رجل لم يرني أن يسميني بالاسم الذي اختاره لي الله فقال له حاجبه ما مر بي

(١) حديث ضبة بن محسن كان علياً أبو موسى الأحمري أميراً بالبصرة وفيه عن عمر أنه قال والله ليلية من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بيومه وليته فذكر ليلة الهجرة ويوم الردة بطوله رواء البيهقي في دلائل النبوة بإسناد ضعيف هكذا وقصة الهجرة رواها البخاري من حديث عائشة بغير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبي بكر بلطف آخر ولهما من حديثه قال قلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أصبحنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأما قتاله لأهل الردة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكثر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تعامل الناس الحديث.

إلى نصف رطل وإن قوى قنع النفس بنصف رطل من أول الأربعين وقص يسيراً كل ليلة بالتدريج حتى يعود فطوره إلى ربع رطل في الشهر الأخير . وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء : قلة الطعام وقلة للناس وقلة الكلام والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان : أحدهما آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يحلها بعد الشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين كما ذكرنا والوقت الآخر على رأس الثنتين وسبعين ساعة فيكون على

أحد غيره ثم قال لمطاع اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له بلغنا أن في جهنم واديا يقال بهيب أعداء الله لكل إمام جائر في حكمه ضحك الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مضيا عليه فقال عمر لمطاع قلت أمير المؤمنين قبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمره غمرة شديدة وقال له يا عمر إن الأمر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال مكثت سنة أجد ألم الغمرته في ذراعي . وكان ابن أبي شمية يوصف بالقل والأدب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تكلم قال بم أنسكم وقد علمت أن كل كلام تكلم به للتكلم عليه وبال إلا ما كان لله فبكى عبد الملك ثم قال رحمه الله لم يزل الناس يتواظفون ويتواصون فقال الرجل يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاناة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لاجرم لأجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ماعش ، وروى عن ابن عائشة أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وقفها الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بى سيدى إلى ثم دعا بكرسى فوضع على جنب سريره فقدم عليه ففعل الحجاج بذلك كرنا ويسأنا إذ ذكر على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال منه وثنا منه مقاربة له وفرقا من شره والحسن ما كنت عاض على إيهامه فقال يا أبا سعيد مالى أراك ما كنت قال عاصيت أن أقول قال أخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول - وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الدين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم - فعلى ممن هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم النبي عليه السلام وخنته على ابنته وأحب الناس إليه وأصحابه سابقين مباركات سبقته له من الله أن تستطيع أنت ولأحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها وأقول إن كانت لى هاة فله حسبه والله ما أجد فيه قولا أعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مضيا فدخل بيتا خلفه وخرجنا . قال عامر الشعبي فأخذت يدا الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال إليك عنى يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطانا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه وبحك يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت أو سكنت فسلمت قال عامر يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها قال الحسن فذلك أعظم في الحجة عليك وأشد في التهمة قال وبث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذى تقول قاتلهم الله قاتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما أخذ الله على العلماء من الواثق - ليعينه الناس ولا يكتمونه - قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يسلخ عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك . وحكى أن حطيطا الزيات جى به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيط قال نعم قال سل عمابدا لك فأتى عاهدت الله عند اللقائم على ثلاث خصال إن سئلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوفيت لأشكرن قال فأتقول في قال أقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فأتقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال أقول إنه أعظم جرما منك وإنما أنت خطيئة من خطاياى قال فقال الحجاج ضموا عليه العذاب قال فأتى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جلاوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جلاوه يمدون قصة قصة حتى انتحلوا لحمه فاصمعو يقول شيئا قال فقيل للحجاج إنه في آخر رمق فقال أخرجوه فارموا به في السوق قال جعفر فأتيت أنا وصاحب له قلنا له حطيط ألك حاجة قال شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمه الله عليه . وروى أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل

اليتين والإنظار في الليلة الثالثة ويكون لكل يوم ولية ثلث رطل ودين هذين الوقتين وقت وهو أن يفطر من كل ليتين ليلا ويكون لكل يوم ولية نصف رطل وهذا ينبغي أن يفعله إذا لم ينتج ذلك عليه سامة وضربا ووقفة اشترار في الذكر وللعامة فإذا وجد شيئا من ذلك فليفطر كل ليلة وبأكل الرطل في الوقتين أو الوقت الواحد فالنفس إذا أخذت بالإفطار من كل ليتين ليلة ثم ردت إلى الإفطار كل ليلة تنفع وإن سوحت بالإفطار كل ليلة لا تنفع بالرطل وتطلب الآدم والشهوات وقس على هذا فهي إن أطعمت

للدنية وأهل الشام وقرأتها فجعل يسألهم وجعل يكلمهم أمر الشعي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علما ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال ها هذان هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعي والحسن فأقبل على الشعي فقال يا أبا عمرو إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرية وثرمني حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يسلطن عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فاقص طائفة من عطايتهم فأضمه في بيت المال ومن نيق أن أرده عليهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا إغدا كتابه وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل لي في هذا نعمة وفي أشباهه من الأمور والنية فيها ما ذكرت قال الشعي : قلت أصلح الله الأمير إنما السلطان والله خطي ويصيب قال فسر بقولي وأجبهه ورأيت البشر في وجهه وقال فقه الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرية وثرمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرية لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة وإني سمعت عبدالرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة»^(١) ويقول إني ربما قبضت من عطايتهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن رجسوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا إغدا كتابه وحق الله أن يؤم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولطاعة لخلق في مصبة الخالق فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقا لكتاب الله فخذبه وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فأنهه يا ابن هيرة اتق الله فإنه يوشك أن أتيتك رسول من رب العالمين يزيدك عن سررك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودينك خاف ظهرك وتقدم على ربك وتزول على عملك يا ابن هيرة إن الله ليمتلك من يزيد وإن يزيد لا يمتك من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لاطاعة في معصية الله وإني أحذرك بأمر الله لا برد عن القوم المجرمين ، قال ابن هيرة إربع على ظلمك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وإنما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لمسه به وما يلمسه من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هيرة إنك أن تلق من يصح لك في دينك وعملك على أمر آخرتك خير من أن تلق رجلا يفرك ويمنيك ققام ابن هيرة وقد سبر وجهه وتغير لونه وقال الشعي قلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلىته فقال إليك عني يا عامر قال فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكأنت له للزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا ما أدى إليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا لما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من الملأ لإماتل الفرس العربي بين التاروف وما شهدنا مشهدا إلا برز علينا وقال لله عز وجل وتلنا مقاربة لهم قال عامر الشعي وأنا أأعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحياه . ودخل محمد ابن واسع على بلال بن أبي بردة فقال له ما تقول في القدر ؟ فقال جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم

(١) حديث الحسن عن عبد الرحمن بن سمرة من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة رواه النووي في معجم الصحابة بإسنادين وقد اتفق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن يسار .

طمعت وإن أقنعت
قمت . وقد كان بعضهم
بنقص كل ليلة حتى رد
النفس إلى أقل قوتها
ومن الصالحين من
كان يمر القوت بنوى
التمر وينقص كل ليلة
نواة ومنهم من كان
يسير بسود رطب
وينقص كل ليلة بقدر
نشاف السود . ومنهم
من كان ينقص كل
ليلة ربع سبع الرغبة في
حتى يغنى الرغبة في
شهر ومنهم من كان
يؤخر الأكل ولا يعمل
في تقليل القوت ولكن
يسلم في تأخير
التدريج حتى تتدرج
ليلة في ليلة وقد فعل
ذلك طائفة حتى انتهى
طيم إلى سبعة أيام
وعشرة أيام وخمسة
عشر يوما إلى الأربعين
وقد قيل لسهل بن

قال فيهم شقلا عن القدر . وعن الشامي رضى الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر النصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فأتى التفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد أنهم أهل تحطم في أعراض الناس كثير والأذى لهم ، فقال أبو جعفر : قد سمعت قال التفاريون يا أمير المؤمنين سل عن الحسن بن زيد فقال يا ابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد فقال أشهد عليه أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح ، فقال يا أمير المؤمنين أسأله عن نفسك فقال ما تقول في قال تعفي يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني ذل تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله وأشهد أن الظلم يابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب قبض عليه ثم قال له أما والله لولا أني جالس ههنا لأخذت فارس والروم والديلم والتترك بهذا المكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذنا الحق وقبنا بالسوية وأخذنا بأفناء فارس والروم وأسفرا آتاهم قال غلني أبو جعفر قتاه وخلي سبيله وقال والله لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك ، فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك للمهدي قال فلما أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس النصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث لقد سرت ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك للمهدي قال بنفرا لله لك يا أبا عبد الله كنا مهدي كلنا كان في الهدى . وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث إلى أبو جعفر النصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته فها وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي أطلبك عنا يا أوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الأخذ عنكم والاقباص منكم قال قلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئا مما أقول لك قال وكيف أجعله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له قال قلت أسأف أن تسمعه ثم لاتعمل به قال فصاح بي الربيع وأهوى يده إلى السيف فأنزله النصور وقال هذا مجلس مثوبة لا يجلس عقوبة (١) فطابت نفسي وانسطت في الكلام ، قتلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فاتها نعمة من الله سيقت إليه فان قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إيما وزداد الله بها سخطا عليه (٢) » يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال قال رسول الله ﷺ « أيما وال مات غلشا لرعيته حرم الله عليه الجنة (٣) » يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كرهه إن أقامه الحق المبين إن الذي لين قلوب أممتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم

(١) حديث الأوزاعي مع النصور وموعظته له وذكر فيها عشرة أحاديث مرفوعة والقصة بمجملتها رواها ابن أبي الدنيا في كتاب مواعظ الخلفاء ورويتها في مشيخة يوسف بن كامل الخفاف ومشيخة ابن طبرزد وفي إسنادهما أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدي يحدث بمناكير وهو عندي من أهل الصدق وقد رأيت سرد الأحاديث المذكورة في الموعظة لتذكر هل بعضها طريق غير هذا الطريق وليرف صحابي كل حديث أو كونه مرسلًا فاولها (٢) حديث عطية بن بشر أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فاتها نعمة من الله الحديث ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء (٣) حديث عطية بن ياسر أيما وال مات غلشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ابن أبي الدنيا وفيه وابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد

عبد الله هذا الذي يأكل في كل أربعين وأكثر أسكلة ابن يذهب لطلب الجوع عنه قال يظنه النور . وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لي كلاما ببارة دلت على أنه بعد فرحار به ينطفي . معه لطلب الجوع وهذا في الخلق واقع أن الشخص يطرقه فرح وقد كان جائعا فيذهب عنه الجوع وهكذا في طرق الخوف يقع ذلك ومن فعل ذلك ودرج نفسه في شيء من هذه الأقسام التي ذكرناها لا يؤثر ذلك في ضمان عقله واضطراب جسمه إذا حكان في حماية الصدق والاخلاص وإيما يخشى في ذلك وفي دوام الله كره على من لا يخلص لله تعالى .

رءوفا رحبا مواشيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس تحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لاتنلق عليك دينهم الأبواب ولا تخيم دينهم الحجاب تبتهج بالنعمة عديم وتبتسب بما أصابهم من سوء يأمر المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم وأحرمهم وأسودم مسلمهم وكافرم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا انعت منهم قائم وراء قائم وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلمة سبها إليه يأمر المؤمنين حدثي مكحول عن عروة بن ربيع قال وكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها للناقضين فأثاه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملائت قلوبهم رعبا (١) فكيف بمن شقي أمتارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلامهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يأمر المؤمنين حدثي مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده فأثاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله لم يمشك جبارا ولا متكبيرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرايا فقال اقتص مني فقال الأعرايا قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفضل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي فدعاه غير (٢) » يأمر المؤمنين رضى نفسك لنفسك وخذلها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها (٣) » يأمر المؤمنين إن الملك لو نقي لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا ينيق لك كالمق لم يترك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك ماهذا الكتاب لا يناد صغيره ولا كبيرة إلا أحصاها - قال الصغيرة التيسم والكبيرة الضحك فكيف بما علمته الأيدي وحصدته الأسنن يأمر المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لومات سخة على شاطئ القرات خيمة لحيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك. يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك - يادادو إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله - قال الله تعالى في الزبور : يادادو إنا قد أقمنا الحصان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تثنين في نفسك أن يكون الحق له فيفعل على صاحبه فأعحوك عن نبوتهم لا تكون خليفة ولا كرامة يادادو إنما جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كراءه الأبل لهمم بالزراعة وورعهم السياسة ليجروا الكسير ويدلوا الهزبل على الكلاء وللاء . يأمر المؤمنين إنك قد بليت بأمر لوعرض على السموات

(١) حديث عروة بن ربيع كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها للناقضين الحديث ابن أبي الدنيا فيسه وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث حبيب بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده الحديث ابن أبي الدنيا فيه ، وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقص من نفسه ولحاحكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرة أسيد بن حضير ، فقال أوجعتني قال أقص الحديث قال صحيح الاسناد (٣) حديث لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ابن أبي الدنيا من رواية الأوزاعي مضال لم ذكر اسناده ورواه البحارى من حديث أنس بلفظ لقاب .

وقد قيل حد الجوع أن لا يميز بين الحبز وغيره مما يؤكل ومضى عيت النفس الحبز فليس بجائع وهذا المعنى قد يوجد في آخر الحديث بعد ثلاثة أيام وهذا جوع الصديقين وطلب الغداء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام براض الصبوبة ويكون هذا حد الضرورة لمن لا يجتهد في التقليل بالتدريج فأما من درج نفسه في ذلك قد صبر على أكثر من ذلك إلى الأربعين كاذكرنا وقد قال بعضهم حد الجوع أن يريق فاذالم يقع الدباب على رزاقه يدل هذا على خلو المعدة من الدسمه وفساء البزاق كالماء الذي لا يقصده الدباب. روى أن سفيان

والأرض والجبال لأين أن يجعله وأشفقن منه بأمر المؤمنين حدثني زيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الأنصاري أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فقرأ بعد أيام مقيا قال له : ما نملك من الخروج إلى عملك ؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله قال لا لآل وكيف ذلك ؟ قال إنه يلقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه لا يفسكه إلا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فإن كان حسنا نجا بإحسانه وإن كان سيئا أغرق به ذلك الجسر فيهوى به في النار سبعين خريفا » (١) فقال له عمر رضى الله عنه ممن سمعت هذا ؟ قال من أبي ذرٍّ وسلمان فأرسل إليهما فمرسا لهما قالاهم حمضا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر وأخبراهم أن يتولاها بما فيها فقال أبو ذر رضى الله عنه من سلت الله أغه وألقى خذه بالأرض ، قال فأخذ للتدليل فوضه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أكانى ثم قلت بأمر المؤمنين قد سألت جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام « يا عباس يا عم النبي نفس تنجها خير من إمارة لا تنجها » (٢) نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لا يلقى عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليه وأندر عشر ترك الآخرين - فقال « يا عباس يا صفيّة عمي التي وإفاطمة بنت محمد إنى لست أغنى عنكم من الله شيئا إن لى عملى ولكم عملكم » (٣) وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يقيم أمر الناس إلا خفيف العقل أريب البعد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذ به الله لومة لأثم . وقال الأمراء أربعة : فأمر قوى ظلف نفسه وعمله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة ، وأمر فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عمله لضفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله ، وأمر ظلف عمله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الحطمة فهو المسالك وحده » (٤) وأمر أرتع نفسه وعمله فهلكوا جميعا وقد يلقى بأمر المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام آتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « أتيتك حين أمر الله بمنافع النار فوضت على النار تسمر ليوم القيامة فقال له يا جبريل صف لى النار فقال إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى اسحرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فمى سوداء مظلمة لا ضئى جمرها ولا يطفأ لها والنار يبكى بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب فى مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه

(١) حديث عبد الرحمن بن عمر أن عمر استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة الحديث وفيه مرفوعا ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى الله يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه الحديث ابن أبي الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبراني من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار بن أبي الحكم عن أبي وائل أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخضر منه وأن بشرا سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه سلمان (٢) حديث يا عباس يا عم النبي نفس تنجها خير من إمارة لا تنجها ابن أبي الدنيا هكذا مضلا بنير إسناد ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا من رواية ابن التكر مرسلًا وقال هذا هو المخطوط مرسلًا (٣) حديث يا عباس يا صفيّة وإفاطمة لا أغنى عنكم من الله شيئا لى عملى ولكم عملكم ابن أبي الدنيا هكذا مضلا دون إسناد ورواه البخارى من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله لى عملى ولكم عملكم (٤) حديث شر الرعاة الحطمة رواه مسلم من حديث عائذ ابن عمر للزنى متصلا وهو عند ابن أبي الدنيا عن الأوزاعى مضلا كما ذكره الصنف.

الثورى وإبراهيم بن آدم رضى الله عنهما كاتبا طويان ثلاثا ثلاثا . وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى هتا . وكان عبد الله بن الخيزر رضى الله عنه يطوى سبعة أيام . واشتهر حال جدنا محمد ابن عبد الله المعروف بصوبه رحمه الله وكان صاحب أحمد الأسود الدينورى أنه كان يطوى أربعين يوما وأقصى ما بلغ فى هذا للحنى من الطى رجل أدركنا زمانه ومآثرته كان فى أبهر يقال له الزاهد خليفة كان يأكل فى كل شهر لوزة ولم نسمع أنه بلغ فى هذه الأمة أحد بالطى والتدريج إلى هذا الحد وكان فى أول أمره على ما حكى يقص القوت

ولو أن ذنبا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لداب وتما استقلت ولو أن رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لثأل أهل الأرض من نقي ريحه وتشويه خلقه وعطسه فبكي النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبكائه قال أنبيى يا محمد وقد غفرلك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم يكفك يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وجهه ؟ قال أخاف أن أبطل بما أبتلى به هاروت وماروت فهو الذي منى من استكالى على منزلي عند ربي فأكون قد أسئت منكزه فلم يزالا يكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد آتاكم أن تصياه فيمذبكا وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الرسل (١) وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اللهم إن كنت تعلم أنى أبالي إذا قدم الحصان بين يدي على من مال الحق من قرب أو بعيد فلا تمنى طرفه عين يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وإنه من طلب المز بطاعة الله رفقه الله وأعزه ومن طلبه بمصبة الله أذله الله ووضعه ، فهذه نصيحتي إليك والسلام عليك . ثم نهضت فقال لي إلى أين ؟ قلت إلى الوالد والوطن باذن أمير المؤمنين إن شاء فقال قد أذنتك وكسرت لك نصيحتك وقبلتها والله للوفى بالخير والعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسي وفم الوكيل فلا تخفى من مطالعتك إياي بمثل هذا فانك للقبول القول غير التهم في النصيحة . قلت أفصل إن شاء الله . قال محمد بن مصعب : فأمره بجال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لأبشع نصيحتي بمرض من الدنيا وعرف النصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك . وعن ابن الهاجر قال قدم أمير المؤمنين للنصور مكة شرفها الله حاجا فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء للؤنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فصلى بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فيينا هو يطوف إذ سمع رجلا عند اللترزم وهو يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البنى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع النصور في مشيه حتى ملا مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأثامه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلى ركعتين واسلم الركن وأقبل مع الرسول فلم عليه فقال له للنصور ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البنى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضى وأقلقتني ؟ فقال يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنيتك بالأمور من أصولها وإلا اقتصر على نفسي فقها لي شغل شاغل فقال له أنت آمن على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح مظهر من البنى والفساد في الأرض أنت فقال وبمك وكيف يدخلني الطمع والصفراف والبيضاء في يدي والخلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجبس والأجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنك فيهم وبشت عمالك في جمع الأموال وجبايتها وأخذت وزراء وأعوانا طلبة إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يذكروك فوالله على ظلم الناس بالأموال والكرام والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ثم سميتهم ولم تأمر بإصلاح الظالم ولا للهلوف ولا للجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد إلا له في هذا المال حق

(١) حديث بلغني أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنتيتك حين أمر الله بنافخ النار وضعت على النار تسع ليرى القيامة الحدت بطوله ابن أبي الدنيا فيه هكذا مضلا بغير إسناد .

بنشاف العود ثم طوى حتى انتهى إلى الورقة في الأربعين ثم إنه قد يسلك هذا الطريق جمع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق هذا لوجود هوى مستكن في باطنه يهون عليه ترك الأكل إذا كان له استعلاء لنظر الخلق وهذا عين النفاق نموذج بالأسمن ذلك والصادق ربما يقدر على الطي إذا لم يعلم بحاله أحد وربما تضعف عزيمته في ذلك إذا علم بأنه يطوى فان صدقه في الطي ونظره إلى من يطوى لأجله يهون عليه الطي فإذا علم به أحد تضعف عزيمته في ذلك وهذا علامة الصادق فهما أحسن في نفسه أنه يحب أن يرى بسين التقل

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم نفسك وآثرتهم على ربعتك وأمرت أن لا يحبوا عنك
 تحبى الأموال ولا تضحىها قالوا هذا قد خان الله فإنا لا نخونه وقد سخر لنا فاقتمروا على أن لا يصل
 إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصوه
 حتى تسقط منزلته وصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعلمهم الناس وهابوم وكان أول
 من صانفهم عمالك بالمديا والأموال ليتقوا بهم على ظلم ربعتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة
 من ربعتك لينالوا عظم من دونهم من الرعية فاضلأت بلاد الله بالطمع بغيرا وقسادا وصار هؤلاء
 القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم حبل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد
 رفع صوته أوقسته إليك عند ظهورك وجسده قد نهيت عن ذلك ووقت للناس رجلا ينظر في
 مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطاكتك سألو صاحب اللظام أن لا يرفع مظلمته وإن كانت للمتظلم
 به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال للظالم مختلف إليهم ويلوذ به ويشكو
 ويستثيث وهو يدفعه ويستل عليه فإذا جهدوا خرج وظهت صرخ بين يديك فيضرب ضربا
 مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير في بقاء الاسلام وأهله على هذا وقد
 كانت بنو أمية وكانت العرب لا يتبى إليهم للظالم إلا رفعت غلامته إليهم ينصف ولقد كان الرجل
 يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الإسلام فيتدرونه مالك مالك فيرفسون
 مظلمته إلى سلطانهم فينتصف ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك قدمتها
 مرة وقد ذهب مع ملكهم فيجعل بيكي فقال له وزراؤه مالك بيكي لا بكت عينك فقال أما إنني
 لست أبكي على الصية التي تزلتني ولكن أبكي لظالم يصرخ بالبالب فلا أسمع صوته ثم قال أما إن
 كان قد ذهب سمى فان بصري لم ينهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم فكان
 يركب القيل ويطوف طرفي التبار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت
 رأفته بالمشركين ورفقه على شحّ قسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عمّ بني الله لا تغلبك رأفتك
 بالمسلمين ورفقتك على شحّ نفسك فانك لا تجمع الأموال إلا الواحد من ثلاثة إن قلت أجمعها لولدي
 فقد أراك الله عبرا في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الأرض وما من مال إلا ودونه
 يد شحجة تحويه فإذا زال الله تعالى بلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذي تعطى
 بل الله يعطى من يشاء وإن قلت أجمع المال لأشيد سلطاني فقد أراك الله عبرا فيمن كان قلبك ما غنى عنهم
 ما جمعوهم من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرز ولولا أيك ما كنتم
 فيه من فقا لجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية
 التي أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من
 عصاك من ربعتك بأشد من القتل قالا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولق الله وما أنت عليه
 من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلافة في المذاب الأليم وهو
 الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضرمت جوارحك فإذا تقول إذا ارتفع اللك الحق للمبين ملك الدنيا
 من يدك ودعاك إلى الحساب هل ينفي عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا
 فيكي المصور بكاء شديدا حتى حب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم أخلق ولم أكن شيئا ثم قال كيف احتيالي
 فيما حول فيه ولما من الناس إلا خائبا قال يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين قال ومن هم ؟
 قال العلماء قال ودمعروني قال هو بامتك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك
 ولكن اقتنع الأبواب وسهل الحجاب واتصم للمظلوم من الظالم وامنع للظالم وخذ الشيء بما حلال وطاب

عليهم قسه فان فيه
 غائبة النفاق ومن
 يطوى لله يومه الله
 تعالى فرحا في بطنه
 ينسبه الطعام وقد
 لا ينسب الطعام ولكن
 امتلاء قلبه بالأثوار
 يقوى جاذب الروح
 الروحاني فيجذبه إلى
 مركزه ومستقره من
 العالم الروحاني وينفر
 بذلك عن أرض
 الشهوة النفسانية وأما
 أثر جاذب الروح إذا
 تخلف عنه جاذب
 النفس عند كمال
 طمأنينتها وإسكاس
 أنوار الروح عليها
 بواسطة القلب للستير
 فأجل من جذب
 للفتايس للحديد إذ
 للفتايس يجذب
 الحديد لروح في الحديد
 مشا كل للفتايس
 فيجذبه بنسبة الجنسية

واقسمه بالحق والعدل وأناضمن على أن من هرب منك أن يأتيك فيما نوك على صلاح أمرك ورعيك
 فقال للنصور : اللهم وعتني أن أعمل بما قاله هذا الرجل وجاء للؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج
 فصلي بهم ثم قال للحرس عليك بالرجل إن لم تأتي به لأضربن عنقك واعتاظ عليه غيظا شديدا فخرج
 الحرس يطلب الرجل فيينا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلي في بعض الشباب تقدم حتى صلى ثم قال إذا
 الرجل أمانتي الله قال بلى قال أما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي إلى الأمير قد قلت أن يقتلني إن لم آت
 بك قال ليس لي إلى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال تحسن قرأ قال لا فأخرج من
 مزود كنهم رقا مكتوباً فيه شيء فقال خذ فاجله في جييك فإن فيه دعاء الفرج قال ومادعاء الفرج
 قال لا يرزقه إلا الشهداء قلت ورحمك الله قد أحسنت إلى فإن رأيت أن أخبرني ماهذا الدعاء وماغضه قال من
 دعاه مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيث خطاياء واستجيب دعاؤه وبسط له فريزه
 وأعطى أمه وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا عوت إلا شهيدا تقول اللهم كما لطفت في عظمتك
 دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلت ماتحت أرضك كهللك بما فوق عرشك وكانت
 وسواس الصدور كالملانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك واتحاد كل شيء لعظمتك وخضع
 كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجل لي من كل ثم أمسيت فيه فرجا
 وخرجنا اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على فيسح عملي أطمعني أن أسألك
 ما لا أستوجبه بما نصرت فيه أذكوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلى وأنا السيء إلى نفسي
 فيما بيني وبينك تتودد إلى بصمتك وأتفضل إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك جعلني على الجراءة عليك
 فقد بفضلك وإحسانك على إنك أنت التواب الرحيم قال فأخذته فصرته في جبي ثم لم يكن لي ثم غير
 أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فظفر لي وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السرر قلت لا والله
 يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمرى مع الشيخ فقال هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال قد
 نجوت وأمر ينسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أمهره قلت لا قال ذلك الحضر عليه السلام .
 وعن أبي عمران الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بمأصالحه من أمر الخلافة
 ففتح بيوت الأموال وأقبل يحيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر
 الفلسك والتشفي وكان مؤاخا لسياف بن سعيد بن النضر الثوري قد عايناهم سفيان ولم يزره فاشتاقي
 هرون إلى زيارته ليخبره فمعه فم يزره ولم يبا بموضعه ولا بمأصالحه إليه فاشتد ذلك على هرون
 فكتب إليه كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى
 أخيه سفيان بن سعيد بن النضر أما بعد يا أخي قد علمت أن الله تبارك وتعالى وإخيه بن المؤمنين وجل
 ذلك فيه وله واعلم أني قد واختيت مواخاة لم أصرم بها حيلك ولم أقطع منها ودك وإني منطو لك على
 أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلديها الله لأتيتك ولو جوا لما أجندك قلبي من المحبة
 واعلم يا أبا عبد الله أني ما بيني وإخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهناني بمأصرت إليه وقد قصت
 بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقررت به عيني وإني استبطأتك فلم
 تأتي وقد كتبت إليك كتابا هو قاي مني إليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله مجاءه فضل المؤمنين
 وزيارته ومواصيته فإذا ورد عليك كتابي فالجبل الجبل فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا
 كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشوته فقال على رجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له
 عباد الطائفي فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني
 ثور ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فالق كتابي هذا إليه وع يسمعك وقلبك جميع ما يقول

الحاجة فإذا تجنست
 النفس بكسر نور
 الروح الواصل إليها
 بواسطة القلب يسير
 في النفس روح
 استمدتها القلب من
 الروح وأداعها إلى
 النفس فتجذب الروح
 النفس بجنية الروح
 الحادثة فيها فيزدي
 الأظلمة الدنيوية
 والشهوات الحيوانية
 ويتحقق عنده قول
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « أبيت
 عند رب يطمعني
 ويسقيني » ولا يقدر
 على ما وصفناه إلا بعد
 تصير أعماله وأقواله
 وسائر أحواله ضرورة
 فيتناول من الطعام
 أيضا ضرورة ولو
 تكلم مثلا بكلمة
 من غير ضرورة
 التهب فيه نار الجوع

فأحس عليه ذوق أمره وجليه لتخبرني به فأخذ عبد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القيلة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في السجد قال عباد فأقبلت إلى السجد فلما رآني قام قائماً وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير قال عباد فوقت الكعبة في قلبي فخرجت فلما رآني نزلت ياب السجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بياب السجد ودخلت فإذا جساؤه قدود قد نكسوا ردوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلت لما رفع أحد إلى رأسه وردوا السلام على بردوس الأصابع فبقيت واقفاً لما منهم أحد يمرض على الجالس وقد علاني من هيئته الرعدة ومبدت عيني إليهم فقلت إن الصلي هوسفيان فرميت بالكتاب إليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في حماره فرك وسجد وسلم وأدخل يده في كفه وألقا بمبائه وأخذ قلبه بيده ثم رماه إلى من كان خلفه وقال يا أئمة بعضم عروءه فاني استغفر الله أن أمس شيا من ظالم يده قال عباد فأخذه بعضهم فله كأنه خائف من فم حية تشبه ثم فضه وقراه وأقبل سفيان يتيم يتيم للتعب فلما فرغ من قراءته قال اقبلوه واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه قتل له باباً عبد الله إنه خليفة فلو كنت إلى في قرطاس نقي فقال اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتبه من حلال فسوف يجرى به وإن كان اكتبه من حرام فسوف يصلي به ولا يقيق شيء منه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما كتب فقال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الذليل سفيان بن سعيد بن الحر التوري إلى العبد للثور بالآمال هرون الرشيد الذي سلب حلاوة الإيمان . أما بعد فاني قد كتبت إليك أعرفك أني قد صرمت جحلك وقطعت ودك وقلت موضعك فانك قد جعلني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنتفتحه في غير حقه وأخذته في غير حكمه ثم لم يرض بما فعلته وأنت نادى حتى كتبت إلى تهندي على نفسك أما إنني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين بشير رضام هل رضى بظلمك للؤلؤة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأراذل والأيتام أم هل رضى بذلك خلق من رعيته فسد يا هرون مزرعك وأعد للسلطة جواباً وللبلاء جلباباً واعلم أنك تستفت بين يدي الحكم العدل فقد رزمت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولقد يد القرآن وعجالة الأخبار ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمين إماماً يا هرون قدت على السرر ولبست الحرير وأسبلت ستراً دون بابك وتشبهت بالحجة رب العالمين ثم أقصدت أجنالك الظلمة دون بابك وسترلك بظلمون الناس ولا يتصفون بشيرون المحور ويضربون من يشربها ويؤنون ويعدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا إذا نادى النادى من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة قد قدمت بين يدي الله تعالى ويدك مغلولتان إلى عنقك لا يشكهما إلا عدلك وإصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ، كآني بك يا هرون وقد أخذت بضييق الحناق وردت للساق وأنت ترى حسناك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة عن سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحفظ بوصيقي وانظ بعوطني التي وعظمتك بها . واعلم أني قد نصحتك وما أجيبت لك في النصيحة فاتق الله يا هرون في رعيته واحفظ محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم أن هذا الأمر لو بقي لترك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل

التياب الخلفاء بالنار
لأن النفس الراقدة
تسقط بكل ما يوقظها
وإذا استيقظت
نزع إلى هواها فالعبد
للراد بهذا إذا فطن
لسياسة النفس ورزق
العلم سهل عليه
العلم وتداركته
للعونة من الله تعالى
لا سيما إن كوشف
بشيء من النعم الإلهية .
وقد حكي في قبر أنه
اشتد به الجوع وكان
لا يطلب ولا يسبب
قال فلما انتهى جوعه
إلى الغاية بعد أيام
فتح الله على بشافة
قال فتناولت التفاحة
وقصدت أكلها فلما
كسرتها كوشفت
بهوراء نظرت إليها
عقيب كسرها فحدث
عندي من الفرح
بذلك ما استغني

بأهلها واحدا بعد واحد منهم من تزود زادا قومه ومنهم من خسر دياره وآخرته وإن أحسبك ياهرون
عن خسر دنياه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أحبك عنه والسلام. قال عباد
فأتني إلى الكتاب منشورا غير مطوى ولا عتوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقت للوطة
من قلبي فدائيت بأهل الكوفة فأجابوني قلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله إلى الله فأقبلوا
إلى بالدناير والبرام قلت لأحاجة في لي السال ولكن جبة صوف خشنه وعباءة قطوناية قال فأتيت
بذلك وزعرت ما كان على من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون وعليه
السلح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هرون حافيا راجلا ففرأني من كان على باب الحليفة
ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقصدهم قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه
ويدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب للرسول مالي ولدنيا مالي ولللك زول عن سر ما
ثم أتيت الكتاب إليه منشورا كما دفع لي فأقبل هرون يقرؤه ويذمعه ويذمعه من عيه وقرأ
ويشقي فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين لقد استقرأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأقبلت بالجديد
وضيقت عليه السجن كنت تجهه عبرة لنبيه فقال هرون : أتركونا يا عبد الله النعمان من غير عوه
والشقي من أهلكتموه وإن سفيان أمة وحيد فاركونا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى
جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر نفسه واتقى الله فبايذم
عليه غدا من عمله فإنه عليه بحاسب وبه يجازي والله ولي التوفيق. وعن عبد الله بن مهران قال
حج الرشيد فوافي الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن
خرج بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولونه به إذ أقبلت هوداج هرون فكف الصبيان عن الولوع
به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف يده عن وجهه فقال
إليك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين : حدثنا أعن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقه له صبياء لأضرب ولأطرد ولا إليك إليك^(١) وتواضعت
في سفره هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون حتى سقطت دموعه على
الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالاً وجالاً فأفق من ماله
وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة. قال
أررد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فإن كان عليك دين قضناه قال يا أمير المؤمنين
هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت أراؤهم أن قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول تجعري
عليك ما يقوتك أو يقيمك قال فرغ بهلول رأسه إلى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله
فحال أن يذكرك وينساني قال فأقبل هرون السجاف ومضى. وعن أبي اللباس الهامسي عن صالح
ابن التميمي قال دخلت على الحرث الهامسي رحمه الله فقلت له : يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك؟ فقال كان
هذا مرة قلت له فالقوم قال آكامهم حالي إلى لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأذن به لأن تسمعا تنسى
ولولا أن يغلبي فيها فرح ما أعلنت بها وقد كنت ليرة قاعدا في محرابي فإذا أنا بغنى حسن الوجه طيب
الرائحة فسلم على ثم تصد بين يدي قلت له من أنت قال أنا واحد من السباحين أقصد التبدين في
محاربيهم ولا أرى لك اجتهدا فأنى سوء عملك قال قلت له كنهان للصائب واستجلب الفوائد قال

عن الطعام أياما
وذكر لي أن الحوراء
خرجت من وسط
التفاحة والاعيان
بالقدرة ركن من
أركان الإيمان فسلم
ولا تنكر . وقال
سهل بن عبد الله
رحمه الله من طوى
أربعين يوما ظهر له
القدرة من اللسكوت
وكان يقال : لا يزد
البد حقيقة الزهد
الذي لامشوبة فيه
إلا بمشاهدة قدرة
من اللسكوت . وقال
الشيخ أبو طالب
اللي رحمه الله :
عرفنا من طوى
أربعين يوما براءة
النفس في تأخير
القتوت وكان يؤخر
فطره كل ليلة إلى
نصف سبع الليل
حتى يطوى ليلة

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقه
له صبياء لأضرب ولا طرد ولا إليك إليك الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه دون قوله منصرفا
من عرفة وإعنا قالوا يرى الجرة وهو الصواب وقد ختم في الباب الثاني .

فصاح وقال ما علمت أن أحدا بين جنبي للشرق والغرب هذه صفته قال الحارث فأردت أن أزيد عليه قتلته له أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتُمون أسرارهم ويسألون الله كنهان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم قال فصاح صيحة غشى عليه منها فمكث عندي يومين لا يسفل ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه فسلت إزالة عقله فأخرجته له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفتي قد تركت به فاغتسل وأعد صلاتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف الثوب وخرج قتلته له أين تريد فقال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على المؤمنين فسلم عليه وقال يا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك أما اتق الله تعالى فيا قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس الباب فأقبل عليه للمؤمن وقال من أنت قال أنا رجل من السياحين فكرت فيا عمل الصديقون قبلي فلم أجدهم في هذا حقا فقلعت جموعك لملأهم قال فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملقوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فلما أخذ قال الحارث فاحتبأت عنه فاخذته أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهم بماله فالتفت في المسجد بالمقابر محزونا على التقى فقلت لي عياي فاذا هو بين وصافئ لم أر أحسن منهين وهو يقول يا حارث أنت والله من الكافرين الذين يخفون أحوالهم ويطمعون بهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك فظننت إلى جماعتك بكان قتلته من أثم قالوا الكائنون أحوالهم حرك هذا التقى كلامك له فلم يكن في قلبه مما وصفته شيء فخرج للأمر والهي وأن الله تعالى أنزله معنا وغضب لمسلم . وعن أحمد بن إبراهيم المقرئ قال كان أبو الحسين النوري رجلا قليل الفضول لا يزال عما لا يمينه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه قتلته فزلات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الضحامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورا قال فيه ثلاثون دنا مكثت عليها بالفر لطف قراءه وانكره لانه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك امض في شغلك فلما سمع النوري من اللاح هذا القول ازداد تعظشا إلى معرفة فقال أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك أنت والله صوفي فضولي هذا خير للمعتضد كبريأنا يتم به مجلسه قال النوري وهذا خمر قال نعم فقال أحب أن تعطيني ذلك للدرى فاشتغل اللاح عليه وقال لنلامه أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت للدرى في يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرهما دنا حتى أتى في آخرها لإدنا واحد واللاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ ابن جسر أفلح فقبض على النوري وأغضه إلى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود قبله فلما رأيته قال من أنت قلت عمتب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة ولا في الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال ما الذي حملك على ما صنعت ؟ فقلت شفقة مني عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقهرت عنه قال فأطرق ومفكرا لي كلامي ثم رفع رأسه إلى وقال كيف تلخص هذا الدين الواحد من جملة الدنان قلت في تلخصه ما علة اخبر بها أمير المؤمنين إن أذن فقال هات خبرني قلت يا أمير المؤمنين إني أتجلت على الدنان عطالة الحق سبحانه في ذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فثابت هية الخلق عنى فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدين فاستعمرت نفسي كبرا على أني أقدمت على مثلك فتمت ولو أقدمت عليه الحال الأول وكانت مله الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت أن تقهره من المنكر . قال أبو الحسين قلت يا أمير المؤمنين بغض إلى التفسير لأن كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي فقال المعتضد ما حاجتك قلت يا أمير المؤمنين تأمر باخراجه سالما

في نصف شهر
فيطوى الأربعين
في سنة وأربعة
أشهر فتندرج الأيام
والإيلي حتى يكون
الأربعين بمنزلة يوم
واحد . وذكر لي أن
الذي فعل ذلك ظهرت
له آيات من الملكوت
وكشف بمات قدرة
من الجبروت بحل الله
بماله كيف شاء . واعلم
أن هذا الحق من الطي
والثقل لو أنه عين
الفضيلة ما فات أحدا
من الأنبياء ولكان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يبلغ من ذلك إلى
أقصى غايته ولا شك
أن ذلك فضيلة لا تنكر
ولكن لا تنحصر
مواهب الحق تعالى في
ذلك فقد يكون من
يا كل كل يوم أفضل
من يطوى أربعين

فأمرله بذلك وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفاً من أن يسأله أحد حاجة يسألها للمتشدق فأقام بالبصرة إلى أن توفي المتشدق ثم رجع إلى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكأوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يبرزهم الشهادة فلما أخلصوا هذه النية أتركناهم في القلوب القلبية فليها وأزال قساوتها وأما الآن فقد قيدت الأطناع السن العلماء فيكتبوا وإن تسكعوا لم تساعد أفعالهم أحوالهم فلم يتجروا ولوصدقوا وقصدوا حق العلم لأفعلوا فساد الرعايا فساد للولك وفساد للولك فساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والمجاهة ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحبسة على الأراذل فكيف على للولك والأكابر والله المستعان على كل حال .

(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)

(وهو الكتاب المأثور من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وتربيته، وأدب نبيه محمداً ﷺ فأحسن تأديبه ، وذكر أوصافه وأخلاقه ثم أخذ منه فيه وحيه ، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه ؟ وحرّم عن التخلق بأخلاقه من أراد تحييه . وصلى الله على سيدنا محمد سيّد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيراً . أما بعد : فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح للعارف وسرائر القلوب هي خارس الأفعال ومتابعتها وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزيئها وتجليها وتبدل الحسن مكارها ومساوئها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفيض على ظاهره جمال الآداب النبوية وقد كنت عزمتم أن أتمم ربيع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة ثلاثا يشق على طالبا استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربيع العادات قد آتى على جملة من الآداب فاستقتلت تكريرها وإعادة فإن طلب الإعادة هيجل والنفوس مجبولة على معادة العادات فرأيت أن أقصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المأثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فصلا فصلا بحذوفا الأسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب بتجديد الإيمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه السكرية التي شهد أحاديها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلام رتبة وأجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الأخلاق والشيم ومتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل التحريين وموجب دعوة المضطرين ولذكركه أولا يان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ثم بيان كلامه وضحه ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس ثم بيان غفوه مع القدرة ثم بيان إغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم .

(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)

يوما وقد يكون من لا يكافئ به من معاني القدرة أفضل ممن يكافئ بها إذا كاشمه الله بصرف اللرفة فالتدرة أثر من القادر . ومن أهل قرب القادر لا يستغرب ولا يستعكر شيئا من القدرة وبره القدرة تتجلى له من سجع أجزاء علم الحكمة فاذا أخلص البعد لله تعالى أربعين يوما واجتهد في ضبط أحواله جهه من الأنواع التي ذكرنا من العمل والتعصر والقوت وغير ذلك تعود بركة تلك الأربعين على جميع أوقاته وساعاته وهو طريق حسن اعتمده طاقة من الصالحين وكان جماعة من الصالحين يخشرون

(بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والتهاليل دائم السؤال من الله تعالى أن يرزقه معاشن الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه « اللهم حسن خلقى وخلقى ^(١) » ويقول « اللهم جننى منكرات الأخلاق ^(٢) » فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل - ادعوني أستجب لكم - فأزل عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن . قال سعد بن هشام دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبيها فسأتهما عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت أما قرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ^(٣) وإنا أدبه القرآن يمثل قوله تعالى - خذ الصو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقوله - واسبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور - وقوله - ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور - وقوله - فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين - وقوله - وليفوا وليصغوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم - وقوله - ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - وقوله - والسكاطين الفيتى والمافين عن الناس والله يحب المحسنين - وقوله - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا يحسبوا ولا يفتب بفسك بشا - ولما كسرت رباعيته وشج يوم أحد فبصل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف بفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم ^(٤) فأزل الله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - تأديبا له على ذلك وأمثال هذه التأديبات فى القرآن لا تحصر وهو عليه السلام للقصود الأول بالتأديب والتهديب ثم نهى بشرق النور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن وأدب الخلق به وبذلك قال صلى الله عليه وسلم « بثت لأتمم مكارم الأخلاق ^(٥) » ثم رغب الخلق فى محاسن الأخلاق بما أوردته فى كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق فلا تنميه لما أكمل الله تعالى خلقه أنى عليه فقال تعالى - وإنك لملئ خلقك عظيم - فسبحان ما أعظم شأنه وأنتم امتنانه ثم انظر إلى عيم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم ألقى فهو الذى رزقه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال - وإنك لملئ خلقك عظيم - ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق ويغض سفاسفها ^(٦) قال صلى الله عليه وسلم « يا عياها لرجل مسلم يحبه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلا وكان لا يرجو ثوابا ولا يغشى عقابا لقد كان ينهى له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فانها عاتدل على سبيل النجاة فقال له رجل أصعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما أتى بسبايا طيقت وقتت جارية فى السبي فقالت يا محمد

للأربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة وهى أربعون موسى عليه السلام . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أنا أبو منصور محمد ابن عبد الملك بن خير بن إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهري إجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن ساعد قال ثنا الحسين بن الحسن الروزى قال ثنا عبد الله بن المبارك قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا الحجاج عن سكون قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » .

- (١) حديث كان يقول فى دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولطهما اللهم أحسن خلقى فأحسن خلقى وإسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه حب
- (٢) حديث اللهم جننى منكرات الأخلاق ت وحسنه وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة ابن مالك وقال ت اللهم إنى أعوذ بك (٣) حديث سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن رواه مسلم ووم الحاكم فى قوله إنهما لم يخرجاه (٤) حديث كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد الحديث فى نزوله ليس لك من الأمر شيء - من حديث أنس وذكره خ تليقا (٥) حديث بثت لأتمم مكارم الأخلاق أحمد وك هق من حديث أبي هريرة قال الحاكم صحيح على شرطه وقد تقدم فى آداب الصعبة (٦) حديث إن الله يحب معالي الأخلاق ويغض سفاسفها هق من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواية طلحة ابن عبيد الله بن كرز مرسل ووجهها هات .

إن رأيت أن تخطئ عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني بنت سيد قوي وإن أفي كان يحسب القمار
ويكف العاني ويشبع الجائع ويظم الطعام وينقى السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم
الطائي فقال صلى الله عليه وسلم باجارية هفه صفة المؤمنين حق لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلو
عنا فان أباهما كان يجب مكافئ الأخلاق وإن الله يحب مكافئ الأخلاق فقام أبو بردة بن نيار فقال
بارسول الله، الله يحب مكافئ الأخلاق فقال والذي نسي يمه لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق (١)
وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال «إن الله يحب الإسلام بكلمك الأخلاق ومحاسن الأعمال» (٢)
وسن ذلك حسن العاشرة وكرم الصنية ولين الجانب وبذل للعرف وإطعام الطعام وإفشاء السلام
وعيادة المريض للمسلم برأكان أوفاجرا وتشيع جنازة السلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلماً كان
أو كافراً وتوقير ذي الشية السلم وإجابة الطعام واللهاء عليه والنفو والإصلاح بين الناس والجود
والكرم والساحة والابتداء بالسلام وكظم النيفو والنفو عن الناس واجتناب ما حرمه الإسلام من
الامور والباطل والفناء والمنازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والنية والكذب والبخل والشح
والجفاء والسكر والحذية والجمعة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الحاق والتكبر والفخر
والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغى والمعدوان والظلم .
قال أنس رضي الله عنه فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشاً أو قال عيباً أو
قال شيئاً إلا حذرناه ونهانا عنه (٣) ويكني من ذلك كله هذه الآية - إن الله يأمر بالعدل والإحسان -
وقل معاذ أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث
والوفاء بالمهد وأداء الأمانة وترك الحيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام
وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجوع من الحسب
وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكماً أو تكذب صادقاً أو تطيع أمراً أو تعصى إماماً عادلاً أو
تسد أرضاً وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة الربا لم
والملانية بالملانية (٤) فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكافئ الأخلاق ومحاسن الآداب .

(بيان جمعة من حسان أخلاق التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار)

فقال كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٥)

(١) حديث على قوله ومحبا الرجل مثل يحمي أخوه السلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً الحديث
وفيه مرفوع لما أتى بسببا طيخاً وقتت جارية في السبي فقالت يا محمد إن رأيت أن تخطئ عني الحديث
ت الحكيم في نوادر الأصول بإسناد فيه ضعف (٢) حديث معاذ حنف الإسلام بكلمك الأخلاق
ومحاسن الأعمال الحديث بطوله لم أقف له على أصل ويتن عنه حديث معاذ الآتي بعده بحديث
(٣) حديث أنس لم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها لم أقف له
على إسناد وهو صحيح من حيث الوقوع (٤) حديث يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث أبو نعيم
في الحلية وحق في الزهد وقد تقدم في آداب الصلوة (٥) حديث كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس
أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الرحمن بن أبيزى كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحلم الناس الحديث وهو مرسل . وروى أبو حاتم بن حبان من
حديث عبد الله بن سلام في قصة إسلام زيد بن شحمة من أحياء اليهود وقول زيد لرسول بن الخطاب
يا محمد كل علامات النبوة قد عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنين
لم أخبرهما به يسبق حلمه حمله ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلما قد أخبرتهما الحديث .

[الباب التاسع]

والشعرون في أخلاق

الصوفية وشرح الخلق

الصوفية وأفر الناس

حظا في الاقتداء

برسول الله صلى الله

عليه وسلم وأحسهم

بإيحاء سنته والتخلق

بأخلاق رسول الله

صلى الله عليه وسلم من

حسن الاقتداء وإحياء

سنته على ما أخبرنا

الشيخ العالم عياه

الدين شيخ الإسلام

أبو أحمد عبد الوهاب

ابن علي قال أنا أبو القتيح

عيسى للثلاث بن أبي

القاسم الهروي قال

أنا أبو نصر عبد العزيز

ابن حمد الترياق قال

أنا أبو محمد عبد الجبار

ابن محمد الجراحي قال

أنا أبو عباس محمد بن

أحمد الهروي قال أنا

أبو عيسى محمد بن

وأشجع الناس (١) وعدل الناس (٢) وأعظم الناس لم تحس يده قط يد امرأة لا يملك رفقها أو عصمه نكاحها أو تكون ذات محرم منه (٣) وكان أسخى الناس (٤) لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من يسطيه وفضله الليل لم يأو إلى منزله حتى يئثر منه إلى من يحتاج إليه (٥) لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله (٦) لا يسل شيئا إلا أعطاه (٧) ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأت شيء (٨) وكان يخفض النمل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله (٩)

(١) حديث أنه كان أشجع الناس متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث كان أشد الناس في الشغال من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفيه قد وسع الناس بسطه وخلقه لضرارهم أبوا صاروا عنده في الحق سواء الحديث وفيه من لم يسم (٣) حديث كان أعضاء الناس لم تحس يده قط يد امرأة لا يملك رفقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له الشيطان من حديث عائشة مامست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة إلا امرأة ملكها (٤) حديث كان يملك أسخى الناس الطراني الأوسط من حديث أنس فضلت على الناس بأربع بالسقاء والشجاعة الحديث ورجاله ثقات وقال صاحب البرز أن منكر وفي الصحيحين من حديثه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وافقا عليه من حديث ابن عباس وتقدم في الزكاة (٥) حديث كان لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط وإن فضل ولم يجد من يسطيه وفضله الليل لم يأو إلى منزله حتى يئثر منه إلى من يحتاج إليه من حديث بلال في حديث طويل فيه أهدى صاحب فذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركائب عليهن كسوة وطعام وبيع بلال لذلك ووفاء دينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد وحده وفيه قال فضل شيء قلت لم دينارنا قال انظر أن تريخى منها فقلت بداخل على أحد من أهلي حتى تريخى منها فلما أتنا أحدينا في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبا فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا صلى الجمعة دعاني فقال ما فعل الذي قبلك قلت قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفا من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم أتيت حتى جاء أزواجه الحديث والبخاري من حديث عتبة ابن الحارث ذكرت وأنا في الصلاة فكبرت أن يسمي وبيت عندنا فأمرت بقسمته ولأني عبيد في غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلان لا يقبل مالا عنده ولا يبيت (٦) حديث كان لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم في الزكاة (٧) حديث كان لا يسل شيئا إلا أعطاه الطيالسي والدارقطني حديث سهل بن سعد والبخاري من حديثه في الرجل الذي سأله الشعة فقيل له سلها إياها وقبضت أنه لا يردها إلا الحديث وسلم من حديث أنس ماسئل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وفي الصحيحين من حديث جابر ماسئل شيئا قط فقال لا (٨) حديث أنه كان يؤثر مما ادخر لبيته حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام هذا معلوم ويدل عليه ما رويته من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مبرهونة بشرين صاعا من طعام أخذه لأهله وقال ه ثلاثين صاعا من شعير وإسناده جيد وخ من حديث عائشة توفي ودرعه مبرهونة عند يهودي ثلاثين وفي رواية ه ثلاثين صاعا من شعير (٩) حديث وكان صلى الله عليه وسلم يخفض النمل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله أحد من حديث عائشة كان يخفض النمل ويخيط ثوبه ويصل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ بلقط ويرقع الثوب والبخاري من حديث عائشة كان

عيسى بن مسعود الترمذي قال تامل ابن حاتم الأنصاري البصري قال تامل ابن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس ابن مالك رضي الله عنه ذل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وعسى وليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سقى ومن أحيا سقى فقد أحيا ومن أحيا كان معي في الجنة يا صوفية أجوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم وقفوا في بداياتهم لرعاية أئمة الوفا في وسط عالم اتبعوا بأعماله فانهم لم ذلك أن حققوا

ويقطع اللحم معهم^(١) وكان أشد الناس حياءً لا يثبت بصره في وجه أحد^(٢) ويجب دعوة العبد والحر^(٣) وقيل الهدية ولو أنها جرة لبن أو غنم أو ثوب أو كفاية عليه^(٤) وبأكله ولا يأكل الصدقة^(٥) ولا يشكر عن إيجاب الأمة والسكين^(٦) ينضب لربه ولا ينضب لنفسه^(٧) وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه عرض عليه الانتصار بالشركين على الشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فأي وقال : أنا لا أستمر بغيرك^(٨) ووجد من فضله أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه حاجة إلى بصر واحد يتقون به^(٩) وكان يصيب الخبير على بطل

يكون في مهمة أهله^(١٠) حديث أنه كان يقطع اللحم أحمد من حديث عائشة أرسل إلينا آل أبي بكر بنائمة شاة ليل فاصكت وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقات فاصكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في أثناء حديث وإمامنا من الثلاثين ومائة إلا حله رسول الله صلى الله عليه وسلم من سواد بطنها^(١١) حديث كان من أشد الناس حياءً لا يثبت بصره في وجه أحد الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من الغدراء في خدرها^(١٢) حديث كان يجيب دعوة العبد والحرث هك من حديث أنس كان يجيب دعوة المملوك قال له جميع الاستاد . قلت بل ضيف ولله رقتي في غراب مالك وضعه والحظيف في أسماء من روى عن مالك من حديث أبي هريرة كان يجيب دعوة العبد إلى أي طعام دعي ويقول لودعيت إلى كراع لأجبت وهذا يسومه دال على إجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عند دخول حديث أبي هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة كان لا يدعو أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه الحديث وهو مرسل^(١٣) حديث كان يقبل الهدية ولو أنها جرة لبن أو غنم أو ثوب أو كفاية عليه^(١٤) حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويبيع عليها ، وأما ذكر جرة اللبن وغنم الأرنب ففي الصحيحين من حديث أم الفضل أنها أرسلت بقدر لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف برفقة ثوب ولا أحمد من حديث عائشة هدت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا الحديث وفي الصحيحين من حديث أنس أن أباطلة بعث بورك أرنب أو غنمها إلى رسول الله ﷺ قبله^(١٥) حديث كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم^(١٦) حديث كان لا يشكر أن عني مع السكين نك من حديث عبد الله بن أبي أوفى بسند صحيح وقد تقدم في الباب الثاني من آداب الصبغة ورواه أيضا من حديث أبي سعيد الخدري وقال صحيح على شرط الشيخين^(١٧) حديث كان ينضب لربه ولا ينضب لنفسه في التماثل من حديث هند بن أبي هالة وفيه وكان لا تقضيه الدنيا وما كان منها فإذا تمضى الحق لم يبق له شيء حتى يتصرفه ولا ينضب لنفسه ولا يتصرفها وفيه من لم يسم .

(٨) حديث وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالشركين على الشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فأي وقال أنا لا أستمر بغيرك

من حديث عائشة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بحرة البصرة أدره رجل فذكان ذكر منه جرة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رواه فصادركه قال جئت لأبعت وأصيب منك فقال له اتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلان استعين بغيرك الحديث^(٩) حديث وجد من فضله أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم هوداه بمائة ناقة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج والرجل الذي وجد مقتولا هو عبد الله بن سهل الأنصاري .

في نهاياتهم بأخلاقه
وتحسين الأخلاق
لا يأتي إلا بعد تزكية
النفس وطريق التزكية
بالإذعان لسياسة
الشرع وقد قال الله
تعالى لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم - وإنك
لأعلى خلق عظيم -
لما كان أشرف الناس
وأزكاهم نقسا كان
أحسنهم خفا قال مجاهد
على خلق عظيم أي على
دين عظيم والدين
مجموع الأعمال الصالحة
والأخلاق الحسنة .
سئلت عائشة رضي الله
عنها عن خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قالت كان - لقه القرآن
قال قتادة هو ما كان
يأتمر به من أمر الله تعالى
ويتهى عما نهى الله
عنه وفي قول عائشة
كان خلقه القرآن سر

مرة من الجوع (١) ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد نمرًا دون خبز أكله (٢) وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنادون خبزًا كفتي به وإن وجد بطيخًا أو رطبًا أكله ، لا يأكل متسكًا (٣) ولا على خوان (٤) منديله باطن قدميه (٥) لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية (٦) حتى لقي الله تعالى إشارًا على نفسه لا تقرا ولا تجلا (٧) يجيب الولية ويودو للرضى (٨) ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس (٩)

كبير وعلم فاضل
مانظقت بذلك إلا بعنا
خبها الله تعالى به
من بركة الوحي الساوي
ومحبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتخصيصه
إياها بكلمة خذوا شطر
دينكم من هذه
الحبراء وذلك أن
النفوس مجبولة على
غرائر وطبايهي من
لوازمها وضروورها
حالت من تراب ولها
حسب ذلك طبع
وخلقت من ماء ولها
حسب ذلك طبع
وهكذا من حامسون
ومن صلصال كالغفار
ومحسب تلك الأصول
التي هي مبادئ تكونها
استفادت صفات من
البيمية والسبعة
والشطانية وإلى صفة
الشيطة في الانسان
إشارة بقوله تعالى سمع

(١) حديث كان يصعب الحجر على بطنه من الجوع متفق عليه من حديث جابر في قصة خفرا الخندق وفيه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شد على بطنه حجرا وأغرب حب فقال في صحبته إنسا هو الحبز بضم الحاء وآخره زاي جمع حجرة وليس يتابع على ذلك ويرد على ذلك ما رواه ت من حديث أبي طلحة شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفضنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين ورجله كلم فثابت (٢) حديث كان يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال إن وجد نمرًا دون خبز أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنا دون خبز أكتفى به وإن وجد بطيخًا أو رطبًا أكله انتهى . هذا كله معروف من أخلاقه فثبت من حديث أم هانئ دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعندك شيء ؟ قلت لا إلا خبز يابس وخلص فقال هات الحديث ، وقال حسن غريب وفي كتاب التيامل لأبي الحسن بن الضحاك بن القري من رواية الأوزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بأبالي ما رددت به الجوع وهذا معضل ولسلم من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا ما عندنا إلا خل فدعا به الحديث ولمن حديث أنس رأيته مقبيا يأكل ثمرات وت وصحبه من حديث أم سلمة أنها قربت إليه جنبا مشويا فأكل منه الحديث وللشيخين من حديث عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا خبز بر حتى مضى لسبيله لعظم وفي رواية له ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين وت وصحبه وه من حديث ابن عباس كان أكثر خبزم الشعير وللشيخين من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل ولهما من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب لنا فدعا بماء فضمض ون من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالطيخ واستانده صحيح (٣) حديث أنه كان لا يأكل متسكًا تقدم في آداب الأكل في الباب الأول (٤) حديث أنه كان لا يأكل على خوان تقدم في الباب المذكور (٥) حديث كان منديله باطن قدميه لا يعرفه من ضله وإنما للعرف فيه ما رواه ه من حديث جابر كنا زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلا ما يجد الطعام فإذا وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم في الطهارة (٦) حديث لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تقدم في جملة الأحاديث التي قبله ثلاثة أحاديث (٧) حديث كان يجيب الولية هذا معروف وتقدم قوله لودعيت إلى كراع لأجبت وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس أنه كان الرجل من أهل الموالي ليدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف الليل على خبز الشعير فيجيب واستانده صحيح (٨) حديث كان يودو للبري وشهد الجنائز ت وصنفه وه ك وصحبه من حديث أنس رواه ك من حديث سهل بن حنيف وقال صحيح الاستاد وفي الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز (٩) حديث كان يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس تلك من حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرس حتى نزلت هذه الآية - والله يصمك من الناس - فأخرج رأسه من التبة فقال انصروا فقد عصمت الله قال ت غريب وقال ك صحيح الاستاد .

أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر (١) وأبلغهم في غير تطويل (٢) وأحسنهم بشرا (٣) لا يهوله شيء من أمور الدنيا (٤) ويلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة برد جرة يمانيا ومرة جبة صوف مابعد من البياض لبس (٥) وخافه فضة (٦) يلبسه في خنصره الأيمن (٧) والأيسر (٨) يردف خلفه عبده أو غيره (٩) يركب ما أمكنه مرة فرسا مرة بسيرا ومرة بشملة شيهاء ومرة سمارا ومرة يمشى

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر أبو الحسن بن الضحاك في الثمال من حديث أبي سعيد الخدري في صفته صلى الله عليه وسلم حين للزينة زين الخلق كريم الطبيعة جميل العاشرة طليق الوجه إلى أن قال متواضع في غير ذلة وفيه دائب الاطراق واسناده ضعيف وفي الأحاديث الصحيحة المدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند من حديث ابن أبي أوفى كان لا يألف ولا يستكر أن يمشى مع الأرملة والسكين الحديث وقد تقدم وعند أبي داود من حديث البراء فجلس وجلسنا كأن على رءوسنا الطير الحديث ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير (٢) حديث كان أبلغ الناس من غير تطويل خ م عن حديث عائشة كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ولها من حديثها لم يكن يسره الحديث كمردهم عقبه خ ووصله م زادت ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه وله في الثمال من حديث ابن أبي هالة يتكلم بمواع السكك فصل لا ضول ولا تقصير (٣) حديث كان أحسنهم بشرا في الثمال من حديث علي بن أبي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق الحديث وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أشدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت وفيه ابن لمية (٤) حديث كان لا يهوله شيء من أمور الدنيا أحمد من حديث عائشة ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا وما أعجبه أحد قط إلا ذوقني وفي لفظ له ما أعجب النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذوقتي وفيه ابن لمية (٥) حديث كان يلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة جرة ومرة جبة صوف ما وجد من البياض لبس خ م من حديث سهل بن سعد جاءت امرأة يردة قال سهل هل تدرون ما البردة هي الشملة مفسوج في حاشيتها وفيه فخرج إلينا وأنها لإزاره الحديث ولابن ماجه من حديث عباد بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في شملة قد عقد عليها فيه الأوصح بن حكيم مختلف فيه ولشيوخ من حديث أنس كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الخيرة ولها من حديث المقرة بن شعبة وعليه جبة من صوف (٦) حديث خاءه فضة متفق عليه من حديث أنس أخذ ثوبا من فضة (٧) حديث لبسه الخاتم في خنصره الأيمن م من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة في يمينه وللبخاري من حديثه فاني لأرى برقه في خنصره (٨) حديث نخمه في الأيسر م من حديث أنس كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في عنقه وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى (٩) حديث إردف خلفه عبده أو غيره أردف صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وأردفه مرة أخرى على حمار وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة وهو مولاه وابن مولا وأردف الفضل بن عباس من الزدقة وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة .

صلصال كالشمار -
لندخول النار في التبخار
وقد قال الله تعالى -
وخلق الجنان من نار
من نار والله تعالى عني
لطفه وعظم عنايته
نزع نصيب الشيطان
من رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما ورد
في حديث حليلة ابنة
الحارث أنها قالت
في حديث طويل قبينا
نحن خلف بيوتنا
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم مع أخ له
من الرضاعة في بهم
لنا جاءنا أخوه يشتد
قال ذلك أخى القرشي
قد جاءه رجلا عليهما
ثياب بياض فأضجعا
فشقا بطنه فخرجت
أنا وأبوه نشدت نحوه
فوجدناه قائما بمشاة لونه
فاغتصه أبوه ، وقال
أي بني ما شأنك ؟ قال

رجالاً حادياً بلارءاء ولا عمامة ولا قلنسوة يمد للرضى في أقصى المدينة^(١) يحب الطيب ويكره الرائحة الردية^(٢) ويجالس الفقراء^(٣) ويؤاكل الساكين^(٤) ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالرغم^(٥) يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرم على من هو أفضل منهم^(٦) لا يجف على أحد^(٧)

(١) حديث كان يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بيرا ومرة بقلنسوة ومرة سحرار ومرة رجلا ومرة حافيا بلارءاء ولا عمامة ولا قلنسوة يمد للرضى في أقصى المدينة في الصحيحين من حديث أنس ركو به صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة وسلم من حديث جابر بن سمرة ركو به الفرس عرياحين انصرف من جنازة ابن السداح وسلم من حديث سهل بن سعد كان النبي ﷺ فرس يقال له: اللحيق ولهما من حديث ابن عباس طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بئر ولهما من حديث البراء رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بقلنسوة البيضاء يوم حنين ولهما من حديث أسامة أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على إكاف الحديث ولها من حديث ابن عمر كان يأتى قبا راكباً وماشيا وسلم من حديثه في عبادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عباد بن قيام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ماعينا نعال ولا خفاف ولا قلائس ولا قمص نغشى في السباح الحديث (٢) حديث كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الردية من حديث أنس حب إلى النساء والطيب وذلك من حديث عائشة أنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فضلمها وكان يحبه الريح الطيبة لفظك وقال صحيح على شرط الشيخين وابن عدى من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة (٣) حديث كان يجالس الفقراء من حديث أبي سعيد جالس في عصابة من ضفء الهاجر بن وإن يهضم لسترضا من البرى الحديث وفيه فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليدل بنفسه فقنا الحديث وهو من حديث خباب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا الحديث في نزول قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم - إسنادها حسن (٤) حديث مؤاكلة الساكين من حديث أبي هريرة قال وأهل الصفة أشياف الإسلام لأبؤون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناولوها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها (٥) حديث كان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالرغم من حديث في الشامل من حديث على الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم وكان من سيرته إظهار أهل الفضل بأذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين وفيه يؤلفهم ولا يهزمهم ويكرمهم كل قوم وبوبه عليهم الحديث والطبراني من حديث جرير في قصة إسلامه فألقى إلى كسائه ثم أقبل على أصحابه ثم قال إذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وإسناده جيد ورواه من حديث معبد بن خالد الأنصاري من أبي نحوه وقال صحيح الإسناد (٦) حديث كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرم على من هو أفضل منهم من حديث ابن عباس كان يحمل العباس إجلال الوالك والوالدة وله من حديث سعد بن أبي وقاص أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس أخرجنا ونحن عصبك وعمومتك وتكنن علينا فقال ما أنا بأخركم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأمكنه قال في الأول صحيح الإسناد وسكت عن الثاني وفيه مسلم اللأى ضعيف فأثر على فضله بتقدم إسلامه وشهوته بئرا والله أعلم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد لا يقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر (٧) حديث كان لا يجفو على أحد من حديث في الشامل من حديث أنس كان قفا يواجه رجلا بشي يكرهه وفيه ضعف والشيخين من حديث أبي هريرة أن رجلا أتأذن عليه صلى الله عليه وسلم فقال يسى أخو العشرة فما دخل آلان له القول الحديث .

جاء في رجلان عليهما ثياب يابض فأضجاني فشقابني ثم استخرجا منه شيئا فطره له ثم ردا كما كان فرجنا به منا فقال أبوه يا حليمه لقد خشيت أن يكون ابنى هذا قد أصيب انطلى بنا فلترده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف قالت فاحتمناه فلم يرج أمه إلا وقد قدما به عليها قالت ما ردكا قد كنتا عليه حرصين قلنا لا والله لا نؤثر إلا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذي كان علينا وقلنا نغشى الأتلاف والأحداث نرده إلى أهله فقالت ماذا بكما فاصدقاني شاكسا فلم تدعنا حتى أخبرنا ما خبره فقالت خفيتا عليه الشيطان

يقبل معذرة المعتذر إليه (١) يرحم ولا يقول إلا حقا (٢) ضحك من غير قهقهة (٣) يرى اللعب الباح فلا ينكره (٤) يسابق أهله (٥) وترفع الأصوات عليه فيصبر (٦) وكان له قلاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها (٧) وكان له عبيد وإمام لا يرضع عليهم في مأكل ولا ملبس (٨) ولا يعفى له وقت في غير عمل له تعالى أو فبا لا بد منه من صلاح نفسه (٩) يخرج إلى بساتين أصحابه (١٠)

(١) حديث يقبل معذرة المعتذر إليه متفق عليه من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خملوا وفيه طفق المخلفون ينتدرون إليه قبل منهم علانيته الحديث (٢) حديث يرحم ولا يقول إلا حقا أحمد من حديث أبي هريرة وهو عندنا بلفظ قالوا إنك تدعينا قال إني ولا أقول إلا حقا وقال حسن (٣) حديث ضحك من غير قهقهة الشيخان من حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجعبا ضاحكا حتى أرى لهواه إنما كان يتبسّم وت من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسما قال صحيح غريب وله في التبايل في حديث هند بن أبي هالة جل ضحكه التبسّم (٤) حديث يرى اللعب الباح ولا يكرهه الشيخان من حديث عائشة في لعب الحبشة بين يديه في المسجد وقال لهم دونكم يا بني أرفدة وقد تقدم في كتاب الباع (٥) حديث مساقته صلى الله عليه وسلم أهله دين في الكبرياء وهو من حديث عائشة في مساقته لها وتقدم في الباب الثالث من النكاح (٦) حديث ترفع الأصوات عندة قيسر بن من حديث عبد الله بن الزبير قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القفّاع بن مبيد وقال عمر بل أمر الأفرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلاقي وقال عمر ما أردت خالذك قناريا حتى أرفضت أمواتهما قزلت - يا أيها الذين آمنوا لأضيقنكم يا بني يدي الله ورسوله - (٧) حديث وكان له قلاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها محمد بن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة كان عيشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللين أوقات أكثر عيشنا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلاح بالثابة الحديث وفي رواية له كانت لنا غنم صبيغ فكان الراعي يبلغ بين مرة الخنم ومرة أخذا ويروخ بين علينا وكانت قلاح بذى الجبل فيؤوب إلينا ألبانها بالليل الحديث وفي إسنادهما محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث وفي الضحيتين من حديث سلمة بن الأكوع كانت قلاح رسول الله ﷺ ترعى بذى قرد الحديث ولأن داود من حديث لقيط بن صبرة لنا غنم مائة لا يريد أن تزيد فإذا ولد الراعي هجمة ذبحت مكانها شاة الحديث (٨) حديث كان له عبيد وإمام فلا يرضع عليهم في مأكل ولا ملبس محمد بن سعد في الطبقات من حديث ساسم قال كان خدم النبي صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أمتهن كلهن وإسناده ضعيف وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأساء خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وأسة وشقران وسقينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبرافع وأبا مويبة ورافعا أمتهن كلهم وفضالة ومدعما وكزكرة وروى أبو بكر بن الضحاك في التبايل من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد ضعيف كان صلى الله عليه وسلم يأكل مع خادمه وم من حديث أبي السرطعوم مما تأكلون وألبسوم مما تلبسون الحديث (٩) حديث لا يعفى له وقت في غير عمل له تعالى أو فبا لا بد منه من صلاح نفسه في التبايل من حديث علي بن أبي طالب كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزء الله وجزء أهله وجزء نفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة الحديث (١٠) حديث يخرج إلى بساتين أصحابه تقدم في الباب الثالث من آداب الأكل خروجه صلى الله عليه وسلم إلى بستان أبي الهيثم بن النبهان وأبي بوب الأنصاري وغيرهما

كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لكأن لا يفي هذا شأن ألا أخبركم بأخبره قلنا بلى قالت خلت به لما حملت فحلقا قط أخف منه قالت فرايت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني تورقده أضاءت به فمروا الشام ثم وقع حين ولدته وتوقعا لم يقمه للولود فمشهدا على يديه زاحقا رأسه إلى السماء فدعاه عنك فبعد أن ظهر الله رسوله من تصيب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد تقوس البشر لهما ظهور الصفات وأخلاق متبناة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أفضال تلك الصفات في نفوس الأمة بمزيد من الظلمة

لا يحقر مسكين لقهره وزماتته ولا يهاب ملكا للملك يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا (١) قد جمع الله تعالى له السيرة القاضية والسياسة النامة وهو أنى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى في قصر وفي رعاية النعم بتيلا لأب له ولأم فله الله تعالى جميع ع الحسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والقوز في الآخرة والتبطة والخلص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول (٢) . وقضا الله لطاعته في أمره والتأسي به في فعله آمين يارب العالمين .

(بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه)

عما رواه أبو البختري قالوا ما غتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشئمة إلا جعل لها كفارة ورحمة (٣) وما لمن امرأة قط ولا خادما بفسنة (٤) وقبله وهو في القتال لولمهم يارسول الله

(١) حديث لا يحقر مسكين لقهره وزماتته ولا يهاب ملكا للملك يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحداً من حديث سهل بن سعد مرّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن ينكح الحديث وفيه قرّ رجل من قراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن لا ينكح الحديث وفيه هذا خير من ملء الأرض مثل هذا دم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل (٢) حديث قد جمع الله له السيرة القاضية والسياسة النامة وهو أنى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى وفي قصر وفي رعاية النعم لأب له ولأم فله الله جميع ع الحسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والقوز في الآخرة والتبطة والخلص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول هذا كله معروف معلوم فروى ت في الصحاح من حديث علي ابن أبي طالب في حديثه الطويل في صفته وكان من سيرته في جزء الأمة إشار أهل الفضل بأفاته وقسمه الحديث وفيه نساءته عن سيرته في جلسائه قال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب الحديث وفيه كان يحزن لسانه إلا غيا بينه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من اللراء والإكثار وما لا بينه الحديث وقد تقدم بهه وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس في قوله - وما كنت تلون من قبله من كتاب ولا خطه يمينك - قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم في العلم والبخارى من حديث ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جمل العرب فارقوا الثلاثين ومائة في سورة الأنعام - قد خسر الدين فتلوا أولادهم سمها بغير علم - وحسب من حديث أم سلمة في قصة هجرة الحبشة أن جفرا قال للنجاشي أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل لينة الحديث ولأحمد من حديث أبي بن كعب أن نبي صحراء ابن عرسين وأشهر فاذا كلام فوق رأس الحديث وع من حديث أبي هريرة كنت أرطها أي النعم في قراريط لأهل مكة ولأبي يعلى وجب من حديث طيمية إنما تزجوا كرامة الرضاعة من والده الولود وكان يتيا الحديث وتقدم حديث بشت عكارم الأخلاق (٣) حديث ما شتم أحدا من المؤمنين إلا جعلها الله كفارة ورحمة متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فأى المؤمنين لنته شتمته جدنة فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة . وفي رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفي رواية فاجعلها له كفارة وقربة وفي رواية فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة (٤) حديث ما لمن امرأة ولا خادما قط لم يعرف ما ضرب مكان لمن كما هو متفق عليه من حديث عائشة ولبخارى من حديث أنس لم يكن لغامعا ولا لمانا وسيأتى الحديث الذي بعده في هذا المعنى .

غابت حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الأمة فاستمدت تلك الصفات للبقاة بظهورها في رسول الله صلى الله عليه وسلم بتزيل الآيات المحكمات بأزائها لقصمها تأديا من الله لنبيه رحمة خاصة له وعامة للأمة موزعة بيزول الآيات على الآباء والأوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى - وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا - وثبتت الفؤاد بعد اضطرابه بحركة النفس بظهور الصفات لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة لخلق صلح سنى إما

قال « إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعنا » (١) وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له (٢) وما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك (٣) وما كان يأتيه أحد حر أو عبدا أو أمية إلا قام معه في حاجته (٤) وقال أنس رضي الله عنه والذي بيته بالحق ما قال في شيء قط كرهه لمضلة ولا ملامى نساؤه إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقد (٥) قالوا وما عاب رسول الله ﷺ مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض (٦) وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعث في السطر الأول فقال عهد رسول الله عيسى المذنب لافظ ولا غليظ ولا مضطرب ولا أسواق ولا يجزى بالبيتة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، مولده بمكة وهجرته بطابة وملكته بالشام يأتز على وسطه هو ومن معه ماء للقرآن والعلم يتوضأ على أطرافه وكذلك نته في الأجل وكان خلقه أن يبدأ من قبيل السلام (٧) ومن قاموه لحاجة صابره حتى يكون هو للتصرف (٨) وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر (٩)

(١) حديث إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعنا م من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له الشيطان من حديث أبي هريرة قالوا يا رسول الله إن دوسا قد كثرت وأبت فادع عليهم هلكت دوس قال اللهم اهد دوسا وانت بهم (٣) حديث ما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب في سبيل الله وما انتقم في شيء صنع إليه إلا أن تنتهك حرمة الله الحديث متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصلوة (٤) حديث ما كان يأتيه أحد حر أو عبدا أو أمية إلا قام معه في حاجته تطبيق من حديث أنس إن كانت الأمية من إمام أهل المدينة لتأخذ يد رسول الله ﷺ فتطلق به حيث شاءت ووصله وقال لا يترفع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها وقد تقدم وتقدم أيضا من حديث ابن أبي أوفى ولا يألف ولا يستكر أن يمضي مع الأمثلة والمسيكين حتى يقضي لها حاجتها (٥) حديث أنس والذي بيته بالحق ما قال في شيء قط كرهه لمضلة ولا ملامى أحد من أهله إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقد روى الشيخان من حديث أنس ما قال كرهه لمضلة ولا ملامى صنعته لمضلة ولا ملامى تركته لمضلة وتركته لمضلة وروى أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث له فيه ولا أمر في أمر قوائمه فيه فتأنيب عليه فإن عاتبني أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شيء كان في رواية له كذا في (٦) حديث ما عاب مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرشوا له اضطجع على الأرض ، ما أجده بهذا اللفظ وللشروط ما عاب طعاما ويؤخذ من عموم حديث علي بن أبي طالب ليس يفض إلى أن قال ولا يعاب رواه في الثمالي والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة وروى ابن أبي عاصم في كتاب السنن حديث أنس ما عاب عاب شيئا قط وفي الصحيحين من حديث عمر اضطجعا على حصير وصاحبه من حديث ابن مسعود نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه الحديث (٧) حديث كان من خلقه أن يبدأ من قبيل السلام في الثمالي من حديث هند بن أبي هالة (٨) حديث ومن قاموه لحاجة صابره حتى يكون هو للتصرف الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي بن أبي طالب وهو من حديث أنس كان إذا نفي الرجل يكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو للتصرف ورواه تميم وقال غريب (٩) حديث وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ه من حديث أنس الذي قبله كان إذا استقبل الرجل فصاحه لا يترفع يده من يده حتى يكون الرجل يترفع فقط وقال غريب .

تسرعا أو تمريضا كما
تحركت النفس التمرغة
النسوة لما كبرت
رباعيته وصار اللهم
يسبل على الوجسه
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يحسه
وبغله كيف يطلع قوم
خضوا وجهه بينهم وهو
يدعهم إلى رحيم فأزل
الله تعالى - ليس لك
من الأمر شيء -
فاكسى القلب النبوي
لباس الاصطبار وفاء
بصد الاضطراب إلى
القرار فلما توزعت
الآيات على غلبه
الصفات في مختلف
الأوقات حفت الأخلاق
النبوية بالقرار
ليكون خلقه القرآن
ويكون في إتياء تلك
الصفات في نفس رسول
الله صلى الله عليه وسلم

وكان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشا به ثم شد قبضته عليه^(١) وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله^(٢) وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه إلى ألك حاجة ؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته^(٣) وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبة^(٤) ولم يكن يرف جملته من مجلس أصحابه^(٥) لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس^(٦) وما روى قط ما رجليه بين أصحابه حتى لا يضيئ بها طي أحد إلا أن يكون للسكان واسعا لاضيق فيه وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة^(٧) وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاء يجلس عليه^(٨) وكان يؤثر الداخل عليه بالسادة التي تحته فإن أبي أن يقبلها عزم عليه حتى يغسل^(٩) وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه^(١٠) حتى يسطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وصمه وحديثه ولطيف عاصنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياة وتواضع وأمانة

(١) حديث كان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشا به ثم شد قبضته ومن حديث أبي ذرٍّ وسأله رجل من غزوة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحكم إذا قبضتموه قال ما لتيه قط إلا صافني الحديث ، وفيه الرجل الذي من غزوة ولم يسم وصاحه اليبقي في الأدب عبدالله وروينا في علوم الحديث للحاكم من حديث أبي هريرة قال شك بيدي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وهو عندهم بلفظ أخذ رسول الله ﷺ بيدي (٢) حديث كان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل ت في التماثل من حديث طي في حديث الطويل في صفته وقال طي ذكر بالتبوين (٣) حديث كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته لم أجده أصلا (٤) حديث كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبة (٥) من حديث أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتج يديه وإسناده ضعيف والبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة محتيا يديه (٥) حديث إنه لم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه من حديث أبي هريرة وأبي ذرٍّ قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء والقراب فلا بدري أجهم هو حتى يسأل الحديث (٦) حديث إنه جئنا انتهى به المجلس جلس ت في التماثل في حديث طي الطويل (٧) حديث ما روى قط ما رجليه بين أصحابه حتى يضيئ بها طي أحد إلا أن يكون للسكان واسعا لاضيق فيه الدار فطقي في غرائب مالك من حديث أنس وقال اطل وتوهم لم مقدما ركبته بين يدي جليسي له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف (٨) حديث كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاء يجلس عليه له وصح إسناده من حديث أنس . دخل جرير بن عبد الله طي النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فخذ يده فشا بها عليه فقال اجلس عليها يا جرير الحديث وفيه فإذا أتاكم كرم قوم فأكرمهم وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة والطيراني في الكبير من حديث جرير فألقى إلى كساء ولأى نعيم في الحلية فيسقط إلى رداءه (٩) حديث كان يؤثر الداخل بالسادة التي تكون تحته الحديث تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة (١٠) حديث ما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يسطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وصمه وحديثه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياة وتواضع وأمانة ت في التماثل من حديث طي الطويل وفيه يسطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جلوسه أن أحدا أكرم عليه منه وفيه مجلسه مجلس حلم وحياة وصبر وأمانة

من قوله عليه السلام
« إنا أنسى لأسن »
.. فظهور صفات نفسه
التي رغبة وقت استغزال
الآيات لتأديب نفوس
الأمّة وتهذيبها رحمة
في حقهم حتى تزكي
نفوسهم وتصرف
أخلاقهم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الأخلاق عزيمة
عند الله تعالى فإذا أراد
الله تعالى بعبده خيرا
منعه منها خلقا وقال
صلى الله عليه وسلم
« إنا بشت لأسم
بكالام الأخلاق » .
وروي عنه صلى الله
عليه وسلم « إن الله
يخلق ما لا تحصى عشر

قال الله تعالى - فبارحنا من الله ننت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا اقتضوا من حولك دولة
كان يدعو أصحابه بكنامهم إكراما لهم واستئالة لقلوبهم (١) ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما
كناه به (٢) ويكنى أيضا النساء اللاتي هن الأولاد واللاتي لم يلدن ينتدى (٣) ويكنى الصبيان
فيستلين به (٤) فقلوبهم وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا (٥) وكان أرف الناس بالناس وخير الناس
لناس وأشجع الناس للناس (٦) ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات (٧) وكان إذا قام من مجلسه قال سبحانك
اللهم ومحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ثم يقول لعننين جبريل عليه السلام (٨)

(بيان كلامه وشجته صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أضح الناس منطلقا وأحلام كلاما وقول (٩) :

(١) حديث كان يدعو أصحابه بكنامهم إكراما لهم واستئالة لقلوبهم في قصة النار من
حديث أبي بكر يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وللحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لعمر يا أبا
حنيفة أبصرت وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر إنه لأول يوم كنت في أبي حنيفة
وقال صحيح على شرطهم وفي الصحيحين أنه قال لعلي قم يا أبا تراب وللحاكم من حديث ربيعة بن
مالك أن أبا حنيفة وجد نصفا في بطنه فتخلخت عليه يريد عليا ولأن بيلى الوصلى من حديث سعد
ابن أبي وقاص فقال من هذا أبو إسحاق فقلت نعم وللحاكم من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله
عليه وسلم كناه أبا عبد الرحمن ولم يوله (٢) حديث كان يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعى
بما كناه به ت من حديث أنس قال كنت في النبي صلى الله عليه وسلم يلقه كنت أختلجها يعني أبا حمزة
قال حديث عريب وهو أن عمر قال للصديق بن مالك تسكتني وليس لك ولد قال كنت في رسول الله صلى الله
الله عليه وسلم بأبي يحيى وللطبراني من حديث أبي بكر ت عدلت بكرة من العاطف قال في النبي صلى
الله عليه وسلم فأنت أبو بكر (٣) حديث كان يكنى النساء اللاتي هن الأولاد واللاتي لم يلدن ينتدى
لهن السكنى ك من حديث أم أيمن في قصة ثريبها بول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يأمن أجن قومي إلى
تلك الفجاعة الحديث وهو من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ كل أزواجك كنيته غيري قال فأنت
أم عبد الله وخ من حديث أم خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يأمن خاله هذا نساء وكانت
صغيرة وفيه مولى للزبير لم يسم ولأن داود باسناد صحيح أنها قالت يا رسول الله كل سواحي هن كنى
قال فأكني بكنك عبدالله بن الزبير (٤) حديث كان يكنى الصبيان في الصحيحين من حديث أنس
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخ له صغير يا أبا عمير ما ضل الغنم (٥) حديث كان أبعد الناس
غضبا وأسرعهم رضا هذا من اللوم وبدل عليه إخباره صلى الله عليه وسلم أن بني آدم خيزم بطن
الغضب سريع التي رواه ت من حديث أبي سعيد الخدري وقال حديث حسن وهو صلى الله عليه
وسلم خير بني آدم وسيدهم وكان ﷺ لا يضب نفسه ولا ينتصر لها زوات في التماثل من حديث هذين
أبي هالة (٦) حديث كان أرف الناس بالناس وخير الناس للناس وأضع الناس للناس هذا من اللوم
وروي في الجزء الأول من فوائد أبي الدرداء من حديث علي في صفة النبي صلى الله عليه وسلم كان أرحم
الناس بالناس الحديث بطوله (٧) حديث لم تكن ترفع في مجلسه الأصوات في التماثل من حديث
علي الطويل (٨) حديث كان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم ومحمدك الحديث أخرجه النسائي
في اليوم واليلة وك في الاستدراك من حديث رافع بن خديج وتقدم في الأذكار والدعوات (٩) حديث
كان أضح الناس منطلقا وأحلام كلاما أبو الحسن بن الضحاك في كتاب التماثل وابن الجوزي

خلقنا من آتاه واحدا
منها فدخل الجنة
تقديرها وتعذيبها
لا يكون إلا بوحى
سماوى لموسى ونوح
والله تعالى أبرز إلى
الخلق أسماء مبتدئة
عن صفاته سبحانه
وتعالى وما أظهرها
لهم إلا ليدعهم إليها
ولولأن الله تعالى أوجع
في القسوى البشرية
التخلق بهذه الأخلاق
ما أبرزها لهم دعوة
لهم إليها تحببهم رحمة
من يغار ولا يبعد
والله أعلم أن قول
عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن له
رمز قاض وإيماء

أنا أفصح العرب (١) وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم (٢) وكان زر
الكلام مع القالة إذا لطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات نظم (٣) قالت عائشة رضى الله
عنها كان لا يسرد الكلام كسر دمك هذا كان كلامه زرا وأتم تنثرون الكلام ثرا (٤) قالوا
وكان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وسكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد (٥) وكان
يتكلم بجوامع الكلم لافضول ولا تقصير كأنه يتبع بضه بضه بين كلامه توقف يحفظه سامعه
وبه (٦) وكان جهر الصوت أحسن الناس نعمة (٧) وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة (٨)

في الوفاء باسناد ضعيف من حديث بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب وكان
يتكلم بالكلام لا يدرون ما هو حتى يجزم (٩) حديث أنا أفصح العرب الطبراني في الكبير من
حديث أبي سعيد الخدري أنا أعرب العرب وإسناده ضعيف وك من حديث عمر قال قالت يار رسول
الله ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا الحديث . وفي كتاب الردع والطر لابن أبي الدنيا في حديث
مرسل أن أعرابيا قال لقيت صلى الله عليه وسلم ما رأيت أفصح منك (١٠) حديث إن أهل الجنة
يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ك من حديث ابن عباس وصحبه كلام أهل الجنة عري
(١١) حديث كان زبد الكلام مع القالة إذا لطق ليس بمهذار وكان كلامه خرزات النظم الطبراني
من حديث أم معبد وكان منطقه خرزات نظم يتحدثن حول للطق لا تزد ولا تزد وقد تقدم
وسبق من حديث عائشة بسنده كان إذا تكلم تكلم زرا وفي الصحيحين من حديث عائشة كان
يحدثنا حديثا لوعده العاد لأصحاء (١٢) حديث عائشة كان لا يسرد كسر دمك هذا كان كلامه زرا
وأتم تنثرون ثرا اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الختان الأخيرتان فرواه الخلفي في فوائده
باسناد منقطع (١٣) حديث كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع
كل ما أراد عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدارقطني من حديث ابن عباس باسناد جيد
أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا وشرطه الأول متفق عليه كذا في قاله بل في
جوامع الكلم أن الله جملة الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأميرين ونحو ذلك ولها كمن حديث
عمر للتقدم كانت لغة إسماعيل قد درست فله بها جبريل يحفظها (١٤) حديث كان يتكلم بجوامع
الكلم لافضول ولا تقصير كلام يتبع بضه بضه بين كلامه توقف يحفظه سامعه وبه في التباين
من حديث هند بن أبي هالة وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بشت جوامع الكلم ولأبي داود
من حديث جابر كان في كلام النبي صلى الله عليه وسلم تريل أو تريل وفيه شيء لم يسم وله
ولترمذي من حديث عائشة كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه
وقالت يحفظه من جلس إليه وقالت في اليوم واليلة يحفظه من سمعه وإسناده حسن (١٥)
حديث كان جهر الصوت أحسن الناس نعمة ت في الكبير من حديث صفوان بن عسال
قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر بيننا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوته جهورى يا محمد
فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو من صوته هاؤم الحديث . وقال أحمد في مسنده وأجابه
نحو ما تكلم به الحديث وقد يؤخذ من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان جهورى الصوت ولم يكن
يرفع دائما وقد يقال لم يكن جهورى الصوت وإنما رفع صوته رفقا بالأعرابي حتى لا يكون صوته
أرفع من صوته وهو الظاهر ولشيخين من حديث البراء ماصحت أحدا أحسن صوتا منه (١٦) حديث
كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ت في التباين من حديث هند بن أبي هالة .

خفى إلى الأخلاق
الربانية فاحتشمت
من الحضرة الإلهية
أن تقول متخفا
بأخلاق الله تعالى
فصيرت من النبي بغيرها
كان خلقه القرآن
استحياء من مبعثات
الجلال وسترا للجمال
يلطف القائل وهذا
من وفور علمها وكمال
أدبها وبين قوله كمالى
- وقد آتيناك سما
من اللثام والقرآن
العظيم - وبين قوله
- وإنك لمن خلق عظيم -
مناسبة مشعرة بقوله
عائشة رضى الله عنها
كان خلقه القرآن .
قال الجليل وسبح الله

ولا يقول للسكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق (١) ويرض عن تكلم بغير جميل (٢) ويكفي عما اضطره الكلام إليه بما يكره (٣) وكان إذا سكنت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده (٤) في الحديث ويصط بالجد والنصيحة (٥) ويقول لا تضربوا القرآن بضه بعض فانه أنزل على وجوه (٦) وكان أكثر الناس تبعا وضحا في وجوه أصحابه وتبعيا عما تحدثوا به وخطا لنفسه بهم (٧) ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه (٨) وكان ضحك أصحابه عنده التبس اقتداء به وتوقيرا له (٩) قالوا ولقد جاءه أعرابي يوما وهو عليه السلام متغير اللون يتكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تنمل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني فوالذي بشه بالحق نبيا لأدعه حتى يتبس فقال يا رسول الله بلغنا أن السميع يعني المجال يأتي الناس بالترديد وقد هللكوا جوعا أقرى لي بأبي أنت وأمي أن أكف من ترديده تغضا وتنزها حتى أهلك هذا أم أضرب في ترديده حتى إذا تغلمت شيئا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يضحك الله بما يفي به المؤمنين (١٠) قالوا وكان

(١) حديث لا يقول للسكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق د من حديث عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فتهني قريشي وقالوا تكتب كل شيء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشر بتكلم في الغضب والرضا فأسكت عن الكتاب ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوما بأصبعه إلى فيه وقال اكتب فوالذي نفسي بيده مخرج منه إلا حق رواه ك وصحه (٢) حديث يرض عن تكلم بغير جميل ت في التماثل من حديث علي الطويل يتماثل عما لا يشئ الحديث (٣) حديث يكني عما اضطره الكلام بما يكره فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رافعة حتى تدوق عسلته ويدوق عسلتك رولع من حديث عائشة ومن ذلك ما اخفا عليه من حديثها في الرأه التي سألته عن الاغتسال من الحبيض خذى فرصة ممسكة فتظهرى بها الحديث (٤) حديث كان إذا سكنت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ت في التماثل من حديث علي الطويل (٥) حديث يخط بالجد والنصيحة م من حديث جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحمرت عيناه وخلاصوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساءكم الحديث (٦) حديث لا تضربوا القرآن بضه بعض وأنه أنزل على وجوه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد حسن إن القرآن يصدق بضه بعضا فلا تكذبوا بضه بعض وفي رواية للهروى في ذم الكلام إن القرآن لم ينزل تضربوا بضه بعض وفي رواية له أيضا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بضه بعض وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف (٧) حديث كان أكثر الناس تبعا وضحا في وجوه أصحابه وتبعيا عما تحدثوا به وخطا لنفسه بهم ت من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين من حديث جرير ولا رآني إلا تبسم وت في التماثل من حديث علي يشبك عما تضحكون منه ويتعجب مما تعجبون منه وم من حديث جابر بن سمرة كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبس (٨) حديث ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار وفي قصة الحبر الذي قال إن الله يضح السماوات على أصبع ومن حديث أبي هريرة في قصة المجمع في رمضان وغير ذلك (٩) حديث كان ضحك أصحابه عنده التبس اقتداء به وتوقيرا له ت في التماثل من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل جل ضحكه التبس (١٠) حديث جاءه أعرابي يوما وهو متغير يتكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تنمل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني والذي بشه بالحق نبيا لأدعه حتى يتبس فقال

كان خلقه عظيم لأنه لا يمكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطي رحمه الله لأنه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لأنه عليه السلام طاهر الخلق خفيق وباينهم بقباه وهذا ما قاله بعضهم في معنى التصوف : التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغر الأكران في عينه بمشاهدة مكنونها وقيل معنى خلقه عظيم لا جناح مكرم الأخلاق فيه . وقد تدب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته إلى

من أكثر الناس تبساً وأطيبهم نفساً ما ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يحط بخبطة عظة (١) وكان إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا فان وعظ وعظ مجد وإن غضب وليس ينضب إلا لله لم يبق له شيء وكذلك كان في أموره كلها (٢) وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرأ من الحلول والقوة واستنزل الهدى فيقول : اللهم أرني الحق حقاً فأبعمه وأرني للنكر منكراً وأرزقني اجتنباه وأهدني لمن أن يشبهه على فأبعمه هوى بغير هدى منك واجعل هوى بما لطاعتك وخذ رضا منك من نفسي في عافية وأهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (٣)

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

كان حل الله عليه وسلم يأكل ما وجد (٤) وكان أحب الطعام إليه ما كان على صنف (٥) والصف

يارسول الله يفتنا أن للشيخ الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعاً الحديث وهو حديث منكر لم أنفاه على أصل ورواه عنه صلى الله عليه وسلم في حديث للثريد بن شعبه التثني عليه حين سأله أنهم يقولون إنك منه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون من الله من ذلك وفي رواية لمسلم أنهم يقولون إن معه جبلاً من خبز ولحم الحديث نعم في حديث حذيفة وأبي مسعود التثني عليهما إن معه ماء ونارا الحديث (١) حديث كان من أكثر الناس تبساً وأطيبهم نفساً ما ينزل عليه القرآن أو يذكر الساعة أو يحط بخبطة عظة خذ رضا منك من نفسي في عافية وأهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (٢) حديث جابر كان إذا نزل عليه الوحي قلت نذر قوم فإذا سري عنه فأكثر الناس ضحكاً الحديث ولأحمد من حديث علي أوازيير كان يحط بخبطة فيذكر بأبهم الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذر قوم يصبحهم الأمر غدوة وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتيسر ضاحكاً حتى يرتفع عنه وزواه أبو يعل من حديث الزبير من غير شك ولأحمد من حديث جابر كان إذا ذكر الساعة أحرمت وجهته واشتد غضبه وهو عند مسلم بلفظ كان إذا خطب (٣) حديث كان إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا وإن وعظ وعظ مجد وإن غضب ولا ينضب إلا لله لم يبق له شيء وكذلك كان في أموره كلها أبو الشيخ بن خبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فكأنما تلاحك الجدر وجهه وإسناده ضعيف والزاد به للراة توضع في الشمس فيزي ضوءها على الجدار وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال وهو يرقى وجهه من السرور وفيه وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه الحديث ومكان إذا خطب أحرمت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه الحديث وقد تقدم وث في الشرائع في حديث هذبن أبي هالة لا تغضب الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يبق له شيء حتى ينصرفه ولا يغضب لنفسه ولا يتنصر لها وقد تقدم (٤) حديث كان يقول اللهم أرني الحق حقاً فأبعمه وأرني للنكر منكراً وأرزقني اجتنباه وأهدني لمن أن يشبهه على فأبعمه هوى بغير هدى منك واجعل هوى بما لطاعتك وخذ رضا منك من نفسي في عافية وأهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم لم أقف لأوله على أصل ، وروى السلفي في الدعوات من حديث أبي هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : اللهم إنك سألتنا من أشنأنا ما لا نملكه إلا بك فأعطنا منها ما نريدك عنا ولم من حديث عائشة فيما كان ينتخب به صلاته من الليل أهدني لما اختلف فيه إلى آخر الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

(٤) حديث كان يأكل ما وجد تقدم (٥) حديث كان أحب الطعام إليه ما كان على صنف

حسن الحق في حديث
أخبرنا به الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا الفتح
المروسي قال أنا أبو نصر
الترقي قال أنا أبو محمد
الجسراحي قال أنا
أبو العباس الجبوري
قال أنا أبو عيسى
الحافظ الترمذي قال
حدثنا أحمد بن الحسين
ابن خراش قال حدثنا
حبان بن هلال قال
حدثنا مبارك بن فضالة
قاله حدثني عبد الله
ابن معاذ عن محمد بن
السكندر عن جابر
رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال وإن

ما كثرت عليه الأبدى ، وكان إذا وضعت المائدة قال : باسم الله اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة (١) وكان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس الصلي إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول : إنما أنا عبد آكل كما يأكل البعد وأجلس كما يجلس البعد (٢) وكان لا يأكل الحار ويقول : إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا إلا بأطعمته (٣) وكان يأكل مما يليه (٤) ويأكل بأصابه الثلاث (٥) وربما استعان بالراية (٦) ولم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان (٧) وجاء عثمان بن عفان رضى الله عنه بخالوخ فأكل منه وتال ما هذا يا أبا عبد الله قال بأبي أنت وأمي يجعل السمن والصل في البرمة ونضعها على النار ثم نعليهم

أى كثرت عليه الأبدى أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عدى في الكامل من حديث جابر بن عبد حسن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأبدى ولأبي يعلى من حديث أنس لم يجمع له غذا ومغشاء خبز ولم إلا على صنف وإسناده ضعيف (١) حديث كان إذا وضعت المائدة قال باسم الله اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة . أما التسمية فروها ن من رواية من خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعاما يقول باسم الله الحديث وإسناده صحيح وأما بقية الحديث فلم أجده (٢) حديث كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وقدميه كما يفعل الصلي إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل البعد وأجلس كما يجلس البعد . عبد الرزاق في الصنف من رواية أيوب مضاف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل أحضر وقال أكل كذا يأكل البعد الحديث وروى ابن الضعاف في التال من حديث أنس يستند ضعيف كان إذا قعد على الطعام استوفى على ركبتيه اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل البعد وأفعل كما يفعل البعد روى أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بسند حسن من حديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجثو على ركبتيه وكان لا يتكلم أوردته في صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابزار من حديث ابن عمر إنما نأجد آكل كما يأكل البعد ولأبي يعلى من حديث عائشة آكل كما يأكل البعد وأجلس كما يجلس البعد وسندها ضعيف (٣) حديث كان لا يأكل الحار ويقول إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا نار البيهقي من حديث أبي هريرة رُسَد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم يوما بطعام سخن فقال ما دخل بطي طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم ولأحمد بإسناد جيد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث خولة بنت قيس وقدمت له حرية فوضعه يده فيها فوجد حرها فقضها لفظ الطبراني والبيهقي وقال أحمد فأحرقت أصابعه فقال حس والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة يردو الطعام في الطعام الحار غير ذي بركة وله فيه وفي الصغير من حديث أبي بصرة ثور فرفع يده منها وقال إن الله لم يطعمنا ناراً ولا طعاماً ضعيف (٤) حديث كان يأكل مما يليه أبو الشيخ بن حبان من حديث عائشة وفي إسناده رجل لم يسم وسماء في رواية له وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عبد بن قيس سفيان الثوري وقال البيهقي تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ولأبي الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه (٥) حديث أكله بأصابه الثلاث م من حديث كعب بن مالك (٦) حديث استأمنته بالراية رواه في التيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمري هالك وفي مصنف ابن أبي شيبة من رواية الزهري مرسلان أن النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بالحقص (٧) حديث لم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان الدار قطني في الأفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف لا تأكل بأصبع فإنه أكل للولول ولا تأكل بأصبعين فإنه أكل للشياطين الحديث .

من أحبك إلى وأقربك
منى مجلساً يوم القيامة
أحسنكم أخلاقاً وإن
أحسنكم إلى وبهكم
منى مجلساً يوم القيامة
الثرثارون والتشدهون
التفقهون قالوا يا رسول
الله علنا الثرثارون
وللتفقهون فما
التفقهون ؟ قال
للتكبرون والثرثر
للكار من الحديث
والتفقهون التطاول
على الناس في الكلام
قال الواسطي رحمه الله
الحلق العظيم أن
لهم صم ولا تخاصم
وقال أيضاً وإنك لم
خلق عظيم من جديك
حلاوة اللطافة على

ناخذ مع الخلطة إذا طحنت فقلبي على السمن والصل في البرمة ثم نسوطة حتى ينضج فيأتي كثرى
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا الطعام طيب ^(١) وكان يأكل خبز الشعير غير منخول ^(٢)
 وكان يأكل القثاء بالرب ^(٣) وبالملح ^(٤) وكان أحب القواكة الرطبة إليه البطيخ والنب ^(٥)
 وكان يأكل البطيخ بالحبز والسكر ^(٦) وربما أكله بالرب ^(٧) ويستعين باليدن جميعاً وأكل
 يوما الرب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل
 من كفة اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة ^(٨) وكان ربما أكل النب

(١) حديث جده عثمان بن عفان بالودج الحديث قلت السرووف أن الذي صنعه عثمان الحبيص ورواه
 البيهقي في الشعب من حديث ليث بن أبي سليم قال إن أول من خبص الحبيص عثمان بن عفان قدمت
 عليه عبرة من النقي والصل، الحديث. وقال هذا منقطع وروى الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث
 عبد الله بن سلام أنبل عثمان ومعه راحلة عليها خمرتان وفيه فاذا دقيق ومن وعسل وفيه ثم قال
 لأصحابه كلوا هذا الذي تسميه فارس الحبيص وأما خبر الفالودج فرواه إسناد ضعيف من حديث
 ابن عباس قال أول ما سمعنا بالفالودج أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أمتك تفتح
 عليهم الأرض وبغاض عليهم من الدنيا حتى إنهم ليأكلون الفالودج قال النبي صلى الله عليه وسلم وما
 الفالودج قال يغلطون السمن والعسل جميعاً قال ابن الجوزي في اللوضعات هذا حديث باطل لا أصل له
 (٢) حديث كان يأكل خبز الشعير غير منخول البخاري من حديث سهل بن سعد (٣) حديث كان
 يأكل القثاء بالرب متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر (٤) حديث كان يأكل القثاء بالملح
 أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدى وفيه عباد
 ابن كثير متروك (٥) حديث كان أحب الفاكهة الرطبة إليه البطيخ والنب أبو نعم في الطب النبوي
 من رواية أمية بن زيد البصري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب من الفاكهة النيب والبطيخ
 وروى أبو الشيخ وابن عدى في الكامل والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس
 كان يأخذ الرب يمينه والبطيخ بيساره ويأكل الرب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة إليه، فيه يوسف
 ابن عطية الصغار صحح على ضعفه وروى ابن عدى من حديث عائشة كان أحب الفاكهة لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم الرب والبطيخ وله من حديث آخر لها فان خير الفاكهة النيب والنب والكم
 (٦) حديث كان يأكل البطيخ بالحبز والسكر أما أكل البطيخ بالحبز فلم أره وإنما وجدت أكل
 النيب بالحبز فيها ورواه ابن عدى من حديث عائشة مرفوعاً عليهم بالرازمة قيل يا رسول الله ما للرازمة
 قال أكل الحبز مع النيب فان خير الفاكهة النيب وخير الطعام الحبز وإسناده ضعيف وأما أكل البطيخ
 بالسكر فان أريد بالسكر نوع من التمر والربط مشهور فهو الحديث الآتي بعده وإن أريد به السكر
 الذي هو الطرزد فلم أره أصلاً إلا في حديث منكر مضلل رواه أبو عمر التوفاني في كتاب البطيخ من
 رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل بطيخاً بسكر وفيه موسى بن إبراهيم
 للروزي كذبه يحيى بن معين (٧) حديث أكل البطيخ بالرب من حديث عائشة وحسنه شوه
 من حديث سهل بن سعد كان يأكل الرب بالبطيخ وهو عند الدارمى بلطف البطيخ بالرب (٨) حديث
 استماتته باليدن جميعاً فأكل يوما الرب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها
 بالنوى فجعلت تأكل من كفة اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة أما ما استماتته يديه
 جميعاً فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال آخر ما رأيت من رسول الله ﷺ في إحدى يديه
 رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه ويضع من هذه وحدث أنس في أكله يديه قبل

سرك وقال أيضاً أنك
 قبلت فزون ما أسديت
 إليك من نصي أحسن
 مما قبله غيرك من
 الأنبياء والرسل. وقال
 الحسين لأنه لم يؤثر
 فيك جفاء الحلق مع
 مطالة الحلق وقيل
 الحلق انظم لباس
 النفوى والتخلق
 بأخلاق الله تعالى إذ لم
 يبق للأعواض عنده
 خطر. وقال بعضهم
 قوله تعالى - ولوتقول
 علينا بعض الأقاويل
 لأخذنا منه باليمين -
 آثم لأنه حيث قال وإنك
 أحقره وإذا أحقره
 أغفله وجبى وقوله
 لأخذنا آثم لأن فيه
 فناء في قول هذا القائل

خرطاً يرى زرقانه على لحيتة كحز الأؤلؤ (١) وكان أكثر طعامه اللحم والتمر (٢) وكان يجمع اللبن والتمر ويسميهما الأطينين (٣) وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لقل (٤) وكان يأكل التريد باللحم والقرع (٥) وكان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس عليه السلام (٦) قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول «يا عائشة إذا طيختم قدراً فأكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين» (٧) وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد (٨) وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاده ويؤتي به فيأكله (٩) وكان إذا أكل اللحم لم يباطئ رأسه إليه ويرفعه إلى فيه رها ثم ينتهه انتهاها (١٠) وكان يأكل الحبز والسمن (١١)

هذا بثلاثة أحاديث وأما قصته مع الشاة فرويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس بإسناد ضعيف (١) حديث ربما أكل الغنم خرطاً الحديث ابن عدي في الكامل من حديث العباس والعتيلي في الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصراً وكلامها ضعيف (٢) حديث كان أكثر طعامه اللحم والتمر (٣) حديث كان يجمع الخ من حديث عائشة توفي رسول الله ﷺ وقدمنا من الأسودين التمر والماء (٤) حديث كان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطينين أحسن رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال دخلت على رجل وهو يجمع لبناً يتمر وقال ادن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها الأطينين ورجاله تهاوت وإيهامه لا يضر (٥) حديث كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لقل أبو الشيخ من رواية ابن سمان قال سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم الحديث وت في السائل من حديث جابر أنانا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا فذبحنا له شاة فقال كأنهم علموا أنا نحب اللحم وإسناده صحيح و ه من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم (٥) حديث كان يأكل التريد باللحم والقرع م من حديث أنس (٦) حديث كان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس ن ه من حديث أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع وقال ن الدباء وهو عند م بلفظ تعجبه وروى ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي هريرة قصة يونس فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء (٧) حديث يا عائشة إذا طيختم قدراً فأكثروا فيها من الدباء فانها تشد قلب الحزين وروناه في فوائد أبي بكر الشافعي (٨) حديث كان يأكل لحم الطير الذي يصاد ت من حديث أنس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال اللهم اتني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير فجاء على فأكل معه قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة وروى د واستتر به من حديث سفينة قال أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم حباري (٩) حديث كان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتي به فيأكله قلت هذا هو الظاهر من أحواله قد قال من تبع الصيد غفل رواه د ن من حديث ابن عباس وقال حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني قد كانت قبله رسل كلهم يصطاد ويطلب الصيد فهو ضعيف جداً (١٠) حديث كان إذا أكل اللحم لم يباطئ رأسه إليه ويرفعه إلى فيه رها ثم ينتهه د من حديث صفوان بن أمية قال كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأتخذ اللحم من العظم فقال ادن اللحم من فيك فانه أهني وأمرأ وت من حديث أنس اللحم نهش فانه أهني وأمرأ وهو منقطع والنبي قبله منقطع أيضاً للشيخين من حديث أبي هريرة فتناول الذراع فنهش منها نهشة الحديث (١١) حديث كان يأكل الحبز والسمن متفق عيه من حديث أنس في قصة طوية فيها قامت بذلك الحيز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقت وعصرت أهلبم عكة فأدتمت الحديث وفيه ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ه صنعت فيها شيئا من سم ولا يصع و د ه من

وكان يجب من الشاة القراع والكسف ، ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر المجوة (١) ودعا في المجوة بالبركة وقال هي من الجنة وغفاه من السم والسحر (٢) وكان يجب من البقول الهندباء والباذرودج والبقلة الحفاه التي قال لها الرحلة (٣) وكان يكره الكليتين لمساكنهما من البول (٤) وكان لا يأكل من الشاة سماً : الذكر والأنتين والثانة والبراة والتدد والحيا والهم ، ويكره ذلك (٥) وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث (٦) وماذم طعاماً قط لكن إن أجهه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضّه إلى غيره (٧) وكان يضاف الضب والطحال ولا يجرهما (٨)

حدث ابن عمر وحدث أن عندي خيرة يضاه من برّ سمراء ملبقة بسمن الحديث قال دمنكر .
(١) حديث كان يجب من الشاة القراع والكسف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر المجوة وروى الشيخان من حديث أبي هريرة قال وضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قطعة من تمر يولم فتناول القراع وكانت أحب الشاة إليه الحديث . وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكسف وإسناده ضعيف ومن حديث أبي هريرة ولم يكن يجب من الشاة إلا الكسف وتقدم حديث أنس كان يجب الدباء قبل هذا بستة أحاديث ولأبي الشيخ من حديث أنس كان أحب الطعام إليه الدباء وله من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف كان أحب الصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحل وله بالإسناد المذكور كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المجوة (٢) حديث دعا في المجوة بالبركة وقال هي من الجنة وغفاه من السم والسحر الزار والطيراني في الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد سدوس فأهدى له تمراً وفيه حتى ذكرنا تمر أهلنا هذا الجذافي قال بارك الله في الجذافي وحديقة خرج هذا منها الحديث قال أبو موسى للدينى قيل هو تمر أحمر وت ن ه من حديث أبي هريرة المجوة من الجنة وهي شفاه من السم وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص من تصبغ سبع تمرات من مجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر (٣) حديث كان يجب من البقول الهندباء والباذرودج والبقلة الحفاه التي قال لها الرحلة أبو نعيم في الطب النبوى من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فانه مايوم إلا ويظطر عليه قطرة من قطر الجنة وله من حديث الحسن بن علي وأنس بن مالك نحوه وكلها ضعيفة وأما الباذرودج فلم أجد فيه حديثاً وأما الرحلة فروى أبو نعيم من رواية ثور قال مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بالرحلة وفي رحله قرحة فدواها بها فبرئت فقال رسول الله ﷺ بارك الله فيك أنثى حيث شئت فأنت شفاه من سبعين داء أداته الصداق وهذا مرسل ضعيف (٤) حديث كان يكره الكليتين لمساكنهما من البول وروناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الأشجّر من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن علي الصدى أحد الكذابين (٥) حديث كان لا يأكل من الشاة : الذكر والأنتين والثانة والبراة والتدد والحيا والهم ، ابن عدى ومن طريقه البيهقي من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ورواه البيهقي من رواية مجاهد مرسل (٦) حديث كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث ماله في اللوطا عن الزهري عن سليمان بن يسار مرسل ووصله الدارقطني في غرائب مالك عن الزهري عن أنس وفي الصحيحين من حديث جابر أتى بقدر فيه خضرات من قول فوجد لها ريحاً الحديث وفيه قال فأتى أناجى من لانتاجى وسلم من حديث أبي أيوب في قصة بثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال إني أكرهه من أجل ريحه (٧) حديث مادم طعاماً قط لكن إن أجهه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضّه إلى غيره تقدم أول الحديث وفي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقال كلوا فانه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قوى (٨) حديث كان يضاف الضب والطحال ولا يجرهما

فيه أربعة أشياء :
السخاء والألفة
والنصيحة والشفقة .
وقال ابن عطية : الخلق
العظيم أن لا يكون له
اختيار ويكون تحت
الحكم مع فناء النفس
وفناء للألوفات . وقال
أبو سعيد القرشي :
العظيم هو الله ومن
أخلاقه الجود والكرم
والصفح والعفو
والإحسان ألا ترى إلى
قوله عليه السلام « إن
له مائة وبضعة عشر
خلقاً من آتى بواحد
منها دخل الجنة » فلما
تخلق بأخلاق الله
تعالى وجد الثناء عليه
بقوله - وإنك لى

وكان يلقى بأصابه الصفة ويقول آخر الطعام أكره بركة (١) وكان يلقى أصابه من الطعام حتى تحمر (٢) وكان لا يسمح يده بالمبدال حتى يلقى أصابه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي الطعام البركة (٣) وإذا فرغ قال الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فأشبعت وسقيت فأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستنى عنه (٤) وكان إذا أكل الحبز واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا ثم يسمح بفضل الماء على وجهه (٥) وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات (٦) وكان يمسّ الماء مصا ولا يمسّ عبا (٧) وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه (٨) فإن كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه السنة أن تعطى فإن أحببت آثرتهم (٩) وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ (١٠) وكان لا يتنفس في الإناء بل ينحرف عنه (١١) وآتي بإتمامه

أما الضب في الصحيحين عن ابن عباس لم يكن يرض قومي فأجذني أعافه ولهامن حديث ابن عمر أحلت لنا ميتتان ودمان وفيه أما الدمان فالسكيد والطحال واليبيقي موقوف على زيد بن ثابت إلى لا كل الطحال وما بي إليه حاجة إلا يعلم أهلي أنه لا بأس به (١) حديث كان يلقى الصفة ويقول آخر الطعام أكره بركة اليبقي في شعب الإيمان من حديث جاري حديث قال فيه ولا ترفع القصعة حتى تلمعها أو تلمعها فإن آخر الطعام فيه البركة وم من حديث أنس أمرنا أن نسلت الصفة وقال إن أحدكم لا يدري أي طعامه يبارك له فيه (٢) حديث كان يلقى أصابه من الطعام حتى تحمر م من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى تحمر فلم ألق له على أصل (٣) حديث كان لا يسمح يده بالمبدال حتى يلقى أصابه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي أصابه البركة م من حديث كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يسمح يده حتى يلمعها وله من حديث جابر إذا فرغ يلقى أصابه فانه لا يدري في أي طعامه تكون البركة واليبيقي في الشعب من حديثه لا يسمح أحدكم يده بالمبدال حتى يلقى يده فإن الرجل لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه (٤) حديث وإذا فرغ قال اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستنى عنه الطبراني من حديث الحارث بن الحارث بسند ضعيف ولبخاري من حديث أبي أمامة كان إذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذي كففنا وآوانا غير مكفي ولا مكفور وقال مرة الحمد لله ربنا غير مكفي ولا مودع ولا مستنى عنه ربنا (٥) حديث كان إذا أكل الحبز واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا ثم يسمح بفضل الماء على وجهه أبو يعلى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيئًا فليقبل يده من ربح وضرة لا يؤذى من حمائه (٦) حديث كان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورجاله تحت وم من حديث أنس كان إذا شرب تنفس ثلاثا (٧) حديث كان يمسّ الماء مصا ولا يمسّ عبا البغوي والطبراني وابن عدي وابن قانع وابن منده وأبو نعيم في الصحابة من حديث بهز كان يستاك عرضا ويشرب مصا للطبراني من حديث أم سلمة كان لا يمسّ ولأبي الشيخ من حديث ميمونة لا يسمحوا ليهنث وكأب ضيفة (٨) حديث كان يدفع فضل سؤره إلى من عن يمينه متفق عليه من حديث أنس (٩) حديث استئذنه من على يمينه إذا كان على يساره أجل رتبة متفق عليه من حديث سهل بن سعد (١٠) حديث شربه بنفس واحد أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف وللحاکم من حديث أبي قتادة وصححه إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد ولعل تناول هذين الحديثين على ترك التنفس في الإناء والله أعلم (١١) حديث كان لا يتنفس في الإناء حتى ينحرف عنه ك من حديث أبي هريرة ولا يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم لينفس

خلق عظيم - وقيل
عظم خلقك لأنك لم
ترض بالأخلاق
وسرت ولم تكن إلى
العتوت حتى وصلت إلى
الذات . وقيل بائث
محمد عليه الصلاة
والسلام إلى الحجاز
حججه بها عن الذات
والشهوات وألقاه في
الغربة والجفوة فها صفا
بذلك عن دنس
الأخلاق قال له
- وإنك لم تخلق
عظيم - . وأخبرنا
الشيخ الصالح أبو زهرة
ابن الحافظ أبي الفضل
محمد بن طاهر القدسي
عن أبيه قال أنا أبو عمر
الليحي قال أنا أبو محمد

عسل ولين فأبى أن يشربه وقال شربان في شربة وإدامان في إناء واحد (١) ثم قال صلى الله عليه وسلم « لأحره ولكني أكره الفخر والحساب بفضل الله نياغدا وأحب التواضع فإن من تواضعه رضى الله » وكان في بيته أشد حياء من العائق لا يسألهم طعاما ولا يتشبهاء عليهم إن أطعموه أو كل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب (٢) وكان ربما قام فأخذ ماأى كل بنفسه أو يشرب (٣) .

(بيان آدابه وأخلاقه في اللباس)

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك (٤) وكان يصبه الثياب الحضرة (٥) وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحباءكم وكفنوا فيها موتاكم

وقال حديث صحيح الإسناد (١) حديث آتى بإناء فيه عسل وما فأبى أن يشربه وقال شربان في شربة وإدامان في إناء واحد الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شربان في شربة إلى آخره وسنده ضعيف (٢) حديث كان في بيته أشد حياء من العائق لا يسألهم طعاما ولا يتشبهاء عليهم إن أطعموه أو كل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب الشيوخان من حديث أنس بن سعيد كان أشد حياء من العذراء في خدرها الحديث وقد تقدم وأما كونه كان لا يسألهم طعاما فإنه أراد أن طعام بيته من حديث عائشة أنه قال ذات يوم يا عائشة هل عندكم شيء ؟ قالت قلت ما عندنا شيء الحديث وفيه فلما رجع قلت لأهديت لنا هدية قال ما هو قلت حيس قال هاتيه وفي رواية قريه وفي رواية للنسائي أصبح عندكم شيء تطعمينه ولأن داود هل عندكم طعام وت أعندك غداء وفي الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأبى بخبز وأدم من أدم البيت فقال ألم أر مرة على النار فيها لحم الحديث وفي رواية لمسلم لو صنعتم لنا من هذا اللحم الحديث فليس في قصة بريرة إلا الاستفهام والرضا والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله أعلم . وللشيخين من حديث أم الفضل أنها أرسلت إليه بقبح لبن وهو واقف على بيمره فشربه ولأن داود من حديث أم هانئ فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فتناوله فشرب منه وإسناده حسن (٣) حديث وكان ربما قام فأخذ ماأى كل أو يشرب نفسه د من حديث أم النضر بنت قيس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب ومعه على - وعلى ناقه - ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها الحديث وإسناده حسن ولترمذي ومعه وابن ماجه من حديث كبشة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قرية معلقة فأعما الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في اللباس)

(٤) حديث كان يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك الشيوخان من حديث عائشة أنها أخرجت إزارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه المدينة فقالت في هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية إزارا غليظا ولها من حديث أنس كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجرائي غليظ الحاشية الحديث لفظ مسلم وقال خ برد نجرائي وه بسند ضعيف من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصيرا يدين والطول وديت وحسنه ون من حديث أم سلمة كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص ولأن داود من حديث أسماء بنت زيد كانت يد قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسخ وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا الحديث الجبة والشملة والخبرة (٥) حديث كان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحباءكم وكفنوا فيها موتاكم هك من حديث ابن عباس خير ثيابكم البياض فألبسوها أحباءكم وكفنوا فيها موتاكم قال ك صحيح الإسناد وله لأصحاب السنن من حديث حمزة بن عبد المطلب قال لبسها

عبد الله بن يوسف قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال ثنا جعفر بن الحجاج الرقي قال أنا أيوب بن محمد الوزان قال حدثني الوليد قال حدثني ثابت عن يزيد عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول « مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في أبيه وتكون في الجد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن

وكان يلبس القباء المشعور للحرب وغير الحرب ^(١) وكان له قباء سندس قبله فحسن خضرته على ياض لونه ^(٢) وكانت ثيابه كلها مشعرة فوق الكمين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق ^(٣) وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها ^(٤) وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها ^(٥) وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره ^(٦) وكان له كساء ملبد بلبسه ويقول إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد ^(٧)

أحياناً كم وكفنوا فيها موتاً لم يلفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقالت حسن صحيح ^(٨) حديث كان يلبس القباء المشعور للحرب وغير المشعور الشيخان من حديث للسورين غمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقيّة من ديباج مزرور بالذهب الحديث وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علقمخ قال غفر عنه عليه قباء من ديباج مزرور بالذهب الحديث وم من حديث جابر لبس النبي صلى الله عليه وسلم يوماً قباء من ديباج أهدى له ثم نزع الحديث ^(٩) حديث كان له قباء سندس قبله الحديث أحمد من حديث أنس أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس أو ديباج قبل أن ينهي عن الحرير فلبسها والحديث في الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه وكان ينهي عن الحرير وعندت وصححه ن أنه لبسها ولكنه قال بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب ^(١٠) حديث كان ثيابه كلها مشعرة فوق الكمين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاره فوق الكمين وقيمه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك وإسناده ضعيف وك وصححه من حديث ابن عباس كان يلبس قميصاً فوق الكمين الحديث وهو عنده بلفظ قميصاً قصير الدين والطول وعندنا وث في السائل من رواية الأشعث قال سمعت محمداً يحدث عن عماراً قال صلى الله عليه وسلم وفيه فاذا إزاره إلى نصف ساقه ورواه ن وصححه في الحديث عمار بن عبد الله بن خالد واسم عمه الأشعث وميمت الأسود ولا يعرف ^(١١) حديث كان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها ^(١٢) حديث في الثبائيل من رواية معاوية بن قرة بن إياس عن أبيه قال أثبت النبي ﷺ في رهط من مزينة وباعناه وإن قميصه لمطلق الأزرار وللبس في رواية زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر يصلي محمولة أزراره فسألته عن ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وفي الملل للترمذي أنه سأل عن هذا الحديث فقال أنا ألقى هذا الشيخ كان حديثه موضوع يعني زهير بن محمد رواه عن زيد بن أسلم قلت تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة في صحيحه والطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي محتجباً محلل الأزرار ^(١٣) حديث كان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها د من حديث قيلة بنت غمرة قلت رأيت النبي ﷺ وعليه أعمال ملايتين كانتا بزعفران قالت لا نعرفه إلا من عبد الله بن حسان قلت ورواه موقوفون ود من حديث قيس بن سعد فاعلم ثم ناؤه أبي سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها الحديث ورجاله ثقات ^(١٤) حديث ربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره ^(١٥) وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بني عبد الأشهل وعليه كساء متلف به الحديث وفي رواية البزار في كساء ^(١٦) حديث كان له كساء ملبد بلبسه ويقول أنا عبد ألبس كما يلبس العبد الشيخان من رواية أبي بردة قال أخرجت إلينا عائشة كساء ملبداً وإزاراً غليظاً قالت في هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وللبخاري من حديث عمر إنما أنا عبد ولبيد الرزاق في اللص من رواية أبيوب السخاني من مرفوعاً معضلاً إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلاً .

أراد به السعادة : صدق الحديث وصدق اليأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جاثمان وإعطاء السائل والسكافة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتزعم للصاحب وإقراء الضيف ورأسين الحياء . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال « تقوى الله وحسن الخلق » وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال : « التمّ والفحش يكون هذا التمّ غم فوات الحظوظ العاجلة لأن ذلك

وكان له ثوبان لجمته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة ^(١) وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ويعتمد طريقه بين كنفه ^(٢) وربما أمّ به الناس على الجنائز ^(٣) وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به عقالا بين طريقه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ ^(٤) وكان ربما صلى بالليل في الإزار ويرتدى بعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نساءه فصلى كذلك ^(٥) وقد كان له كساء أسود فوجهه فقالت له أم سلمة بأني أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته ما رأيت شيئا قط كان أحسن من يياضك على سواده ^(٦) وقال أنس وربما رأيته صلى بنا الظهر في شملة عاقدا بين طريقه ^(٧) وكان يتختم ^(٨) وربما خرج وفي خاتمه الحيط الربوط يتذكر به النبي ^(٩)

(١) حديث كان له ثوبان لجمته خاصة الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فإذا انصرف طويناها إلى مثله وورده حديث عائشة عند ابن ماجه ما رأته يسب أحدا ولا يطوى له ثوب (٢) حديث ربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره فقد طريقه بين كنفه الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزله أهله فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وللبخاري من رواية محمد بن المنصور عن أبي جابر في إزار قد تقدمه من قبل قتاده وثيابه موضوعة على المشجب وفي رواية له وهو صلى في ثوب ملتصقا به ورداؤه موضوع وفيه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم صلى هكذا (٣) حديث ربما أمّ به الناس على الجنائز لم أقف عليه (٤) حديث ربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به عقالا بين طريقه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ أبو يعلى بإسناد حسن من حديث معاوية قال دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد قلت أيام حبيبة أيسلني النبي صلى الله عليه وسلم في الثوب الواحد قالت نعم وهو الذي كان فيه ما كان تمنى الجماع ورواه الطبراني في الأوسط (٥) حديث ربما كان صلى بالليل ويرتدى بعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نساءه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في ثوب بضمه على "ولم يكن صلى من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعلى شرط بضمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والطبراني في الأوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة يصلان في ثوب واحد نصفه على النبي صلى الله عليه وسلم ونصفه على عائشة وسنده ضعيف (٦) حديث كان له كساء أسود فوجهه فقالت له أم سلمة بأني أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الحديث لم أقف عليه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل أسود ولأبي داود وبن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم ردة سوداء من صوف فلبسها الحديث وزاد فيه ابن سعد في الطبقات قد ذكرت يابض النبي صلى الله عليه وسلم وسوادها ورواه كلفظجة وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث أنس ربما رأيته صلى بنا الظهر في شملة عاقدا بين طريقها البزار وأبو يعلى بلفظ حتى يثوب واحد وقد خالف بين طريقه والبزار خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا ثوب قطن فضلى بالناس وإسناده صحيح و ه من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها وفي كامل ابن عدي قد عقد عليها هكذا وأشار سفيان إلى قتاده وفي جزء النظر ففقدتها في عنقه ما عليه غيرها وإسناده ضعيف (٨) حديث كان يتختم الشيخان من حديث ابن عمر وأنس (٩) حديث ربما خرج وفي خاتمه حيط مربوط يتذكر به النبي صلى الله عليه وسلم من حديث وثاقه بسند ضعيف كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطا وزاد الحارث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليذكره به وسنده ضعيف .

يتضمن التسخط والتضجر وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح للشار إليه الفرح بالخطوط الحاجة للمنع منه بقوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - وهو الفرح الذي قال الله تعالى - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين - لما رأى مفتاحه تنوء بالصبة أولى القوة فأما الفرح بالأقسام الأخروية فمحمود يناقش فيه قال الله تعالى - قل

وكان يحتم به على الكتب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة (١) وكان يلبس القلانس تحت العمامة ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها ستره بين يديه ثم يصلي إليها (٢) وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته (٣) وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على قربما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب (٤) وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل يمامته (٥) ويقول الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى وأجمل به في الناس (٦) وإذا نزع ثوبه أخرجه من يماسره (٧) وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول مامن مسلم يكسو مسلماً من حمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما أواراه حيأوميتاً (٨)

(١) حديث كان يحتم به على الكتب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة الشيخان من حديث أنس لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قالوا إنهم لا يقرون إلا كتاباً عنوماً فأخذ حاتمًا من فضة الحديث و ن ت في الثائل من حديث ابن عمر أخذ حاتمًا من فضة كان يحتم به ولا يلبسه وسنده صحيح وأما قوله الحاتم على الكتاب خير من التهمة فلم أقف له على أصل (٢) حديث كان يلبس القلانس تحت العمامة ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها ستره بين يديه ثم يصلي إليها الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة يضاء ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة قلانس: قلنسوة يضاء مضربة وقلنسوة بدرجعة وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر فرميا وضما بين يديه إذا صلى وإنسانها ضيف ولأبي داود و ن ت من حديث ركانة فرق ما بيننا وبين للشركن العمامة على القلانس قال ت غريب وليس إسناده بالقائم (٣) حديث ربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته من حديث ابن عباس صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم للثبر وقدم على رأسه بصابة دمام الحديث (٤) حديث كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على قربما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب ابن عدى وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولابن نمير في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب الحديث (٥) حديث كان إذا لبس ثوبا يلبسه من قبل يمامته من حديث أبي هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف في رفضه (٦) حديث الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى وأجمل به في الناس ت وقال غريب وه ك وصحه من حديث عمر بن الخطاب (٧) حديث كان إذا نزع ثوبه خرج من يماسره أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان إذا لبس شيئا من الثياب بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالأيسر وله من حديث أنس كان إذا ارتدى أو ترجل أو اتصل بدأ يمينه وإذا دخل بدأ يماسره وسندها ضعيف وهو في الاتصال في الصحيحين من حديث أبي هريرة من قوله لا من فضة [١] حديث كان له ثوب بجمته خاصة الحديث تقدم قريبا بلفظ ثوبين (٨) حديث كان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول مامن مسلم يكسو مسلماً الحديث ك في التمدرك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لبس ثوبا يلبسها فلما بلغ ثراقيه قال الحمد لله الذي كساني ما أجمل به في حياتي وأوارى به عورتى ثم قال مامن مسلم يلبس ثوبا جديدا الحديث دون ذكر تصدقه صلى الله عليه وسلم بثيابه وهو عدت ه د و ن ذكر لبس النبي صلى الله عليه وسلم ثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقي وهو غير قوي .

[١] قول المراق: حديث كان له ثوب الخ، ليس هذا الحديث بنسختنا فلهذه بنسخة المراق .

بفضل الله وبرحمته
فذلك فغير حوا -
وقر عبد الله بن
البارك حسن الخلق
قال هو بسط الوجه
وبذل اللروف وكف
الأذى فالصوفى قراضوا
تقوسهم بالمكابدات
والجاهدات حتى أجابت
إلى تحسين الأخلاق
وكم من نفس تغييب
إلى الأعمال ولا تغييب
إلى الأخلاق فنفس
العباد أجابت إلى
الأعمال وجمعت
عن الأخلاق ونفوس
الزهاد أجابت إلى
بسن الأخلاق دون
البض ونفوس
الصوفية أجابت إلى

وكان له فراش من آدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه^(١) وكانت له عباءة تفرش له حبة تنقل ثقي طاقين تحته^(٢) وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره^(٣) وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب والفتار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيبي وكانت قبضة سيفه عملة بالنضة^(٤) وكان يلبس للنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة^(٥) وكان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور^(٦) وكان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها الضياء واسم بقلته الدليل

(١) حديث كان له فراش من آدم حشو.. ليف الحديث متفق عليه من حديث عائشة مقتصر: على هذا دون ذكر عرضه وطوله ولأبي الشيخ من حديث أم سلمة كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما يوضع للإنسان في قبره وفيه من لم يسم (٢) حديث كانت له عباءة تفرش له حبة تنقل تفرش طاقين تحته ابن سعد في الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية الحديث ولأبي سعيد عنها أنها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة بأتين الحديث وكلامها لا يصح وت في التامل من حديث خصه وسئل ما كان فراشه قالت مسح ثيبيه فثني فنام عليه الحديث وهو منقطع (٣) حديث كان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره متفق عليه من حديث عمر في قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نساءه (٤) حديث كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب والفتار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيبي وكان قبضة سيفه عملة بالنضة الطبراني من حديث ابن عباس كان لرسول الله ﷺ سيف فاقته من فضة وقيمت من فضة وكان يسمى ذا الفتار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجعم وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حربة تسمى النبعة وكانت له بحن تسمى الدفن وكان له ريس أيضا يسمى موجزا وكان له فرس أدم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج المؤخر وكان له بقله شياء يقال لها الدليل وكانت له ناقه تسمى القصواء وكان له سمار يسمى بفقور وكان له بساط يسمى السكر وكانت له عزة تسمى النمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرأة تسمى للراة وكان له مقرض يسمى الجامع وكان له قصب شوحط يسمى للشوقي وفيه على بن غررة السمقي نسب إلى وضع الحديث ورواه ابن عدى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلًا وله من حديث على بن أبي طالب كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفتار ت ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تنقل سيفه ذا الفتار يوم بدر وكان من حديث على في أثناء حديث وسيفه ذو الفتار وهو ضعيف ولأبي سعد في الطبقات من رواية مروان بن أبي سعيد بن الطلي مرسلًا قال أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قلبي وسيف يدي يتارا وسيف يدي الخنم وكان عنده بعد ذلك الخنم ورسوب وأصابعها من القلس وفي سننه الواقدي وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه أنه يقال إنه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما الضب شهده بدرًا ولأبي داود وت وقال حسن ون وقال منكر من حديث أنس كانت قبضة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة (٥) حديث كان يلبس للنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة لم ألقه له على أصل ولائني سعد في الطبقات وأبو الشيخ من رواية محمد بن علي بن الحسين مرسلًا كان في درع النبي صلى الله عليه وسلم حلتان من فضة (٦) حديث كان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور لم أجد

الأخلاق الكريمة كلها
أخبرنا الشيخ أبو زرعة
إجازة عن أبي بكر
ابن خلف إجازة عن
السلمي قال سمعت
حسين بن أحمد بن
جعفر يقول سمعت
أبا بكر السكتاني يقول
التصوف خلق فن
زاد عليك الخلق زاد
عليك بالتصوف فالعباد
أجاب قوسهم إلى
الأعمال لأنهم يسلكون
بنور الاسلام والزهاد
أجاب قوسهم إلى بعض
الأخلاق لكونهم
سلكوا بنور الإيمان
والصوفية أهل القرب
سلكوا بنور الاحسان
فلا يشر بواطن أهل

وكان اسم حمارة ينفور واسم شاته التي شرب لبنها عينة (١) وكان له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويشرب منها (٢) فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يذفون عنه فاذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ويبتغون بذلك البركة .

(بيان عقوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة)

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٣) وأزهدهم في الفو مع القدرة حتى أن بقلاد من ذهب وقصة قسمها بين أصحابه قام رجل من أهل البادية قال يا محمد والله لئن أمر الله أن تعدل لأرأى تعدل فقال ويحك فمن يعدل عليك بعدى فلما قال ردوه على روي جابر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم خير من فضة في ثوب بلال قال له رجل يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك فمن يعدل إذا لم اعدل قد خبت إذن وخسرت إن كنت لأعدل أقام عمر فقال ألا أشرب عتقه فاته منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي (٤) » وكان رسول الله ﷺ في حرب قرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يملك مني فقال الله قال فمقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال من يملك مني فقال كن خير أخذ قال قل أشهد أن لا إله إلا الله وآتي رسول الله فقال لا غير أني لأقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك غلى سبيله فجاء أصحابه فقال جئكم من عند خير الناس (٥) » وروى أنس « أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت قتلك فقال

له أسأله وقد تقدم في حديث ابن عباس أنه كانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قسي: قوس اسمها الروحاء وقوس شوخط تدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء من سبع (١) حديث كان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها الضياء واسم بنته الدلدل واسم حمارة ينفور واسم شاته التي شرب لبنها عينة تقدم بضعه من حديث ابن عباس عند الطبراني والبخاري من حديث أنس كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقه يقال لها الضياء وللمسلم من حديث جابر في حجة الوداع ثم ركب القصواء وله من حديث علي : ناقته القصواء وبنته دلدل وحمارة غفيرة الحديث وروياته في فوائد ابن الدحداح فقال حمارة ينفور وفيه شاته بركة وخ من حديث معاذ كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمارة يقال له غفيرة ولابن سعد في الطبقات من رواية إبراهيم بن عبد الله من ولده عتبة بن غزوان كانت منافع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتميم: عجوزة وزمزم وسقيا وبركة وورشة وإهلال وأطراف وفي سننه الواقدي وله من رواية مكحول مرسلات كانت له شاة تسمى قر (٢) حديث كانت له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويشرب منها الحديث لم أقف له على أصل .

(بيان عقوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة)

(٣) حديث كان أحلم الناس تقدم (٤) حديث أني بقلاد من ذهب وقصة قسمها بين أصحابه الحديث أبو الشيخ من حديث ابن عمر باسناد جيد (٥) حديث جابر أنه كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا نبي الله اعدل الحديث روام (٦) حديث كان في حرب فروى في المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف الحديث متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو في مسند أحمد أقرب إلى لفظ الصنف وصلى الرجل غورث بن الحارث .

القرب والصوفية نور
اليقين وتواصل في
بواطنهم ذلك اصلح
القلب بكل أرجائه
وجوانبه لأن القلب
يبيض بوضه بنور
الاسلام وبضه بنور
الايمان وكله بنور
الاحسان والايقان فاذا
ايض القلب وتور
انفكس نوره على
النفس وقلب وجه
إلى النفس ووجه إلى
الروح وللنفس وجه
إلى القلب ووجه إلى
الطبع والفرقة والقلب
إذ لم يبيض كله لم
يتوجه إلى الروح بكلمه
ويكون ذا وجهين
وجه إلى الروح ووجه

ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا أفلا شئنا فقال لا ^(١) وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحلّ القيد فوجد لذلك خفة وماذ كرك ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط ^(٢) وقال على رضى الله عنه «بشئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير وللقناد قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظمينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقا حتى أتيا روضة خاخ فقلنا أخرجى الكتاب فقالت مامى من كتاب قتلنا التخرجن الكتاب أو لنزعن الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فلذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من الشركين بمكة فغرم أمرا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يحاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تمجل على إني كنت أمرا ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يمحون أهلهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب منهم أن أخضع فيهم يدا يمحون بها قرابتي ولم أقبل ذلك كغزوا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ولا ارتدادا عن ديني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه صدقكم فقال عمر رضى الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ^(٣) . وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة قال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال: «رحم الله أخى موسى قد أودى بأكثر من هذا فصر ^(٤)» وكان صلى الله عليه وسلم يقول «لا يلغى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر ^(٥)» .

(بيان إغصائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يبرق في وجهه غضبه ورضاه ^(٦) وكان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية الكريمة ^(٧) وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه ^(٨) يعني الصفة ، وبأل أعراي في السجد بعضرتة فهم به السجادة قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة الحديث رواه وهو عنده من حديث أبي هريرة (٢) حديث سحره رجل من اليهود فأخبره جبريل بذلك حتى استخرجه الحديث ن بإسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره في الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر (٣) حديث على بن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير وللقناد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ الحديث متفق عليه (٤) حديث قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة قال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث لا يلغى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر دت من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه .

(بيان إغصائه صلى الله عليه وسلم عما يكرهه)

(٦) حديث كان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يبرق في وجهه غضبه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبرق غضبه بوجهه الحديث وقد تقدم .

(٧) حديث كان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية الكريمة الحديث وقد تقدم أبو الشيخ من حديث عائشة بإسناد حسن (٨) حديث كان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفة فكرهها فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه يعني الصفة دت في التائل ون في اليوم واليلة من حديث أبي مسعود .

إلى النفس فاذا ابيض كله توجه إلى الروح بكفه فيتداركه مدد الروح ويزداد إشراقا وتورا وكلما انجذب القلب إلى الروح انجذبت النفس إلى القلب وكلما انجذبت توجهت إلى القلب بوجهها الذي يليه وتور النفس لتوجهها إلى القلب بوجهها الذي يلي القلب وعلامة تنورها طمأنينتها قال الله تعالى - يا أيها

«لا تزموه» أى لا تقطعوا عليه البول ثم قال له «إن هذه الساجد لاتصلح لى» من التقذر والبول والحلاء (١) وفي رواية قريوا ولا تقربوا وجاءه أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت قال فتنضب للسلون وقاموا إليه فأشار إليهم أن يكفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده عيثا ثم قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي نفس أمهاني شيء من ذلك فإن أحببت قل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى ينهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد أو المشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى كذلك فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم : إن مثل ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقه شردت عليه فاتبها الناس فلم يزدوها إلا قورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فأني أرفق بها وأعلم فتوجه لمصاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قلام الأرض فردها هونا هونا حتى جاءت واستأخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فتنتموه دخل النار (٢)

(بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخام وكان في شهر رمضان كالريح للرسل لا عكس شيئا (٣) وكان على رضى الله عنه إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس وكفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لمجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بدمية هابه ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله (٤) وما سئل عن شيء قط على الإسلام إلا أعطاه (٥) وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنا صدت ما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة وماسئل شيئا قط فقال لا (٦) وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضها على حصير ثم قام إليها قسمها لما رد سائلا حتى فرغ منها (٧) وجاءه رجل فسأله

(١) حديث بالأعرابي في السجد بحضرته فقال صلى الله عليه وسلم لا تزموه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث جاءه أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أحسنت إليك فقال الأعرابي لا ولا أجملت الحديث بطوله البراز وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أجود الناس وأسخام في شهر رمضان كالريح للشيخان من حديث أنس كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس ولما من حديث ابن عباس كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان وفيه فإذا تليه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة (٤) حديث كان على إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس وكفا وأجرأ الناس صدرا الحديث رواه ت وقال ليس إسناده متصل (٥) حديث ماسئل شيئا قط على الإسلام إلا أعطاه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث ماسئل شيئا قط فقال لا متفق عليه من حديث جابر (٧) حديث حمل إليه تسعون ألف درهم فوضها على حصير ثم قال إليها قسمها لما رد سائلا حتى فرغ منها أبو الحسن ابن الضحاك في التباين من حديث الحسن مرسل أن رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين فمانون أقام لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله يومئذ أحد إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يسط ما سكتا فقال له عباس الحديث والبخاري متباين من حديث أنس أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لما كان يرى أحدا إلا أعطاه

النفس للطمشة ارجى
إلى ربك راضية
مرضيت وتروى وجهها
الذى إلى القلب بشابة
نورانية أحد وجهي
الصف لا كسباب
النورانية من اللؤلؤ
وبقاء شيء من الظلمة
على النفس لنفسية
وجهها الذى على
الفرقة والطبع بكفاء
ظاهر الصف على
ضرب من الكدر
والنقصان عنافا
لورانية باطنه وإذا

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا في علو منصبه (١) قال ابن عامر رأيت يرمى الجمرة على ناقه شيهاء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك (٢) وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف (٣) وكان يهود للريش ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك (٤) ويخفف النمل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع أهله فيستمع أهل بيته حاجتهم (٥) وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك (٦) وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وأتى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيئته فقال له هون عليك فلست بمملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد (٨) وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي التريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه التريب فنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه (٩) وقالت له عائشة رضي الله عنها كل جلتي الله فذلك مستكنا فانه أهون عليك قال فأضنى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهة الأرض ثم قال بل أكل كما يأكل البسد وأجلس كما يجلس البسد (١٠) وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى (١١) وكان لا يدعو أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال ليك (١٢) وكان إذا جلس مع الناس إن تسكعوا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وإن تسكعوا في الدنيا تحدث معهم رقابهم وتواضعا لهم (١٣) وكانوا يتشاهدون الشرعيين يديه

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا في علو منصبه أبو الحسن بن الفضال في الكمال من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل في صفة قال فيه متواضع في غير مذلة وإسناده ضعيف (٢) حديث قال ابن عامر رأيت يرمى الجمرة على ناقه شيهاء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ت ن ه من حديث قدمه ابن عبد الله بن عمار قال ت حسن صحيح وفي كتاب أبي الشيخ قدمه ابن عبد الله بن عامر كما ذكره للصف (٣) حديث كان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف متفق عليه من حديث أسامة بن زيد (٤) حديث كان يهود للريش ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ت وصفه ولك وصح إسناده من حديث أنس وتقدم متقطعا (٥) حديث كان يخفف النمل ويرقع الثوب ويصنع في بيته مع أهله في حاجته هو في للسند من حديث عائشة وقد تقدم في أوائل آداب العيشة (٦) حديث كان أصحابه لا يقومون له لما يظفون من كراهته لذلك هو عند ت من حديث أنس وصحه وتقدم في آداب الصحبة (٧) حديث كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم متفق عليهم حديث أنس وتقدم في آداب الصحبة (٨) حديث أتى برجل فأرعد من هيئته فقال هون الله عليك فلست بمملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد لك من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي التريب فلا يدرى أيهم هو الحديث د ن من حديث أبي هريرة وأبذر وقد تقدم (١٠) حديث قالت عائشة كل جلتي الله فذلك مستكنا فانه أهون عليك الحديث أبو الشيخ من رواية عبيد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف (١١) حديث كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق الله غ من حديث أنس وتقدم في آداب الأكل (١٢) حديث وكان لا يدعو أحد من أصحابه ولا من غيرهم إلا قال ليك أبو نعم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان متهم بالكذب ولا طبراني في الكبير بإسناد جيد من حديث محمد بن حاطب في أثناء حديث أن أمة قالت يا رسول الله فقال ليك وسعدك الحديث (١٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع الناس إن تسكعوا في معنى

سهل بن عبد الله
الستري القلب كالمرش
والصدر كالكرسي
وقد ورد عن الله تعالى
« لا يسعني أرضي ولا
مائي ويسعني قلب
عبدى للؤمن » فإذا
اكتحل القلب بنور
ذكر القات وصار
بحرا مواجا من نهات
القرب جرى في جداول
أخلاق النفس صفاء
النعمت والصفات
وتحقق التخلق بأخلاق
الله تعالى . حكى عن

أحيانا ويدكرون أشياء من أمر الجاهلية وضحكون فيقسم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام (١) .

(بيان صورته وخلقه صلى الله عليه وسلم)

كان من صفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير للتردد بل كان ينسب إلى الرمية إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن يمشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما اكتشفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا رآه نسباً إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الرمية ويقول صلى الله عليه وسلم « جعل الخير كله في الرمية » (٢) وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالأدم ولا بالشديد البياض والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان ، ونفته عنه أبو طالب قال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (٣)

ونفته بعضهم بأنه مشرب بعمرة قالوا إنما كان الشرب منه بالحرة مظهر لشمس والرياح كالوجه والرقبة والأزهر الصافي عن الحرة ما تحت الثياب منه وكان عرقه ^{يخرج} في وجهه كالؤلؤ أطيب من السك الأذفر وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنة ليس بالسبط ولا الجمد القطط وكان إذا مشطه بالمشط يأتي كأنه حيك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه وأكثروا رواية أنه كان إلى شحمة أذنيه وربما جعله غداً أرباً مخرج كل أذن من بين غدريتين وربما جعل شعره على أذنيه قبض سواقه تتلألاً وكان شيء في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة مازاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس

أمر الآخرة أخذهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم الحديث ت في الثمائل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب وفيه سليمان بن خازنة عنه الوليد بن أبي الوليد وذكره ابن جابر في الثقات (١) حديث كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويدكرون أشياء من أمر الجاهلية الحديث م من حديث جابر بن سمرة دون قوله ولا يزجرهم إلا عن حرام .

(بيان صورته صلى الله عليه وسلم)

(٢) حديث كان من صفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير للتردد الحديث بطوله أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة زيادة وهسان دون شعر أبي طالب الآتي ودون قوله وربما جعل شعره على أذنيه قبض سواقه تتلألاً ودون قوله وربما كان واسع الجبهة إلى قوله وكان سهل الحدين وفيه صبيح بن عبد الله القرطبي منكر الحديث قاله الخطيب في الصحيحين من حديث البراء له شعر يبلغ شحمة أذنيه و د ت وحسنه و ه من حديث أم هانئ قدم إلى مكوكه أربع غداً وت من حديث علي في صفته صلى الله عليه وسلم أدعج العينين أهدب الأشفار الحديث وقال ليس إسناده متصل له في الثمائل من حديث ابن أبي هالة أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أرقى الرنين له نور يعلوه يحبه من لم يتأمله أشم كثر اللحية سهل الحدين ضليع الفم مفلج الأسنان الحديث (٣) حديث نفته عنه أبو طالب قال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ذكره ابن إسحاق في السيرة وفي السند عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر بنحوه قال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه علي بن زيد بن جعدان مختلف فيه وخ تملقاً من حديث ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستقي لما ينزل حتى يحبس كل ميزاب . فائدة وقد وصله بإسناد صحيح

الشيخ أبي طي
القارمى أنه حكى
عن شيخه أبي القاسم
السكراني أنه قال إن
الأسماء التسعة
والثماني تصير أوصافاً
للعبد السالك وهو يمد
في السلوك غير واصل
ويكون الشيخ عن
بهذا أن العبد يأخذ
من كل اسم وصفاً يلائم
صفه حال البشر
وقصوره مثل أن يأخذ
من اسم الله تعالى
الرحيم معنى من الرحمة

وجهاً وأتورم لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمريّة البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لسماء بسترته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول :

أَمِين مصطفىً للخير يدعو كضوء البدر زايه الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة أزج الحاجبين سابينهما وكان أبلغ ما بين الحاجبين كأن ما بينهما القضة المخلصة وكانت عيناه تهللواوين أدجميهما وكان في عينيه تميز من حمرة وكان أهدب الأخفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان أفتى العينين : أى مستوى الأنف وكان مفلج الأسنان : أى متفرقها وكان إذا افتح ضاحكا افتح عن مثل سنا البرق إذا تلاولا وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم ، وكان سهل الحدين صلبيهما ليس بالطويل الوجه ولا للكلام كث اللحية وكان يعنى لحيته ويأخذ من شاربه وكان أحسن عباد الله عفا لا ينسب إلى الطول وإلى الإل الطسر مظهر من عفته للشمس والرياح فكان أنه إبريق قضة مشرب ذهبيا يتلاولا في رياض الفضة وفي حمرة اللذهب ، وكان صلى

على قدر قصور البشر
وكل إشارات للشايع
في الأسماء والصفات
التي هي أعز علومهم
على هذا المعنى والتفسير
وكل من توم بذلك شيئا
من الحلول تزدني
والحمد وقد أوصى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم معاذ
بوصية جامعة لمحاسن
الأخلاق فقال له « يا معاذ
أوصيك بتقوى الله
وصديق الحديث والوفاء
بالعهد وأداء الأمانة

الله عليه وسلم عريض الصدر لا يمدو خم بعض بدنه بهذا كالمراة في استوائها وكالقمر في ياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر متقاد كالقضب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلاث يغطي الأزار منها واحدة ويظهر اثنتان ، وكان عظيم للتكبير أشعرهما ضخم الكراديس : أى رهوس العظام من للتكبير وللرقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلى منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس وكان عبل الصددين والذراعين طويل الزندين رجب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان القضة كفه ألين من الخبز كأن كفه كف عطار طيبا مسبا بطيب أولم يمسها يصاغه الصانع فيظل يومه يجد ربحها ويضع يده في رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بربها على رأسه وكان عبل ماتحت الأزار من الفخذين والساق وكان متدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان له مناسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن . وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صلب يخطو تكفيا ويمشى الهوى بشير يمتخر والهوى تقارب الخطا وكان عليه الصلاة والسلام يقول « أنا أشبه الناس بأدم صلى الله عليه وسلم وكان ابن إبراهيم صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بنى خلفا وخلقا » وكان يقول « إن لى عند ربى عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الناصر الذى يدعو الله إلى الكفر وأنا الماتب الذى ليس بعده أحد وأنا الحاشر عشر الله الباد على قدمى وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول اللامح ولتلقى قبيح الناس جميعا وأنا ثم ^(١) قال أبو البحتري : والقسم الكامل الجامع ، والله أعلم .

(١) حديث إن لى عند ربى عشرة أسماء الحديث ابن عدى من حديث على وجار وأسماء بن زيد وابن عباس وعائشة إسناده متصفيه ولأبى نعيم فى الدلائل من حديث أبى الطليل لى عند ربى عشرة أسماء قال أبو الطليل حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة وهم وذكر سيف بن وهب أن أبا جعفر قال إن الأسماء مة ويس وإسناده ضعيف وفى الصحيحين من حديث جبير بن مطعم لى أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا الناصر وأنا الماتب والمسلم من حديث أبى موسى ولتلقى ونبى التوبة ونبى الرحمة وأحمد من حديث حذيفة ونبى اللامح وسعد صحيح .

(بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه)

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى سماع أخباره للشمعة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعادته وسجاياه ومياسته لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده بإمام إلى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضائق الأسئلة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق وعلمه من إشاراته في تفصيل ظواهر الشرع الذى يجيز الفقهاء والعلماء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحجة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستعداد من تأييد سماوى وقوة الهيبة وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت معالته وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى إن العربى القح كان يراه فيقول : والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائه فكيف من شاهد أخلاقه وعلوس أحواله في جميع مصادره وموارده وإنما أوردنا بعض أخلاقه لنعرف محاسن الأخلاق ولتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله إذ أتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمى لم يعارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب عالم ولم يزل بين أظهر الجبال من الأعراب يتبنا ضيفاً مستضفاً فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالغ الفقه مثلاً فقط دون غيره من العلوم فضلاً عن معرفة الله تعالى ولامتناكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل ، فلنذكر من جملة ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله العادة على يده غير مرة ، إذ شق له القمر بمكة لما سأله قريش آية ^(١) وأطمع النفر الكثير في منزل جابر ^(٢) وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق ^(٣) ومرة أطمع ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق ^(٤) وهو من أولاد اللز فوق العتود ومرة أكثر من ثمانين رجلاً من أقراس شعير حملها أنس في يده ^(٥) ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ^(٦) ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل السكر كلهم وهم عطاش وتوضئوا من قدح صغير ضاق عن أن ييسط عليه السلام يده فيه ^(٧)

(بيان معجزاته)

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس (٢) حديث إطعام النفر الكثير في منزل جابر متفق عليه من حديثه (٣) حديث إطعامه النفر الكثير في منزل أبي طلحة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث إطعامه ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق الإمام علي في صحيحه ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلثمائة وهو عند خذون ذكر المدد وفي رواية أبي نعيم في دلائل النبوة وهم ألف (٥) حديث إطعامه أكثر من ثمانين رجلاً من أقراس شعير حملها أنس في يده من حديث أنس وفيه حتى فعل ذلك ثمانين رجلاً ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤراً وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل حتى أكل منه بضع وثمانون رجلاً وهو متفق عليه بلفظ والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً (٦) حديث إطعامه أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها الحديث البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق: حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعد وإسناده جيد (٧) حديث نبع الماء من بين أصابعه فشرب أهل السكر وهم عطاش وتوضئوا الحديث متفق عليه

وترك الحيانة وحفظ
الجوار ورحمة اليتيم
ولين الكلام وبذل
السلام وحسن العمل
وقصر الأمل ولزوم
الإيمان والتفقه في
القرآن وحسب الآخرة
والجزع من الحساب
وخفض الجناح وإياك
أن تسب حلياً أو
تكذب صادقة أو تطمع
آثماً أو تسعى إماماً
عادلاً أو تضمد أرضاً
أو صيك بانقاء الله عند
كل حجر وشجر ومدر

وأهراق عليه السلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ، ومرة أخرى في بئر الحديبية فهاشأ بالماء ضرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رويوا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسة مائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء (١) وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربع مائة قرا كب من تمر كان في اجتماعه كربة البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي منه فحبسه (٢) ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - (٣) وأبطل الله تعالى الكهانة ببعثه ﷺ فدمت وكانت ظاهرة موجودة (٤) وحن الجذع الذي كان يخطف إليه لما عمل له للبر حتى صرع منه جميع أصحابه مثل صوت الإبل فصره إليه فسكن (٥) ودعا اليهود إلى تمى اللوث وأخبرهم بأنهم لا يمتنونه فجعل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه (٦) وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الاسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهرا تظلمة الآية التي فيها وأخبر عليه السلام بالنيوب وأذعر عثمان بأن تصبيه بلوى بعدها الجنة (٧) وبأن عمارا تقتله الفئة الباغية (٨) وأن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين (٩)

من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط ولأن نعيم من حديثه خرج إلى قبا فأتى من بعض يومهم بقدر صغير وفيه ثم قال هلم إلى الشرب قال أنس بصري نبيع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدر حتى رويوا منه وإسناده جيد ولابزار واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس كان في سفر فشكا أصحابه العطش فقال اتنوني بماء فأتوه باناء فيه ماء فوضع يده في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه الحديث (١) حديث إهراق وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر الحديبية فهاشأ بالماء الحديث م من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية وفيه فاما دعا وإما يبق فيها فهاشأ الحديث وللبخاري من حديث البراء أنه توسأ وصبه فيها وفي الحديثين معا أنهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند مخ من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر ، وقال البيهقي إنه الأصح ولهما من حديثه أيضا ألف وخمسة مائة وسلم من حديث ابن أبي أوفى ألف وثلاثمائة (٢) حديث أمر عمر أن يزود أربع مائة قرا كب من تمر كان في اجتماعه كربة البعير الحديث أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث دكين بن سعيد بإسنادين صحيحين وأصل حديث دكين عند أبي داود مختصرا من غير بيان لعدد (٣) حديث رمية الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم الحديث م من حديث سلمة بن الأكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس (٤) حديث إبطال الكهانة ببعثه الخرافة من حديث مرداس بن قيس الدوسي قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرتم عنده الكهنة وما كان من تغييرها عند مخرجه الحديث ولأن نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم فدا بئ محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالجوم وأصله عند مخ بغير هذا السياق (٥) حديث حنين الجذع مخ من حديث جابر وسهل بن سعد (٦) حديث دعا اليهود إلى تمى اللوث وأخبرهم بأنهم لا يمتنونه الحديث مخ من حديث ابن عباس لو أن اليهود تنوت اللوث لما تنوا الحديث وللبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فعمات مكانه فأبوا أن يفعلوا الحديث وإسناده ضعيف (٧) حديث إخباره بأن عثمان تصبيه بلوى بعدها الجنة متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري (٨) حديث إخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية م من حديث أبي قتادة وأم سلمة ومخ من حديث أبي سعيد (٩) حديث إخباره أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين مخ من حديث أبي بكر .

وأن تحدث لكل ذنب
نوبة السر بالسر
والصلانية بالصلانية
بذلك أدب الله عباده
ودعاهم إلى مسكهم
الأخلاق ومحاسن
الآداب . وروى معاذ
أيضا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
حلف الاسلام بكلام
الأخلاق ومحاسن
الآداب ، أخبرنا الشيخ
العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي
استاذنا المتقدم إلى

وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله أنعم الله أهل النار^(١) فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف ألبتة شيء من وجوه قدمت للرفقة بها لا ينجوم ولا يكشف ولا يخط ولا يجرز لكن بإعلام الله تعالى له ووحيه إليه ، واتبه سراق بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض واتبه دخان حتى استغاثه فغطا له فانطلق الفرس وأنشده بأن سيوضع في فذراعي سوارا كسرى^(٢) فكان كذلك وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلته وهو بسنماء الجين وأخبر بن قتله^(٣) وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه^(٤) وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له^(٥) وقال لفر من أصحابه مجتمعين أحكم في النازر سره مثل أحد فماتوا كلهم على استقامته وارتد منهم واحد قتل مرتدا^(٦) وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات^(٧) ودعا شجرين فأتياه واجتمعا ثم أمرهما فارتقا وكان عليه السلام نحو الربة فافا مشى مع الطوال طالم^(٨) ودعا عليه السلام النصارى إلى البهاة فامتوا فصرهم صلى الله عليه وسلم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا ففعلوا صحة قوله فامتوا^(٩) وأما عامر بن الطفيل بن مالك وأريد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحبل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بيده وهلك ر بدب ساعة أحرقت^(١٠) وأخبر عليه السلام

الترمذي رحمه الله قال
أنا أبو حنيفة قال
حدثنا قيس بن الليث
عن مطرف عن عطاء
عن أم الدرداء عن أبي
الدرداء قال: سمعت النبي
عليه السلام يقول
« ما من شيء يوضع في
البران أقل من حسن
الحاق وإن صاحب
حسن الحلق ليبلغ به
درجة صاحب الصوم
والصلاة » وقد كان من

(١) حديث إخباره عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد (٢) حديث اتباع سراق بن مالك له في قصة الحجر فساخت قدما فرسه في الأرض الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق (٣) حديث إخباره بمقتل الأسود العنسي ليلته وهو بسنماء الجين ومن قتله وهو مذكور في السير والذي قتله في رواة الديلمي وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأمعن شأنهما فأوحى إلي في المنام أن اغضهما فغضتهما فطارا فتأولتهما كذابين يخرجان بعدي فكان أحدهما العنسي صاحب صنعة الحديث (٤) حديث خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه ابن مردويه بسند ضيف من حديث ابن عباس وليس فيه أنهم كانوا مائة وكذلك رواه ابن إسحاق من حديث محمد بن كعب القرظي مرسل (٥) حديث شكا إليه البعير وتذلل له من حديث عبد الله بن جعفر في أثناء حديث وفيه فانه شكا إلى إنك نجيمه وتديه وأول الحديث عدم دون ذكر قصة البعير (٦) حديث قال لفر من أصحابه أحكم فرسه في النار مثل أحد الحديث ذكره الدارقطني في المؤلف والمختلف من حديث أبي هريرة بنير اسناد في ترجمة الرجال ابن عثرة وهو الذي ارتدوه وهو الجهم وذكروه عبد الله بن الجهم وسبقه إلى ذلك الواقدي وللدائني والأول أصح وأكثر كما ذكره الدارقطني وابن ماكولا ووصله الطبراني من حديث رافع بن خديج بلفظ أحد هؤلاء نفر في النار وفي الواقدي عن عبد الله بن نوح متروك (٧) حديث قال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عثرة وفي رواية البيهقي أن آخرهم موتا فمات من جندب لم يذكر أنه احترق ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة نحوه ورواه ثقات وقال ابن عبد البر إنه سقط في قدر مملوء ماء حارا فمات وروى ذلك بإسناد متصل إلا أن فيعداود بن الجهم وقد ضعفه الجمهور (٨) حديث دعا شجرين فأتياه فاجتمعا ثم أمرهما فارتقا أحدهم من حديث علي بن مرة بسند صحيح (٩) حديث دعا النصارى إلى البهاة وأخبر إن فعلوا ذلك هلكوا فامتوا من حديث ابن عباس في أثناء حديث ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجوا لا يجدون مالا ولا أهلا (١٠) حديث أتاها عامر بن الطفيل بن مالك وأريد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله

أنه يقتل أبي بن خلف الجحى غدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه (١) وأطمع عليه الصلاة والسلام السم فأتى أكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين وكله الدراع للسموم (٢) وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع ضايد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الوضع (٣) وأنفذ عليه السلام بأن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك (٤) وزويت له الأرض فأرى مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيلغ حازوى لها فسكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أول الشرق من بلاد الترك إلى آخر الغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يتسوا في الجنوب ولا في الشمال كأخبر صلى الله عليه وسلم سواه بسواه (٥) وأخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها بأنها أول أهله لحاقا به (٦) فكان كذلك وأخبر نساءه بأن أطولهن مدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأصبية أطولهن مدا بالصدقة وأولهن لحوقا برضى الله عنها (٧) ومسح ضرع شاة حائل لآلبن لها فدرت (٨) وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضى الله عنه وقيل ذلك مرة أخرى في خيمة أم عبد الحزاعة وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت أسرع عينيه وأحسنهما (٩) وقيل في عين على رضى الله عنه وهو أرمذ يوم خير فضح من وقته وبشه بالرابية (١٠) وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم (١١) وأصابت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرأت من جنبها (١٢) وقيل زاد جيش كان معه عليه السلام فدا بجميع ما بقى فجمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم أرممها فأخضوا فلم يبق وعاء لحيل بينهما وبين ذلك الحديث طب في الأوسط والأكر من حديث ابن عباس بطوله بسندلين (١) حديث إخباره أنه يقتل أبي بن خلف الجحى غدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته البهيقي في دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسل (٢) حديث إنه أطمع السم فأتى الذي أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين وكله الدراع للسموم د من حديث جابر في رواية له مرسلة أن الذي مات بشر بن البراء وفي الصحيحين من حديث أنس أن يهودية أمت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها الحديث وفيه لما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) حديث إخباره صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمصارع ضايد قريش الحديث م من حديث عمر بن الخطاب (٤) حديث إخباره بأن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك متفق عليه من حديث أم حرام (٥) حديث زويت له الأرض مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمته سيلغ مازوى له منها الحديث م من حديث عائشة وفاطمة أيضا (٦) حديث إخباره فاطمة أنها أول أهله لحاقا به متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا (٧) حديث أخبر نساءه بأن أطولهن مدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأصبية أطولهن مدا بالصدقة كانت أولهن لحوقا به قال ابن الجوزى وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك (٨) حديث مسح ضرع شاة حائل لآلبن لها فدرت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود أحمد من حديث ابن مسعود بإسناد جيد (٩) حديث ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها فكانت أسرع عينيه وأحسنهما أبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذي سقطت عنه في رواية للبرقي أنه كان يدر في رواية أي نعم أنه كان يأخذ وفي إسناده اضطراب وكذا رواه البيهقي فيمن حديث أبي سعيد الخدري (١٠) حديث تفل في عين على وهو أرمذ يوم خير فضح من وقته وبشه بالرابية متفق عليه من حديث على ومن حديث سهل بن سعد أيضا (١١) حديث كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه م من حديث ابن مسعود (١٢) حديث أصابت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرأت من جنبها م في قصة قتلى أبي رافع .

أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد من يعطيه ، ودأبه الليل لا يأوى إلى منزله حتى يرى أمته ولا ينال من الدنيا وأكثر قوت عامه من أيسر ما يجد من الفرو والشعر ويضع ماعدا ذلك في سبيل الله لا يسئل شيئا إلا يعطى

في العسكر إلا ملي من ذلك^(١) وحكى الحكم بن العاص بن وائل [١] مشية عليه السلام مستهزأ فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكأن قلم يزل يرتقى حتى مات^(٢) وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها إن بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلنكن كذلك^(٣) فبرصت وهي أم هانئ بن البرصاء الشاعر إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وإنما اقتصرنا على المستفيض ومن يستريب في انحراف العادة على يده وزعم أن أحاد هذه الوقائع لم تنقل تواترا بل التواتر هو القرآن قطك كن يستريب في عجاوبة على رضى الله عنه وسخاوة حاتم الطائي ومعلوم أن أحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ثم لا يشك في تواتر القرآن وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لشيء معجزة باقية سواء عليه السلام إذ تعهدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ معلومة بألاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادى بين أظهرهم أن يأتوا بثله أو بجزر سور مثله أو بسورة من مثله إن شكوا فيه وقال لهم - قل لأن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بثله هذا القرآن لا يأتون بثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا - وقال ذلك تعجبا لهم فجزوا عن ذلك وعرضوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذرائعهم للبي وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزائه وحسنه ثم انقصر ذلك بعده في أنظار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد اقترض اليوم قريب من خمس المئنة فلم يقدر أحد على معارضته فأعظم فباوة من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في أنظار العالم ثم في إذهاب ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويشهه يتمسارى بعد ذلك في صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدق به واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمنه وسعة جوده . ثم كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه ، ويتلوه كتاب شرح عجائب القلب من ربح للهكتات إن شاء الله تعالى .

ثم يسود إلى قوت
عنه فيؤثر منه حتى
وما احتاج قبل انقضاء
العالم . وكان يخصف
النمل ويرقع الثوب
ويخدم في مهنة أهله
ويقطع اللحم مهيئ .
وكان أشد الناس
حياء وأكثرهم تواضعا
فصلوات الرحمن عليه
وعلى آله وأصحابه
أجمعين .

(١) حديث قل زاد جيش كان معه فدعا بما بقي فاجتمع شيء يسير فدعا فيه بالبركة الحديث متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع (٢) حديث حكى الحكم بن العاص مشية مستهزأ به فقال فكذلك كنى الحديث البيهقي في الدلائل من حديث هناد بن خديج صحيحه إسناده جيد ولحقه كفى المستدرک من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الاسناد . [٢] حديث يد طلحة لما أزال ما كان بها من شلل أصابها يوم أحد حين مسحها بيده من حديث جابر لما كان يوم أحد وفيه قتال طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حسن وليس فيه أنه مسحها وللبخاري من حديث قيس رأيت يد طلحة شلاء وفي بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد (٣) حديث خطب امرأة قال أبوها إن بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال فلنكن كذلك فبرصت المرأة ذكرها ابن الجوزي في التلخيص ومما هجرة بنت الحارث ابن عوف الزبي وبنيته على ذلك السيلاطي في جزء له في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح ذلك .

[١] قوله الحكم بن العاص بن وائل هكذا في النسخ وصوابه كما في الشارح الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس [٢] قول العراقي حديث يد طلحة الخ لم يكن بنسختنا ولا بنسخة الشارح وأبنتناه بها للأصل فليتنظر .

[قد تم بحون الله وحسن توفيقه طبع : الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين
وبليه : الجزء الثالث إن شاء الله تعالى . وأوله كتاب شرح عجائب القلب]

فهرس الجزء الثاني

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالي

صفحة

صفحة

٦٢ (كتاب آداب الكسب والمعيش)

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات
٦٣ (الباب الأول في فصل الكسب والحش عليه)
٦٤ (الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع الخ
وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات
التي هي مدار الكسب في الشرع)

(القد الأول البيع)

٧٠ (القد الثاني عقد الربا)

٧١ (القد الثالث السلم)

٧٢ (القد الرابع الإجارة)

٧٣ (القد الخامس القراض)

(القد السادس الشراكة)

٧٤ (الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم
في المعاملة)

القسم الأول فيها يتم ضرره وهو أنواع

٧٦ القسم الثاني ما يخص ضرره للعامل

٨٠ (الباب الرابع في الاحسان في المعاملة)

٨٤ (الباب الخامس في شقة التاجر على دينه

فيما يخص ويم آخرته)

٨٨ (كتاب الحلال والحرام)

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات

(الباب الأول في فضيلة الحلال ومصلحة

الحرام وبيان أصناف الحلال ودرجاته

وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه)

فضيلة الحلال ومصلحة الحرام

٩٣ أصناف الحلال ومداخله

القسم الأول الحرام لصفة في عينه الخ

٩٤ القسم الثاني ما يحرم لخلل في جهة إثبات

البد عليه

٢ (كتاب آداب الأكل)

وهو الأول من ربيع العادات

٣ (الباب الأول فيها لا بد للفرد منه وهو ثلاثة

أقسام: قسم قبل الأكل ، وقسم مع الأكل ،

وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول في الآداب التي تقدم على

الأكل وهي سبعة

٥ القسم الثاني في آداب حالة الأكل

٦ القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام

٧ (الباب الثاني فيها يزيد بسبب الاجتماع

وللمشاركة في الأكل وهي سبعة)

٨ (الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى

الإخوان الزرين)

١٢ (الباب الرابع في آداب الضيافة)

١٩ فصل يجمع آداب ما هي طيبة وشرعية منفردة

٢١ (كتاب آداب النكاح)

وهو الكتاب الثاني من ربيع العادات

٢٢ (الباب الأول في الترفيب في النكاح

والترفيب عنه)

الترفيب في النكاح

٢٤ ما جاء في الترفيب عن النكاح

٢٥ آفات النكاح وفوائده

٣٧ (الباب الثاني فيها يراعى حالة المتقدمين أحوال

المرأة وشروط القد)

٤٣ (الباب الثالث في آداب للماتمة وما يجري

في دوام النكاح والنظر فيها على الزوج

وفها على الزوجة)

٥٨ القسم الثاني من هذا الباب النظر في

حقوق الزوج عليها

صفحة	صفحة
١٥٥ (الباب الأول في فضيلة لألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)	٩٥ درجات الحلال والحرام
١٥٩ بيان معنى الأخوة في الله وتغييرها من الأخوة في الدنيا	٩٦ أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا
١٦٤ بيان البغض في الله	٩٩ (الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثارها وتغييرها عن الحلال والحرام)
١٦٦ بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم	١٠٠ للشار الأول الشك في السبب المحال والمحرم
١٦٨ بيان الصفات الشروطة فيمن تختار محبته	١٠٣ للشار الثاني لشبهة عك منسوبة الاختلاط
١٧٠ (الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة)	١١٠ للشار الثالث لشبهة أن يتصل بالسبب المحال محبة
١٧١ الحق الأول في المال	١١٥ للشار الرابع في الاختلاف في الأدلة
١٧٢ الحق الثاني في الإحسان بالنفس الخ	١١٨ (الباب الثالث في البحث والسؤال والمجوب والإجمال ومطابها)
١٧٤ الحق الثالث في اللسان بالسكوت الخ	١٢١ للشار الثاني ما يستند التشكيك إلى سبب المال لا في حال المالك
١٧٨ الحق الرابع على اللسان بالناطق	١٢٧ (الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية وفيه نظران)
١٨١ الحق الخامس المفعوع من الزلات والمفعوات	النظر الأول في كيفية التمييز والاخراج
١٨٣ الحق السادس الدعاء للأخ في حياته الخ	١٢٩ النظر الثاني في المصرف
١٨٤ الحق السابع الوفاء والإخلاص	١٣٣ (الباب الخامس في إدارات السلاطين
١٨٦ الحق الثامن التخييف وترك التكليف الخ	وصلاهم وما يحل منها وما يحرم وفيه نظران)
١٨٩ (خاتمة) لهذا الباب نذكر فيها جملة الخ	١٣٤ النظر الأول في جهات الدخول للأساطين
١٩٠ (الباب الثالث في حق للسلم والرحم والجوار والملك وكيفية الماشرة مع من يلقى بهذه الأسباب)	١٣٨ النظر الثاني من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفة الأخذ
١٩١ حقوق للسلم	١٤٠ (الباب السادس في ما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ومحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم)
٢١١ حقوق الجوار	١٥١ (الباب السابع في مسائل متفرقة بكثر مميس الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى)
٢١٥ حقوق الأقارب والرحم	١٥٤ (كتاب آداب الألفة والأخوة)
٢١٦ حقوق الوالدين والولد	والصحب والمأثرة مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثاني وفيه ثلاثة أبواب
٢١٩ حقوق للملوك	
٢٢١ (كتاب آداب العزلة)	
وهو الكتاب السادس من ربيع العادات وفيه بمان	
٢٢٢ (الباب الأول في حمل المذاهب والأقاويل وذكر حجج الفريقين في ذلك)	
٢٢٣ ذكر حجج المائلين إلى الخاطلة ووجه مشتمها	
٢٢٤ ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة	

صفحة

٢٦٦ (كتاب آداب السماع والوجد)

وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات
وفيه بابان : الباب الأول فى ذكر اختلاف
الطعام فى إباحة السماع وكشف الحق فيه .
يبان أقاويل الطعام وللوصفة فى تحليه
وتحريمه

٢٦٨ يبان الدليل على إباحة السماع

٢٨٢ يبان حجب القائلين بتحريم السماع

والجواب عنها

٢٨٤ (الباب الثانى فى آثار السماع وآدابه وفيه
مقامات ثلاث)

٢٨٥ للقام الأول فى القهم

٢٨٩ للقام الثانى بعد القهم والتزويل الوجد

٢٩٨ للقام الثالث من السماع نذكر فيه آداب

السماع ظاهرا وباطنا الخ

٣٠٢ (كتاب الأمر بالمعروف)

واللهى عن التكر وهو الكتاب التاسع
من ربيع العادات الثانى وفيه أربعة أبواب
(الباب الأول فى وجوب الأمر بالمعروف
واللهى عن التكر وتفضيله وللذمة فى
إجائه وإساعته)

٣٠٨ (الباب الثانى فى أركان الأمر بالمعروف

وشروطه ، وأركانه أربعة)

الركن الأول المحتجب

٣٢٠ الركن الثانى العبرة بما فيه الحجة

٣٢٣ الركن الثالث المحتجب عليه

٣٢٤ الركن الرابع نفس الاحتساب

(باب آداب المحتجب)

٣٣٠ (الباب الثالث فى التكرات المأثورة فى

العادات)

مكرات الساجد

٣٣٣ مكرات الأسواق

مكرات الدوارع

صفحة

٢٢٦ (الباب الثانى فى فوائد العزلة وغوائلها
وكشف الحق فى فضلها)

العائدة الأولى التفرغ للعبادة والفسكر الخ
٢٢٨ القائمة الثانية التخلص بالمرزلة عن

الغاصى الذى يمرض الانسان لها الخ

٢٣٢ القائمة الثالثة الخلاص من التفتن

والخصومات وصيانة الدين والنفس الخ

٢٣٣ القائمة الرابعة الخلاص من شر الناس

٢٣٤ القائمة الخامسة أن ينقطع طمع الناس

عنك وينقطع طمعك عن الناس

٢٣٥ القائمة السادسة الخلاص من مشاهدة

التفلاء والحق ومقاساة حقهم وأخلاقهم الخ

٢٣٦ آفات العزلة للنبية على فوات فوائد

المخالطة السببة الآتية

الفائدة الأولى التعلیم والتعلم

٢٣٨ الفائدة الثانية النفع والانتفاع

الفائدة الثالثة التأديب والتأديب

٢٣٩ الفائدة الرابعة الاستئناس والإناس

الفائدة الخامسة فى فضل الثواب وإثباته

الفائدة السادسة من فوائد المخالطة التواضع

٢٤١ الفائدة السابعة التجارب

٢٤٣ (كتاب آداب السفر)

وهو الكتاب السابع من ربيع العادات

وفيه بابان

٢٤٤ (الباب الأول فى الآداب من أول التهيؤ

إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائده

وفيه ضلالتان)

الفصل الأول فى فوائد السفر وفضله ونيته

٢٥٠ الفصل الثانى فى آداب المسافر من أول نهوضه

إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا

٢٥٦ (الباب الثانى فى لا يه للمسافر من تملطه

من رخص السفر وأدلة القبلة والأوت الخ)

القسم الأول العلم برخص السفر

٢٦١ القسم الثانى ما يتجدد من الوظيفة الخ

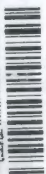
صفحة	صفحة
٣٦٠	٣٣٤ منكرات الخلمات
٣٦٣	منكرات الضيافة
٣٦٦	٣٣٦ المنكرات العامة
٣٧٢	٣٣٧ (الباب الرابع : في أمر الأحرار والسايطان بالمعروف ونهيهم عن المنكر)
٣٧٧	٣٥١ (كتاب آداب الميعة وأخلاق النبوة)
٣٧٨	وهو الكتاب الناصر من ريع الماديات من كتب إحياء علوم الدين
كان يكرهه	٣٥٢
٣٧٩	٣٥٢
٣٨٠	٣٥٣
٣٨١	٣٥٣
٣٨٢	٣٥٣
٣٨٤	٣٥٣

فهرس بقية عوارف المعارف للسهروردي الذي بالهامش

صفحة	صفحة
١٧٢	٢ (الباب التاسع : ذكر من انتهى إلى الصوفية وليس منهم)
١٩٥	١٣ (الباب العاشر : في شرح رتبة للشيخ)
٢٢٠	٣٤ (الباب الحادي عشر : في شرح حال الخادم ومن يتشبه به)
٢٥٣	٤٢ (الباب الثاني عشر : في شرح خرقه الصوفية)
٢٥٤	٦٢ (الباب الثالث عشر : في فضيلة سكان الرباط)
٢٦٤	٧٠ (الباب الرابع عشر : في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة)
٢٧٩	٨٠ (الباب الخامس عشر : في خصائص أهل الرباط والصوفية فيما يتشبهونه ويختصون به)
٢٩٦	٩٥ (الباب السادس عشر : في ذكر اختلاف أحوال مشايخهم في السفر وللقام)
٣١٠	١٢٢ (الباب السابع عشر : فيما يحتاج إليه الصوفي في سفره من الفرائض والنضائل)
٣٣٢	١٤٠ (الباب الثامن عشر : في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه)
٣٥٣	١٥٨ (الباب التاسع عشر : في حال الصوفي للتسبب)

إهداء الى المكتبة
نحسبه علم ينتفع به
Sa.Elkrimy Apr. ٢٠٠٨

Bibliotheca Alexandrina



0605063